فلسفة

ك. غ. يونغ

نيتشه - زارادشت

أسفار الخير والشر

ترجمة

متيم الضايع

دار الحوار

الكتاب: نيتشه- زرادشت (أسفار الخير والشر)
تأليف: كارل غوستاف يونغ
ترجمة: متيم الضايع
الطبعة الأولى: *2021*
إخراج وتصميم غلاف: لمى عبود
حقوق الطبع محفوظة © دار الحوار للنشر والتوزيع
هذه هي الترجمة العربية الكاملة من الصفحة (*322 - 764*) لكتاب:

Nietzsche's Zarathustra

Notes of the Seminar given in (1934 – 1939)

BY: C. G. Jung

ISBN:978-9933-667-10-8

تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار
حقوق الطبعة العربية محفوظة لدار الحوار للنشر والتوزيع

يمنع نسخ أو تصوير هذا الكتاب أو أجزاء منه بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو تصوير ضوئي أو تسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى دون أذن خطي مسبق من دار الحوار للنشر والتوزيع.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced,stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic، mechanical, photocopying, recording، or otherwise, without the written permission of Dar Al Hiwar Publishing Company.

دار الحوار للنشر والتوزيع ***www.daralhiwar.com***
ص. ب *1018* اللاذقية، سورية
هاتف: *339 2422 41 963+*
موبايل: *804 406 938 963+*
البريد الإلكتروني ***daralhiwar@gmail.com***

كارل غوستاف يونغ

نيتشه - زارادشت

أسفار الخير والشر

ترجمة: متيم الضايع

دار الحوار

شتاء 1935

كانون الثاني- يناير / آذار- مارس

المحاضرة الأولى

23 كانون الثاني – يناير 1935

الدكتور يونغ:

سيداتي سادتي: تحدثنا سابقاً عن "أوراق البردي المسماة أوكسيرينخوس"، هل تذكرون بما كانت ترتبط؟

السيدة فيرز: كانت ترتبط بالناسك والمعتزل.

الدكتور يونغ: نعم، قُلت إن نيتشه، بتلاعبه بالكلمات، جاء بفكرة أنه إذا كان هنا اثنان معاً، وليس واحداً وحده، يمكنهما أن يُنتجا الإنسان الأعلى. وقلت أيضاً إنه تم التعبير عن هذه الفكرة في العهد الجديد حيث قال يسوع: "إنّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثنَانِ أوْ ثَلاثَة بِاسْمِي فَهُناكَ أكُونُ في وَسْطِهِمْ". لكن في "أوراق البردي المسماة أوكسيرينخوس"، وهي أقدم من أول مفهوم عن الأناجيل، صيغت الفكرة على الشكل الآتي: "***حيثما يجتمع اثنان، لا يكونان من دون الله، وحيثما يكون واحد لوحده أكون معه***". هنا يكمن التركيز على الناسك، وحيثما يجتمع اثنان تصبح الأهمية ثانوية مع أنهما "لا يكونان من دون الله". وتذكرون أنني قرأت من النص الإغريقي المنشور الأصلي لـ "غرينفل" و"هانت"، وأشرت إلى أن الكنيسة أزالت بالتحديد الفقرة التي شدّدت على المفهوم الأصلي، "حيثما يكون الواحد

وحده". بينما أبقت على الفقرة الأخرى "*حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي*"، إشارة إلى أن الله لا يكون حاضراً إلا في الجماعة، لكن عندما يكون الإنسان وحيداً فالله وحده يعلم ما سيحدث له. وهذا يعني أنه ما من خلاص خارج جدران الكنيسة، ولا يمكن لشخص وحيد أن يؤسس كنيسة. وهكذا دعمت الكنيسة ادعاءها بأنها *مصدر النعمة*، *ومصدر الشفاعة الإلهية*، والوسيط بين الإنسان والإله. ولم يرغب اللاهوتيون أبداً بكشف ما هو موجود في "أوراق البردي المسماة أوكسيرينخوس" على الرغم من أنها تكافئ العهد الجديد في نفوذها وسلطتها. كما قدم لي السيد أليمان "وثيقة إنسانية لافتة كانت عبارة عن كتاب بعنوان "المصادر الأولى للمسيحية" ألّفه لاهوتي بارع في هذا الموضوع، ويتضمن اقتباسات من كتابات وثنية قديمة تتعلّق بمصادر المسيحية. ولدينا هنا ما اقتبسه "غرينفل" و"هانت" من "أوراق البردي المسماة أوكسيرينخوس" عام (*1897 – 1914*): "حيثما يكون اثنان معاً، لا يكونان بدون الله أبداً"[1]. لكن "حيثما يكون واحد وحده" لم يرد ذكرها. تلك عملية خداع صريح، وقد حدث ذلك عام *1935*! لقد أساء الاقتباس عن سابق وعي وتصميم، واسم الكاتب "إبرهارد أرنولد"، من "ليبزيغ".

الآنسة وولف: هل هو كاثوليكي؟

الدكتور يونغ: لا، إنه بروتستانتي. والكاثوليكيون لن يقتبسوا شيئاً كهذا إطلاقاً؛ هم ليسوا بذلك الغباء. لكن هذا البروتستانتي اعتقد أن بإمكانه خداعنا.

---

[1] هذا كتاب "إبرهارد أرنولد – Eberhard Arnold" بعنوان: "Die ersten Christen nach dem Tode der Apostel" (ليبزيغ، 1926). وقد تمت ترجمته لاحقاً بعنوان "أول المسيحيين بعد موت الرسل – The Early Christians After the Death of the Apostles" (نيويورك، 1970). ولمعلومات عن "أوراق البردي المسماة أوكسيرينخوس"، انظر محاضرة 31 تشرين الأول – أكتوبر عام 1934.

بدأنا قبل عيد الميلاد بفصل عنوانه "دعاة الماوراء"، وتحدثنا عن التلاعب بالكلمات في العنوان. ثم قرأت لكم الجزء الأول لكن أظن أن من الأفضل الاطلاع عليه مرة أخرى. فأثناء قراءة كتاب كهذا، من الأفضل أن نتعامل معه بحذر، لأنك تبدو مع قراءته وكأنك توقفت عن التفكير: تأثيره أشبه بتأثير النبيذ.

" وهكذا جنحتُ بأخيولتي إلى ماوراء الإنسان مثل كلّ دعاة الماوراء.

....

آه يا أخوتي، كان ذلك الإله الذي ابتدعته من صنع الإنسان وجنونه، مثل كل الآلهة!"

علينا أن نفكر أكثر بتلك اللوحة التي يرسمها حول فكرته عن اللاهوت. هل هي لوحة مسيحية؟ وأي لاهوت ذلك الذي يفترضه؟

الآنسة حنّة: قلت في المرة السابقة إنه كان بروتستانتياً للغاية.

الدكتور يونغ: وأي لاهوت كان ذلك؟

السيدة برونر: لاهوت هندي.

الدكتور يونغ: يمكن أن يكون لاهوتاً هندياً وغنوصياً أكثر منه مسيحياً. هو يقول: "*خليقة إلهيّة متألّمة ومعذّبة بدا لي العالم آنذاك*". ما الذي يعنيه ذلك بالتحديد؟

الآنسة حنّة: شوبنهاور، أليس كذلك؟

الدكتور يونغ: هذا يتضمن شوبنهاور. لكن هل إرادة شوبنهاور الإبداعية العمياء تعاني؟

الآنسة حنة: الإله المصلوب الذي يعاني إلهٌ مسيحي.

الدكتور يونغ: يسوع هو ابن الله لكنه ليس الخالق. أما "إلوهيم" أو "يهوه" فهو خالق العالم وفقاً للديانة المسيحية، و"إلوهيم" لم يعانِ، ولا

يهوه. كان يغضب للغاية أحياناً، لكن لم يعانِ من ذلك سوى بعض الناس – تلك كانت غايته. والمصدر الثاني لفكرة المعاناة لدى نيتشه هو شوبنهاور، لكن هل تعتقد أن إرادة الوجود الإبداعية العمياء تعاني؟

الغامضة".[1] إنها اللاوعي بحد ذاته. لكن ظهر بعد شوبنهاور "فون هارتمان" بفلسفة تشبه إلى حد كبير فلسفة شوبنهاور إلا أنه أطلق على الإرادة العمياء اسم "اللاوعي". لقد استخدم ذلك المصطلح.[2] لكنه كان العامل الميتافيزيقي ذاته الذي خلق العالم، وخالق لاواعٍ لا يمكن أن يكون قلقاً أو ساخطاً أبداً لأن العيون كلها كانت عينيه. هو لا يرى أي شيء خلف ذاته لأنه كان موجوداً في كل شيء. هل هذه الفكرة فكرة بوذية؟ هل يشعر الإله في الديانة البوذية بالقلق؟

السيد أليمان: الله غير موجود عملياً في الديانة البوذية.

الدكتور يونغ: هو غير موجود عملياً لكنه مفهوم. إلا أنني لم أسمع مطلقاً أن هناك شيئاً اسمه إله قلِق أو ساخط في الديانة البوذية.

السيدة باينز: أظن أنك أخبرتنا بالفكرة الغنوصية التي تقول إن الله خلق هذا العالم لأنه شعر بملل شديد.

---

[1] "participation mystique": يشير هذا المصطلح إلى الارتباط البشري الغريزي بالانبعاثات الخيالية الرمزية. حيث تسبق هذه الحياة الرمزية، أو ترافق، كل التمايز العقلي والفكري. ويرتبط هذا المفهوم بشكل وثيق بمفهوم الإسقاط لأن هذه المحتويات، التي تكون في الغالب زخارف أسطورية، تعرض نفسها في المواقف والأشياء، بما في ذلك الأشخاص الآخرين. المترجم.

[2] إدوارد فون هارتمان (1842 – 1906) هو تلميذ شوبنهاور. وتمت إعادة صياغة كتابه بعنوان "فلسفة اللاوعي – Philosophy of the Unconscious" (1869) ثماني مرات خلال ست سنوات. ولطالما أشار يونغ في الأعمال الكاملة إلى فون هارتمان باعتباره أحد مكتشفي اللاوعي قبل فرويد.

الدكتور يونغ: نعم، كان الله في الغنوصية اليهودية يعاني كثيراً لأنه وحيد دوماً. لم يكن هناك سواه، وكان واسعاً للغاية، لذلك لملم نفسه وشكّل غيمة، ثم ازداد التوتر حتى انطلقت قصفة برق من الغيمة، وكانت تلك الشمس الأولى، والضوء الأول. وهناك أيضاً ما يوازي ذلك في الأبنيشاد. حيث تجد أن الإله كان يعاني من الوحدة، وكان يشعر بالكثير من الملل، لهذا وجبَ عليه فعل شيء حيال ذلك، وهكذا خلق العالم كما لو أنه لعبة – حلم بعالم يخفف من وحدته، وليكون لديه هدف ما.[1]

هذه فلسفة ذكورية للغاية، في حين تفترض الفلسفة التانترية التعايش مع مبدأ الخلق الأنثوي المساوي له في الأهمية، أي مع "شاكتي" الله. والمبدأ الأنثوي قوي جداً لدرجة أن "شيفا" نفسه يظهر كأنثى أحياناً. ولدي صورة له من التيبت، وهو يرقص في المقبرة في هيئته الأنثوية، هيئة "شاكتي". لذلك فإن فكرة الخلق التانترية فكرة مختلفة؛ لأن شاكتي تخلق فعلاً بناءً على رغبتها. واستمتع شيفا بأفكاره الإبداعية في خلق شاكتي طبعاً، وأدركت شاكتي أفكار زوجها الإبداعية بإطار وفرة العالم. كان شيفا نفسه دوماً في حالة حلم إبداعي، لكن ما كان لحلمه أن يرى الضوء لو لم تدرك شاكتي حلمه، ومع ذلك خلق جمال العالم ومعاناته. لذلك نلاحظ أن المبدأ مختلف تماماً، والأكثر تميزاً هو أن نيتشه شدد على الشكل الذكوري، وعلى وحدانية الإله الكئيب الذي خلق العالم ليخفف من ملله اللامحدود. ولهذا

---

[1] "في بداية هذا العالم كان روحاً (أتمان) وحيدة على شكل شخص... ولم يكن سعيداً حقاً.... ورغب بآخر. (ولأنه بذاته رجل وامرأة، انقسم إلى نصفين، ثم قامت بين النصفين علاقة جنسية).... ومن هنا ظهر الخلق". "بريهاد أرانياكا أبنيشاد – Brihad Aranyaka Upanishad"، الترانيم من (1-5)، صفحة 81. ولمعلومات عن الغنوصية اليهودية، أو "القبلانية – Kabbalah"، انظر أدناه محاضرة 23 جزيران – يونيو، 1937.

يقول نيتشه: "*غبطة سكرى يجد المتألّم في تحويل نظره عن ألمه، وفي الهروب من نفسه*".

ثم قال: "*هذا العالم الناقص على الدوام صورةٌ لتناقض أبديّ، والصورة المنقوصة؛ الغبطة السكرى لمبدعه المنقوص – هكذا تراءى لي العالم ذات مرّة*". يشدد هنا على أن العالم ناقص. لاحظ أن فكرة العهد القديم تعتبر الخالق مثالياً، وأنه خلق عالماً مثالياً، لكن الشيء الوحيد المؤسف أن الإنسان يرتكب أخطاء. ويمكن لنا أن نسأل طبعاً لماذا خُلِقَ الإنسان بطريقة يمكن فيها أن يرتكب أخطاء، ولماذا يقوم صانع الساعات بصناعة ساعة سيئة، ساعة لا تتحمل المسؤولية. لكن السؤال الآن هو من أين جاءت فكرة النقص أو عدم الكمال؟

البروفسور فيرز: من الغنوصية.

الدكتور يونغ: نعم، من الغنوصية تحديداً مع أنني لا أعرف ما إذا كان نيتشه قد قرأ الغنوصية أو كان ذلك من إبداعه الخاص. لم يكن "ديميرج - *demiurgos*" إطلاقاً إلهاً كونياً بل نصف إله أو إلهاً ثانوياً أو ملاكاً أو شيطاناً خلق العالم من خلال غروره.[1] ولم يكن سوى عالم مادي، وكان مع ذلك راضياً بعمله، وظنّ أنه فعل ما هو رائع ومثالي للغاية. ثم نظر إلى الأعلى ورأى ضوءاً أدرك أنه لم يكن من خلقه، فرفع نفسه ليعرف ماهية هذا الضوء ليجد نفسه قد وصل إلى عالم آخر، عالم الأب الروحاني، عالم الله الحقيقي، وأدرك هنا أنه ارتكب خطأً. عندئذٍ نظر إله العالم الروحاني

---

[1] كان نيتشه يعرف القليل عن الغنوصية، لكنه كان يعرف كثيراً عن أفلاطون. وفكرة "ديميرج" لها ثقل هائل في كتاب أفلاطون بعنوان "حوارات" الذي كان ذا أثر كبير في العصور الوسطى. وبالنسبة لأفلاطون، هذا الإله الخالق، المصطنع، أدنى بشكل واضح من مستوى الأفكار الأبدية. وفي الغنوصية، الأفعى تمثّل العقل، وهو الوسيلة التي من خلالها تم تحرير البشر الأوائل من سيطرة القوة الإبداعية التي كانت تتطلّب خير الإنسان وشرّه.

بشفقة إلى تلك الديدان نصف الواعية، أي الكائنات البشرية التي خلقها "ديميرج" دون وعي كافٍ ليرى نقصهم وعدم كمالهم؛ ثم وضع ابنه على هيئة أول أفعى في الفردوس لإرشاد الأبوين الأوليين ليأكلوا من شجرة المعرفة. وعلى الرغم من الاختراع الشرير الذي قام به "ديميرج"، عندما أكلا من الشجرة، أدركا الفرق بين الخير والشرّ، وكان ذلك طريق الخلاص.

لكنني لا أعرف ما إذا كان نيتشه قد حصل على هذه الفكرة من الغنوصية. لقد قرأ الكثير من الكتب عندما كان صبياً، وفي سنوات شبابه الأولى، لكنه وبشكل ملحوظ لم يقرأ سوى القليل فيما بعد بسبب حالته الصحية وما عاناه من مشاكل في الأعصاب والعينين. إذ بدأ عُصابه فعلاً عندما كان يافعاً؛ أظن أنه كان في الرابعة والعشرين عندما أصبح بروفسوراً في بازل، وسرعان ما أصبح عُصابياً. وبالتالي من الممكن جداً أنه لم يقرأ عن الغنوصية، ولا سيما لأنها كانت سيئة السمعة حينها. لا بدّ أنه سأل صديقه البروفسور "أوفربيك"، أستاذ علم الأديان، الذي أخبره بالتأكيد أنها مجرد أفكار تخيّلية غير سليمة وما إلى ذلك. ثم وصل بعد ذلك إلى نتيجة أن هذه الصورة عن الله – هذا اللاهوت الذي يدّعي الوجود الميتافيزيقي لله – كانت من صنع الإنسان وجنونه. وبالتالي قطع التفكير بكل ما يرتبط بذلك.

البروفسور فيرز: أظن أن مفهومه الذي يعتبر أن الإنسان خلق الله وليس الله من خلق الإنسان قد جاء من "فيورباخ".[1]

---

[1] يشكّل لودفيغ أندريو فيورباخ (1804 – 1872) رابطاً هاماً بين هيغل وماركس، وقد طوّر في كتابه بعنوان "جوهر المسيحية – The Essence of Christianity" (1841) تفسيراً طبيعياً للدين. وكان نيتشه سيوافق على هذا النهج، لكن ملاحظته الوحيدة المذكورة لها علاقة "بالحساسية الصحية" لفيورباخ كتأثير على فاغنر. كتاب *جينالوجيا الأخلاق*.

الدكتور يونغ: هذا ممكن، لكنني أفترض أنه لم يكن سعيداً بـ "فيورباخ" حتى ولو قرأ أعماله. لكن هذه الفكرة كانت سائدة حينها. أصبح داروين معروفاً حينها، وبدأ يخلخل الأسس المسيحية الأولى بعنف، ويجعل الكثير من الناس يتخلّون عن إيمانهم. أنا أتذكر تلك الفترة بوضوح، وأعرف كيف تم تلقّي آراء داروين؛ كان يقال همساً إن ثمة شخصاً مريعاً قال إن أصل الإنسان قرد؛ وكان مخيفاً للغاية لأنه بدا وكأنه يتلقّى دعماً من العلماء. كان ذلك عصر المادية، وعلى الرغم من أن فلسفة نيتشه لم تكن فلسفة مادية عادية، فقد فهم أن من الضروري أن يتلقّى هذا النوع من النقد. لم يكن الوقت قد حان حينئذٍ لمفهوم سيكولوجي عن الألوهة؛ لأن أي شيء حينها إما أن يكون حقيقياً أو غير حقيقي. كان أي شيء بالغ الدقة كعلم النفس التحليلي يتجاوز عقل تلك الحقبة. وبالتالي كانت معضلة نيتشه على الشكل الآتي: إذا كان هناك إله، فلا بدّ أن يكون له وجود ميتافيزيقي ملموس كالطاولة مثلاً، وإلا فهو غير موجود. كما وصل إلى نتيجة مفادها أنه غير موجود، مع أن هذه النتيجة كانت أقلّ صرامة مما يُفترض أن تكون؛ وسوف نصل لاحقاً إلى فقرة ترك فيها الباب موارباً.

سنتابع الآن في النص:

"كان إنساناً، ولا شيء سوى جزء بائس من إنسان ومنّي أنا. من جمري ورمادي بدا لي ذلك الطيف. وحقاً أقول لكم، لم يأتِني من الماوراء!"

ما الذي يريد أن يخبرنا به بعبارة: "***من جمري ورمادي بدا لي ذلك الطيف***"؟

السيدة دورلر: هناك تناقض.

الدكتور يونغ: أحدهما هو نتيجه للآخر؛ الرماد ناتج عن الجمر.

السيد أليمان: إنه الجسد الحيّ، عملية احتراق.

الآنسة وولف: وهو في الألمانية "*Asche und Glut*". وهذا يعني أن الشعلة احترقت كلياً – هي ليست شعلة حقيقية – وخُلِقَ الله مما تبقّى منها.

الدكتور يونغ: كما أشار السيد أليمان، العملية الحيّة للجسد هي الاحتراق، وخُلِقَ الله من هذه العملية. الجسد الحي هو منشأ الله. كيف ذلك؟

الدكتور إشار: إنها الطاقة الحيّة.

الدكتور يونغ: تكون الطاقة الحية في الجسد في شكل الاحتراق، التأكسد، لكن كيف يمكن للعملية الحية أن تشكّل الله؟

السيدة يونغ: قد تُفهم المعاناة على أنها احتراق. وبما أن العالم خُلِقَ من معاناة الخالق، فإن الله خُلِقَ من المعاناة، احتراق الإنسان.

الدكتور يونغ: نعم. أنت على حق.

البروفسور فيرز: أظنّ أن كلمة "*Asche*" تعني جسده، وكلمة "*Glut*" تعني روحه، أي هي "جسد وروح - *körper und Geist*".

الدكتور يونغ: لا. إنهما الشيء ذاته بطريقة ما؛ الأول يبقى ساخناً، والثاني لم يعد ساخناً. يستخدم المرء هذا النوع من التشبيه عندما يريد التعبير عن الاحتراق وما ينتج عنه – عندما يحرق الشغف العظيم نفسه مثلاً، وما يبقى هو الرماد والجمر المتوهّج. وهكذا أقول إنه يشير هنا إلى الاحتراق الذي نشب، ثم صنع الإله مما تبقى. يقول في الفقرة الآتية: "*حملت رمادي إلى الجبل وابتدعت لي شعلة مضيئة*". فلا بدّ أنه كان هناك نار، ومن ثم اخترع شعلة جديدة. غالباً ما استخدم نيتشه تشبيه النار، وبالنسبة إليه يبدو أنها تعني دائماً حياة شغوفة، احتراق شغوف للمشاعر والاهتمامات، فهم شغوف لشفقة الحياة. هذا ما يعبّر عنه هنا.

فإذا قمنا بإعادة بناء الفكرة الأساسية نجد أنه كان في ذهنه فكرة نار أو احتراق، ولشدّة هذه العملية أثر مدمّر، ومن خلالها أتت تلك الفكرة عن الله. بمعنى آخر، قام بإسقاط معاناته على الله. إن إلهه إله ميتافيزيقي؛ هو لم يضع الله في نفسه بل في الخارج ضمن وجود يتجاوز الوجود الفيزيائي، وضعه في الكون، وافترض أن معاناته كانت معاناة الله تلك.

البروفسور ريكستين: قال نيتشه "*لا شيء غير جزء من إنسان ومنّي أنا*"، مما يعني أن هذا الإله مصنوع من وجهة نظر "الأنا"، من وجهة نظر مادية، وعبارة "رماد وجمر" تفسّر ذلك الأمر.

الدكتور يونغ: إنه نوع من التوافق. الرماد والجمر هو ذلك الجزء التعيس من البشرية. إنه نيتشه الإنسان نفسه هو من خضع للاحتراق الشغوف، وأسقط هذه التجربة على الله الميتافيزيقي الذي يعاني. بمعنى آخر، قام بمحاولة لعدم قبول تلك المعاناة على أنها معاناته.

تعليق: أليس استسلام الإنسان تحديداً هو الرماد؟

الدكتور يونغ: يمكن القول إنه كان نوعاً من الاستسلام، وافترض هو أنها معاناة الله، وعدم قدرته على قبول حقيقة أن الإله هو إلهه. هذا هو السبب وراء الوجود الدائم لإله يعاني، وليس في بداية عصرنا فقط، بل منذ زمن طويل. أوزيريس مثلاً، وهو أحد أقدم آلهة مصر، كان إلهاً يعاني؛ كانت هذه الآلهة موجودة إلى الأبد بعيداً عن الملوك الآلهة التي، عندما تصبح هرمة أو يفشل إنتاج المحاصيل أو يموت القطيع، يتم الحكم عليها بالموت لأن "المانا" الخاصة بها، أو القدرة العلاجية لها، تعمل بشكل خاطئ. ثمة العديد من الآلهة التي تعاني في آسيا الصغرى، لم يكن المسيح سوى واحدٍ منها. بروميثوس هو أيضاً ألوهة تعاني. وهكذا كان هناك ميل دائم

لإسقاط المعاناة على شخصية سماوية. لماذا كان ذلك؟ لماذا لا يمكن للمرء أن يقبل أنها معاناته بكل وضوح؟

السيدة سيغ: أظن أن حياة نيتشه كلها قامت على أن يشيح نظره عن نفسه. لقد خلق عمله وأهمل وجوده بشكل كامل، وبالتالي كان متماهياً مع الخالق.

الدكتور يونغ: لو كان الخالق لكان سيقول إن هذه المعاناة هي معاناته؛ لكن لا، هو أسقطها على خالق ميتافيزيقي. وكان متماهياً معه دون أن يعرف ذلك.

السيدة باينز: أليس صحيحاً أنه كان يتأرجح بين قطبين، قطب سيكولوجي وآخر نفسي؟ ففي البداية ألقى نظرة عابرة على الماضي ليرى كيف تم التعامل مع فكرة الله. وقام بنقد فلسفي ونقضه. ثم نظر إلى نفسه ووجد الحالة السيكولوجية ذاتها التي خلقت الآلهة في الماضي وأطلق عليها اسماً جديداً كما قلنا للتو.

الدكتور يونغ: هذا التفسير معقد جداً، لكنه يتضمن شيئاً ما.

الدكتور شليغل: يمكن القول إنه قام بعملية الإسقاط ليكون قادراً على التحمّل أكثر.

الدكتور يونغ: نعم، ليكون قادراً على ***تحمّله***؛ هذا ما أردت سماعه. إذا حاولت أن تنام وأنت تعاني من ألم الأسنان أو أية وعكة صحية أخرى مثلاً، تؤقلم نفسك بطريقة ما لتحلم أن شخصاً آخر يستلقي في السرير نفسه ويعاني من ذلك الألم؛ أي إنك تفرّق بين شخصيتك التي تشعر بالارتياح، وشخصٍ آخر يعاني مكانك. ويمكن لسيكولوجيتك الخاصة أن تتفكك بسهولة. إنها تتفكك كل ليلة؛ يكون جزء من المنظومة خاضعاً للمعاناة والجزء الآخر لا يعاني، لأنهما مفصولان أحدهما عن الآخر. وظاهرة ما

يُسمى "هيكسنشلاف – *Hexenschlaf*"، أي نوم الساحرات، هو مثالنا على ذلك. كما يمكن أن تراها في كتاب "مطرقة الساحرات" في العصور الوسطى، والتي هي عن تشخيص الساحرات.[1] عندما كنّ يتعرضن للتعذيب، كان يحدث غالباً أن يغرقن في النوم، أو يغبن عن الوعي. ويدخلن حالة يصبح فيها الجسد مخدّراً تماماً بدون أي إحساس. وتستطيع أيضاً أن تنوّم مغناطيسياً أشخاصاً معينين إلى المدى الذي يفقدون فيه إحساسهم بالجسد بشكل كامل. أجريت مرة تجربة على فتاة شابة في "بوليكلينك". كانت لديها حالة هيستريا تقريباً، وطلبتُ من أحد مساعديّ أن يشغلها بمحادثة شفهية. كان شاباً وسيماً وقام بالعمل بشكل جميل، ووقفت أنا خلفها وغرست إبرة في عنقها بعمق سنتمتر واحد. ومع أن هذه العملية تسبب ألماً شديداً في العادة إلا أنها حتى لم تجفل، لكن بؤبؤي عينيها تقطبا. لقد شعر الجسد الفيزيولوجي بالألم، لكن "الليبيدو" الخاص بها كان مع الرجل، وانسحب عن سطح الجسد، ولم تشعر بأي شيء في الوعي. هذا يفسّر سبب عدم انتباه الجنود لبعض الجروح التي يُصابون بها أثناء المعركة؛ يكتشفونها فجأة عند هدوء المعارك. فضمن إثارة اللحظة الحالية لا يتم الشعور بالألم لأن تركيز الليبيدو يكون على شيء آخر.

تبدو هذه الآلية العامة وكأنها أساس فلسفة نيتشه؛ أي إن فكرته التي تعتبر أن الإنسان خلق الله الذي يعاني كانت بهدف الهروب من إدراكه الحاد لتعاسته الخاصة. ثمة كثير جداً من ذلك. فإذا درست معاناة الله المسيحي سترى أن هذا التفسير يناسب الحالة. حتى إننا تعلمنا أن نضع معاناتنا

---

[1] "Malleus Maleficarum" أو "Hexenhammer" (مطرقة السحرة الشريرة) هو كتاب نشره المحققان الدومينيكيان "يعقوب سبرينغر" و"هنريش كرامر" عام 1489، حول طريقة القبض على الساحرات ومعاقبتهن.

عليه، وأنه سيحملها عنا؛ لقد تركنا كل أحزاننا له ليعتني بها. إنه يخلّصنا من العذاب الأبدي في الجحيم من خلال تضحيته الذاتية؛ ويحتمل عذاب الموت المؤلم المبرّح على الصليب بهدف حمايتنا من ألم مشابه. وهكذا نتعلّق بشكل طبيعي بهذا الإله البطل لأننا لا ندرك عندئذٍ معاناتنا الخاصة. أن يكون المرء غير قادر على أن يكون واعياً للمعاناة، ولا سيما الأخلاقية منها، هي حقيقة ثابتة. إذ يمكن مثلاً أن تقول إنك تعاني ألماً في المعدة، لكنه قد يكون ناتجاً عن حالة أخلاقية لا يمكنك احتمالها. أو ربما لديك ألم تسميه "الروماتيزم"، لكن إذا كان لهذا الألم صلة بسبب حقيقي، وإذا أدركت ما الذي يعنيه ما يُسمّى بالروماتيزم، ستعاني من مشكلة أخلاقية أو نفسية مؤلمة للغاية. وبالتالي كلما ازداد عدد الناس في الكنيسة، ازداد هروبهم من المعاناة السكيولوجية – إلى المدى الذي لا يكون لديهم فيه أية إشكالات عندما يصبحون كاثوليكيين جيدين؛ كما يمكن للبروتستانتيين الجيدين أن يقتصدوا كثيراً في المشاكل الأخلاقية عبر إلقاء المعاناة على الرب. إذ يقولون: "إنها حالة غريبة جداً ولا أعرف ما يجب أن أفعله، لكنني لن أقلق؛ أنا أترك كل شيء للرب وآمل أن يقوم بعمله. أنا سعيد جداً بيسوع؛ سوف يهتم بكل شيء". هذا جميل بقدر ما يكون مفيداً، لكنه لا يفيد دوماً.

سوف نتابع في النص:

" ما الذي حدث يا إخوتي؟ تفوّقت على نفسي وأنا أعاني؛ وحملت رمادي إلى الجبل؛...."

ما الذي يعنيه ذلك؟

البروفسور ريكستين: هل يشير إلى البداية حيث كان زارادشت وحده على الجبل؟

الدكتور يونغ: هكذا تماماً. إنه وحيد مع نفسه في حالة النكوص هذه. ووفقاً لهذه الفقرة، حملَ رماده إلى الجبل. كيف تفهم ذلك؟

السيدة سيغ: أظن أنها الطريقة الغريبة التي ينظر فيها المرء إلى أوهامه؛ إذ كان لديه أوهام احترقت وأصبحت رماداً.

الدكتور يونغ: نعم، يقول الإنسان إن الوهم احترق أو انهار كما ينهار بيت بعد اشتعاله؛ وعملية الاحتراق تلك هي المعاناة الجادة التي يتم إسقاطها على الله. لكن من خلال الفهم أو التصريح بأن الله قد مات، عادت إليه كل المعاناة التي كانت في الله، وهكذا حمل رماده إلى الجبل. وقال:

"ابتدعت لنفسي شعلة مضيئة".

ها هي النار مرة أخرى. ما هذه الشعلة الجديدة؟

السيد أليمان: إنها فكرة الإنسان الأعلى.

الدكتور يونغ: تماماً، لأنه حالما قال إن الله قد مات، أصبح هو الله وبدأ يتضخم. فالإنسان الأعلى هو تأليه للإنسان العادي، وتلك هي الشعلة الجديدة. ولهذا يقول:

"لكن ها إنّ الطيف يفلت منّي!"

هذا يعني أن الإسقاط بلغ نهايته طبعاً. فعلى الرغم من كل تلميحاته إلى الفلسفة الهندوسية والبوذية، كانت الحالة السابقة حالة مسيحية تم فيها إسقاط المعاناة على الإله الذي يعاني؛ مع إنكار الإله الميتافيزيقي الذي يتجاوز العالم المادي، انهار كل ما كان يسمّى أوهاماً، وعادت المعاناة إليه. وتلك هي النتيجة الحتمية، فهل هذا صحيح أم خطأ؟

السيدة سيغ: ربما تكون عملية طبيعية لأن نيتشه قبل الإله التقليدي في البداية، ثم نما زارادشت من خلال مادته، من خلال روحه كما يمكن للمرء أن يقول؛ إنه إلهه الشخصي فعلاً.

الدكتور يونغ: نعم، لكن هذا تفسير زارادشت. أنا أريد أن أعرف ما إذا كانت هذه العملية منطقية، أم أن فيها شيئاً من الخداع.

البروفسور ريكستين: الخداع هو في قوله إنه *ابتدع* الشعلة. لكن ربما تكون بداية لشيء آخر.

الدكتور يونغ: يسعدني أنك أشرت إلى كلمة "*ابتدع*". لقد ابتدع أشياء سابقاً أيضاً. قال إنه ابتدع إلهاً، وأن الله من صنع الإنسان، ومن جنون الإنسان؛ إنه مُنتج صُنعي. هذا يبيّن أنه يثق بأن لديه قوى ذهنية خارقة. ولو أنه انتقد تلك الحالة بعناية لعرف بسرعة أن ذلك مستحيل، لأن فكرة الله كانت موجودة قبل نيتشه بكثير. أنا لا أعتبر أن أصل الفكرة عنده. إلا أن ما حدث معه هو أنه إنسان وُلِدَ في القطيع، وقد تبنّى طرق الآخرين. وبشكل طبيعي تماماً تقبّل قدره الميتافيزيقي والاعتقاد السائد، وهكذا شارك في الخير العام للبشرية. ثم قال إن الإنسان هو من ابتدعه؛ كان ذلك وهماً أو شيئاً من هذا القبيل. ويُفترض من حقيقة وصوله إلى هذا الاستنتاج أنه قادر على ابتداع شيء آخر، قادر على ابتداع تلك الشعلة كما لو أنها كانت نشاطه الخاص. لكن ما هو الخطر السيكولوجي وراء صيغة كهذه؟

البروفسور ريكستين: إنه التماهي، وهو ما يخلق التضخم.

الدكتور يونغ: إذا قال أحدهم أثناء تحليل عملي إنه ابتدع هذا وذاك، أقفز بقدمي كلتيهما فوراً. علينا أن نكون دقيقين في هذه القضايا؛ نحن لا نستطيع الافتراء عليها. لو كانت مسألة حساب بنكي، وفكر المرء بهذه الطريقة، فسرعان ما ستحدث مشكلة. أو لو كانت مسألة كتاب، وافترض أحدهم أنه ابتدعه، يبدو الأمر كما لو أن هذا الشخص زعم بأنه ابتدع الإنجيل، فهذا مجرّد خداع. لكن نيتشه لم يصنع "الله"؛ فهذه الفكرة

موجودة سلفاً. وبالطبع، ولو أن أحدهم درس بعناية كيف ظهرت فكرة الله إلى الوجود، يمكنه القول إن أحدهم اخترع هذه الفكرة عنه. لكنها كانت موجودة منذ فترة طويلة، ولأننا نعرف أن الإنسان البدائي لم ينطلق من قناعة، وهو لا يحتاج لأن يكون لديه قناعة بذلك، بل من حقيقة أن عالمه مليء بالحيوية، عالم مليء بالحياة الروحية. فالله موجود في كل شجرة وكل حيوان؛ كما أن صوت الشيطان في كل مكان. وهكذا كان الحضور الإلهي حقيقة أصلية يواجهها الإنسان. وفي اللحظة التي كان يواجه فيها أي عنصر مادي، كان يواجه حقيقة أن هذا العنصر مفعم بالحيوية. الحقيقة الأصلية الراسخة هي الحضور السماوي. وبعد ذلك بفترة طويلة وصل الناس إلى مفهوم أن بإمكان المرء أن يشكّل فكرة عنه – يمكن للمرء أن يقول: هذا الذي يتصف بكذا وكذا هو إله، ذلك الذي لديه الصفات كذا وكذا، وعلى الإنسان أن يفعل هذا وذاك. لكنه كان ببساطة حضوراً وحيوية، ولم يفكّروا كثيراً بماهية ذلك الحضور؛ لم يكن باستطاعتهم منحه اسماً. أو أطلقوا عليه ببساطة اسم "*numen*"، وهي الكلمة اللاتينية التي تعني "تلميحاً"؛ إنها إيماءة بالرأس، فالحضور الإلهي أو القوة الإلهية تشبه "المانا". والمرء لا يعرف ما هي "المانا"؛ "فالمانا" عبارة عن انطباع يصل للإنسان، ليس لها شكل ولا شخصية، ولا يمكن لأي مبدأ أن يصوغها، ومع ذلك هي حقيقة مطلقة.

لذلك فالله لم يُصنع أبداً، وهو موجود دوماً. ثم وببطء، ومع زيادة الوعي، عندما اكتشف الناس أن بإمكانهم تشكيل أفكار مختلفة عن الألوهة، وصلوا إلى نتيجة أنها كانت مجرد فكرة، ثم نسوا تماماً الظاهرة الحقيقية التي كانت خلف الأفكار كلها. ثم أصبحوا متماهين مع منتجات وعيهم بحيث اعتقدوا أنه كان الله؛ وبالطبع كان الله موجوداً لدرجة ظنوا

أنهم خلقوه. لكن هذا الانتهاك يثير رغبة الانتقام. وكلما خلق الناس أفكاراً أكثر عن الله، استنزفوا الطبيعة وحرموها من القوة والحيوية. وعندئذ تبدو وكأن تلك الحقيقة الأولية عن العالم لم يكن لها مكان سوى في المخيلة. وبالطبع، قمنا من خلال هذه العملية بخلق الوعي لكننا بنينا جداراً سميكاً بين ذواتنا وتلك الحقائق الأولية، وبين ذواتنا والحضور الإلهي. فنحن بعيدون لدرجة أن لا أحد يعرف ما الذي يتحدث عنه عندما يتحدث عن ذلك الحضور الإلهي، وإذا اكتشفه أي شخص فجأة، يظن أنه مُدهش للغاية؛ ومع ذلك فهي حقيقة بسيطة. لكننا لم نعد بسطاء بما يكفي بسبب جدار الأفكار السميك ذاك؛ إذ لدينا الكثير من الأفكار المسبقة حول الكيفية التي يجب أن يكون عليها الحضور الإلهي، بحيث إننا حرمنا أنفسنا من مَلَكَة رؤيته. ومع ذلك فإن الحقائق الأولية لا تزال في العالم؛ هي تحدث على مدار الوقت، إلا أننا نمنحها أسماء عديدة تجعلنا لا نرى الغابة بسبب الأشجار.

وهكذا وقع نيتشه في خطأ التفكير بأن الإنسان هو من ابتدع الله، وبالتالي يمكنه ابتداع شيء آخر، ومن هنا جاء التضخم؛ لأن الله حقيقة حدثت وتحدث دوماً؛ إلا أن من الخطأ التفكير بأن بالإمكان خلقه بأداء سحري أو بإطلاق أسماء سحرية. وقد اتخذ هذا الطريق بطبيعة الحال مفترضاً أنه يستطيع خلق الإنسان الأعلى. وهكذا خضع بسهولة لتحوّل نفسي موضوعي، ويجب أن يرى ذلك كحقيقة موضوعية. في اللحظة التي تفهم فيها أن معاناة الله هي معاناتك الشخصية وهو ما يجب أن يكون، فسوف تتغير في الحال ويدخل الله الذي يعاني إليك، لأن من السذاجة أن ترمي معاناتك الشخصية على الله. حيث تواجه حينها معضلة مرعبة: هل أنا مجرّد دودة تعيسة تعاني، أم أنا الإله الذي يعاني؟ وهنا لا تخطر بذهنك

إطلاقاً الفكرة المنقذة الوحيدة التي تعتبر أن الله أيضاً يعاني. ثمة تناقض في هذه الحالة لأن لدينا فكرة عن الطريقة التي يجب أن يكون الله بها ولا يمكننا أن نتصوّر حضور الله في حقيقة بسيطة صغيرة.

يستطيع البدائي بسهولة أن يتصوّر أن الله هو هذا الجراد أو ذلك الطير أو تلك الزهرة؛ فهذا مقبول تماماً للعقل البدائي، وتلك هي طريقة تفكيره. لذلك تظهر تلك الطرق الثلاث لظهور الله في الديانة الصوفية، حيث يمكن لله أن يظهر في ورق عشب إذا أراد. هذه حقيقة سيكولوجية: تلك الظاهرة التي تسمى الله، وتجربة التداخل أو الحضور الإلهي، يمكن ربطها بأي شيء. إنها مجرد حقيقة يعترف العقل البدائي بها، لكنْ لدينا أفكار عنها ونظن أن هذا غير ممكن؛ نحن نظن أن الله لا يمكن أن يظهر إلا بطرق موصوفة. وقد كان آباء الكنيسة أقوياء جداً في هذا المجال؛ من أجل الفصل اللائق بين الله والشيطان، كان عليهم أن يكونوا حذرين ببناء جدار فيه تحايل على القانون حول الطرق التي يُسمح فيها بظهور الله. لكن لم يكن أمام الإنسان البدائي إعاقة من هذا النوع، لأنه لم يحاول أبداً أن يوسّع مفاهيمه العقلانية إلى مستوى الألوهة التي تتجاوز المفاهيم البشرية بالنسبة إليه. وبالطبع، كلما وسّع أفكاره، ازداد تحضّره: وازدادت إمكانية أن يضع الله في سجن الأفكار. وهنا قرر نيتشه على ما يبدو أن يتماهى مع الله، ويخلق الإنسان الأعلى. وكان بإمكانه أن يخلق فكرة الإنسان الأدنى أيضاً، إذ يظهر وجود فكرة كهذه في ذهنه أيضاً قرابة نهاية كتاب ***هكذا تكلم زارادشت*** عندما يظهر السؤال عن أبشع إنسان؛ إن أبشع إنسان هو إنسان إلهي بقدر ما هو الإنسان الأعلى إلهي.

"بالنسبة إلي أنا المُعاق، سيكون ألما وعذاباً أن أؤمن بشبح كهذا: سيكون بالنسبة إلي ألماً وإهانة. هكذا أقول لدعاة الماوراء."

من الواضح أنه يعني هنا أنه سيشعر بالإهانة إذا افترض أنه يُسقط معاناته على الله. لنفترض مثلاً أن كائناً إلهياً يعيش بيننا فعلاً بشخصية رجل أو امرأة، ويمكنك أن تُسقط معاناتك الشخصية عليه، وهو مستعد لحمل كل المشاكل اللعينة التي لديك. أتوقع عندئذٍ أن تشعر بالخجل من فعل كهذا لأنك لن تنضج أبداً إذا تخلّصت من مشاكلك الخاصة بهذه الطريقة؛ سوف تبقى طفلاً صغيراً. إذ لا يمكن أن تنضج إلا عندما تقول: "هذا شأني، وهذه حياتي؛ ومعاناتي هي معاناتي، ولا يمكن إسقاطها على أي شخص آخر". وربما تسقطها على والدك وتقول: "أنا ابنك؛ ويمكنك أن تحمل العبء كله. أنا لا أستطيع العمل وكسب المال لأن هذه المشكلة تؤذيني. لا أستطيع أن أتعايش مع الناس؛ وعليك أنت أن تتعايش معهم من أجلي". سيكون ذلك تصرّفاً طفولياً للغاية، لكن لديك بالفعل لاهوتيون من هذا النوع.

تتذكرون مثلاً أنني قلت في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه"[1] إن التعاليم المسيحية تقوم على أن عليك أن تضحي بطفولتك، لأنه كيف تستطيع أن تصبح مثل الطفل إذا كنت لا تزال طفلاً؟[2] عليك أولاً أن تتغلّب على طفولتك، وبعد أن تصبح بالغاً، يمكن أن تعود طفلاً من جديد. هذه هي التعاليم المسيحية بوضوح. لكنني قرأت مقالة نشرها أحد اللاهوتيين في

---

[1] عنوان الكتاب باللغة الألمانية هو: "Wandlungen und Symbole der Libido"، والترجمة الحرفية له هي: "تحولات الليبيدو ورموزه" لكنه مترجم إلى اللغة الإنكليزية بعنوان "سيكولوجيا اللاوعي – Psychology of the Unconscious". المترجم

[2] في كتاب "رموز التحوّل: تحليل لحالة شيزوفرينيا – The Symbols of Transformation: An Analysis of the Prelude to a Case of Schizophrenia"، وفي أول نشرٍ له عام 1912، أوضح يونغ الفرق الهام بين مفاهيمه ومفاهيم فرويد عن الرمز. وقد ظهر الكتاب بصيغته المنقّحة في الأعمال الكاملة، المجلد الخامس.

صحيفة "أرشيف دي تيولوجي - *Archives de Théologie*" قال فيها إنني ناقضت كلام الرب إذ قلتُ إنه ليس على المرء أن يبقى طفلاً؛ بل عليه أن يتخلّى عن شعوره بأنه ابن أو ابنة. لم أصدّق عيني! فجمعت ببساطة اقتباسات من النص اللاتيني للعهد الجديد، ووضعتها في مغلّف وأرسلتها للرجل. ولا بدّ أن أقول إنه كان على قدر من اللباقة إذ كتب فقرة صغيرة في الإصدار اللاحق للصحيفة ذاتها قال فيها: "مقالتنا عن دور الشعور بالبنوّة أكسبتنا الانتقادات التالية من الدكتور يونغ"، ثم نسخ الاقتباسات التي وضعتها في المغلّف. أنا واثق أنه ما من قارئ استطاع أن يفهم ذلك، لأنهم يؤمنون بأن عليهم أن يبقوا أطفالاً صغاراً، ومن خلال طفولتك، تتعامل بالشكل الذي يناسب الكنيسة حيث تبقى طفلاً أو تنام.

الدكتور إيشر: لكن هذا هو الموقف الحقيقي للهرمية الإكليريكية.

الدكتور يونغ: بالطبع هذا هو الموقف. وهو موقف أخلاقي للغاية بحيث يحتاج لشخص مثل نيتشه، يفلسف الأمور بمطرقة ويسحق كل ما هو لعين.[1] فمن غير الأخلاقي إبقاء البشر دون مستواهم الحقيقي؛ عليهم أن يتمتعوا بالمسؤولية ولا يسقطوا شكوكهم ومشاكلهم على الرب. يذكّرني إسقاط مشاكلنا على الله بقصة الرجل الذي لا يستطيع النوم، فهو مثال سيكولوجي ممتاز. كان يجب على هذا الرجل أن يدفع ديناً مستحقاً في اليوم التالي، وبما أنه لا يملك المال، لم يستطع النوم. بقي حتى الساعة الواحدة ليلاً ثم إلى الساعة الثانية والثالثة ولا يزال لا يستطيع النوم. كانت ليلة باردة، وفكّر أنه عليه أن يفعل شيئاً حيال ذلك. وهكذا نهض من فراشه

---

[1] في آخر سنة من حياته المنتجة، كان عنوان كتابه هو "أفول الأصنام؛ كيف (تفلسف الأمور) باستخدام المطرقة – Twilight of the Idols; How to Philosophize with Hammer". ولا شكّ أنه صوّر المطرقة الثقيلة للتدمير، وأدوات النجار للبناء.

وذهب إلى منزل الدائن ورنّ الجرس، وبعد فترة طويلة ظهر الدائن من النافذة وقال: "أي شيطان هنا؟" فقال الرجل: "أنا، ينبغي عليّ أن أدفع لك ديوني غداً". فأجاب الدائن: "لا يزال الوقت مبكراً على صباح الغد لتدفع لي". "لكنني لا أملك المال" قال الرجل. "يمكنك أن تخبرني بذلك غداً؛ لماذا تزعجني الآن؟" "لكنني لم أستطع النوم". "وما علاقتي بنومك؟" "حسناً، لقد أخبرتك الآن فأصبحت قادراً على النوم، وأنت لم تعد تستطيع". وبالتالي، ما لا تفعله مع أي إنسان آخر، لا تفعله مع الله.

المحاضرة الثانية

30 كانون الثاني – يناير 1935

الدكتور يونغ:

تحدثنا في المحاضرة السابقة عن الإله الذي يعاني، وأحضرت لكم اليوم رؤيا وصلتني من مريض مهتمّ بهذا المجال. هو شاب يافع مثقف نشأ في عائلة يهودية، ثم تحوّل إلى الكاثوليكية، لكنه نسي ذلك كله تقريباً. وهو لم يكن مؤمناً بأي ديانة على وجه التحديد؛ وليس مهتماً بمشاكل الأديان، ولم يكن مستعداً لأن يزعج نفسه بأفكار كهذه حتى راودته فجأة تلك الرؤيا عن "*الصلب – crucifixus*". استحوذت عليه هذه الرؤيا تماماً لدرجة أنه وصل إلى حالة من *النشوة* إذ سمع صوتاً يقول: "لكن المسيح غير قادر على افتدائك. إذا استطعت أن تفتدي نفسك، فسيقلّ النزف لديه. وإذا استطاع البشر بشكل عام أن يفتدوا أنفسهم، فسيتوقف نزيفه. سيصبح النزف حينها أشبه بأغنية فقدت أهميتها". لهذه الرؤيا أهمية خاصة لأنها حدثت في فترة لم يكن الرجل فيها مهتماً بقضايا من هذا النوع. لطالما راودته رؤى قبل هذه الرؤيا وبعدها، وقليل منها كان يشير إلى أي شيء من هذا القبيل؛ يحدث أحياناً أن تحدث تلميحات معينة لكن لم يكن هناك ما هو واضح فعلاً عندما أتت فجأة هذه التجربة الرائعة على شكل *نشوة* قصيرة.

كان قادراً على الوصول إلى لحظات كهذه؛ وظهرت لديه لاحقاً حالة فقدان للوعي، وحالة نشوة أو سكون لم تكن تدوم فترة طويلة، وفي تلك اللحظات كان يسمع أحياناً صوتاً مشابهاً. لا يوجد أي اشتباه بالفُصام في هذه الحالة؛ بل هي ظاهرة نفسية فعلية يمكن تصنيفها ضمن فئة التجارب الروحانية أو الصوفية. وقد اخترت هذه الحالة لأنها مشابهة لحالة نيتشه السيكولوجية وإنما مع فرق معين. كان نيتشه ضد المسيحية قطعاً، وقد ألّف كتاباً عنوانه "عدو المسيح"، كما أنه مدمّر عن سابق قصد وتصميم، بينما هذه الرؤيا أكثر بشرية لأنها تُظهر الشفقة.[1] من الواضح جداً أن ذلك الصوت يعني أنك إذا كنت بصفتك كائناً بشرياً تقوم بواجباتك، وإذا كنت تحمل أعباءك بنفسك، فسوف تخفف من معاناة الله. وبدلاً من أن تصبّ أعباءك كلها عليه وتجعله ينزف، افعل شيئاً يجعلك أنت نفسك تنزف. لقد اقتبست هذه القصة أيضاً لأنه مع استمرار نصنا الحالي، سوف نصل إلى النزف الذي يُعتبر رمزاً مسيحياً هاماً جداً. سنتابع النص الآن:

"المعاناة والعجز هو ما خلق تلك العوالم الماورائية كلها؛ تلك السعادة المقتضبة المجنونة التي لا يشعر بها سوى أكثر الناس معاناة."

كانت المعاناة هي من خلقت العوالم الأخرى، لكنها أحياناً تكون الوهم القصير للسعادة لأنها سعادة الشخص الذي يعاني. وهكذا تقوم فكرة هذه الفقرة على أن الإنسان قد خلق عالماً آخر بمخيلته، خلق عالماً خيالياً يُعتبر ملجأً من المعاناة في هذا العالم، وضد النار التي تحرقه ليصير رماداً. لذلك قال نيتشه: "*وحملت رمادي إلى الجبل*"؛ هذا جبل المعاناة طبعاً، والمعاناة ذاتها هي شعلة "الشغف – *passion*". وكما ترون، كلمة "*passio*" تعني

---

[1] **تم تأليف كتاب "عدو المسيح – The Anti-Christ" قبل ثلاثة أشهر فقط من انهياره، ويُعتبر هذا الكتاب ضدّ المسيحية أكثر مما يُعتبر ضد المسيح. وكما كان حال كتاب *هكذا تكلّم زارادشت*، قال نيتشه "هذا الكتاب لقلّة قليلة من الناس".**

المعاناة، والكلمة الألمانية "*Leidenschaft*" فسّرها شاعر بطريقة جميلة جداً: "*Leidenschaft ist das was Leid schafft*"، أي "الشغف الذي يخلق المعاناة. إن "*Leidenschaft*" هي المعاناة فعلاً.[1] وهذا هو التفسير البوذي أيضاً: "*رغبة الإنسان* – *concupiscentia*" تخلق المعاناة العظيمة في العالم. هذا "***الشغف الذي يخلق المعاناة***" إذاً هو الشعلة التي تحوّل الإنسان إلى رماد إذا عرّض نفسه لها. لكن نيتشه لم يفعل ذلك. لقد تجنّب الشعلة ولا ألومه على ذلك لأنه إذا كان لأي شخص أن يتجنّب النار فمن الحكمة أن يفعل ذلك.

لدينا قول آخر ليسوع مشابه تماماً للمقولات التي تم العثور عليها في "أوراق البردي المسماة أوكسيرينخوس"، وغير موجودة في الشريعة الكنسية هو: "كل من هو قريب مني قريب من النار".[2] ويعني بذلك من كان قريباً من يسوع، كان قريباً من ***شغف*** يسوع، وعرضة لأن تظهر لديه حالة يسوع السيكولوجية وقَدَره ذاته. لقد كان الوحيد الذي تبنّى ***شغفه*** الخاص. وخضع له وعانى بالمقابل، ومن كان قريباً منه سيفعل الشيء ذاته. هذه مقولة ذكية وصحيحة للغاية، ولذلك كان لا بدّ أن تُلغى إذا لم يكن أب الكنيسة أكثر غباءً من أن يفهمها. والأشياء الأخرى التي تقلّ عنها ذكاء، ومخفية بنسبة أقل، تم تدميرها أيضاً، لأنها ستكون مثيرة للاهتمام بالشكل ذاته إلا أنها ليست أساسية إلى هذه الدرجة. سنتابع النص الآن:

"تعب يريد اجتياز المنتهى بقفزة واحدة، بقفزة قاتلة؛ تعب جاهل مسكين يريد حتى أن يريد في قفزة أخيرة أن يبلغ المنتهى، إعياء جاهل في انتفاضة الموت؛ ذلك هو ما خلق الآلهة كلها، والعوالم الماورائية كلها."

---

[1] **"الشغف هو ما يخلق المعاناة". إن التورية الموجودة في هذا المثل مفقودة في اللغة الإنكليزية.**

[2] **قال يسوع: "من كان قربي فهو قريب من النار، ومن كان بعيداً عني فهو بعيد عن مملكة الله". انظر "أبوكريفا"، لأوريجانوس عن أرميا، صفحة 35.**

هنا يبدو وكأن نيتشه شارك في معتقد عصره القائم على الإيمان بأنه لا وجود للعوالم الأخرى، أي المسائل الميتافزيقية، إلا في مخيّلة الإنسان. هو يدفع الجزية لعصره دون أن يرى أن مخيّلة الإنسان هامة فعلاً. عندما يقول أي شخص عن شيء ما إنه مجرّد تخيّل، فهو يقول شيئاً بالغ الأهمية؛ لأن مخيّلتنا، كيفما كانت، هي عالمنا لسوء الحظ. وإذا تخيّل الناس أنك شيطان فسيقتلونك؛ مهما قلت إنها مجرّد مخيلة ستكون النتيجة في النهاية عبارة عن جثّة، جثّتك أنت، وهذا غير مقبول أبداً. فالمخيلة التي كانت تبدو وكأنها لا شيء إطلاقاً قد انتهت بجريمة قتل بكل ما في الكلمة من معنى. يمكن للمرء أن يقول: "هذه مخيّلة والآن انتبه!" كما يمكن للمرء أن يقول: "كن على حذر عندما تستخدم هذا السلاح! فيه طلقات!". لأن أي تخيّل يتضمّن في ذاته إمكانية حدوث أمر ما. الكرسي الذي أجلس عليه، والبيت الذي أعيش فيه كانا يوماً ما في مخيّلة البناء؛ قام أولاً بوضع المخططات، ثم قام بعملية البناء، وإذا انهار البيت على رأسي فسوف يسحقني. فليس هناك ما هو موجود في عالمنا المتحضر لم يكن في المخيلة في البداية. وهكذا فإن التخيلات عبارة عن حقائق محتملة، تماماً مثل سلاح محشوّ بطلقات لم تخرج منه حتى الآن؛ لكن يمكن لأي غبي أن يضغط على الزناد ويقتلني.

إذاً افترض نيتشه من وجهة نظر ذلك الزمن أن العوالم الأخرى كانت مجرّد تخيلات الناس الذين كانوا يعانون، بينما كانت النقطة الهامة هي أن الناس الذين يعانون لديهم تخيلات، وهي تخيلات حقيقية قدر المستطاع. في الحياة الكثير من الحالات التي تكون فيها تخيلاتك لها أهم بكثير من الوضع ذاته. فالعالم عادة هو ما تتخيّل أنه عليه، ونحن لا نعرف إلى أية درجة يكون هذا صحيحاً؛ قد يكون عالمنا مختلفاً تماماً لو كانت مخيّلتنا عنه مختلفة. وأنا على ثقة من أن البدائيين مثلاً عاشوا في عالم مختلف

تماماً عنا؛ نحن نفترض أنه العالم ذاته لكن هذا ليس صحيحاً إطلاقاً. لديهم انطباعات مختلفة، وخيالات مختلفة عنه؛ وهي تعمل بطريقة مختلفة بالكامل. بل حتى فترة قصيرة فقط، كان أي صيني متعلّم، وليس معاصراً، مقتنعاً تماماً أن السحر يعمل، ومقتنعاً بالطريقة ذاتها أنه لا ينفع مع الأوروبي لأن الأوروبي ليس مخلوقاً بطريقة يمكن تجعل السحر يؤثر عليه. لا يمكن أن يؤثر عليه في أي مكان؛ فهو غير منفتح عليه. لكن بالنسبة إلى الصينيين، فهو يعمل فعلاً؛ هذا ليس مجرد تخيل لأنهم يعيشون في عالم، ولديهم سيكولوجيا معينة تعتبر أن أشياء كهذه يمكن أن تتحدث. فنحن غير منفتحين على مايبدو، لكن لديّ شكوكي حيال ذلك. وعلى أية حال، نحن في شخصيتنا الواعية غير منفتحين. لقد رأيت الكثير من الآثار التي جعلتني أصل إلى نتيجة مفادها أنه من الخياليّ أيضاً أن تتخيّل أن أشياء كهذه لا تصل إلينا. نحن نرغب بأن نغض النظر عن هذه الحقائق، ونفضّل ما يُسمى تفسيرات عقلانية بسبب خوفنا الكبير، لأنه سيكون من غير المناسب أبداً أن تقدّم الآثار السحرية على أنها عقلانية في حسابات عالمنا.

"صدّقوني يا إخوتي! إنّه الجسد الذي يئس من الجسد - هو الذي يلتمس بأصابع روحه المضلّلة آخر الجدران."

هذه ليست عبارة بسيطة، ومن الأفضل أن نتوقّف عندها. هل لديكم أي تعليق؟

البروفسور ريكستين: أظن أنه يمكن تفسيرها في الجملة اللاحقة حيث تحدث عن "رحم الوجود". هذا تعبير عن الجانب الأنثوي لله، المعاكس تماماً للشعلة التي ابتدعها بنفسه؛ هذا شيء يقبله على أنه مجرّد كائن.

الدكتور يونغ: أظن أن علينا أن نحاول صياغة فكرة نيتشه وفصلها عن المصطلح السيكولوجي بهدف الوضوح، ثم نعيد ترجمتها بعد ذلك إلى لغة

السيكولوجيا. هل يمكن أن تفسّر لنا مفهوم "رحم الوجود" من منظور فلسفة نيتشه؟ من المؤكد تماماً بالنسبة إليه أنه لا وجود لشيء يسمى الجانب الأنثوي للإله لأنه لا يعترف بوجود الإله أساساً. لذلك لا علاقة "لرحم الوجود" بالألوهة الميتافيزيقية بالنسبة إليه.

البروفسور ريكستين: لكن ربما تكون هذه هي المرة الأولى التي يقبل فيها شيئاً يتجاوز اختراعه.

الدكتور يونغ: نحن واثقون تماماً أنه كان يقبل عالمه على أنه وجود. والوجود بالنسبة إليه ليس مفهوماً ميتافيزيقياً، ولا يمكن "لرحم الوجود" أن يكون مفهوماً ميتافيزقياً. إنه يحاول أن يلغي كل المفاهيم الميتافيزيقية باعتبارها مجرد إنجازات للرغبة. وهكذا فنحن مجبرون فعلاً على افتراض أن "رحم الوجود" هنا هو عبارة عن كلام مجازي؛ ولا يمكننا أن نذهب أبعد من ذلك في تفسيرها طالما بقينا مع فلسفة نيتشه. لكن عندما نصل إلى السيكولوجيا، فذلك موضوع آخر؛ عندئذٍ يصبح الكلام المجازي تلميحاً هاماً. وعلى أية حال، ما أريد التعليق عليه أولاً هو الجملة التي تقول: "*إنّه الجسد الذي يئس من الجسد – هو الذي يلتمس بأصابع روحه المضلّلة آخر الجدران*". هذا يعني ببساطة خلق عالم آخر، خلق الماوراء.

السيدة باينز: أظنه كان يعترض مجدداً على وجهة النظر المسيحية قائلاً: ها هم الناس أغبياء لدرجة أنهم لا يباركون معنى الجسد. يديرون ظهرهم له، ويذهبون إلى العمل لخلق عالم يمكن أن يعثروا عليه داخل أجسادهم إذا كان لديهم الإدراك ليفعلوا ذلك.

الدكتور يونغ: نعم، هو يهاجم الموقف المسيحي الذي يهمل الجسد. يقول إن الجسد المحتقر هو من خلق حقيقة العوالم الأخرى؛ فمن الجسد نشأ ذلك الجوهر الذي تم استخدامه في خلق جوهر الماوراء. فأنت لن ترى شخصية إلهية خارقة إذا لم تكبت جسدك أو تكبحه؛ الحقيقة غير

المدركة لجسدك هي التي تمنح المخلوقات الميتافيزيقية جسداً. تلك هي وجهة نظر فرويد في كتابه "مستقبل وهم".[1] وهي أيضاً الفكرة المادية العقلانية لقمع الجسد. لذلك يقول نيتشه إن الجسد اليائس هو من خلق ما يشبه الجسد، وخلق واقع الأشياء الماورائية.

" صدّقوني يا إخوتي! إنّه الجسد الذي يئس من الأرض - هو الذي سمع أحشاء الوجود تتحدّث إليه."

أترون الجسد المكبوت وهو يثأر ويصنع شخصيات ميتافيزيقية حقيقية أكثر من البشر؛ ينتقم الجسد من الإنسان ويجعله يصدق أن الحقيقة تكمن في الماوراء، وأنه لا يوجد هنا ما يستحقّ العناء، وأنه مجرد أوهام. وهكذا فهو لا يعترض على المسيحية فقط بل على البوذية وكل الديانات الأخرى التي تعترف بعبثية الوجود العلماني المادي.

" عندما سعى إلى أن يقتحم آخر الجدران برأسه – وليس برأسه فقط – بل ويمرّ إلى العالم الثاني."

هذا واضح جداً. عندما يُكبت الجسد أو يُحتقر، تسعى بشكل طبيعي إلى العالم الأساسي، وهو يبدو وكأنه عالم موجود في الماوراء؛ ستعامل هذا العالم بشكل طبيعي على أنه ممرّ أو وهم أو عبث أو خطأ، وتنتظر خلاصك أو تحوّل على العالم الإلهي.

"لكنّ ذلك "العالم الثاني" محجوب تماماً عن عيني الإنسان، عالم مجرّد من كل صفة بشرية، وهو عالم سماوي؛ و"أحشاء الوجود" لا تتكلّم مع الإنسان، إلا عندما تكون هي ذاتها إنساناً."

---

[1] يحتوي كتاب "مستقبل وهم – The Future of an Illusion" (1927) ادعاء فرويد بأن الألوهة في جميع الأديان هي ببساطة إسقاط للطبيعة الخارقة لشخصية الأب الذي يحمي ويحكم.

وبالتالي يمكن القول إن رحم الوجود هو الحقيقة الأساسية والوجود الأساسي فعلاً. و"الرحم" بالنسبة إلى نيتشه عبارة عن تعبير مجازي يقصد به النواة الأعمق. إن جوهر الوجود بطبيعة الحال هو حيث يكون للمرء أعظم اهتمام، هذا هو الشيء الأكثر حقيقية، وإذا افترض المرء أن الموقع الإلهي للإنسان هو في عالم آخر، فإن رحم الوجود يكون هناك، ومن هناك يستدعي المرء. لذلك يقول إن رحم الوجود، الذي هو جوهر الوجود، لا يتكلم عن الإنسان إلا إذا كان هو بحد ذاته إنساناً. وهذا يعني بأنه بقدر ما يفترض المرء أن الحقيقة المطلقة والإلهية والجوهرية موجودة في الإنسان، يكون رحم الوجود في الإنسان، ويتكلّم بهيئة إنسان. ويكون العالم الآخر في هذه الحالة بطبيعة الحال ظاهرة "عدمٍ سماوية"، وعالماً غير إنساني. فبقدر ما يتم نفي الجسد، يتلاشى الإنسان؛ يكون مجرّد علامة استفهام أو مثلث أو مربّع، يكون عبارة عن تجريد للإنسان. يتجرد من إنسانيته، وينتقل إلى عالم اللاوجود؛ حيث لا يوجد مادة ولا أشياء ولا عناصر. ترتبط الحقيقة بالنسبة إلى نيتشه بشكل كامل بإمكانية رؤية الجسد ولمسه وتحديده.

"حقّاً، من الصعب إثبات أي وجود واستنطاقه. أخبروني يا أخوتي، أليست أكثر الأشياء غرابة هي الأشياء التي يمكن إثباتها على أكمل وجه؟

نعم، هذه "الأنا"، وتناقض هذه "الأنا" وارتباكها هي التي تتحدّث عن وجودها بصدق – هذه "الأنا" المبدعة المريدة المقيّمة التي تُعتبر مقياس حجم الأشياء وقيمتها."

من المرجح جداً أن تكون الحقيقة النهائية هي "الأنا"، لأن "الأنا" هي الشيء الأكثر إرباكاً وتناقضاً. ومع ذلك فإن "الأنا" بالنسبة إليه عبارة عن مقدار الأشياء وقيمتها، الحقيقة القصوى. هل هناك ما يبرر وجهة النظر هذه؟

الآنسة وولف: لا أعرف ما إذا كان على المرء أن يشير إلى الفصل التالي حيث لا يعود هناك "أنا"!

الدكتور يونغ: "لا تقلّلي من حدة الفكرة"! فعندما أخطأنا بالاقتناع بأنها "الأنا"، تلقّينا فجأة صفعة على الوجه. هذا مثير للاهتمام. وهو يُظهر كيف كبرت أفكار نيتشه في نصّ *هكذا تكلّم زارادشت*؛ يبدو هنا كما لو أن "الأنا" كانت فعلاً الجوهر الأقصى والوجود المطلق. لكن، هل هناك أي مبرر لهكذا افتراض؟

السيدة آدلر: أظن أنه التعويض عن الموقف المسيحي.

الدكتور يونغ: نعم إنه تعويض، وبالتالي له ما يبرره بالتأكيد. تقوم وجهة النظر المسيحية على أن الحقيقة القصوى هي الله، وبقدر ما يكون الله موجوداً، يكون للوجود وجود؛ لكن من الواضح أن الحقيقة الأخرى، الحقيقة التجريبية التي استمدّ نيتشه منها نتائجه، لم تُخلق إلا من خلال الإدراك اللحظي لوجود "الأنا". فبما أنني أنا مدرك لكوني أنا نفسي، مدرك لوجودي، فهي حقيقة لحظية لا تحتاج إلى مبرر. بل على العكس، يمكنك أن تشتق من هذه الحقيقة الخاصة بالإنسان كل الحقائق التي تُسمّى ميتافيزيقيَة كما فعل هو؛ يقول إن العالم الآخر ليس سوى شيء مشتقّ من معاناة "أنا" الإنسان. فلا متانة لعناصر ميتافيزيقية إلا من خلال حقيقة "الأنا" المطلقة – "الأنا" موجودة وتعاني ولديها مخيّلة وما إلى ذلك. وهذا طبعاً تركيز على الذات ضدّ الفكرة المسيحية المرتبطة بالكونيّة الميتافيزيقية، بالله.

السيدة يونغ: ألا يعني الوعي بهذه "الأنا"؟ أظن أنه تأثّر بشوبنهاور بما يخصّ هذا المفهوم.

الدكتور يونغ: نعم، المبرر في حالة نيتشه طبعاً ليس المبرر التجريبي وحده بل الاعتماد على فلسفة شوبنهاور أيضاً حيث تكون "الأنا" عبارة عن

وسيط لا غنى عنه لخلاص العالم. لأنه إذا لم يكن هناك "أنا" قادرة على بعض الأفكار من تلقاء نفسها، لن يكون هناك مرآة تُرفع في وجه الإرادة الأصلية لترى فيها ملامحها الخاصة والهراء الذي خلقته. وكما تقولين أيضاً: "الأنا" تعني وعي الإنسان. لكن ما هي "الأنا"؟ إنها مجرد إدراك، إنها الوعي. عندما يكون هناك شيء حقيقي بالنسبة إلي، أو عندما أعرف أن هناك محتويات ترتبط بالمركز، عندئذٍ أستطيع أنا أن أقول "أنا" – أنا أستطيع، أنا أعتقد، أو أنا أسمع مثلاً – عندئذٍ فقط أحظى بإدراك نفسي. فهذا الوعي "بالأنا" بالنسبة لشوبنهاور هو نقطة تحوّل تاريخ العالم أو تطوره؛ وإذا لم يكن لذلك وجود، فلن يحصل العالم على الخلاص. هكذا أدخل شوبنهاور تغييراً هاماً في مفهوم العالم. ومن المثير للاهتمام أنه كان المبشّر بالبوذية فعلاً، التأثير الأول القادم من الشرق، والذي يغير مفاهيمنا بطريقة استثنائية. وبعد شوبنهاور جاء نيتشه مع خلفية في العلوم الطبيعية، المادية. لقد انحرفت الأهمية الميتافيزيقية كلها الآن إلى الإنسان، لكن يمكن القول فعلاً إنه التأثير البوذي على الغرب؛ فمن خلال هذه العدوى السرية الحاذقة، كانت الفكرة الجديدة أن الإنسان قادر على فعل شيء ما لنفسه. وطبعاً لدينا في الغرب فكرة تقول إن الإنسان قادر على تحقيق استقلال معين؛ تفترض الكنيسة الكاثوليكية ذلك، لكن الكنيسة البروتستانتية الصارمة تفترض أن كل شيء مرتبط بنعمة الله أو رحمته. فإذا لم يقابل الإنسان نعمة السماء، لن يكون في أعماقه شيء سوى الظلمة. وبقدر ما يفترض اللاهوتي البروتستانتي أن الإنسان قادر على فعل شيء من أجل خلاصه حتى في أكثر السبل تواضعاً، أي إن لديه في نفسه قدرة معينة على تلقّي نعمة السماء، فهو قادر على الوصول إلى الكاثوليكية فعلاً. لكن حتى في الكاثوليكية، يحتاج الأمر إلى وسائل النعمة كالقربان المقدّس وما إلى ذلك.

الآنسة وولف: أودّ القول إنه في الكاثوليكية يكون لديه ميل للخلاص لكنه لا يستطيع فعل أي شيء من دون نعمة الكنيسة؛ إنها أشدّ من وجهة النظر البروتستانتية.

الدكتور يونغ: آمنت الكنيسة الكاثوليكية بالتبرير من خلال العمل؛ إلى هذا الحد أعطت الكنيسة الكاثوليكية إمكانية للإنسان. بينما ينكر البروتستانتي الصارم، "كارل بارث" مثلاً، أن الإنسان يمكن أن يفعل أي شيء لنفسه؛ لن يفيده أي شيء إذا لم يحظَ بنعمة الله. هذا هو الصراع الحقيقي بين "برونر" و"كارل بارث"؛ كان "برونر" يؤيد التسوية، بينما لم يوافق "كارل بارث" على أية تسوية.[1] وأنا أقف إلى جانب "كارل بارث"، ليس فلسفياً طبعاً لأنني لست لاهوتياً بل من الناحية السيكولوجية: يجب على البروتستانتي أن يصرّ على الإنسان نفسه، وعلى خلوّه التام من جميع الوسائل التي ترتبط بالله.

السيدة وولف: ألم يتجاوز نيتشه شوبنهاور بخطوة؟ لأن شوبنهاور أصرّ على العقل أو الذكاء فقط بما في ذلك الفن أو أي شيء يمكن اعتباره إنجازاً ثقافياً للإنسان، لكن مع نيتشه، يبدو أن هناك وعياً أو إدراكاً للجسد، للأرض.

الدكتور يونغ: نعم، نصل مع نيتشه إلى مجال جديد؛ إذ كان شوبنهاور فيلسوفاً كلاسيكياً فعلاً بينما نيتشه شيء آخر تماماً: أصبح الأمر مع نيتشه عبارة عن دراما. إن لفلسفة شوبنهاور علاقة بوجوده الخاص، بينما كانت

---

[1] لمعلومات حول "كارل بارث" راجع أعلاه محاضرة (5 كانون الأول – ديسمبر، 1934). في عام 1932، نشر إيميل برونر كتاباً بعنوان "الطبيعة والنعمة – Nature and Grace" وردّ عليه "بارث" بكتاب صغير له عنوان مقتضب جداً هو "لا- Nein". إذ كان يقول "لا" لهذا الاقتران، وأن النعمة الإلهية خارج الطبيعة بشكل كامل. وقد تمت إعادة طباعة هذه الاعمال في كتاب بعنوان "في اللاهوت الطبيعي – On Natural Theology" (لندن – 1946).

فلسفة نيتشه الإنسان وحياته متشابهتين تراجيدياً. وضع شوبنهاور فلسفة رائعة حول معاناة العالم، وكان يعود يومياً إلى غرفته في الفندق ليتناول وجبة غداء مميزة. فمع فلسفة كهذه على المرء أن ينكر الوجود ويتلاشى في النيرفانا. شاهد بعض الناس شوبنهاور في إحدى المرات بينما كان يتنزه على هضبة خلف فرانكفورت. كان يصعد ويهبط وهو يتمتم مع نفسه، فظنّوا أنه لا بدّ أن لديه أفكاراً سريّة عظيمة في ذهنه. ثم صعد أحدهم خلفه وأصغى لما يقوله، ولدهشته الكبيرة سمعه يقول: لو أنني تزوّجت "حنة كذا كذا" منذ خمسين عاماً مضت! لم يعرف أحد هذا الاسم لكنهم بحثوا وتقصّوا واكتشفوا أن هذه الآنسة "كذا وكذا" كانت ابنة تاجر أدوية كان قد باع أفضل أدوية مرض الكوليرا، ومع وفاته ضاعت تركيبة الدواء. هكذا كان شوبنهاور.

الآنسة وولف: وهناك قصة عن إحدى صاحبات الفنادق التي كان ينزل فيها. كانت دنيئة جداً، فذهب إلى كل المحاكم المتاحة، وأخيراً إلى المحكمة العليا، في صراعه معها. لكنه لم يستطع أن ينال حقوقه، وكان ذلك هاماً للغاية بالنسبة إليه.

الدكتور يونغ: نعم، كان مليئاً بالتناقضات. كان وجوده الإنساني منفصلاً تماماً عن فلسفته، لكن وجود نيتشه الإنساني وفلسفته كانتا معاً وبطريقة تراجيدية للغاية. وكانت فلسفة شوبنهاور مجرّد علاقات عقلية بينما شعر نيتشه بأن الفلسفة تهتم بالإنسان ككل؛ وكانت بالنسبة إليه حقيقته المباشرة. من المستحيل أن تكون بهذا الشكل من جهة، ولديك فلسفة لا علاقة لها بواقعك من جهة أخرى. وفلسفة شوبنهاور فلسفة مسيحية أيضاً بطريقة ما لأنه وافق على التشابه بين البوذية والمسيحية اللتين اعتبرتا هذا العالم عالماً عقيماً يجب التغلّب عليه، بينما العالم الآخر هو الحقيقة والواقع – سواء كان اسمه الجنة أو اللاوجود الإيجابي أو

النيرفانا. هو لا يزال يؤمن بلا أهمية هذا العالم. لكن نيتشه بدأ يصر على أهمية الجسد من خلال عدم إيمانه بعوالم أخرى. وبمجرّد أن يفشل الهدف السامي للحياة، تصبح الأهمية كلها في وعي "الأنا" وفي الحياة الشخصية. وهو أمر لا مفرّ منه.

"هذا الكائن الأكثر صدقاً؛ هذه "الأنا"، تنطق بجسدها، وتتضمن الجسد حتى عندما تقول شعراً وتهيم وتخفق بأجنحة مكسورة.

تظلّ هذه "الأنا" على الدوام تتعلّم كيف تتكلّم بصدق: وكلّما تعلّمت أكثر، وجدت مزيداً من الكلمات وعبارات الإجلال للجسد والأرض.

علّمتني "أناي" عزّة جديدة أستطيع بدوري أن أعلّمها للبشر: لا تدفن رأسك في رمال الأشياء السماوية، بل ارفع رأسك الأرضي بحرية، هذا ما يعطي معنى للأرض."

يتابع هنا إسناد الحقيقة الأساسية إلى "الأنا"، وحقيقة "الأنا" تتكون في الحقيقة الواضحة للجسد. فالجسد هو أكثر شيء حقيقي؛ شيء لا مجال للشكّ فيه، ولا يمكن إنكاره حتى مع اختلاق الشعر والفلسفة أو أية أوهام أخرى مشابهة – ذلك أشبه بمحاولة الطيران بأجنحة مكسورة.

الدكتور إيشار: إن "أنا" شوبنهاور هي "أنا" واعية، أما "الأنا" التي يتحدث عنها نيتشه، فهي بين "الأنا" السيكولوجية والذات.

الدكتور يونغ: انتظر لحظة! سيقدم نيتشه فيما بعد تعريفاً جديداً "للأنا"، لكن علينا في الوقت الحالي أن نتعامل مع صيغته غير المُرضية – ولا سيما أن هذا هو الخطأ الذي تم ارتكابه تاريخياً. تعلمون أنه مع انهيار القناعات الميتافيزيقية، أصبحت "أنا" الإنسان هامة فعلاً. كان ذلك عصر "مذهب الفردانية – *Individualism*". و"مذهب الفردانية" لا علاقة له "بالفردانية – *individuation*"؛ إن "مذهب الفردانية" هو تضخم "أنا"

الإنسان لأن "الأنا" تجد نفسها فجأة في موقع التلاقي مع الله ذاته. إن "الأنا" العظيمة للعالم كانت الله، ولم نكن سوى أفكار الله، والآن نجد أن الله هو فكرة إنسان. وبناءً عليه، يصبح الإنسان بكل تواضعه عاملاً كونياً للنظام الأول تحديداً، لأنه صانع حتى الآلهة. وللتذكير فقط، كان الإنسان دوماً في الموضع المضحك للملحد الديني الذي وصف جورج برنارد شو سيكولوجيته بشكل جميل جداً في إحدى مسرحياته: يشتكي الملحد ويتألم لأنه فقد إيمانه بالإلحاد، لقد ضاعت قناعاته العليا ولم يعد يستطيع أن يؤمن بالإلحاد. يكون الأمر ذاته طبعاً سواء أكان الشخص مؤمناً أم ملحداً؛ إنها مسألة موجب وسالب. لكن ذلك كان ما يشغل الإنسان على الدوام.

تحدث نيتشه هنا وفقاً للتعصّب في عصره، "مذهب الفردانية المادي" في الثمانينات: إذا امتلكت "الأنا" كل شيء تريده، يكون كل شيء بخير. ولا تزال فلسفتنا الاشتراكية المعاصرة كذلك؛ كان كارل ماركس من ذلك العصر. أصبح "مذهب الفردانية المستنير" يسمّى الاشتراكية، وأصبحت الفكرة أن كل فرد يجب أن يضمن وجوداً لائقاً. تلك هي المثالية الفردانية بالتأكيد، لأنه إذا لم يضمن جميع الأفراد وجوداً لائقاً، لا يمكن للإنسان أن يشعر أنه بخير. إذا لم يكن لدى أصدقائي منازل مناسبة، لن أتلقى دعوة للعشاء معهم، وإذا لم يكن لدي منزل لائق، لا أستطيع أن أدعوهم إلى عشاء لائق.

لأن صيغة "الأنا" تلك خاطئة بسبب التضخّم، فقد بدأ التغلّب عليها في نهاية القرن التاسع عشر. وسرعان ما أوجد نيتشه وجهة نظر جديدة تماماً ومعاصرة. لقد كان نبيّاً بطريقة ما. "على الدّوام تظلّ هذه الأنا تتعلم كيف تتكلّم بصدق؛ وكلّما تعلّمت أكثر، وجدت مزيداً من الكلمات وعبارات الإجلال للجسد والأرض". وهذا يعني أنك كلما تعمّقت في وعي هذه "الأنا" ستجد مدى أهمية الجسد في هذا الواقع. إن وعي "الأنا" ضيّق للغاية؛ لا

يحوي إلا أشياء قليلة من اللحظة الحالية وما تبقى كله لاوعي. وتحتاج لأن تعدو من قارّة إلى أخرى من أجل النجاة. وعليك أن تقوم بالتجريد لكي تمتلك رؤية كاملة عن الأشياء لأنك لا تستطيع أن تتخيل تفاصيل الأشياء كلها، ويكون لديك في الوقت ذاته صورة عن كليتها. إن وعيك مقيد للغاية لدرجة أن عليك أن تقتصد، وتقوم بالتجريد؛ وهذا بالفعل معاكس تماماً لما يفترض الناس أنه الوعي الكوني للألوهة. يمكن للمرء أن يقول إن ذلك الإنسان عاد إلى نفسه بعد رحلة في وعي الله في الكون، ووجد أن أصل كل شيء هو البيت الصغير الضيق لعقل الإنسان، ضيق الوعي ومحدوديته. ويكتشف أن السبب في هذا التحديد هو الجسد.

لا يمكن أن تكون واعياً لكثير من الأشياء لأنك لست في مكان وجودها؛ أنا لست واعياً لما يحدث في المكتبة مثلاً، ولا أستطيع أن أسمع ما يقوله أحدهم في المكتبة لأن أذنيّ هنا وليستا هناك. لو كان بإمكاني العمل من دون جسدي، ستتمكن أذناي أن تكونا في أي مكان في نيويورك أو استوكهولم. أستطيع أن أسمع وأرى أشياء كثيرة لا يعلم بها غير الله. لكن الواقع أن هناك جسداً، والجسد عبارة عن زمان ومكان؛ ولو لم يكن كذلك، لما كان هناك حدود للوعي. ولو لم يكن هناك حدود، لما كان هناك وعي، لأنك إذا كنت واعياً لملايين الأشياء كما تبدو بالنسبة إليك، فلن تكون واعياً لأي شيء منها: يكون وعيك مشوّشاً للغاية. والتمييز، أي الجوهر الحقيقي للوعي، هو الخصوصية.[1] يجب أن تكون قادراً على استبعاد أشياء كثيرة لتكون واعياً تماماً. لذلك فإن التحديد هو الوجود الحقيقي،

[1] الأكثر شيوعاً أن يونغ يتحدث هنا عن خاصية التمييز لدى الوعي أمام اللاوعي الذي يتميز بالانصهار والاندماج.

الشخصية الحقيقية، الوعي. وسبب ذلك التحديد، تلك المقدرة الخاصة على دقّة الوعي، هي الجسد الذي يقيّدك بموقع محدد في المكان، ولحظة محددة في الزمن. وهو يحميك من الخاصية الأساسية لعدم التمايز الكوني. فمن دون الوعي، كيف يمكن تمييز أي شيء؟ وكيف يمكن لأي شيء أن يحدث؟ فلن يكون هناك عالم لو لم يكن أي شخص مدركاً لوجوده. وإذا لم يكن هناك من يتحدث عن وجود العالم فلن يكون له وجود. وكيف يمكن أن يكون هناك وعي فعلي دون حدود الجسد؟

يتضح لنا أن الجسد هو السبب الرئيس لكل شيء يمكن تمثيله في الوعي ومن خلال الوعي. ويتمثل الإدراك الهائل في نهاية القرن التاسع عشر بأن الجسد هام جداً وهو أساس كل شيء، وأي تغيير يطرأ على الجسد يؤثر على العقل. واقتنع الناس بأن حالة الهستيريا أيضاً لها علاقة بالجسد، وأنه ليس هناك شيء اسمه النفس. وكان ذلك طبعاً ردّ فعل متطرّف على ميتافيزيقية العصر السابق. "***علّمتني "أناي" عزّة جديدة أستطيع بدوري أن أعلّمها للبشر: لا تدفن رأسك في رمال الأشياء السماوية، بل ارفع رأسك الأرضي بحرية، هذا ما يعطي معنى للأرض***". هذا ما كنت أقصده تماماً: رأس الأرض الذي يعطي معنى الأرض. الجسد هو ضمانة الوعي، والوعي هو الأداة التي تخلق المعنى. فلن يكون هناك معنى إذا لم يكن هناك وعي، وطالما أنه ليس هناك وعي من دون جسد، فلن يكون هناك معنى من دون جسد.

"سأعلّم البشر إرادةً جديدة: أن يختاروا هذه الطرق التي ظلّ الإنسان يسلكها بعفوية، أن يقبلوها ولا ينسحبون منها كالمرضى والمحتضرين!"

هذا يعني: طالما أن الإنسان، أو وعي الأنا لديه، عبارة عن جسد حي، فإن الجسد حقيقة فعلية. وهذا صحيح: عليه أن يسلك طريقه الخاص. إنه

طريق جيد وأي انفصال عنه يكون خاطئاً، يكون مجرّد حالة مرضية، أو خطأ بالمعنى البيولوجي. وترون هنا شيئاً في غاية الأهمية. تبرر هذه الفقرة النقد الذي يسمعه المرء غالباً عن نيتشه، ولا سيما عن *هكذا تكلّم زارادشت*، بأنه يعظ بالأنانية القاسية أو مبدأ الفردانية. ولو لم يكتب نيتشه أي شيء سوى هذه الجملة لكانت كافية بالتأكيد لتبرير هذا النقد: يمكن توجيه الاتهام إليه. لكن ذلك كله أتى من حقيقة أنه تحدث بلغة عصره. قال: "الأنا"، "وعي الأنا"، دون تفحص دقيق لمفهوم "الأنا". هو لم يسأل أبداً ما هي "الأنا" فعلاً، لم يطرح أي نقد سيكولوجي. وفي اللحظة التي يبدأ فيها بالنقد سيكولوجياً سيرى أن تصريحه بـ"الأنا"، أو تعبير "وعي الأنا" محدود جداً، وهو مفهوم خاطئ؛ إنه خطأ.

"أولئك الذين احتقروا الجسد والأرض، ابتدعوا العالم السماوي وقطرات الدم المخلّصة، كانوا مرضى ومحتضرين؛ لكن هذه السموم القاتمة والحلوة قد أخذوها أيضاً من الجسد ومن الأرض!"

إلامَ تشير قطرات الدم هذه؟

الآنسة حنّة: إلى القربان المقدس.

الدكتور يونغ: نعم، قطرات الدم المخلِّصة هي دم المسيح. ويقول إنهم أخذوها حتى من الجسد ومن الأرض.

السيدة يونغ: أليست هي الخبز والنبيذ؟

الدكتور يونغ: نعم، النبيذ الأحمر هو الدم، ومادة الأرض هي الخبز، وهذا هو جسد المسيح ودمه. لقد وصفها بالحلوة والسامة، لأنه يقول إن أمراضنا تأتي من حقيقة ما نعيشه من مفاهيم متافيزيقية بدلاً من المفاهيم الواقعية – نحن نعيش من خلال الروح لكن الروح ليست سوى مخيّلتنا. وهنا أيضاً يفتقد إلى النقد السيكولوجي، لكن ما الذي يتخيّله؟

"أرادوا الفرار من بؤسهم، وكانت النجوم بعيدة عنهم. فقالوا: آه، لو أن هناك طرقاً سماوية ندخل منها إلى كيان آخر وسعادة أخرى!" هكذا ابتدعوا مساراتهم الفرعية وكؤوسهم المترعة بالدماء."

هنا نوع من التجديف طبعاً.

"يتوهّم أولئك العاقّون الآن التخلّص من أجسادهم ومن هذه الأرض! لكن لمن يدينون بتخلّصهم وبتشنّج غيابهم ونشوته؟ إلى أجسادهم وإلى هذه الأرض."

هذا جلي. لم يكونوا ممتنين للجسد وسمحوا لأنفسهم، أثناء نشوتهم، بالابتعاد عن هذه الأرض إلى موقع سماوي. لكن هذه النشوة تحديداً تعود إلى تشنّج خادمهم المتواضع، أي الجسد. وإذا لم يساعدهم الجسد، فلن يشعروا بأية نشوة. كيف للنشوة أن تحضر بطريقة أخرى؟ إذا كانوا يعيشون في الجسد، فيمكنهم حينئذٍ أن يخطوا خطوة خارج الجسد؛ هذا يساعد على تحقيق النشوة بطريقة غير مباشرة. وبالطبع، إذا عاملت الجسد بطريقة سيئة، يمكن أن يلقي بك بشكل كامل خارج بيتك، أي خارج جسدك.

هذا يشبه كل العناصر التي يُساء معاملتها. فالعناصر أشياء جامدة؛ تُترك بلا مبالاة في مكانها، وليس لديها أرجل وأقدام ولا أجنحة، وغالباً ما يكون البشر فاقدي الصبر حيالها. أنا واثق من أن هذا الكتاب مثلاً، سيكون بوضع أفضل بكثير إذا وضعته في منتصف الطاولة حيث سيكون بأمان، لكنني وضعته قرب الحافة. وهي وضعية خرقاء لذلك الكتاب التعيس. ربما يسقط ويتأذى. فإذا كنت فاقد الصبر، إذا لمست تلك الأشياء بطريقة غير مناسبة، ستكون محنة كبيرة لهذه الأدوات التعيسة. ثم تأخذ بثأرها مني. فلأنني أسأت التصرف معها، تتحول ضدي وتصبح

متناقضة بطريقة غريبة. وأقول: "يا إلهي، تلك الأشياء اللعينة الميتة حقيرة وخسيسة!" – وعلى الفور تصبح حيّة. تبدأ بالتصرّف كما لو أنها أشياء مفعمة بالحيوية. ستلاحظ حينها ما أخبرنا به الفيلسوف الألماني "فيشر" في كتابه بعنوان "على الرغم من الأشياء – *Die Tücke des Objekts*". كلما شتمتها أكثر، استخدمت عناصر خطابية أكثر وغرست نوعاً من الحياة فيها. أن تقول مثلاً:

"والآن، أين يخفي هذا الكتاب نفسه؟ لقد مشى وحده وأخفى نفسه في مكان ما". أو "ربما كان الشيطان يسكن هذه الساعة، أين ذهبت؟"

تتخذ العناصر فعلاً صفات خطيرة مع أشخاص نافدي الصبر للغاية معها: تقفز إلى عينيك، وتجرح ساقك، وتتسلّق الكرسي وتستقر مكان جلوسك – يا لها من أشياء! ستعثر على الكثير من الأمثلة الجميلة في كتاب "فيشر" الذي ذكرناه للتو. ما الذي يمكن أن تفعله النظارات مثلاً! إذا كان لدينا كرسي من النوع القابل للاختفاء، ستسعى نظاراتي إليه وتصبح غير مرئية، وتندمج الملامح مع النموذج. ولن يقع الخبز المحمّص بالزبدة على الجانب الخالي من الزبدة. وعلى الأرجح، سيحاول إبريق القهوة أن يضع فوّهته تحت قبضة وعاء الحليب بحيث ينسكب الحليب عندما ترفع وعاء القهوة. لكن أشياء كهذه لا تحدث إلا مع الناس نافدي الصبر مع الأشياء – وعندها تدخل الشياطين في الأشياء وتقوم بأكثر الأفعال الشريرة تطرّفاً.[1]

---

1 الفيلسوف الألماني "فريدريك ثيودور فون فيشر" كتب عن إزعاجات الأشياء الجامدة في روايته بعنوان "Auch Einer" (ليبزيغ، 1902). وقد ناقش يونغ هذه الفكرة في الأعمال الكاملة، المجلد السادس. ص 627.

"لكنّ زارادشت حليم مع المرضى. ولا يغتاظ حقاً من أساليب سلوانهم وجحودهم. ليُشفوا ويتعافوا ويتغلّبوا على أنفسهم ويبتدعوا لأنفسهم جسداً أرقى!

وزارادشت لا يغتاظ أيضاً للنقيه إذا نظر بحنان إلى وهمه، وفي منتصف الليل يتسلّل حائماً حول قبر إلهه؛ لكنّ مرضاً وعلّة جسدٍ تظلّ دموعه في نظري.

كان هناك على الدوام مرضى كثيرون بين الشعراء والمستغرقين بالعشق الإلهي؛ يكرهون حدّ الهوس من يسعى إلى المعرفة، ويكرهون الفضيلة الجديدة التي تُسمّى: الصدق."

نرى هنا الكثير من تجارب نيتشه الشخصية. عندما تتغلّب على التحيّز أو التعصّب، تصبح ميالاً لأن تكون متسامحاً. فتقول: "يا إلهي، نعم، يمكن للمرء أن يفهم أشياء بهذه الطريقة؛ فالناس لا يعرفون ذلك حتى الآن". لكن أولئك الناس الذين بقوا متعصبين، وهم نصف عارفين بأن ذلك تعصّب، يشعرون باستياء شديد من أولئك الذين تخلّوا عنه.

"يلتفتون دوماً إلى الوراء نحو الأزمنة المظلمة؛ فالأوهام والإيمان كانت شيئاً آخر حقاً. كان الانفلات الجامح للعقل من الصفات الإلهية بينما كان الشكّ خطيئة.

أعرف جيداً أولئك الشبيهين بالآلهة: يصرّون على الإيمان بهم، وأن يكون الشكّ بهم خطيئة. وأعرف جيداً أيضاً ما الذي يؤمنون به هم أنفسهم أكثر من أي شيء آخر.

حقاً أقول لكم، هم لا يؤمنون بالعوالم الماورائية ولا بقطرات الدم: بل يكرّسون للجسد كل ما لديهم من إيمان؛ وجسدهم هو بالنسبة إليهم الشيء ذاته."

ما الذي يعنيه بأولئك الشبهين بالآلهة؟

السيدة برونر: يقصد القساوسة أو رجال الدين الذين يظنون أنهم يعرفون ما هو الصحيح.

الدكتور يونغ: نعم، لكن لماذا يشبههم بالآلهة؟ أو لماذا ينبغي عليهم التصرّف بهذا الشكل؟

الآنسة وولف: أظن أنه يقصد الناس الذين ظنّوا في فكرة مُسكِرة معينة أنهم أدركوا ما هو التشبّه بالله؛ هو يتحدث عن العصور الوسطى أو العصور القديمة.

الدكتور يونغ: حسناً، من المؤكد أنها نظرة إلى الخلف نحو العصور المظلمة، ومن الواضح أنها نحو العصور الوسطى عندما كانت أوهامهم وإيمانهم شيئاً مختلفاً. لذا يمكن فهم هوس العقل على أنه حالة ذهنية مشوّشة. وأظن أن التفسير صحيح – فالعقل المشوّش من صفات الله عز وجل، والشكّ خطيئة. وهذا صحيح تماماً. إذاً هو يقصد بالذين يتشبهون بالله أولئك الناس ذوي العقول القروسطية. لكن لماذا يظن أنهم يشبهون الله؟ لا بدّ من تبرير سيكولوجي لوصفه لهم بأنهم يشبهون الله.

البروفسور ريكستين: ربما يقصد أنهم يعيشون في العالم الآخر؛ لقد تحدث هنا عن الناس المتشبهين بالله، وعن الناس الذين يعيشون في هذا العالم.

الدكتور يونغ: نعم، التبرير السيكولوجي لنَسَبٍ كهذا هو أن الظروف التي يعيش فيها أشخاص من هذا النوع فيها تشابه مع الله. إذا افترضت أن هناك إلهاً ميتافيزيقياً وأن الناس يعيشون وجوداً ميتافيزيقياً، فهم إذاً يشبهون الله؛ المكان الميتافيزيقي من الناحية السيكولوجية هو اللاوعي. الناس الذين يعيشون في اللاوعي يشبهون اللاوعي؛ فهم أيضاً غير واعين. وبالتالي، بقدر ما تسمي حقيقة اللاوعي "الألوهة"، يكونون مشابهين

للألوهة: إنهم مثل الله. وهذا يظهر في الواقع لأن لديهم دليلاً ذاتياً غريباً في الحياة، يشعرون بأن لديهم ما يبرر تصرفهم؛ من المؤكد أن طريقتهم صحيحة – أو خاطئة. ما من شكّ حيال ذلك: لديهم الدليل الذاتي الطبيعي الخاص بالحيوان. وبناءً عليه، الحيوان شبيه بالآلهة بطريقة ما لأنه يحقق معنى نموذجه. وهذا شيء ميتافيزيقي بالنسبة للحيوان. فهو ليس واعياً لنموذجه – بقدر ما يعرف شعب البويبلو أنهم يعيشون في منطقة البويبلو، أو بقدر ما يعرف الفيل أنه فيل – مع أنه ربما يعرف *بشكل أفضل* أنه فيل بقدر علاقته مع الإنسان. لكننا عادة لا نعرف من نحن. فربما تعرفون قصة الفارس في القرن الثالث عشر، الذي قبض عليه أعداؤه ووضعوه في زنزانة مظلمة، وأخيراً، بعد سنوات من المعاناة في ذلك الكهف المظلم، فقد صبره وضرب قبضتيه على الطاولة قائلاً: "لو كانت هذه هي العصور الوسطى اللعينة، لكانت انتهت الآن!"

الآنسة وولف: ألا يلمّح نيتشه هنا إلى حقائق تاريخية معينة عندما يستخدم كلمة "*gottähnlich*"؟ فهو يعني أن الذين يؤمنون بالله عبارة عن "*gottähnlich*".[1] لا بدّ أن هناك ارتباطاً مع الناس المصابين بالصرع هنا، أولئك الذين يُعتبرون أنهم على تواصل خاص مع الله، مثل الدراويش الراقصين أيضاً وفقاً لمعتقدات القرون الوسطى. لذلك أظن أنه ربما يقارن الناس المشابهين لله بأولئك الناس – طالما أن أولئك الذين كانوا مجانين، وليس لديهم "أنا"، والذين كانوا مذابين تماماً، كان يُفترض بأنهم قريبون بشكل خاص من الله.

الدكتور يونغ: وفقاً للبدائيين، المجانين عبارة عن أشخاص استحوذت عليهم الأرواح.

---

[1] مصطلح "gottähnlich": يعني يشبه الله.

الآنسة وولف: نعم، وهو ينتقدهم من خلال تشديده على الوعي وعلى "الأنا".

الدكتور يونغ: لكنه يقول الآن: "***حقاً أقول لكم، هم لا يؤمنون بالعوالم الماورائية ولا بقطرات الدم: بل يكرّسون للجسد كل ما لديهم من إيمان؛ وجسدهم هو بالنسبة لهم الشيء ذاته***". الجسد هو الشيء المطلق حتى بالنسبة للمؤمنين بالعالم الماورائي، حتى إنهم يؤمنون بالجسد أكثر. ونحن نفترض العكس تماماً. كيف ذلك؟

الآنسة حنّة: هذا صحيح. لا أحد يهتم بصحّته مثل اللاهوتي.

الدكتور يونغ: ثمة شيء في هذه الفكرة، وهو أن الناس الميتافيزيقيين جداً تربكهم أجسادهم. لأنه كلما تركت العقلانية أو النفس الجسد لنفسه، ازدادت مشاكل الجسد. على الاثنين أن يعيشا معاً. وهذا يفسّر الحالة السيئة للناس الحدسيين الذين لا يحتاجون حتى لأن يكونوا ميتافيزيقيين؛ يكفي أن يكون لديهم زيادة قليلة في الحدس. إنهم يعيشون كثيراً ضمن الإمكانيات، ثم تبدأ معاناتهم في الهضم، ويُصابون بأمراض مزمنة، وقرحة المعدة والأمعاء مثلاً. أو قد يُصابون باضطرابات جسدية أخرى من طبيعة معدية؛ تعود معظم الأمراض العضوية إلى ذلك النقص الغريب بالانتباه. فالناس الذين عاشوا كثيراً على الأفكار الروحانية يجب أن يلتفت انتباههم إلى أجسادهم. وهكذا يمكن القول إن من الحكمة دوماً أن تكتشف حقيقة ميتافيزيقية جديدة، أو تجد إجابة على مشكلة ميتافيزيقية، لكي تجرّبها لشهر أو أكثر، لتعرف ما إذا كانت ستسبب اضطراباً في معدتك أم لا؛ إذا كانت النتيجة إيجابية تستطيع أن تتأكد أنها كانت خاطئة. من الضروري أن يكون لديك أفكار ميتافيزيقية، فأنت لا

تستطيع العمل من دونها – لكن من الضروري أيضاً أن تخضعها لاختبار جدي جداً لتعرف ما إذا كانت توافق البشر: الفكرة الميتافيزيقية الجيدة لا تؤثر على المعدة. على سبيل المثال، إذا كانت لدي قناعة ميتافيزيقية بأننا نتابع العيش بعد الموت مدة خمسين ألف سنة بدلاً من خمسين مليوناً – إذا كان ذلك حلاً – فأنا أختبر ما الذي يعنيه إذا اقتنعت بخمسين ألف سنة فقط؛ ربما كان ذلك جيداً لحالة الهضم لدي – أو سيئاً. فكما ترون، ليس لدي معايير أخرى. يبدو الأمر مضحكاً طبعاً، لكني أبدأ من القناعة التي تقول إن الإنسان لديه أيضاً جسد حي، وإذا كان شيء ما صحيحاً لشخص ما، يجب أن يكون صحيحاً للآخرين. فما هو الجسد؟ الجسد هو مجرّد روح ونفس مرئية؛ والروح هي التجربة السيكولوجية للجسد. وبالتالي فهما الشيء ذاته. وبناءً عليه، فإن الحقيقة الجيدة يجب أن تكون حقيقة للنظام كله، وليس لنصفه فقط. ووفقاً لمخيّلتي، شيء ما يبدو جيداً – يتوافق مع مخيلتي – لكن يثبت بأنه خاطئ تماماً بالنسبة لجسدي. وربما يبدو شيء ما أنه رائع جداً بالنسبة للجسد لكنه سيئ جداً لتجربة الروح، وفي هذه الحالة أعاني من التهاب أمعاء ميتافيزيقي. وهكذا عليّ أن أقرّب أحدهما من الآخر بحذر؛ المعيار الوحيد هو حالة التوازن بينهما. عندما تتدفق الحياة، أستطيع أن أقول ربما كل شيء بخير، لكن إذا أصابني إزعاج ما، أعرف أنه لا بدّ من وجود شيء خاطئ، أو لا يسير وفقاً للنظام على الأقل. وبناءً عليه، الناس ذوو القناعات أحادية الاتجاه من طبيعة روحانية من دون شكّ، يُجبرهم الجسد على الانتباه إليه. لقد رأيت كثيراً من الناس الذين يعانون من أنواع الأمراض الجسدية كافة بسبب قناعاتهم الخاطئة ببساطة.

"لكنّه شيء مريض بالنسبة إليهم؛ وبودّهم لو يخرجوا من جلدتهم. لذلك يستمعون إلى الواعظين بالموت، ويعظون بدورهم بعوالم الماوراء.

استمعوا إلى صوت الجسد المعافى يا أخوتي: إنه أكثر الأصوات صدقاً، وأكثرها نقاء.

بصدق أكثر يتحدث الجسد المعافى، وبنقاء أكثر، وهو الأكثر كمالاً. هو يشبه شكلاً رباعياً قائم الزاوية: إنه يتكلّم عن معنى الأرض."

هنا يتضح الأمر. إنه يثق بردّ فعل الجسد المُعافى. فالجسد المعافى هو الحياة الصحية، والحياة الصحية هي حياة روح الإنسان بقدر ما هي حياة جسده، لأن الروح والجسد ليسا شيئين اثنين. بل هما واحد.

المحاضرة الثالثة

6 شباط – فبراير 1935

الدكتور يونغ:

لدي مشاركة من السيدة باينز. "ثمة توازٍ مثير للفضول بين الفقرة الأخيرة من الفصل الأول "دعاة الماوراء" وتعليقات "فيلهيلم" على كتاب " I Ching". يقول نيتشه: "*بصدق أكثر يتحدث الجسد المعافى، وبنقاء أكثر، وهو الأكثر كمالاً. هو يشبه شكلاً رباعياً قائم الزاوية: إنه يتكلم عن معنى الأرض*.

ربما لاحظت ذلك التعبير الغريب، الجسد "شكل رباعي قائم الزاوية". الجسد هو الأرض إلى حد كبير طبعاً، وتعني عبارة "وهو يتكلّم بمعنى الأرض" أنه بقدر ما أنتج الجسد وعياً، يُنتج معنى الأرض. فإذا استطعت أن تعطي وعياً أو عقلاً إبداعياً لكتاب مثلاً، أو لأي نوع من العناصر، فهو سيتكلّم عن محتوياته؛ أعطِ الوعي للخشب وسيتكلّم عن معنى الخشب؛ أعطِ وعياً للحجر وسيتكلّم عن معنى الحجر.

ثم تتابع السيدة باينز. "علّق فيلهيلم على السطر الثاني في "علامة 'كوون – kun' السداسية"، التلقّي، الأرض، فيقول: 'للسماء دائرة ترمز لها بينما

يرمز للأرض شكل رباعي قائم الزاوية. وهكذا فالزاوية القائمة سمة أصلية للأرض"'.

كلمة "كوون - *kun*" هي إشارة "الين"، والين السداسي المطلق ذو الخطوط المتقطعة الستة هو إشارة التلقّي أو القبول؛ يمثل "كوون" الأرض الحبلى. والسطر الأول من هذا الشكل السداسي هو:

إذا كنت تخطو على الصقيع، فالجليد الثابت ليس بعيداً.

الصقيع الرمادي ليس صلباً تماماً إذ يمكن أن ينهار، بينما الجليد صلب. تلك هي ميزة "الين": إنه بارد وصلب، وهو الجانب الشمالي من الجبال؛ إنه ليل ورطوبة، هو الأرض. ثم يتابع في وصف الأرض في السطر الثاني:

مستقيم، قائم الزاوية، كبير.

حتى بدون هدف، لا شيء يبقى دون مبرر.

هذا يعني أن الأشياء تتحرك أو تتم مساعدتها على الحركة حتى من دون هدف. ثم يأتي السطر الثالث:

أسطر مخفية، يمكن أن نبقى صامدين.

إذا كنت في خدمة ملك،

لا تسعى إلى العمل، لكن حاول الإنجاز!

هذا يبين أنه إذا بقيت تسعى وراء غاية خفية غير معروفة، فستقودك طبيعة الأرض تحديداً، والخطوط الخفيّة في الأرض. تكون كما لو أنك في خدمة ملك؛ ليس لديك هدف لأن الملك لديه هدف. الملك الخفي، الملك الهاجع في الأرض، هو الحاكم أو القائد. وعبارة "لا تسعى إلى العمل، لكن حاول الإنجاز!" تعني "لا تشغل نفسك كما لو أنك لا تعرف ماذا تفعل، ابحث عن عمل من إبداعك، لكن اتبع الشيء الموجود بالفعل وقم بإنجازه". فكله عمل أعمى؛ إنه العمل في الليل، اتباع العواطف المعتمة، الخطوط الخفية.

والسطر الرابع يقول:

كيس مربوط. لا ملامة؛ ولا شكر.

تعتبر هذه الفكرة أن الشخص يبدو وكأنه مربوط في كيس مظلم. لا يمكنك الهروب ولا الرؤية، وأنت سلبي تماماً، وبناءً عليه ليس هناك ملامة ولا شكر فيما يتعلّق بموقفك. والسطر الخامس:

الملابس الداخلية الصفراء تجلب أفضل الحظوظ الجيدة.

الأصفر لون الأرض والطريق الأوسط المرغوب. وهي تعني الموقف الداخلي الصحيح الذي يبدو تأقلماً مع الذات؛ كما تكون الملابس الخارجية تأقلماً مع العالم. إذا كان لديك موقف صحيح من الأشياء الداخلية، فهي تجلب حسن الحظ. والكلمة الألمانية هي "*Heil*"، وكانت تعني في الأصل "الخلاص" تقريباً. لكن الحظ الجيد في "*I Ching*" يشير عادة إلى الحظ الجيد الدنيوي؛ وغالباً ما يستخدم للتوجيه في شركات دنيوية تماماً. فقبل أن يبدأ الشخص بعمل ما، يسأل أحد الكهنة التاويين للتقصّي عن وحي "*I Ching*"، وفي هذه الحالة يتم استخدام ما كان يسمّى حكماً في بداية كل إشارة. تلك هي الترجمة الأقدم – تعود بتاريخها إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر قبل الميلاد، وهو عصر الملك "وين" و"دوق تشاو" – وهناك يقال ما إذا كانت إشارة معينة جيدة أو سيئة بشكل عام. وربما يقول مثلاً: "حظ جيد للغاية دون ملامة" أو "هذا وقت جيد لتعبر المياه العظيمة". فهذه المؤشرات، كقاعدة عامة، هي كل ما يحتاجه الشخص الذي يطرح السؤال. والآثار الأخلاقية العميقة للخطوط الدقيقة التي تتبع ذلك لا تتم الإشارة إليها عادة. لكن بالطبع، أي شخص لديه عقل حاذق سيسأل عن هذا الوحي من أجل خيره الروحاني أكثر مما هو من أجل خيره الدنيوي – من أجل أن يعثر على الطريقة الصحيحة عبر فوضى روحه أو متاهتها.

لفتت السيدة باينز انتباهي للسطر الثاني "مستقيم، قائم الزاوية، كبير"، الذي يشير إلى الأرض. وضع "فيلهيلم" ملاحظات حول كتاب " *I Ching*" بمساعدة "لاو تسو" الحكيم الصيني القديم، ويقول في ذلك السطر: "للسماء دائرة ترمز لها بينما يرمز للأرض شكل رباعي قائم الزاوية. وهكذا فالزاوية القائمة سمة أصلية للأرض". وفي الرمزية القديمة عن القوى الكونية في الفلسفة الصينية هناك مركز يسمّى "كيان - *Kian*" أي ("السماء") تنبثق عنه أربع قوى ثانوية ذات أسماء محددة في مجال الأرض التي يتم التعبير عنها بمربع حوله سمات "الين واليانغ" المتحركة كأرقام زوجية وفردية، وهي في الوقت نفسه سمات العناصر: النار والماء والأرض والمعدن وما إلى ذلك.

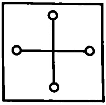

إنه يشبه دوّامة؛ النظام كله يدور: تلك هي فكرة بنية العالم الأساسية. ونقرأ أيضاً في الملاحظات: "من جهة أخرى، الحركة في خطوط مستقيمة هي سمة أساسية للقوة الإبداعية، والكميّة (العظمة) هي سمة. الأشكال الرباعية لها أساسها في الخط المستقيم وفي تحوّلها من كيانات جسدية. والآن إن "كوون"، المتلقّي، سمات الحَمل الخاصة بالأرض، تكيّف نفسها مع صفات القوة الإبداعية وتجعلها خاصة بها. وهكذا، من خلال استقامة القوة الإبداعية، الخط المستقيم، يتطور شكل رباعي، ومن الشكل الرباعي، يظهر المكعب. هذا هو استسلام "كوون"، الأرض التي تحبل، الوحي الأصلي للقوة الإبداعية".

بمعنى آخر، هذه القوة الإبداعية المتمثلة بخطّ مستقيم أو مسار سهم أو قذيفة، تمت ترجمتها في الفضاء ثلاثي الأبعاد بمعنى "الأجساد"؛ هذا هو أصل الأجساد. ومن هذا كله يمكن للمرء أن يقدّر العمق الذي استمدّ منه نيتشه رمزية خطبته. ربما لم يكن هو نفسه واعياً لمعنى هذا "الشكل الرباعي"؛ ولو انتقده أحدهم بقساوة لاستخدامه تعبيراً من هذا النوع، وسأله لماذا تكون الأرض "شكلاً رباعياً"، لكان ردّ نيتشه على الأرجح: "دعك من هذا التعبير، فهو ليس بالأمر الذي لا يمكن الاستغناء عنه بالمطلق". لكن لا يمكن الاستغناء عنه بمعناه. الفكرة التي تقول إن الأرض عبارة عن "شكل رباعي" قد تم العثور عليها في أعماق اللاوعي الجمعي السحيقة، تم العثور عليها هنا، وكذلك في الصين، وربما في العالم كله.

السيد أليمان: الشكل الرباعي موجود في "شكاكرا المولادارا".[1]

السيد باومان: لدى المصريين الفكرة ذاتها عن شكل العالم: ثمة أربعة مبادئ لديهم.

الدكتور يونغ: هل تقصد القرود الأربعة والعلاجيم الأربعة التي تراقب خلق العالم؟

السيد بومان: كان هناك مفاهيم مختلفة عنه؛ كان هناك أربعة آلهة، وأربعة أزواج من الآلهة، ثم كان هناك أربعة مبادئ تعني "الزمن، والمكان، *والمادة*، والطاقة.

---

[1] "muladhara chakra" هو الموقع الذي تنام فيه حيّة الكونداليني. وهو يمثّل أقصى أشكال الحياة بدائية. انظر أعلاه محاضرة 6 حزيران – يونيو 1934، من أجل محاضرات "هاور". قدّم "كاري باينز" عرضاً باللغة الإنكليزية للترجمة "ريتشارد فيلهيلم" لكتاب "I Ching" أو "كتاب التغيير – Book of Changes" والذي كتب له يونغ مقدمة طويلة. ومن المرجّح أن نيتشه قد اقتفى أثر "الزاوية القائمة" من مصادر ترتبط بفيثاغورس وليس من الصين.

الدكتور يونغ: وهناك أيضاً نوعية رباعية الشكل للمعابد التي تعني الأرض فعلاً: يُفهم من المذبح الرباعي الشكل أنه رمز الأرض. لكنني لست واثقاً تماماً من هذه التفسيرات. المصدر الوحيد للتفسيرات الفلسفية للرموز المصرية هي "بلوتارخ". أما "يامبليخوس – *Jamblichus*" فهو غير موثوق بالمطلق لأنه خيالي قليلاً أحياناً؛ والتفسيرات لم تقم على أساس سليم للأسف. نحن نعرف من "هيرودوتس" و"بلوتارخ" أن المصريين القدماء كان لديهم تفسيرات فلسفية، لكن لدينا القليل من المواد التي تُثبت ماهية هذه التفسيرات.[1] كان الإغريق المصدر الأساسي. والتوقعات اللاحقة غير موثوقة تماماً لأنها اعتمدت على الحدس – وهو طبعاً ليس مبدأً علمياً معترفاً به. والآن سنتابع الفصل التالي من كتاب زارادشت بعنوان "عن المستهينين بالجسد"، حيث تابع زارادشت وعظه بأهمية الجسد. وشرح معناه بالتفصيل، وطرح بعض الاكتشافات الغريبة جداً.

سأقول للمستهينين بالجسد كلمتي فيهم. لا أريدهم أن يتعلّموا من جديد، ولا أن يعلّموا الآخرين، بل أن يقولوا وداعاً لأجسادهم، ويصيروا بُكماً.

"جسد وروح أنا"، هكذا يقول الطفل. فلماذا لا يتكلّم الناس كالأطفال.

لكنّ اليقظ العارف يقول: أنا جسد بكليتي ولا شيء آخر؛ وليست الروح سوى اسم لشيء ما في الجسد.

يبدو هذا التصريح نابعاً تماماً من المبدأ المادي، كما لو أن الروح لا شيء سوى عملية اشتقاقية أو ثانوية في الجسد. ما يدعو للأسف أن نيتشه استخدام دوماً كلمة "جسد" بدل أن يقول "الجسد الحي"، لأن الجسد

---

[1] لمعلومات عن "بلوتارخ" و"هيرودوتس"، انظر أعلاه محاضرة 31 تشرين الأول – أكتوبر 1934.

الميت لا يُنتج روحاً بالتأكيد؛ ونحن لا نعرف تماماً ما هو الجسد الحي بل نعرف بأنه موجود، ولديه بلا ريب سمات تختلف عن الجثة. للجثة سمات التحلّل السريع غير المقبولة؛ تُصيبه فجأة عملية تحلل كيميائي أو أكسدة. بينما يجاهد الجسد الحي دوماً ضد التحلل، ويقوم بعمليات التركيب المذهلة؛ يبني من الجزيئات البسيطة الموجودة في الغذاء تراكيب اصطناعية شديدة التعقيد، وتبقى محفوظة على هذا المستوى دون أن تتعرض للتدمير أو الأكسدة. وثمة سرّ إضافي لا يدركه العلم موجود في ما يسمّى "زلال البيض أو البروتين"، وهو أن هذا الجسد الحيّ يخلق شيئاً يشبه "النفس". وبالتالي إذا تساءلتُ: "هل أنا بكلّيتي جسد حي؟" ستكون الإجابة "نعم"، ولن يكون الخطأ المادي ممكناً. هناك فرق كبير طبعاً ما إذا كان الجسد حياً أو ميتاً. إذ يمكن القول إن النفس مرافقة للجسد الحي، أو حتى إنها من إنتاج الجسد الحي، أي إنها مُشتقّة؛ وفي كافة الأحوال، هذه فرضية قابلة جداً للتطبيق، وتعرفون أن العلم قد تقدّم لزمن طويل نسبياً على أساس هذه الفرضية. من المنطقي جداً بالنسبة إلى الناس العاديين أن تكون معرفتهم بالجسد الحي من المسلّمات. لكن ليس هناك شخص ذكي يصدّق أنه يعرف ما هي الحياة؛ الأغبياء وحدهم مقتنعون بأنهم يعرفون، وذلك بطريقة الفرضيات المنطقية الضمنية أو الصامتة.

"الجسد عقل عظيم، وتعدّدٌ بمعنى موحّد، حرب وسلام، راعٍ وقطيع."

تصريح لافت ومثير للاهتمام. فبقدر ما يحتوي الجسد الحي على سرّ الحياة، يكون عبارة عن ذكاء. وهو أيضاً حالة تعددية تجتمع في عقل واحد لأن الجسد يتمدد في الحيّز المكاني، ويكون "الهنا" و"الهناك" شيئين اثنين؛ ما هو موجود في أصابع قدمك ليس موجوداً في أصابع يدك، وما هو موجود بين أصابع يديك، ليس موجوداً في أذنيك أو معدتك أو ركبتيك أو أي مكان

آخر في جسدك. فكل جزء منه هو شيء بحد ذاته. ويتم استحضار الأشكال المختلفة، والأشياء التي تتخذ طابعاً مكانياً في ذهنك كحقائق مختلفة بطريقة ما، ولهذا يكون هناك تعددية. وما تفكّر فيه برأسك لا يتوافق بالضرورة مع ما تشعر به بقلبك، وما تفكّر به معدتك، ليس ما يفكّر به عقلك. وبناءً عليه فإن التمدد في الحيّز المكاني يخلق سمة تعددية في العقل. وربما كان هذا هو السبب في أن الوعي ممكن. ثمة أشياء مختلفة يتم استحضارها، ويفترض دوماً بهذه الأشياء أن تكون ضمن مجال الوعي، أي إنها في حالة تمدد. ومع ذلك تشعر أن هذا الكل، وهذه التعددية، تجتمع معاً ويُشار إليها بشيء تسميه "أنا"؛ يُشار إليها بمركز لا يمكنك القول إن لديه امتداداً، مثلما لا يمكن القول عن فكرة ما إن لديها امتداداً. فالفكرة ليست تجسيداً لشيء ما لأنه ليس للفكرة سمات روحانية. وهكذا تبدو "الأنا" كما لو أنها شيء مجرد مع أنها تتوافق مع جسدك بطريقة غامضة؛ فعندما تقول "أنا"، تضرب على صدرك مثلاً للتأكيد على هذه "الأنا".

ترى ذلك لدى البدائيين: عندما يتحدثون عن أنفسهم يقولون "لي، لي! – بنوع من الإصرار على أجسادهم. كما أنهم يذهبون أبعد من ذلك ليكونوا خاصين جداً من ناحية ظلالهم التي يعتقدون أنها تنتمي إلى الجسد؛ يشعر البدائي بالإهانة والغضب عندما تخطو فوق ظلّه كما لو أنك رفسته. إلى هذا الحدّ يكون الجسد متطابقاً مع "وعي الأنا" لدى الإنسان البدائي. نحن لا نضمّن الظل مع الجسد، و"الأنا" الخاصة بنا منفصلة أكثر عن الجسد، كما أن مفهوم "الأنا" لدينا يكون تجريدياً لهذا السبب، لذلك يكون أقلّ روحانية: ليس فيه أية سمة روحانية. فعندما تقول: "جسدي هو أنا" يبدو ذلك بالنسبة إلينا وكأنه قول مجازي أو طريقة مصطنعة في الكلام؛ وعندما تقول "أنا" لا تعني عادة هذا الجسد الفاني الذي يجلس هنا. لكن تُرهق البدائي حقيقة أن "الأنا" هي الجسد بشكل رئيس، ويتم التعبير عن ذلك

بطريقة مختلفة تماماً أيضاً؛ هو لا يشير إلا إلى مركز "الأنا" الذي يحرّك جسده. فالفكرة التي لا تؤثر على معدته مثلاً، أو على تنفّسه أو خفقان قلبه، هي فكرة غير موجودة. والفكرة الوحيدة التي تتكون لديه بشكل واعٍ هي الفكرة التي تؤثر عليه جسدياً في جلده أو عضلاته أو بوظيفة أمعائه أو أي موقع آخر في جسده. يبدو وكأن الفكرة التي لا تزعج تنفّسه المنتظم ليست فكرة فعلية.

هذا يفسر لماذا لا يستطيع البدائي أن يكون في حالة من الوعي على مدار اليوم، فهناك ساعات طويلة يجلس فيها محدّقاً في الفضاء وحسب، ولا يفكّر بأي شيء. وتحدث الحركات الجسدية عندها طوال الوقت طبعاً، لكن أفكاراً كهذه تكون مموّهة؛ أي إنها لا تصل إلى الوعي لأنها لا تكون مؤكدة أو مدعومة بإعاقة جسدية. لذلك تعتبر بعض قبائل الزنوج أن التفكير يتم في المعدة حصراً؛ وحدها الفكرة التي تزعج عملية الهضم لديك هي فكرة حقيقية. ويقول هنود "البوبلو" إن التفكير يتم في القلب، أما أولئك الذين يعتقدون أن الفكرة تأتي من الرأس فهم مجرد مجانين: الأمريكيون مجانين كلهم. ينبغي أن أصحّح ما قلته بسرعة كي لا أُعتبر أمريكياً، وأوافق على أن ما يُعتبر فكرة أو وعياً فقط هو ما يؤثّر على القلب أو التنفّس، أي على "شاكرا القلب – *anahata*". هناك طبعاً عدد من الأفكار أو المشاعر أو المفاهيم التي تزعج عملية التنفس بالتأكيد، راقب منحني تنفّسك وسترى أنه إذا قيل شيء أو سمعت صوتاً أو كان هناك عائق ما فسوف يتأثر تنفّسك فوراً، ولا سيّما عندما تبدأ بالكلام والتقاط أنفاسك لتحصل على كمية الهواء الضرورية لتستطيع النطق.

الخطوة الثانية هي الحنجرة حيث يتشكّل الصوت والكلام، ثمة عدد كبير من الناس الذين يحافظون على مستوى التفكير بالكلام فقط؛ عندما لا يكون هناك كلمة تصف شيئاً ما، وعندما لا يستطيعون أن

يسمعوا ذلك الشيء أو يرونه مصوّراً أمامهم، يعتبرونه غير موجود. لأنهم يرون كلمة، ويعتقدون أنها يجب أن تتطابق مع شيء في الوجود. فعلى سبيل المثال، يقول كانط في كتابه "نقد العقل المحض"، "لأن الناس يقولون`'الله'، يظنون أن الله موجود".[1] إن المركز السيكولوجي للملايين من الناس موجود في حناجرهم؛ ينطق أحدهم سلسلة كلمات قوية طنانة فيقول الجميع في أنفسهم: "لقد حدث شيء ما الآن، أليس رائعاً؟ لا بدّ أن يكون حقيقياً". ومع ذلك فالكلمات لا تعني أي شيء من أي نوع. وإذا كانوا لا يستخدمون هذا الشيء، هذا الضوء الذي يتعذّر تغييره، إلا في رؤوسهم فقط، فسيرون أنه مجرّد هراء. لكن أحدهم أنتج عالماً، وصاغ حقيقة عبر صياغة سلسلة كلمات، وهم قبلوا بها؛ تعاملوا معها بشكل جدي دون أن يترددوا لحظة واحدة حول ما إذا كانت منطقية أم لا. وطبعاً، لا يمكن إنكار أن هناك عدداً من الناس قد تسلّقوا منطقاً أكثر ارتفاعاً بقليل، ووصلوا إلى مستوى لا تشكّل فيه الكلمات عوالم، لكنهم نادرون جداً، إنهم نسبة قليلة جداً من السكان.

السيد باومان: خضعت أنا نفسي لبعض التجارب السيكولوجية، واكتشفتُ أنه ما لم تكن الكلمات مرتبطة برؤية أو صوت، لا أستطيع تذكرها.

الدكتور يونغ: نعم، الرؤية ضرورية طبعاً لربط الأشياء بالجسد كي تحفظها. عليك أن تتصورها وتستعرضها ضمن مجال الرؤية كما لو أنها حقائق بصرية. أو عليك أن تسقطها ضمن مجال الصوت، إن جاز التعبير، وأفضل طريقة لذلك هو أن تستخدم الكلمة. وإلا فلن تستطيع تثبيت الأشياء بذاكرتك. من الصعب للغاية أن تفكر بمصطلحات تجريدية تماماً؛

[1] انظر أعلاه محاضرة 27 حزيران - يونيو 1934.

حتى الرياضيات التجريدية للغاية تستخدم إشارات وأحرفاً وأرقاماً وصيغاً كي تعطي الأشياء المجرّدة تجسيداً معيناً؛ لأن الذاكرة لا تستطيع الاحتفاظ بها إن لم تتم ترجمتها إلى شيء ملموس. لذلك فإن ما يقوله نيتشه هنا عن أهمية الجسد صحيح تماماً. إن فكرته التي تقوم على أن الروح شيء مشتق من الجسد فكرة صحيحة طالما أننا غير قادرين على ترسيخ أي شيء نفسي من دون مساعدة الجسد، ودون مساعدة الربط مع الأشياء المادية الفعلية. فالتجريد الكامل مستحيل فعلاً. إنه خالٍ من الكلمات؛ ليس لديه أية قرابة مع شيء يمكن أن نسميه مادة، وبالتالي هو غير موجود تقريباً. يكون أعلى مركز في نظام "الشاكراس" تجريدياً بالمطلق. يتجاوز تماماً أي شبه أو قرابة مع أي شيء مادي. وهو غير موجود فعلاً لأن أي شيء موجود يجب أن يكون مرتبطاً بجسم ملموس أو امتداد.

علينا الآن أن نأخذ عبارة "الحرب والسلام" بعين الاعتبار. لا وجود لتعددية الأشياء إلا لأن أحدها يتناقض مع الآخر. فإذا شعرت بشيء غريب في رأسك مثلاً، وشعرت بالشيء نفسه في قدمك، سيكون هناك صراع بين الاثنين؛ واحد في الأعلى والآخر في الأسفل، وأنت لا تعرف ما إذا كان عليك أن تركز اهتمامك هنا أم هناك. لذلك يمكن أن تكون جميع العناصر التعددية في ذهنك سبباً للصراع، حتى ولو كان صراعاً من أجل أولوية الانتباه إليها، فأنت لا تعرف إلى أين ينبغي أن تنتبه أولاً. إنها مثل الراعي والقطيع؛ القطيع متعدد، وإذا تشتّت القطيع كان على الراعي أن يجمعه. وهكذا فإن "وعي الأنا" هو راعي الوحدات النفسية، فإذا مات الراعي يتشتت القطيع، وهو ما يؤدي إلى الفُصام. إذ يحدث انفصال بين هذه الأجزاء، ويتصرّف كل جزء كما لو أنه "وعي أنا"، وإذا كان هناك أشياء متبقية من الراعي في مكان ما، إذا كانت أذناه على الأقل باقيتين، فسيسمع تلك

الأصوات. تتصرّف الأجزاء "كأنوات صغيرة" وتتحدث بذكاء يشبه ذكاء الخراف.

يلاحظ المرء الظاهرة ذاتها في التجارب التي يتخللها وسيط، حيث تنفصل أجزاء معينة من العقل. فالنفس قابلة للانفصال جداً، وحقيقة أن العقل قام فعلاً على التعددية يجعل هذا الأمر بالغ الخطورة. وفي كثير من الأحيان، يلاحظ المرء لدى المصابين بالفُصام أنه حالما يتشتت القطيع، وحالما تندلع النار، تظهر شذرات الوعي في أجزاء مختلفة من الجسد، وتبدأ بالكلام بنسبة وعي معينة. وأودّ أن ألفت انتباه الذين يقرؤون باللغة الألمانية إلى الكتاب الذي ألّفه "ستودنماير" بعنوان "السحر التجريبي".[1] كان يسمع أصواتاً في أجزاء مختلفة من أمعائه مثلاً. وفي كثير من الأحيان يستطيع المرضى أن يحددوا مواقع أصواتهم في مكان ما من الجسد. فنحن نقول عادة: "يقول لي قلبي كذا وكذا..." أو "كما لو أنني أسمع صوتاً من أعماقي". لكن الفُصامي يسمع أصواتاً تخرج من أقدامه أو رأسه أو عينيه. كان لدي مريض يقول: "سمعت أصواتاً تخرج من شفتي العليا". أو "هم اليوم منشغلون بسرّتي". ويتم تجسيد الأصوات أيضاً على هيئة شخصيات صغيرة تسير فوق الجسد وكأنها أسراب نمل. وأشهر مثال على ذلك حالة "شريبر".[2] اكتشف وجود مجموعة أقزام تحاول رفع حاجبيه أو خفضهما أو السير على بشرته؛ وغالباً ما فقد أحد الأقزام استقلاله واندمج بوعي

---

[1] "لودفيغ ستودنماير – Ludwig Staudenmayer"، ألّف كتاباً بعنوان "Die Magie als Experimentelle Naturwissenschaft"، ويعني (السحر كعلم طبيعي تجريبي) (ليبزيغ 1912).

[2] الدكتور "دي. بي. شريبر"، قاض ألماني، نشر منكراته بعنوان "مرضي العصبي – My Illness" عام 1903. وقام فرويد، من دون أن يرى الشخص إطلاقاً، بدراسة مفصلة عن حالته، ونشرها في كتاب "ملاحظات في التحليل النفسي عن سيرة ذاتية لحالة 'زُهاب – Paranoia' (1912).

المريض. دائماً ما كان يغضب ويلعن عندما يحدث ذلك. وهذا يعني تفككاً نسبياً لأن الأجزاء ليست مستقلّة كلها؛ تعود الأجزاء للاندماج في أوقات معينة. يبدو كما لو أن سطح البحيرة المتجمد قد تكسّر وانجرفت الشظايا إلى السطح، ثم اندمجت قطعتان بالمصادفة وتجمدتا معاً وأصبحتا قطعة واحدة. تلك هي اللحظة التي يقول فيها القزم "عليك اللعنة!" – ويندمج مع الوعي.

"عقلك الصغير، هذا الذي تسميه "روحاً"، هو أداة لجسدك يا أخي، أداة صغيرة ولعبة لعقلك الكبير."

تستطيع أن ترى من هذه العبارة أن نيتشه يعامل الروح على الأساس ذاته الذي يعامل به العقل: هو لا يفرّق بينهما، أو يكون الفرق صغيراً جداً بالنسبة إليه. هذا هو الخطأ القاتل الذي حدث في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حيث طابقوا بين العقل والروح، ويعود السبب في ذلك إلى أنهم فقدوا الفهم التجريبي لما هي عليه الروح فعلاً.[1] هبطت الروح إلى مستوى العقل، ولا سيما العقل المكوّن من كلمات. غزت الغالبية العظمى من الناس الذين تتكون عقولهم من كلمات تلك الأقلية التي تتكون عقولها من الأفكار، وهذه بدورها غزت أولئك الذين تتكون عقولهم من روح. وهكذا هبطت الروح ببطء من مكانتها السماوية إلى مستوى الفكرة العقلية، وهو هبوط ما كان ينبغي أن يحدث، لكنه كان أفضل من هبوطها الآخر الأشدّ الذي يجعلها تصبح مجرّد كلمات.

هذه الفكرة ليست من اختراعي. فقد شغلت مختلف العقول في الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر. ووضع "ماوثنر" فلسفة على أساس العقل

1 لطالما وضع يونغ الملامة في هذا التشوش على غموض كلمة "Geist" والتي تعني العقل، والروح والشبح وما إلى ذلك.

الذي يتكلم؛ ظن أن العقل مشتقّ أساساً من اللغة التي يتحدث بها العقل.[1] كما يمكن أن تجد هذه الارتباطات في الأبنيشاد أيضاً. ويقول "أناتول فرانس": "ما هو العقل إذا لم يكن صوتاً وكلاماً، *ونباح كلب*؟[2] تلك هي الأسس الجسدية للظاهرة العقلية، والمرافق الجسدي الذي يتطوّر منه ما نطلق عليه اسم "نفس". وبالتالي عندما تهبط من مرتفعات الروح، تحصل أولاً على تعدّد الأفكار، ثم على تعدّد أرحب للكلمات، وينتهي الأمر بك مع نباح كلب – كان نطق العقل في أصله طبعاً كنباح كلب. وهذا ما أدى إلى فلسفة "كلاجيس" الذي ساوى بين الروح والذكاء، أو مزجهما مع العقل حتى لم تغد هناك إمكانية أبداً للتعرّف على الروح؛ لقد صارع الروح باعتبارها مدمّرة للحياة. ولو أنه عرف ما هي الروح، لما افترض ذلك، فالروح في الأصل هي الشيء الأكثر فوراناً، وتشبه فتح زجاجة شامبانيا. إنها الأكثر عاطفية والأكثر تتويجاً للحياة.[3]

إن كلمة "*Geist*" الألمانية تعبّر عنها؛ وتشير دراسة أصل الكلمة إلى "الفوران"، إلى الهيجان والتدفّق والانسكاب. وكلمة "*spiritus*" اللاتينية تعني الريح، وكلمة "*animos*" الإغريقية ليس لها معنى روحاني؛ وهي تعني

---

[1] فريدريك ماوثنر، وكتاب" Wörterbuch der Philosophie. Neue Beiträge zu einer Kritik der Sprache" (قاموس الفلسفة: مساهمة جديدة في نطق اللغة) (ميونخ وليبزيغ، 1910). ادعى ماوثنر أنه لو تكلّم أرسطو (على سبيل المثال) باللغة القبطية أو لغة الداكوتان بدلاً من اللغة الإغريقية، لكان أسلوبه بالمنطق مختلفاً. وقال ماوثنر مرة عن نيتشه إنه كان واقعاً تحت إغواء لغته الخاصة.

[2] هو يقدم في مكان آخر اقتباساً أكثر اكتمالاً من كتاب "أناتول فرانس" بعنوان "حديقة أبيقور – Le Jardin d'Epicure" (باريس، 1895)، صفحة 80: "ما هو التفكير؟ وكيف يفكر الإنسان؟ نحن نفكر بكلمات. وهذا بحد ذاته شيء حسي يعيدنا إلى الطبيعة. فكّر بذلك! ليس لدى الميتافيزيقي أي شيء ليبني به نظام كلماته سوى صراخ القرود والكلاب" (الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 40).

[3] لمعلومات عن "كلاجيس"، راجع أعلاه محاضرة 23 أيار – مايو 1934.

الريح أيضاً. لذلك ففي يوم معجزة عيد العنصرة، وهبوط الروح القدس، كان هناك ظاهرة الريح العاصفة.[1] ثم كلمة "*pneuma*" في العصور القديمة كانت تعني أساساً "*prana*"، أي تنفّس الأرض، و"*prana*" هي سمة الكائن الحي. الكائنات الحية مليئة بـ "*pneuma*"؛ لا توجد حياة من دونها. وليس خطأ أبداً أن مفهوم "*pneuma*" لم يكن له في الأساس أي معنى روحاني، واتخذ هذا المعنى لاحقاً تحت تأثير المسيحية. وكان هذا أمراً منطقياً لأن الروح هي ذروة الحياة، وهي غير مدمرة إطلاقاً. لكن الذكاء، شيطان الكلمات هذا، هو مدمر الحياة؛ كلما ازداد تشكّل العقل من الكلمات، قلّت مادة الحياة فيه. إذ يصبح رقيقاً كالكلمات.

السيدة وولف: ألا تعني كلمة "*to mind*" أيضاً أن تحفظ في ذاكرتك؟ "*I mind*" تعني أنا أتذكر.[2]

الدكتور يونغ: يتسق هذا أيضاً مع حقيقة أن الأفكار التجريدية يجب أن ترتبط بالجسد ليتم تذكّرها؛ هذا هو حفظ شيء ما في الذاكرة أو تذكّره.

السيدة يونغ: أظن أن الفكرة التي تعتبر الكلمة عبارة عن روح قد وصلتنا من الإنجيل، حيث خلق الله الكلمة. ففي العهد الجديد، يقول إنجيل يوحنا: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ". مما يعطي الكلمة قيمة عالية بالتأكيد.

الدكتور يونغ: صحيح، لكن كلمة "*wort*" الألمانية لا تعني "اللوغوس – الكلمة" تماماً. فاللوغوس هو مفهوم أصلي، ولديه سمات غريبة؛ فهو

---

[1] "وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ/ وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ" (أعمال الرسل 2: 1-2).

[2] كلمة "mind" تعني العقل أو الذهن، والصيغة المذكورة في هذه الجملة عبارة عن اشتقاق الفعل من الكلمة. المترجم.

مفهوم أعلى من كلمة "*nous*" الإغريقية التي يمكن ترجمتها إلى "عقل – *mind*"، لكنّ الكلمتين كلتيهما تحددان نوعاً من المفهوم الكوني. والمفهوم الكوني في الغنوصية مكافئ للوغوس. وفي فلسفة "فيلو جودايوس"، المؤسس الحقيقي لفلسفة اللوغوس،[1] وفي إنجيل يوحنا، ذلك المفهوم ذاته هو اللوغوس، واللوغوس سماوي؛ إنه الله. إن للوغوس في الأصل علاقة بالكلمة بالتأكيد لذلك يمكن ترجمته بمعنى "كلمة"، بل كانت الكلمة تُعتبر العامل الإبداعي في مصر. لذلك كان النقش على معبد "بتاح": "ما يقوله يكون".[2] ويجب القول إن ذلك الانسجام الغريب لمصطلح اللوغوس الذي يعني الكلمة، جاء من فكرة أن الكلمة هي التي عبّرت عن الروح. لكن الحقيقة هي أنها كانت مليئة بالروح ومن ثم صاغت الكلام؛ بينما نحن نصوغ الكلام ونفترض أننا ممتلئون بالروح. هذا هو الفرق وحسب. هم لا يتكلّمون إلا عندما تملؤهم الروح. عندما كانوا خاضعين لسيطرة فوران الروح، تكلّموا حتى بألسنة مختلفة، حتى بكلمات غير مفهومة، وفقاً لـ "*glossolalia*" في العهد الجديد.[3] وبهذا تكون الكلمة مشابهة المادة. إنها تحديد الدافع الإلهي، والروح السماوية المبدعة. ويُظهر النقش على معبد

---

[1] لمعلومات عن "فيلو جودايوس، ومعروف أيضاً باسم فيلو الإسكندري" راجع محاضرة 16 أيار – مايو 1934.

[2] "بتاح" المصري، مثل يهوه، خُلِقَ من الكلام. في "نصوص الأهرام – Pyramid Texts"، قيل إن "بتاح" قد خُلِقَ من خلال "القلب واللسان". انظر كتاب "تطور الدين والفكر في مصر القديمة – Development of Religion and Thought in Ancient Egypt"، تحرير جيمس بريستد (فيلادلفيا، 1912)، صفحة 44-47.

[3] "Glossolalia" مصطلح تتم ترجمته عادة إلى اللغة العامية بمعنى "الكلام بالألسنة"، ويعني الكلام بلغة غير معروفة، لكن من دون تفسير موحى به، تكون عبارة عن رطانة. ويعطي يونغ هنا هذا المقطع تفسيراً أكثر عمومية. إذ نرى في أعمال الرسل 2: 3-4 "وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا".

بتاح بكل وضوح تحوّل هذا الدافع الإلهي الإبداعي إلى حقيقة، والدافع الإلهي بحد ذاته يتجاوز الكلام والجسد. إنه سابق للخلق كله، ليس له شكل؛ لكن حالما يظهر في فضاء العالم يصبح له شكل محدد. لقد خلق المادة. لذلك تُعرّف المادة في الفلسفة التانترية بأنها تحديد للفكرة الإلهية.

لقد بدأت الفلسفة القديمة فعلاً من حقيقة مختلفة عن حقيقتنا، ومن سيكولوجيا مختلفة جداً. فالكلام كان ثقيلاً جداً حينها. يمكنك أن ترى حجم المشاكل التي كانت لدى أفلاطون للتعبير عن أفكار معينة هي بالنسبة إلينا الآن مفاهيم واضحة؛ كان عليه أن يستخدم القصص الرمزية والمعاني الأخرى للتعبير عن فكرته الفلسفية. تعود قصته الرمزية الشهيرة عن الكهف إلى نظرية المعرفة، كما نقول في أيامنا، لكن كان عليه أن يعبّر عنها بتلك الأدوات الخرقاء. وفي قراءة الفلسفة القروسطية، على المرء أن يصارع مع تلك اللغة الخرقاء للغاية. وقد كانت اللغة الألمانية الأصلية صعبة وثقيلة بشكل لا يوصف. وهناك المشكلة ذاتها في قراءة اللغة اللاتينية الأنيقة للفلسفة الرواقية أو أتباع الأفلاطونية الجديدة؛ لم تكن تلك اللغة متمايزة بما يكفي للتعبير عن الأشياء الدقيقة. أما اللغة الإغريقية فكانت أكثر براعة بطريقة ما، لكنها قديمة وصعبة جداً بالمقارنة مع اللغة الحديثة. وهكذا كانوا دوماً تحت ضغط الروح التي جعلتها شيئاً حقيقياً جداً بالنسبة إليهم، وشعروا بالكلمة وكأنها حقيقة الروح المرئية. وهذا ما جعلها إلهية بالنسبة لهم.

كانت هناك المشاعر ذاتها في الصين القديمة حيث كان أشخاص معيّنون يقومون بجمع كل قُصاصة ورق مرمية كي لا تتلف أو تضيع، لأن الرموز أو الكتابة كانت مقدّسة. وكان الكتاب المطبوع أشبه بالسحر؛ لأنه كان ظهوراً للروح. تلك كانت وجهة النظر السائدة في العصور القديمة، لكن

في التمايز اللاحق بطرق الكلام، بدأت ظاهرة الروح الأصلية تفقد اعتبارها، واتخذت الكلمة موقع الروح. يرى المرء ذلك في تطوّر الكنيسة المسيحية؛ فالروح الحقيقية انقرضت تقريباً، ولم يبقَ سوى الكلمة المطبوعة. لذلك نحن نتعلّق بكلمة الإنجيل. لم تكن الأناجيل الأربعة في العصور الأولى تُعتبر وحياً من الله. بل كان يُفترض أنها كتب مفيدة ذات سمات راقية من الجيد قراءتها، لكن لم يفكر أحد أنها كانت كلمة الله التي كشفها إلهام إلهي لحظي. لقد ابتكروا هذا الأمر لاحقاً عندما بحثوا عن سلطة بديلة عن الروح المفقودة. اقرأ كتابات القديس بولس وسترى كيف تعمل الروح. لقد كان تحت تأثير التوتر والضغط. وكانت كلماته تأتأة الروح؛ لكننا تعاملنا معها على أنها تنقية للروح، تعاملنا مع الكلمة ذاتها كروح – كان خطأً جسيماً. الكلمة هي ما تبقى من الروح بعد أن ماتت الروح. وأدّى التطور الحديث أولاً إلى هبوط الروح إلى العقل، ومن العقل إلى الكلمة، ثم تلاشت الروح تماماً، ولم نعد نعرف ما هي الروح. علينا الآن أن نبذل جهداً لنتذكر كيف كانت الروح. لكن أي شخص لديه أقل معرفة بالروح يعرف أنها ذروة الحياة. حتى إنها الكثافة الأعظم للحياة.

سألني الدكتور "إيشار" للتو عن مشكلة فلسفية معقّدة للغاية، مشكلة العلاقة بين الروح والعقل أو الفكر، وهو أمر لا أستطيع تفسيره بشكل كامل. إنه موضوع مثير للجدل، ويعتمد بطبيعة الحال على التعريف الذي يُعطى للظاهرة. لذلك اقترحت أن نسمي الروح بكذا وكذا، ونسمي العقل كذا وكذا، ونستطيع مع هذا الاقتراح مناقشة الأمر. لكن إذا كان يمكن "للعقل" أن يعني أي شيء، ويمكن "للروح" أن تعني أي شيء، فهذا مستحيل. هذه هي المشكلة تماماً، وهذا ما كنت أقوله. يختلط العقل والروح في هذه الأيام لدرجة نستطيع معها أن نستخدم أحدهما بدل الآخر،

كما يمكن أن نستخدم كلمة "*Geist*" في اللغة الألمانية لأي شيء ببساطة. إنها ترتبط بكلمة "*esprit*" مثلاً، ويتحدث أحدهم عن "*esprit de vin*" بمعنى "روح الكحول". وطبعاً كان يوصف الكحول بالروحاني لأنه مادة متطايرة تنفصل عن السائل بالتقطير، إنها المادة التي تذهب إلى أعلى جهاز التقطير. وكلمة "*Geist*" أيضاً تعبير عن مبدأ سيكولوجي، لكن علينا أن نفصل بين هذه المصطلحات كي لا نتورّط بكل الهراء الذي يحدث الآن. يظن "كلاجيس" مثلاً أن الروح تدمّر الحياة، وهو يناقض الفكرة الأخرى التي تعتبر أن الروح مُبدعة الحياة. والعربدة الجنونية في العصور القديمة عبارة عن "*prana*"، وتعني تنفّس الحياة. يملؤك الله بـ "*prana*" الخاصة به، أو بـ "*pneuma*" أو الريح، وتصبح كائناً هوائياً، وهو بالطبع شبح أو روح؛ يصبح حتى الجسد نَفَساً. ذلك كان المفهوم الأصلي.

البروفسور ريكستين: ألا يمكننا القول إن الأمر يعتمد على الموقع الذي يكون فيه "الليبيدو" هذه اللحظة؟ يمكننا القول مثلاً إن الناس في هذه الأيام لا تحتاج إلى أن تصبح هوائية أكثر مما هي عليه حالياً. فعندما يتم التشديد كثيراً على العالم "التحت أرضي"، ينسحب الليبيدو من جانب الروح ويهبط ليصبح متمايزاً.

الدكتور يونغ: لقد هبط، وهذا هو الشيطان. فكما ترون علينا الانفصال عن ذلك الشيء الفكري.

البروفسور ريكستين: يبدو وكأنه ضروري تماماً، وإلا لن يكون للأرض ما يكفي من القوة.

الدكتور يونغ: تماماً. علينا التأكيد على أن الجسد هو رسالة نيتشه، وهي أيضاً رسالة أتباع مبدأ المادة، هذا مؤكد. علينا الإصرار على الجسد، على تجسيد المبادئ والكلمات. وعلينا الإصرار على أنها ليست سوى كلمات

طالما أن الروح اختفت منها، وأنه لا حياة فيها – إنها أشياء ميتة، وخارج الحياة. علينا العودة إلى الجسد من أجل خلق الروح مجدداً؛ فمن دون الجسد لن يكون هناك روح؛ لأن الروح هي جوهر الجسد المتطاير. الجسد عبارة عن جهاز تقطير تُطبخ فيه المادة، ثم تتطوّر الروح خلال هذه العملية، إنها ذلك الشيء الذي "يفور". لقد عاد نيتشه إلى نفسه، عزل نفسه عن العالم كله وزحف إلى فرن تقطيره الخاص وخضع لهذه العملية. واكتشف فجأة أنه امتلأ بحماسة "نشوية" أسماها تجربته الديونيسية العائدة إلى ديونيسوس إله الخمر. هذه هي الروح. كان ديونيسوس إله النبوءة، وإله أحلام النبوية، وإله الجسد. وفي جزء لاحق من كتاب *هكذا تكلّم زارادشت*، يوجد مقطع شعري يشرح فيه نيتشه كيف كان يحفر عميقاً في نفسه، ويعمل على محوره الخاص؛ يمكن أن ترى هناك مستوى الكثافة التي اختبرها أثناء تعمقه في نفسه ووصل إلى حالة انفجار حقيقي للروح، الديونيسية.[1]

السيد باومان: في بداية مسرحية *فاوست*، هناك مونولوج يفكّر فيه بمسألة من ظهر أولاً، الروح أو العالم – أو من ظهر أولاً، الفعل أو الأداء.[2] ألم يضع الروح في الجسد؟

الدكتور يونغ: إن مسرحية *فاوست* حديثة في أن غوته شعر أن الكلمة وحدها لا تكفي. لكنه المصطلح الوحيد المتوفر لترجمة "اللوغوس"، لأن اللوغوس ليس أداء بالتأكيد. فبالنسبة لإنسان العصر القديم، كانت الكلمة أداء الروح.

---

[1] انظر الجزء الرابع، فصل 74 بعنوان "نشيد الكآبة – The Song of Melancholy"؛ والفصل 76 "بين فتاتين من بنات الصحراء – Among the Daughters of the Desert"؛ والمقطع 79 "نشيد التهوام الليلي – The Drunken Song".

[2] في مسرحية فاوست، الجزء الأول بعنوان "دراسة فاوست"، قام فاوست بتغيير عبارة "في البدء كان الكلمة" إلى "في البدء كان الفعل".

السيد باومان: ألا تعني الكلمة الأمر؟

الدكتور يونغ: أصبحت الكلمة أمراً لاحقاً، لكنها كانت في ذلك الوقت مجرد "*pneuma*"، أي إنها وجه الله، الملاك ذو الوجه في العهد القديم. والمفهوم الصوفي عن الله؛ أي الخضر؛ الملاك ذو الوجه. إنها رؤية الله، ووجه "*pneuma*". إن ملاك الكلمة، أو إله الكلمة، هو رؤية الكلمة. وهكذا فإن المسيح، باعتباره ابن الله الذي أصبح جسداً، هو الكلمة.

السيد أليمان: أظن أنها لا تزال كلمة القوة لكثير من الناس؛ "المانترا" لديها روح أو طاقة خلفها.

الدكتور يونغ: لكنها طاقة مقلوبة. "المانترا" هي الكلمة التي يُفترض بها أن تفتح أبواب السحر، وهي تستخدم لإنتاج آثار سحرية. إنها جزء من ذاكرة قديمة. وكانت يوماً وجه الله، هي لا تزال حية بالنسبة لأولئك الناس الذين لا يزال جزء من الروح القديمة حياً لديهم، ويمكن أن تُنتج آثاراً سحرية؛ لكنها لا تعني أي شيء بالنسبة إلينا؛ إنها كلمة.

السيدة فيرز: لم تكن الكلمة واضحة أبداً في الأصل؛ كانت قاتمة، لذلك كانت تحمل معنى سرياً.

الدكتور يونغ: نعم، كانت كلمات الله كلمات وحي مثلاً. وكانت الكلمات قاتمة؛ لم تكن مبادئ بل تعبيراً عن القوة الإلهية. لم تكن ضرورية للفهم، إذ كان على المرء فقط أن يقبل الكلمة الإلهية ليكون بذلك قد قبل وجود الله. لكنكم ترون أننا نقبل الكلمات التي نفهمها، وعندئذٍ تكون مجرد كلمات. وهكذا تشكّل المانترا عالماً للناس الذين لا تعني لهم كلماتها أي شيء إطلاقاً، لكنها لا تشكّل أي شيء بالنسبة إلينا لأننا نناقش الكلمات، أو نناقش الجانب الاستثنائي للرموز. فنحن نعثر على الرموز المترائية في كهف، ونسأل ما الذي تعنيه، أو نظن أنها قد تكون أشياء غبية تافهة. لا نعرف أية روح تلك التي خلقتها، ولا الروح التي تقف خلفها. كانت تلك الرموز تعبيراً

عن ظاهرة مميزة، هي بحد ذاتها مجرد بقايا، وآثار من شيء مضى. لكن آثار الأقدام لا تعني الكائن طبعاً؛ أولئك الناس ينظرون فعلاً إلى الكائن ولا يهتمون بآثار الأقدام. لكن عندما يموت ذلك الشيء، ويُسأل أحدهم ما إذا ترك خلفه أي شيء، تكون الإجابة: "آه، هناك آثار أقدام"، ثم يبدؤون بسرد قصّة عظيمة عنها. لذلك فإن حالتنا مقلوبة: إننا الآن في عصر ليس فيه أي شيء سوى الكلمات وأثار الأقدام – لكننا لا نستطيع الاستفادة منها لأنها ميتة. لذلك علينا الابتعاد والعودة إلى المصدر حيث بدأ كل شيء أصلاً. وهذه رسالة: يطالب زارادشت بالعودة إلى الجسد والدخول فيه، وعندئذٍ سيكون كل شيء على ما يرام، لأن الذكاء والفكر العظيم مختبئ هناك. فمن خلال الجسد العظيم أتى كل شيء حي. وهذا صحيح، لا يمكننا قول أي شيء آخر.

تقول: "أنا"، وتشعر بالفخر لهذه الكلمة. لكنّ الشيء العظيم، والذي لا تريد أن تؤمن به، هو جسدك وعقله الكبير؛ إنه لا يقول "أنا"، لأنه هو "أنا"، هو مُضمر الشخصية الظاهرة.

يقوم نيتشه أو زارادشت هنا بإعداد عقولنا لرؤية هامة جداً؛ بمعنى أنه ليست "الأنا" هي الذكية. فعندما نقول "أنا"، نعني بذلك عقولنا ونظنّ أن كل ما يمكننا أن نعرفه عن ذواتنا معروف. وهذا انحياز غريب للغاية. البارحة مثلاً، أتت فتاة ذكية نسبياً إلى عيادتي وأخبرتني عن عصابها الغريب، وكان من الواضح أنها قرأت العديد من الكتب، ثم قالت: "والشيء الأكثر إثارة للاهتمام هو أن عُصابي ليس له مبرر من أي نوع كان، ليس له مبرر إطلاقاً؛ ليس له أي معنى أو أي منطق". فقلت لها: "إذاً فقد حضر من السماء، لأنني لم أسمع عن عُصاب ليس له سبب". فأجابت: "نعم، ثمة شيء من هذا القبيل، لأنه فعلاً لا يوجد سبب لذلك، أنا أعرف كل شيء عن نفسي". فتاة لطيفة وبريئة للغاية! هي مدركة تماماً لسيكولوجيتها!

أمامها جبل، لكنها لا تراه. وبعد ساعة، عرفت أن شيئاً ما حدث بداخلها وهي لم تفعله. لقد فعلته؛ لقد عاشت شيئاً لم تفهمه، ولم تعرفه.

إنه اكتشاف عظيم أن يكون إلى جانب "نفس" المرء أو وعيه أو عقله، ذكاء آخر ليس من صنعه، وهو يعتمد على هذا الذكاء. وقد قامت أعظم مخاوف فرويد على احتمال أن يكون هناك شيء في الخارج ليس هو "أنا"؛ أن تقول إن هناك ذكاء عظيماً خارج عقل المرء يعني أن ذلك الشخص مجنون مثل نيتشه. وللأسف الشديد لم يكن نيتشه الوحيد الذي لديه أفكار كهذه بالنسبة لفرويد؛ كانت القناعة السائدة على مدى آلاف السنوات قبل نيتشه، أن ذكاء الإنسان لم يكن كل شيء، وحتى عقله كان نتيجة شيء كامن في الخلف – وأننا لسنا صانعين بل مصنوعين. إن عقلك ليس الإله المبدع الذي جعل العالم كله يأتي إلى الوجود من العدم. فهناك تحضير، هناك شيء سابق للوعي، هناك لاوعي ظهر منه الوعي يوماً، وهو ذكاء يتجاوز بالتأكيد ذكاءنا بكثير.

المحاضرة الرابعة

13 شباط – فبراير 1935

الدكتور يونغ:

لدينا عدة أسئلة هذا الصباح. السؤال الأول من السيدة باومان: "في الحديث عن الروح، لم أستطع منع نفسي من التفكير بألمانيا اليوم و'الريح العاتية' التي تهبّ هناك. لقد تحدثتَ مرة عنها في السيمنار، وبهذا السياق أودّ أن أسأل ما إذا كان بالإمكان ربط حركة "الصليب المعقوف – رمز النازية" المتراجعة بحركة السنة الأفلاطونية المتراجعة؟ وأعني بذلك: بما أن الظهور الحالي جمعيّ وعرقي، فربما يكون رمز الصليب المعقوف تراجعاً لجعل الحركة في "برج الدلو". قد يكون ذلك صالحاً من الناحية الجمعية لشجرة الجنس البشري، بدلاً من القرص المعروف الذي يشير إلى حركة الشمس".

العلاقة ضعيفة هنا. أنا لم أشر إلى الصليب المعقوف طبعاً، لكن هل هناك شيء معين حرّض على هذا السؤال باستثناء ما كنت أقوله عن الروح؟

السيدة باومان: فقط من ناحية أن العديد من الناس يتحدثون عن حركة الأشياء التراجعية.

الدكتور يونغ: هل تقصدين بعبارة الحركة التراجعية ما يسمّى النكوص أو التردي في ألمانيا – الرجوع من المسيحية إلى "وثنية جديدة"؟

السيدة باومان: نعم، والصليب المعقوف بحد ذاته يتراجع بسرعة. وكنت تقول إن المعنى قد خرج من الروح وهبط إلى العقل، ثم إلى كلمات.

السيدة ليون: قلت إن الروح يجب أن تعود إلى الجسد.

الدكتور يونغ: هذا صحيح. التشديد الرئيس هو على كامل الجسد، وهبوط الروح إلى مجال الجسد؛ يقول نيتشه في تلك الفقرات التي ناقشناها سابقاً إن الروح قد تراجعت إلى مجرّد ألعوبة للجسد. فالنظر إليها من وجهة نظر روحانية عبارة عن انحدار رهيب وحركة تراجعية بالتأكيد. اسأل أي مسيحي ملتزم وسيجيب على هذا النحو. لذلك اتهموا نيتشه بأشنع الجرائم؛ جعلوه المسؤول عن الحرب العالمية. لذلك فإن فكرة الحركة التراجعية مبررة بالكامل، وقد أسعدني الخوض في هذا السؤال.

السيدة بايتز: يبدو لي أن الصورة تشوشت للغاية بسبب ربط الحركة التراجعية "ببرج الدلو".

الدكتور يونغ: انتظري لحظة! لقد خرجنا عن الموضوع سلفاً. لقد سألت السيدة باومان أولاً عن الحركة الروحانية الفعلية في ألمانيا، وربطت هذه الحركة، التي هي نكوص وتراجع، بالرمزية القديمة ووجهات النظر القديمة بشكل عام؛ وسألت ما إذا تم التعبير عن هذه الحركة أيضاً في الصليب المعقوف الممثّل للتراجع. الحركة نحو اليسار في البوذية ليست حركة تراجعية بقدر ما هي حركة خاطئة. الفكرة العامة في الهند والتيبت هي أنه عندما تدور حول "*stupa*" أو ما يسمّونه "*tchorten*" (وهو مزار أو ضريح يكافئ صليبنا، أو كنيسة صغيرة في الريف فيها صورة قديس ما)، عليك أن تدور بطريقة مشابهة لحركة الشمس؛ وإلا فهذا خطأ. وهكذا فإن الدوران في المندلات، والذي يتم التعبير عنه بالصليب المعقوف أو الحلزون أو

الدوامة، يجب أن يكون باتجاه "عقارب الساعة"؛ تلك هي الطريق التي يجب أن يتحرك بها الضوء، والطريقة التي يجب أن تتحرك بها أنت نفسك. فإذا سرت بالاتجاه المعاكس، يكون فألاً شريراً لأنك لم تتبع المسار الاعتيادي للأشياء، لذلك يكون مرتبطاً بالسحر الأسود. يتم فهم طريقة التفاضل أو التطور الروحاني على أنه مسار اليد اليمنى، والعكس هو مسار اليد اليسرى. وهما تعبيران مستخدمان في التانترية مثلاً. ويطلق على "شاكرا البوجا"، حيث تُمارس شعائر غريبة محددة ذات طابع سيئ، اسم مسار اليد اليسرى وهو مرتبط بالسحر أيضاً. اليد اليسرى هي المعنى العكسي، هي الحركة عكس الشمس. لكن ما يثير العجب هنا أننا لا نعرف كيف نشأ ذلك. وهؤلاء الاشتراكيون الوطنيون المؤهلون الذين تحدثت معهم في ألمانيا لا يعرفون أن صليبهم المعقوف كان يدور بالاتجاه الخاطئ. هناك من لفت انتباههم إليه بهدوء، وفجأة قالوا: "دكتور يونغ، هل لك أن تفسّر لنا لماذا يدور الصليب المعقوف بالاتجاه الخاطئ". سؤال محرج جداً! بالتأكيد كان لديهم أمل بأن يحشروني في الزاوية. لكن كما ترون، مع أنه يتحرك بالاتجاه الخاطئ عندما تنظر إليه، فإذا وضعت نفسك في الصليب المعقوف الاشتراكي الوطني، فهو يتحرك بالاتجاه الصحيح. الرمز بعيد المدى؛ لديه معنى سيكولوجي محدد أياً كان نوعه. لذلك أعتقد فعلاً أن حركة الصليب المعقوف باتجاه خاطئ تعني شيئاً.[1]

السيد أليمان: للصليب المعقوف لون الشمس، لذلك أظن أن اللون الأسود للصليب المعقوف الخاص بالحزب الاشتراكي الوطني يعني شيئاً ما.

---

[1] "الصليب المعقوف – swastika": (كلمة سنسكريتية تعني الحظ الجيد)، التي ترتبط بالعجلة والصليب، يمكن العثور عليها في اليونان والتيبت والبيرو وإسرائيل، وهنود أمريكا. كتب يونغ لاحقاً أن دوران "الصليب المعقوف - رمز النازية" باتجاه اليسار إشارة إلى النكوص نحو اللاوعي. 7 تشرين الأول – أكتوبر 1946؛ ورسائل يونغ، المجلد الأول، صفحة 444.

الدكتور يونغ: بالضبط. يجب أن يكون ذهبياً. هذا ما يثير الاهتمام كما تثيره حقيقة أن السوفييت، الذين لا نستطيع اتهامهم بالرمزية الروحانية، قد اختاروا الشكل خماسي الرؤوس أو خماسي الأشعة. الشكل خماسي الأشعة هو نجمة خماسية، وبما أنه رمز الإنسان الدنيوي الأرضي الفاني فهو العلامة على السحر الشيطاني. أنتم تعرفون أن نجمة داوود سداسية الأشعة، أما نجمة السوفييت ليست خماسية فقط بل وحمراء أيضاً، إنها بلون الدم، لذلك تُعتبر شيطانية للغاية. والذين اختاروا تلك النجمة للسوفييت لم يكن لديهم أية فكرة عن ذلك طبعاً. يمكننا أن نخمّن – أي نصوغ أخيولة عن ذلك – ونقول إن معلم الفنون السوداء كان خلف المشهد كله. لكنني لا أصدّق حيلاً من هذا النوع كما لا أصدّق أن المهاتمات قد همسوا في أذني. (يقول الثيوصوفيون إنه عندما أقول شيئاً جيداً، يكون المهاتمات في التيبت قد همسوه في أذني، وما تبقى هو مجرّد هراء).

السيدة بانيز: بالعودة إلى موضوع الدوران مع عقارب الساعة وعكس عقارب الساعة، أتذكر أن الحركة في كتاب "*سرّ الزهرة الذهبية*" حركة عكس عقارب الساعة، ويُفترض أنها جيدة. كما يُفترض أن تلتفّ الكونداليني بعكس عقارب الساعة في البداية.

الدكتور يونغ: هذا هو مسار اليد اليسرى.

السيدة بانيز: لكنك لم تضعها تحت بند السحر الأسود.

الدكتور يونغ: كان لها ذلك الارتباط لأن أي شيء داكن يرتبط بالسحر الأسود طبعاً. لكن ذلك التصريح ليس فعّالاً؛ إنها مجرد حقيقة ربطَها الناس بالسحر الأسود. وما يثير الاهتمام أنك إذا سرت بالطريق الخاطئ حول "*tchorten*"، أي إذا سرت عكس اتجاه الشمس، فأنت تفعل شيئاً غير اعتيادي، وضدّ قوانين السماء؛ إذا أردت تواصلاً مناسباً عليك أن تتخذ المسار الطبيعي؛ عليك أن تتحرك مع الشمس.

السيدة أدلر: كيف يكون الأمر في خارطة الأبراج؟ ثمة حركتان هناك كما أظن.

الدكتور يونغ: نعم، لدينا في علم التنجيم بيانات غريبة عن الحركة التقدمية للشمس عبر إشارات الأبراج الفلكية، وحركة تراجعية لنقطة الربيع في الأبراج الفلكية. ولخارطة الأبراج علاقة وثيقة بالمندلا طبعاً، وغالباً ما يكون في المندلات حركتان في الوقت ذاته؛ لهذا الأمر علاقة باتحاد الأقطاب المتضادة. وقد قدّمت لكم تفسيراً أسطورياً حول هاتين الحركتين في خارطة الأبراج. الأولى هي الحركة الصحيحة للشمس، بدءاً بإشارة الربيع في الأبراج الفلكية، مروراً ببرج الثور والجوزاء وما إلى ذلك؛ والأخرى حركة تراجعية لنقطة الربيع (موقع الشمس في *21* من شهر آذار – مارس) وهذا يسمّى "حركة نقطة الاعتدال". وهذه الحركة هي الأساس لحسابات مختلفة تماماً للزمن. إن حركة الشمس مع عقارب الساعة هي التي تشكّل السنة، لأن الشمس تكمل دورتها في سنة واحدة، ثم تعود إلى برج الحمل، إلى نقطة الربيع؛ لكن "حركة نقطة الاعتدال" بعكس عقارب الساعة، وتحتاج إلى ستة وعشرين ألف سنة لتعود إلى نقطة الربيع، وتحتاج إلى ألفين ومئة وخمسين سنة لتشكيل شهر واحد، وبالتالي تحتاج إلى ستة وعشرين ألف سنة لتشكيل سنة كاملة. تلك هي السنة الأفلاطونية، ويمكن القول إن هذه هي الحركة نحو اليسار.

أشارت السيدة باومان إلى بيانات علم التنجيم الغريبة التي تعتبر موقع الاعتدال الربيعي سمة مميزة لفترة من الزمن. هذه فرضية طبعاً، والشيء نفسه ينطبق على موقع الشمس أو أي كوكب آخر، وما يسمى علامة مرتفعة (تلك الإشارة البرجية التي ترتفع في الأفق لحظة الولادة) هو سمة مميزة للإنسان الذي يولد في تلك اللحظة. أنا لا أستطيع أن أفسّر كيف وصل الناس إلى فرضيات كهذه؛ فالمرء يعتبر تلك الأشياء من المسلّمات. إن

علم التنجيم كله قام على فرضيات كهذه. ولا بدّ من الإشارة مرة أخرى إلى أن المنجّمين حافظوا على تمسّكهم بهذه الفرضيات حتى بعد أن بات من الواضح أن خارطة الأبراج لم تعد تتناسب مع الأبراج الفعلية في السماء بسبب "حركة نقطة الاعتدال". إذا قلت مثلاً إن الشمس في برج الحمل، ثم نظرت إلى الشمس بمنظار، تجد أنها ليست في برج الحمل: تكون على بعد ستين درجة خلف برج الحمل، هي في نهاية برج الحوت. وهكذا فإن البيان الفلكي الذي يقول لأن شمسك كانت إشارة لهذا وذاك، يكون لديك هذه الصفة وتلك، لم يقم أساساً على حقائق فلكية؛ ومع ذلك يستمرّ علماء التنجيم بالكلام بذلك النمط. ولذلك فإن حساباتنا الزمنية زائفة تماماً. وما تلك إلا أسماء لا علاقة لها بالمواقع الحقيقية للكواكب أو الشمس أو القمر في مجموعة فلكية معينة. لكن حسابات السنة الأفلاطونية – عندما نقول مثلاً، إن نقطة الربيع تتحرك الآن خارج الدرجة الأخيرة من برج الحوت إلى برج الدلو فهذه بيانات فلكية حقيقية. لدينا هناك تزامن مع الوضع الفلكي الحقيقي للاعتدال الربيعي.

من المثير للفضول أن يقول علماء التنجيم المستنيرون في أيامنا هذه إنه لا علاقة لخارطة الأبراج بموقع النجوم، لكن لها علاقة بديناميكات الفصول – الربيع، الصيف، الخريف والشتاء. هذا صحيح. من الواضح أن الحيوانات التي تولد في الربيع تختلف تماماً عن التي تولد في الخريف؛ فهذه حقيقة معروفة بشكل عام. وإذا طبّقنا المبدأ ذاته على الإنسان نرى أنه قد يؤثر على مزاجه وبنيته العقلية والجسدية أيضاً. لكن أولئك المنجمين المتنورين الذين عرفوا أن خريطة الأبراج لم يعد لها أية علاقة مع الموقع الفعلي للنجوم، يُنكرون تأثير الموقع الفلكي الحقيقي؛ يقولون إن "حركة نقطة الاعتدال" ليس لها أي تأثير على مزاج الإنسان وبنيته. وينكرون ذلك أيضاً لأنهم متنورون. فكما ترون، المسألة كلها عبارة عن شيء لا يجب أن

يكون المرء متنوّراً به؛ ثمة أشياء معينة يفهمها المرء بشكل أفضل بكثير إذا لم يكن متنوّراً. أما لماذا تعتبر هذه المسألة مشكلة فلسفية كبيرة وعميقة فمن الأفضل ألا أخوض فيها. لكن هذا ما كانت تعنيه السيدة باومان – أن هذه الحركة التراجعية للصليب المعقوف هي نوع من السحر أو الاستجابة التوافقية مع الحركة التراجعية للانقلاب الربيعي، وأصبح ذلك بالغ الأهمية في زمننا. فنحن في زمن الانتقال بلا ريب، ويتزامن هذا مع انتقال الاعتدال الربيعي من برج الحوت إلى برج الدلو. ويؤدي ذلك وفقاً لعلم التنجيم إلى تغيير غريب في عقل الإنسان، مما يعني تغييراً في مواقفنا. لذلك يمكن للمرء إذا رغب أن يوازي بين التطور السيكولوجي الفعلي للإنسان وهذه الحقيقة الغريبة لعلم الأبراج.

من اللافت فعلاً أن يرى المرء الشيء ذاته عملياً في كل مكان. فلا يوجد بين البلشفية والاشتراكية الوطنية سوى فرق بسيط جداً. كما لا يوجد أي فرق من الناحية العملية بين الفاشية الاشتراكية الوطنية، فالفرق بين إيطاليا وألمانيا، والفرق بين ألمانيا وروسيا، هو فرق بين حركتين سياسيتين. لكنهما الشيء ذاته *من حيث الجوهر*، لدرجة أن الاشتراكيين الوطنيين أخبروني أن هذا هو الشكل الألماني من البلشفية. ويرى المرء الحركة ذاتها في دول أخرى حيث لا يكون لها الاسم ذاته. إن "صفقة روزفلت الجديدة" هي الشيء ذاته أيضاً، ويتطلّع "ديفيد لويد جورج" إلى ألمانيا بسبب أفكاره عن "صفقة جديدة". لقد صرّح مؤخراً في "*المانشيتر غارديان*" بأنه معجب بالألمان لأفكارهم الرائعة؛ واقتراحه "صفقة جديدة" متأثر بهم. وما يريد روزفلت أن ينتجه متناغم طبعاً مع السمات التقنية والتجارية لأمريكا، ولهذا تولّى الجانب الاقتصادي، لكنها الشيء ذاته *في الجوهر*. هذه الحركات الشعبية في العالم كله – وحتى حركة أكسفور على نطاق صغير – هي ذاتها

دوماً. هي نوع من الجمعية على مستوى منخفض. لذلك يمكن القول فعلاً إن هناك تحوّلاً يجري عبر العالم كله، وهو يتزامن مع اقتراب برج الدلو.

لطالما تميز برج الدلو بالإشارة الهوائية، وعلاقته برياح الربيع التي تجلب الغيوم المحملة بالأمطار؛ إنها إشارة إلى هذا الوقت الحالي، فصل الأمطار في تلك الدول التي نشأت فيها الأبراج الفلكية البابلية القديمة، في بلاد ما بين النهرين مثلاً. تهبّ في هذا الوقت رياح تجلب معها أمطار الشتاء من البحر. ولاحقاً يأتي الربيع ودليل الغمر الأول، سيكون برج الحوت، ومن ثم يأتي برج الحمل، الخصوبة الأولى والبراعم الأولى، فالحمل المندفع هو دفع الأوراق الخضراء الأولى. والآن، برج الدلو، باعتباره إشارة الريح، هو إشارة هوائية طبعاً، إشارة الحركة الروحانية والأجواء والاضطرابات الجوية. والأهم من ذلك كله أن علم التنجيم الحديث ربط كوكب أورانوس ببرج الدلو، وأورانوس هو كوكب الحوادث غير المتوقعة، الكوكب ذو الكهربائية الشديدة التي تسبب عواصف رعدية وأحداثاً غير منتظمة وغير متوقعة.

إن اختيار الصليب المعقوف الأسود تحوّل نحو اليسار، وقد عبّر الألمان بالتأكيد عن حركة تراجعية بعدة طرق. أولاً، الصليب المعقوف هو رمز الشمس الوثني على الرغم من اكتشافه مع بداية المسيحية في سراديب الموتى مثلاً، ويعني في هذه الحالة أنه كان من مخلّفات الوثنية. كما تم العثور عليه في أرجاء الأرض كلها؛ إنه رمز الشمس القديم للغاية. ثانياً، إنه حركة تراجعية، وثالثاً هو باللون الأسود، لون الشيطان. تلك ارتدادات إلى القديم، إلى مسار اليد اليسرى، وهي جانب اللاوعي القاتم. لذلك يمكن القول إن الشمس تحوّلت إلى شمس مضادة، شمس للأسفل وليس للأعلى، شمس قاتمة وليس شمساً متألقة، وهي لا تسير مع عقارب الساعة بل عكسها. إنه ثورة ضدّ المسار القديم للأشياء، مما يعني توقف التقدم: هناك نكوص. والناس يسألون: ماذا عن الجامعات الألمانية، ماذا عن التقدم

المستقبلي للعلم والعدالة والجودة والحقوق الديمقراطية؟ أصبح كل شيء موضع شك. ذهبت التجارة الدولية أدراج الرياح، وكذلك حال جميع القوانين التي تقدّم تعاملات دولية لائقة. تستطيع طبعاً أن تُعيد التضخّم الألماني إلى بؤس الناس الهائل بعد الحرب، لكنك لا تستطيع أن تفسّر لماذا أنزلت أمريكا معيار الذهب؛ تلك جريمة، سرقة عامة قاتمة تماماً مثل الصليب المعقوف.

السيدة سيغ: أظن أن بإمكاننا التقاط أفكار أكثر تفاؤلاً حيال ذلك. فالراية التي لدينا في بروسيا كانت سوداء وبيضاء، وكانت راية الرايخ الأول سوداء وبيضاء وحمراء؛ وبالتالي نسبة اللون الأسود في الراية أصبحت أقلّ، وأصبح الشكل أكثر تمايزاً.

الدكتور يونغ: لكننا لسنا قضاة هنا؛ بل نقدّم ببساطة بيانات توضيحية. تعرفون جيداً أنه ليس هناك شيء شرير لدرجة أنه لا يمكن أن يخرج منه شيء جيد. يمكننا فقط أن ننظر إلى الأشياء كما هي الآن، بالطريقة التي تبدو عليها من الخارج. ولو أن بإمكان المرء أن يدخل إلى عقل روزفلت، أكون واثقاً تماماً من أنه لا يبدو بهذا الشكل؛ لا بدّ أنه فكر كثيراً بالصفقة الجديدة، والأمر نفسه ينطبق على ديفيد لويد جورج من دون شك. ولا يسعنا سوى الاعتراف بأن الفاشية قد قدّمت شيئاً من الخير لإيطاليا؛ إنها بلد مختلف تماماً. وهناك الكثير من الناس، والأجانب (يميل الألمان أنفسهم لأن يكونوا منحازين) الذين شاهدوا وأشادوا بما حدث في ألمانيا، وحتى في روسيا، على أنه غاية عليا. لذلك من الصعب للغاية أن نحاكم. فمن جهة أولى تبدو الأشياء إيجابية، وتبدو من جهة أخرى سلبية تماماً.

السيدة سيغ: إذا أردت القفز عالياً عليك أن تتراجع قليلاً.

الدكتور يونغ: يعتمد الأمر على ما إذا كنا نعطي الثقة لنشاط السباق الأوروبي أم لا. ثمة *تراجعات* في التاريخ لم تحدث بعدها قفزات أفضل، فالرومان لم يقفزوا للأعلى بعد أن سقطت روما. وإذا فكّرنا أيضاً بمصر وبابل وآشور – كلها إمبراطوريات عظيمة! لكن طالما بقي النشاط في السباق، فالتراجع هو بالتأكيد من أجل تحقيق قفزة للأعلى.

الدكتور إيشار: إذا كان المرء في نصف الكرة الجنوبي، فالشمس تسير بالطريقة العكسية.

الدكتور يونغ: نعم، جنوب خط الاستواء، لكنها تسير دوماً مع عقارب الساعة من وجهة نظرنا. ولا ينبغي أن نكون متنوّرين للغاية حول مسائل كهذه. هذا المسير باتجاه عقارب الساعة نسبي طبعاً. إذا وضعت نفسك في القطب الجنوبي، أو في كيب تاون، فهي تتحرك بالطريقة العكسية بشكل طبيعي. أو إذا أدرت ظهرك للشمس، فهي تسير بالطريقة العكسية أيضاً. لقد ابتُكِرَت هذه الأشياء كلها شمال خط الاستواء؛ وهذا التصريح صحيح فقط ضمن نصف الكرة التي تم ابتكاره فيها.

وصلنا الآن إلى السؤال الثاني، وهو من السيدة باينز: "هل من الممكن تحديد الرابط بين الروح و(*1*) النموذج البدئي، (*2*) اللاوعي الجمعي، (*3*) الذات؟ أم علينا التفكير بالروح باعتبارها متغيراً سيكولوجياً يمكننا فهمه من خلال آثاره علينا، لكنه يصدّ كل المحاولات لربطه بأية ظاهرة يمكننا مراقبتها في النفس؟"

يلامس هذا السؤال مشكلة شديدة الحساسية، ومن الصعب جداً توضيحها؛ إنها أساساً قضية تعريف كما تعلمون. لدينا فكرة محددة تقليدية عن الروح؛ الروح في الأصل هي "*pneuma*" التي تعني الريح أو النَفَس أو نفخة هواء أو دخاناً أو ما شابه، لذلك فهي شيء شبه جوهري. ومن الواضح جداً أنها وجهة نظر قديمة. ويمكن ضمن نطاق العقيدة

الدينية تطبيق الفكرة القديمة عن الروح أو "*pneuma*" بسهولة تامة. يمكن للمرء أن يتخيّل أن نعمة الله هي شيء شبه جوهري، كالنار التي هبطت من السماء في أعجوبة عيد العنصرة. لكن عندما نبحث عن الفهم السيكولوجي للروح على المرء أن يضع نهاية لهذه الأفكار كلها ثم يواجه ضرورة وضع تعريف مناسب لهذه الظاهرة السيكولوجية المسماة "الروح". إن الكلمة الألمانية المقابلة للروح هي "*Geist*"، والتي تعني أصلاً نوعاً من "الفوران – *effervescence*"، كما قلت لكم الأسبوع الماضي، أو حالة من "التدفق، الغليان، الاندفاع". وربما كان لكلمة "*geyser*" التي تعني "نبع ماء حار، أو مرجل تسخين"، علاقة بالكلمة الألمانية "*Geist*"، لأنه من خلال البحث عن أصل هذه الكلمة، نستطيع العصور على جذرها في الكلمة الغنوصية "*usgeisjou*"، والي تعني "الفوران أو الاندفاع أو الغليان"، تماماً مثل الكلمة السويسرية "*uf-geiste*". وهذه الكلمة مطابقة للكلمة الفرنسية "*énervé*"، التي تعني "يغضب، ينزعج"؛ أي ينزعج المرء ثم يغضب، وقد يحدث الانفجار في أية لحظة. فالناس الممتلئون بالروح يشعرون بالإثارة – يتحدثون ويومئون كثيراً. وبعد معجزة عيد العنصرة، قيل إن التلاميذ بدوا وكأنهم ثملوا بنبيذ لذيذ.

وهكذا فإن كلمة "*Geist*" تصف بشكل محدد حالة نفسية أكثر مما تفعل كلمة "*spiritus*"، أو نَفَس؛ والكلمة الإغريقية "*pneuma*" تعني الريح أو نفخة دخان أو ما شابه، وهي في الشعائر الدينية اللاحقة تعني "روحاً"؛ كما أن الكلمة اللاتينية التي تصف العقل والروح و"*animus*"، هي ابنة عم الكلمة الإغريقية "أنيموس – *animos*" أو مطابقة لها تماماً، وهي تعني الريح ببساطة. هذه الكلمات موضوعية للغاية، وهي تعاريف موضوعية أو تجريدية أو تصف حالة نفسية؛ بينما الكلمة الألمانية "*Geist*" البدائية جداً تبقى عالقة في الظاهرة النفسية، وتصف حالة شعورية. إذاً وفقاً

لتاريخ هذا المفهوم، علينا أن نفترض أن ظاهرة الروح أو "*Geist*" هي تعبير غريب لديه في الوقت ذاته عواطف ومحتويات فكرية أو عقلية، - إنه إدراك مكثف ممزوج بالعاطفة. فعلى سبيل المثال، يكون الكشف المهم أو الإلهام (الذي له علاقة بالتنفّس) عبارة عن "*Geist*"، ويكون المعنى الحقيقي إضاءة أو استنارة مصحوبة بنفخة عنيفة من العواطف. يوحي هذا كله بشكل من أشكال التجارب الغامضة، وجميع أشكال "*Geist*" الأخرى مشتقّة بطريقة أو بأخرى من هذه الحالة.

وعلى أية حال، انحدر هذا المفهوم أخيراً إلى ما يمكن أن نسميه "عقلاً" أو "فكراً" فلم يعد يُعتبر تجربة غامضة، بل أصبح الآن وظيفة الإنسان ومهمته. عندما يختبر الإنسان مهمته باعتبارها حدثاً موضوعياً، تُستخدم كلمة "*Geist*" بمعنى "الإلهام أو الروح. ويطلق على الشيء نفسه المستخدم كوظيفة "عقلاً" أو "فكراً"؛ هو لم يعد روحاً. الروح هي حدث تلقائي موضوعي؛ وليست شيئاً يمكن للإنسان أن يفعله. شيء له تأثير قوي لدرجة أن على المرء أن يُبقي على كلمة "*Geist*" من أجل لحظات نكون فيها بحالة "فوران"، أو حالة ارتفاع وسمو. إذاً بالتعامل مع كلمة "*Geist*" باعتبارها تسمية أو مصطلحاً لحالة كهذه، يجب أن تكون مسألة فكر أو قول أو رأي يكون أكثر كثافة في الوقت الحالي من الوعي الذاتي للمرء. يجب أن تكون محتوىً مستقلاً يمسك بالمرء. هذا يتوافق مع استخدام كلمة "روح" في حالات معينة. يقول أحدهم مثلاً: "لم يتم ذلك وفقاً لروح والدك الراحل. أو "هذا لا يتوافق مع روح حركة سياسية أو دينية معيّنة". وهذا يعني أن المرء مقود بمبدأ أو فكرة فائقة تتعلّق بوالده أو بالكنيسة أو بالأب أو بفكرة مسيحية أو سياسية معينة. فعبارة "روح الاشتراكية الوطنية" تعني موقفاً عاماً تسببه أفكار مركزية معينة أو شعارات أو أي شيء آخر، أي فكرة عامة لها أثر المبدأ التوجيهي. ويمكن للمرء أن يستخدم هنا مصطلحاً

سيكولوجياً هو "فكرة أو وجهة نظر توجيهية - *eine führende Obervorstellung*". وهذا أيضاً "*Geist*"، لكنه مرتبط دوماً بفكرة مفروضة أو مبدأ فائق له أثر موجّه أو أثر الإجبار على فعل الشيء.

إذا أخذنا كلمة "*Geist*" بهذا المعنى، نستطيع أن نربطها بسهولة بالنماذج البدئية طبعاً: يمكن للفكرة النموذجية البدئية أن تكون القوّة الموجهّة، والحقيقة السيكولوجية الاستثنائية، أو المحتوى الذي يجبرك على طريقة أداء معينة. وهي أيضاً اللاوعي الجمعي الذي يكون مثل النموذج البدئي عملياً؛ لأنه عندما يجبرك نموذج بدئي على التصرّف بطريقة معينة، تكون بالطبع تحت سيطرة اللاوعي الجمعي أو خاضعاً لتأثيره. وهو "الذات" أيضاً، لأن الذات تعمل من خلال النماذج البدئية واللاوعي الجمعي، وتكون الذات في الوقت نفسه العامل والهدف الأكثر قدماً. ولهذا علاقة وثيقة باللازمنية الغريبة للاوعي الجمعي، حيث الشيء الأقدم هو الشيء الأحدث، أو هو المستقبل – أو الذي لا زمن له على الإطلاق. إن اللاوعي الجمعي أساس الحياة وحقيقتها الأبدية، وهو الأساس الأبدي والهدف الأبدي. هو بحر لا نهاية له، منه نشأت الحياة وإليه تتدفّق، ويبقى ذاته إلى الأبد. وهذا يتم التعبير عنه طبعاً بمصطلحات التوقعات الفلسفية. فليس لدينا وسائل لإثبات شيء كهذا، لكن تلك هي الطريقة التي يظهر بها اللاوعي الجمعي بالنسبة لنا. لذلك يمكن القول إن علاقة الروح بالنماذج البدئية، وباللاوعي الجمعي، وبالذات، واضحة تماماً وجليّة إذا فهمنا الروح على أنها موقف يتميز بحقيقة أن المرء هو عبارة عن "أنا" خاضعة لسيطرة فكرة موجّهة.

السيد أليمان: أليست الروح بالأحرى طاقة كامنة خلف كل شيء؟

الدكتور يونغ: إنها القوة العاطفية.

السيد أليمان: إنها ليست فكرة بحد ذاتها إذاً، بل الطاقة الكامنة خلفها؟

الدكتور يونغ: تماماً. ولهذا قلت إنها يجب أن تكون فكرة وعاطفة في الوقت ذاته؛ وإلا فليس لديها طاقة.

السيد أليمان: إذاً ليس علينا أن نقول "روحاً"؟

الدكتور يونغ: لكن عندما يقول الناس "*Geist*"، فهي لا تعني أي شيء؛ تكون بمنتهى العجز!

البروفسور ريكستين: أليس الشبح فكرة أكثر بدائية من الروح؟

الدكتور يونغ: نعم، والشبح أيضاً مشتقّ من فكرة الريح.

الدكتور ريكستين: الشبح الشخصي شيء ملموس، بينما تكون الريح تجريدية.

الدكتور يونغ: ذلك أشبه بالفكرة البدائية: آخر شيء يغادر الجسد هو الروح، وآخر إشارة على الحياة هي آخر نَفَس، ذلك النَفَس يحمل الروح إلى الفضاء حيث تتحوّل إلى شبح. والشبح، وفقاً لما فسروه لي، ليس سوى "نفخة ريح"؛ لا يمكن للمرء أن يرى الأشباح لكنه يشعر بها، والشبح القديم هو إله الليل الذي ليس له شكل، وصانع الخوف. لقد وصفوه بشكل درامي وكأنه نفخة ريح مفاجئة تجعل المرء خائفاً جداً لدرجة قد يموت من الخوف. ثمة حقيقة غريبة مفادها أنه بالمعنى الروحاني، غالباً ما يلاحظ المرء قبل أن يحدث شيء ما مباشرة، تياراً هوائياً بارداً، بالإضافة إلى رائحة هواء منعش.

نصل الآن إلى السؤال الثالث، وهو سؤال للآنسة حنّة: "عودة على ما قلته في المرة السابقة عن اللوغوس والفرق بين الروح والفكر، أودّ أن أعرف كيف نستخدم كلمة ***لوغوس*** على أنها مبدأ اللوغوس؟

السؤال عن تعريف مفهوم اللوغوس، ويجب أن أعيد الآن ما قلته سابقاً: إنه ليس مفهوماً علمياً بل هو مفهوم حدسي: عليك أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار. هناك مفاهيم سيكولوجية قامت على منطق الحقائق، حقيقة النمط الانطوائي مثلاً، أو مفهوم الليبيدو، وهي فعّالة بطريقة ما. يمكنك أن تجعلها واضحة. في حين أن المفهوم الحدسي هو محاولة لفهم هذا المبدأ وصياغة مؤقتة له: يكون أحياناً مجرّد رمز لشيء لا تعرفه. تماماً كما لا يخلق النموذج الحدسي حقيقة بل يخلق شبح الحقيقة. والآن إذا صادف أن كان الشخص حدسياً، فسوف يرغب بالتعامل مع نتائج حدسه على أنها حقائق طبعاً. أنت مثلاً تستخدم منظارك الحدسي وتحدّق بقمة جبل، وترى هناك حجراً صغيراً، وتفترض حينها أنك كنت على قمة ذلك الجبل. لكن من الغريب أنك تترك أثراً هناك – علبة معدنية مثلاً – وعلى الرغم من أنك لم تكن هناك، فقد أفسدت المشهد من أجل ذلك الإحساس الضعيف بالتسلّق إلى الأعلى. لم يكن هناك أحد: وقد أطلقت العلبة المعدنية إلى هناك من خلال منظارك وحسب. وأستطيع أن أخبرك قصصاً أخرى عن الحدس؛ وهي ليست الأسوأ على الإطلاق. وأذكرك أنها ليست كاركاتور؛ أنا ببساطة أروي حقائق "باراسيكولوجية".[1] الحدس أشبه بكتلة جليد متدلية يمكن أن تنطلق دون ملاحظة السبب الذي أدى إلى ذلك، فربما يكون ألماً شديداً في معدة الضحية. الحدس ليس عبارة عن لا شيء إطلاقاً، لكنه ليس حقيقة يفترض الكثير من الناس بأنها موجودة؛ يقولون إنهم يعرفون كل شيء عن أمر ما لكنهم لم يلقوا عليه ولا حتى نظرة خاطفة. ربما كان الرأي صحيحاً؛ إذا كنت متفائلاً تكون لديك فرصة النصف تقريباً، لكن غالباً ما يكون المرء مخطئاً بنسبة خمسين بالمئة. الحدس لا

---

[1] دراسة الظواهر النفسية التي لا يمكن تفسيرها من خلال علم النفس العادي كحالات التنويم المغناطيسي والتخاطر وغيرها. المترجم

يساوي شيئاً إذا لم يكن لديه نتائج إيجابية، ولا تكون النتائج إيجابية دوماً. ثمة أمر واحد مؤكد؛ إذا كان لديك حدس بأمر ما، فأنت لم تكن هناك. ولا يزال عليك أن تشقّ طريقك.

وهكذا فإن مفهوم الحدس مجرد طلقة على شيء لا يمكن أن نفهمه أو نصوغه بطريقة أخرى غير ضربة حظ؛ هو أشبه بمحاولة إصابة الخيط الفضي الشهير المتدلي من سحابة. أنت لا تراه بين الغيوم، لكنك تستهدفه وربما تصيبه بسهمك. هذا هو الحدس. ومع ذلك فهو مفهوم ضروري ولا يمكن تجنّبه؛ لكنه ليس شيئاً مرحّباً به فعلاً. كما أنه مربك دوماً لأنه فخ لنفسك ولذكائك؛ فأنت تعلق في الفخ بهذه الطريقة. سيأتي أحدهم بالتأكيد ويسأل: "ما الذي تعنيه تماماً بتلك الفكرة؟" لقد ورّطت نفسك، لقد تحدثت بملء فمك عنه؛ وقلت لوغوس وإيروس وظن الجميع أنك تعرف ما الذي تتحدث عنه. وها أنت ذا! تتأتئ لأنك لا تعرف. فمن غير الممكن شرح اللوغوس إلا برفقة ابتسامة اعتذار. هذا كل ما يمكن فعله. اللوغوس، إذا كنت مطبوعاً على حب الخير، يجب أن يكون كذا وكذا.

أعطني مثلاً تعريفاً للإيروس. قد يكون لديك حدس معين لكنه لا يوضح الأمر. لذلك يسأل المرء نفسه: "ماذا يجب أن أقول عن اللوغوس؟ أقرب ما يمكن أن أصل إليه هو أنه سمة معينة غريبة في كينونة الإنسان تقوده للتمييز، للمنطق، للحكم، للتقسيم، للفهم بطريقة معينة". ولا يمكن للمرء أن يفهم كل ذلك دون التفكير بنقيضه، دون التفكير بمفهوم إيروس حدسي مكافئ يكون حينها مبدأ وجود صلة، ورؤية الأشياء وجمعها معاً وتشكيل رابط بينها، دون محاكمتها ولا النظر إليها بصورة بل جذبها أو صدّها. هذا هو الإيروس. وكما ترون، إنه شيء ليس له ساقان أو قدمان أو يدان أو رأس أو أي شيء آخر: هو عاجز تماماً. إنه وجهة نظر حدسية لا يمكن أن تهبط إلى الأرض. طائر يحلّق أو حمامة على سطح؛ ومبادئك

العلمية أو الفكرية عبارة عن عصفور في اليد. يمكن للحمامة الواقفة على السطح أن تطير في أية لحظة؛ ومع ذلك، فهي حقيقة. لذلك يوجد في الإنسان شيء لا يمكن تحديده ولا يمكن استيعابه بهذه الطريقة أو تلك. فاللوغوس هو محاولة للفهم، وهو تمييز لسمات معينة تبدو وكأنها سمات عامة في الإنسان.

يتضمن اللوغوس أيضا فكرة الكلمة؛ "*legein*" والتي تعني "الكلام". وهي سمة أخرى مميزة للرجل الذي يصرّ على تأييد فكرة معينة وتصنيفها ومنحها اسماً وتحويلها إلى مفهوم والتعبير عنها، بينما يمكن للنساء المميزات أكثر بالإيروس أن يدعن الأشياء كلها *معلّقة*؛ ليس من الضروري للأشياء أن تُقال. يقول الرجل: "لماذا لم تقولي ذلك؟" لكن المرأة لا تحتاج إلى قول ذلك، ولا تفعل ذلك غالباً. أو تقول شيئاً آخر، ويكون الرجل مقتنعاً دوماً أنها قالت تماماً الشيء الذي لم يكن ينبغي قوله، لأنه وبحسب رأيه، هي لم تقصد ذلك الشيء ولم تضع إصبعها عليه، ولم تصغه بكلمة. لذلك تكون فكرة الرجال عن النساء، أو عن طريقة كلام النساء، أنهن يمارسن النميمة وهن يحتسين الشاي بعد الظهر، والكلام المعقّد والطريقة الغامضة غير المباشرة في الكلام. وإذا تابع الرجل باهتمام محادثة من هذا النوع، يرى أنها تشبه عنكبوتاً ينسج شبكة، تربط الأشياء بخيوط سرية، وتسقط ذبابة في شبكتها بشكل مفاجئ، وتتساءل كيف وصلت هذه الذبابة إلى هنا. إن كلام النساء، باعتباره طرقاً ملتوية، لا يتضمن كلمات بل شباك عنكبوت، ولديهن غايات مختلفة عن غايات الرجال. هو يعني: "تباً لك، هذه كرسي وليست مسند أقدام". هذا مثير بالنسبة إليه؛ هو يرسخ هذا العامل المميز الخاص. لكن ذلك لا يثير اهتمام المرأة: إذا لم تكن تلك كرسي فهي مسند أقدام، ويمكن للمرء أن يجلس على مسند أقدام إذا لم يكن هناك كرسي. وكما اعتاد عمي أن يقول: "لو لم يبتكر الرجل ملعقة لتحريك الحساء،

لبقيت النساء يحركن الحساء بعصا". فهذا لا يشكل قضية كبيرة بالنسبة للنساء. المهم فقط تغطية الاختلاف أو تحقيق ارتباط؛ ينبغي تشكيل رابط بينهما، وذلك هو نسج المؤامرات.

يتشكل الذهن الطبيعي للمرأة من حياكة المؤامرات. وهذه ليست نكتة بل حقيقة. وليست تشهيراً بالنساء. الأمر هكذا وحسب: هنّ ينسجن في أذهانهن شباك عنكبوت، خيوطاً تصل من هنا إلى هناك لوصل النقاط. وفي النهاية، تضع المرأة نفسها في الشبكة أيضاً؛ هذا عمل خطير جداً. كانت كثير من النساء اللواتي قمن بحياكة مؤامرة هنّ أنفسهن الذبابة التي وقعت في الشبكة العنكبوتية. إنهن عناكب طبيعية لأن باستطاعتهن اكتشاف الروابط، وهذا هو الإيروس. لكن تفسيراً كهذا يجب أن يكون توصيفاً شاعرياً فعلاً لكي يكون مقنعاً. ويمكن تفسير المبدأ الحدسي تماماً على يد شاعر وليس على يد عالم. فالعالم ذكوري جداً لدرجة أنه لا يستطيع إعطاء توصيف له. وهكذا فإن الرجل، ومن أجل أن يكون واضحاً، غالباً ما يبتعد عن الحياة؛ هو لا يفهم وظيفتها الحية. وفقط في فترة متأخرة جداً من الحياة، يستطيع أن يصل إلى فهم عن التجمعات الطبيعية أو التكوين الطبيعي. على سبيل المثال، قام "لينوس العجوز" بتأسيس نظام نباتي – العديد من البتلات، والعديد من الأجزاء والأقسام وما إلى ذلك – يُصنّف فيه كل شيء وفقاً لنظام حسابي جامد وصارم تقريباً.[1] لكن انظر إلى طريقة علماء النبات المعاصرين الآن في تجميع النباتات بشكل طبيعي في عائلات: يراقبون حياة النبات في مجموعات تكافلية طبيعية. إنها مجموعات طبوغرافية. تكون النباتات في مجموعات

---

[1] كارلوس لينيوس (1707-0775)، عالم تصنيف نبات سويدي.

تكافلية حية مع الصخور التي تنمو عليها، ومع النباتات الأخرى والحيوانات أيضاً. لكن ذلك حصل مؤخراً جداً؛ أصرّ العلم في البداية على وضع خطوط مستقيمة في الطبيعة من خلال القوانين الحسابية. هذه هي الشخصية المميزة للوغوس.

لو أصبح هذا الموضوع مجال المرأة، وطُلِبَ منها وضع نظام تصنيف للنباتات، لحاكت بطبيعة الحالة مؤامرة كبيرة حولها: كيف يتطفّل هذا النوع من الأزهار على نوع آخر وما إلى ذلك. سيكون الأمر رومانسياً. ستعمل على مزاوجة الأنواع، أو جمع ما تراه سيئاً منها معاً، وتقول إن هذه التافهة أتت من زهرة أنثى من هذا النوع أو ذاك. من المؤكد أنه كان هناك عائلات طبيعية منذ البداية. وستؤخذ بعين الاعتبار وجهة النظر الجينية التي لن يكتشفها الرجل إلا بفترة متأخرة جداً، لأن غريزة علم الأنساب عند المرأة هائلة للغاية – من هو حفيد من؟ من هي أعظم حفيدة لهذا الصنف؟ هذا عنصر هام في المحادثة الأنثوية، وهو تطبيق آخر للمبدأ ذاته. وهذا لا ينطبق طبعاً على محادثات النساء اللواتي يتمتعن بعقول عظيمة ويجتمعن معاً! – بل على محادثات النساء العاديات. لطالما تم إبلاغهنّ عن عالم رجل مختلف بالكامل عن عالمهن؛ عالم غريب بالنسبة لهذا النوع من العقول، كما هو عالم المرأة غريب بالنسبة إلى الرجل. هو ببساطة لا يرى أي شيء في هذا المجال. لذلك كان "أناتول فرانس" محقاً تماماً إذ قال: عندما يعمد الرجال إلى حل مشكلة، عليهم استدعاء امرأة قديسة ذكية لحل هذا اللغز، ولفكّ رموز هذه المشكلة الصعبة؛ يمكن قراءة ذلك في كتاب مثير يحمل عنوان "جزيرة البطريق - *L'Isle des Penguins*".[1]

---

[1] لمعلومات عن أناتول فرانس راجع أعلاه محاضرة 13 حزيران – يونيو 1934.

اللوغوس إذاً هو مفهوم حدسي يعطي مبدئياً مجالاً واسعاً من تجربة القدرة على المراقبة التي لا يمكن تلخيصها بأي شكل معروف؛ فمع عدم وجود أشكال يمكن أن تفهمه فيها، يكون هذا أقرب ما يمكن الوصول إليه. ويسعدني قبول أية فكرة أفضل لدى أي منكم، لكنني لا أعرف ما هو أفضل. على المرء أن يتعامل بحذر شديد مع مفاهيم من هذا النوع. ولا بدّ أن أنصح بعدم استخدام هذه المصطلحات بشكل كبير لأنها بمثابة فخ. وبهدف الإيجاز أحياناً، على المرء أن يستخدمها، ومع أنك تعرف ما كنت أعنيه بها إلا أنني لم أقل سوى بضع كلمات. لكن يجب أن تعرف أي تجربة تلك التي تقف خلفها.

لقد أمضينا الوقت كله تقريباً على تلك المفاهيم، لكننا كنا بحاجة له لتوضيحها. يقول المقطع التالي من خطبة زارادشت:

" ما يشعر به الحسّ، وما يميّزه العقل لا هدف له بحد ذاته. لكن يحاول الحسّ والعقل إقناعك بأنهما غاية الأشياء كلها ومنتهاها: إلى هذا الحد يصل بهما الغرور."

إلام يشير ذلك؟

السيدة باومان: في هذه الترجمة، نقل كلمة "*Sinn*" بمعنى "العقل، هل هذا صحيح؟

الدكتور يونغ: إنها تعني الحسّ أيضاً مع الأسف، وكلمة "*sense*" ليست مطابقة بالتأكيد لكلمة "عقل". إنها بالتأكيد ما نسميه "حدس". وكلمة "*Sinn*" يمكن ترجمتها أيضاً على أنها "المعنى"؛ لقد ترجم "فيلهيلم" "التاو" بمعنى "*Sinn*" مثلاً بينما أطلق الآخرون على التاو اسم "المعنى".[1] إن كلمة

---

[1] قدّم ريتشارد فيلهيلم كتاب "I Ching" أو "كتاب التغيير" لكارل يونغ، وثبت أنه كان كتاباً أساسياً في أعمال يونغ: انظر "مذكرات وأحلام وأفكار"، الملحق الرابع. ولمعلومات عن فيلهيلم عن التاو باعتباره "Sinn"، انظر أعلاه محاضرة 31 تشرين الأول – أكتوبر

"*Sinn*" تعني غالباً "*Gemütl*"، وكلمة "*Gemütlichkeit*" هي بالتأكيد المشاعر العاطفية التي اختلطت مع "الإحساس - *Empfindung*" بسبب غياب التميز، وهكذا دخلت سمة الإحساس هنا أيضاً. وهذا يعود إلى أن وظيفتي الشعور والإحساس ليستا متمايزتين كما ينبغي في العقل الألماني؛ يرى المرء ذلك في كل مكان بشكل واضح. إن "*Gemütl*" أو "*Gemütlichkeit*" عبارة عن خليط لا يُسبر غوره من الأحاسيس والمشاعر والعواطف. وقد حبلت كلمة "*Gemütlichkeit*" بكل أنواع العناصر والروابط؛ تنبعث منها رائحة البيرة والتبغ والدم والنقانق ومخلل الملفوف. ثمة أشخاص يجلسون حول الموقد في غرفة دافئة لها سقف منخفض داكن من عبق دخان التبغ، وهناك إبريق قهوة، وهم يشربون ويتحدثون بهدوء في سهرة مسائية جميلة ومريحة. هذه الأشياء كلها مرتبطة، ويجب الإشارة إليها لمعرفة ما تعنيه كلمة "*Gemütlichkeit*". فهي مفهوم بدائي رائع جداً. وليس هناك من كلمة في العالم تحبل بالمعاني بهذه الطريقة كما هي كلمة "*Gemütlichkeit*". من الرائع جداً ما يحدث عندما تقول تلك الكلمة. فهي شمولية وكأنها مانترا؛ وكأنك تستمدّ وقائع. فعندما تقول كلمة "إحساس"، يا إلهي! كلمة هزيلة للغاية؛ لكن عندما تقول "عقل"، يصبح المعنى محدداً جداً؛ وعندما تقول "معنى"، تسأل مباشرة: أي معنى لأنك لا تفهم أي شيء منها؛ لكن إذا قال ألماني "*Gemütl*" أو "*Gemütlichkeit*"، لا يحتاج لأن يسأل ماذا أو أين أو كيف.[1]

1934. وعلى أية حال، السطور الافتتاحية من كتاب "التاو تي تشينغ" تقول إن التاو الحقيقي لا يمكن تسميته.

[1] كلمة "Empfindung" تترجم عادة بمعنى "إحساس" أو إدراك أو مشاعر؛ وكلمة "Gemütl" على أنها "شعور" أو "قلب".

السيد أليمان: هل يكون معناها باللغة الإنكليزية "*homely* – مألوف وعادي" أو "*homelike* – مريح ودافئ"؟

الدكتور يونغ: إنها لا تأخذ هذا المعنى إلى حد كبير. لا يوجد في اللغة الإنكليزية كلمة كهذه. فهي لا تزال كلمة بدائية، وأنا واثق من أنه يوجد في اللغة الروسية، أو أية لغة بدائية أخرى، كلمات تصف حالات مُصطنعة. لا يزال لدى الألمان كلمات قوية، إنهم يُنتجون هذه الكلمات. على سبيل المثال: عندما تجتمع مجموعة من الرجال معاً ولا يكونون مميزين بشيء خاص، وليس هناك نقطة محددة، وينبغي فعل شيء تجاه الحالة يقولون: "*wir wollen gemütlich sein*". هكذا يكون. أحدهم يقول مانترا فيخلق شيئاً ما. لذلك أقول إن لكلمة "*Sinn*" جانباً عاطفياً وهي نوع من "*Gemütl*"؛ لديها جانب يرتبط بالإحساس وبالتالي فهي "*Sinlichkeit*"، ولديها جانب فكري هو المعنى.

السيدة باينز: يبدو لي لو أنه تمت ترجمتها بمعنى "أي إحساس يُدرك" فستتوافق كلمة "إدراك" مع الشعور والفكر.

الدكتور يونغ: نعم، لكان ذلك أفضل.

الدكتور شليغل: أظن أنه في الجملة الثانية، "*Sinn*" و"*Gemütl*" لهما معنى مختلف عنه في الجملة الأولى. المعنى في الجملة الثانية موضوعي، بينما في الجملة الأولى ذاتي.

الدكتور يونغ: لكنه يقول بعد ذلك: "أدوات ولُعب هما الحس والعقل"، ومن الواضح أنه يعني عاملين عقليين. فكلمة روح أو "*Geist*" هنا مطابقة تماماً لكلمة "عقل"؛ "والشعور العقلي" يمكن أن يكون حدسياً؛ أو يمكن أن يكون "*Gemütl*" أو يمكن أن تقول "إحساساً" إن شئت. لكن المهم هنا هو إلى أي مدى تقنعنا بأنها "نهاية الأشياء كلها" أو نهايات بحد ذاتها. هل هي الآن نهايات بحد ذاتها؟ أو إلى أي حد تحاول أن تقنعنا بأنها نهايات؟ هذه هي النقطة الهامة، وهذا هو الهدف من نقده.

السيدة فيرز: إنها تؤدي إلى وحدة معينة؛ يمكن أخذها معاً مرة تلو الأخرى حتى يصلك شعور بأنك وصلت إلى وحدة معينة. هذا ليس صحيحاً تماماً، لكن العقل المادي يفكّر على الأقل بأنها يمكن أن تقودنا إلى الوحدة.

الدكتور يونغ: تقصدين أن العقل المادي يفكر فيها على أنها مبدأ واحد.

السيدة فيرز: نعم، مبدأ الأحادية.

الآنسة وولف: إلى حد ما، الغاية الوحيدة في موقف الناس هي أن يدركوا المعنى أو يصلوا إليه. هذه هي الغاية من الحياة.

الدكتور يونغ: يمكن القول إنه الإدراك أو الإحساس أو العقل أو الفكر أو الروح بالمعنى الميتافيزيقي – تحاول دوماً أن تحرضنا من خلال نتائجها أو بياناتها، على أن الحقيقة المطلقة يمكن إثباتها – وهذا هو معنى الحياة كلها. على سبيل المثال، جعل الفكر العلمي هدف وجوده إثبات حقيقة معينة كما لو أن ذلك هو الهدف الحقيقي للحياة؛ كما يمكن للعقلانية أن تصبح هدفاً للحياة، فإن أشياء أخرى يمكن أن تصبح أهدافاً أخرى تخلق معنى آخر للحياة، وتحاول حثّنا على أن ذلك هو الشيء الوحيد. فكما ترون، عندما يتم تفريق تلك الوظائف أو الأشياء إلى طرق أحادية الاتجاه، عندما تعيش دوماً على وظيفة واحدة، تحصل تلك الوظيفة على أفضل ما لديك، وتصرّ على أن معنى الحياة كله ليس سوى هذا الشيء. لكن إذا كنت تعرف أنك لست متماهياً مع وظيفة معينة، إذا كنت موضوع وظيفتك ولست هدفاً لها، تستطيع عندئذٍ أن تقول إن هدفي كذا وكذا، وتصبح الوظيفة عبارة عن تابع. هذا ما يريد نيتشه تحقيقه. وإذا كنت متماهياً بطبيعة الحال مع وظيفة واحدة، تحاول تلك الوظيفة أن تحثّك على أن بياناتها وحقائقها هي معنى حياتك. لذلك عليك أن ترى أنك سيد وظائفك وموضوعها ولست هدفها.

المحاضرة الخامسة

20 شباط – فبراير 1935

الدكتور يونغ:

لدينا هنا سؤال، وهو ليس سؤالاً تماماً. كاتبة مجهولة وضع توقيعها باسم "السيدة شبكة العنكبوت" هي من أرسلت لي هذه المشاركة: "حضرة البروفسور. اقتراح 'الإنسان الأعلى' بأن الصليب المعقوف الأسود هو دوران الأرض بعيداً عن الشمس يرتبط بالجانب الرباعي الشكل للأرض (طالما أن الصليب المعقوف على شكل مربع) ويرتبط بنقاش كتاب "*I Ching*" الصيني الذي ناقشتَ فيه المربع الصيني على أنه يحتوي حركة – دوّامة. وبما أن الأرض جسد أيضاً، فالصليب المعقوف هو إنسان أيضاً، وهو يرتبط أيضاً ببرج الدلو، حامل الماء. أنا مغرمة أيضاً بذكر "بيغاسوس – *Pegasus*"، مجم وعة النجوم التي تتخذ شكلاً مربعاً، ولها علاقة بالإلهام، ويمكن أن ترتبط برمز الشمس الذهبية. لذلك يتضمن رمز الصليب المعقوف جميع العناصر التي يعالجها كتاب **هكذا تكلّم زارادشت**".

لا يمكن إنكار وجود رابط: ثمة ارتباط متزامن، وعمل "بيغاسوس" إشارة جديرة بالاهتمام للغاية. لكن على السيدة "شبكة العنكبوت" أن تعرف خرائط الأبراج. صحيح أنه يوجد فوق برج الدلو مجموعة نجوم

"بيغاسوس" ذات الشكل المربع، كما أشرت في السيمنار السابق، لكنني لا أرى أنها ترتبط برمز الشمس الذهبية. ولو قدّمت الكاتبة القليل من التفاصيل عن هذه الإيحاءات لكان ساعدنا أكثر في الفهم. هناك العديد من القفزات فيه. فهي تحتوي الكثير من البداهة والحدس الجيد، لكن المزيد كان أفضل.

لا نزال في فصل "عن المستهينين بالجسد". وكنا توقفنا عند عبارة: "*أدوات ولُعب هما الحس والعقل*". كان لدينا مشكلة مع كلمة "*Sinn*" الألمانية. وسأعيد باختصار أن المفهوم الألماني لكلمة "*Sinn*" يتضمن شيئاً من الطباق بربطه مع كلمة "روح"، أي الشيء ونقيضه "*Sinn*" و"*Geist*"؛ يمكن أن نستخدم هنا كلمة "*Gemütl*" للتعبير عن معنى "*Sinn*". كما يمكن القول إن النفس العاطفية والروح، أي "*Seele und Geist*"، تعبران بوضوح عن الكليّة. هو يقول إن هناك أدوات ولُعباً، ويعني بذلك أنها ليست أشياء بحد ذاتها بل تطبيقات أو وظائف أو تأثيرات ثانوية أو ملحقات لأن "خلفهما تكمن الذات". بمعنى آخر، إنها ظواهر أو ظهورات لكيان كامن، والذي يعني حقيقة مؤكدة مطلقة، يمكن العثور عليها في الذات.

في مفهوم الذات ندخل إلى مجال سيكولوجيتنا التي وصلت أيضاً إلى نتيجة مفادها أن مجمل الوجود السيكولوجي للإنسان لا يتكون من الوعي فقط بل من اللاوعي أيضاً. ومن الواضح أن "الأنا"، وهي تجسيد مركز الوعي، لا يمكن أن تكون كل وجودنا السيكولوجي: يجب إضافة اللاوعي لتشكيل المجموع الكامل. وإذا أضفنا اللاوعي إلى الوعي، فإن الوجود المركزي، أو مجموع الاثنين، يكون هو "الأنا البديلة – *alter ego*". لأنه عندما يكتشف المرء اللاوعي يكتشف ذاته أيضاً، لكنه يكتشفها من جانب مختلف تماماً؛ يكتشف المرء ذاتاً أخرى ضمن ذاته. وهذا يؤدي إلى صراع هائل لأننا غير متحدين مع لاوعينا، ومع "الأنا البديلة" التي تشبه الظل؛

كقاعدة عامة، يواجه الإنسان مشكلة كبيرة في قبول الظل، في قبول حقيقة نفي وجوده. لأن الآخر الموجود فينا مختلف تماماً عن "الأنا الواعية" بحيث يمكن القول إنه يرقى إلى "نفي الأنا" ولا سيما عندما يراود الإنسان شكّ حول أيّ منهما يجب أن يكون؛ الظل قوي جداً لدرجة تكون فعلاً بحالة شكّ حول ما أنت عليه فعلاً.[1]

أن تراودك على سبيل المثال أخيولة تتضمن قتلك لعدوك هو أمر كافٍ بالنسبة لأشخاص معينين لافتراض أنهم مجرمون محتملون، وليقعنوا أنفسهم بأنهم أشرار خاطئون؛ ثم يصابون بالإحباط لأنهم يشعرون أن امتلاكهم لشيء لا يتوافق مع مزاجهم لا يعني سوى أنهم أشخاص سيئون. ويميل هذا النوع من الأشخاص للاعتقاد بأن الإنسان الذي يقتل إنساناً آخر أو يسرق أو يكذب عليه هو شخص قاتم ليس فيه أية فسحة ضوء؛ هم بطبيعة الحال لا يسامحون الآخرين على ضعفهم لأنهم لا يستطيعون مسامحة أنفسهم. من مهام التحليل النفسي الأولى أن تجمع الجانبين معاً، وتجعل المريض يستسيغ أنه ليس مجرّد "أنا متألقة" تكون دوماً بأفضل حالة لها، ونظيفة جداً ومعدّة لغرف الاستقبال، بل لها جانب آخر غير مقبول ولا يمكن عرضه في الأماكن العامة. لا تعني حقيقة من هذا النوع أن المزيج كله فاسد؛ بل تعني أن الكعكة لا تحتوي على السكّر فقط بل على القليل من الملح أيضاً، وأن الجوهر الذي تشكّل منه الإنسان بشكل عام له عيوبه. فهو ليس كامل النقاء.

بما أن الإنسان كله شيء مختلف عن "الأنا الواعية" فهذا يستحق اسماً جديداً، وخاصة لأنك عندما تستوعب اللاوعي، تشعر بموضوعية معينة

---

[1] لمعلومات عن تعريف الظل، انظر أعلاه محاضرة 6 حزيران- يونيو عام 1934.

حيال نفسك. لكنك لا تستطيع في الواقع أن تستوعب نفسك وتعيش معها ما لم تفهم نفسك على أنك عبارة عن معطيات؛ أنت حقيقة موضوعية. فإذا افترضت أنك مجرد "أنا واعية"، يبدو الأمر وكأنك أردت حدوث وقائع معينة، أو فعلت أشياء معينة عن قصد؛ لكن لا يمكن أن تنكر أن الأمر يبدو وكأنه حدث لك، وكأنك واجهت تلك الأحداث، أو ربما كما لو أن شيئاً غريباً موضوعياً تغلّب عليك. وهكذا فإذا كنت تستطيع استيعاب ظلك، فسوف تظهر أمام نفسك ليس بالإطار الذاتي بل الموضوعي أيضاً. لذلك عندما تستوعب اللاوعي، تزيد من محيط وجودك إلى مدى غير معروف؛ علاوة على ذلك، أنت تضيف شيئاً إلى كليّة ذاتك التي لا تخضع لسيطرتك: أنت لا تسيطر إلا على ما هو موجود في الوعي.

يبدو الأمر كما لو أنك حاكم أرض لا تعرفها بشكلها الكامل، أو ملك دولة لا تعرف عدد سكانها. أنت لا تعرف ما هي حالتك ولا كيف ستكون؛ تكتشف مراراً وتكراراً أن في بلدك مواقع ليس لديك أية فكرة عن وجودها. لذلك لا يمكنك أن تضع احتمالات بل يمكن أن تقول: "وجدت نفسي حاكماً لهذا البلد الذي أجهل حدوده وعدد سكانه وسماتهم الخاصة". وعندئذٍ تصبح في الحال خارج ذاتيتك، وتواجه حالة تكون فيها أشبه بسجين؛ تصبح في مواجهة احتمالات مجهولة، لأن تلك العوامل التي يمكن أن تخرج عن السيطرة في أي وقت قد تؤثر على كل قراراتك وأفعالك. وهكذا تبدو ملكاً هزلياً لذلك البلد، ملكاً ليس ملكاً فعلاً بل ملكاً يعتمد على الكثير من الظروف والحالات المعروفة التي لا يستطيع المضي قدماً بها برغبته الشخصية. وهكذا، من الأفضل عدم الكلام إطلاقاً عن كونك ملكاً، وكن مجرد أحد السكان الذين لا يملكون سوى زاوية صغيرة من تلك المنطقة ليحكموها. وكلما ازدادت تجربتك، اتضحت رؤيتك إلى أن زاويتك صغيرة للغاية مقارنة بالمدى الشاسع للمجهول الذي يقف أمامك. تحصل

على فكرة جديدة تماماً وهي أن الذات شيء مؤثر للغاية وغريب جداً، وأنك مجرّد جزء منها؛ أنت لا تعرف إلى أية درجة هذا الجزء متناهي الصغر – أو ربما كنت جزءاً كبيراً. لكن عليك أن تفترض بطبيعة الحال موقف شخص أسس مملكته الصغيرة في قارة شاسعة، وهو يجهل تماماً ما يوجد خلف الحدود غير المتمايزة لمملكته الواعية. إذا افترضت أن هذه القارة كلها، التي توجد فيها مملكتك الصغيرة، تحكمها سلطة مركزية، ستكون هذه السلطة المركزية هي الملك الخاص بك أيضاً؛ ستكون موضوع تلك السلطة العظمى المجهولة. وستكون هذه هي الذات كما نراها في السيكولوجيا.

عرفت أن نيتشه لديه مفهوم كهذا لأنني قرأت كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** للمرة الأولى عندما كنت في الثالثة والعشرين من عمري، ثم درسته بعناية فائقة في شتاء (*1914-1915*) ووضعت الكثير من الملاحظات حوله. كنت مهتماً سلفاً بمفهوم الذات، لكن لم يكن واضحاً بالنسبة إلي كيف سأفهمه. إلا أنني كنت أضع علامات معينة عندما أصادف تلك الفقرات لأنها بدت لي فائقة الأهمية. لكنني لم أستخدمها مع ذلك لأن المرء ينسى مفهوم اللاوعي أثناء قراءة ***زارادشت***؛ لا يكون أمامه سوى الوعي. وتكون "*Gemütl*" و"*Geist*" من محتويات الوعي وسماته. وهكذا، كان هناك احتمالات لوقوع الأخطاء التي ارتكبها نيتشه في الواقع، وقد رأيتها حتى في ***زارادشت*** في ذلك الحين؛ أي إنه ساوى بين "الأنا" والذات، وبعدها بين "الأنا" والإنسان الأعلى. تماهت "أناه" مع الإنسان الأعلى كما رأينا، وكان ذلك تجسيداً للذات. لكن الذات أكبر بكثير؛ فمن غير الممكن أن تتماهى معها دون أن تتعرض لخطر التضخّم القاتل. ومن هنا جاءت النهاية القاتلة للقصة كلها – الحجر الذي يُقذف إلى الأعلى يعود ليضرب من قذفه. فلا يمكن لتماهٍ من هذا النوع إلا أن يسبب انفجاراً.

استمرّ مفهوم الذات بعرض نفسه أمامي على الرغم من ذلك. وظننت أن نيتشه كان يعني وجود شيء ما بحد ذاته خلف الظاهرة النفسية. وهذا ما تم التعبير عنه بوضوح في فقرة: "*الذّات هي الأخرى تبحث بعيني الحواسّ، وتصغي أيضاً بأذن العقل*". تستخدم الذات ظواهرنا العقلية والنفسية كوسائل للإقناع؛ أي إن أنفسنا تُستخدم كوسائل للتعبير عن الذات، أو تستخدمها الذات. ورأيت أيضاً ظهور مفهوم الذات المشابه للمفهوم الشرقي؛ المشابه لفكرة "أتمان". ولا أعرف ما إذا كان نيتشه متأثراً بأية قراءات هندية لكنني أشكّ في ذلك؛ يبدو لي وكأنه اختراع أصلي. إن حقيقة وجود لا وعي جمعي يتضمن هذه المفاهيم كلها، ومنه أخذ الشرق مفاهيمه، هو يبرر العثور على العديد من المكافِئات الشرقية في مؤلّفات "مستر إيكهارت" أيضاً، وحتى لدى كانط. أحضرت لكم اليوم نصاً شرقياً يوضح هذه المكافِئات بشكل جميل؛ وهي من ترجمة إنكليزية لكتاب "تالافاكارا الأبنيشاد – *Talavakara Upanishad*"، أحد أجزاء سلسلة "*كتب الشرق المقدّسة*".[1] وسأقرأ "الخاندا – *Khanda*" الأولى:

سأل المريد: "برغبة مَن يرسل العقل أمراً بمهمته؟ بأمر من يتقدّم أول تنفّس؟ برغبة من نلفظ كلامنا هذا؟ هل يوجّه الله العين أم الأذن؟"

أجاب المعلّم: "إنها أذن الأذن، وعقل العقل، وكلام الكلام، ونَفَس النَفَس، وعين العين. عندما يتحرر الحكيم (من الحواس)، ولدى مغادرته هذا العالم، يصبح خالداً.

لن يعود للعين وجود ولا الكلام ولا العقل. نحن لا نعرف ولا نفهم كيف يمكن لأي شخص أن يعلّم تلك الأمور.

---

[1] "كتب الشرق المقدسة – The Sacred Books of the East". تحرير فريدريك ماكس مولر (أكسفورد، 1879 – 1926) خمسون مجلداً، المجلد 39 – 40.

هذا يختلف عن المعروف، وهو أيضاً فوق المجهول، هذا ما سمعناه من أولئك العجائز الذين علمونا ذلك.

ذلك الذي لا يمكن التعبير عنه بالكلام، ومن خلاله يتم التعبير بالكلام، هو وحده العارف كما يعرف "البراهمان"، وليس ذلك الذي يعشقه الناس هنا.

ذلك الذي لا يفكر بالعقل، ويفكّر العقل به، هو وحده العارف كما يعرف "البراهمان"، وليس ما يعشقه الناس هنا.

ذلك الذي لا يرى بالعين، وبه يرى المرء (عمل) العينين، هو وحده العارف كما يعرف "البراهمان"، وليس ما يعشقه الناس هنا.

ذلك الذي لا يسمع بالأذن، وبه تسمع الأذن، هو وحده العارف كما يعرف "البراهمان"، وليس ما يعشقه الناس هنا.

ذلك الذي لا يتنفّس من خلال التنفّس، وبه يتم التنفّس، هو وحده العارف كما يعرف "البراهمان"، وليس ما يعشقه الناس هنا.

ثم هناك فقرة صغيرة في "الخاندرا الثانية":

من لم يفكّر به (أي بالبراهمان)، فقد فكّر به؛ ومن فكّر به لم يعرفه. هو غير مفهوم لأولئك الذين فهموه، ومفهوم لأولئك الذين لم يفهموه.

طريقة الوصف هذه طريقة شرقية طبعاً؛ إنها من أكثر الطرق قدرة على الوصف، وأكثرها مرونة. فكما ترون، ذلك الموجود في الماوراء ويستخدم الأذنين والعينين والعقل هو "البراهمان"، هو الذات، مادة الوجود البدائية التي لا توصف؛ وأولئك الذين فهموه لم يفهموه لكن من لم يفهموه ولا يستطيعون التفكير فيه فقد فهموه. لذلك إذا كففت عن أية محاولة لفهمه، تكون على حق تقريباً، لأن ذلك الشيء لا يمكن التفكير فيه أبداً. لا يمكنك إدراك شيء أنت محتوى فيه؛ يمكن فقط أن تدرك شيئاً يشبهك، وليس شيئاً أضخم منك بكثير، ويحتويك أيضاً. فمن العبث أن تحاول

وصف ذلك الذي يجمع الوعي واللاوعي؛ هو غير قابل للفهم ويتجاوز إمكانية تفكيرنا. نستطيع فقط أن نفترض وجوده من خلال التناقضات؛ إنه موجود وليس موجوداً مثلاً؛ ويُظهر بوضوح أن هذا مفهوم لديه حدودٌ ليس لنا إمكانيات تتجاوزها.

مفهوم الذات هو رمز حقيقي. نحن نستخدم الرمز للتعبير عن شيء لا يمكن التعبير عنه بأية طريقة أخرى؛ في اللحظة التي تجد فيها طريقة تعبير أفضل، لا يعود هناك ضرورة للرمز، ينهار الرمز فوراً عندما تستطيع أن ترى ما بعده. لِمَ تعقّد الأمر وتستخدم التلميح إذا كنت تستطيع أن تعبّر عنه بطريقة بسيطة؟[1] يمكن التفكير بالذات طبعاً بقدر ما تكون متجلّية أو ظاهرة، ويمكن أن تضع لها مخططاً إن شئت. فالشاكراس مثلاً هي درجات الذات، أي هي الذات في تجلّياتها المختلفة. أو لنأخذ مندلا مكتملة تماماً، المندلا التيبتية ذات القبّة رباعية الشكل، أو مندلا "فاجرا – *Vajra mandala*"؛ هي تجريدية بالمطلق. إنها رمز، ومع ذلك يمكن أن تتحدث عنها، ويمكنك تفسيرها. لكن لا يمكنك تفسير ما هي الذات، لأن الذات بحد ذاتها لا يمكن التفكير فيها. لكن الأمر هنا ليس كذلك؛ هي محددة تماماً بالنسبة إلى نيتشه. لقد تعامل معها كما لو أنها قابلة للتفسير، وقد عرّفها بالجسد:

تصغي الذات بشكل دائم وتبحث: تقارن وتُخضع وتستولي وتدمّر. وتسود أيضاً فهي صاحبة السيادة على "الأنا".

هنا يتضح الأمر؛ إنها الشيء الذي يحتوي "أنا" ويجعلها خاضعة له.

يقف وراء أفكارك ومشاعرك يا أخي سيّد ذو سطوة وسلطان، وحكيم غير معروف يُسمّى الذات؛ إنه يقيم في جسدك، إنه الجسد.

---

[1] انظر أدناه محاضرة 20 شباط – فبراير عام 1935.

وهنا يفسّرها ويفشل في ذلك لأنه لا يمكن تفسيرها بهذه الطريقة أو تلك، إنها دوماً "*neti-neti*" (وهي الصيغة الهندية التي تتم ترجمتها عادة على أنها "لا هذا ولا ذاك"). لكنه يعرف أنها الجسد وهذا هو الخطأ؛ إذا طابق بين الجسد والذات، فهو يُدخل الذات في الجسد أو يرفع الجسد إلى الذات، وهو ما يؤدي إلى تضخّم الجسد. فالحقيقة المثيرة للفضول هي أن نيتشه، وبشكل بديهي، رفع من قيمة الجسد إلى هذا الحد. والجسد هام للغاية لكن لدينا هنا مبالغة في التقدير. ومن المثير تماماً أنه أطلق عليه اسم "الرب العظيم" لأن هذه الكلمة مأخوذة بشكل حرفي من نصوص الأبنيشاد وفلسفة التانترا. ففي نظام الشاكراس، يظهر الرب عندما يتطوّر الوعي ويصبح بمستوى "الأناهاتا - *anahata*". وهناك يتم فصل مبدأي الجسد إلى "البرانا - *prana*" والروح، القلب يحتوي نار "*manipura*" من الأسفل، والرئتان تحتويان الجوهر الأثيري الشفاف من الأعلى. وهكذا يظهر فهم الذات على أنها مبدأ التصالح أو التوفيق، "الرب العظيم"، الذي يُدعى في هذه الشاكراس "إسفارا - *shvara*"؛ وتصبح "الإسفارا" في "الأناهاتا" مرئية كشيء صغير جداً في المثلث، الرب، "المعلّم غير المعروف".

إن فهم الذات على أنها المعلّم العجوز هي أيضاً فكرة شرقية. وهناك نص صيني منقول إلى الأعمال الفلسفية اليابانية يقول: "إذا كنت تظن أنك وحدك، وتستطيع أن تفعل ما يرضيك، فأنت تنسى المعلّم العجوز الذي يسكن في قلبك ويعرف كل ما تفعله".[1] تلك هي الذات التي تسكن في "شاكرا

[1] المصدر الصيني هو "وانغ يانغ مينغ" الذي قال: "في كل قلب يسكن معلّم. لكننا لا نصدّقه كما ينبغي، لذلك يبقى كل شيء مدفوناً" (الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 370). ويقتبس يونغ مقالاً أعدّه "تيتسوجيرو" بعنوان "الفلسفة اليابانية، في التاريخ العام للفلسفة – Die Japanische PhilosphieK in Allgemeine Geschichte der Philosphie" تحرير "دبليو وانديت وآخرين" (برلين وليبزيغ، 1912). كما أن تعاليم "وانغ" المبدئية متوفرة باللغة الإنكليزية بعنوان "تعليمات للحياة العملية ومؤلفات

الأناهاتا"، مركز القلب، وهي طبعاً النموذج البدئي للعجوز الحكيم. لأنه بالنسبة إلى الشخص الذي بلغ "*anahata*" فقط،[1] لا يزال النموذج البدئي للعجوز الحكيم يغطي رمز الذات. يبدو الأمر كما لو أن الذات كانت محتواة فيه، كما لو أن "القرينة" تحتوي عند مستوى معين جميع الشخصيات اللاحقة مثل العجوز الحكيم والذات. و"القرينة" بطبيعة الحال "يجب أن تُطاع" وفقاً لعبارة "ريدر هاغارد" العمياء. وتمثل هذه الشخصية التي "يجب أن تُطاع" حكمة الماضي، وهي تفهم الفنون السرّية كلها، وخالدة عملياً، وتحتوي الساحر أيضاً؛ وبقدر ما تمثل هذه الشخصية المبدأ الإلهي تقريباً، فهي تشمل الذات. تبدو جميع هذه الشخصيات النابعة من اللاوعي كما لو أنها تشعّ من خلال الشخصية التي يدركها المرء فعلاً. أحياناً يكون للقرينة جانب خنثوي تقريباً؛ هناك نموذج بدئي للخنثى بين القرينة والعجوز الحكيم، ويأتي ببساطة من أن القرينة تحتوي على المبدأ الذكوري أيضاً. يبدو الأمر كما لو أن لدى القرينة قريناً – يمكن للمرء أن يصوغها بهذا الشكل – لكن القرين هو روح. إنه العجوز الحكيم. إذا كان المرء في مرحلة يمكنه من خلالها أن يدرك شيئاً يتجاوز القرينة، فإن الجانب الأنثوي من اللاوعي يخبو بطريقة ما ويظهر بدلاً عنه

كونفوشية جديدة أخرى – Instructions for Practical Living and Other Neo-Cofucian Writings" ترجمة "وينغتسيت تشان" في كتاب "سجلات عن الحضارة: مصادر ودراسات – Records of Civilization: Sources and Studies, No. 68" (نيويورك ولندن، 1963).

[1] في يوغا الكونداليني، "anahata" هي قلب الشاكرا أو زهرة اللوتس، والتي تمثل مرحلة يرتفع فيها الشخص فوق المستوى المادي. وكما صاغها يونغ في مكان آخر: "لكن في 'anahata' شيء جديد يظهر، إمكانية رفع نفسه فوق السعادة العاطفية ويراها. يكتشف 'purusha' (الذات) في قلبه" (كتاب "ملاحظات على سيمنار الكونداليني"، محاضرة 19 تشرين الأول – أكتوبر، 1932، صفحة 174، نسخة مطبوعة غير منشورة).

جانب القرين الذكوري: العجوز الحكيم الذي يكون الآن منقسماً عملياً لأن المرء يقترب خطوة من ظهور الذات.

يمكن أن تظهر القرينة في "شاكرا الأناهاتا" لأنك تبدأ بالتمييز والحكم في منطقة القلب، حيث تصبح واعياً للشعور. ثم تعرف ما هو لك، وما هو لشخص آخر؛ أنت لا تدرك الفرق في نفسك فقط، بل تعرف أيضاً الفرق بينك وبين الآخرين. وهكذا تكون لديك فرصة في هذا المستوى لكي تدرك القرينة، وتحظى من خلالها بالومضة الأولى عن "الإسفارا – *Ishvara*". المركز الثاني هو "الفيسودا – *visuddha*"، ويقع في الحنجرة في مركز اللوغوس. ويقال في النصوص التانترية إن أولئك الذين يصلون إلى هذا المستوى ينالون قوة الكلمة، وهو عالم العجوز الحكيم. وتحظى في هذا المركز بمظهر الفيل الأبيض، القوة السماوية العظيمة المحتواة أيضاً في "مولدارا - *muladhara*"، المكافئة للأرض، بمعنى أن هناك حكمة تُبقي الأرض معلّقة، وتوازن واقعك بحيث تكون بكل صدق في حالة شكّ حول ما إذا كان هذا الواقع هو ذاتك أم هو مجرّد حجاب. ثم يأتي "الأجانا – *ajana*" حيث تتشكل لديك رؤية واضحة عن الذات. لكن لا تظهر فعلاً إلا في "الساسرارا - *sahasrara*، زهرة اللوتس ذات الألف بتلة، فهي رمز الذات.

يبدو الأمر كما لو أنك تصعد من الأسفل إلى الأعلى، مثل هنود البويبلو البدائيين الذين تسلّقوا الكهوف كلها، والأكثرها ظلمة، حتى خرجوا إلى السطح. تلك ستكون نقطة "الأناهاتا"، في منطقة حاجز الفصل. لقد أتت كلمة "حاجز الفصل – *diaphragm*" من الكلمة الإغريقية "*phren*" التي تعني العقل لأنها تعتبر المستوى الذي يبدأ عنده الوعي؛ يصبح هناك تمييز. إذ لا يوجد في الأسفل سوى *المشاركة* فقط، أو "المانيبورا - *manipura*"؛ تتوافق الكهوف الأدنى من ذلك مع "سفاديستانا – *svadhisthana*"

و"مولدارا – *muldhara*". لكنك ترتفع بعد "حاجز الفصل" إلى مملكة الهواء حيث يبدأ ضوء الذات بالظهور. وهذا أيضاً وفقاً لنص الأبنيشاد الشهير عن "*Yajnavalkya*"، المعلّم في بلاط الملك. بعد حوار طويل يسأله الملك: "عبر أي ضوء يخرج البشر ليقوموا بأعمالهم ثم يعودون؟" أجاب المعلّم: "عبر ضوء الشمس". فسأل الملك: "وبعد أن تغيب الشمس، عبر أي ضوء يخرج البشر ليقوموا بأعمالهم ثم يعودون؟" أجاب المعلّم: "عبر ضوء القمر". ويستمرّ النقاش؛ عندما يغيب القمر، سيخرجون بضوء النجوم، ثم بضوء النار، ولكن بعد أن يخبو ضوء النار أيضاً "عبر أي ضوء يستطيعون القيام بأعمالهم ويبقون على قيد الحياة؟" عندئذٍ أجاب المعلّم: "عبر ضوء الذات" – الضوء النهائي المطلق.[1]

ذلك كله مفقود لدى نيتشه، مما يدلّ على أنه لم تكن لديه معرفة خاصة بالفلسفة الشرقية؛ لو كانت لديه معرفة، لما عمد إلى المماهاة بين الذات والجسد. على المرء طبعاً أن يربط بين الجسد والذات لأن الجسد المتمايز هو ظهور متمايز ثلاثي الأبعاد للذات، ومع ذلك فهو وظيفة كالعقل طبعاً. لا يمكنك أن تقول إن العقل وظيفة من وظائف الذات دون الاعتراف بأن الجسد هو أيضاً وظيفة من وظائف الذات. وإلا فأنت تجعل العقل وظيفة من وظائف الجسد، ثم يصبح المبدأ السيكولوجي شكلاً من أشكال كيماء الجسد. نحن نعلم الآن ما يكفي عن الطبيعة الافتراضية للمادة، لنعرف أن الأمر نفسه من الناحية العملية سواء أقلنا إن الجسد وظيفة من الوظائف السيكولوجية، أو إن الوظيفة السيكولوجية ليست وظيفة أبداً بل مجرد ظهور ثانوي للجسد، ظاهرة ثانوية لأن الجسد هو الظاهرة الأساسية. لكن الجسد أيضاً عبارة عن إضفاء طابع ملموس لذلك الشيء

---

[1] "The *Brihad-Aranyada* Upanishad, Third Brahmana. Hume*, p. 65".

المجهول الذي يُنتج النفس كما يُنتج الجسد؛ إن الفرق الذي يضعه بين النفس والجسد فرق مصطنع. وتم وضع هذا الفرق من أجل الفهم الأفضل. ليس هناك في الواقع أي شيء سوى الجسد الحي. هذه هي الحقيقة؛ النفس هي الجسد الحي بقدر ما يكون الجسد الحي هو النفس: هما الشيء ذاته. سابقاً، عندما كان يقول أحدهم كلمة "جسد" يفترض أنه يعبّر عن شيء ما؛ لكننا نعرف في هذه الأيام أنها مجرّد كلمة.

يتابع زارادشت خطبته:

"ثمّة حكمة في جسدك أفضل من أفضل حكمة لديك. فمن يعرف إذاً ما حاجة جسدك إلى أفضل ما لديك من حكمة تحديداً؟

تسخر ذاتك من "أناك"، ومن قفزاتها المزهوّة. وتقول في نفسها: "ماذا تعني قفزات الفكر هذه وتحليقاتها بالنسبة إلي؟ الطريق الملتوية نحو أهدافي. إنني رسن 'الأنا'، ومن يلقّنها أفكارها.

تقول الذات "للأنا": "اشعري بالألم"، فتتألّم وتفكّر بوسيلة للتخلّص من هذا الالم – من أجل هذا تحديداً ينبغي عليها أن تفكّر.

تقول الذات للأنا: "اشعري بالمتعة!" فتستمتع وتفكّر بوسيلة تعيد إليها هذه المتعة مراراً – من أجل هذا تحديداً ينبغي عليها أن تفكّر.

أودّ أن أقول كلمة للمستهينين بالجسد. إن شعورهم بالاحتقار هو ما يصنع صفة اعتبارهم. لكن ما الذي ابتدع الاعتبار والاحتقار والقيمة والإرادة؟

الذات المبدعة هي من ابتدعت الاعتبار والاحتقار، وابتدعت المتعة والألم. الجسد المبدع هو من ابتدع لنفسه العقل يداً لإرادته."

ما يقوله عن الذات هنا دقيق تماماً؛ فقد ابتدعت الذات الاعتبار والاحتقار لنفسها. هذا الفهم مطابق لفهم الشرق وليس غريباً. لكن فهم

نيتشه نموذجي وعظيم في هذه الحالة؛ إذ يستمدّ أفكاره من مصادر عميقة جداً.

هذا معروف في الشرق منذ زمن طويل؛ لذلك فإن محبّة الله وكراهيته هما الشيء ذاته من الناحية الجوهرية بالنسبة إليهم. وهذا صحيح، لأنه إذا كان الهدف النهائي هو الاهتمام بشيء ما فقط، فليس هاماً ما إذا كنت مهتماً به بحبّ أم بكراهية. لذلك يقولون إنه إذا أحبّ الإنسان الله فسيحتاج لأن يتجسّد سبع مرات ليصل إليه، أما إذا كان يكرهه فلا يحتاج إلا إلى ثلاث مرات. وكقاعدة عامة، يكون اهتمامنا عندما نكره أشد بكثير منه عندما نحب، وفي هذه المقولة الشرقية يدرك المرء هذا النوع من السيكولوجيا. لذلك فإنه من غير المهم للذات ما إذا كنت تحب أو تحتقر؛ فالمهم فقط أن تكون مهتماً.

هنا أيضاً وضع نيتشه مطابقة أحادية الجانب بين الذات والجسد، وهو أمر غير مُرضٍ طبعاً؛ هو يمنح الجسد مَلكات إبداعية لا يمكن أن تكون فيه حتى مع جهود هائلة من المخيّلة. لأننا نعرف تماماً أن الجسد هو وظيفة بيولوجية، بعد أن رأينا كيف يتصرّف في البيولوجيا التجريبية. ليس الجسم هو من يستعيد الأنسجة الميتة في الواقع؛ بل هو مبدأ حيوي غريب يقوم بهذا العمل، ولا يجب تخفيضه إلى مستوى كيمياء الجسد. فعلى سبيل المثال، لا يمكن أن تفسّر كيف يمكن للجسم أن يُنتج من خلال مكوناته الكيميائية الأساسية أنسجة تختلف تماماً عن الأنسجة التي أخذ المكونات منها؛ لكن الوضع على هذا النحو. أجرى العلماء تجربة مثيرة للاهتمام على عين "عظاءة" مثلاً. تمت إزالة العدسات واستبدالها بعدسات عظاءة أخرى في طور النمو. لكن الأنسجة الجنينية التي انتُزِعَت منها العدسات، مختلفة تماماً عن نسيج القزحية الذي تم إنتاج العدسات الجديدة منه، والتي يمكننا تسميتها العدسات الصناعية. وهكذا فإن

نسيجاً معيناً من أنسجة الجسد يمكن أن يستخدمه "الجوهر الحي" في الجسد لإنتاج شيء من نسيج مختلف تماماً. لذلك نعرف أن أنسجة الجسد متمايزة تماماً لدرجة أننا إذا استخدمنا أنسجة غدّة، لا نستطيع أن ننتج سوى أنسجة غدّة؛ يمكنها أن تتضاعف لكنها لن تصبح أنسجة عضلات مثلاً. لكننا نجد أن هذا ممكن في الحياة، ولا يمكن تفسيره من خلال السمات المتأصلة للأنسجة. لذلك تم وضع فكرة "النيوفيتالية"[1] التي لا تزال قيد النقاش؛ على المرء أن يتخيّل نوعاً من "جوهر حي" لديه ملكات استخدام أنسجة الجسد كما يراها مناسبة، وليس اعتماداً على نوعية نسيج معين. وهي أمور لم تكن معروفة في زمن نيتشه، وربما لم يقرأ هذا النوع من الكتب إذا افترضنا أنها كانت موجودة. وهكذا فقد بالغ في تقدير الجسد. بل وجد أن من الضروري القول: الجسد "المبدع"، ويرى المرء في هذا تنازلاً لصالح الجوهر الإبداعي.

"إنكم حتى في حمقكم واحتقاركم تخدمون الذات الكامنة فيكم أيها المستهينون بالجسد. وأقول لكم: إن ذاتكم بحد ذاتها تريد أن تموت وترحل عن الحياة.

لم يعد باستطاعتها أن تفعل ما ترغب به بشدّة: - أن تبدع ما يفوق منزلتها. هذا ما تريده بشدّة؛ وهذا سبب حماسها.

لكن الأوان قد فات على ذلك - هكذا تريد ذاتكم أن تهلك وتضمحلّ، أيها المستهينون بالجسد."

ما معنى هذه الفقرة؟

البروفسور ريكستين: أظن أنه يعني أن هدف الحياة هو الموت، لكن ربما اختلط بذلك شيء من سيكولوجيا نيتشه الشخصية. تشير الجملة

---

[1] نظرية مفادها أنه لا يمكن إنتاج جزيء عضوي من جزيئات غير عضوية، بل يمكن إنتاجه فقط من كائن حي أو بعض أجزاء الكائن الحي. المترجم.

السابقة بطريقة ما إلى مشهد راقص الحبل والمهرّج، وفي هذه الفقرة تحديداً لا بدّ أن يكون هناك كثير من السيكولوجيا الشخصية.

الدكتور يونغ: هكذا تماماً.

الآنسة وولف: ظننت أنها ربما كانت مشكلة تاريخية لعصره. فقبل ذلك، لم يكن الجسد قد اكتُشِفَ فعلاً؛ كان شيئاً مجهولاً، وكان يقف إلى جانب الذات باعتبارها جزءاً مجهولاً من النفس. وهكذا أصبح الجسد ثقيلاً جداً لأنه تغيير يجب أن يتم استيعابه أولاً. ومن ثم هو رمز.

الدكتور يونغ: لأنه كان مجهولاً، وبالتالي كان ملوثاً باللاوعي؟

الآنسة وولف: إلى جانب اللاوعي، ومن هنا حاز على أهميته.

الدكتور يونغ: نوع من الأهمية الرمزية. لكن لماذا يجب أن يكون موتاً؟ فعبارة "وهكذا تريد ذاتكم أن تضمحلّ" تعني الموت.

الآنسة حنّة: إذا لم تعش "الأنا" كما تريد الذات لها أن تعيش، أن تعيش حياتها بشكل كامل، فلا يبدو أن الذات تريد أن تعيش. أعني أنها إذا لم تستطع أن تقنع الفرد بقبول مشكلة أو مهمة فردانية، تبدو وكأنها تريد الموت - كما لو أنها بالقتل تحصل على فرصة لمحاولة جديدة.

الدكتور يونغ: هل يمكنك تفسير ذلك؟

الآنسة حنّة: أظن إنها يئست من الطريقة التي عاشتها وحسب، لقد طفح الكيل.

الدكتور يونغ: أليس هناك من طريقة أخرى؟

السيدة باومان: قبول الحياة يعني أيضاً قبول الموت في دورة الحياة العادية.

الدكتور يونغ: لكنها لا تأخذ ذلك المعنى هنا. هو يقول: "*لم يعد باستطاعتكم أن تبدعوا ما يفوق منزلتكم*". هذا شيء جديد، ويعود إلى عصره. "*لكن الأوان قد فات على ذلك – هكذا تريد ذاتكم أن أن تهلك*

وتضمحل". هو يفترض بوضوح أنه في وقت لاحق، لن ترغب الذات بالهلاك بل بالحياة؛ الآن فقط "أرادت أن تهلك وتضمحلّ".

السيدة فيرز: أليس هذه أيضاً فكرة هندية – الخلق ومن ثم تهديم الخلق؟

الدكتور يونغ: هذا تماماً ما ألمحت إليه السيدة باومان، لكنني أراه مفهوماً أكاديمياً أو فلسفياً للغاية. كان نيتشه مهتماً بالزمن الفعلي أكثر مما كان مهتماً بالمظهر العام لعالم يحيا ويموت – بعد الولادة يأتي الموت، ثم تأتي الولادة مجدداً. هذه سمة تميز فلسفة الأبنيشاد، ولاحقاً تجدونها لدى نيتشه أيضاً في فكرته عن العود الأبدي. لكنه يتحدث هنا عن زمن محدود؛ ترغب الذات الآن أن تموت.

الآنسة وولف: لا بدّ أن تكون فكرة هندية. يُفترض بالمرء في المسيحية أن يتجاوز حالته الفعلية كي يصل مجدداً إلى الحالة البدائية التي كان فيها مثل الله.

الدكتور يونغ: هذا هو السبب. الاستهزاء أو الاستهانة بالجسد هي وجهة نظر المسيحية اللاحقة التي على المرء وفقاً لها أن يستهين بالجسد لأنه شيء أخرق ويعلّم المرء حقيقة مختلفة عن حقيقة الروح؛ يُفترض قمع الجسد أو السيطرة عليه، ويجب كبته بأشكال معينة، وليس على الإنسان أن يصغي إلى تعاليمه. من هنا نشأ قتل الجسد في الكنيسة، وتمجيد الروح من خلال قتل الجسد. عندما كان قدّيس الكنيسة يتفسّخ في الحياة، ويعبق برائحة العفن، وعندما يمضي النسّاك والدراويش إلى الصحراء، ويكاد العطش يقتلهم، كانت تلك علامة على مجد الله. ولدينا في العهد الجديد تلك الفقرة التي يتحدث فيها المسيح عن أولئك الذين خصوا أنفسهم بغية

الوصول إلى مملكة السماء.[1] ربما يلمّح إلى "الغالوي"، وهم كهنة أستارت الذين اعتادوا أن يخصوا أنفسهم رسمياً، حيث كانت حقيقة "الغالوي" المخصيين منتشرة في الشرق الأدنى كله. وليس لدينا لحسن الحظّ أية معلومات عن مسيحيين خصوا أنفسهم بغية الوصول إلى مملكة السماء، لكن لا بدّ أن المسيح كان يشير إلى حقيقة معينة معروفة. ولا يمكن أن نفترض أن المسيح كان يشير إليهم لأن ذلك كان من أفدح الآثام لدى اليهود؛ لم يكن هناك مسيحيون حينها بل كان هناك تلاميذه فقط. ونعرف على أية حال أن "أوريجانوس" خصى نفسه في فترة لاحقة بغية الوصول إلى مملكة السماء، وربما وقعت أحداث كهذه من فترة لأخرى. ثمة فكرة مسيحية عامة تعتبر أن العالم مجرد شيء تافه سيموت كما مات المسيح، ومملكة السماء القادمة هي الشيء المرغوب. نحن نعيش فقط لفترة محددة هنا، وعلينا أن نستعد للقصور الأبدية.

تتناقض الفكرة التي تعتبر أنه ليس للجسد أي معنى مع مزاج الشعوب السامية المؤمنة بمجد العالم؛ ليس الحافز النبوئي إلى مملكة في السماء بل إلى مملكة على الأرض يسودها السلام والعدل. لدى الهودي مزاج المصلح الذي يريد فعلاً إنتاج شيء في هذا العالم؛ عندما يتحدث الساميّ عن مملكة مثالية، يعني أن تكون هنا، ويعني مجد هذه الأرض، ويستبعد طبعاً تشويه الجسد. لا ينبغي تشويه أي شيء. ويجب أن يصل العالم كله إلى لحظة يشفى فيها المصابون بالجذام، ويستلقي الأسد إلى جانب الحمل؛ تلك هي الحالة الفردوسية التي تنبّأ بها "أشعيا". ولدى أتباع مذهب "القبالة أو القبلانية" فكرة تعتبر أنه بعد الخطيئة الأولى للأبوين، أبعد الله الفردوس إلى المستقبل، مما يعني أن الفردوس قادم؛ سيتم خلقه على هذه الأرض.

[1] انجيل متى 19: 12

لكن كلمات المسيح تتناقض بشكل صارخ مع هذه التعاليم. فمملكته ليست على هذه الأرض. إنها مملكة روحانية متسامية في المستقبل، ويقول إنها ليست موجودة في أي مكان سوى أنفسنا؛ أي في التركيز على الجانب الروحي. وسينكمش الجسد. واستمرّ ذلك ليبقى عبر العصور الوسطى، لكن الجسد أثبت نفسه في نهاية المطاف. فكانت المحاولة الأولى في عصر النهضة، حيث ظهر بشكل مرئي تماماً؛ يرى المرء ذلك في فنون تلك القرون. انظر إلى من يُقال إنهم بدائيون – بدائيون في الرسم – بتلك الرؤوس الغريبة والأجساد المشوهة التعيسة، وإلى الجياع المرضى المجذومين. لكن بعد قرن واحد فقط، أزهر الجسد بطريقة رائعة في الفن الإيطالي في القرن السادس عشر حيث تم تمجيد الحياة على الأرض. وأدى ذلك طبعاً إلى عصر الإصلاح مباشرة. ونظراً لأن الجسد قام بمحاولة الاختراق هذه، تبعه العديد من القيود الأخلاقية الصارمة في مطلع البروتستانتية. وهكذا أثبتت التجربة أنها موضع شكّ إلى حد كبير، لكنها نمت مجدداً بشكل بطيء، وكان النصر الكامل للمادة في فترة النظرية المادية.

كان نيتشه من هذه الناحية أشبه برسول المذهب المادي، لكنه أبقى على شيء من الجوهر الروحاني. فلم يكن الجسد تماماً هو ما يسعى إليه بل الإنسان الأعلى. الإنسان الذي يتجاوز حتى الجسد الفعلي، المخلوق الجديد الذي لا يكون بهذه الهيئة الخشنة، الكائن الجديد الذي ربما يكون الجسد فيه خاضعاً للرغبة بشكل كامل. هذا شكل من أشكال المبدأ الروحاني. إنه رسول الرغبة، حتى إنها رغبة تتجاوز الإنسان نفسه، وهو نوع من التسامي. لكن من الواضح أنه يقصد بالمستهزئين بالجسد أولئك الذين يحتقرون مبدأ الجسد ويؤمنون بمبدأ الروح حصراً؛ يقول إن لدى أولئك ذاتاً ترغب بالموت. والسبب هو أنه عندما ننكر حق الوجود على جزء من أنفسنا، وعندما يتم قمع شيء وإضعافه بشكل مستمر وعلى مدى سنوات، سيقوم

ذلك الشيء بالانتقام دوماً بإطار رغبة بالانتحار. لأن كل شكل من أشكال الانقسام في ذواتنا يصبح بعد فترة معينة متجسداً.

على سبيل المثال، إذا وجدت نفسك أحمق في مجال معين، تكره ذلك وتتجنّب كل تلك الفرص التي يمكن أن تظهر فيها تلك الحماقة لأنك ستجعل نفسك حماراً غبياً حينها. وإذا ظهر هذا الحمار رغماً عنك تقول: "أنا آسف، لقد خرج حماري الغبي مرة أخرى. أنا حمار في جانب معين، وقد أخذ أفضل ما لدي". هذا نوع من التجسّد. يكون لديك حظيرة تضع الحمار فيها، لكنك تعيش في الطابق العلوي وتبدو رجلاً محترماً. نحن نفعل الشيء ذاته مع الجسد؛ نضعه في الإسطبل، ونطعمه بشكل سيئ، هذا ما نقوله على الأقل. لكن بخطأ ما، وبطريقة عجيبة، نطعمه على مدار الوقت. وإذا شاهدك أحدهم في الإسطبل مع علف الحمار تقول: "أستميحك عذراً. أنا ضعيف في هذا الجانب. آسف جداً وسوف أتوب". ثم تذهب إلى الكنيسة وتصوم وتتوب عن إطعام الحمار. لكن هذا غير لائق طبعاً، وهو لا يساعد على التطور النفسي والعقلي للحمار. لكن ذاتك الدنيا أشبه بحيوان جشع لا تستطيع إيقافه عن تناول الطعام؛ وإذا لم يتم ذلك بشكل شرعي، فسيتم بشكل غير شرعي. وهكذا يساعد الإنسان نفسه عبر كم كبير من اللاوعي. ربما تركت باب الإسطبل مفتوحاً، ومشى الحمار في الليل وأكل الملفوف من مزرعة الجيران، ثم يُكتشف أمره وينبغي عليك أن تدفع مقابل الضرر. أو لا يتم اكتشافه وتسعد عندما ترى الحمار سميناً جداً.

لكن سرعان ما ارتكبنا خطأ تطوير الوعي إلى الحد الذي بدأنا فيه بإيجاد معيار سيكولوجي. طوّرنا البصيرة، ولم نعد نستطيع إنكار أننا تركنا باب الإسطبل مفتوحاً، ولم نربط الحمار بشكل آمن؛ علينا أن نقول إن حمارنا هو من أكل ملفوف الجيران. وبالتالي لا نستطيع القول إنه ليس هناك مشكلة، وإننا بإمكاننا الاستغناء عنها بالكامل. لكن لا يزال هناك كثير

من الرجال "الآباء" – عندما كانوا قساوسة كان لديهم بنات صغار يثقن بهم، ويقولون بعد ذلك إن الحمار تناول الطعام بمشيئة الرب العظيمة. لقد حدث كثير من الأشياء التي لا يبدو أنها حدثت؛ وهم بكل سعادة غير واعين أبداً حول ما حدث للحمار. فكلما ركزنا الانتباه أكثر على النفس، يزداد إدراكنا للأشياء التي تحدث، ونعرف لأية غاية كانت تحدث مع الأسف. وهكذا أصبح الجسد مشكلة أخلاقية. ماذا عن الحمار في الحظيرة؟ ليس من الصحيح أن نترك الباب مفتوحاً. هذا لن ينجح في المستقبل، علينا أن نشتري مكاناً للرعي حيث نستطيع إطعام الحمار بطريقة شرعية. ويجب الاعتراف بأن هناك شيئاً كهذا. لأنه إذا لم نعترف، ستساعدنا زيادة كمية الأخلاق، وكمية الوعي، على إيجاد وسائل مختلفة جداً لإغلاق باب الإسطبل، وعندئذٍ يموت الحمار بشكل طبيعي. إذا لم نتركه يعيش، فهو يفضل الموت. وعندئذٍ فإننا نطوّر رغبة الانتحار.

مع الطاقة المبذولة للإبقاء على الأشياء حبيسة ومخفية، لن ندرك أنها رغبة بالانتحار. ربما تبدأ باضطراب في المعدة أو حالة إمساك مستمر، أو شعور شديد بالإرهاق أو عدم القدرة على المشي. ربما يكون فقدان الرغبة بالحياة بداية للرغبة بالانتحار؛ معظم العُصابيين يتصفون بذلك. عندما يكون لديك رُهاب الأماكن المزدحمة والمطوّقة لا تجرؤ على اجتياز الشارع، أو قد تخاف من وجود حشد كبير من الناس، أو تخاف أن يتم تطويقك بسياج: هذه هي الميول الانتحارية كلها. وهي تعني أن رغبتك بالعيش وصلت إلى هذا الحد فقط. وهي لن تخاطر بالبقاء ضمن حشد، وفي فضاءات حياة مفتوحة. تصبح كسيحاً جزئياً وتسعى إلى حالة يمكن أن تسقط فيها، عتبة باب يمكن أن تتعثر بها، أو سيارة تدهسك؛ لدى الناس حوادث قليلة تكون بمثابة إعداد لكوارث هائلة حيث يدخلون في انهيار جليدي أو شيء من هذا

القبيل. ولا أحد يعرف أبداً، لأننا بسهولة كبيرة نخفي الأشياء عن وعينا الخاص، وعن وعي الناس الآخرين.

يوضح نيتشه أن الذات فعلاً هي التي لا تريد أن تعيش، لأن المرء يحرم الذات من تجربتها الخاصة. دعنا نفترض في هذه الحالة تحديداً أن هناك شيئاً اسمه ذات، وأن هذه الذات هي تلك الإمكانية الحيوية التي تفسر وجود روحنا وجسدنا – وكلاهما الشيء نفسه في الجوهر. إن رغبة "الأنا" ليست مطابقة بالتأكيد لرغبة الذات؛ لا تريد رغبة الذات ما تريده رغبة "الأنا". لماذا خلقت الذات الجسد؟ أنا لا أعرف لماذا لم نكن (ريحاً أو هواء)؛ ربما كنا هيئات مشكّلة من الهواء، ومتجاوزين مواضيع الجنس أو الشهية أو الهضم وهذه الإزعاجات، لكن الحقيقة أن لدينا أجساداً خلقتها الذات، وبالتالي يجب أن نفترض أن الذات تعني فعلاً أن نعيش في الجسد ونعيش التجربة ونعيش حياتنا. ولا يجب أن تختار "الأنا" ما إذا كنا سنعيش هنا أم هناك؛ يجب أن يكون لدينا معيار مختلف. أنا لا أشك بأن بعض الأشياء لا يجب أن تُعاش، لكن علينا أن نكتشف ما هي تلك الأشياء. فالمحظورات والقوانين لا تضعها "الأنا" ولا مجموعة من "الأنوات"، ولا الكنيسة ولا الدولة كلها؛ فتلك الأشياء ما هي إلا قوانين شرطة – ومن ضمنها أخلاقياتنا التي تُعتبر قانون شرطة أيضاً. لكن هناك قانوناً واحداً أكثر قساوة ودقة من أي قانون آخر، وهذا هو قانون الذات.

عليك أن تتحرى عن التجربة التي تريد الذات القيام بها. ويجب أن تتجنّب كل ما يعيق هذه التجربة، وأن تعيش كل ما يساعدها، وسترى النتائج فوراً. إذا فعلت ما يعيق التجربة فستُعاقب بطريقة أشدّ بكثير مما يحدث في محكمة رسمية. وإذا دعمتها فستحظى بمباركة السماء وتأتي الملائكة لتراقصك. أنت تتلقّى المساعدة باستمرار. لديك صحّة استثنائية، وتعمل على تطوير قوى لم تكن لديك من قبل لأنك لم تطع "الأنا" بل

أطعت رغبة الذات. وأذكّر أنها ليست "الأنا" من تريد القيام بالتجربة. غالباً ما تقول "الأنا": "بحق الله، آمل فقط ألا يأتي هذا الشيء إلي!" إذا كان لديك خوف أساسي في مكان ما، يمكنك أن تثق تماماً أنها تجربة الذات. فكما ترون، من المفترض أن يعيش الجسد؛ يجب أن تتم خدمته، ويُحتمل أن لدى ذاتك غاية خاصة معه. لا يمكن لأحد طبعاً أن يقول ما هي تجربة الشخص؛ فهي بهذا الشكل لأحدهم، وبذاك لشخص آخر، ليس هناك أي تشابه. إنها مسألة فردية تماماً. وبقدر ما نكون متفرّدين، تكون تجاربنا فردية، وهدف الحياة هو أن تحقق هذه الفردانية الخاصة ذاتها. لأنه لا فائدة في الحياة من وجود مجموعة من البشر لا يحاولون أن يكونوا ذواتهم. يبدو الأمر كما لو أن خزّافاً صنع مئة آنية لم تكن لديها رغبة بأن تكون أوانيَ، وتحاول دوماً أن تكون شيئاً آخر. لكن لماذا تصنع إناءً خزفياً؟ من الواضح أنك يجب أن تكون إناءً طالما تم خلقك كإناء، وكل إناء يجب أن يكون ما هو عليه ويعمل مثل إناء.

إذا أنكرنا التجربة على الذات فستسأم بعد فترة وتقول: "حسناً، التجربة غير جديرة بالاهتمام، وأفضّل ألا يكون لها وجود". وكما تم إحباط غايتها أو تجويعها، فسوف تجوع للحياة أنت أيضاً؛ لقد تمت سرقة "الليبيدو" الخاص بك وتُركتَ في وضع صعب، وبقيت مثل ذاك الشاب الحالم الذي عالجت موضوعه في محاضرة "بوليتكنيكوم".[1] ستبقى كزينة على جدار مسطح ذي بعدين وليس لديه أي ظل. ستكون مجرّد قشرة عن ذاتك؛ تتلاشى الحياة الحقيقية بسبب إنكار التجربة على الذات. وعندئذٍ كما يقول نيتشه: تريد الذات الهلاك – لا فائدة من إتمام التجربة. هذه إحدى أفكار الفقرة، لكن هناك فكرة لمّحت إليها السيدة باومان والسيدة

[1] قدم يونغ محاضرة في الماتية حول أحلام الأطفال عام (1936 – 1937 – 1938 وخلال 1941) في معهد "فيديرال بوليتكنيك" (ETH).

فيرز والبروفسور ريكستين، بمعنى أنها تنتمي إلى طبيعة الحياة، إلى طبيعة التجربة، وتبقى في طريقها إلى الموت. وطبعاً، من وجهة نظر معينة، هذا هراء بالمطلق. يمكن للمرء أن يسأل ما فائدة تجربة تتم بهدف تدمير نفسها؟ لكن الهراء هو في الطريقة التي ننظر بها إلى التجربة. من الواضح أنه يُفترض بالتجربة أن تصل إلى نهايتها؛ وإلا فهي ليست تجربة بل حالة ساكنة. تكون التجربة منطقية عندما يكون هناك نهاية في الأفق. التجربة لا تصنع نفسها بل هناك من يصنعها؛ التجربة لا تصنع نفسها بل تتم صناعتها؛ الذات، تلك الإمكانية، تصنع التجربة، والإمكانية لا تصل إلى النهاية بمجرّد صناعة التجربة. ووفقاً للفلسفة الشرقية، يمكن إعادة التجربة عدداً لا حد له من المرات – وكلما زاد العدد، فشلت أكثر. لكن طموح الشرق هو الوصول إلى حالة لا تحتاج التجربة بعدها إلى إعادة – تلك هي نقطة النهاية، حيث تتم الإجابة عن الأسئلة كافة.

ثمة شيء لصالح الفكرة التي تقول إن هناك إمكانية حيوية تصنع تجربة تلو الأخرى؛ وبقدر ما يكون هذا الاحتمال موجوداً، يجب أن نرى أنه يصل إلى نهاية. بالنظر إليها من وجهة النظر هذه، لا يبدو الأمر أنه مجرّد تسارع في الهبوط وصولاً للانهيار؛ إنها بالفعل تجربة ذات معنى، والنهاية تؤدي إلى نتيجة. النهاية هي الشيء الذي تبحث عنه. أنت تخضع لهذه العملية كلها كي تصل إلى تلك النتيجة. ولم تتم التجربة لكي تدع شيئاً ما ينهار. فهي عبارة عن سؤال، وأنت تبحث عن إجابة. أن تبحث عن نهاية ولا تقاومها، وتعيش مع يقين بالوصول إليها، هو بوضوح الطريقة التي يجب أن تعيش بها الحياة. إذا عشت مع مقاومة واعية ضد ما يمكن أن يأتي إليك، فأنت طبعاً تقاوم تنفيذ تجربتك الخاصة. وبالتالي فإن الفكرة التي تقول إن الموت هو هدف، وإنه النتيجة الحتمية لتجربتك، موجودة هنا أيضاً. وهذا يتوافق مع تفاؤل نيتشه العميق بأن عليك أن تقول "نعم" للعود الأبدي للأشياء. لقد صاغها

بالطريقة الآتية: "عليك أن تتحلّى بالشجاعة للتكرار؛ عليك أن تحب الحياة إلى المدى الذي يمكن أن تقول فيه: "أريدها مرة أخرى!"

"تريد ذاتكم أن تهلك وتضمحلّ، لذلك أصبحتم تستهينون بالجسد! لأنكم لم تعودوا قادرين على إبداع ما يفوق منزلتكم!

ولذلك تصبّون الآن جام غضبكم على الحياة وعلى الأرض. ويكمن حسد لا واعٍ في النظرات غير المباشرة لاحتقاركم."

يدخل هنا شيء من اللاوعي. ترون نيتشه هنا في الجوهر يعرف تماماً باللاوعي؛ كان مدركاً للظل، وهذا طبعاً السبب الأعمق لما هو عليه.

السيدة زينو: أريد أن أعرف كيف يمكن للذات أن تهلك؛ كي أقارب ذلك، عليّ أن أفكر بها على أنها شيء بين "الأنا" والذات.

الدكتور يونغ: هذا لا يعني أن الذات ستهلك. يمكن رؤية ذلك من الوعي. لكن إذا لم تستطع الذات المضي في التجربة، فهي تقتل الجسد.

السيدة زينو: ظننت أنه إذا كان الشخص متواصلاً مع الذات، فذلك يكون الجانب الإبداعي.

الدكتور يونغ: ترين أن الخطأ الذي ارتكبه هو أنه طابق بين الذات والجسد. وهنا أرادت الذات تدمير الجسد. تلك كانت مأساة راقص الحبل والمهرّج في بداية كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت***؛ لقد تم تجاوز راقص الحبل المشدود ونبذه، تم تجاوز نيتشه الإنسان: هو ليس جيداً. كانت المطابقة التي وضعها نيتشه بين الذات والجسد غير منطقية طبعاً لأنه وصل إلى نتيجة تقول: إذا مات الجسد، فسترغب الذات بالموت. تلك كانت النتيجة. لكن إذا تعاملت مع الذات بالطريقة التي اقترحها، فسيكون الأمر مختلفاً.

أنا لا أساوي بين الذات والجسد. ويكون الجسد أحد تجارب الذات المرئية،[1] وعندئذٍ يمكن أن تقول: "إن لم تنجح تلك المهمة، فسوف تُنبذ؛ فهي غير جيدة". تستطيع أن ترى كيف تحدث هذه الأمور فعلاً في حياة الإنسان. الرجل الذي لا يطيع عندما يسمع الرسالة – وهذا ينطبق على المرأة أيضاً – يذكرني دوماً بما فعله الفيل البري يوماً. في مزارع الموز، يكون هناك بيوت صغيرة مبنية على أعمدة خشبية للحماية من النمل والقوارض والحشرات الأخرى، حيث يضعون فيها الموز. وفي مخزن صغير كهذا، كانت عجوز زنجية نائمة فوق كومة من الموز عندما اقتحم المزرعة فيل بري ضخم. وطبعاً، اشتم رائحة الموز الناضج في الكوخ فحطّم السقف وأقحم خرطومه فيه والتقط تلك العجوز وقذفها، والتهم كومة الموز الموجودة في الكوخ. سقطت العجوز وهي تصرخ بين أغصان شجرة لكنها لم تمت. هذا ما تفعله الحياة. تريد الحياة أن تصل إلى نتائجها، وإذا لم تتناغم معها، فستُطرد منها وكأنك شيء عديم القيمة، وكأنك لم تكن يوماً. ثم تُعاد التجربة مرة أخرى.

[1] بالنسبة ليونغ، تتمثل الذات كروح وكجسد. إن الخيميائي، في إبداعه لحجر الفلاسفة، يخلق للذات شكلاً مرئياً ملموساً. انظر الأعمال الكاملة، المجلد الرابع عشر، صفحة 649.

المحاضرة السادسة

27 شباط – فبراير 1935

الدكتور يونغ:

لدينا مجموعة من الأسئلة التي يبدو أنها انبثقت من نقاشنا عن الذات الأسبوع الماضي لأن فكرة الذات غامضة جداً بالتأكيد. فهي مفهوم رمزي لا يمكننا توصيفه بدقة لكننا نستطيع توضيح ما يمكن للمرء أن يفهم منه، لكن من غير الممكن أبداً أن نقول ما هو بالتحديد. كما أنه يغطي فكرة لا يمكن إدراكها أو التفكير بها إلا بشكل جزئي. والإدراك الجزئي للذات هو وعي؛ وعي "الأنا" هو ذلك الجزء الذي يمكن توضيحه من الذات، وهو الجزء الذي يمكن لمنطقنا ومحاكمتنا أن تبلغه. أما اللاوعي فهو شيء مختلف تماماً[1] وليس لدينا مدخل مباشر إليه. لكن يمكن الوصول إليه بشكل غير مباشر كما هو الحال مع المادة أو الطبيعة بشكل عام. نحن

---

[1] يصف يونغ اللاوعي هنا على أنه "noumenal" وهو مصطلح مستمد من الفلسفة الكانطية: "حدث أو عنصر مُفترض موجود بشكل مستقل عن إحساس الإنسان أو إدراكه". ويُستخدم عادة عندما تتم مقارنته أو ربطه مع مصطلح الظاهرة الذي يشير إلى أي شيء يمكن فهمه بالحواس. المترجم.

بحاجة إلى مجهر وأجهزة فيزيائية وكيميائية معقدة لتفكيك طبيعة الأشياء والنفاذ إلى سرّ الهدف النهائي الفائق. فليس يقيننا بالظواهر المادية والفيزيائية سوى وهم؛ نحن نلامس سطوح الأشياء وظواهرها لكننا لا نعرف أي شيء عن داخلها. لقد اكتشف العلم عدداً من الوسائل التي تسمح لنا باختراق الجوهر إلى مستوى محدد؛ لكن الهدف النهائي فائق للغاية. إنه يتجاوز فهمنا، وذلك ببساطة لأن الطبيعة التي نستوعب من خلالها ونحاول أن نفهم الوعي أو النفس مختلفة تماماً عن الهدف. هذه مجرّد فرضية، وربما لا يكون الأمر على هذا النحو. لكن إذا كان الهدف الفائق مساوياً للنفس، سيتكون لدينا عندئذٍ فهم كامل مع أننا لن نعرفه. لكن لماذا لن نعرفه؟

السيدة باومان: لأننا سنتماهى معه.

الدكتور يونغ: طبعاً. لن نستطيع أن نعرف ما إذا كان الهدف الفائق مكوناً فعلاً من النفس أم لا. طالما أننا نعرف أننا نشعر بأنفسنا من خلال فهمنا، وأن العملية المعرفية هي نفس، وما اكتشفناه هو نفس، فنحن بطبيعة الحال غير قادرين على استيعابه. سنقوم بإسقاطه وحسب؛ نفترض أن ما استوعبناه هو نفس، ومع ذلك ليس هناك دليل على أنه كذلك في الواقع. ربما يكون العنصر المادي بحد ذاته شيئاً مختلفاً عما أسميناه "نفساً"؛ طالما أننا لم نخرج من النفس، فلن تكون هناك فرصة للحصول على عامل أمان في نقاشنا عن العنصر الفائق. وبالتالي ما من شك بأن نقاش مفهوم الذات، الذي يغطي وعينا جزئياً، وما وراء وعينا جزئياً، قد أدى إلى طرح الكثير من الأسئلة. لدينا الآن سؤال من السيدة سترونغ: "في نقاشنا السابق، عندما أشرت إلى تفوّق الرغبة الذاتية على رغبة "الأنا"،

بدوت وكأنك تنسب قيمة سلبية لوعي "الأنا" في علاقته مع كليّة الفرد. أليس صحيحاً أن "الأنا" تقوم أحياناً بمساهمة إيجابية لخلق الذات - حتى إنها تتصرّف كعامل اختبار لشكل الخلق أو عامل يساعد على التكيّف معه؟

أعتذر بشدّة إذا كنت قد قدمت انطباعاً فيه استخفاف بالوعي، أو قمت بأية محاولة للتشديد على دونيته؛ اعتقدت أنني أشرت إلى أن الوعي، على النقيض من ذلك، لا غنى عنه إطلاقاً بالنسبة للذات لأنه أصل إدراك الذات. ويوضح هذا السؤال كم يجب أن يكون المرء دقيقاً في نقاش مسائل فلسفية معقدة كهذه. فعندما قلت إن وعي "الأنا" نطاق ضيق جداً بالمقارنة مع المنطقة اللامحدودة الهائلة الخاصة باللاوعي، لم أكن أعني أبداً أن أقلل من قيمته أو أهميته. إن وعي "الأنا" هو دائرة صغيرة محتواة في دائرة أكبر، لكن ذلك ليس إساءة تقدير للوعي ولا تقليلاً من قيمته لأن لهذه الدائرة الصغيرة أهمية كبيرة، بل أهمية رفيعة سامية، مقارنة بالمدى الشاسع للنفس اللاواعية. إذا كانت النفس اللاواعية محرومة من الوعي الحاد الفطن، فلن يكون بالإمكان تحقيقه إلا في وعي الأنا. لذلك تقوم فكرتي على أن كل ما يمكن أن نبرهنه أو نفهمه حول اللاوعي، سواء أكان شخصياً أم لا شخصياً أم فائقاً، هو الشيء ذاته من ناحية أنه يبدو ضعيفاً للغاية. وإذا كان هناك وجود لشيء اسمه الوعي فسيكون مشوّشاً وباهتاً. وهذا يفسر لماذا شعرت الطبيعة بالحاجة إلى وعي حاد فطن؛ كان إنجازاً هائلاً حققته الطبيعة. إذا أردنا أن نشكر الطبيعة على شيء ما فسيكون على إنتاجها للوعي. لقد كان إنجازاً رائعاً حقاً من الطبيعة!

لأنه لم يكن هناك عالم إلا منذ فجر الوعي؛ لا وجود لشيء قبله لأنه ما من أحد يعرف أنه كان هناك شيء. يمكننا أن نفترض أن الله عرف الخلق،

لكن ذلك مجرد افتراض. عندما حققنا الوعي، أصبحنا متأكدين أن هناك عالماً – على الأقل أنا أعرف، وأنتم تعرفون. فالعالم موجود منذ تلك اللحظة لأن وجوده بات معروفاً. وإذا كان بالإمكان انتقاد العالم من وجهة نظر فلسفية، إذا كانت هناك حاجة لدى الإنسان للنظر إلى ظاهرة العالم كلها، سيكون عليه أن يضع توقعات كهذه. سيبدأ بكلام فلسفي، ويطرح السؤال الآتي حتماً: "لماذا يجب أن يكون هناك وعي؟" ولا بدّ أن يصل إلى نتيجة أنه لم تكن هناك حاجة للوعي لولا الغموض والتشوّش الهائلان. ما من أحد يضيء المصباح في غرفته نهاراً؛ نحن نستخدم الضوء عندما يسود الظلام. لقد حمل "ديوجينس" العجوز فانوساً في النهار وسار في ساحات أثينا؛ بدا الناس مندهشين من ذلك لكنه كان يحمل الفانوس نهاراً بحثاً عن الرجال، إذ لم يكن هناك رجال في أثينا.[1] وهكذا علينا أن نفترض أن الطبيعة أنتجت الوعي بسبب الحاجة إلى الضوء في ذلك الظلام الدامس الذي كان سائداً قبل ذلك.

هذا يمكن تقريبه قليلاً من الفطرة السليمة بتصوير الإنسان البدائي باعتباره في مأزق من ذلك الظلام العام. لطالما تعثّروا وشعروا بالحاجة إلى إشعال النار في الليل. احتاجوا إلى قدر معين من الوعي لأنهم اكتشفوا أن الأشخاص الذين لديهم وعي هم أفضل من أولئك الذين بدون وعي. وهكذا أصبح موضة بطريقة ما، وتزايدت هذه الموضة حتى أصبح لدينا الآن

---

[1] تقول الأسطورة إن ديوجينيس كان يبحث عن رجل شريف، لكن يونغ اقتبس من "ديوجينيس ليرتيوس": "أضاء فانوساً في الخارج في النهار وقال وهو يخرج: 'أنا أبحث عن رجل'". كتاب "حياة الفلاسفة – Live of the Philosopers" المجلد الثاني، ترجمة "آر. دي. هيكس (مكتبة جيمس لوب الكلاسيكية – The Loeb Classical Library)، صفحة 41.

موضة "ارتداء الوعي": ثمة حاجة عامة للوعي لأن الظلام دامس من دونه. لقد كان الخالق في حاجة لضوء أو إدراك شديد فصنع كائناً لديه وعي يدرك الأشياء ثلاثية الأبعاد ولديه أيضاً ميزة الزمن. فإذا كانت الحالة على هذا النحو، إذا كان الضوء الوحيد في العالم الذي نعرفه هو إدراكنا للعالم، فنستطيع القول إن وعي الإنسان له أهمية هائلة من الناحية الميتافزيقية. إنه عين الإله الوحيدة التي ترى. لذلك يتم تمثيل الإله في كل كنيسة كاثوليكية، وحتى في الكنائس البروتستانتية، كعين مشعّة في مركز مثلث، وهي الصورة التي تعكس وعي الإنسان. وبذلك نعلن أن الله عبارة عن عين، وأن وعينا هو تلك العين؛ بمعنى آخر، إن الله قد خلق الإنسان لكي يستطيع أن يرى في الظلام.

أنا لا أودّ الدخول في تأملات ميتافيزيقية لكنني لجأت إليها لأنها ترتبط بسيكولوجيتنا؛ إنها حقيقة سيكولوجية أن الإنسان يتأمل بهذه الطريقة، وأن وعينا يعمل بهذه الطريقة. وهي هكذا في كل شخص؛ لدينا لاوعي غير محدود، والجزء اليسير منه فقط محدود؛ ولا نعرف ما إذا كان مركزياً؛ ليس كذلك على الأرجح. وربما كانت علاقته بالمركز مثل علاقة أرضنا بالشمس. إن مركز نظامنا الشمسي هو الشمس، ومركزنا، عالمنا، يدور حول الشمس؛ نحن أبناء الأرض، ووعينا منجرف نسبياً عن المركز مثل انحراف الأرض النسبي عن الشمس. هذا ممكن، وربما يكون وعينا أيضاً مثل كوكب يدور حول شمس مركزية غير مرئية، بمعنى أنه يدور حول مركز لاوعي مفترض يُسمّى الذات، لأن الذات هي مركز الوعي واللاوعي.

إن مساهمة وعي الأنا مميزة للغاية، لكنها محدودة على الرغم من ذلك؛ وعينا لا يظلّ قوياً في ظل ظروف معينة. إلى المدى الذي تصل إليه علاقات الفضاء ثلاثي الأبعاد، وبحسب أهمية الوقت، يعتلي "الأنا" قمة الأشياء. لكن عندما يتجاوز موضوع معين تلك الشروط المحددة بالزمان والمكان،

يصبح اللاوعي الجمعي أهم بكثير، وتصبح الذات أهم بكثير أيضاً. ومن اللافت أنه كلما ازداد تماهيك مع الوعي، ازدادت محاولاتك لإهمال الذات، وازدادت مقاومتك لها وشعورك نحوها بأنها قوة معادية، في حين تكون هي في الواقع مركز حياتك تحديداً. لكن عندما تتماهى مع وعيك، يحاول الوعي المنفصل، وأعني الوعي المنفصل بطريقة خاطئة، تشغيل ضوء كهربائي قوي وإطفاء ضوء الشمس. لكن الغبي فقط هو من يطفئ ضوء الشمس، لأنه سيكون مريضاً تماماً ليعيش على طاقة كهربائية، ليعيش على شمس صناعية تعويضية.

السيدة باومان: قلت في المرة السابقة إن على الإنسان أن يقوم بتجربة الحياة. أنا أرى تناقضاً معيناً في فكرة "الحياة المشروطة".

الدكتور يونغ: ثمة تناقض قوي طبعاً. علينا أن نفهم أولاً ما كنت أعنيه "بالحياة المشروطة". كنت أعني بذلك أن يعيش الإنسان الحياة تحت فرضيات معينة. والحالة النموذجية هي "والد الصبي – *fils a papa*"، الشاب الذي لدى والده ما يكفي من المال كي يفترض ضمنياً أن والده سيدفع ثمن كل شيء. لم يكن بحاجة إلى العمل، وليس مسؤولاً عن أي شيء لأن لديه حساباً بنكياً كافياً. وهكذا استطاع أن يعيش بطريقة يفعل فيها كل ما لم يكن يحلم بفعله لو عرف كم عليه أن يدفع مقابل ذلك من جيبه الخاص. عاش نوعاً من الحلم. لكن شاباً كهذا لا يختبر حياته الشخصية بل يختبر "حياة"، أية حياة، يختبر نوعاً من الخيال. هو يظن نفسه شخصاً رائعاً، يراهن في البورصة ويخسر طبعاً لأنه يعيش على مال والده. أو ربما يتخيل أنه رياضي عظيم أو فنان رائع، وينفق السنوات والمال أيضاً على فرضيات. وهكذا لا يصل فعلاً إلى نفسه؛ لم يبدأ العيش أبداً كما لو أنه لا يملك أي مبلغ. لكن خذ منه أي شيء، أو اجعله يعي حقيقة أن المال يمنعه من عيش حياته الخاصة، وسيتم إقحامه فوراً في حياته

الخاصة، وفي كل ما ينبغي أن يفعله إذا كان سيعتمد على نفسه فقط. عندئذٍ سيختار نمط الحياة التي ربما يمكن أن تُسمّى تجربته الخاصة. لكنها ليست إلى الآن "تجربة الحياة"؛ بل هي اختباره لحياته إلى المدى الذي يصل إليه وعيه. لكنك تعلم أن وعينا يعاني من كل أنواع الضعف والأوهام بحيث يمكن أن نتخيل أن مهمة معينة هي مهمتنا، أو أن طريقاً معيناً هو طريقنا، في حين لا يكون كذلك في الواقع. قد يكون خطأً ناتجاً عن الميراث أو البيئة المحيطة. عليك في مسار الحياة أن تكتشف ما إذا كان الطريق الذي اخترته مدعوماً من اللاوعي أم لا. لأنه غالباً ما يكون لديك تجربة حتى إذا عشت وفقاً لأفضل قناعاتك، تجد أن لاوعيك يتفحصها ويتدخّل بها. ثم تعرف أن مسارك ليس مسار الذات تماماً، وأن عليك أن تصححه بحيث تتوافق طريقتك مع طريقة الذات. هذا التوافق مع الذات عبارة عن تجربة سيكولوجية مهمة لها اسم مميز جداً. ما هو ذلك الاسم؟

السيدة زينو: التاو.

السيد باومان: ألا يمكن أن نسميه الفردانية؟

الدكتور يونغ: نعم، إنهما الشيء ذاته. سنتابع الآن مع سؤال الآنسة حنّة: "هل ترغب الذات دوماً بموت الجسد؟ أم يمكن لذلك أن يحدث لسبب خارج النظام الشمسي للذات والجسد (إن جاز التعبير)؟ لطالما قلتَ مثلاً إن 'قذيفة الجليد' قد تقتل". (تلك قذيفة أطلقها رجل طبيب). "هل تقول إنها لا تكون مؤثرة إلا حيث تكون الذات راغبة بتدمير ذلك الجسد، أو يمكن أن يكون هدف الذات الخاص أن يتم تدميره بسبب خارجي؟"

هذا سؤال بعيد عن إمكانياتي. أنا لست الذات، ولم يتم تكريسي في أسرار الإرادة السماوية كما تعلمون. هو سؤال ميتافيزيقي للغاية لا يمكنني الإجابة عليه. لكن لدينا طبعاً تجارب هامة معينة؛ غالباً ما يتولد لدى المرء انطباع بأن الناس يموتون في الوقت المناسب طبعاً، وأنه كان من المنطقي

أن يموتوا حينها: فقد بلغوا نهاية الطريق. أو يمكن القول إن ذاتهم وافقت على أنها اللحظة المناسبة لكثير من الأسباب. وقد يكون السبب المهم هو أن الجسد لم يعد مناسباً لمواجهة تغيير عظيم، وعندئذٍ يغادر المرء جسده كما غادرت العجوز الزنجية كومة الموز. فلن يكون من المنطقي حينها استمرار حياة الإنسان لأنه قد تأخر فعلاً؛ لقد تغيّر الزمن وتغيّرت ظروف الإنسان وعمله أو أصبحت أهميته الوظيفية عديمة الفائدة. يموت أشخاص كهؤلاء بسهولة. يبدو وكأن ظروفاً معينة إعجازية غالباً قد تهيأت لتضع فخاً لهم. لكنه مجرّد تخمين وفرضيات وتوقعات. فهي أشياء تتجاوز معرفتنا. يمكن أحياناً أن ترى في أبراج بعض الناس وضعاً معيناً سلبياً واضحاً للغاية، ويجعل من الممكن أن يموتوا في لحظة معينة؛ أو ربما حلماً منذ فترة طويلة تحقق بالموت. أشياء كهذه تلمّح إلى محاولة سرية من قِبَلِ الذات لإنهاء الإنسان عندما لم يعد مناسباً أبداً لهدف الحياة. لكنني لا أستطيع أن أعطي أي تعريف محدد.

الآنسة وولف: لم يكن السؤال ما إذا كان هناك أسباب غريبة عند الذات يمكن أن تسبب الموت؟ هل يمكن أن تأخذ على سبيل المثال حالات انتحار أو حوادث معينة يمكن لمراقب خارجي أن يقول إنه كان بالإمكان تجنبها لو كان ذلك الشخص أكثر معرفة؟ - لو لم يكن لديه إحباط أو لو أنه أصغى إلى أحلامه؟ ألا يمكن للمرء أن يقول إن الموت يحدث لأن ذلك الشخص مرتبط بجانب "الأنا"؟ إن سبب الموت المباشر يبدو لي وكأنه قادم من تركيبة "الأنا".

الدكتور يونغ: يمكننا أيضاً أن نطرح السؤال الآتي، كيف يمكن لتركيبة "الأنا" أن تقتل شخصاً؟ هي ليست قوية بما فيه الكفاية؛ إنها ليست من مصادر القوة التي تمتلكها الذات. وفيما يخص أسباب الموت غير الدنيوية، كيف تعرفين عن طبيعتها؟ إنها مجرّد توقعات. أنا أعترف أن هناك حالات

يكون فيها موقف "الأنا" على الشكل الآتي: "إذا استمرّ ذلك، سيحدث شيء مرعب! لكن هذا هو الموقع الذي تسأم فيه الذات من غباء "الأنا" في النهاية – حالة العجوز الزنجية الجالسة فوق كومة الموز.

الآنسة كوفمان: يوجد كتاب جميل يعالج هذه الحالة عنوانه: "جسر سان لويس راي".[1]

الدكتور يونغ: نعم، عندما هوى الجسر، كان الناس الواقفون عليه في نهاية مسيرتهم؛ كان ذلك مقنعاً جداً من وجهة نظر سيكولوجية. لدينا الآن هذا المخطط الغامض الذي رسمته السيدة باينز. هل تفضّلت بشرح هذا المخطط؟

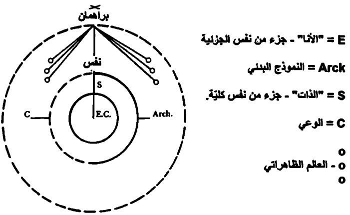

السيدة باينز: كانت مجرد محاولة لوضع مخطط مختصر حول ما فهمته من وصفك للذات. والسؤال الذي أودّ طرحه هو: "هل يصحّ أن نقول إن النفس مكونة من عاملين، العامل السيكولوجي المركب من الوعي

---

[1] ثورنتون وايلدر، "جسر سان لويس راي – The Bridge of San Luis Rey" (نيويورك، 1927).

والنماذج البدئية، والعامل الميتافيزيقي الذي وصفته بـ "البراهمان؟" لم أستطع طبعاً أن أبين في مخططي أن البراهمان يدخل في العملية كلها. هل المخطط صحيح؟

الدكتور يونغ: يرتبط هذا المخطط بكل ما قمنا بمناقشته عن مفهوم الذات. إنه مشكلة صعبة للغاية؛ ربما عليّ أن أعيد القصة كلها. فالذات مفهوم حدودي، وأنا أسميته رمزاً لأنه يعبّر أحياناً عما لا يمكننا التعبير عنه بطريقة أخرى، ولأننا لم نفهمه بكل بساطة. إن فكرة الذات عبارة عن أرض مجهولة فعلاً. والتعريف السيكولوجي هو أن الذات تجمع الوعي واللاوعي، وهذا يبدو تعريفاً مناسباً: يبدو أننا نعرف ما هو الوعي، ولدينا فكرة واضحة إلى حد ما عن اللاوعي. لكن أن نقول إننا نعرف اللاوعي فهذا بعيد جداً؛ نحن نعرف شيئاً عنه. لدى اللاوعي امتداد يمكن أن يصل إلى أي مكان؛ ليس لدينا بالتأكيد أية وسائل لتثبيت حدود واضحة. وكما نصرّح بأننا لا نعرف أين ينتهي العالم، نحن لا نعرف أين تنتهي حدود اللاوعي، أو ما إذا كانت تنتهي أساساً. إن المفهوم الذي يحتوي عاملاً محدداً كالوعي، وعاملاً غير محدد كاللاوعي، ليس مفهوماً علمياً؛ والأهم من ذلك أنه ميتافيزيقي بطبيعته: إنه يتجاوز ذاته. لذلك أسميته رمزاً.

الرمز بالنسبة إلي ليس إشارة إلى شيء أعرفه، كالعجلة المجنّحة على قبّعة موظف خطوط السكك الحديدية، أو الرموز الفرويدية، أو رمزية ما يُسمّى الماسونية – تلك ببساطة إشارات لأشياء نعرفها تماماً. فالرمز هو تعبير عن شيء أعرف فقط أنه موجود.[1] لكنني لا أعرفه. لذلك فإن الذات رمز حي لأنه يشير إلى شيء نعرف أنه موجود؛ نعرف أن هناك كليّة الوعي

---

[1] إشارة يمكن ترجمتها بشكل كامل لأنها بديل عن المرجع الذي تشير إليه. وبالتالي غالباً ما قال إن ما أسماه فرويد رموزاً كانت فعلاً مجرد علامات، لأن الرموز لا يمكن اختزالها إلى مستوى تفسيرات حرفية.

واللاوعي لأننا الأمثلة الحيّة عليه. حيث تعبّر الذات عن معرفتنا بشيء موجود فعلاً، لكننا لا نعرف عنه ما فيه الكفاية. إنها تتجاوزنا، وهي أكبر منا. لذلك أدعوها مفهوم الذات؛ وهذا أفضل تعبير أعرفه. كان هناك تعابير أخرى سابقاً حيث كان يتم التعبير عن الذات بشخصية المسيح مثلاً؛ في فلسفة القرون الوسطى كانت "حجر الفلاسفة"، أو كانت الرحم أو الذهب أو "الجوهر الخامس – *quinta essential*". والكأس المقدسة كانت رمزاً للذات، وكذلك الصليب. وفي مراحل أكثر بدائية، كان الملك رمزاً للذات لأنه كان دوماً من طبيعة إلهية أيضاً. أو كان إلهاً معيناً. فمنذ بداية التاريخ، كان يتم تمثيل الذات بشكل دائم تقريباً بالإنسان الإله. وبعد ذلك طبعاً، على مستويات أقل بدائية، كانت الصنم المعبود، أي مادة مسكونة بالنَفَس الإلهي أو "المانا" أو بتأثير سحري استثنائي.

هذا المفهوم هو اعتراف بأن تجربة الوجود أكبر منا؛ ليس بإمكاننا أن نستوعبها. وهذا يُسمى باللغة الألمانية "*ein Erlebnis*"، أي التجربة. تجربة كهذه لا تُعتبر تجربة علمية لأنها ليست عملية فكرية؛ هي حقيقة غير عقلانية بالمطلق. السيكولوجيا هي علم غريب من ناحية أن وظيفة المعرفة متماهية مع العنصر المراد معرفته، فالعنصر المراد معرفته هو النفس، والإدراك جزء من النفس. وهكذا يستخدم المرء النظام نفسه للتعرّف على النظام. وتكون الحالة في أي علم آخر أفضل بكثير لأن لدى المرء حدوداً للعنصر. في علم المعادن مثلاً، تكون المعادن هي العنصر المراد معرفته لأن المرء يحددها من اختلافاتها. وإذا تعمق المرء أكثر ووصل إلى أعماق الذرة، تراوده الشكوك لأنه لن يجد فرقاً بين العنصر والنفس. لكنه لا يحتاج في علم المعادن إلى الذهاب في تفاصيل النفس؛ إذ يكفي معرفة استخدامات المعادن وتطبيقاتها. تختلف المعادن عن النفس، لذلك لا يقلق المرء بهذا الشأن: يمكنه أن يستخدم عقله ليفهم المعادن المختلفة تماماً. لكن كيف

سيكون الأمر إذا كان على الشخص أن يستخدم المعادن لكي يفهم المعادن؟ سيكون أسلوب المعرفة حينها هو العنصر المراد معرفته في الوقت ذاته، ولا يستطيع المرء أن يرى كيف يمكن ذلك. لذلك يسأل الناس: "هل هناك حقاً شيء اسمه سيكولوجيا؟" – وهو سؤال مشروع فعلاً.

بوجود حدود معينة، ومع عدم الدخول إلى أعماق الذرة، يكون علم المعادن ممكناً، وكذلك في السيكولوجيا، بغض النظر عن أنني رأيت عمليات سيكولوجية معينة في ظل جوانب معينة، أستطيع عندئذٍ إطلاق حكم – أنا أستطيع فعلاً أن أقول شيئاً عن النفس أو العمليات الجسدية. لكن يجب الإشارة إلى مقدماتي المنطقية التي أنطلق منها. فبقدر ما لا أتعمّق في البنية الداخلية للذرة، أستطيع أن أتعامل مع علم المعادن، وبقدر ما لا أدخل في كينونة النفس، أستطيع أن أفهم السيكولوجيا. لكن إذا دخلت إلى كينونة النفس الفعلية، يجب أن أعترف بأن النفس تجربة غير عقلانية. وهكذا ففي مفاهيم دقيقة كمفهوم النفس هذا، لديك جانبان اثنان؛ الجانب الأول، هو مفهوم نفسي يمكن تحديده بدقة واستخدامه بطرق علمية؛ لكن من الجانب الآخر، ينبغي الاعتراف بحقيقة النفس اللاعقلانية التي هي عبارة عن تجربة ووجود. تشبه الحالة أن تحاول وضع علم كامل عن الفيلة مثلاً. يمكن أن تكتب فصلاً عن دراستك للفيلة، لكن أن تكون فعلياً تحت أقدام فيل هو أمر مختلف تماماً. ففي الحالة الأولى، أنت تجلس في غرفتك وتكتب، بينما تكون في الحالة الأخرى تحت الخطر الشديد. هكذا يكون الأمر مع النفس. أنت تتحدث عنها بطريقة لطيفة جداً وعلمية لا تؤذي أحداً، وكل ما فيها جميل ودافئ، ثم تمضي بعد فترة لتناول الغداء. لكن إذا بدأت تلك التجربة فستكون تحت أقدام الفيل. لكن الحالة ليست على هذا النحو دوماً.

يجب أخذ تلك الأمور بعين الاعتبار عندما نرسم مخططاً كالذي رسمته السيدة باينز. لدي مخطط آخر هنا رسمته السيدة باومان، وهو يتعلق أيضاً بطبيعة الذات باعتبارها تجربة. نحن بحاجة إلى توقعات وصيغ كهذه بمجرّد أن نناقش مفهوم الذات. فبقدر ما تكون الذات مفهوماً علمياً، لن نكون بحاجة إلى دوائر و"براهمان" وما شابه؛ لأن المفهوم العلمي للذات يصل إلى نهايته عندما نصرّح بأنها مجموع الوعي واللاوعي، وبعد ذلك يهزّ الجميع رؤوسهم ويذهبون إلى بيوتهم وينامون. وهذا صحيح، هذا ما يجب أن يكون. لكن إذا سأل أي شخص: "إلى أي مدى يصل اللاوعي؟ ما هو اللاوعي؟" فأنت عالق، وعليك حينها أن تعترف بأن الفيلة بدأت هجومها، وهي حقيقية.

الآنسة كوفمان: أعتقد أن الصعوبة نفسها موجودة في الفلسفة أيضاً.

الدكتور يونغ: نعم، مشكلة الفلسفة الأبدية تقوم على أن العالم هو تجربة الإنسان، ثم يذهبون ويتكلمون عنها. الكلام في الفلسفة أكثر أماناً بكثير، وهذا ما يجعلهم يفضّلونها. لكن حالما تتعامل مع الذات على أنها تجربة، يتغير كل شيء وتخرج تلك الوحوش البرّية لأنك تكون حينها في مواجهة جبال من الغموض؛ يشبه الأمر أن تكون فعلاً في الغابة وسط قطيع من الفيلة الثائرة. وأنت تحاول بكافة الطرق أن تستحضر الخطر وتعبّر عما تراه. فمنذ أقدم العصور – أنا أفكر بفيثاغورث العجوز مثلاً – أولئك الناس الذين نقلوا تجربة العالم والنفس إلى القلب، وضعوا مخططات كهذه: دوائر ومربعات ومثلثات. ابتكروا أغرب الشيفرات كي يعبّروا عن تلك التجربة الغريبة. ومراراً وتكراراً، يطغى الوعي عليها ولا يقبل بها ويقول إن ذلك كله هراء، ثم يصوغ فلسفة واعية أو علماً واعياً يكون

مجرّد كلام وبديهيات مفيدة.[1] على سبيل المثال، بقدر ما تكون الفلسفة كلاماً، تكون بديهيات مفيدة: كيف تصبح بروفسوراً؟ والعلم أو الأبحاث العلمية هي طريقة لابتكار أو اكتشاف بديهيات مفيدة جديدة لغايات عملية، إما كيف تصبح بروفسوراً أو كيف تصبح ممارساً ومساعداً للناس كما في الطب مثلاً! فهناك جميع أنواع التطبيقات للبديهيات الشخصية والموضوعية؛ حتى أن بإمكانك أن تقسّم الناس المتعلّمين وفقاً لهذا المخطط. فمن جهة أولى هناك الأشخاص الذاتيون الذين تقوم بديهياتهم على كيف تصبح مشهوراً، وكيف تقول شيئاً يجعل الناس يقفون باستعداد ويشنّفون آذانهم ويهتفون "يا له من رائع!"؟ ومن الجهة الأخرى يوجد أولئك الذين يُبدعون بالفعل شيئاً ذا قيمة. لكن ذلك كله علم، هو عالم الكلمات، عالم ثنائي الأبعاد. ويوجد وراء هذا العالم عالم آخر تختبر فيه حقيقية وجود العالم، وأنك نفس، والنفس هي وجودك.

بوضع مخطط كهذا أنت تشيرين إلى الذات بوصفها تجربة وهذا يؤدي إلى كثير من الأشياء التي تثير الشكوك للغاية؛ تشعرين أنها موجودة لكن لا يمكنك فهمها؟ وبالتالي لن يتم خلق أي شيء منها. ثم يصبح العلم محاولة يائسة من الإنسان لتحديد جذر هذه الأشياء، أشياء ليست في الرأس فقط، بل *قوى داخلية* ربما كانت من باطن الأرض. هناك نص لاتيني يقول إن هذه الجذور في باطن الأرض، ويعني أنها في اللاوعي. وهكذا عندما تتابع حياة الذات الحيّة تقودك إلى تجربة فوق أيامنا وتحتها، أو قبلها وبعدها. يؤسفني أن الأمر غامض جداً لكننا نصل جميعاً إلى هذه الحالة من

---

[1] Rules of thumbs: المقصود هنا مبدأ يتم تطبيقه على نطاق واسع، ولا يُقصد منه أن يكون دقيقاً أو موثوقاً في كل موقف. بل يشير إلى إجراء أو معيار يسهل تعلّمه وتطبيقه بسهولة، بناءً على الخبرة العملية وليس النظرية. المترجم.

الغموض حالما نتحدث عن تجربة الحياة لأن أي شيء موجود يكون دوماً في الماوراء؛ وإذا لم يكن في الماوراء، نكون نحن آلهة. إن الحياة تتجاوز أنفسنا، وعالمنا يتجاوز أنفسنا، ووجودنا كله يتجاوز أنفسنا. (أنا أدعوها محاولات يائسة، والنادي الذي ينشغل بأشياء كهذه هو نادٍ لليائسين). تصبح يائساً بالضرورة عندما تلامس شيئاً أكبر من ذاتك. إن نظام السيدة باينز صحيح، وفقاً لما فهمت منه، ولا بدّ من القول إنه مقبول.

السيدة باينز: محاولة يائسة إلى حد ما!

الدكتور يونغ: لكنني لن أعطي "الأنا" هذا الموقع المركزي. سوف أبدّل هذين الموقعين، وسأسمي هذه النقطة المركزية غير المرئية "الذات"، وأضع "الأنا" على الدائرة الخارجية وكأنها كوكب يدور حول الذات، من أجل أن تبقى في حالة تناغم مع المجالات التي تبدئين بسماعها حالما تنزلين تحت الماء. وإذا شنّفت أذنيك ستسمعينها؛ وعندئذٍ ستضعين الذات في المركز بينما تكون "الأنا" الدائرة الأكبر. تبدو "الأنا" ضمن مجال ثلاثي الأبعاد أكبر بالضرورة من الذات لأن الذات ليست ثلاثية الأبعاد. يلمّح مفهوم الذات إلى وجود يُنكر الحيّز المكاني؛ الفضاء رباعي الأبعاد إنكار لثلاثي الأبعاد، وبالتالي فإن الكلام عن فضاء رباعي الأبعاد هو مجرّد هراء. إنه إنكار للحيّز المكاني. لذلك فإن أفضل إشارة إلى الذات هي نقطة "البيندو – *bindu*" الإبداعية في اللغة السنسكريتية، وستمتد "الأنا" إلى الخارج إلى الفضاء ثلاثي الأبعاد؛ هكذا تصبح أكبر، وهي تبدو كبيرة مثلما تبدو الأرض بالنسبة لنا أكبر من الشمس مع أنها أصغر بكثير في الواقع. فالأشياء الأكثر صغراً في الذات أو بالنسبة للذات هي الأكبر في الفضاء، ويمكن الاستنتاج بسهولة أن كل الأشياء الكبيرة للغاية في العالم الخارجي هي لا شيء بالنسبة إلى الذات. وبالتالي كلما نظرت أكثر إلى الذات، قلّت أهمية الأشياء الخارجية، وهذا ما يكرهه أولئك اليائسون. هذا ما يجعلهم يختبئون ويشكّلون أخويات سرّية

عندما ينظرون إلى تجارب كهذه. يذهبون إلى الغابات والكهوف – ليس إلى الكنائس بل إلى أماكن سرية تحت الكنائس – معبّرين بذلك عن أنهم يستطيعون أن يديروا ظهورهم للأشياء الكبيرة. وبما أن الأشياء الجمعية تذكّر بذلك، فهم يتهمون المجتمعات السرّية بكل شيء كما نرى من الصرخات الجماعية ضدّ الماسونيين. لقد قتلوا عدداً منهم في إيطاليا مثلاً؛ يُعتبر قادة الماسونية الإيطاليون شياطين، ويُعاقبون بالنفي إلى جزيرة معينة لأنهم لم يؤمنوا بالطريق الجمعي، وبالأشياء الكبيرة. وطبعاً، تصبح القوى المرئية للأرض مجرّد لا شيء إذا وصلت إلى المركز. لذلك هو مشروع خطير يمكن للمرء أن يحذّر منه الناس الذين يقتربون من أشياء قاتلة في هذا الوقت. إن المفهوم العلمي آمن للغاية، لكن إذا تعاملنا معه كتجربة فلن يكون آمناً.

مع وجود الذات في المركز دون إمكانية تمدد إطلاقاً، و"الأنا" يدور حولها، يكون العالم الموضوعي الذي تتحرك فيه "الأنا" عبارة عن امتداد غير محدود، أي إنه مجرّد فضاء. وقد أشارت السيدة باينز هنا إلى "البراهمان" بهذا الخط العمودي الذي يشكّل الارتفاع الجانبي: يكون فعلاً في الزاوية اليمنى من السطح المستوي. إنه يشكل البعد الرابع العمودي في الفضاء دوماً. ولا يمكن للمرء طبعاً أن يتخيّل شيئاً كهذا لأن الفضاء لا يحتمل شيئاً عمودياً عليه، لكنه تعريف رياضي يشبه حالة البعد الثالث العمودي على المستوي. العمود على الفضاء إنكار للفضاء في الوقت ذاته، لأنه ليس للفضاء سوى ثلاثة أبعاد؛ إذا كان هناك بعد رابع، فلن يكون فضاء؛ سيكون شيئاً لا يمكن التفكير فيه إطلاقاً، ولا يمكن تخيله. لذلك أنت تنكرين الفضاء بوضع "البراهمان" هنا، فالبراهمان هو هذا وحسب، هو إمكانية وجود عالم – عالم بحد ذاته محتمل - لكنه عالم من نوعية مجهولة، محمول على عالمنا كشيء لا يقبل التجزئة، وبالتالي نقطة غير

مرئية. إنها إحمالات مطلقة. ولذلك فإن مفهوم البراهمان الميتافيزيقي الهندوسي الذي يرمز إلى كلية الوجود يحتوي بذاته على سمات إنكار الوجود؛ لذلك فإن البراهمان هو الوجود الأبدي غير الموجود. وأن نشير إليه بنقطة هو أمر عملي لأن ليس لديه امتداد إطلاقاً، ولا يمكننا أن نتخيّل شيئاً ليس له امتداد لأنه ليس في الفضاء.

السيدة باومان: لقد مثّله البروفسور "هاور" بتشكيل عالم واحد من هذا المخطط: دائرة أولى هي العالم المرئي، والدائرة الأخرى هي العالم النموذجي البدئي اللامرئي، والنقطة التي تمثل الذات في المركز عند تقاطع المستقيمين.

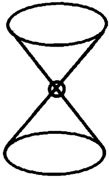

الدكتور يونغ: نعم، يمكن رؤيته بهذا الشكل أيضاً، لكنه لا يغطي فكرة وجود غير الموجود. وهذه ليست الفلسفة الهندوسية التي ينتمي إليها بوضوح مخطط السيدة باينز، حيث يكون من الأساسي جداً التفكير بالوجود على أنه غير موجود. وأحد الصفات الغريبة للذات هي أنها وجودٌ لا موجود، ويمكنك أن تسميه المركز العمودي وحسب. وهي تبدو بطريقة ما وكأنها غير موجودة؛ وبطريقة أخرى، كما لو أنها الشيء الوحيد الموجود. ويمكن القول طبعاً إن من غير المجدي صوغ توقعات كهذه. نعم، من وجهة

نظر أفقية وعالم الكلمات؛ تبدو وكأنها رهيبة وغير منطقية إطلاقاً. لكن إذا اختبرت النفس، لا يمكن أن تمنع نفسك من صياغة توقعات عنها؛ أنت مجبر ببساطة على فعل ذلك للدفاع عن نفسك ضدّ التجارب التي تحتشد فيها. وطالما أن مواجهتك معها قد وقعت، عليك أن تبتكر أشكالاً معينة لتحاول التعبير عنها. على سبيل المثال، إذا نزلت إلى قبو أحدهم ووجدت أنه وضع قوائم سريره في أحواض مليئة بالزيت، تعتقد أنه مجنون؛ لكن إذا رأيت ذلك في الأدغال، تعرف أنها فكرة رائعة لأنه سيستطيع حينها أن ينام. تلك هي الطريقة الوحيدة ليحمي نفسه من النمل الذي يمكن أن يلتهمه ويلتهم السرير معه. إذا عشت في بلد ليس فيها أشياء مثل البعوض أو النمل الطائر أو النمل الأبيض، لن تحتاج إلى أية وسيلة خاصة للحماية – أنت لا تحتاج إلى نظام تكييف – لكن إذا صادف أن ذهبت إلى أفريقيا، سيكون الأمر مختلفاً. والأمر ذاته ينطبق على موضوع الذات. طالما أنك تجد العالم صالحاً للعيش، عالم الصحف والمراكز والكتب، عالم المحاضرات وقاعات الاستقبال، وكيف حالك، وشاي الساعة الخامسة، وما إلى ذلك، فإن الكلام عن الذات سخيف وعقيم للغاية. لكن إذا تحدثت عن الذات كتجربة، عندئذٍ تصبح هذه الجهود فجأة هامة وحيوية جداً، وإذا لم تنجح في وضع ترميز صحيح، ربما تمر بليال دون نوم، أو تُصاب باضطرابات في المعدة؛ بينما إذا وضعت الترميز الصحيح فسوف ترتاح، وستهضم طعامك بسهولة وتكون لطيفاً مع الجميع، ويبدو العالم والحياة وكأنهما يستحقان العيش مجدداً – كلاهما يبدوان سخيفين للغاية بالنظر إليهما من منظور أفقي. لكن لدينا هنا محاولة أخرى. هل تفضلت وشرحت لنا كيف توصلت إلى ذلك يا سيدة باومان؟

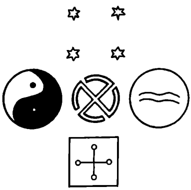

السيدة باومان: إنه مزيد من خارطة الأبراج. إلى اليمين برج الدلو؛ وإلى اليسار رمز "التايجيتو" الذي يمثل برج الحوت لأنه أيضاً عصر المتناقضات؛ و"البيغاسوس – *Pegasus*" الذي يمثل برج الفرس العظيم في الأعلى كمبدأ حاكم لعصرنا عصر التحوّل والانتقال.

السيدة باينز: فوق أي شيء؟

السيدة باومان: فوق الصليب المعقوف الذي هو "لولب" الارتباك في اللحظة الحالية بين عصرين. لكن يجب على الدكتور يونغ أن يفسّر ذلك.

الدكتور يونغ: هذه ليست محاولتي. أنا لم أضع صليباً معقوفاً في الشمس! لكن من الواضح أن لهذه الفكرة علاقة بالتحوّلات في السنة الأفلاطونية؛ وفقاً لفلسفة تنجيم قديمة فإن "لولب" الاعتدال يسبق إشارة برج الدلو، آت من إشارة برج الحوت. لكن إذا نظرت إلى إشارة برج الدلو على خارطة الأبراج، نجد في الأعلى مجموعة نجوم على شكل مربع تقريباً هي برج "بيغاسوس - الفرس الأعظم". "اللولب" منحرف فعلاً، وهي تهدأ بسبب الحوت الثاني الأفقي، ثم يأتي "البيغاسوس" في الأعلى. هلّا شرحت لنا كيف ربطت فكرة الزمن الأفلاطوني مع المشكلة التي نناقشها حالياً، أي الذات؟

السيدة باومان: تكمن الذات وراء كل شيء طبعاً. لكن كنت أفكّر أولاً بعلاقة نيتشه بذلك الزمن، هل تأثر بذلك الزمن أثناء تأليفه *هكذا تكلّم زارادشت*. وأيضاً هل لذلك علاقة بزمننا، وبما يحدث في ألمانيا.

الدكتور يونغ: لكنها أقرب إلى الذات، هل تقصدين أن "البغاسوس" هو فكرة الذات؟

السيدة باومان: أعتبر أن له علاقة بتطوّر الإنسان. هي يمكنني أن أفسّر المخطط أولاً باعتباره خارطة زمنية؟ بما أن "البيغاسوس" هو المبدأ الحاكم في الأعلى، بدا لي أيضاً أن له علاقة بمركز الحنجرة والخطاب الملهم والحماس. ثم لدينا في الأسفل الأرض التي تمثل الشيء الإبداعي المعاكس؛ الأرض هي المادة التي يصنع النحات القوالب منها، وهناك مجموعة نجوم أخرى تحت برج الحوت والجزء الأول من برج الدلو يسمّى "سكالبتر – *Sculptor*"، ويعني النحات. طالما أن برج الدلو في المستقبل (إلى اليمين)، أطلقت عليه عصر الوعي الزائد؛ والماضي، برج الحوت (إلى اليسار)، عصر اللاوعي النسبي. وفي المركز، يدور الصليب المعقوف إلى اليمين. هذا هو الجانب البنّاء. وإذا درت إلى الجهة الأخرى، يتحرك الإنسان إلى الخلف ويدور الصليب المعقوف إلى اليسار. يكون برج الدلو حينها إلى اليسار كالمستقبل اللاواعي، ويكون برج الحوت (إلى اليمين) ممثلاً الماضي الواعي. وهنا الصليب المعقوف الأسود المدمّر- التشديد على الأسود. عندئذٍ يمكن أن نطلق على "البغاسوس" الممثل للمبدأ الحاكم اسم "الليبيدو الحيواني"، والمربع هو الثالوث المقدس بالإضافة إلى الشيطان مشيراً إلى الوظائف الأربعة كلها.

الدكتور يونغ: كيف تفسرين الصليب في الأسفل؟

السيدة باومان: لقد استخدمته فقط كإشارة للأرض.

الدكتور يونغ: بالإشارة إلى رمزية "*I Ching*" كما أظن.

السيدة سيغ: تحدثت في المحاضرة السابقة عن الذات المبدعة، واعتقدتُ أنها كانت راحة هائلة؛ وتحدثت أيضاً عن المبدأ الحيوي الذي كان خلف كل شيء، ويحكم كل شيء. وأظن أنك إذا ربطت الذات مع الفكرة الإبداعية، أي مع مبدأ التشكيل، فهذا يسهّل علينا قبول فكرة الذات وفكرة العيش. والآن تفترض السيدة باومان أن "البيغاسوس" هو مبدأ التشكيل ذاته، وتتحدث أيضاً عن كوكبة النجوم السفلى التي تمثّل "النحات – *Sculptor*" على أنها علامة إبداعية.

الدكتور يونغ: لم أفهم تماماً ما قلته عن "البيغاسوس"، وعلاقته بالكلمة يا سيدة باومان.

السيدة باومان: قصدت بذلك خطاب الإلهام، كما في الشعر الإبداعي، يبدو لي أنه يمكن أن يكون مرتبطاً أيضاً بنيتشه.

الدكتور يونغ: تقصدين الربط من خلال التزامن – يتزامن الموقع الفعلي للاعتدال الربيعي مع زمن نيتشه؟

السيدة باومان: كنت أعني مع حدسه بقدوم المبدأ الحاكم.

الدكتور يونغ: موقع "البيغاسوس" موقع ثابت في السماء، وقد حدثت ولادة نيتشه في مسار الزمن في موقع ما تحت "البيغاسوس". وفكرة أن نيتشه سيتوافق مع تلك الرمزية سيكون وفقاً لفكرة علم التنجيم طبعاً، حيث تتزامن الولادة مع عامل كوني دون أن تتأثر بذلك. هل يعبّر ذلك عن فكرتك؟

السيدة باومان: نعم.

الدكتور يونغ: حسناً، هذا ممكن. شكراً لك.

السيدة باومان: شعرت بالحرج الشديد في إظهار ذلك. لم أرغب بأن أتماهى معه. لم يكن ذلك من إبداعي الخاص إطلاقاً.

الدكتور يونغ: أنا سعيد جداً لأن السيدة باومان تخبرنا بذلك، لأنها تعطينا بذلك برهاناً رائعاً جداً عما كنت أقوله: إن ذلك لم يأتِ من عالم الكلمات، بل من عالم التجربة. وقد شعرت بالحرج الشديد عندما تحدثت عنه ولم يكن يقينها المعتاد؛ إنه نوع خاص من التجربة التي حاولت صوغها برموز. أفترض أن هذه تجربة واضحة بطريقة ما، وإلا لما استطعنا تفسير سبب احتياجها للوقت والجهد سعياً وراء المواقف والموازيات وتقريب إحداها من الأخرى، كي تعبّر عن تجربتها الخاصة أو تثبتها، وهي بحد ذاتها شيء لا يمكن التعبير عنه أبداً. وستعترف أن المرء يختبر صعوبة خاصة إذا طُلِبَ منه تفسير شيء من هذا النوع. لكن المميز للغاية من بين الأشياء التي جمعتها لتوضيح هذه النقطة يوضح أن بإمكان المرء أيضاً أن يأتي بمقارنات وتشابهات أخرى تساهم بشكل كبير في الفكرة ذاتها. يلمّح هذا المخطط كله مثلاً إلى الصليب، وكان الصليب رمزاً مهنياً هاماً جداً في العصور القديمة؛ كان يتم تفسيره دوماً على أنه موقع الاعتدال الربيعي، أي تقاطع خط الاستواء مع ما يسمّى مسار الشمس. وقيل أيضاً إن الحرف الإغريقي "*X*" في الفلسفة الأفلاطونية يمثل هذا الاعتدال الربيعي، لكنني غير واثق من ذلك؛ أعتقد أنه صليب يراه المرء في السماء عند خطوط عرض معينة، وليس مجموعة نجوم "صليب الجنوب – *Southern Cross*"، بل تقاطع "درب التبانة – *Milky Way*" مع خطوط فلكية. رأيت ذلك في الصحراء في شمال أفريقيا، لكنني افترضت أن بالإمكان رؤيته في الليالي الصافية في اليونان لأنها على خط العرض ذاته.

البروفسور فيرز: رأيناه في "رودس".

الدكتور يونغ: هي فكرة قديمة ترتبط بتلك الأسطورة التي خلق فيها "الديميرج" كوناً دائرياً قطعه إلى أربعة أجزاء ثم أعاد ربطها مجدداً؛ والأسطورة التي تقول إن الإنسان مصنوع بهيئة مثالية، كرة ثنائية الجنس

ينبغي قطعها. وهكذا تم قطعه إلى قطعتين. لكن منذ فجر التاريخ تم الافتراض بأن الوحدة الحية تشكّلت من أربعة عناصر. تلك هي فكرة فيثاغورس، ويجد المرء في كل فلسفات العصور الوسطى أن الذات تتشكل من أربعة عناصر تتطابق مع التراب والماء والنار والهواء، أو مع عناصر المزاج الأربعة،[1] تماماً كما نقارنها مع الوظائف الأربع. تقول حقيقة قديمة إن الشيء الجوهري يتكون من أربعة، وهكذا فإن رمزية الصليب هذه ترتبط بالزمن. يرتبط تقاطع مسار الشمس مع مدار السرطان بالزمن أيضاً، ومن هنا أتى رمز الصليب الذي يمكن رسمه على شكل مربع أو على شكل دائرة في مطلع علم الأبراج، كما رآه القدماء.

يشبه هذه المخطط خريطة أبراج لكنها تخص السنة الأفلاطونية. ومع أن لها علاقة بقضايا كونية على ما يبدو، فهي تعبّر أيضاً عن سيكولوجيتنا؛ وتعبّر، وفقاً للسيدة باومان، عن سيكولوجية نيتشه وألمانيا وأوروبا. في الواقع، يمكن القول إنها تمثّل ذلك، وهذا لا يعني أن الأحداث في العالم هي على هذا النحو لأن لدينا أفكاراً كهذه! هذا ليس تفسيراً. هو غير منطقي ولا عقلاني؛ بل مجرد تعبير عن أن سيكولوجيتنا الخاصة ستُنتج في الواقع أشياء كهذه إذا خضعت النفس للاختبار. وهذا شرط ضروري طبعاً لا يحدث أي شيء من دونه. وأفضل طريقة للتعبير عن ذلك هي ربطه بميزات ذلك الزمن، لأن من المفترض وجود تزامن بين الأحداث السيكولوجية في أنفسنا والأحداث في مجال الحياة التي نعيشها. وطبعاً، يمكن قول الكثير عن هذه الرمزية الغريبة. على سبيل المثال، لدينا هنا ما يُسمى التوافقات

---

[1] نظرية تفترض وجود أربعة نماذج أساسية للمزاج وهي "الشخصية المتفائلة – sanguine"، "الشخصية 'الكوليرية'، من الكوليرا، أو الشخصية سريعة الانفعال – choleric"، "الشخصية الكئيبة – Melancholic"،وأخيراً "الشخصية الباردة، الهادئة – phlegmatic". المترجم.

الأربعة بشكل جميل جداً. يرى المرء في "البيغاسوس" النقاط الأربع بوضوح كبير، وهي محتواة في المربع السفلي بترتيب مختلف، على شكل صليب. والنقاط هنا متصلة بينما هي منفصلة في "البيغاسوس". وفي "*taigitu*" رمز "اليانغ ين" الصيني، وتوافقاً مع برج الحوت، هناك ثنائية؛ وفي الجهة المعاكسة، في برج الدلو، هناك ثنائية أيضاً لكنها من نوع مختلف. إن رمز برج الحوت رمز ثابت لأنه يدور بنفسه، وإشارة برج الحوت تتبعه. ليس هناك بداية ولا نهاية. أنا سعيد لأن السيدة باومان منحتنا هذه الفرصة لرؤية كيف وصلت هذه التعابير الرمزية إلى الوجود، ولماذا أتت. إنها دوماً محاولة لصوغ تجربة لحظية في زمننا. هذا لا يعني طبعاً أنه ما من أحد اختبر الزمن دون أن يرسم مخططاً كهذا؛ نحن نستطيع اختبار زمننا بعدة أشكال. يمكن أن يكون ذلك بطريقة الكلمة أيضاً. طالما أنه تم اختباره بطريقة الكلمة، فنحن شخصياً لا نتأثر فعلاً. لكن إذا وصلت إلى أعماقنا، ودخلت إلى جوهرنا، سنحتاج إلى التعبير ونسعى إليه. سوف نفعل كل ما يمكن لكي نعبّر عن ذلك. يلتهم الناس أشياء مذهلة – الفلسفة الشرقية، والأنثروبولوجيا، ولا أعلم ما يُضاف إلى ذلك – من أجل العثور على شيء يسمح لهم بالتعبير عن تجربة زمننا، أي الحالة الواقعية لنفسنا الجمعية.

المحاضرة السابعة

6 آذار - مارس 1935

الدكتور يونغ:

بإمكاننا اليوم أن نتابع في كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت***، والنص التالي بعنوان "عن صبوات الأفراح والآلام".

إذا كان لك فضيلة يا أخي، وكانت هذه الفضيلة خاصة بك فلن تشارك فيها أحداً سواك.

لا ريب في أنك تريد أن تسميها باسم وتلاطفها؛ تريد أن تجذبها من أذنها وتعبث معها وتتسلّى.

لكنك بهذا تقاسمت اسمها مع الشعب، وأصبحت فرداً من الشعب والقطيع بهذه الفضيلة.

كان من الأفضل لك لو قلت: "ما يترع روحي عذاباً وحلاوة لا يمكن وصفه، ولا منحه اسماً، والذي هو أيضاً جوع أحشائي".

ما الذي كان يعنيه بذلك التصريح الأول؟ إذا كان لديّ فضيلة، كالعدالة مثلاً، فأنا بكل تأكيد أشترك بها مع أشخاص آخرين؛ لا يمكن أن أفترض أنني الوحيد الذي يمتلك فضيلة العدالة.

الآنسة حنّة: هل يقصد بذلك فضيلة أن تكون ذاتك؟ - لأنه بالعودة إلى بدايات الكتاب (المقدمة، المقطع الرابع) استخدم كلمة "*فضيلة*" بهذا المعنى.

الدكتور يونغ: نعم، كان يعني "بالفضيلة" قيمة شخصية في تلك المقاطع، أو يمكن أن نقول "الذات". لأنه غالباً ما يتم ترميز القيمة الحقيقية للشخصية بالجوهرة أو الثروة أو شيء من هذا القبيل، لأن كل شيء يتمركز حول تلك القيمة المركزية التي تشكّل الذات. ويمكن لتلك القيمة أن تُسمّى "فضيلة" لأن "الفضيلة" لديها تقريباً معنى القوة السحرية. لذلك كانت تُستخدم كلمة "فضيلة - *virtus*" اللاتينية للتعبير عن سمات سحرية خاصة كسمات الدواء أو المعدن أو الحجر مثلاً. إن سمة "حجر الجمشت الكريم – *amethyst*" هي أنه يحمي المرء من التسمّم، وسمة قرن حيوان وحيد القرن أن يحمي المرء من السمّ عندما يتم تحويله إلى كأس. تلك فكرة صينية؛ كانوا يستوردون قرون وحيد القرن من أفريقيا لهذه الغاية. وكانت الفكرة ذاتها موجودة في أوروبا في العصور الوسطى – ربما رأيت أكواب الشراب المصنوعة من القرون. وفي فترة لاحقة، أصبحت كلمة "*virtus*" ببساطة سمة "المانا" الخاصة بالمحارب القوي الشجاع. وفي فترة لاحقة، أصبح يُفترض أن الناس الذي اتبعوا طريقاً معينة، وراعوا قوانين وأحكام معينة، قد اكتسبوا فضيلة؛ فإذا عاش المرء حياة الزهد مثلاً، أو أدى طقوساً معينة، يكتسب فضيلة، أو يكتسب سمات الرجل أو السمات السحرية لرجل دين أو ساحر؛ تلك كانت الأهمية الجديدة "للفضيلة". لقد تعامل معها نيتشه بهذا المعنى، أي على أنها تأثير أو "مانا".

التعريف الآخر "للمانا" هنا هو فكرة الفاعلية غير المألوفة، وتكون الفضيلة فاعلية الطبيعة غير المألوفة أو امتيازها. الإنسان صاحب الفضيلة هو شخص بارز لديه سمات معينة، ولديه قيم لكن لا يمكننا أن

نخمّن ما هي تلك القيم تحديداً. إنها "مانا" ببساطة. وتقوم فكرة نيتشه على أن الفضيلة شيء لا يجب أن يشترك به الشخص مع أي شخص آخر، لأن الفضيلة العليا، أو فضيلة الإنسان العليا، هي أن يكون ذاته. كما أن الفردانية و"حبّ الذات" – وليس الأنانية – هي إحدى السمات التي لا يكون الإنسان مشتركاً بها مع أي شخص آخر لأن الذات فريدة جداً، وبقدر ما تكون الذات واضحة في الفرد، يكون مميزاً. والتميّز يعني العزلة، ويعني أيضاً الوحدة بالنظر إليها من وجهة نظر إنسانية، فهي نوع من التميز، وأي شيء مميز يكون وحيداً، *وغير قابل للمشاركة* بأي شكل كان؛ هو غير مرتبط بالقنوات التي تُعتبر تحت أرضية والتي تنبثق منها الحياة. إنه معزول بصورة صحيحة فعلاً، وبالتالي لا يمكن مقارنته مع أي شخص آخر. والآن الفقرة الآتية: "*أكيد أنك تريد أن تسمّيها باسم وتلاطفها*". ماذا يعني ذلك؟

السيدة أدلر: أليس هذا أداء عقلانياً للوعي؟ لقد أوضحه من خلال "الأنا".

الدكتور يونغ: تقصدين أنه يريد أن يجعل منها سمة واعية، أي سمة "للأنا"؟

السيدة أدلر: سمة عقلانية، هكذا وحسب، وليس شيئاً عليه أن يفعله.

البروفسور فيرز: هو يقول: "*عندما يكون لديك فضيلة*" ولم يقل "*الفضيلة*". فربما تكون العدالة أو أية فضيلة أخرى، وهذا ليس ما قصدته أنت بكلمة "شخصية".

الدكتور يونغ: ليس تماماً؛ هذا ما يثير الاهتمام.

السيدة ليون: لقد تحدثت عن مبدأ العدالة باعتباره فضيلة، لكن إذا تمت صياغته بقوانين، فسيصبح جانباً جمعياً ويفقد "المانا" الخاصة به.

الدكتور يونغ: هذه مسألة أخرى. عندما تحدثتُ عن "فضيلة"، وأسميتها "عدالة" كان ذلك مثالاً واحداً، وبهذا المثال أعطيتكم الاسم. بدأ

نيتشه بفكرة شخص لديه "فضيلة" – عادة عندما يتحدث شخص عن فضيلة، يقصد بها فضيلة محددة – ثم قال بعدها: "وتكون تلك فضيلتك" – مما يعني فضيلة معينة لذاتك. عليك أن تلاحظ أن هذه "فضيلة" لا تشترك بها مع أي شخص آخر؛ إنها انتماء فردي، وهذا يدلّ على أن من الأفضل عدم إعطاء اسم لها. هو يقول: "*أكيد أنك تريد أن تسمّيها باسم*"، - وهذا يعني بشكل طبيعي أنك تميل إلى الحديث عنها باعتبارها فضيلة خاصة، لكن حالما تعطها اسماً تكون قد "*تقاسمت اسمها مع الشعب، وأصبحت فرداً من الشعب والقطيع بهذه الفضيلة!*" لذلك لا تعطِ اسماً لفضيلتك، لأنك بهذه الطريقة تجعلها خاصة: تصبح مجرد واحدة من الفضائل.

السيدة فيرز: هذا يجعلها عامة وليست حصرية.

الدكتور يونغ: يمكن صوغها بهذه الطريقة. لأنك إذا جلبت شيئاً لا اسم له إلى المجال الجمعي، يصبح جزءاً من الجماعة، يصبح فرداً من القطيع؛ أنت تُفقر التميّز وتقلل من قيمته إلى مستوى شيء جمعي. وعندئذٍ تهبط القيمة العليا إلى مستوى شيء تافه يمكن العثور عليه في أي مكان. وبالتالي فإن هذه الفكرة، بالطريقة التي صاغها: "*كان من الأفضل لك لو قلت: " ما يترع روحي عذاباً وحلاوة لا يمكن وصفه، ولا منحه اسماً، والذي هو أيضاً جوع أحشائي*".

"*لتكن فضيلتك أرقى من حميميّة الاسم: وإذا ما كان عليك أن تتكلّم عنها، فلا تخجل من التمتمة وأنت تنطق بها.* "

إذا منحت فضيلتك اسماً فستفقدها سحرها، وتنزل مستواها إلى المستوى الجمعي؛ وعندئذٍ لن تكون إنجازك الفردي. ستصبح مجرد سمة شخصية ولن تعود الشيء الذي يميز تفرّدك.

الآنسة وولف: أعتقد أنه يوضح أيضاً في الجملة الثانية أن منح الاسم وإظهار الاهتمام يجب أن يكون بمصطلحات حميمة جداً، ويمكن لهذا أن يترك الأثر ذاته عليه. لأنه إذا كان معروفاً، يصبح هذا الشيء أشبه بملكية يمكن أن يضعها في جيبه، ولن يعود شيئاً أكبر من ذاته. يصبح هو هذا الشيء.

الدكتور يونغ: ما قالته السيد آدلر من الناحية العملية هو الآتي: سيكون استيعابه في "الأنا". إذا استطاع أحدهم أن يدعوه باسم، ويضعه في جيبه، فستكون "الأنا" في الأعلى فوقه – أنا أمتلك فضيلة. عادة ما يكون لمنح الاسم لشيء ما تأثير غريب يرتبط بإضفاء نوع من الألفة أو المعرفة. يبدو وكأن له مفعولاً مهدّئاً؛ كما لو أن منح الشيطان اسماً يمنحنا سلطة على الشيطان. يقرأ المرء في كتاب "كتاب الموتى" أن المصريين كانوا يضعون في نعش الملك الميت كتاباً يتضمن أسماء بوابات العالم السفلي ومداخله لأنها لن تُفتح إلا إذا ناداها بأسمائها الصحيحة. وهكذا في "حكايات غريم الخرافية" يأتي الشيطان "رامبلز تيلتسكين"[1] ويتعمّد الأذى حتى ينادوه باسمه، وبعد ذلك مباشرة ينفجر غضباً وينتهي لأن اسمه بات معروفاً. هكذا كان للملوك البدائيين أو العرافين أسماء سرية: كان الاسم الذي يُعرفون به عادة مجرّد غطاء يخفي الاسم الحقيقي. وهم يخفونه لأنه إذا بات الاسم الحقيقي معروفاً فقد يؤثر على حياتهم وثروتهم. لدينا الكثير من التقاليد ذاتها. لدينا كقاعدة عامة اسمان أو ثلاثة أسماء: الأول اسم عائلتنا، وليس سيئاً أن تتم مناداتك به، لكن عندما تتم مناداتك باسمك الخاص أو باسمك في المعمودية، يمكن أن تشعر بالأذى لأن ذلك الشخص يتدخّل في أعماق نفسك. على سبيل المثال، إذا ناداك أحدهم فجأة

[1] رامبلز تيلتسكين، من "حكايات غريم الخرافية". يعود الاسم لرجل هزيل مزعج.

باسمك في المعمودية أمام حشد من الغرباء، ستشعر وكأن سهماً أصابك. ومن هنا يكون لدى الشخص اسم عائلة، ولقب أحياناً، وهو الأكثر حماية؛ اسم العائلة محدد إلى حد ما لكن تستطيع أن تخفي أي كمية من الغرور خلف لقب، ولا يصيبك أي أذى. اسم العائلة مناسب جداً للناس العاديين، لكن مع اسم المعمودية يبدأ الشر، ولا سيما عندما يناديك به شخص من الجنس الآخر. لكن الأمر ليس كذلك في أمريكا حيث أدهشني أن أجد أي شخص ينادي أي شخص باسمه في المعمودية، وقد يلفظ الاسم بصيغة التصغير المتضمنة شيئاً من الاستهانة. وهذا يثبت أن هذا الشخص كان مألوفاً جداً هناك. هذا يخلق الكثير من المتاعب إذ يشعر المرء سرّاً بقلة المكانة.

البروفيسور فيرز: أتذكر أنني كنت في مصنع كبير للبودرة في ولمينغتون، فدخل رجل يحمل مكنسة وقال: "مرحباً تشارلي" محيياً المدير الذي بدا رجلاً كبيراً. بدا الأمر وكأن أحدهم قال للرئيس "صباح الخير يا 'أوتو'".

السيد باومان: تحدثتَ عن أشخاص أنزلوا قيمة فضيلتهم إلى المستوى الجمعي، وأظن أن هناك أيضاً من وضع فضيلته في "شخصيته القناع". على سبيل المثال، يعتقد أحدهم أنه صريح جداً عندما يقول دوماً أشياء تافهة دون تفكير.

الدكتور يونغ: ينتج هذا عن إضفاء طابع الألفة على الفضيلة؛ تمنحها اسماً، ثم تتكلم عنها – تموّه نفسك بالصباغ. إن الشخص الذي يصرّ دوماً على أنه محبّ للحقيقة وشريف للغاية، يسقط عند أدنى استفزاز لأنه أضفى على فضيلته طابع الألفة. وكان نيتشه محقّاً جداً عندما قال إن على المرء أن يأخذ الشيء الجيد في ذاته كامتياز له، كتفرّد له؛ ولا ينبغي أن يمنحه اسماً. لأنه لا يهم ما هو الاسم الذي يمنحه له؛ إذا كان هناك امتياز،

فسوف يتم إظهاره بأشكال عديدة. سيكون للإنسان العادل قيمة في أماكن مختلفة، وليس فقط في ممارسة العدالة؛ لكن إذا قال إن موضوعه الأساسي هو العدالة، تستطيع أن تتأكد من أنه كاذب. إنه يقول ذلك بهدف تمويه الظلم. وبالتالي من الصحيح تماماً القول: "إن الفضيلة لا توصف، ولا اسم لها"؛ إنها شيء أعظم منا. وهي ما يجعل المرء فريداً من نوعه. ونقرأ في *الأبنيشاد* أنه عندما يتحدث "براجاباتي" حول خلق أجزاء معينة من العالم، فهو يستشير عظمته الخاصة، كما لو أن عظمته الخاصة كانت شيئاً منفصلاً عنه، أو سمة استثنائية، وليس سمة يمكن أن يعطيها اسماً ويضعها في جيبه. وتلك هي الذات. وبالتالي حتى "براجاباتي"، أتمان العالم، لديه ذات، لديه ما هو أعظم من نفسه؛ ثم تحدثت عظمته إليه.[1]

فقل وأنت تتمتم: "هذا متاعي، وهذا ما أحبّ، هذا ما يثير إعجابي فعلاً، هكذا فقط أريد متاعي".

يعبّر هنا عن فكرة مفادها أن امتلاك فضيلة يعني خيراً عاماً لا يمكن وصفه، وقيمة تهيمن على المرء بشكل كامل؛ ؛ ولا يجب أن تسميها كي لا تخلق ظهوراً خاطئاً – كما لو أن بإمكانك أن تضع ذلك الخير في جيبك وتستخدمه عندما ترغب. يجب أن يظهر، حتى في صياغتك، كشيء تتضمنه كينونتك بشكل عام. هو موجود دوماً، وسوف يؤدي عمله عندما يرغب. وهو في الوقت نفسه صياغة للعلاقة مع الذات، كحضور أبدي لا يمكن التخلّص منه ولا منحُه اسماً. ثم يقول:

"لا أرغب به شريعة إلهية، ولا قانوناً أو ضرورة بشرية؛ لا أريد مرشداً يهديني إلى العوالم العليا وجنان الخلود."

---

[1] "براجاباتي" (السلف الأعلى) كان إلهاً كانت وحدته ورغبته أن يجعل مادته تتدفق وتؤدي إلى خلقه للعالم. أنظر "هومي – Hume" صفحة 81 – 86.

"أحبّ الفضيلة الأرضية: ليس فيها سوى القليل من التعقّل، وأقل ما يمكن من الحكمة."

السمة الوحيدة التي منحها لها هي السمة الأرضية التي تشبه طبعاً أن يطلق على الذات اسم "الجسد"؛ أراد تضمين الجسد كمظهر مرئي للذات. أراد أن يصنع منها حالة كليّة، ليس فقط "***مرشداً يهديني إلى العوالم العليا وجنان الخلود***". وهذا لا يعني أن الروح وحدها مناسبة للفردوس بل إن الجسد مناسب أيضاً. فإذا تعاملت بطبيعة الحال مع الفضيلة باعتبارها سمة تظهر في كلية النفس، بما في ذلك الجسد، سيكون فيه شيء من التعقّل، والقليل من الفطرة السليمة. وكما تعرفون، تنصحنا الفطرة السليمة بأن نمنح الأشياء أسماء كي نستطيع التحكّم بها؛ إذ يبدو الأمر كما لو أنك تستطيع أن تمسك بيديك شيئاً وتكدّسه وتقبض عليه. بينما إذا تعاملت مع أشياء لا يمكنك أن تمنحها اسماً، فأنت تواجه نوعية مجهولة ستثير مخاوفك دوماً. إنه غريب وخارق للطبيعة، ولا سيما في إصراره على نسبة أقل من التعقّل والفطرة السليمة. لكن التعقّل إقصاء لطرق معينة. إنه بصيرتنا الخاصة، وأنت تعرف إلى أي حدّ تقودنا بصيرتنا – ليس إلى مسافة بعيدة. من خلال التعقّل والفطرة السليمة، ربما نستثني طريقة تقودنا إلى المكان الصحيح. ومن جهة أخرى طبعاً، إذا كانت قضية تتعلّق بفطرة غير سليمة، فأنت بحاجة إلى فطرة سليمة. ومع الأسف الشديد، عادة ما يفتقد ذوو الفطرة السليمة الفطرةَ غير السليمة. ويفتقد ذوو الفطرة غير السليمة الفطرةَ السليمة، والحالتان سيئتان بالمستوى ذاته.

"لكنّ هذا الطائر قد بنى عشّه قربي: لذلك أحبّه وأعزّه؛ وها هو يحضن الآن بيوضه الذهبيّة لديّ."

أي نوع من الصور هذه الصورة؟ ما الذي تعنيه؟

السيدة باومان: إنها فكرة الفطرة غير السليمة.

الدكتور يونغ: يعني هذا الطائر بوضوح تلك الفضيلة الأرضية التي تتضمن القليل جداً من التعقّل والفطرة السليمة. لكن أودّ أن أعرف معنى هذا الرمز الغريب. لماذا اختار هذه الصورة المضحكة تحديداً؟

السيدة ستوتز: هي رسالة من الله، قادمة من الجنّة، لكنها ظهرت من خلال الطبيعة ذاتها.

السيدة أدلر: الطائر حقيقة روحانية، وبالتالي فهذه الفضيلة لم تأتِ من الأرض؛ إنها المفهوم المعاكس.

السيد أليمان: لدى هذه الفضيلة الأرضية قوة روحانية، وهي شيء إبداعي. وتجلس على بيوض ذهبية.

السيدة ليون: لكن التعشيش يفترض أيضاً سمة الحياكة التي تعود للنساء؛ تقوم النساء أحياناً بحياكة أعشاش بدلاً من المؤامرات.

السيد باومان: أليست هذه سمة إعادة ولادة، أي التجسد؟

الدكتور يونغ: أنت تقترب الآن من الحقيقة!

السيدة سيغ: ربما للأمر علاقة بالروح القدس وسماتها الأمومية.

الدكتور يونغ: نعم، إن لها علاقة كبيرة بالروح القدس. فعندما يتحدث نيتشه، ابن القس البروتستانتي، عن طائر وبيوض ذهبية، فهو لا يقصد أبداً المعنى الأمريكي المرتبط "بالأعمال".

الدكتور سترونغ: هناك أيضاً فكرة "إدامة الذات" أو الخلود – الانتقال من طائر إلى بيضة، ثم إلى طائر مجدداً.

الدكتور يونغ: نعم، والذهب نفسه يوحي بالديمومة والبقاء.

الآنسة وولف: ببساطة تامة، هذا يُظهر تماماً أن هذا ليس من صنعه بالمطلق؛ الطائر أتى إليه، ونيتشه ينتظر حتى يفقس البيض.

الدكتور يونغ: لكن ما الذي يعنيه الطائر؟ أنت تتحدثين عن نيتشه نفسه.

السيدة فيرز: زارادشت. بقدر ما يكون زارادشت هو العجوز الحكيم، يمكن أن نتصوّره كطائر. يمكن أن يكون طائر "الهامسا".

الدكتور يونغ: حسناً، "الهامسا" بالتأكيد طائر إعجازي يشبه العنقاء، "طائر الفينيق"، لأن العجوز الحكيم يعرف إكسير الحياة. هو يستطيع أن يمنح نفسه ولادة جديدة، وينبثق مجدداً من رماده. وهو أيضاً ساحر عظيم، وهو طائر لأنه روح. لذلك يمكن القول إن هذا الطائر عبارة عن "سمة" أو فضيلة أصبحت مرئية في شخصية زارادشت، الشخصية الأعظم في نيتشه. وبالتالي يظهر رمز الذات هذا بهيئة العجوز الحكيم؛ بمعنى آخر، إن فكرة حقيقة الذات لا تزال تتطور من خلال رمز العجوز الحكيم، وفي هذه الحالة من خلال الطائر العجوز الحكيم، الهامسا.

السيدة فيرز: ذكر البروفسور "زيمر" خلال السمينار الذي عقده في برلين أسطورة هندية توضح ذلك على ما أظن. وفيها تجوّل الكاهن العظيم "ماركانديا" في جميع أنحاء العالم، وكان العالم في الوقت ذاته هو جسد الإله، وبذلك كان الكاهن في واقع الأمر *داخل* جسد الإله.[1] بتجواله في عدة بلدان وممالك، والتأمل بأعاجيب الأرض، وصل هذا الكاهن إلى فم الله، ووقف فجأة على سطح جسده. لكن لم يستطع أن يدرك ذلك بسبب "مايا" الإله. وما رآه بدلاً من ذلك كان محيطاً لا نهاية له، ويوجد في هذا المحيط عملاق نائم يشبه جبلاً. وعندما ذهب "ماركانديا" ليتعرّف على شخصية هذا العملاق، ابتلعه فم الإله، وتجوّل داخل جسد الإله كله. وبعد ذلك بفترة، وصل "ماركانديا" دون أن يدري إلى فم الإله ووقف مرة أخرى بشكل مفاجئ على سطح جسده. ورأى هذه المرة رضيعاً يلعب تحت شجرة، فقال

---

[1] **"ماركانديا"، هو الشكل الهندي لشخصية "اليهودي التائه"، حيث مضى في رحلة لا تنتهي متأملاً في قضية ما هو حقيقي وما هو "مايا". انظر "زيمر"/ أساطير، صفحة 38-53.**

الرضيع: "مرحباً يا "ماركانديا"! تعال إلى هنا يا طفلي الصغير ولا تخف". غضب "ماركانديا" بشدّة لأن رضيعاً ناداه بصفة "طفل"، وباسمه الشخصي الأول دون أن يذكر لقبه ككاهن ويعبّر عن احترامه. لكن الرضيع قال: "أنا والدك وخالقك"؛ لقد كشف عن ألوهيته الأبدية "لماركانديا"، وبذلك أصبح الكاهن عارفاً. لكن فم الإله ابتلعه مرة أخرى – وكان الجزء المثير من الأسطورة هو الآتي: مع دخوله إلى جسد الإله مجدداً، لم يتذكّره "ماركانديا" باعتباره إلهاً، بل كبجعة، "هامسا". وهكذا، ما يكون على مستوى الشخصي الفائق هو الإله، يبدو على مستوى حياتنا اليومية بجعة، أو الطائر العجوز الحكيم.

الدكتور يونغ: هذا مثير للاهتمام. لأن عملية التذكّر تلك عبارة عن حكمة، فهي حكمة العجوز الحكيم الذي يعود بالذاكرة عبر العصور إلى زمن ما قبل الإنسان، عندما لم يكن هناك سوى الآلهة؛ لذلك كانت ذكرياته عن عالم إلهي. وقد أشار البروفسور "ليفي بروهيل" إلى عالم "بوغاري – *bugari*" الخاص بسكان أستراليا الوسطى الأصليين، تلك الفترة الأسطورية من ماضي البشرية، والعصر البطولي الذي كان فيه الرجال أنصاف آلهة وحيوانات؛ كانت أشبه بحلم، وأطلقوا على الحلم الاسم ذاته.[1] والأمر ذاته يظهر في الأحلام حيث يكون المرء في ذلك العالم الإلهي الأصلي، العالم الأبدي الذي يستمرّ خلال العالم الانتقالي الذي نعيشه فعلاً وإلى الأبد. إنه دوماً عالم خارج الزمن، ويُفترض أن يكون للمعلّم الحكيم ذاكرة عنه، ومن المثير للاهتمام أن يمثل هذه الذاكرة حيوان. وكما

---

[1] عالم "بوغاري" هو عالم فترة سابقة، عصر بطولي كان يمكن الدخول إليه والعيش فيه في ظل ظروف معينة، من قِبَلِ شخص يعيش الحاضر. ويُسمَى أيضاً عالم "تشرينجا – cheringa". انظر كتاب ليفي بروهيل بعنوان "عقلية بدائية – Primitive Mentality" (لندن، 1923). الفصل الثالث.

ترون، من الضروري المرور عبر مرحلة الحيوان للوصول إلى ذاكرة كاملة لأن الأسلاف كانوا أشباه الحيوان؛ وبالتالي، يتم تمثيلها دوماً بأفعى أو طائر أو حيوان آخر وفقاً للظروف.

السيد باومان: أليس الطائر هو من يشير إلى المستقبل، وليس السمة الخاصة؟ لقد تحدثنا في سيمنارات أخرى عن طيور تأتي بفكرة جديدة للبشر، وتبيّن لهم ما عليهم أن يفعلوه.

الدكتور يونغ: كان ذلك الطائر الذي يُعتبر مرسالاً. لكن هذا الطائر مختلف. هو يقول إن الطائر قد بنى عشّاً فيه؛ إنه الآن متجذّر بقوة. عندما يبني الطائر عشه في غرفتك، فهو ينوي البقاء. وهذا الطائر قد ثبّت نفسه في نيتشه؛ إنه نفسه الأخرى. هذه الذاكرة، أو هذا العجوز الحكيم، أو هذا الارتباط بعالم خارج الزمن، موجودة بداخله الآن وستفقس البيوض الذهبية. فالذهب يعني القيمة عادة؛ وميزة الذهب هي أنه يتجاوز الزمن بطريقة ما لأنه يبقى ذاته ولا يصدأ. وبما أن البيوض ذهبية، فهذا يعني قيمة أعلى وحظاً أفضل؛ وتذكّرها يعني الخصوبة، وإمكانيات ذهبية متعددة للمستقبل. ليس لها علاقة بالدجاجة المعروفة التي تحضن البيوض الذهبية وتعني الغنى بل المقصود هنا الغنى الروحي بكل وضوح. ومن المثير أيضاً أنه يتكلّم عن فضيلة أرضية، ويعني فضيلة الجسد، مع أنه استخدم في الجملة التالية هذا الرمز الروحي، الكائن الهوائي المتمثل بطائر بنى عشه. هناك إشارة إلى حدس نيتشه بأن الجسد الذي يتحدث عنه ليس جسداً فاقد الروح؛ فليس هناك تناقض بين الجسد أو المادة والروح، لكنه جسد حيّ، جسد روحاني.

إنها فعلاً الفكرة القديمة عن الجسد الذي يتنفّس، الجسد الأثيري المتمثل دوماً بطائر أو شبح لأنه أشبه بدخان لا وزن له. وهو ينبثق من جسدنا العادي ويطفو في الجو كطائر محلّق أو سحابة دخان. ويمكن

العثور على هذه الأفكار كلها في سيكولوجيا البدائيين التي تعطي الجوهر الحقيقي لتناقضات غريبة من هذا النوع. علينا أن نحترم حقيقة أنه عندما يتحدث نيتشه عن الجسد، فهو لا يعني تماماً ما نفهمه من الجسد الأساسي المادي، بل شيئاً يرتبط بالروح أيضاً، وهناك أيضاً مادة وسيطة يطلق عليها البدائيون اسم "الجسد الأثيري". لقد كان نيتشه في حالة غشوة عندما ألّف *هكذا تكلّم زارادشت*، وتحدثنا عن ذلك في البداية، وصادفنا عدة أماكن انبثقت فيها صور بدائية كهذه من أعماق اللاوعي البدائي. لذلك لا غرابة في أن نصادف في مواقع أخرى هذا المفهوم بالغ الأهمية المرتبط بسيكولوجيا البدائيين، وفكرة الجسد الأثيري الذي هو روح وجسد أيضاً. إنه اتحاد بين الاثنين عبر الوسيط الذي بينهما. ولا نستطيع التحدث عن واقع سيكولوجي دون أن نتذكر أن النفس يمكن أن يكون لها تأثيرات حقيقية يؤديها ذلك الشيء الذي نسميه "الجسد الأثيري".

"هكذا ينبغي أن تتمتم وتمتدح فضيلتك."

يقصد هنا أنك لا تستطيع أن تلفظ كلمات حاذقة عن الفضيلة، وعن الفعالية غير المألوفة للذات؛ لا يمكن أن تقول أي شيء محدد عنها لأنها أعظم منك. تستطيع فقط أن تتأتئ كما لو أنك في حضرة شيء عظيم جداً. وتكون محقاً إذا تأتأت وارتبكت، ولم تعثر على عبارات أو مقارنات مناسبة. عندئذٍ تكون منصفاً لها.

"كان لك فيما مضى صبوات كنت تحسبها شروراً، أما الآن فليس لديك سوى فضائلك؛ وقد نبتت هذه الفضائل من صبواتك."

ليس هذا بالأمر المتوقع؛ يبدو كما لو أن فكرة جديدة بدأت في هذه اللحظة، ثم خطر بذهنه السؤال الآتي: لكن لماذا *الفضيلة*؟ الفضيلة شيء إيجابي جداً، لكن أين الظل؟ أين الجانب السلبي للفضيلة؟ أين نقيضها، أين الرذيلة؟ ثم وصل إلى "الصبوات" التي يُفترض بها أن تكون أم كل رذيلة:

الصبوات الشريرة هي رذائل بالتأكيد. وبالتالي هو لا يستطيع أن يأخذ بعين الاعتبار فكرة الفضيلة دون الاهتمام بسلبياتها في الوقت نفسه. لقد جعل مفهومه عن الفضيلة رائعاً للغاية، وأعتقد أننا محقّون تماماً بافتراض أنه يقصد بها الذات. فالذات بالتأكيد أعظم مفهوم حدّي يمكننا ابتكاره. إنه رمز عظيم يحتوي الظلمة أيضاً، وسنكون مخطئين تماماً إذا افترضنا أن الذات هي ما نسميه "إيجابياً بالكامل". يكون لديها سلبياتها الخاصة، ولديها الظل لأنها مادية وليست "روحانية" فقط كما ندّعي. فنحن نميل إلى أن نلصق بالروح صفات الجمال وصفات الألوهية والأشياء الجميلة، ونفترض أن الظلمة والثقل وكل ما هو سيئ يرتبط بالجسد. ويميل المرء من خلال التقاليد التاريخية إلى ممارسة الكثير من الأشياء الروحانية، والقليل من الأشياء المتعلّقة بالجسد. وهنا يشعر نيتشه بذلك فيقول: **"كان لك فيما مضى صبوات كنت تحسبها شروراً، أما الآن فليس لديك سوى فضائلك؛ وقد نبتت هذه الفضائل من صبواتك"**. هو يتوقع سيكولوجيا حديثة عندما يرى فضيلة مرتبطة بالشغف؛ يفهم أن الذات مكونة من أزواج من المتناقضات، وهو نوع من التوفيق بين المتناقضات. لكنه لم يذكر ذلك الآن، لذلك لن نأخذه بعين الاعتبار الآن.

"لقد وضعت هدفك الأسمى في قلب هذه الصبوات: وها قد غدت فضائلَك وأفراحَك.

وسواء أكنت من الغضوبين أو من الشهوانيّين أو ذوي الإيمان الساخط أو المتعطشين للانتقام: ستغدو صبواتك كلها فضائل في النهاية، وستغدو شياطينك كلها ملائكة.

كانت لديك في ما مضى كلاب متوحشة في قبوك؛ لكنها تحوّلت في النهاية إلى عصافير ومغنيات بأصوات عذبة.

لقد استقطرت بلسماً من سمومك؛ وحلبت بقرة حزنك، وها أنت الآن تشرب حليب ضرعها اللذيذ.

لن يصدر عنك أي شرّ بعد الآن، سوى ذلك الشرّ الذي قد ينشأ من تخاصم فضائلك."

في حديثه عن الصبوات وأصل الفضائل، لم يعالج نيتشه هذه المشكلة بالطريقة التي تعالجها بها السيكولوجيا طبعاً. علينا أن ندرك أن لفضائلنا ظلاً، والظلّ حقيقي كالفضائل تماماً. وآمل على الأقل أن تكون قد تخلّيت عن وهمك بأنك تغيّرت بشكل كامل، وأنك الآن إنسان جديد تماماً، وأن آثامك السابقة قد تلاشت كلها. هذا وهم طفولي مع الأسف. فنحن لا نستطيع التخلّص من أنفسنا لأننا نحمل أجسادنا وظلّنا، وكل شيء آخر لدينا هو كما كان دوماً. لا يمكننا إلا أن نكون متوازنين بين ضوء وظل – فهذا كل ما يمكن أن نأمل به ولا شيء آخر. وهو وهم كارثي أن تفكر أن بإمكان المرء أن يخرج من جلده ويصبح ملاكاً من الآن فصاعداً. لكن نيتشه تعامل هنا مع سيكولوجيا تخلق الخير من الشر، والرابط جيد. وصحيح تماماً أن هناك رابطاً *سببياً* بين الصبوات الشريرة والفضائل المقابلة لها. لكنه ليس كما صاغه تماماً، بأننا نصنع الخير من الشرّ. يمكن للمرء بطريقة ما طبعاً أن يخلق مظهراً خارجياً يبدو فيه وكأنه يخلق الخير من الشرّ، أي يخلق إنسانية من الغرور مثلاً، ويخلق الكرم من البخل؛ لكن إذا خلق كرماً من البخل فعلاً فسوف يكون كرماً بخيلاً. وفي الوقت نفسه ستكون طهارته ملوثة، وصراحته كاذبة، لأنه نسي أن الظل لا يزال موجوداً. يمكن للمرء أن يخلق آلاف الملائكة لكن آلاف الصبوات الشريرة ستكون خلف أولئك الملائكة: إنها مجرد واجهة أمامية لكنها واجهة أمامية حقيقية للغاية. هي الواجهة الأمامية للمنزل وسينهار المنزل كله إذا لم تكن هناك واجهة أمامية. لكن ثمة شيء خلفها وإلا فلن يكون لها أي معنى.

بهذه الطريقة يمكن أن نفهم إذاً – أن المرء يمكن حتى أن يخلق وهماً لنفسه بأنه *"لن يصدر عنك أي شرّ بعد الآن، سوى ذلك الشرّ الذي قد ينشأ من تخاصم فضائلك"*. أنت ترى فضائل تدخل بسهولة في صراع مثل كل الأشياء التي حازت على أسماء وتم تخصيصها؛ يكون للفضيلة التي تحمل اسماً سمة لا يمكن قبولها وهي أنها تصبح متعجرفة مستبدّة للغاية. عندما مُنِحَت العدالة اسماً، لم تعد تريد أن تكون سوى عدالة، وتدخل مباشرة في صراع مع العاطفة؛ لا يمكن للمرء أن يكون عادلاً ومتعاطفاً في الوقت ذاته لأن العدالة يجب أن تكون صارمة وقاسية وإلا فلن تكون عدالة. "ليتحقق العدل على الرغم من أن العالم يتهاوى". التعاطف الصحيح الجوهري، التعاطف كما يجب أن يكون، لا يمكن أن يكون عادلاً من وجهة نظر الإنسان. وهكذا فالإنسان الذي يحاول فعلاً أن يكون فاضلاً من خلال منح اسم لفضيلته يتجه دوماً نحو صعوبات أخلاقية هائلة، وإلى ما يُسمى صراع الضمير، حيث يصطدم الأمران الخيّران. وعندئذٍ لا يعلم ما إذا كان عليه أن يكون أكثر تعاطفاً أو أكثر عدالة أو أكثر احتراماً أو أكثر أخلاقية – أو يجب أن يكون أكثر إنسانية! وكلما ازدادت هذه الفضائل الرائعة لديه، وازداد إيمانه بها، ازداد تورّطه في جحيم الصراع فيما بينها: سيخلق صداماً تلو الآخر بين فضائله الخاصة. لذلك يقول:

"إن كنت محظوظاً يا أخي فستكون لك فضيلة واحدة لا أكثر: هكذا تعبر الجسر بسهولة."

إذا كانت لديك فضيلة واحدة – شريطة ألا تمنحها اسماً – يمكنك أن تنجو من الصراع لأن تلك الفضيلة الواحدة تضفي على شخصيتك صفة الجودة، وستكون محسوسة في نواحي حياتك كلها، وليس فقط في الناحية التي تهاجمك إذا منحتها اسماً. إذا قلت إن فضيلتك هي العدالة مثلاً، فستكون عادلاً ضمن عوالم العدالة، لكنك تستطيع أن تكون شيئاً آخر

خارج هذه العوالم؛ عندما لا يكون للعدالة، بحسب الطريقة التي فهمتها بها، أية علاقة بالموضوع، لن يكون لفضيلتك التي منحتها اسماً أي دور. لكن إذا لم تمنح الفضيلة اسماً، فيمكن للجوهر الثمين الذي أنتج العدالة أن يُنتج شيئاً آخر كالكرم أو التعاطف. إذا أسميتها "عدالة" فلن يصدر عنها سوى العدالة لأنك سجنتها في قفص مفهومك. فالمفهوم هو ما احتويته في ذلك الإطار الخاص؛ لقد سرقت تلك القيمة ووضعتها في قفص، ولا يمكن لها أن تنتج ما تقول إنها ستنتجه. لم تعد قيمة عامة للشخصية.

"إنها لمزية أن تكون لك فضائل عديدة، لكنه أمر بالغ الصعوبة؛ فهناك من مضى إلى الصحراء وقتل نفسه لأنّه تعب من كونه ساحة قتال للفضائل."

يشير هنا إلى الشخص الذي عانى الكثير من الصراعات الأخلاقية، ليس بين الخير والشرّ بل بين أمرين خيّرين، وهو أسوأ بكثير. فمن السهل الفوز في معركة بين الخير والشرّ. لأن بإمكانك أن تقضي على الشرّ بمساعدة بعض أفكار المؤسسات المفيدة ونظم الدعم الاجتماعي. وسيقوم الجميع بمصافحتك وتهنئتك على قتل التنين. والعادل سيقول حينها إنك عادل، لكن الآخرين سيقولون إنك لم تكن متعاطفاً؛ وآخرون سيقولون، نعم، كنت واضحاً ونزيهاً مع أنك لم تكن كريماً أو متعاطفاً. لأنك لو كنت نزيهاً وتؤمن بالنزاهة، فستقول الحقيقة وترتكب كثيراً من الأخطاء: ستكون قاسياً وظالماً، وقد ترتكب الآثام كلها في وضح النهار. لكن لأنك تؤمن بهذه الفضيلة فقط فسوف تسيء إلى كل الفضائل الأخرى.

"هل الحرب والقتال شرّ يا أخي؟ لكنها شرور لا بدّ منها؛ لا بدّ أن يكون بين فضائلك حسد وسوء ظنّ وريبة وافتراء."

صاغها بمنتهى الوضوح هنا: تطالب كل مثالية من المثاليات بالإنسان كله لأنه عندما يقوم بتسمية الفضيلة، تطالب كل فضيلة بجوهرها

الخاص. فإذا قال إنها العدالة، فيجب أن تكون أعدل عدالة، وإلا فالعدالة غير راضية وستستمرّ بالتذمّر؛ وإذا سمحت لتعاطفك بأن يجعلك تنحرف عن طريق العدالة، فستبدأ العدالة بالاحتجاج. وإذا انتهكت العدالة شعورك بالتعاطف، فسيبدأ التعاطف بالندب والعويل. ونعود إلى حالة عدم الرضا، وتصبح في النهاية في وضع يشبه أمثولة الرجل وابنه والحمار.

"انظر كم تتعطّش كل فضيلة من فضائلك للوصول إلى أسمى موقع ممكن؛ هي تريد أن يغدو عقلك كله المنادي بصوتها، وتريد الاستحواذ على طاقتها كلها في الغضب والحقد والحبّ.

تغار كلّ فضيلة من الأخرى، والغيرة فظيعة. حتى الفضائل قد تهلك بسبب الغيرة."

هو على حق تماماً هنا، الغيرة سمة حقيقية للفضائل، وللأفكار كلها.

"ومن لفحه لهيب الغيرة يصبح كالعقرب الذي يوجّه شوكته السامة إلى نفسه في النهاية."

كقاعدة عامة لا يخضع الناس الذين يعيشون في صراع بين الخير والشرّ لمعركة رهيبة من هذا النوع مثل أولئك الذين تتصادم الفضائل فيهم، حيث يتصارع شيئان جيدان للغاية أحدهما ضدّ الآخر. تلك حرب أهلية يذبح فيها الأخ أخاه. وهي حرب خطيرة لأنك لا تستطيع أن تنكر أن هذه الفكرة جيدة وتلك الفكرة جيدة، وأنه لا يمكن التوفيق بينهما. الانتحار هو ما يمكن أن ينتج عن صراع كهذا أكثر مما ينتج عن حالة خير وشرّ كاملين؛ لا يمكن للمرء أن ينتحر على أساس أنه لا يحب السرقة، لكنه قد ينتحر إذا كان في حالة صراع بين أخلاق وتعاطف.

السيدة أدلر: ألا يعني ذلك سوى الفضائل التي مُنِحَت أسماء؟

الدكتور يونغ: الأمر هنا خاضع دوماً لفرضية أن الفضائل محددة بأسماء. هو يقول: "*إن كنت محظوظاً يا أخي فستكون لك فضيلة واحدة*". هذا يعني فضيلة غير واضحة، فضيلة ليس لها اسم.

السيدة أدلر: إذا لم تسمَّ هذه الفضائل، ألن يعود بالإمكان نشوب صراع فيما بينها؟

الدكتور يونغ: طبعاً، إذا لم تسمَّ بشكل واضح فلن تنشب صراعات كهذه؛ عندئذٍ هناك قيمة واحدة تحكم كل شيء، وأنت لن تتصنّع القوة بمنحها اسماً. نحن نغتصب شيئاً عبر منح الاسم. نقول هذه هي، ولا شيء آخر، ونظن أننا نمتلك الجوهر النقي للشيء عندما نمنحه اسماً. وهذا أشبه بعملية التأطير، يشبه أن تقول عن رجل إنه يتصف بهذا أو ذاك. كيف تستطيع أن تصفه بهذا الشكل؟ - أو كيف تستطيع أن تصف الإنسان بشكل عام؟ إنه متشكّل من ملايين الأشياء. ومن خلال قولك إنه يتصف بهذا وذاك فأنت تصنّفه وبالتالي لا يعود حرّاً. وإذا سمح بذلك، فسوف يتم إقحامه في تلك الفئة. نحن ندافع عادة عن أنفسنا ضدّ أن يتم وضعنا في أقفاص. لكن الدولة تضع كل شخص ضمن فئة، والحركات السكانية تفعل ذلك أيضاً، وكذلك الكنيسة – يوصف المنتمون إليها بأنهم رائعون، وغير المنتمين بأنهم شياطين. أو أن هذا الشخص ألماني ومحبوب من الله، والآخر فرنسي وابن شيطان. هذه كلها أسماء، وهي ذاتها عندما تمنحها اسماً أو تخصّها بميزات معينة. أنا لم أقل إن هذا كله خطأ طبعاً، أو إن منح الأسماء للأشياء مسألة مأساوية. لكن لا تنسَ أن خلف الأسماء كلها يوجد غير المسمّى والذي لا يمكن وصفه؛ وخلف فضائلنا كلها هناك فضيلة حقيقية واحدة ليس لها اسم.

لأن الفضائل أشبه بالمواهب. ربما كانت لدي مَلَكة أن أكون طبيباً كما يكون لآخر مَلَكة العزف على البيانو، ولآخرين مواهب أخلاقية: لديهم فقط

موهبة أن يكونوا لطفاء أو جيدين. هذه كلها مواهب، والأمر القاتل أن نجعلها مسألة أخلاقية، ونتخيلها باعتبارها جدارة. إذا كنت موسيقياً فهذه ليست جدارة؛ وإذا كنت ببغاء أحمر فهذه ليست جدارة. أنت هكذا وحسب. وإذا لم تمنح أسماء، تبقى حقيقة طبيعية إلى حد ما. هذا الأمر ليس تميزاً، وسوف يعمل مثل أي شيء آخر في الطبيعة. فالكلب على سبيل المثال غيور وشره؛ هو يكره رفيقه الكلب ويحاول أن يأخذ عظمته. لكن لديه شعور بالعدالة، وحتى بنوع من التعاطف، بالمقياس الذي يمتلك الكلب فيه فضائل كهذه. إذا كان لديك كلب كبير وآخر صغير، ووضعت عظمة بينهما، فيُفترض أن تكون العظمة في الوسط عندما تجعلها أقرب إلى الكلب الصغير: يمكنك أن تجعل المسافة بين الكلب الكبير والعظمة أكبر من المسافة بين الصغير والعظمة. لقد أجريت هذه التجربة على كلابي. إذا كانت في الوسط تماماً، يترددان بمسألة أي منهما سيأخذها؛ لكن إذا وضعتها أقرب إلى جهة الكلب الصغير، فسيقوم الصغير بالتقاطها. إذا رميت كرة، كلاهما يقفزان في الوقت نفسه، لكن إذا التقط أحدهما الكرة، يكفّ الآخر عن المحاولة؛ وإذا تدحرجت الكرة باتجاه أحدهما، يكفّ الآخر عن المحاولة أيضاً. هذا تهذيب طبيعي فعلاً. كما أن للبدائيين عادات رائعة أيضاً، لديهم فضائل كثيرة ورذائل كثيرة، لكنها تعمل معاً بسلاسة إلى حد ما. وهي فضائل غير واعية بالمطلق لأنها لا تحمل أسماء. إذا قال البدائي: "أنا أشعر بالتعاطف، أو أنا عادل" فسوف يعاني من التضخّم ويكون أحادي الاتجاه طبعاً؛ سرعان ما سيدخل في صراع مع نفسه ومحيطه إذا كان لديه القدرة على شنّ صراع أخلاقي من الأساس.

الآنسة كوفمان: أنا أعرف أن نيتشه على حق هنا، لكن يجب أن أقول إن إيجاد اسم لتجربة هو تجربة عظيمة أيضاً. وما يعنيه هنا ربما لا يمكن تطبيقه إلا على أشخاص لديهم الكثير من الوعي، والوعي أشبه بقوة ملحّة.

إذا كان الوعي من النوعية الصحيحة يمكن أن يكون منح الاسم له أمراً رائعاً؛ لقد حدث معي مرات عديدة أنني وصلت إلى حالة من التوازن فقط لأنني وجدت اسماً، وكان هو الاسم الصحيح.

الدكتور يونغ، ثمة ميزات كثيرة للأسماء. ومن المهم جداً منح أسماء للأشياء – ربما تحميك فعلاً من الشرور والتفكك والفوضى. أن تكون قادراً على تسمية أشياء معينة هو أكبر امتياز للإنسان. لكن تستطيعين أن تري ما الذي فعلوه بها – لم تعد سوى أسماء. لكن الأمر مختلف جداً مع شخص مثل نيتشه طبعاً. نحن نطلق كثيراً من التسميات؛ نسمّي الأشياء بنسبة كبيرة، ونقتل فيها إمكانيات كانت ستعمل بشكلها الطبيعي. لذلك علينا أن نكون واعين لمسألة ألا نمنح الأسماء إلا للأشياء التي نعرفها فعلاً. على سبيل المثال، إذا أطلقنا على ميل معين أو حركة سيكولوجية معينة اسم "الجنسية"، فستكون عندئذٍ جنسية فقط، وبذلك نفسد كل شيء: تصبح خارج السيطرة تماماً ولا يمكن أن تفعل أي شيء بها. وترتكب الخطأ ذاته إذا أسميتها "روحانية". إذا منحتها اسماً معيناً فقد قيّدتها ووضعتها في قفص، ولم تعد تستطيع التعامل معها لأن ذلك الاسم خطأ. لكن إذا منحت الشيء اسمه الصحيح، فذلك أمر آخر؛ عندئذٍ تكون قد اكتسبت قوة على الطبيعة. يتكون العلم أساساً من محاولة الإنسان منح الأسماء الصحيحة للأشياء، والعلم هو إنجاز الإنسان الأعظم.

السيد باومان: أثارت المدرسة الفلسفية الإغريقية ضجّة هائلة حول ما حاولوا تسميته فضائل، وكان لذلك تأثير كبير على العلوم كلها. هل كان ذلك لأنهم أرادوا، وبشكل جزئي، أن ينافسوا الميثيولوجيا الإغريقية؟

الدكتور يونغ: كانت تلك الفلسفة فعلاً محاولة كبيرة من عقل الإنسان لتحرير نفسه من المستوى الميثيولوجي؛ مثلما كان التمسّك الشديد بالتعاليم التقليدية محاولة الإنسان البطولية ليحرر فكره من أدلّة

الحقائق، ومن الانطباعات اللحظية والمشاعر وما إلى ذلك. هكذا ظهرت هذه الطريقة الانفصالية التي حاولوا التفكير بها.

الدكتور إيشار: هل يمكن أن ندعو هذه العملية "إعادة التجريد"؟

الدكتور يونغ: نعم، يمكن وصفها بهذه الطريقة. إن منح اسم لشيء ما يخلق نوعاً من التجريد، أنت تزيل شيئاً ما من الحياة عبر تجريده؛ وبعد ذلك، من أجل إعادته إلى الحياة عليك إبطال المحاولة، والتخلّي عن الاسم، فيكون ذلك "إعادة التجريد". لقد حاول نيتشه أن يقوم بذلك هنا فعلاً، حاول أن يُذيب تجريد المفاهيم المتمايزة في تجارب لا اسم لها. وفعل ذلك لأنه كان متأثراً للغاية بتجربة زارادشت اللاعقلانية بالمطلق؛ لقد امتلأ بهذه التجربة وآمن بها، وأراد نقلها إلى الجميع. فمن هنا انبثق هذا التحذير الغريب: لا تسمِّ فضيلتك، كي تبقى الفضيلة قيمة لا يمكن وصفها، وتقودك إلى الطريق الصحيح. لا تستخدم تفوّق الإنسان الكبير لمنح أسماء، لأنك لا تخلق جوهراً حياً بهذه الطريقة بل تقتله. تقول الجملة الأخيرة: "*ومن لفحه لهيب الغيرة يصبح كالعقرب الذي يوجّه شوكته السامة إلى نفسه في النهاية*"، ويعني هنا أن الشخص الذي يقود معركة مستعرة من الأفكار أو الواجبات الأخلاقية سيقتل نفسه في نهاية المطاف.

"أما رأيت أبداً فضيلة توجّه شوكتها السامة إلى نفسها يا أخي؟"

هذا يعني أن تلك الفضائل التي خضعت للتسمية لديها نزعة لتقتل نفسها. فإذا تطرّفت في العدالة لن تعود عدالة؛ يبدو الأمر كما لو أنك قفزت عن سطح منزلك: إذ تسقط ميتاً. يمكن أن تقتل كل فضيلة إذا تابعت ميلها الخاص فقط. ويمكن القول إن التعاطف الذي يتجاوز الفطرة السليمة لا يعود تعاطفاً؛ يصبح ببساطة رذيلة ويقتل نفسه. ثم يقول:

" إن الإنسان شيء لا بدّ من تجاوزه: لذلك عليك أن تحبّ فضائلك؛ فهي التي تؤدي بك إلى حتفك."

هذا مثير للاهتمام. إذا حاولت متابعة فضائلك لن تستطيع أن تتجنّب تسميتها، وستتورّط عندئذٍ في معركة تودي بحياتك في النهاية. وهذا تماماً ما أراده: الإنسان شيء لا بدّ من تجاوزه. على هذا الإنسان أن يموت لكي يظهر الإنسان الأعلى؛ وإلا لن يكون باستطاعته أن يخلق الإنسان الأعلى. لكن ما يثير العجب هنا أنها فكرة مسيحية، وقد أحضرت معي صورة توضح ذلك. إنها من مخطوطات تعود إلى القرن الثالث عشر، موجودة في "المكتبة المركزية في بيزانسون" وتحمل عنوان: "يسوع المسيح مصلوباً بفضائل كان مثالاً لها - *Jèsus-Christ crucifiè par les vertus don't it avaitètè le modelè*". لقد تم صلبه باسم الفضائل كلها؛ أحدهم يدقّ المسامير في قدميه ويديه، وآخر يطعنه في جنبه، وما إلى ذلك.[1] كانت فضائله بالفعل هي من أوصلته إلى هذا الموت المؤلم – من الواضح جداً أنها فكرة مسيحية، إنها فلسفة قروسطية. إلى هذا الحد يمكن الاستنتاج أن الفضائل هي التي أوصلت المسيح للصلب وليس الشرور. والآن، إلى ماذا يرمز ذلك؟

السيدة فيرز: أليست هذه فكرة "إنانيا دروميا – الانتقال إلى الجهة المعاكسة"؟ إذا وصل الشيء إلى نهايته، لا بدّ أن يحدث التغيير.

الدكتور يونغ: نعم، إنه "الانتقال إلى الجهة المعاكسة، لكن الأكثر أهمية هنا هو الفكرة التي تقول إنهم ليسوا أشراراً أولئك الذين صلبوا المسيح سواء أكانوا اليهود أم الرومان أم غيرهم. كانت فضائله وعظمته هي من أوصلته إلى الصلب؛ إن وعي تلك السمات، وتسمية الفضائل، هي من قتلته، وحوّلته إلى أشلاء. والصليب رمز الفردانية المعروف جيداً طبعاً، وهو يعني أن الفردانية هي النتيجة الضرورية للتطور الأخلاقي. فإذا كنت متناغماً مع التطور الأخلاقي تدخل في صراع أخلاقي، وفي دور المسيح، أي في

---

[1] "تم صلب المسيح بسبب الفضائل التي كان قدوة لها". مكتبة بيزنسون الفرنسية على الحدود السويسرية.

عملية التفرّد. وهذا ليس ضعفاً بل قوة – كما لم يكن ضعفاً أن يُصلب المسيح. إنها قوة لأنه كان عملاً طوعياً؛ لقد اتخذ قراره بالصلب. وتلك فكرة نيتشه: عليك أن تعيش فضائلك لأنها تقودك إلى تدميرك، ومن خلال تدميرك فقط يمكنك أن تخلق الإنسان الأعلى، والذي هو الإنسان الأسمى، الذات. إن عمل التدمير أشبه بلغز تثبيت المسيح على الصليب. فالصليب هو رمز الفردانية.

المحاضرة الثامنة

13 آذار - مارس 1935

الدكتور يونغ:

طرحت السيدة باومان، والسيدة ستوتز، السؤال ذاته عن مفهوم "الجسد الأثيري" الذي أشرت إليه في المحاضرة السابقة. تلك مشكلة كبيرة بحد ذاتها، وأعتقد أن من المناسب جداً أن يتم تحضير تقرير شامل في الدورة اللاحقة عن فكرة البدائيين عن "الجسد الذي يتنفّس". فما هو معروف عن مفهوم "الجسد الأثيري" قليل جداً. لقد ألّف "ميد" كتاباً عن هذه الفكرة.[1] فعندما نتحدث عن اللاوعي، نقصد اللاوعي السيكولوجي الذي هو مفهوم محتمل؛ إننا نتعامل حينها مع عوامل محددة في اللاوعي لا يمكننا أن نفهمها ونميزها فعلاً. لكن جزء اللاوعي الذي نعرّفه بالجسد الأثيري يصبح متطابقاً أكثر وأكثر مع عمل الجسد، وتزداد قتامته وينتهي في الظلمة التامة للمادة؛ إن جانب اللاوعي هذا غامض تماماً. وقد أشرت إليه فقط لأن على المرء أن يُقحم الجسد أثناء معالجة مفهوم نيتشه عن

---

[1] "جي. آر. إس. ميد – G. R. S. Mead" ألّف كتاب بعنوان "عقيدة الجسد الأثيري في التقاليد الغربية – The Doctrine of the Subtle Body in Western Tradition" (لندن، 1919).

الذات، وبالتالي ليس على المرء أن يُقحم الظل فقط – اللاوعي السيكولوجي – بل عليه أيضاً أن يُقحم اللاوعي الفيزيولوجي، أي ما يسمى اللاوعي الجسدي الذي هو الجسد الأثيري. يصبح لاوعينا مادياً في مكان ما، لأن الجسد هو الوحدة الحيّة، ووعينا ولاوعينا متضمنان فيه: هما يتصلان بالجسد. ثمة موقع ما تلتقي فيه النهايتان وتصبحان متشابكتين. وذلك هو الموقع الذي لا يمكن للمرء أن يعرف ما إذا كان مادة، أو ما يسميه المرء "نفساً". والآن كل شيء يمكن جلبه إلى الوعي يكون سيكولوجياً، لكن إذا لم يكن بالإمكان إيصال هذا الشيء إلى منطقة الوعي، أي لا نستطيع التعبير عنه إلا بالتشبيهات والتحليلات الغامضة، يكون قاتماً تماماً لدرجة أن المرء لا يعرف ما إذا كان له علاقة بأعلى النظام أم أسفله، وما إذا كان يؤدي إلى الجسد أو إلى الهواء.

وفقاً للنظام الغنوصي القديم، تكون "*pneuma*" في الأعلى، ذلك الجزء الإلهي من الوعي؛ وفي الأسفل يأتي الجسد الذي كان يُسمّى "*hyle*" أو "*sarx*" وفقاً للاسم الذي أطلقه "بولس" على الجسد في العهد الجديد، وبينهما يوجد الإنسان أو المجال السيكولوجي. والكلمة اللاتينية التي تعطي معنى "*pneuma*" هي كلمة "الروح - *spiritus*"، والمعنى الآخر هو "الأنيموس - *animus*"، ولا يجب الخلط بينهما وبين مفهوم "القرين – الأنيموس" الخاص بدراستنا السيكولوجية. عندئذٍ تكون "الأنيما - *anima*" مع النفس؛ مع دلالة أنفاس الحياة، مع الشعلة الحية، والدفء الحي للجسد. ولهذه "الأنيما" جانب روحاني يُسمى في الصين "*shen*"، كما يُعرف "*kuei*" بالجزء الجسدي أو المادي.

تحتوي هذه المنطقة على سيكولوجيا الجسد الأثيري لأنها تصل إلى "*sarx*". فعندما تنظر إلى الإنسان ترى الجسد، ترى "*sarx*"، ومن خلال الاستنباط فقط تصل إلى الجانب السيكولوجي؛ تصلك أشعة ضوء

منعكسة من الجسد، وتسمع صوت الهواء واهتزازاته، وتعطيك اللمحات اللازمة لاستنتاج كل ما يتعلّق بالنفس. إذا كنت داخل ذاتك، داخل جسدك الخاص، فهذا يعني أنك في النفس التي تُعتبر المركز. يبدو المخطط على الشكل الآتي:

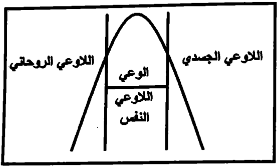

تمثل قمة الجبل الوعي واللاوعي، ويكون اللاوعي الروحاني من جهة، والجسدي من الجهة الأخرى. وتكون الكثافة العظمى للحياة في المركز، والعتمة في الجانبين كليهما، في الجانب الروحاني وكذلك في الجانب المادي.

ربما قرأت ذلك الكتاب الغنوصي الشهير "*Pistis Sophia*".[1] وفيه كلمة "*Pistis*"، تعني الولاء، الثقة، الائتمان، الإخلاص، وتتم ترجمتها بشكل خاطئ إلى "إيمان" أو "عقيدة"، وكلمة "*Sophia*" هي امرأة حكمة الإله. إنها زوجة الإله بطريقة ما، كما تم فهمها أيضاً على أنها "*theotokos*"، والدته – هذا هو المصطلح المُستخدم في الكنيسة الأرثوذكسية الإغريقية لوصف

---

[1] ركز هذا العمل الذي يعود إلى القرن الثالث الميلادي على أسطورة "ثنائية المسيح". تم تمثيل مريم العذراء وهي تقول للمسيح إنه عندما كان طفلاً، هبطت روح، وكان مطابقة في المظهر للطفل الذي سعى إليه كاخ، وفي حالة عناق، أصبح الاثنان واحداً. انظر "أبوكريفا"، الفصل 23، وكتاب "Pistis Sophia"، ترجمة "جي. آر. إس. ميد" (لندن، 1896) الصفحة 188 – 191.

"مريم الأم – *Mother Mary*" – ويعتقد بعض الغنوصيين أن "صوفيا" كانت والدة المسيح الروحاني. وُلِدَ المسيح الإنسان طبعاً من أم أرضية، لكن المسيح الروحاني الذي حلّ فيه عندما كان يخضع لطقوس العمادة على يد يوحنا المعمدان قد وُلِدَ من "صوفيا – *Sophia*". كانوا مقتنعين بأن المسيح الإنسان الذي تم تعليقه على الصليب كان مجرّد جسد مادي، وأنه خلال معركته في الحديقة، انفصل الله عنه قبل ساعات من صلبه. وهكذا فالله لم يُصلب. تم تعليق الجسد على الصليب وليس "الإنسان – الله"، والدليل أن المسيح ذاته قال: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" هذا هو الإيمان في الإطار "الدوسيتي – *Doketic*" للمسيحية، وهو فرع هام جداً هدّد لفترة طويلة تطوّر العقيدة المسيحية الأرثوذكسية.[1] وقد أشرت إلى ذلك لأن هذه الأفكار كلها عن الجسد الأثيري لعبت دوراً كبيراً في العهد الجديد. إن الجسد، أو "*sarx*"، بالنسبة إلى القديس بولوس هو إجمالي الجسد البيولوجي والسيكولوجي، هو الجسد القابل للتحلّل؛ لكنه تحدث أيضاً عن جسد لا يبلى، ذلك الجسد الذي ألبسناه للمسيح لأنه عبارة عن روح أو "*pneuma*"، أي جسد لا يبلى، ويتجاوز المسافة والزمن.[2]

لا بدّ أن الجسد الأثيري، بافتراض وجوده أساساً، يتجاوز المسافة والزمن. يملأ كل جسد حقيقي حيّزاً من المكان لأنه يتكون من مادة، بينما يُقال إن الجسد الأثيري لا يتكوّن من مادة، أو إنه مادة رقيقة للغاية لا يمكن رؤيتها. وبالتالي لا بدّ أنه مادة لا تملأ حيزاً من الفراغ وتتجاوز المكان ولا علاقة لها بالزمن. فكما تعلمون، نحن لا نستطيع أن نأخذ فكرة عن الزمن

---

[1] للاطلاع على "الدوسيتية – Doketic"، انظر أعلاه محاضرة 16 آيار – مايو، 1934.

[2] "أَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ»". رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس 15: 53-54.

إلا بقياس المسافة؛ لكي ننتقل من بداية هذه الغرفة إلى نهايتها مثلاً نحتاج إلى مدة زمنية، لكن إذا لم يكن هناك امتداد ولا تغيير، فلن يكون هناك زمن؛ حتى ولو بقيت هذه اللحظة ثابتة للأبد لن يكون هناك زمن لأنه ما من شيء يحدث. إن فكرة الجسد الأثيري هامة جداً، ومن الرائع أن نجدها في نصّ يأتي بسذاجة من كليّة الإنسان. سوف ترى في الفصل التالي أن كتاب *هكذا تكلّم زارادشت* هو أحد الكتب التي تمت كتابتها بالدم، وأي شيء يُكتب بالدم يتضمن فكرة ذلك الجسد الأثيري المكافئ للاوعي الجسدي. وأنا ببساطة لا أعالج هذا المفهوم عادة لأنه صعب جداً؛ فأنا أقنع نفسي بأشياء أعرف عنها بشكل فعلي. لكن هذا المفهوم يتجاوز إمكانية فهمنا؛ فالجسد الأثيري مفهوم فائق لا يمكن التعبير عنه بمصطلحات لغتنا أو وجهات نظرنا الفلسفية لأنها كلها ضمن فئات المسافة والزمن.[1]

وهكذا يمكننا التحدث بلغة البدائيين حالما نصل إلى مفهوم الجسد الأثيري، ويمكن أن نصف هذا الأمر بأي شيء آخر سوى أنه علمي. إنه يعني التحدث بلغة الصور. يمكننا طبعاً أن نتحدث لغة كهذه لكن من الصعب للغاية أن نعرف ما إذا كانت مفهومة. أنتم تعرفون أنني أؤمن بالعلم، وأؤمن بما يمكن للإنسان فعله. وأتذكر أيضاً ما قاله "ميفيستوفيليس" لتلميذه الذي رحل مع نصيحة جيدة من الشيطان. ابتسم الشيطان خلفه وقال:

أحتقر العقل والعلم، وهما مع ذلك أسمى قوّة في الإنسان![2]

---

[1] غالباً ما قارن يونغ بين النهج التجريبي والنهج الفائق أو المتجاوز للواقع، وكان يقصد بهذا الأخير "بشكل تقريبي الشيء ذاته الذي كان يعنيه كانط عندما أطلق مفهوم 'الشيء بحد ذاته'، وهو مجرد مفهوم سلبي وحدّي" (الأعمال الكاملة، المجلد الثالث عشر، صفحة 82).

[2] عبارة قالها مفستوفيليس وهو يرتدي ملابس فاوست الطويلة. مسرحية فاوست، ترجمها إلى العربية "عبد الرحمن بدوي"، النص المسرحي الأول، ص 303.

العلم هو أسمى قوى الإنسان، لأننا نستطيع أن نفعل فقط ما يمكن فعله، وعندما نحاول أن نتعامل مع أشياء تتجاوز مقدراتنا على الفهم، نتخطّى حدودنا في الكفاءة والجدارة. وثمة الكثير من الأسرار – القليل من الحمقى فقط من يعتقدون أنا بإمكاننا أن نحل الألغاز كلها؛ أي شخص لديه أدنى قدر من المخيّلة يعرف أن العالم أحجية عظيمة، ومن الناحية السيكولوجية هو أحد الأحجيات الأولى والأساسية. وتستطيع أن تلمس إحدى هذه الأحجيات بيديك في هذه القضية التي نحن بصددها عن الجسد الأثيري. والآن، تسأل السيدة باومان بداية: "ألا يوجد طريقتان للتعبير عن 'الجسد الأثيري'؟ يبدو أحياناً وكأنه يُستخدم كمرادف "للجسد الماسي".[1] أليس هو المعنى الآخر الأكثر بدائية لـ 'الجسد الأثيري'، الجسد المشابه للشبح، الإطار أو النطاق الذي يتوسط المسافة بين الروح والمادة، والذي يمتلكه كل شخص، وتتوضع فيه مراكز مختلفة؟ ألا يمكن 'للجسد الماسي أن يتطوّر إلى جسد أثيري؟"

ستظهر أسئلة من هذا النوع حتماً حالما نبدأ الكلام عن الجسد الأثيري: هل الجسد الأثيري مطابق لما تسميه اليوغا الصينية "الجسد الماسي"، أو "*kuei*" الفلسفة الصينية، أي اللاوعي الجسدي؟ إن الجسد الماسي هو مطابق تماماً لمفهوم الذات. وبالتالي يتم التعبير عنه بالحجر النفيس، ويسمى أيضاً البذرة الذهبية، الطفل الذهبي، أو "*Hiranyagarbha*" باللغة السنسكريتية. ووفقاً لليوغا الصينية، هو يأتي من مقدمة منطقة المياه، وهو ليس من طبيعة نفيسة. إنه معدن ثقيل بارد من طبيعة منخفضة يُفترض أنها في أعماق الجسد، في "شاكرا المولادارا"، أو في "مركز

---

[1] مصطلح تانتري يُستخدم لوصف عملية تنقية كلٍ من الجسد المادي و'جسد الطاقة' من خلال ممارسة 'اليوغا هاثا'... في ممارسة اليوغا، نتواصل بشكل أعمق مع طريقة تفكيرنا وشعورنا وتصرفاتنا في عالمنا. المترجم.

الماء - *suadhisthana*"؛ فمن خلال هذا الجسد العادي أو المُبتذل، تقوم الإجراءات الخيميائية بإنتاج الذهب أو الجسد الماسي، الجسد الأبدي. وفي لغة خيمياء العصور الوسطى يكون هو حجر الفلاسفة أو النسر (*aurum nostrum*، بمعنى "ذهبنا")؛ لأن أولئك الخيميائيين القدماء لم يصنعوا ذهباً عادياً إطلاقاً. لم تكن صناعة أجساد. لقد انطلقوا من الأجساد لتطوير شيء ما من منطقة الماء إلى مادة عالية القيمة، شيء لديه سمات الضوء. ومع ذلك فهو متوضّع في المركز، في النفس، بين الروح والجسد، ومكوّن من كليهما. وبهذا المعنى يمكن القول إن مفهوم الجسد الماسي متطابق فعلاً مع فكرة الجسد الأثيري. فالجسد الأثيري هو صيغة بدائية، والجسد الماسي هو تعبير عن المُنتج النهائي للطبيعة ذاتها.

إجراءات اليوغا الصينية مشابهة تماماً للخيمياء، لكن الخيمياء تسمية خاطئة؛ فمن الأفضل تسميتها "عملية اليوغا". إنها عملية تحويل تخلق من الجسد الأثيري الموجود في الداخل شيئاً مكافئاً للجسد الأثيري، وله قيمة عظيمة للغاية. ويمكن أن تكون المادة الي يُخلق منها ضعيفة القيمة، إذ يقول الخيميائيون إن بالإمكان العثور عليها في كل مكان، وإنها عادية جداً، بل حتى مادة خسيسة، "حجر مرمي في الطريق - *ejectus in viam*". إنه حجر رماه البناؤون، وقد أصبح حجر الزاوية. وقد يعثرون عليه حتى في "كومة روث" وفقاً لما نقرؤه في مؤلّفاتهم. وبناءً عليه، عندما قرأ "مايرينك" تلك الأبحاث الخيميائية القديمة عن السحرة الذين يصنعون الذهب وأشياء أخرى لا يعلم بها إلا الله، تأثّر بشكل كبير لدرجة أنه اشترى مرحاضاً قديماً، منزل بعيد فيه مرحاض قديم؛ يعود هذا المنزل إلى مئتين أو ثلاثمئة عام، وتابع الحفر حتى وصل إلى قاعه تماماً وذلك من أجل العثور على المادة اللازمة للحجر، لأن النصوص القديمة تقول إن بإمكانك

العثور عليه في أماكن قذرة كهذه.[1] من المضحك أن الكثير من الأشياء القديمة، حتى المخطوطات، تم العثور عليها بهذه الطريقة. وأنا لست واثقاً تماماً ما إذا كانت أوراق البردي المسمات "أوكسيرينخوس"، وهي الآن مدينة البهنسة في صعيد مصر، قد تم العثور عليها في مكان كهذا، وأنها لم توضع سابقاً أمام أشدّ الاستخدامات سوءاً.

السيد باومان: لقد عثروا في منطقة شافهاوزن على قطعة رائعة، تحتوي مجموعة كاملة من الأشياء الثمينة.

الدكتور يونغ: نعم، غالباً ما تكون هذه الأماكن خزائن كنوز فعلاً. لكن قيل أيضاً في النصوص القديمة إن كثيرين حفروا في أماكن كهذه، وعبثوا بالبراز ولم يجدوا أي شيء. (سيكون هذا شعاراً جيداً لنوع معين من التحليل النفسي: لقد حفرت وعبثت بالبراز ولم أجد أي شيء!) وقيل أيضاً إن الناس أوقفوا عملهم حيث يجب أن يبدؤوا. إن مقولات أولئك المعلمين القدماء رائعة فعلاً؛ ويقول نيتشه في الفصل التالي، أشياء كهذه لا يجب أن تقرأ بل أن يفهمها القلب، لقد كانوا على حق تماماً. وهذا مطابق تماماً لهذه الفكرة؛ لا يهمّ من أين تبدأ الفكرة، من الأعماق أو من الأعلى، لكن إذا بدأت من الأعلى فعليك العمل في الأسفل في "*sarx*"، لأن الجسد أيضاً يجب أن يكون ضمن مزيج هائل غالباً. الجسد مشارك مهم جداً في الجسد الماسي، المُنتج النهائي. وكما قلت سابقاً، سيكون الجسد الماسي مجرّد منتج نهائي للمفهوم البدائي عن الجسد الأثيري.

---

[1] **"غوستاف مايرينك – Gustav Meyrink"، مؤلف كتاب "Das Grüne Gesicht" (الوجه الأخضر) (ليبزيغ، 1913)، ابتاع في إحدى المرات منزلاً في "براغ" يشتهر بوجود كومة روث خيميائية حيث يمكن أن يكون حجر الفلاسفة النفيس مدفوناً. قرأ مايرينك الخيمياء القديمة وحفر في كومة الروث بهدف الحصول على الحجر.**

تقول السيدة باومان: "أنا لم أفهم كيف أن صلب المسيح كان بسبب فضائله". فتلك الصورة التي تمثل المسيح مصلوباً بسبب فضائله كانت فكرة تم فهمها سلفاً في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر، ويمكن فهمها بسهولة في نص *هكذا تكلّم زارادشت* الذي نحن بصدده الآن، إذ إنه من خلال تسمية فضائلك تخلق صداماً بين الفضائل. إذا تابعت الفضائل المتشعّبة، إذا كنت عادلاً ومتعاطفاً ولديك عدة صفات أخرى، فسوف تتشتّت بقدر ما تمنح أسماء لهذه الصفات. لأنك لن تعرف حينها ما إذا كنت ستتبع عدالتك أو تعاطفك. لا يمكن أن تكون متوافقاً مع قيمتك إلا بقدر ما تكون غير واعٍ لها. إذا أصبحت واعياً لفضائلك فسوف تضيع؛ سوف تتورّط بصراع كارثي بالتأكيد. ويعود سبب عدم تورّط الناس في صراعات كهذه إلى أنهم غير واعين إطلاقاً؛ هم لا ينتبهون إليها، ويتوقفون في موقع معين. يقول أحدهم في عظة الأحد مثلاً: "بع كل أمتعتك وأعطِ مالك للفقراء"، لكنه لم يفكّر بفعل ذلك. أو عندما يتحدث الشيوعيون عن الشراكة في كل شيء بينما لا يشاركون أحداً بخنزير ثمين في إسطبلهم. وبالتالي لا يفكّر ملايين الناس بفعل ذلك، وهو صحيح للغاية لأنه غير مفيد؛ إذا حاولت فعلاً أن تقوم بذلك، فستتورّط في المتاعب. لا أحد لديه من الغباء ما يجعله راغباً بهذا النوع من المتاعب ما لم يفهم أنها ضرورية للغاية.

ستكون فضائلك المسماة هي مثاليتك الواعية؛ تريد أن تكون عادلاً لكنك تريد أن تكون متعاطفاً أيضاً، وتريد أن تكون كريماً مع أنك لا تريد أن تصبح مبذّراً. إذا حاولت أن تفعل ذلك في الواقع، فسينتهي بك الأمر إلى صراع أخلاقي هائل بين الواجبات، وإذا واصلت العمل بهذه الطريقة على النهاية فستصيبك حالة من التشتت. وعندئذٍ يهرب التعاطف منك من جهة، والعدالة من جهة أخرى، وتصبح إما كالنسر الذي يحلّق بجناحيه في

الأعلى، أو كحيوان تم تثبيته على لوح. يغضب الفلاحون كثيراً من هذه الحيوانات السوداء – تُسمّى في إنكلترا "القاقم" أو ابن عرس – ويثبتونها على لوح خشبي، أي يصلبونها وهي حيّة؛ يجب أن يعلم الجميع أنه إذا لم تطع هذه الحيوانات أوامرهم، إذا فعلت ذلك مجدداً، فسوف تُصلب. إنهم يكرهونها بشدة لدرجة أنهم يطبّقون عليها عقوبة الربّ. وهكذا فالنتيجة هي أن فضائلنا تصبح غير راضية عنا وتقتلنا لأننا لم نحققها. وإذا لم نكن صادقين، ربما نقول إننا حققناها، أو نقول إننا ملزمون بتحقيق مبدأ أو مثل معين بعد أن قمنا بإعلانه. لكن إذا كنا صادقين، نعرف تماماً أن ذلك مستحيل. وبناءً عليه، لا تصرّح بمثلك الأعلى، لأنك بذلك تقطع وعداً لا يمكنك الوفاء به. لأنك إذا أعطيت وعداً، إذا لم تستطع تجنّب إعطاء هذا الوعد، فعليك أن تسمي فضائلك؛ على كل إنسان محترم أن يسمّي فضائله ويكون بذلك مُعدّاً للصلب على الرغم من أنه ثابت على مبدئه. وإذا كان مُعاقٍ للغاية فسوف يتوقف في منتصف الطريق: سوف يُصلب جزئياً، ربما أيام الآحاد فقط. سيقدّم معطفاً بالياً، معطف يوم الأحد، وسيضع أكاليل الشوك على قبعته.

الدكتور سترونغ: ألا تبرئ حقيقة صلب المسيح يوحنا المعمدان في وقوفه ضد كشف الأسرار الإلهية؟ لقد منحها المسيح اسماً من خلال جعلها حقيقة جمعية ومفهوماً جمعياً، وبالتالي انقلبت عليه. لقد قدّم فرصة للحشد. وكان ذلك تماماً ما تنبّأ به يوحنا المعمدان.

الدكتور يونغ: نعم، في عملية إيصال ذلك الأمر إلى الوعي، وفي ذلك الكشف، أعطاها المسيح اسماً.

وتسأل السيدة باومان: "هل كان المسيح متماهياً مع الفضائل وعانى من صراعاتها؟"

لا بدّ من توضيح هذه الفكرة مرة أخرى. فكرة نيتشه هي أنه ليس عليك أن تسمي فضيلتك؛ وإلا فستدخل في صراع بين الفضائل وتدمر نفسك. ويقول في نهاية الفصل: "*لذلك عليك أن تحبّ فضائلك؛ فهي التي تودي بك إلى حتفك*". من أكثر الأشياء التي يمكن للإنسان أن يفعلها غباءً هو تسمية فضيلة، لأنك تبقى متحداً إذا لم تفعل ذلك، وتتصرّف تحت سلطة شيء غامض لا يمكن وصفه. لا تتكون لديك انطباعات خاطئة، ولا تعرف نفسك، وتكون بدائياً إلى حد ما؛ أو تكون أكثر شبهاً بحيوان متناغم مع ذاته ولا يتردد أبداً. هو يذهب إلى حتفه لأن الموت جزء من الحياة؛ فالبدائي يموت دون إحداث أية ضجّة. إنه يفهم الأمر على أنه جزء من الحياة. وهذه حالة مثالية بطريقة ما، فلماذا تحاول أن تمنح الأشياء أسماء؟ فقط لأن عليك ذلك: يجبرنا ذكاؤنا المتنامي ووعينا على فعل ذلك؛ إذا لم نميّز بين الأمرين تحلّ علينا لعنة الحالة البدائية. ولا بأس بالحالات البدائية طالما أن الحالات بدائية، لكن الإنسان ليس مجرّد حيوان مع الأسف، هو حيوان من جهة وليس حيواناً من جهة أخرى لأن لديه مَلَكة تطوير الوعي. يريد وعيه أن يتطور؛ وعليه أن يمنح أسماء حتى لفضائله، وبالتالي يكون مهيّئاً للصراع. لا يمكنه الهروب من ذلك، ولا يمكنه أن يبقى متحداً بنفسه. وسيدخل في المتاعب في النهاية إذا قام بعملية التطوير من أساسها؛ إذا قام بمنح اسم مرّة واحدة، فعليه أن يتابع بمنح الأسماء. يباشر البدائي بمنح الأسماء، وكلما ازداد "نضجه"، ازداد قيامه بهذا الفعل. وبالتالي كانت حيلة خاصة من المعلّمين العجائز أن يعرفوا أسماء الأشياء: ومن المفهوم أيضاً بأنها علامة خاصة على القوة؛ معرفة أسماء الشياطين تعني قوة تفوق قوة الشياطين. لكن هناك كلفة كبيرة لمعرفة الأسماء؛ ستخضع لإغواء منح الأسماء، وستكون حتى مجبراً على ذلك، لكنك ستدفع الثمن من خلال الصراع. سينشب صراع بين الأشياء لأنك ميزتها؛ وستكون أنت ضحية هذا

الصراع، وستُصلب وتتورّط باللغز المسيحي المرتبط بالتدمير الذاتي والتضحية بالذات.

يتابع نيتشه في خلقه للإنسان الأعلى مسار المسيحية، وتطوير الشكل المسيحي الذي لا يزال قائماً حتى الآن، إلى فلسفة أعلى بقليل. يريدنا أن نتحمل المسؤولية ونتابع الطريق الذي بدأنا به، يريدنا أن نسمّي فضائلنا ونُلعن بسببها؛ إذا أصابتنا اللعنة ستكون بمثابة تدمير لنا، لكنها الطريقة الوحيدة للحصول على ولادة جديدة، ووعي جديد؛ سيهبط نور جديد على البشر جميعاً إذا كنا قادرين على إنجاب هذا الإنسان الأعلى. هذه رسالته، ولذلك من الضروري عليه حتى أن يقتل الإله. هو يقصد أيضاً أنه طالما لا يمكنك تجنّب منح الأسماء، فامنح منها أكبر قدر ممكن، وبأعلى دقّة ممكنة، لأن ذلك كله يفيد في خرابك وتدميرك. ثم تذوب في الصراع في نهاية المطاف، وتنفصل وتتفكك وتتمدد على الصليب وتتمزق. إن الصلب نوع من تقطيع الأوصال، إن الموت الكلاسيكي للإله مشابه لموت إوزيريس وديونيسوس؛ يقوم الإله من خلال هذا التمزّق بتوزيع نفسه في أجزاء الخلق كلها. يكون في كل مكان جزء من الإله. ويظهر هذا التمزّق مجازياً في المسيحية من خلال تمزيق عباءته تحت الصليب. قطّعها الجنود إرباً؛ ألقوا حجر النرد ووزّعوها.

إنه نوع من الأداء الرمزي ذلك الذي يظهر أثناء توزيع جسد المسيح في خبز القربان المقدّس، أو وجود الإله في وعاء خبز القربان: يكون الله في خبز القربان المقدّس أو على المذبح. وهكذا فقد توزّع المسيح في العالم كله على شكل خبز القربان المقدّس. وهكذا دخل ديونيسوس إلى كل شخص وألّه كل شخص؛ أنت تأكل دواء الخلود وتحظى بروح خالدة. لأنه من دون أسرار الكنيسة، وبكلام أوضح، ما لم تكن لديك مشاركة بالله، لن تحقق الخلود.

هذا هو التمزيق، ويرمز الصلب إلى حالة التعذيب القصوى عبر الصراعات.

عندما تسيطر الصراعات على أفكارك، وتتفكك بشكل كامل، يمكن أن تقول بكل أمان إنها حالة صلب لأنك تنتشر في جهات وجودك الأربع، في نقاط الأفق الأربع. ربما قرأت تلك المقالة في الصحيفة الأمريكية عن موت ذلك "الطبيب المعالج"؛ المعالج الذي أساء استخدام سلطته أو أخفق في استخدام العلاج الصحيح أو أهمل ذلك، مات عبر تقطيعه إرباً ونشره في الجهات الأربعة على مسافات بعيدة. إن "الطبيب المعالج" مكوّن من أربعة أجزاء مجتمعة في شخص واحد، إنها عملية التفرّد؛ وعندما يموت، يتم تمزيقه وتوزيعه في الجهات الأربع. فحالة الصلب هذه تعبير رمزي عن حالة صراع هائل، حيث على المرء ببساطة أن يستسلم، وحيث لم يعد يعرف، وحيث يفقد عقله تقريباً. وينمو من هذا الصراع ذلك الشيء الذي حارب من أجله. وبالنسبة لنيتشه، سيكون ذلك ولادة الإنسان الأعلى. ويمكن القول إنها ولادة الذات. لا يمكن أن تختبر ذاتك إلا من خلال الألم المبرّح؛ عندئذٍ تصدق أنك واحد. لكن قبل ذلك، تستطيع فقط أن تتخيل أنك الشخص الذي تريد، يمكنك أن تتخيّل أنك "البابا" أو موسوليني – أنت لست نفسك بالضرورة. وبعد فترة، عندما تخضع لتلك التجربة الاستثنائية المرتبطة بالذات، لن يعود هناك أوهام. أنت تعرف تماماً من أنت. فهذا ما يعنيه نيتشه.

هناك سؤال آخر عن الجسد الأثيري للسيدة ستوتز: "هل يساعد 'الجسد الأثيري' الذي يرمز لعملية التفرّد في البشر على تقدم العمل السيكولوجي للجسد ذاته؟" إن الجسد الأثيري ليس رمزاً لعملية التفرّد كما شرحت للتو؛ هو مفهوم لا يغطي سوى اللاوعي الجسدي. وتتابع السيدة ستوتز: "على سبيل المثال، هل ردود أفعال الجسد على نفسه، وكذلك

الصادرة منه، موجّهة أساساً من الجسد الأثيري؟" لا يمكن للمرء أن يقول ذلك لأن الجسد الأثيري، كونه اللاوعي الجسدي، هو جزء واحد فقط؛ من الواضح أن القرارات النهائية للجسد والعقل أو أي شيء يعيش فيهما لا تُعطى فقط من الجانب الجسدي لوجودنا؛ فهناك قرارات قادمة من الجانب الآخر أيضاً، والقرار النهائي يأتي من الذات. تتضمن الذات اللاوعي الجسدي واللاوعي الروحاني أيضاً، وهي لا تكون في الأول ولا في الثاني بل ما بينهما، تكون في النفس. ثم تقول: "أنا أختبر الجسد الداخلي على أنه طاقة حرة، حيث جميع إمكانيات التشكيل أو الإنتاج تصدر عن نقطة مركزية، وهو ما يقود الأحداث والأفعال كلها. وبالتالي هل وضع الجسد في الحياة الداخلية ناتج عن طلب داخلي، أي عن 'الجسد الأثيري'؟"

يتم بناء الجسد من وجهة نظر الفلسفة الأفلاطونية على هيئة "*eidos*"، وهي الصورة الأبدية لجسد الإنسان. وعندئذٍ يتم تفسير الجسد البشري كما يتم تفسير صناعة الكريستال تماماً، أي بنوع من النظام المحوري المجرد الموجود مسبقاً والذي يتم ملء المادة فيه. في علم صناعة البلورات، يفترض المرء أيضاً نوعاً من البنية المكانية التي تملأ حيزاً من الفراغ، وما يسمى "المحلول الأساسي" الذي وصل إلى أعلى درجات التشبع، وبعدها تأتي عملية التبلور. تكون الأيونات في المحلول في بنية محورية معينة، وتقوم بترتيب جزيئات المحلول في مواقعها. إذا كان محلول أملاح معدنية، فالنظام هو المكعب، والناتج هو بلورات مكعّبة؛ نوع من "*eidos*"، شكل حتمي سابق للوجود، وتكون الأيونات في نقاط أساسية من تلك البنية لتقوم بترتيب جزيئات المحلول في مواقعها. يمكن للمرء أن يفترض أن جسد الإنسان مبني بهذه الطريقة أيضاً؛ تلك هي النظرية التي اقترحها "جيلي" في محاولته لوضع فيزيولوجيا يتم النظر إليها من وجهة نظر الجسد الأثيري. كان سابقاً مديراً لمعهد "ميتاسيكولوجي - *Metapsycologie*" في باريس،

وهو سلف الدكتور أوستي.[1] وهي فكرة أفلاطونية تماماً. وبهذا المعنى يمكن القول إن الجسد الأثيري هو من يبني ويوجّه الجسد المادي. إن وجهة النظر هذه مناقضة تماماً لوجهات النظر الفيزيولوجية التي تُعتبر صالحة حتى الآن، لكن يجب أن أقول من موقف علمي إن الدليل ضعيف في الحالة الأولى كما هو ضعيف في الحالة الأخرى. إن تفسير ذلك من خلال التحولات الكيميائية للأجسام والفرضية المادية هو صحيح وخاطئ بالمستوى ذاته، كما هو تفسيرها بالطريقة الأخرى؛ يحتاج المرء إلى وجهتي النظر كلتيهما. وفي ذلك المثال عن "علم المبلورات" لديك النظرية الأفلاطونية العملية. يحتاج المرء إلى تلك الفرضية لتفسير البلورات الكريستالية، لكن يحتاج المرء أيضاً إلى أيونات المحلول لكي تبدأ العملية.

السيدة ستوتز: أنا لم أفكر بمثل هذا الموقف المادي.

الدكتور يونغ: يمكنك التفسير من خلاله أو من خارجه: هاتان وجهتا نظر متناقضتان. الأمر مشابه تماماً للتفسير النهائي للطبيعة. إن التفسير الحديث للضوء تفسير جسيمي مثلاً، لكن هناك نظرية التذبذب من جهة أخرى. لديك التفسيرين كليهما وتحتاج إلى كليهما لأن هناك ظواهر معينة لا يمكن تفسيرها بالطريقة الأولى. وأنت مجبر ببساطة على الخضوع لتناقضات المنطق إذا أردت توضيح الأمور. وأنت ستدخل في صراع حتى في هذه الحالة. لا يمكن العيش أو التفكير أو الشعور دون التورّط في المشاكل؛ لا تستطيع فعل أي شيء دون الدخول في المشاكل. لأن المشاكل هي كل ما

[1] "غوستاف غيلي – Gustav Geley"، وكتابه بعنوان "من اللاوعي إلى الوعي – From the Unconscious to the Conscious"، ترجمة ستانلي ديبراث (لندن، 1920). "إيوجين أوستي – Eugene Osty" وكتاب "الوضوح والحدس – Lucidité et Intuition" (باريس، 1913). ولمزيد من المعلومات عن "جيلي" راجع كتاب "الأحلام – Dream Sem".

نبحث عنه جميعاً؛ إننا نكرهها ونريد أن نكون لطفاء وصريحين، لكننا نبحث عن المشاكل.

نصل الآن إلى الفصل التالي الذي يبدأ بمشكلة في عنوانه "عن المجرم الشاحب". كيف وصل نيتشه إلى هذه النقطة؟

السيدة باومان: إنه يشير إلى المسيح.

الآنسة حنّة: يبدو الفصل كله بالنسبة إلي وكأنه متأثر بشكل غريب بكونه ابن قسّ بروتستانتي.

الدكتور يونغ: هذا هو الحال مع كتاب *هكذا تكلّم زارادشت* كله. ثمة الكثير من السيكولوجيا البروتستانتية فيه، لكن العنوان هو ما يهمنا الآن.

السيدة باينز: أعتقد أنه استمدّ العنوان من ذلك الشيء الذي رأيناه في العقل المنطقي الذي نصفه؛ بكلام آخر، لديه شهوة لا يستطيع تبريرها، ويحاول أن يُفقد الشهوة دمها، ولا يبقى حينها سوى المجرم الشاحب.

الدكتور يونغ: هذا معقّد للغاية. كيف وصل إلى عنوان يرتبط بالجريمة أو المجرم؟ لا بدّ أن الفكرة جاءت من فصل سابق، وأودّ هنا أن أجري نقلة.

الآنسة وولف: لأن الفضائل تتصارع بشدة وتقتل نفسها. تظهر فكرة القتل وإراقة الدماء في نهاية الفصل. الفضائل تقتل الإنسان، وتحاول خلق الإنسان الأعلى من خلال الإنسان العادي.

الدكتور يونغ: هذا صحيح. لكن يجب أن أصوغ هذا السؤال بطريقة مختلفة نوعاً ما. عادة في عمل من هذا النوع، تكون الكتابة من خلال الدم، أو من خلال اللاوعي كما نقول نحن، هي كتابة من خلال ما بقي من فصل سابق، صورة سابقة. تلاحظون أن كل فصل من هذه الفصول يتوافق مع صورة. وتيار اللاوعي عبارة عن تيار من الصور. تأتي صورة في فصل معين، وصورة أخرى في فصل آخر، وهذه الصور كلها مرتبطة معاً كصور كتاب " *I*

Ching" مثلاً. لديك هناك التيار ذاته من الصور التي لا ترتبط بما نسميه نحن السببية، بل من خلال رابط غير عقلاني. فما هي المميزات الرئيسة لها؟

الآنسة وولف: التضاد.

الدكتور يونغ: نعم، "الانتقال إلى الجهة المعاكسة"، ظهور النقيض. وبالنظر إلى هذه الحالة ظاهرياً نرى أن نقيض الفضائل التي نتحدث عنها هو الشرور. كان يفترض في الفصل السابق أن يمنح الأسماء لفضائله، ويعيشها إلى أقصى حد ممكن حتى تقوم الفضائل بقتله؛ لقد عاش تلك الفضائل حتى أصبح فاضلاً تماماً، وانتهى الأمر به بمشكلة مرعبة لأنه كان فاضلاً بشكل عام. حتى شروره تحوّلت إلى فضائل، أو تم التغاضي عنها أو إهمالها؛ لقد خلق من هذه الفضائل إلهاً، ومن خلال السمّ خلق دواءً أو شيئاً حلو المذاق. لذلك تحوّل الظل إلى ضوء، ومات فعلاً من الخير المطلق. وعندما يتم إهمال طريقة العيش الشريرة الخبيثة، طريقة عيش الظل، يأتي الفصل الثاني. مثل الأحلام تماماً – ما تنساه في النهار يظهر ليلاً. وهنا يظهر الشيء الذي تغاضى عنه ونسيه، هذا أيضاً يجب إدراكه.

السيدة باومان: أنت لم تقرأ نهاية سؤالي عن المسيح. قال المسيح: "لا تقاوموا الشرّ". لقد كان واعياً تماماً للجانب القاتم.

الدكتور يونغ: أنا لم أقرأه لغاية معينة، لأنه إدراك مختلف يجب أن نتكلّم عنه بعد هذا الفصل. قال المسيح طبعاً: "لا تقاوموا الشرّ" لأن الشرّ أحادي الاتجاه للغاية فلا يمكن أن يكون خيراً صرفاً. من الرائع جداً أن يكون الإنسان خيراً فقط إذا استطاع ذلك، إنها نهاية المهمة، النهاية بالتأكيد.

السيدة باينز: لقد فسرت لنا لماذا كان العنوان عن الإجرام لكنك لم تفسّر لماذا كان مجرماً *شاحباً*.

الدكتور يونغ: نعم، يمكن للمرء أن يكون مجرماً متورّداً! لهذا المجرم بشرة ليست بحالة صحية جيدة.

السيدة باينز: لكن "الشحوب" هام جداً أليس كذلك؟

الدكتور يونغ: هذا الرجل لا يستطيع منع نفسه من الشحوب؛ يصبح شاحباً في جانب من نفسه. لكن هذا الفصل يقود إلى الفصول التالية. لنفترض أننا الآن لم نفهم تماماً سبب شحوب هذا المجرم وهيئته المريضة. سنبدأ.

"لا تريدون القصاص قبل أن يحني الحيوان رقبته أيها القضاة ومقدّمي القرابين؟"

النص الألماني مختلف هنا قليلاً. لدى نيتشه معرفة لغوية عميقة، ويقصد بمصطلح "إحناء الرقبة" أو "الركوع" حركة تُسمى باللاتينية "*numen*"، وتعني تلميحاً؛ إحناء الرأس يعني تلميحاً أو إشارة. عندما تهمس بأذن الرب وتبقى أمام صورته السماوية، عندما ترى فجأة أن الرب، التمثال، يومئ برأسه. لقد سمعك ووافق أو لم يوافق: هذا هو معنى الكلمة اللاتينية "*numen*". يلاحظ المرء ظاهرة كهذه في دراسة الأخيولات؛ فعندما تركّز على صورة أخيولة، قد تبدأ بعد فترة معينة بالتحرك. لقد جعلتها حبلى بحياتك وبدأت تتحرك، تماماً مثلما يحدث عندما تركز على صورة باهتمام خاص، وتبدأ بالتحرك. إن مصطلح "*numen*" هو دلالة على القوة الإلهية، وعلى موافقة الإله. وهكذا فإن النص الألماني يعني أن القضاة ومقدّمي القرابين لا يريدون التضحية أو القتل قبل أن يومئ الحيوان برأسه — أي يعطي الموافقة أو المسوّغ للقتل. لقد غفلت الترجمة عن ذلك المعنى؛ ولا بدّ أن لذلك علاقة طبعاً.

انظروا، ها هو المجرم الشاحب قد حنى رقبته: تنطق عيناه بالاحتقار الأكبر.

"أنايَ شيء ينبغي تجاوزه: أنايَ هي الاحتقار الأكبر الذي أكنّه للإنسان"؛ هكذا تتكلم تلك العين.

كيف يرتبط هذا المقطع بالفصل السابق؟ يمكن أن نرى حينها كيف قدّم اللاوعي فكرة المجرم.

الدكتور شليغل: يوجد في كليهما شيء ينبغي التغلّب عليه.

الدكتور يونغ: نعم. يوجد في نهاية الفصل السابق عبارة تقول: *"لذلك عليك أن تحبّ فضائلك؛ فهي التي تودي بك إلى حتفك"*. والفكرة هي أن عليك أن تحبّ فضائلك لأنها ستؤدي إلى موتك في نهاية المطاف، وهي تعني دمارك الشخصي. على سبيل المثال، يوضح المجرم بجريمته رغبته بتدمير نفسه. لقد ارتكب جريمة وسيخضع للمحاكمة، وسيُقطع رأسه، وهذا ما أراده. والأهم من ذلك، عندما يرتكب إنسان جريمة قتل، فقد قتل نفسه أخلاقياً، وموت الإنسان أخلاقياً يساوي موته الفعلي طبعاً. كان لديه الشجاعة للتمرد على حياة الإنسان، وبالتالي الفكرة هنا أن القضاة ومقدّمي القرابين لا يجب أن يخافوا من الوقوف ضد حياة الإنسان؛ فقد قال تقريباً إنه ليس عليهم الانتظار حتى يومئ الحيوان برأسه موافقاً، بل عليهم أن يمتلكوا شجاعة تساوي شجاعة المجرم في القتل. وكما لا يطلب المجرم موافقة الضحية على القتل، ولا يقول للضحية "هل ستتكرّم علي وتسمح لي بقتلك؟"، لا يجب على القضاة ومقدّمي القرابين أن يكونوا خائفين من تنفيذ الحكم بالموت فوراً دون أي تأخير، ودون أن يسألوا ما إذا كان مناسباً أو عادلاً. يجب أن تكون نوعية قرارهم من نوعية قرار المجرم ذاتها، ولديهم الطريقة ذاتها في ازدراء الحياة والإنسان. وهذا لا يتوافق طبعاً مع أفكارنا عن العدالة في النهاية، لكنه يتوافق كثيراً مع أفكارنا السيكولوجية عن العقوبة.

الفكرة الطبيعية عن العقوبة هي أن يتم شنق المجرم إذا ارتكب جريمة قتل؛ عندئذٍ نشعر بالرضا. هذه هي النظرية الحقيقية الوحيدة عن العقوبة، وأي شيء آخر هو مجرد هراء. عندما يرتكب الإنسان جريمة قتل، تكون له الأفضلية علينا، لأننا أردنا جميعاً أن نفعل ذلك. مرة واحدة على الأقل، وفي لحظة مؤثرة، أراد كل شخص أن يقتل إنساناً، لكن لم يستطع ذلك لأنه كان شخصاً محترماً. ثم أتى ذلك الرفيق الشرس الذي تجرّأ، ولماذا يجب أن يفعل ذلك بينما أنا لم أستطع؟ نحن جميعاً مجرمون محتملون. ولا داعي طبعاً لأن يكون قتلاً جباناً، يمكن أن يكون قتلاً مباشراً غير متعمد. كان أسلافنا مجرمين عالميين – وكانت فضيلة أن ترتكب جريمة بتلك الطريقة – لذلك هي فطرة فينا: إنها في دمائنا. لكن لم يُسمح لنا بفعل ذلك لأنه أمر غير أخلاقي. وبناءً عليه، نقول بشكل مباشر، إذا ارتكب أحدهم جريمة قتل، لدينا الحق أيضاً بأن نفعل ذلك. لكنه شخص واحد، ونحن كثرة، لذلك علينا أن نفعل ذلك بشكل جماعي؛ ونسمي ذلك "قانوناً": نختار مجرماً من مجتمعنا ونعطيه سيفاً ليقطع رأس المجرم. ثم نشعر جميعاً بالسعادة؛ لقد قُطِع رأسه الآن ونحن نشعر بالرضا الكامل. وهكذا فقد حصل كل شخص على رشقة من الدم على الأقل من أجل خلاصه. إنه يمنح الناس شعوراً لطيفاً بأنهم ارتكبوا قدراً معيناً من الجريمة. تلك هي الجريمة السيكولوجية، وأية طريقة أخرى هي مجرد عقلنة لهذه الحقيقة البدائية جداً.

أستطيع إثبات ذلك بمثال حقيقي للغاية. في جزيرة "سلبز" في أندونيسيا، جرت العادة على أن يتم قتل سجناء الحرب في بيت الأشباح. يُستخدم هذا المنزل لكثير من الغايات، فهو تكثيف لجميع المباني حول ساحة القرية؛ الكنيسة، ونزل صغير أو اثنين بأسماء الحيوانات التي ترمز إلى "كتبة الأناجيل" إذا كان ذلك ممكناً، وموقع المحافظ الذي يكون

مرتبطاً عادة بالبيت من أجل المحرّك الناري والمشرحة التي يضعون فيها الجثث في النهاية، بالإضافة إلى سجن عام. يتم تكثيف هذه المؤسسات كلها في المجتمع البدائي في مبنى واحد لا يُعتبر بيت الأشباح وموقع إجراء الطقوس بل هو أيضاً بيت الضيافة والنادي والمشرحة. هناك يربطون سجين الحرب إلى عمود معلّق حول قمّته جماجم الضحايا السابقين، وهو عبارة عن نصب تذكاري للشبح. ثم يتسلّح الحشد كله بسكاكين أو رماح أو سهام، ويقوم كلٌ منهم بطعن الضحية قليلاً ثم يلعق الدم، وأخيراً تموت الضحية. يتذوّق كل فرد منهم نكهة الدم، وهذا نوع من المشاركة. أمر مرعب بطبيعة الحال.

تقوم الفكرة الأساسية على أن تنفيذ حكم الموت يجب أن يكون بمشاركة جميع الناس؛ إثبات لنوع من التواصل أو المشاركة بين الناس من خلال المشاعر المشتركة. وطالما أن ليس لديهم الآن فرصة من هذا النوع، عليهم أن يقرؤوا قصصاً بوليسية، أو يذهبوا إلى السينما؛ يجب أن يشعروا بسعادة غامرة من خلال الجرائم البشعة. كما يجب أحياناً أن يكونوا متحمّسين جداً للحرب لأنهم لم يشاهدوا سوى القليل من عمليات القتل. إن سيكولوجيا القتل هي سيكولوجيا المجرم، لذلك يوجد حتى مجرمون يريدون أن يُعدموا، ولا يكونوا راضين إذا لم يُعدموا. ويوجد لدى بعض المجرمين سيكولوجيا التضحية؛ فهم يشعرون بأفضليتهم على الناس. كل ذلك موجود في موت المسيح؛ تم اعتباره مجرماً وصلبوه بين لصّين، وبدلاً من لصّ آخر. تم صلبه بدلاً من "باراباس" الذي تم إطلاق سراحه كإله الخصب للسنة القادمة، بحسب العادات القديمة. وهكذا كان يسوع في موقع المجرم تماماً، كان إله السنة الماضية الذي تم صلبه من أجل خير الجماعة.

ربيع 1935

أيار - مايو / حزيران - يونيو

المحاضرة الأولى

8 أيار – مايو 1935

الدكتور يونغ:

بدأنا في الموسم السابق بفصل يُسمّى "عن المجرم الشاحب"؛ وأعتقد أننا عالجنا الفقرتين الأولى والثانية. وهو بشكل خاص ليس فصلاً جذاباً، بل حتى غير مقبول. سنبدأ القراءة الآن من المقطع الثالث:

اللحظة الأسمى للمجرم عندما يقاضي نفسه؛ فلا تدعو الجليل يرتدّ مجدداً إلى حضيضه!

ما من خلاص لذلك الذي يعاني من نفسه إلا بميتة سريعة!

ليكن قصاصكم رحمة أيها القضاة لا انتقاماً؛ وفيما أنتم تنفذون القصاص فلتكن غايتكم تبرير الحياة!

لا يكفي أن تتصالحوا مع من تقتصّون منه. ليكن حزنكم حبّاً للإنسان الأعلى: هكذا تبررون بقاءكم على قيد الحياة!

ينبغي أن تصفوه "بالعدوّ" وليس "بالشرير"؛ بالمريض وليس بالوغد، بالأحمق وليس بالآثم.

وأنت أيها القاضي بعباءتك الحمراء، لو أنك أعلنت جهارة كل ما يجول في ذهنك، لكنت سمعت الجميع يهتفون قائلين: "لتُبعدوا عنّا هذه القذارة والدودة السامّة!"

لكنّ الفكرة شيء والفعل شيء، وصورة الفعل شيء آخر؛ وبينها لا يتحرّك دولاب السببيّة. (يا لها من عبارة مربعة!)

كانت صورة هي التي جعلت هذا الرجل الشاحب شاحباً. لقد كان ندّاً لفعلته عندما نفذها؛ لكنّه لم يستطع أن يحتمل صورة الفعل بعد أن انتهى منه.

والآن لم يعد يرى في نفسه سوى مجرم. هذا هو الجنون: لقد تحوّل الشاذّ إلى قاعدة في كيانه.

الخط الذي يرسمه المنوّم يسحر الدجاجة؛ والفعلة التي فعلها أودت بعقله الضعيف. أسمّي ذلك جنون ما بعد ارتكاب الجريمة.

استمعوا أيها القضاة! هناك جنون آخر أيضاً هو جنون ما قبل ارتكاب الجريمة. آه، إنكم لا تسبرون أغوار النفس بما فيه الكفاية!

يقول القاضي بردائه الأحمر: "لماذا ارتكب هذا الجرم جريمته؟ هل كان يريد السرقة؟" أما أنا فأقول إن روحه كانت تريد دماً وليس غنيمة: كان متعطشاً لبهجة النصل!

لكنّ عقله البائس لم يفهم هذا الجنون، وهكذا أقنعه عقله قائلاً: "ما لك والدم؟ ألا تريد من وراء ذلك كله غنيمة على الأقل؟ ألا تريد الثأر؟"

لقد أصغى إلى عقله المسكين لأن ما أسرّ به كان ثقيلاً كالرصاص، فسرق بعدما قتل لأنه لم يكن يريد أن يشعر بالخجل من حمقه.

وها هو الآن يرزح مجدداً تحت وطأة رصاص ذنبه، ويتصلّب عقله البائس من جديد ويصبح أعرجَ بليداً.

لو أنّه استطاع فقط أن يحرّك رأسه لانزاح ذلك العبء الثقيل عنه؛ لكن من ذا الذي سيحرّك هذا الرأس؟

أيّ إنسان هو هذا؟ ركام أمراض ينشره العقل في هذا العالم؛ أمراض تريد أن تظفر بفريستها.

أيّ إنسان هو هذا؟ ركام أفاعٍ متشابكة لا تجد راحة فيما بينها – هكذا تتفرّق بحثاً عن فريستها في الأرض.

انظروا هذا الجسد البائس! لقد فسّرت النفس ما يعانيه وتبغيه بطريقتها الخاصة – فسرتها على أنها رغبة القتل، ولهفة إلى لهفة إغماد النصل.

من يغدو الآن مريضاً، يقع عليه الشرّ الذي هو الآن شرّ: إنه يسعى لأن يسبب ألماً بذلك الذي يؤلمه. لكن كان هناك فيما مضى أزمنة أخرى وخير آخر وشرّ آخر.

كان الشكّ فيما مضى شرّاً، وكذلك كانت إرادة الذات. في ذلك الزمن كان المرضى مهرطقين أو سحرة: كان المبتلى بالشكّ يُعتبر مهرطقاً أو ساحراً، وكان يسعى إلى إيلام الآخرين بألمه.

لكن كلامي لا يصل أسماعكم وتقولون لي: إنها تسيء إلى الصالحين بينكم. لكن ما شأني بالصالحين من بينكم!

أنا أشمئزّ في الحقيقة من أشياء كثيرة لدى الناس الخيّرين لديكم وليس من أشراركم. وأودّ لو يصيبهم جنوناً يهلكهم مثل جنون المجرم الشاحب!

الحق أقول لكم، إنني أودّ أن يُدعى هذا الجنون حقيقة أو وفاء أو عدلاً: لكن لديهم فضيلة أن يعيشوا طويلاً وفي كنف رضا بائس يدعو إلى الشفقة.

أنا سياج على حافة نهر؛ من يستطيع التمسّك بي فليفعل! لكنّني لست عكازاً تتكئون عليه.

ما هو انطباعكم الرئيس عن هذا الفصل؟ هل أعجبكم؟ هل تفاعل قلبكم معه؟

السيدة سيغ: إنه فصل عميق جداً ومثير للاهتمام وصعب للغاية.

الدكتور يونغ: يبدو وكأن التعقيدات الفكرية جذابة بالنسبة إليك. ألا يوجد بينكم رجل لديه رأي بهذا الفصل، ألا يوجد بينكم رجل يستطيع أن يدرك مشاعره بطريقة مستقلة؟ ألا يوجد عقل نسائي مستقل بقلب منجذب إليه؟

السيدة فيرز: لا أعرف ما إذا كنت مستقلة، لكن أظن أن الفصل يُظهر ما كنت أشعر به غالباً نحو كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت***. أنا لم أقرأ سطراً واحداً بعد هذا الفصل، لأنني لم أستطع؛ وهو الفصل الذي سأقف عنده إذا لم تشرحه بشكل واضح وتساعدني على فهم القليل منه.

الدكتور يونغ: نعم، هذا ما أشعر به تماماً. إنه يثير لديّ شعوراً هائلاً بالاشمئزاز. واعذروني لأنني أتحدث عن مشاعري هنا لأنكم ستضيعون في حالة كهذه إذا لم تدركوا مشاعركم. فمن وجهة نظر عقلانية، هو فصل معقّد بشكل لا يوصف؛ ثمة شيطان فكري في كل أرجاء النص، وسيسود أكثر في فصل لاحق. يتحوّل نيتشه هنا إلى مجرم فكري فعلياً. هذا مقزز – يصل هنا إلى إحدى المراحل المتقدمة التي سبقت جنونه. لم يصل الأمر إلى مرحلة الجنون، لكنه معقد للغاية كالجنون عندما يبدأ بالتسلل. لذلك أعتقد أن الشعور الطبيعي، والعقل الطبيعي المنفتح، سوف يتأذّى بالسيكولوجيا الظاهرة هنا. إنه شرير تماماً في كل جوانبه. وتتوقف فجأة عندما تبدأ بقراءته. ترفض مشاعرك أن تلامس ذلك الشيء المريض للغاية. ولا عجب في أنه يتحدث عن الأفكار السرية للقضاة ذوي العباءات الحمراء

على أنها ديدان سامة، فالدودة السامة فعّالة هنا. عليكم أن تتعاملوا هنا مع شخص محكوم بالجنون، ويعدّ نفسه له؛ فكتاب *هكذا تكلم زارادشت*، ضمن ظروف معينة، عبارة عن تحضير للجنون، وطريق إليه. وإذا كان هذا الرجل في طريقه إلى الجنون فعلاً فسوف يحطّ هناك. وإذا سار الشخص العاقل بهذا الطريق فسوف يتعلّم ما يعنيه الجنون لأنه سيسير على حافته. وهنا يُسرف نيتشه بذلك. يصل إلى الأرض المحرّمة، ويحترق ويتلوّث في كل مكان بملامسته لتلك المنطقة. لذلك من الضروري التغلّب على مقاومة معينة في التعامل مع مادة من هذا النوع.

كل فصل من كتاب *هكذا تكلم زارادشت* هو مرحلة ضمن عملية إجراء طقوس البدء لأنه متى اتخذ الإنسان ذلك الطريق المرتبط بالمغامرة اللحظية لحالته الداخلية، يزداد تورّطه بتأثيراتها ويصبح مريداً. تلك هي عملية طقوس البدء كما كانت دوماً. ولاحقاً، كما حدث في كل طقوس البدء التقليدية، تأتي لحظة تضيع فيها التجربة الأصلية، ولا يواجه المرء سوى طقوس وأفكار معينة أصبحت مترمتة. ويرجع المرء بنظرته إلى تجارب الأجداد ويفكر فيها، يرجع إلى تجارب المعلمين والحكماء، ويحاول بشكل طبيعي أن يلتقط ما تركوه خلفهم. يعتقد أنه إذا قلّد تلك الآثار التي رآها فسوف يتخذ الطريق ذاته متناسياً أنه الآن مجرّد قيد، وما اعتادوا على تسميته "*scoria*". ونتبع الكلمات والصور المرتبطة بالرموز التي تركها الآخرون نظنّ أننا نشقّ طريقنا. لكننا لا نفعل شيئاً سوى أننا *نقلّد* ذلك الطريق، فالمطلوب تحديداً ليس ذلك التقليد بل التجربة الأساسية اللحظية التي تكون فردانية دوماً. لا يزال لدينا تقاليد أو "طقوس بدء" كهذه؛ إلا أنه لا يمكن العثور عليها في أية كتب طبعاً لكن يصادفها المرء في سلسلة من الرموز الفردانية في مكتبات أوروبا العظيمة. ففي درجات الماسونية العليا، وما يسمى الطقوس القديمة والمقبولة في اسكتلندا التي

لديها ثلاث وثلاثون درجة، تتخذ طقوس البدء أشكالاً رمزية وعقائدية؛ يتم إبلاغ المرء عما يجب أن يفعله ويفكّر فيه ويؤمن به، ويكون الأمر كله بسيطاً وفارغاً. وهو مثير للاهتمام جداً لكنه مثالي لدرجة لا يمكن أن يكون صحيحاً – قد يكون صحيحاً لكن ما من أحد يكون فيه. فهو أجوف تماماً. هو مجرّد شكل ساكن كقفل الباب. وهذه المنظمة التي تعود بتاريخها ربما إلى القرن السابع عشر، قد سبقتها مرحلة أخرى لا يزال لدينا آثار عنها. ولدي أنا نفسي سلسلة مخطوطات وكتب عن التمثيلات الرمزية التي قام بنسخها أولئك القائمون على "مكتبة آرسنال - *Bibliothèque de l'Arsenal*" في باريس. لقد أتت من عائلات نبيلة كان ذكورها قادة في الحرب وانتموا إلى مجتمعات سرّية تُقام فيها طقوس بدء من هذا النوع. وتعود هذه الكتب بتاريخها إلى أيام لم تكن طقوس البدء فيها تُقام وفقاً للقانون. لقد كان فردية، وبالتالي فقد ألفوا كتباً مشابهة لتلك السلاسل الرمزية الخاصة بتلك المرأة الأمريكية التي تحدثت عنها في السيمنار السابق.[1] كانت تلك عملية طقوس بدء فردانية سرية. وأولئك الفرسان، أو أياً كانت صفاتهم، ألّفوا كتباً متشابهة تماماً؛ بعضها ليس مركباً حتى من كلمات بل فيها صور فقط، ويتم فيها تصوير عمليات التحول النفسية في طبيعة الفرد. لكن ليس هناك كتاب مفهوم فعلاً، ولا كتاب يشبه الآخر؛ تحتفظ الكتب طبعاً بنمط عصرها كما تحتفظ كتبنا الرمزية بنمط عصرنا، لكنها كتب فردية بحد ذاتها. لاحقاً، تم استبدال تلك الأشياء بعقائد رمزية، واختفت الروح منها فلم تعد فيها أية حيوية.

كتاب نيتشه الذي بين أيدينا الآن هو إحدى أولى المحاولات في العصر الحديث للعودة إلى طقوس البدء اللحظية الفردية. لكن نيتشه لم يكن

[1] "سمينار الرؤى – The Visions Seminars"، 1930 – 1934 (زيورخ، 1976). انظر أعلاه محاضرة 2 أيار – مايو، 1934.

يسعى إلى ذلك؛ بل أمسك الكتاب به من عنقه: تغلّبت عليه العملية لأن الوقت كان قد حان، وكان أشبه بإنسان منفتح على شيء كهذا. لقد بدأ فعلاً في ذروة مرحلة تفتّح المادية، وبكونه شخصاً حساساً للغاية أدرك أنه بحاجة للزمن، وشعر أن أشكالنا التقليدية أصبحت فارغة إلى حد ما. وشعر بشكل طبيعي بالحاجة إلى شيء ما لأنه لم يكن لديه ما يستند عليه، وهكذا بات مجبراً على أن تكون لديه تجربته الفردية، وحدث ذلك في اللحظة التي قال فيها لنفسه "*إن الله قد مات*"، بحسب تصريحه في كتاب *هكذا تكلّم زارادشت*. لقد سيطرت عليه الروح في تلك اللحظة التي أنكرها بشكل كامل. لأنه في تلك اللحظة تماماً لم يعد بالإمكان إخفاء الروح. فإذا اقتنعت أن هناك روحاً بشكل معين، بشكل ظاهر أو قول مثلاً، فعندها يكون للروح مسكن. وهي تنفصل عنك لأنها تتجسد في شيء ما. لكن عندما تقتنع أنه ليس هناك روح في أي مكان، تكون قد طهّرت السماوات والعالم كله ولم تعد تجد الله فيه كما قال ذلك الطبيب (الذي أخبرتكم عنه) الذي عانى من مرض نيتشه ذاته. فعندما تطلق تصريحاً من هذا النوع تتحرر الروح من تجسداتها وتصبح في ذاتك، ثم يبدأ لاوعيك بالضجيج. هذا ما حدث مع نيتشه؛ بدأت عملية طقوس عبوره، وكتبها كما يجدر بالمرء أن يفعل.

عندما يدخل الإنسان تجربة داخلية حيوية، يشعر دوماً بإغواء كتابتها فيعطيها شكلاً ويعبّر عنها. هكذا يتم ابتداع لوحات ورسومات كوسائل لغايات رمزية؛ إذ يشعر المرء بالحاجة، ويشعر برضا غريب إذا نجح في التعبير عن تجربة داخلية. يبدأ كثير من الناس، وهم ليسوا شعراء عادة، بكتابة قصائد، ويكتبون بأسلوب رجال الدين الفصيح. يصبحون أجلّاء ومهيبين وشاعريين ويعبّرون عن أنفسهم بأسلوب عاطفي للغاية، مستخدمين الوسائل كلها للتأكيد على ذلك لأنهم يشعرون أنهم يختبرون

شيئاً يحتاج إلى ذلك التعبير. وهكذا فقد انسحب نيتشه حالاً من طرق التعبير الفكرية والمفخّمة.

إن كتاب *هكذا تكلّم زارادشت* هو الاعتراف الأكثر عاطفية من بدايته إلى نهايته، والأكثر من ذلك أنه تجربة: إن حياته بحد ذاتها تمرّ خلال هذه الفصول. فكل فصل عبارة عن صورة جديدة في عملية طقوس البدء. وأنتم تعلمون أن عمليات طقوس البدء القديمة قد تشكّلت من فقرات رمزية. أولاً، يواجه المرء تهديداً معيناً، أو ربما يتم وضعه في غرفة قاتمة؛ يكون حينها معرّضاً لأنواع المخاطر كلها، ويتم تطبيق اختبار عن الشجاعة ينبغي على المريد فيه أن يتحمّل البرد والحرارة وما إلى ذلك. فتلك مرحلة رمزية، ومحاكاة للعمليات التي كان يُفترض بالمرء أن يمرّ بها في طقوس البدء الفردية. كانت تلك الأشياء فردية في البداية، وتم تشكيل الطقوس من كثافة التمثيلات الأصلية؛ ثم أصبح كل شيء مصطنعاً. وتم اختراع أكثر الأشكال سخافة بحيث لم يعد بإمكان أي شخص أن يأخذها بجدية. على سبيل المثال، في طقوس البدء الماسونية، يتم إدخال المريد في اختبارات تبدو شنيعة لكنها ليست حقيقية إطلاقاً إذ تبدو أشبه بلعب الأطفال. ويكون المريد جاداً طبعاً، أو يحاول أن يكون جاداً لكنه ليس كذلك في الواقع: فهي حتى لا تلامسه. أخبرني "فيلهيلم"[1] أنه عندما قصف اليابانيون "كين تشاو" أصابت قذيفة نزلاً ماسونياً، وانهارت جدران النزل كلها، وانكشفت المحتويات الداخلية، وذهب الناس إلى هناك لرؤية الأشياء المضحكة الموجودة في الداخل. فكان هناك مثلاً نوع من المشابك مع قضبان شوكية حديدية تبدو خطيرة جداً، وكان على المريد أن يركع عليها، وتظهر الأعجوبة في أن هذه القضبان الشوكية لا تؤذيه إذا كان مؤمناً بالله.

---

[1] ريتشارد فيلهيلم، مصدر معلومات يونغ الأساسية عن ثقافات الصينيين و(أحياناً) عن ثقافات اليابانيين. راجع محاضرة 31 تشرين الأول – أكتوبر، 1934.

لكن تبين بعد الاختبار أن هذه الأشواك التي يركع عليها تبدو حقيقية تماماً كالأشواك الأخرى لكنها مصنوعة من المطاط؛ فقد كانت ناعمة وطرية، وبالتالي بدلاً من أن يشعر المريد بتمزّق جسده، يفكّر بأعجوبة مساعدة الله له! وهكذا تنحطّ طقوس البدء كلها إلى مجرّد احتيال.

أما من الجهة الأخرى فإن العملية الفردانية من جهة أخرى ليست خدعة، بل شيء مرعب. واجه نيتشه الشياطين كلها، وإغواءات طبيعته الخاصة، وكل سمات الإنسان العليا والدنيا، والإمكانيات العظمى للأعماق والقمم. ويوجد الآن منطق سري يشبه سلسلة هوميروسية تمرّ عبر الكتاب كله: كل فصل يقود إلى آخر.[1] والفصل السابق كان بعنوان "عن صبوات الأفراح والآلام". إن تتبع طريق الأفراح والآلام هو الطريق للإنسان الأعلى؛ لكنه يؤدي إلى المجرم الشاحب مفتقد الأناقة، المجرم الشاحب الذي لا يستطيع ارتكاب جريمته دون أن يكون لديه فكرة عما سينهار عنده. هذا هو المجرم الشاحب، وبهذه الطريقة دخل ذلك المصطلح إلى خطاب نيتشه العام؛ يقرأ المرء ذلك في كتب ومحاضرات، ويكون المقصود فيه شخص ليس على مستوى أفعاله. لكن يمكننا أن نكون واثقين الآن من أنه إذا وصل شخص يشبه نيتشه، بحالته العقلية غير السليمة التي أدّت إلى جنونه، إلى تلك الطبقة من شخصيته فسوف يصل إلى شيء مزعج؛ شيء يؤلم ولا يمكن قبوله لأنه ضدّ مقدراتنا الطبيعية السليمة. لكن من جهة أخرى، هذا هو الفصل الذي يتعرّض فيه الإنسان ذو العقل المختلّ للمسّ أو الإغواء.

أتذكر أحد طلابي الموهوبين للغاية، وكان أول ما لاحظته فيه أن الفصل الذي غاص فيه أثناء قراءة نيتشه كان فصل "المجرم الشاحب". كان

---

[1] كانت الإلياذة والأوديسة مثار إعجاب النقاد الأدبيين (والقراء العاديين) على مدى خمسة وعشرين قرناً بسبب الأناقة في ربط الحلقات مع التقدم في السرد.

الفصل يجول في رأسه على مدار الوقت، ولم يتخلّص منه أبداً، "يا له من فصل رائع – على المرء أن يضحي بحياته حتى من أجل جريمته!" لقد تماهى مع المجرم الشاحب وأُصيب بالجنون فيما بعد – ليس بسبب قراءة نيتشه بل لأنه هو نفسه كان محكوماً عليه بالجنون. لم ينجح بحياته لأنه كان مريضاً أيضاً. توقّع الجميع منه أن يكون طبيباً ناجحاً: كان قد بدأ بأسلوب سامٍ ورفيع إلى حد ما.[1] سرعان ما جعل نفسه بغيضاً لأن أفراحه وآلامه حملته بعيداً جداً. فقد بصيرة البشر وطوّر حالة من "جنون الشكّ والارتياب"، وهي فكرة الاضطهاد، فكرة أن الجميع يكرهون شخصاً معيناً، وحقيقة أن ذلك الشخص يهرب من الناس. لكن في الجانب السليم من إنسان كهذا لا يزال يوجد توق للتواصل مع البشر، وقد تطورت أفكار الاضطهاد تلك كتبرير هروبه من الناس. يعاني كل أولئك الناس الذين يشعرون بالاضطهاد وعدم الارتباط من نوع بسيط من "جنون الشك والارتياب": الشعور بأنك مراقب ومرتبك وغير مرتاح في مجتمعك، وغير قادر على تقديم نفسك لأن هناك آخرين يسببون إعاقة لك. ذلك هو أكثر أشكاله بساطة. أشخاص كهؤلاء لا يحبون الآخرين. وهم يكرهونهم ويحاولون تجنّبهم، وإذا تنامى شيء حولهم، يطوّرون أفكار الاضطهاد.

إن وصول نيتشه إلى فصل بعنوان "المجرم الشاحب" بعد فصل بعنوان "عن صبوات الأفراح والآلام" ليس بالأمر الغريب بل هو طبيعي للغاية؛ إذا تابع المرء مسار الآلام فسيصل بالتأكيد إلى موقع تصبح فيه عواطفه غير طبيعية ولا اجتماعية بل إجرامية، وهذه سمة لكل شخص. لذلك قيل:

[1] كتب نيتشه في كلامه عن كتاب *هكذا تكلّم زارادشت*: "كنت أنا أول من اكتشف الإيقاع العظيم، والنمط المميز للصياغة، كتعبير عن الصعود والهبوط الهائلين للسموّ، ولشغف الإنسان الأعلى". (إلى كارل فوشز، شتاء، 1884 – 1885، كتاب: "رسائل مختارة لفريدريك نيتشه".

"principiis obsta"،[1] قاوم الأفراح والآلام، قاوم من البداية قبل أن يتأخر الوقت، ولا تجعل الآلام تصيبك لأن نكهتها ليست جيدة. والسبب الأعمق هو أنه إذا انزلق المرء كثيراً في لهب من هذا النوع، فسيصل الأمر به إلى الإجرام بالتأكيد. لكن كيف لك أن تعيش دون آلام – لأنك حينها ستهرب من المعاناة؟ (كلمة "شغف – *passio*" تعني المعاناة أيضاً. والكلمة الألمانية المقابلة لها هي "*Leidenschaft*"؛ وكما يقول أحد الشعراء: "*Leidenschaft ist das, was Leiden schafft*").[2]

لا يمكن لأي شخص أن يهرب من المعاناة، وأن تحاول الهروب من الشغف هي أن تحاول الهروب من المعاناة. لكن كما لا يمكنك الهروب من المعاناة، لا يمكنك الهروب من الشغف؛ سوف تعاني من الشغف إما بشكل مباشر أو غير مباشر، ومن الأفضل كثيراً أن تعاني بشكل مباشر لأن المعاناة غير المباشرة ليس لها أية مزايا. تبدو وكأنه لم يحدث أي شيء. لذلك فإن المعاناة غير المباشرة في العُصاب ليس لها أية مزايا أخلاقية. السنوات التي ضاعت في العصاب ضاعت وحسب، دون أي مكاسب. لكن إذا عانيت بشكل مباشر، وعرفت ما تعاني منه، لن يضيع أي شيء. لذلك يقول المسيح إنك إذا كنت تعرف ما تفعله فأنت مبارك، لكن إذا لم تكن تعرف فأنت ملعون.[3] عندئذٍ يكون عُصاباً. من هنا فإن الوصول إلى المجرم الشاحب طبيعي تماماً، لكن الطريقة التي يعالج فيها المرء المجرم الشاحب هي بالطبع

---

[1] "Obstare": أن تقف في الطريق. ومن هنا جاء مبدأ الإعاقة أو المقاومة.

[2] "الشغف هو ما يخلق المعاناة".

[3] كانت إحدى أفضل العبارات المفضلة لدى يونغ من إنجيل "أبوكريفا" غير المعترف به رسمياً، كإضافة إلى إنجيل "لوقا" (مخطوطة بيزا – Codex Bezae V. L. 4) هي: "وفي اليوم ذاته، عندما رأى أحدهم يعمل يوم السبت، قال له: 'أيها الإنسان، إذا كنت تعرف ما تفعله فأنت مبارك: لكن إذا لم تكن تعرف، فأنت ملعون، وتنتهك القانون'" (أبوكريفا، صفحة 33).

اختبار للجنون أو اللاوعي. وهنا يقوم نيتشه بمعالجة الموضوع بطريقة غريبة للغاية.

أعتقد أننا سنعود إلى مواضيع مختلفة لكي نحاول أن نفهم هذا النص:

"اللحظة الأسمى للمجرم عندما يقاضي نفسه؛ فلا تدعو الجليل يرتدّ مجدداً إلى حضيضه!"

من خلال قيامه بواجبه وارتكابه لجريمته، جعل من نفسه مجرماً، وهذا ما كان ينوي فعله لأنه كان مجرماً؛ كان يقصد أن يكون مجرماً. إلى هذا الحدّ يبدو الأمر صحيحاً إذا كان يعرف ما يفعله. لكن لدينا مشكلة هنا. إذا كان مجرماً دون أن يعرف ذلك، ويقوم بفعلته كحيوان، فليس لديه أية فرصة للخلاص؛ لكن إذا كان يعرف ما يفعله، فثمة إمكانية للخلاص لأنه يقوم حينها بتنفيذ دوره. فالإنسان الخيّر مثلاً يقوم بالأفعال الجيدة. سيكون مجبراً على فعل الخير ويشعر بالتعاسة إن لم يفعل ذلك؛ ليس هناك أية مزايا في سلوكه. هو يفعل ما تمليه عليه طبيعته وحسب، وهي تصرّفات طبيعية تماماً، مثل الحيوانات. قد يقول أحدهم إن من الجيد للغاية أن يصنع النحل العسل الذي نتناوله، ويكون سيئاً عندما يلسعنا، لكنه يتصرّف دون وعي منه في الحالتين كلتيهما، وليس هناك مزايا في ذلك. لكن إذا عرف الإنسان أنه يفعل الخير لأنه لا يستطيع أن يفعل غير ذلك ستكون هناك مزايا في تصرّفه لأنه سيكون حينها واعياً لتلك الحكمة التي تقول: يلعب الملك دور الملك، والمتسول دور المتسول، واللص دور اللص، كونهم واعين للآلهة. وهذا يعني بأنهم مدركون لأدوارهم، مدركون للكارما وضرورة أن على المرء أن يلعب دور الملك لأنه وُلِدَ ملكاً، وعلى الآخر أن يلعب دور المتسوّل لأنه وُلِدَ متسولاً، وإذا وُلِدَ شخص آخر وغداً في مسرح الحياة فيجب أن يكون وغداً. ومع ذلك، إذا عرف أن ذلك كله من الآلهة، فلا بدّ من الافتداء. تلك فلسفة هندوسية تقوم على أن شرط الافتداء هو

أن تكون واعياً لما تفعله. ومن وجهة النظر هذه يكون من السيئ للغاية أن تكون جيداً دون أن تعرف ذلك، كما يكون سيئاً للغاية أن تكون سيئاً دون أن تعرف ذلك: لا تُعتبر أيٌّ منهما ميزة؛ الفرصة الوحيدة للافتداء والخلاص هي في الوعي، لأن هذه هي النقطة التي يتمايز فيها المرء عما يفعله، ويتمايز عن كونه مجرد حيوان. هذه لحظة سامية ليس عليه أن ينحدر بعدها عبر محاكمته لذاته، شريطة أن يعرف ما يفعله.[1]

" ما من خلاص لذلك الذي يعاني من نفسه إلا بميتة سريعة"

ليس هذا هو الخلاص الذي أودّ أن أصنّفه كافتداء طبعاً. يقصد نيتشه هنا أنه يرتكب جريمته بهدف الوصول إلى الموت؛ أي الشهوة للجريمة والجشع للدم هو استعداد للموت. ويقول: لذلك كان الجنون قبل الفعل. يريد القاتل أن يرى الدم، كما لو أنه عرف أن ارتكاب الجريمة يعني موته الشخصي. إنه يسعى لإنهاء وجوده لأنه – كما يظهر في النص لاحقاً – ليس سوى جسد مليء بالأمراض، ليس سوى كومة ثعابين بريّة لا يمكن أن تفنى إلا بقتلها. وهكذا فالمجرم الشاحب في هذا الإطار هو رمز للإنسان الذي ينبغي أن ينهي وجوده لأنه ليس صالحاً – ليفسح المجال للإنسان الأعلى. تلك كانت النقطة التي سيطرت على الطالب الذي تحدثت عنه، لكنه تماهى في الوقت نفسه مع الإنسان الأعلى مثل نيتشه تماماً. كان يتحدث دائماً عن الانتحار. وشعر بأنه إذا كان من الضروري أن يفعل ذلك ليفسح المجال للإنسان الأعلى فسوف يفعل ذلك دون تردد، لم يفكر في الأمر بعمق فدمّر نفسه. وهكذا فقد انتحر أخلاقياً، وأصبح إنساناً أعلى لدرجة أنه لم يعد

---

[1] في ما يخصّ العلاقة بين أن يؤدي الإنسان دوره في الحياة، ويصبح واعياً لـ "أتمان" القابع تحت الأدوار كلها، ويصبح في الحقبة الأخيرة من الحياة متسوّلاً بغية الحضور الكامل للحقيقة السامية، انظر كتاب "زيمر – Zimmer" بعنوان "فلسفات - Philosophies"، صفحة 101-104، 153-160.

يستطيع أن يتعامل مع البشر العاديين، وكانت النتيجة هي الخوف من الاضطهاد. إذا عرف المجرم في ارتكابه لجريمته أنه كان يقصد فعلاً دماره الخاص، وأنه يرتكب جريمته من أجل أن يقتل نفسه، فلا يمكن للمرء حينها إلا أن يوافق؛ سوف يرتكب جريمته بالتأكيد، ولا يمكن لأحد أن يمنعه، وإذا كان يعرف أنه يقتل نفسه فلا بأس بذلك. ويحاكم المرء الجريمة بطريقة مختلفة عندما يقوم القاتل بقتل نفسه أيضاً فور ارتكاب الجريمة: يكون للمرء شعور بأنه يحاكم نفسه ويعاقبها بالموت. يرضينا كثيراً أن يُنهي القاتل حياته أيضاً.

إذا فكرنا بالأمر وسألنا أنفسنا ما الفائدة من قتله فسوف نرتكب أخطاء قاتلة تتعلّق بالعدالة. إن التفكير بالجانب الأخلاقي، وبواجباتنا نحو تحسين المجرم، هو محض هراء. من العدل قتل المجرم لأننا متورّطون بالجريمة أيضاً؛ داخل كل فرد منا مجرم يريد أن يرتكب الجرائم مع أننا لا نعرف ذلك. إن المجرم الذي لدينا مُحبط للغاية. وفي الليالي التي يُصاب فيها بالقلق يتذمّر من أننا لم نعطه فرصة. ثم نقرأ في الصحيفة أن أحدهم ارتكب جريمة فنقول في أنفسنا: "يا له من شيطان وقح! لقد سحق رأس رجل. استطاع أن يفعل ما أردتُ أن أفعله بعد أن امتلك حرية ارتكابه تلك الجريمة". لقد تحرّضت غرائزنا الإجرامية وعلينا الانتقام، وعلينا أن نفعل شيئاً ما ضدّه. وبما أن من المستحيل أن يقوم سكان مدينتنا زيورخ البالغ عددهم ثلاثمئة وخمسين ألفاً بقتل إنسان، قمنا باختيار قاضٍ، لكننا لسنا عقلانيين أبداً لدرجة أنه ليس لدينا جلّاد في زيورخ. لكنهم كانوا في إنكلترا منطقيين بما يكفي ليختاروا جلاداً يهتم بالمشاعر العامة: عليه أن يعتني بالغرائز الإجرامية للمدينة كلها. فعندما يحكم على إنسان بالموت، نكون نحن مشاركين بالجريمة، وهذا صحيح لأننا سنُصاب بالإحباط إذا لم نكن كذلك. فبدلاً من محاولة تطوير ذلك الإنسان، نقوم بإعدامه. إذ

لا ترضى غريزتنا الإجرامية بهذا الاعتدال اللعين، لذلك نشعر بالمرارة والأذى بمزيد من المنطقية، لكننا ننتظر حقاً اللحظة التي نستطيع فيها أن نثور ونقتل؛ ننتظر عصر الثورة وعصر القسوة. سيكون من الأفضل تماماً إذا بدأنا من البداية وأعدمنا المجرم بشكل جماعي؛ فهذا لن يجعلنا أكثر قسوة مما نحن عليه.

لاحظ ما يحدث في عالمنا! إن كمية القسوة هائلة جداً، يمكن أن نقرأ عنها في الصحف. ومع ذلك لا نزال نصدّق أننا نزداد جودة ونضجاً كل يوم، وبكل الطرق الممكنة، لدرجة أن نصدّق أننا سندخل الجنّة. لكننا في الجحيم، وقد أخبرتكم سابقاً أنه إذا سُمع في مدينتنا صوت بعض الطلقات النارية فسيشعر الناس بالعظمة. رأيت منذ مدّة رجل شرطة في البلد، وكان غير مسلّح أبداً وقال: "انتظر فقط حتى أستلم سلاحي!" لقد وعد نفسه بعيد رائع، فالأمر هكذا في كل مكان. لا يوجد سوى بعض الأغبياء الذين يصدقون أننا نصبح أفضل كل يوم، ونأمل أن نتطور من خلال تطوير بعض المجرمين. نحن لن نتطور من خلال ذلك، وليس علينا أن نطوّر المجرمين. هذا خطأ كبير لأن المجرم قد قتل نفسه قبل فترة طويلة من إعدامنا له.

العتاب والاستشارات هنا ليست ذات أهمية. والشيء الوحيد المرتبط بالموضوع هو عبارة "***ليكن حزنكم حبّاً للإنسان الأعلى: هكذا تبررون بقاءكم على قيد الحياة!***" من الواضح أنه يعني أن فكرتنا الأساسية يجب أن تكون الإنسان الأعلى، ويجب التخلّص من المجرم الذي هو كتلة من الأمراض لكي نفسح الطريق للإنسان الأعلى. ينبغي معاقبة المجرم: ذلك الشخص ليس جيداً بل هو خليط من السوء، وسيبرر القاضي نجاته الخاصة من خلال امتلاك الشجاعة للتخلّص من المجرم. لكن الناس يقولون إنه لا يجب القيام بذلك! هذا أمر مريع للغاية! أو يجب القيام به

بطريقة أخلاقية! لكن كيف أستطيع أن أقول إن شخصاً آخر يجب أن يتطوّر؟ ليس لدي أي موقف على الإطلاق. أنا أعرف تماماً القذارة التي أنا عليها. أعرف أفكاري. ليس لدي أي وجهة نظر. كيف لنملة أن تقول لنملة أخرى إن عليها أن تتطوّر كنملة؟ السرب كله سرب من النمل.

السيد باومان: من وجهة نظر بيولوجية، لدى كل كائن حي سواء أكان إنساناً أم نملة، ميل قوي ليجعل من جنسه قوياً يتفوّق على الآخرين بقدرته على النجاة. لذلك يكون هناك غريزة معينة لتطوير الإنسان إلى إنسان، وتطوير النملة إلى نملة.

الدكتور يونغ: لكن لا يوجد حيوان لديه نزعة لتطوير حيوان آخر. فهذا مرة أخرى منطق سليم النوايا نراه من وجهة نظر بيولوجية. التبرير البيولوجي للعقوبة خاطئ تماماً كالفكرة الأخلاقية عنها، لأنك إذا اتبعت فكرتك البيولوجية عن العقوبة، فعليك أن تعاقب اللصّ المنحط كما تعاقب القاتل لأنه شخص منحط؛ سوف تقتل جميع المحتالين والنشالين وما إلى ذلك، ولن يساندك شعورك إطلاقاً في ذلك الأمر. ستقول إن من المفترض عقابهم بالضرب أو بسجنهم مدة معينة بدلاً من عقوبة الموت. لكن عليك من وجهة نظر بيولوجية أن تقتله وتقتل معه المجانين والبلهاء والمرضى أو أي شخص آخر عاجز أو فاقد الأهلية.

السيدة يونغ: ما ذكرته الآن يبدو بالنسبة إلي وكأنه يشير فقط إلى المجرم الذي يبدو، كفرد، مجرماً، لكن أعتقد أن معظم الناس الذين ارتكبوا جرائم فعلوا ذلك بنوع من الخطأ. لقد فعلوا أشياء ليست فردية فعلاً.

الدكتور يونغ: يتحدث نيتشه عن هذا النوع من البشر. هو لا ينظر إلى المشكلة من وجهة نظر الفردانية. فالمجرم بالنسبة إليه إنسان ضائع غبيّ مريض يجب التخلّص منه، لذلك ليس هناك شكّ بوعي الجريمة أو المشكلة الفردانية في المجرم. حتى إنه لم يشر إليها إطلاقاً.

السيدة يونغ: قلت إنه يجب تطويره عندما يتم التأكيد على أنه مجرم. لكن بالنسبة للعديد من الناس، من غير المؤكد أنهم يجب أن يكونوا مجرمين؛ هم غير واعين لما يجب أن يكونوا عليه.

الدكتور يونغ: بالتأكيد، إذا كانوا على وعي بما يفعلون فسيكون هناك عامل افتداء؛ إنهم متماهون تماماً مع ما فعلوه لدرجة أنهم لا يعرفون ما الذي حدث لهم.

السيدة يونغ: وبالتالي من الممكن تحسين حالهم.

الدكتور يونغ: تلك مشكلة، ما إن يبدأ المرء بالتفكير بالحجج الممكنة لصالح عقوبة الإعدام، يخسر ذاته في متاهة من اعتبارات، ولا يستطيع فعل أي شيء. لذلك يكون أبسط شيء هو التصرّف وفقاً للمشاعر؛ عندئذٍ تفعل الشيء المُرضي، لكن ذلك لا ينطبق على الشخص العقلاني الذي يريد أسباباً مناسبة. الجريمة بالنسبة للمجرم، سواء أكان من الممكن تحسين حاله، أو بارتكابه جريمته خارج ذاته وقتله لشخص آخر، هي أنه أساء إلى نفسه، وفقد فرصته الخاصة. تلك الاعتبارات تخصّ المجرم ونحن هنا لا نتحدث عن سيكولوجية المجرم بل عن سيكولوجية نيتشه مقابل غرائزه. فالمجرم مجرد مرآة تعكس دوافع نيتشه الإجرامية. أنا أتحدث عن المجرم في هذا الإطار، وليس عن سيكولوجيا هذا المجرم الفرد بل عن الجانب الاجتماعي لهذا الفرد. ولو كنت أتعامل مع هذا الإنسان المجرم لكنت سأنظر إليه كأية حالة أخرى تماماً. في كل حالة أعالجها مثلاً يكون هناك مجرم فيها. وإذا تعمقت أكثر أرى أن كل شخص قد فعل شيئاً أو خطط لفعل شيء ليس صحيحاً، وهذه جريمة؛ علينا هنا أن نراقب قوانين اللعبة كلها كأية حالة أخرى تماماً. لكن لأن المجرمين لا يأتون إليّ للخضوع للتحليل، لا أستطيع قول أي شيء عن المجرم. ولا أعني هنا أن على جميع المجرمين أن يخضعوا للتحليل، ولا يمكن القول إن جميع العصابيين يجب

أن يخضعوا للتحليل. فهناك اعتبارات اجتماعية معينة ليس لي سيطرة عليها، ولا أقوم بوضع قواعد يمكن أن تكون صالحة للبشر، ولا سيما أنه من المرجح جداً ألا يقوم أي شخص بتطبيقها. لقد قتلوا مجرمين في فرنسا وإيطاليا وإنكلترا وأمريكا وألمانيا، وفي معظم المستعمرات الكاثوليكية في معظم المقاطعات المسيحية في سويسرا؛ ولا يوجد سوى قلّة قليلة من المجتمعات العقلانية المستنيرة التي ضلّت طريقها لدرجة أنها لم تقتل مجرمين. أنا لا أتحدث هنا عن المسيحية – فوجهة النظر هذه ليست صالحة أبداً، هي مجرد كلام؛ أنا أهتمّ بالحقائق، والحقيقة هي أن عقوبة القتل صالحة تقريباً في جميع الدول الحضارية المستنيرة، وأنا شخصياً لست ضدها. ثمة مبرر جيد لماذا تسير الأمور على هذا النحو. وطرق العقوبات الأخرى جميعها خاطئة.

من خلال إعدام المجرم، يشارك المرء في الجريمة؛ وإلا فهو لن يرى المجرم في نفسه. إذ عليه أن يرى الموقع الإجرامي في ذاته: إذا لم يكن لديه ذلك الموقع، فهو لن يشارك في قوة الدفع الإجرامية، وأعني هنا شخصية المجرم في داخله. وعندئذٍ لا يصبح المرء متحداً. الغاية من الفردانية هي اندماج أجزاء الإنسان كلها، حتى ذلك الجزء الإجرامي؛ وإلا فسوف يُترك لنفسه ويتصرف بشكل سيئ. إلى هذا الحدّ يعترف نيتشه بوجود الغرائز الإجرامية. على سبيل المثال، إن "قاضي المحكمة العليا" يمثّل بطبيعة الحال مهمته الأخلاقية التي يمكن أن تسمي غريزته الإجرامية بكل أنواع الأسماء السيئة: ربما يقول إنها نزعة غبية، أو نزعة مَرَضيّة. إنها كذلك، لكن لا يجب الحكم عليها من وجهة نظر أخلاقية لأن ذلك لا يفيد. من غير المفيد أن نصفها بالجيدة والسيئة. أن تقول إنها سيئة فهذا يساعد الأشياء الأكثر أهمية على الأقل، أي يمكن لهذا الشخص أن يقبل ما هو سيئ. فعندما تقبل ذلك، تكون هناك فرصة لأن يتغيّر شيء ما، لكن نحن لا نقبل

ذلك الشيء. لا يمكننا أن نتطور إلا عندما نقبل ما هو جزء من أنفسنا. عندئذٍ يمكن أن نتغيّر فقط وليس قبل ذلك.

يصل الآن إلى تفسير المجرم الشاحب لأنه لم يتحدث حتى الآن سوى عن المجرم فقط، لم يتحدث عن الشاحب. لقد أتى الشحوب من حقيقة أن الإنسان يصبح شاحباً بسبب الفكرة؛ بدأ يفكّر بما فعله ويمنحه اسماً. أنتم تتذكرون أننا صادفنا هذه الفكرة سابقاً؛ عندما قلنا إن من الخطأ أن تمنح فضائلك أسماء. لكن ستفعل ذلك، وهو أمر لا يمكن تجنّبه؛ أنت لا تعيش فضائلك كشيء غير قابل للوصف، وذوي قيمة في نفسك فقط، بل تصرّح بأنها هذا أو ذاك، وبالتالي تمنحها اسماً وتجعلها حصرية وتسبب مشكلة أو صراعاً بين الواجبات والفضائل. بينما ستحتفظ بالقيمة إذا لم تمنحها اسماً. وهكذا فأنت تخلق صراعاً من خلال منح الاسم لكنك لا تعرف طريقة أخرى.

إذاً على المجرم أن يمنحها اسماً. هو يتبنّى فكرة ترتبط بفعله ويقول إنه فعل هذا وذاك، ثم لا يستطيع تحمّلها لأنه يرى نفسه في آلاف العيون. لأن الاسم شيء جمعي، كلمة في فم كل شخص. لقد سمع تلك الكلمة من آلاف الأفواه؛ عندما يقول لنفسه إنه ارتكب جريمة، يرى ذلك في صفحات مطبوعة في الجريدة، وما فعله حقيقة هو الشيء المريع الذي يُسمّى جريمة. بينما إذا لم يمنحها اسماً، فسوف تبقى بمثابة عمل فردي وتجربة فردية لا يتم التعبير عنها بتلك التسمية الجمعية "*جريمة*". مجرم كهذا يقول عادة: "لقد ضربته على رأسه"، أو "غرزت السكين فيه"، أو "أردت أن أخبره شيئاً ومن ثم وضعت رصاصة في جسده، وبعد ذلك قالوا إنه مات". لقد كانت سلسلة أحداث فردية لم تُمنح أسماء. حتى الجريمة التي تحدث عن سبق إصرار وتصميم يتم التعبير عنها بالطريقة الآتية: "أردت ببساطة أن أهدئ ذلك الرجل لأنني أردت أن أحصل على كذا وكذا؛ كان عليّ بطبيعة الحال

أن أوجّه إليه ضربة قوية. ثم تبيّن لاحقاً أنه مات". هذا ما يجعل أشخاصاً من هذا النوع يستخدمون سلاحاً نارياً – كوسيلة لتغيير شيء ما. هو نوع من الآثار اللاحقة أو الظروف المرافقة التي تؤدي إلى ترك جثّة. يا له من تصرّف أخرق! تلك جريمة لم يدركوا حدوثها إلا بعد فترة طويلة، وبعد أن يقال لهم إنها جريمة. ثم يدركون الأمر ويصبحون شاحبين، لكن بعد أن مات أحدهم، يكون مزعجاً أن يتم العثور عليه بعد ذلك محطم الجمجمة، لكن ذلك لا يجعل المرء شاحباً: هو أمر مؤسف وحسب. يشرح الناس الذين يمارسون الاحتيال باستمرار أنهم أرادوا فقط أن يفعلوا هذا أو ذاك. وتصيبهم الدهشة عندما يُقال لهم إنهم ارتكبوا جريمة، لأنهم فعلوا ذلك من أجل تأثير معين ولم يظنوا أبداً أن له ذلك الاسم البشع. وهكذا فالمجرم الشاحب مذبوح فعلاً بفكرته الخاصة الجريمة، على الرغم من أنها ليست فكرته الخاصة بل فكرة العذارى الأحد عشر ألفاً المندهشات. أطلق نيتشه على ذلك صفة الجنون: تمت الإطاحة بضعف ذكاء المجرم عبر كلمة واحدة. هذا هو جنون ما بعد الجريمة. لكن ما هو الخط الذي يسحر الدجاجة في النص؟

السيدة باينز: هناك حكايات الزوجات العجائز التي تقول إن الدجاجة لا تعبر الخط المرسوم بالطباشير.

الدكتور يونغ: يعود ذلك إلى حقيقة أن "أثانيسيوس كيرتشر"، اليسوعي الذي عاش في بدايات القرن السابع عشر، أجرى أول تجربة تنويم مغناطيسي على الدجاج.[1] وقد أعدنا هذه التجربة مرة. تمسك دجاجة بعناية بحيث لا تثيرها، ثم تضعها برفق ولطف، وتثبت رأسها على الأرض

---

[1] يمكن الاطلاع على هذا العمل الفذ في كتاب "دبليو، لويف – W. Loeff" بعنوان "Deutschlands Seegeltung Bildteil von Prov. A. Kircher" (برلين، 1939).

لفترة، ثم ترسم خطاً بالطباشير على المنقار وعلى الأرض، بحيث يبدو أشبه بشريط لاصق أبيض فوق الأنف فتبقى الدجاجة مكانها. يمكنك تطبيق التنويم المغناطيسي على القرود والكلاب بالطريقة ذاتها: عليك التأثير عليها لفترة بفكرة أنها لا تستطيع الحركة. تبدو الدجاجة الممددة والخط على منقارها مضحكة جداً، كما لو أنها ملتصقة على الأرض بتأثير ذلك الخط الأبيض – تجربة رائعة.

يقول الآن إن هناك جنوناً آخر، جنون ما قبل الفعل؛ ذلك هو السؤال عن سبب الجريمة. يقول إن هناك ميلاً عاماً مفاده أن الإنسان يرتكب الجريمة لغاية معينة، بهدف السرقة مثلاً، لكنه جنون فعلاً أن تكون الجريمة قد ارتكبت من أجل الدم. وهذه حقيقة ضمن منطقة اللاوعي طبعاً. ففي حالة الوعي، يعتبر كل مجرم أن جريمته عبارة عن منتج جانبي. ربما يصرخ الناس طلباً للدم والقتل في الجرائم شديدة الوحشية، ومع ذلك فهذا ليس حقيقياً تماماً؛ تصيبهم الدهشة دوماً من نجاح الأمر. أرادوا التظاهر بالقتل ومن ثم حدث القتل. والسيكولوجيا العامة هي أن الجريمة منتج جانبي إلى حد ما. لكن في اللاوعي، كما فهم نيتشه الأمر، فهي جريمة حقيقية وعطش للدم، وهذا يعني تدمير المجرم لنفسه إذا كان يفهم نفسه بشكل صحيح. وهو بالتالي يشير إلى التفسير العقلاني بأن ذلك كان بهدف السرقة. وإلا فعليه أن يعترف بأنه الفاعل، ولا يمكنه الاعتراف بذلك لأن فكرة الإقدام على هذا الفعل من أجل الدم هو جنون؛ هو يفضّل دافع السرقة الزائف، لذلك يكذب فوق كل ما سبق. "يمكنه فقط أن يحني رقبته موافقاً ثم يتلاشى العبء": لو أنه لم يفكر بكل ذلك الهراء لما أثقل العبء كاهله.

ثم يسأل نيتشه ما هو تعريف المجرم أساساً. إنه كتلة من الأمراض، وحشد من الأفاعي. لأن شخصاً من هذا النوع يرتكب الجريمة لأنه يتألّم

ويتعذب بشدّة؛ ما من شخص يسبب الألم لشخص آخر ما لم يكن يعاني هو نفسه من الألم. وكقاعدة عامة، لا أحد يمارس الأذى والتعذيب إلا أولئك الذين يؤذون أنفسهم ويعذبونها؛ يريدون تحرير أنفسهم من معاناتهم الخاصة من خلال إلحاق الأذى بشخص آخر، ومن أجل الشعور بأن الألم ليس داخلهم وحدهم. يبدو الأمر كما لو أننا تعرّضنا لتهديد مجرم خفيّ موجود في أعماقنا، وتراودنا رغبة بأن يرتكب أحدهم جريمة لكي نقول: "شكراً لله، هناك مجرم، هناك شرّ". وهذا يفسر بطريقة ما سبب ولعنا بالقصص البوليسية والتقارير الطويلة عن الجرائم في الصحف؛ إنها تحظى بأعلى قدر من اهتمامنا لنعرف أين يكمن الشرّ. ثم نهتف: "يا له من شخص مرعب!" إننا نلعقها لأننا نشعر بالجوع والعطش تجاه تلك الأشياء؛ وتسحرنا لأن في أعماقنا غريزة إجرامية غير مُشبعة. وهكذا فالمجتمع المحترم يزداد غرابة؛ إذا لم يحدث شيء معين، ينظر كل شخص نحو الآخرين بخوف وكراهية. هل أنت الشخص الذي سيريحنا؟ هل أنا من سيريح الآخرين؟ وفجأة تأتي الأخبار: أحدهم ارتكب جريمة. "شكراً لله!"

المجرم بالنسبة للمجتمع أشبه بكبش فداء؛ يبدو الأمر كما لو أنه يجب أن يكون لكل مجتمع "كبش فداء"[1] يحمل عبء خطايا المجتمع كلها. وغالباً ما يوجد في الشرق تقاليد حكيمة تقوم على جعل المجرم ممثلاً للإله المضحّى به، كما يحدث في المكسيك مثلاً؛ يتم شق جسد المجرم بعد ذلك، واقتلاع قلبه النابض، ويكون هو الإله عملياً: إنه يحمل آثام الجماعة. هذه

---

[1] "bouc émissaire" النعجة المرسلة، كبش الفداء. لم تكن تضحية شعب الأزتك كبش فداء بالمعنى الدقيق للكلمة بل كانت تقديم ضحايا لإله الشمس الذي لا يشبع، والذي يتطلّب الكثير من الدم ليستمرّ بالحركة. انظر كتاب "جاك سوستيل – Jacques Soustelle" بعنوان "الحياة اليومية لشعب الأزتك عشيّة الفتح الإسباني – The Daily Life of the Aztes on the Eve of the Spanish Conquest" ترجمه إلى اللغة الإنكليزية "باتريك أوبرين" (نيويورك، 1932).

هي السيكولوجيا الأصلية للموت القرباني للمسيح طبعاً. لقد تم صلب المسيح بين لصين. وكان مجرم ذلك الموسم كما يمكن للمرء أن يقول؛ لقد تم استبداله بـ "براباس" الذي كان المجرم الحقيقي. وهكذا كان كبش الفداء، وتم قتله باعتباره مجرم ذلك الموسم، وهكذا تم تحريرنا من خطايانا. فعندما يحكم المجتمع على مجرم بالموت، يكون شكلاً من أشكال التحرر من الخطايا بالنسبة إلى المجتمع، نوعاً من التسكين والتخفيف السيكولوجي. للمجرم دور اجتماعي معين – هذه ليست فكرتي بل كانت فكرة قائمة قبل أن أولد بكثير – لذلك كان يُمنح المجرم كرامة ضمن طقوس معينة اعترافاً بمزاياه؛ أولاً، محاكمة طويلة مع قضاة بشعر مستعار وأثواب طويلة، ثم موكباً يسير نحو المقصلة أو المشنقة برفقة الجنود وحشد كبير من الناس، وبعد ذلك يتم تنفيذ حكم الإعدام. وبالطبع، يبدو في غاية السخافة أن نبجّل في كنائسنا هذا النوع من الإعدام العلني، مع أن كل حالة صلب حملت هذا المعنى. لكننا لا نعطي تلك الكرامة لمجرمينا الذين يجب أن نكون ممتنين لارتكابهم جرائم بدلاً عنا؛ نحن ندفع بدمائهم ثمن آثامنا، وعلينا أن نمنحهم دفناً لائقاً يرافقهم فيه الجند والموسيقى، أو قرع طبل على الأقل. تلك الطرق القديمة في دفن المجرم أخذت بعين الاعتبار الأهمية الاجتماعية الهائلة للجريمة باعتبارها تكفيراً عن خطايا البشر.

ويقول نيتشه هنا أيضاً إن العصور الأخرى كان لها أفكار أخرى عن الأخلاق وما إلى ذلك، وأنه ليس على المرء أن يحاكم أخلاقياً. لكن ذلك ليس هاماً جداً – فالمهرطقون والسحرة كانوا يعتبرون سيئين في العصور الوسطى لكنهم الآن أشبه بموضة العصر. وهنا أيضاً نصل إلى فكرة جيدة وسليمة – أن الجنون الذي يسبق الجريمة ربما يُسمّى "حقيقة" أو "إيماناً"

أو "عدالة". وأذكركم بأن تلك الأشياء فضائل، لذلك فإن جنون الإيمان بالفضيلة هو الجنون الذي يسبق الجريمة. والفكرة هي أنه إذا آمنا بهذا النوع من مثاليات الفضيلة، وإذا تماهينا مع تلك المثاليات – إذا قال أحدهم إنه مؤمن أو عادل مثلاً – فذلك هو سلف المجرم، لأن العبء على مقياس الفضائل يجعل مقياس الرذائل يرتفع: يجب على المقاييس أن تتوازن. كلما فكّر الناس بأنهم خيّرون أو تماهوا مع الخير أكثر، ازداد تركهم للشر وحده، وبقدر ما تزداد صفاتهم الخيرة، تزداد شرورهم دون وعي منهم. وهكذا نترك الشرّ لشخص آخر. لكننا سلفاً ارتكبنا الجريمة من خلال ترك شرورنا للناس الآخرين، ونحن لسنا حتى ممتنين لهم لتجنيبنا ذلك. لا شيء يجعلنا أكثر أخلاقاً وصلاحاً أكثر من ظهور شخص ما متواضع بما يكفي ليكون لا أخلاقياً. عندئذٍ نقول: "أنا لست مثله، لا يحدث شيء من هذا النوع في عائلتنا". لديهم فضيلتهم ليعيشوا فترة طويلة في حالة من الرضا البائس. وهذا يعني أنهم يسيئون ببساطة استخدام مَلَكة كونهم جيدين، والنعمة التي لديهم عن الخير، بهدف إنقاذ أنفسهم من حياة، وأن يكون لديهم حياة طويلة تقوم على السهولة الجديرة بالازدراء.

بعد أن قال نيتشه كل ذلك، فكّر في النهاية بوضوح بدوره الخاص، ولماذا قال كل ذلك، فيتابع: "***أنا سياج على حافة نهر؛ من يستطيع التمسّك بي فليفعل! لكنّني لست عكازاً تتكئون عليه***". هذا يعني أنه مرشد معين على طول مجرى النهر، لكن إذا لم تكن تستطيع السير، إذا كنت تحتاج عكازاً، فذلك لن يفيد. إنها حقيقة تسحب البساط من تحت قدميك؛ أنت تعرف إلى أين تؤدي لكن ليس هناك من موقف. إنها ليست تأكيداً. ولا تساعدك على البقاء منتصباً. وهي تغوي لكنها تقوّضك. وهذا التقويض هو الهدف النهائي من هذا الفصل كله.

المحاضرة الثانية

15 أيار – مايو 1935

الدكتور يونغ:

لدينا سؤال من السيدة باومان: "هل من الجيد أن تجيب عن سؤالي عن المسيح الآن؟ لا أستطيع أن أمنع نفسي من الشعور بأن هناك تعقيداً في مكان ما حول صلب المسيح بسبب فضائله، لأنه ذكر الشرّ بقوله: "لا تقاوم الشرّ'، لذلك لا بدّ أن أفكّر بأنه كان واعياً للطرفين المتناقضين".

من الصواب أن تطرحي هذا السؤال هنا، فهو أمر لا مفرّ منه بالتأكيد، لأن فصل المجرم الشاحب جزء من المشكلة الكلية المرتبطة بالفضيلة والشرّ؛ إذا أخذت الخير في الإنسان بعين الاعتبار، لا يمكنك إلا أن تفعلي الشيء ذاته مع الشر أيضاً. وكما قلتِ، التعقيد في أنه لم يُذكر أبداً أن صلب المسيح كان بسبب فضائله: هذا من نتاج خيالات القرون الوسطى – تتذكرون أنني أريتكم لوحة توضح أنه صُلِب بسبب فضائله. إنها فكرة تثير الفضول، لكن تلك الصورة المصغّرة في مجلّد مخطوطات القرون الوسطى تظهر بالتأكيد أنها كانت موجودة، وأن هناك الكثير مما يمكن قوله عن فكرة كهذه. (قلنا سلفاً الكثير عنها). وهكذا فلا يوجد تناقض مع الأقوال المنسوبة للمسيح لأنه لم يقل ذلك أبداً؛ لم يكن ليقولها من وجهة نظره.

وأنت على حق تماماً لأنه قال: "لا تقاوم الشرّ". على المرء أن يفرّق دوماً بين الأقوال المنسوبة للمسيح، أو الكلمة الحقيقية للإله ذاته كما ظهرت في التقاليد المسيحية، وكيفية تفسير البشر لها. وإذا قارنا تعاليم الكنيسة مع التعاليم الأصلية للمسيح نفسه، سنرى فرقاً كبيراً بالتأكيد. لذلك من الصعب جداً، بل من المستحيل تماماً، أن تقوم كنيسة بروتستانتية، لأن ذلك لا يمكن العثور عليه إلا على أساس "كلمة الله"، على أساس الإنجيل؛ لكن العهد الجديد، وكذلك القديم، مليئان بالتناقضات غير المقنعة. ولا يمكن لمؤسسة كهذه أن تقوم على هكذا مقولات متناقضة.

تتوافق الكنيسة الكاثوليكية تماماً مع وجهة نظرها التي تعتبر أنه ليس للكتب المقدسة سلطة مطلقة لأن التلاميذ جمعوها بعد فترة طويلة من موت المعلّم. يقولون إن المسيح هو فعلاً مؤسس الكنيسة التي تُعتبر أقدم من الكتب المقدسة. إن أناجيل يوحنا أو متى أو لوقا لم يكتبها حتى الرسل أنفسهم؛ يظهر في النص الإغريقي مصطلح "*katá*"، وهو يعني "قول مقتبس من قول آخر"،[1] تلك التقارير تم إنجازها على يد شخص أو أكثر يُفترض أن يكونوا على الأقل تلاميذَ لتلاميذ المسيح، لكنه لا يزال مثار شك ما إذا كان إنجيل القديس يوحنا مرتبطاً بشكل مباشر بالرسول. من الممكن جداً أن الأناجيل كانت عبارة عن مصنّفات تم وضعها في أماكن مثل آسيا الصغرى أو الاسكندرية لكي تستخدمها المجتمعات المسيحية هناك. والأهم من ذلك أنه في القرن الأول فقط تم اعتبار الكتب المقدسة أعمالاً من الجيد والمفيد أن يقرأها المسيحيون، ولم تكن حينها مصدر إلهام إلهي معصوماً. وطبعاً،

---

[1] في النص الإغريقي للإنجيل تظهر كلمة "kata" ضمن الآية عادة وهي تشير إلى ان الكاتب يقول شيئاً ما ثم يضع "kata" ويتابع القول وفقاً لما قاله احدهم. والآية التالية من إنجيل متى (متى 1: 20) هي مثال على ذلك: وَلكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً (kata): «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. المترجم.

تحتفظ الكنيسة بذاكرة تلك الأيام بحيث وضعت الإنجيل على القائمة، وهذا صحيح تماماً لأنه مجموعة كتب مغوية ومتناقضة فيها تعاليم خطيرة للغاية. واحتفظ البابا بحق تفسير الأصل؛ في موقعه الرسمي، ووفقاً لعقيدة العصمة من الخطأ، كان معصوماً في تفسيره للعقيدة. وأصبحت الكنيسة قادرة على أن تصنع عقيدة منذ أن امتلكت سلطة أعلى من سلطة الكتب المقدسة؛ هذا ما وضع قاعدة للجسد السلطوي. لكن أقوال تلك المؤسسة لا تتوافق بالضرورة مع تعاليم المسيح نفسه.

ثم لدينا سؤال من السيدة باينز: "يبدو أن في عالمنا قناعة متزايدة تعتبر أن من البطولة القيام بالقتل في سبيل القضية التي يخدمها، ومن الضعف والجبن أن تتراجع بسبب التفكير بما يعنيه ذلك. هل ساعد العنصر المَرَضيّ في فكرة نيتشه عن المجرم الشاحب على تعزيز وجهة النظر هذه؟"

قيل بشكل عام إن نيتشه كان سبباً أساسياً للحرب العالمية والثورة الجديدة في ألمانيا وما إلى ذلك. لكن نيتشه ذاته سوف يندهش لدى سماعه أخباراً كهذه. وهو لم يحلم أبداً أنه سيُعتبر أبا كل هذه الشرور السياسية الحديثة. وهذا قد أتى فعلاً من سوء الفهم الذي تعرّض له نيتشه. لأنه ارتكب خطأ جسيماً لم يتم اعتباره خطأً بشكل عام طبعاً. لكني أعتبر أن من الخطأ أن يقوم بنشر كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت***. هذا كتاب لا ينبغي أن يُنشر؛ بل يجب الاحتفاظ به للأشخاص الذين خضعوا لتدريب دقيق في سيكولوجيا اللاوعي. حينها فقط، بعد تقديم الدليل على أنه لن يتم التخلّص مما يقوله اللاوعي من حين لآخر، يمكن للناس الاطلاع على هذا الكتاب. لأنه في كتاب هكذا تكلّم زارادشت، علينا أن نتعامل مع تكشّف جزئي للاوعي. إنه مليء بالإلهام، وبكل التظاهرات اللحظية للاوعي، وبالتالي يجب قراءته بعد تحضير ملائم ومعرفة ملائمة بأسلوب اللاوعي ونواياه. فإذا قرأ أحدهم هذا الكتاب دون تحضير، ومع الفرضيات المسبقة

الساذجة عن حضارتنا الفعلية، لا بدّ أن يصل بالضرورة إلى نتائج خاطئة عن معاني "الإنسان الأعلى"، و"الوحش الأشقر"، و"المجرم الشاحب" وما إلى ذلك. وسيستنتج أشخاص من هذا النوع بالتأكيد أنها أشبه بجريمة من أجل مصلحة قضية. لقد شعر معظم المنتحرين بأن ***هكذا تكلّم زارادشت*** يبرّر تصرفهم، ويبرر أيضاً أي هراء تافه آخر. وهكذا تم الافتراض بشكل عام أن نيتشه هو السبب المباشر لمجموعة كاملة من الشرور بسبب تعاليمه غير الأخلاقية، في حين أن نيتشه أخلاقي للغاية وتعاليمه أيضاً أخلاقية للغاية. لكن ذلك لا ينطبق فعلاً إلا على الناس الذين يفهمون كيف يقرؤونه فعلاً.

يعتمد ذلك كله على المستوى الذي يتحدث منه الشخص – ما إذا كان يتحدث من مستوى الفهم العام أو من مستوى الفهم الفائق الاستثنائي. وأياً كان ما تقوله من المستوى العادي يكون مفهوماً للبشر في ذلك المستوى، لكن إذا قلت شيئاً أتى فعلاً من مستوى باطني كما لو أنه صادر عن المستوى العادي، فسوف يُساء فهمه. لن يدرك الناس أن ذلك أتى من طبقة أعمق، وأن عليهم أن يكونوا في هذا المستوى الأعمق لكي يفهموه. وطبعاً، هذا صعب جداً لأننا لا نعتمد على مستويات كهذه، لكن في معالجة منتج مثل كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** علينا أن نأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار.

ثمة ما يجب أن أقوله فيما يرتبط بهذا الأمر. الفكرة العامة هي أنه أثناء التحليل، يصبح المرء واعياً لمحتويات معينة كانت متوارية عنه في اللاوعي لسبب أو لآخر. وبجعل هذه الأمور في منطقة الوعي، سوف تمثّل الوعي في مسار، وتمثّل اللاوعي في مسار أدنى، ومن ثم اللاوعي الجمعي في مسار أدنى من المسارين السابقين. وإذا أخرجت محتوىً ما من اللاوعي الشخصي إلى منطقة الوعي، لنفترض أنه شيء قمت بكبته أو نسيته عمداً بطريقة أو

بأخرى، فسوف يبدو مثل أي شيء آخر في منطقة الوعي. لنقل مثلاً إنك لست واعياً لحقيقة أنك طموح أو أن لديك إرادة القوة. لقد اقتنعت حتى الآن بأنك كنت حملاً وديعاً ليس لديه طموح خاص؛ ثم من خلال تجارب معينة أو تحليل معين أصبحت مدركاً لإرادة القوة التي لديك، وأنك لست ذلك الحمل الوديع الذي افترضت أنك عليه. وهكذا ترفع إرادة القوة إلى مستوى الوعي وتتعامل معها كشيء منطقي تماماً، لأن من السهل الاقتناع أننا لسنا مثاليين: من المعروف تماماً أنه يجب أن يكون لدينا طموح معين أو أخيولات جنسية معينة أو شيء قاتم من هذا النوع. إن إضافة القليل من المادة القاتمة إلى وعينا البريء كالثلج ليس بالأمر السخيف؛ يمكنك الاعتراف بسهولة أنك لست مثالياً، بل قاتماً في مكان ما كالبشر كلهم. يمكنك التصريح بذلك بشكل معقول جداً؛ بما أنك في مجتمع بشري، ويمكنك أن تقول ذلك في أكثر غرف الاستقبال رسمية واحتراماً. حتى إنك تكتسب مزايا معينة إن فعلت ذلك. سيقولون في أنفسهم: "يا له من شخص متفهّم، يا لإنسانيته – لدى الجميع طبعاً القليل من السواد في أعماقهم!" هذا صحيح تماماً ويشير إلى الصدق والانفتاح؛ لم يحدث أي شيء سيئ.

لكنك أهملت حقيقة واحدة: لا يمكنك أن ترفع شيئاً من منطقة اللاوعي دون أن يحدث القليل من الانخفاض في منطقة الوعي؛ هذا الشيء له وزن معين. إنك تطفو مثل سفينة أو قارب على ذلك المستوى الموجود في الأعلى، لكن إذا وضعت ثقلاً في السفينة، فسوف تغطس قليلاً، ثم تبقى على ذلك المستوى المنخفض قليلاً. وبالطبع يقول المنطق: "أليس جميلاً ومنطقياً أن هذا الشخص اعترف أنه ليس قديساً؟" أنت تُعجب بذلك الشخص لاعترافه بأنه ليس نقياً تماماً. لكنك لم تأخذ بعين الاعتبار أنه إذا كان الاعتراف حقيقياً، فلن يعود هذا الشخص يطفو على الغيوم البيضاء

للبراءة بل انجذب قليلاً إلى الأسفل؛ بقدر ما يرتفع المحتوى المكبوت إلى الأعلى، ينزل الشخص إلى الأسفل. ومع ذلك، هو يؤمن فعلاً بأنه زاد من مستوى بياضه عبر اعترافه بالقتامة، كما يعتقد معظم الناس، وعندئذٍ يقول في نفسه: "أنا أفضل بكثير مما كنت عليه سابقاً. أنا مختلف تماماً. يا لي من حمل جميل، وأنا أحب الجميع ويحبونني، وليس هناك من خطيئة بعد الآن". باعترافه بخطاياه، يعتقد أنه لن يعود هناك أية قتامة في داخله. كما في الكنيسة الكاثوليكية، ربما كنت قد اقترفت الكثير من الخسّة، لكن إذا لجأت إلى الاعتراف والتوبة، تحصل على الغفران. إنها طريقة لحلّ مشكلة؛ لقد شفيت. أجريت علاجاً نفسياً أخلاقياً، وانتهت المشكلة أخيراً: كأنها لم تحدث أبداً.[1]

في "حركة أكسفورد" لديهم نوع جديد من الاعتراف. ولعرض مثال جيد عن ذلك: ذهبت إلى اجتماع تولّيت فيه القيادة لذلك اليوم، واعترفت بأنني راقبت فتاة في البيت المقابل بمحض مصادفة: لم أستطع أن أمنع نفسي من رؤيتها وهي تخلع ملابسها. وطبعاً، بقيت فعلاً ملتصقاً بالنافذة، بل كنت أقف فوق طاولة لكي أراها. ثم اعترفت أنه كان لدي أخيولات قذرة عنها وينبغي مشاركتها مع عناصر المجموعة. نعم، طبعاً – كان من الإنساني جداً والرائع جداً أن أقول ذلك! يراودني شعور بالفخامة؛ إنه بالأحرى مؤذٍ لاحترامي لنفسي، لكن من خلال الاعتراف شاركت الآخرين به، وسيبقيني الحبّ المتبادل طافياً. لا أستطيع أن أمنع نفسي من التربيت على ظهري لأنني كنت صادقاً وكريماً في مشاركة التفاصيل المؤلمة المرتبطة بحياتي البسيطة. وعندئذٍ يمكن للاجتماع أن يبدأ. لقد باشروا بعيون مشعة، بشعور من

[1] "إيميل كوايه – Émile Coué" (1857 – 1926)، معالج نفسي فرنسي كانت تعليماته للمرضى تقوم غالباً على العبارة الآتية بنبرة واثقة: "كل يوم وبكل طريقة ممكنة، أنا أصبح أفضل بكثير".

الخلاص المطلق، فقد تلاشى الإثم من العالم ولم أقترف سوى خطيئة بسيطة.

لكنهم لم يروا أنني أقوم بتحميل السفينة، لأنه إذا حدث يوماً ووقفت على الطاولة لأرى فتاة تخلع ملابسها، وكانت متعتي في مراقبة أداء من هذا النوع، فسأكون على الدوام الشخص الذي فعل ذلك، وهو أمر لا يُنسى، أنا لا أنال الخلاص من خلال الاعتراف بذلك. نعم، أستطيع أن أشعر أنكم جميعاً حمقى ملاعين مثلي تماماً؛ تعتقدون أنكم نلتم السماح والمغفرة جميعاً، ولكننا جميعاً قطيع من الحمقى. فأنا لن أنال السماح أبداً. أنا دوماً الشخص الذي فعل ذلك. أصبحت هذه صفتي الرئيسة، وتُثقل سفينتي بهذه الحقيقة. سأحمل هذا العبء دوماً، ويجب أن أتوخّى الحذر كي لا أتسلّق الكثير من المناضد قرب نوافذ كثيرة، فربما يزداد حمل سفينتي وتغرق في النهاية. اللعنة! ما هذا الذي عشته؟ سلسلة من الخدع الوضيعة. وأنا مجرّد خنزير عادي – خنزير يتأسف على ما يأكله، خنزير مسكين لا يستطيع حتى أن يكون خنزيراً لائقاً. يحتاج المرء لأن يصل إلى هذه النتيجة. لقد تبت طبعاً. وهذا جيد، لكن مع ذلك، فقد فعلت تلك الأشياء. هكذا يمكن للمرء أن يستيقظ لكي يفهم حياته، وهذا سيكون قاتلاً لأن المرء سيرى أن سفينته تغرق على الرغم من اعترافه وتوبته. لأن قيام المرء بتصرف ما عن وعي يغرق سفينته، وتستمر بالغرق بمقدار ما يضع فيها من أحمال.

إذا سحبت شيئاً من هذا النوع من اللاوعي الشخصي، يمكن القول إنه إنساني تماماً، شيئاً يمكن أن يكون واعياً حقاً؛ يمكنك إدراك ذلك، وهو ليس مرئياً تماماً باعتبار أنك وضعت ثقلاً كهذا من أجل توازن سفينتك. لكن عندما تأتي بشيء من اللاوعي الجمعي، يكون ثقله أكبر بكثير، لأنه جاء من أعماق أكبر بكثير، لأن كل شيء يكون في موقع يتناسب مع ثقله الخاص.

وما أتى به نيتشه كان "رصاص منطقة المياه" (وفقاً لكتاب: *سرّ الزهرة الذهبية*).[1] والرصاص هو المعدن الأثقل الذي يكون في أعماق اللاوعي الجمعي. فإذا وضعت شيئاً كهذا في قاربك، فسوف تغرق تدريجياً إلى اللاوعي الجمعي. لأنه عندما تكون هناك نقطتان في الفراغ، من المستحيل ألا تجذب إحداهما الأخرى: إذ تخضع كلتاهما للجذب. إذا رفعت حجراً عن الأرض وتركته يسقط، ستقول في تلك اللحظة إن الحجر يسقط ولن تفترض إطلاقاً أن الأرض ترتفع؛ لكن لو كان هذا الحجر كبيراً جداً مثل القمر أو الأرض ذاتها، سيتضح فجأة أن الأرض كانت تنجذب إلى الحجر بقدر ما كان الحجر ينجذب إلى الأرض. وهكذا عندما تجلب رصاص منطقة المياه، ستلاحظ فجأة أن قاربك الموجود في مناطق العقل المشرقة سينزل إلى الأسفل؛ لا يمكنك سحبه إلى الأعلى بسبب الثقل الهائل.

لذلك تكون لدينا ممانعة كبيرة لإحضار هذه الأشياء الثقيلة إلى السطح لأننا نخشى غرق قاربنا. إذ تبدو المغامرة كبيرة والخطر هائلاً، ونحن نتجنّب القيام بعمل كهذا. لدينا غريزة طبيعية ضد أن نكون واعين لأشياء كهذه؛ حتى لو كانت أحمالاً صغيرة يمكن لقاربنا أن يحملها بسهولة؛ نعتبرها ثقيلة سلفاً. أن نكون واعين لحقيقة أننا نسرق أو نكذب أو لدينا أخيولات جنسية هي أشياء تثقل كاهلنا. ويكون من الأفضل لنا أن نبقى غير واعين لهذه الحقائق؛ نريد أن نتخلّص منها ونبقى طافين في منطقة الغيوم البيضاء. وطبعاً، كلما كنت في الأعلى، ازداد فقدك لجسدك، وازدادت خسارتك لذاتك، وأصبحت غير حقيقي؛ وفي النهاية، تصبح وكأنك طيف دخان يسبح في الفضاء، وهي حالة وجود لا إنسانية. لذلك تكون مجبراً على التفوّق على لاوعيك، وعلى جعل تلك الأشياء في منطقة الوعي؛ لكن بقدر

[1] انظر أعلاه محاضرة 31 تشرين الأول – أكتوبر، 1934. حول ريتشارد فيلهيلم.

ما تجعل تلك الأشياء في منطقة الوعي، تزداد سفينتك نزولاً وغرقاً، وإذا أصبحت ملمّاً باللاوعي الجمعي، يزداد هبوطك نحو الأعماق. ربما لا تزال تعمل تحت انطباع بأنك تستطيع رفع شيء ما إلى الوعي، وأن مستوى وعيك لن يتأثر، بل على العكس، سوف يزداد ويتطور – لكن ذلك مجرد وهم؛ إذا رفعت تلك المحتويات المشابهة في ثقلها للرصاص، فسيغوص وعيك. هذه حقيقة يجب أن تُؤخذ بعين الاعتبار لأن من الصعب تغييرها.

يمكننا القول إن المعنى السري للحياة هو أن رصاص منطقة المياه يجب رفعه. لأن عليك أن تصنع منه ذهباً؛ يجب تحويل المادة من خلال النفوذ إلى أعماقها. إذا لم تنفذ إلى المكان أو الزمن، تبقى نصف مولود، وستبقى تائهاً في اللاوعي الجمعي في حالة ما قبل الولادة. وعندئذٍ فإن الهدف الحقيقي للخالق المجهول القابع خلف وجودك لن يتحقق؛ يريدك أن تنفذ إلى المكان والزمن من أجل تحويل الرصاص، لكنك دفنت موهبتك ولم تفعل ذلك، وتلاشيت قبل أن تكمل أي شيء. لكن إذا كان بإمكانك أن ترفع رصاص منطقة المياه، فإنك تنجز المهمة فعلاً؛ وما إذا كان وعيك في هذا المستوى أو ذاك، أو لا يزال على مستوى أعمق، فهذا غير هام نسبياً مقارنة مع إنجاز المهمة. وطبعاً، كلما ازداد عمق مستوى الوعي، أصبحت مهدداً أكثر من اللاوعي، وبأن يبتلعك البحر، وهذا لا يجب أن يحدث، لأنه يعني أنك نزلت إلى العمق، ورصاص منطقة المياة تغلّب عليك، ولم تنجح التجربة. لكن إذا استطعت أن تبقى طافياً، فقد أتممت المهمة؛ ومن ثم ستحطّ في مكان ما في الوسط. وهكذا فإن رمز الحالة المثالية، أو الذات في الإنسان، لم تكن بالنسبة للمعلمين القدماء شيئاً متطايراً أو خفيفاً، بل كانت حجراً أو معدناً. وهم يقولون عن حجر الفلاسفة الممثلّ للذات: " *lais est media resinter corpora perfecta et imperfect*"، ويعني أن حجر الفلاسفة

ليس جسداً مثالياً بل هو في الوسط، بين الأجساد المثالية وغير المثالية.[1] أنت تتوقع أن يكون بين الأجساد المثالية، لكن الأجساد المثالية هي في الأعلى على مستوى الوعي، وهذا ليس الموقع الوسط الحقيقي.

لم يعد نيتشه مهتماً باللاوعي الشخصي؛ فذلك الفصل عن المجرم الشاحب يوضح ذلك. إنه مهتم هنا بشرور الإنسان، بالبشرية الكونية كما تم تمثيلها في نفسه، وبالتالي يمكن للمرء القول إنه مهتم باللاوعي الجمعي؛ المجرم الشاحب عبارة عن هيئة أو شكل في اللاوعي الجمعي، المجرم هو كل شخص. وبقدر ما هو مهتم بذلك، سيعاني بشكل طبيعي من مخاطر أولئك الذين يتعاملون مع مواد كهذه. لكنه يعمل في ظل فرضية أنه في القمة، وأن لديه وعياً معقولاً، وأن بإمكانه أن يُظهره ويجعله قابلاً للفهم؛ وهو يحاول رفع رصاص منطقة المياه. كان مجرمه الشاحب عبارة عن رصاص، عبارة عن مادة منحطّة، وبرفعها إلى الأعلى أصبح لديه وهم المحافظة على مستوى الوعي. هو لا يرى أن المياه تغمره وأنه يغرق بقدر ما يرفعه إلى الأعلى. لذلك كان يتحدث من مستواه المنخفض. وكان هناك عدد من المستويات طبعاً؛ هو يتحدث الآن من مستوى الناس الذين تواصلوا مع اللاوعي الجمعي، ويتحدثون لغة مختلفة. وإذا سمع أناس من مستوى وعي عادي هذا الكلام، سيستنتجون أنه كلام نمطي بالنسبة إلى ذلك المستوى؛ ولا يمكن إلا للناس الذين سمعوه من مستوى منخفض أن يمتلكوا الحق في فهمه لأنهم يعرفون ذلك النوع من الأشياء. سيتوصلون إلى نتيجة ليست من العالم الموجود في الأعلى بل من عالم الظل.

---

[1] حاول يونغ باستمرار أن يظهر أن الخيميائيين الأساسيين كانوا يتعاملون في مختبراتهم بأساليب رمزية. ولم يكن الخيميائيون الأوائل كالسيكولوجيون والفلاسفة، بل اتخذوا الذهب الذي تم تحويله أو "حجر الفلاسفة" كأهداف لتحوّل الإنسان وتطوره. انظر الأعمال الكاملة، المجلد الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر.

يعرف الجميع من هو المجرم على مستوى الوعي؛ إذا لم تكن تعرف، تدخل إلى موسوعة علمية وتبحث عن فصل المجرم، أو أي كتاب في القانون، وسوف يفسّر معنى كلمة مجرم. لكنه يكون مختلفاً تماماً من مستوى أكثر انخفاضاً، يكون شيئاً مختلفاً تماماً لأنه لا يعود ظاهرة إحصائية أو اجتماعية أو قانونية، ليس شيئاً منطقياً أو عقلانياً، بل هو مفهوم سيكولوجي. لذلك فهو سلفاً مفهوم رمزي؛ مفهوم عن الشفق، منطقة "*pénombre* " حيث يكون للأشياء جانبان، جانب الشمس وجانب القمر. والمبدأ القائد في الأعلى في الشمس، والقمر في الأسفل؛ وأياً كان الشيء الذي بينهما فهو يتلقى الضوء من الطرفين، ضوء الشمس وضوء القمر. وهكذا عندما يتكلم أحدهم عن جريمة أو مجرم في المستوى الأدنى، يكون واعياً للجريمة من هذا الجانب؛ إنه مفهوم الشفق، والناس الذين اختبروا الظلّ فقط يستطيعون فعلاً أن يفهموا ما الذي يتحدث عنه. لكن إذا ارتكب خطأ الخروج إلى الضوء، إلى الشارع العام، والحديث كما لو أنه في المستوى الأول – وطباعة كل شيء بحيث يستطيع كل غبي أن يشتريه ويقرأه – سيقرؤه الناس طبعاً كما يقرؤون الصحيفة اليومية أو أي شيء واضح آخر. وسيصيبهم الرعب.

لقد ارتكب فرويد الخطأ ذاته في الحديث عن أشياء من مستوى اللاوعي. كان يجب أن يشرح؛ كان ينبغي أن يقول: "تعالوا، دعونا ننزل بضع خطوات في عالم الشفق حيث يكون للأشياء تلك الجوانب". وعندئذٍ سيعترف الجميع "بسفاح القربى" بسهولة بالغة. لكن ذلك سيكون مرعباً ومستحيلاً في مسار الحياة اليومية؛ ستقبض الشرطة عليك وتدخل السجن، أو تدخل مصحّة عقلية بسبب ذلك. كما ارتكب الناس من مستوى اللاوعي خطأ افتراض نوع من المواقف العطوفة، والحديث كما لو أنهم في مستوى أعلى، في حين أنهم ليسوا في ذلك الموقع بل في الأدنى. وكلما

نزلت إلى مستوى أعمق، أصبحت أكثر سوءاً طبعاً؛ أن تتحدث من مستوى أعلى عن شيء ما تم سحبه من اللاوعي الجمعي يعني أنك ترتكب خطأ فادحاً.

يمكن القول إن نيتشه في محاولته إخراج شيء من ذلك المستوى، كان لديه ميول معينة يمكن رؤيتها أو إدراكها: ربما كان يكذب أو يسرق أو ربما حتى كان يرتكب جريمة. وهذا يمكن فهمه بطريقة ما على المستوى الأعلى كما قلت سابقاً. ربما يقول إنها كانت سيكولوجيته الخاصة، أو أنه كتب اعترافاً مثل القديس أوغسطين أو جان جاك روسو، معترفاً بكامل الحرية بشخصيته الآثمة التي كان عليها. وعندئذٍ يُدهشُ الناس ويقولون: "يا له من أمر رائع أن يستطيع الناس فعل شيء كهذا!" مع أنهم هم أنفسهم غير مهتمين على الإطلاق. يكون هذا الأمر ممكناً: يمكنك التحدث من هذا المستوى كاعتراف شخصي. لكن نيتشه لم يعد يتحدث من مستوى لاوعيه الشخصي؛ بل يتحدث عن جريمة الإنسان، لذلك فهي تشمل الجميع. لذلك لا يمكن أن يحصل من تعاليمه إلا على نتائج سيئة. سيقول الناس: "إذا كان المرء مجرماً لمبررات جيدة، فلم لا؟ الإنسان بطل – ونيتشه فعل ذلك، فلم لا؟ لكن ليس لدينا هنا حتى حالة الشفق. إنها حالة الليل المظلم، وتلك هي الأشياء التي لا يمكن تعليمها إلا في السرّ.

كلما كانت التعاليم أكثر خطورة، كان مجال التشكيك بها أكثر عمقاً، وأصبحت تُقال دوماً على شكل ألغاز. ويمكن للمرء أن يعثر على هذه الأفكار في رسائل القديس بولوس إلى أهل أفسس: "يجب أن يتم تعليم هذه الأشياء بالسرّ، والويل لمن يتحدث عنها في العلن، هكذا تتم خيانة الأسرار".[1] يتعرّض أشخاص من هذا النوع للأذى دوماً أو يُقتلون. إنهم

[1] في رسالته إلى اهل افسس، يتحدث بولس كيف ان الله من خلال الوَحي "أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ .الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ، تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا

يؤذون أنفسهم عبر إخراج تلك المواد إلى الضوء. دون أن يدركوا أنهم انسحبوا إلى مستوى أدنى بتأثير الثقل، يعرضون أنفسهم بطريقة مؤسفة لأشخاص من مستوى عادي اكتشفوا فجأة أنهم من المستوى الأدنى ويُنظر إليهم في مستواهم المتدني. وهكذا فإن ما حدث على هذا المستوى لا يزال أكثر خطورة، ولا يزال خاطئاً؛ حتى إنه يفتقد وجود جانبين. وأي شخص يكون على مستوى اللاوعي الشخصي، يكون لديه بريق في الأعلى بتأثير الشمس، لكن في الأسفل يكون هناك أشعة القمر: إنه غادر وسامّ وشرير لا ينبغي الوثوق به. وإذا عرضت هذا الشيء على مستوى أعلى، فلن تكون مكشوفاً فقط بل وضحية أيضاً.

هذا ما فعله نيتشه دون أن يدرك ذلك إطلاقاً. كان ساذجاً للغاية حيال ذلك: من السذاجة أن يؤلّف ذلك الفصل عن المجرم الشاحب. وربما لاحظت أنه مثير للقلق للغاية لأنه حقيقي، لكن لا يجب الإعلان عنه في ضوء النهار بل في الظلمة في طابع من السرية. لم تكن هذه الفكرة غريبة أبداً عن نيتشه. فهي تحدث في موقع آخر بخصوص تعاليم سرّية في المعابد، وكيف يمرّ المريدون الخاضعون لطقوس البدء في مراحل تزداد قوة وقساوة وصعوبة، وفي حالة من النبذ الكامل وكبح الشهوات وأشياء لا يعلمها إلا الله؛ ثم الوصول إلى الاحتفال الأخير حيث يستقبل المعلم الكبير ذاته المريد الذي يتوقع شيئاً استثنائياً طبعاً. لكن المعلم الكبير يقول: "أصبح كل شيء مسموحاً. كان كل شيء محرماً سابقاً لكنه بات مسموحاً الآن". وهذا يعني إجازة رسمية كاملة.[1] هذه أسطورة طبعاً، لكنها نواة

بِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ. الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الآنَ لِرُسُلِهِ الْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ". وعلى أية حال، ليس هناك ذكر لأي شيء يتعلّق بالإبقاء على ذلك سراً.

[1] وهكذا، مع أن كل شيء مسموح به لأنه لا يوجد هناك محرّم كوني، يبقى هناك بالنسبة إلى نيتشه طرق خيّرة وطرق سيئة للوجود والأداء. "ما هو الخير؟ إنه كل ما يُربي

الحقيقة: بمعنى، أنها تقلب قيم الوعي، وتستبدل قيم الوعي بما يعاكسها، بالظل المطلق. إن قول ذلك على السطح جريمة لا تُغتفر، أما قوله على عمق خمسمئة متر أو ألف متر في الأعماق فهو حقيقة. لكن لا يمكن أن نتخيّل أي نوع من الحقيقة هذا لأننا لا نعرف كيف تبدو الأشياء عند هذا العمق؛ إنها حقيقة الظلمة. هناك فعلاً أسرار منظمة تكون التعاليم النهائية فيها من طبيعة كهذه؛ وبالتالي فإن مبدأ هذه الألغاز – أنا أقتبس الآن حقائق، وهي ليست من مخيلتي – هو: " *Gloria dei est celare verbum*"، وتعني أن مجد الله في إخفاء الكلمة. ذلك هو شعار الدرجة العليا لفرسان الهيكل، بالتناقض مع أفكار المسيحية في الدرجات الأدنى. نحن نقول إن مجد الله في الوعظ بالكلمة؛ وأسرارنا تدعى "*sacramenta*"، وهي تعني أسرار الكلمة الإلهية، وواجبنا هو الوعظ بهذه الكلمة. ومع ذلك ففي الدرجة العليا من طقوس البدء، يكون مجد الله في إخفاء الكلمة. لماذا؟ لأن رفعها وإظهارها سيصعق الناس – والأسوأ من ذلك أنهم سيضلّون الطريق.

جاء ذلك من الحقيقة ذاتها التي نعالجها الآن، حقيقة أن مؤلف كتاب كهذا لا يدرك هو ذاته أين يقف. ففي كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت***، كان نيتشه في مكان ما في الجزء الجمعي من لاوعيه. لقد أتت أمثاله وكتابه "جينالوجيا الأخلاق" مثلاً، من المستوى الشخصي؛ إذ لا يزال من الممكن أن يكون فكرياً وعقلانياً في ذلك الموقع، كما يرى فرويد. لكن عندما وصل الأمر إلى نقاط أعمق كالغريزة مثلاً، وصل فرويد إلى المستوى الجمعي حيث يكون للأشياء معانٍ وجوانب مختلفة؛ ومع ذلك تحدث عنها

الشعور بالقوة، إرادة القوة، والقدرة ذاتها داخل الإنسان. ما هو الشرّ؟ إنه كل ما يتأتى عن الضعف. كتاب "عدو المسيح – Anti-Crist" (إصدار دار الحوار، ترجمة جورج ميخائيل ديب)، المقطع الثاني.

بسذاجة وارتكب بالتالي خطأ قاتلاً: إذ فضح الأسرار للرضّع، وهو ما يترك آثاراً سلبية دوماً. لذلك تقوم فكرتي على أن كتاب *هكذا تكلّم زارادشت* لم يكن ينبغي أن يُنشر، بل أن يتم العمل عليه ويتم إخفاؤه بعناية، على الرغم من كل ما يحتويه من جماليات، وربما يوضع على طريقة كتاباته للأمثولات بطريقة ما، وذلك بسبب الأثر الشرير أو الكئيب الذي يكون في كتاب من هذا النوع. إذ إن فصل المجرم الشاحب وحده يتضمن أثراً ساماً لأنه يجعل الأمر المستحيل عادة مستساغاً تماماً، والنتيجة أن ذلك الشخص يصبح مشوشاً.

هذه وجهة نظر هامة جداً أينما تعاملت مع مواد من اللاوعي الجمعي؛ ملامسة اللاوعي الشخصي تغيّرك قليلاً، وملامسة اللاوعي الجمعي تغيّرك أكثر: أن تكون مختلفاً لا يعني أنك أفضل. بل على العكس، أنت أسوأ لأنك في مستوى أدنى من وجهة نظرهم؛ وإذا تحدثت من مستوى أعلى، يكون ذلك مجرد خداع تضيفه إلى أعبائك عبر الكذب والغش ومحاولة ترك انطباع جيد. لذلك لا يمكنني إلا أن أوصي بالحد الأقصى من اللباقة والتقدير والدبلوماسية في فهم مستوى الناس الآخرين. وطبعاً في حالة نيتشه، لا يمكن أن تضع المسؤولية عليه: كان خاضعاً للاوعي بشكل كامل، ولا يستطيع أن يدرك أنه كان أدنى من زمنه. بل على العكس، افترض أنه أعلى، وأنه سهل ورائع وأخفّ وزناً؛ وهكذا فقد تحدث عن الرقص والتحليق كتعويض عن حقيقة ثقله الذي يشدّه إلى الأسفل. إذا كنت مهتماً بالرصاص، تلاحظ بشكل طبيعي تلك الخفّة، ومن المرجح ارتكاب الخطأ الذي ارتكبه. حيث يقول في رسائله مثلاً إن التفكير ليس صعباً عليه؛ إن الأفكار تخرج جاهزة من رأسه كما خرج "بالاس" في إحدى المرات من رأس زيوس. ومع ذلك فقد اشتكى في الصفحة التالية بمرارة من صداعه المرعب

أثناء العمل؛ لم يقم بربط الأمور، كما أنه لم يفهم لماذا يشعر بالخفة بشكل خاص أثناء غوصه نحو الأسفل بتأثير ثقل الرصاص.[1]

لدينا الآن سؤال آخر من الدكتور شليفر: "أخبرتنا بطريقة مقنعة للغاية لماذا لا يوجد خلاص عبر الاعتراف الذاتي. هل تتعامل من هذه الناحية مع مسألة إمكانية الخلاص (*Sühne*) من خلال المعاناة بمعنى العقوبة (*strafe*)؟"

الفكرة هي أنك لا تستطيع الهروب من مسألة أنك أنت الشخص الذي قام بفعل معين؛ تلك حقيقة غير قابلة للزوال إطلاقاً ولا تغيّرها أية توبة في العالم. وبتأكيد صحّة ذلك، لا يمكنك إطلاقاً أن تعيش حياة أخرى غير حياة رجل قام بفعل ذلك؛ بما أن من فعل ذلك سيكون لديه حياة بهذا الشكل أو ذاك، عليك أن تتوقع حياة مشابهة. إذا ارتكبت جريمة، فأنت ذلك الشخص الذي يوصف بالمجرم، وحياة المجرم هي كذا وكذا: سيتم القبض عليه ويُعاقب، وسوف يعاني. وهكذا فأنت تتوقع المعاناة، وإذا لم تحدث، يعني أنك أنت نفسك لم تجد الإجابة التي توقعتها عن الحياة. وقد يبدو الأمر سخيفاً طبعاً عندما تصوغه بهذه الطريقة، لكن اعكس الصورة: قل إنك فعلت شيئاً صالحاً فعلاً – وعندئذٍ هذا هو الشخص الصالح الذي فعل شيئاً صالحاً ويتوقع فعلاً أن يشعر بالرضا والتقدير. هو يفترض أن يتبع الخير الذي قام به تعويضات معيّنة، وسيشعر بالخيبة إذا لم تحدث؛ سيشعر بالإحباط. إن القيام بشيء صالح مطابق تماماً للقيام بشيء سيئ من الناحية الديناميكية، كما يكون الحب والكره متطابقين ***ديناميكياً*** من وجهة نظر اللاوعي: أحدهما إيجابي والآخر سلبي. في الطبيعة لا يكون هناك

[1] "باستثناء الأيام العشرة التي أمضاها في تأليف الفصل الأول من هذا الكتاب، غالباً ما أشار أخي لفصل الشتاء هذا باعتباره الشتاء الأشد قساوة عليه من الناحية الصحية"، فورستر نيتشه، مقدمة كتاب أعمال نيتشه، الصفحة 16.

أي فرق فيما إذا كانت الكهرباء سالبة أم موجبة، والأمر نفسه ينطبق على اللاوعي؛ تهتم الطبيعة بديناميكية الأشياء.

لكن الفرق كبير بين الجيد والسيئ بالنسبة إلينا؛ بل إن أي أثر سيكون مكافئاً للجيد والسيئ الذي تُنتجه، وأنت تتوقع ما سيأتي. أنت تقبل النتيجة بشكل طبيعي، والأثر الذي يتبع الفعل الجيد والسيئ؛ ستشعر بالإحباط إذا لم يحدث الأثر الذي توقعته. أنت لم تتلقّ ما تدين به الحياة لك فعلاً. لذلك من غير الطبيعي ألا تتبع الجريمة معاناة وعقوبة، ومن غير الطبيعي ألا يتبع الخير حالة من الرضا والتقدير. نحن نشعر بالتزام أخلاقي معين بأن نكون ممتنين لشخص فعل شيئاً صالحاً، كما نكون مضطرين للقيام بردّ فعل سلبي نحو شخص فعل شيئاً سيئاً. إنه ببساطة أمر حتمي. إذ لا يمكننا أن نعكس الصورة ونعاقب من فعل ما هو صالح. هذا مستحيل – لا يفعل ذلك سوى المجانين. ومن المستحيل بالطريقة ذاتها أن نعكس النتيجة في الحالة الأخرى. فمن أجل حياة سيكولوجية طبيعية، يجب أن يتبع الفعل الصالح تقدير أو شيء من هذا القبيل، أن يتبع الفعل الصالح اعتراف حقيقي أو تعويض؛ وينطبق الأمر نفسه على الحالة المعاكسة. ستشعر عندئذٍ بأن هذا صحيح. افترض أن أحدهم فعل شيئاً صالحاً مثلاً، وتم تعويضه باعتراف عام؛ عندئذٍ، مع أنك لم تشارك فيه بنفسك، تشعر بأنه تعبير كافٍ عن مشاعرك الخاصة: من الرائع جداً أن يحظى ذلك الشخص بهذا الاعتراف. لذلك يكون لديك، ولا بدّ أن يكون لديك، ردّ الفعل المعاكس في حالة الجريمة. فعندما تسمع أن الرجل الذي ارتكب جريمة مرعبة نال عقاباً بالسجن مدى الحياة، أو حتى عقوبة الإعدام، لا يمكنك أن تمنع نفسك من الشعور بأن هذا صحيح، وأنه الإجابة الصحيحة.

بما أنني أنظر إلى هذا الأشياء ربما من موقف غير عقلاني أبداً، أي من ناحية توازن *ديناميات* الأحداث السيكولوجية، أعتقد أن النظام الطبيعي سيختلّ إذا توقفنا عن الاعتراف بالخير والشر. يجب أن يكون هناك اعتراف متكافئ. يحدث مثلاً في هذه الأيام حيث يقوم أحدهم بارتكاب جريمة قتل، ويأتي طبيب أمراض نفسية مستنير ويقول إنه لم يكن بإمكانه أن يمنع نفسه عن ذلك، وأنه مجرّد شخص مريض ينبغي وضعه في مصحّة عقلية حيث يلقى الراحة والعناية بشكل جيد، بل ويتمتّع بقدر من الحرية أيضاً: هذا أمر لا يمنح شعوراً بالرضا إطلاقاً، وهو استجابة سيئة في الواقع. لأنك وضعت نفسك في مستوى أعلى بكثير، واعتبرته شخصاً مريضاً منحطاً، لا يمكنك إلا أن تضعه في سرير دون الاهتمام بحقيقة أنه قتل طفلاً صغيراً أو قام بتعذيب أحدهم حتى الموت. هذا غير مُرضٍ فعلاً. إن ردّ فعل الناس الطبيعي هو: "هؤلاء الأطباء النفسيين الملاعين! أصبح علينا الآن أن نضعه في مصحّة عقلية يستطيع فيها أن يُشبع معدته ويحظى بوقت مريح لتدخين السجائر على حساب الدولة!" وهم على حق بذلك، هذا صحيح. ربما تكون هذه وجهة نظر آثمة للغاية، لا أعرف تماماً، لكنني أشعر أن هذا تصريح مباشر من سيكولوجيا الإنسان، وكيف يمكننا الحكم على أشياء كهذه إلا من خلال سيكولوجيا الإنسان؟

الدكتور شليغل: شكراً لك، الموقف الحديث من الجريمة هو فعلاً موقف عقلاني للغاية. إنه يُنكر "*القصاص أو الانتقام*".

الدكتور يونغ: طبعاً. *القصاص* عبارة عن تعويض، إنه انتقام. إنها وجهة النظر الصحيحة الوحيدة من جانب علم النفس. أنا أوافق تماماً على أن وجهة نظري آثمة جداً إذا تم النظر إليها من ناحية المنطق والأخلاق المسيحية، مع أنني مقتنع تماماً أن هذا هو الموقف الصحيح والحقيقي. لقد كان صحيحاً دوماً وسيكون صحيحاً إلى الأبد: أننا في ظل التزامات معينة

سنشعر بالامتنان من شخص قام بعمل جيد، وإذا كان الحال كذلك، فعلينا معاقبة الشرير.

السيدة باومان: ربما يرجع التشوش اليوم إلى حقيقة أن الأفعال الخيرة تبدو وكأنها تتحول إلى سيئة، وربما تتحول الجريمة لتصبح شيئاً جيداً.

الدكتور يونغ: هذا ممكن، لكنه لا يعيق نظرتنا لها كجريمة، ومن ثم نعاقب عليها. طبعاً، أنا أعترف أن أحدهم قد يقوم بعمل عظيم للبشرية ويعتبره زمنه على أنه عمل شرير؛ لدينا الكثير من هذه الحالات في المجال الطبي. لقد رأينا أكثر من مرة أن الناس الذي قدّموا وسائل جديدة تعرّضوا للاضطهاد باعتبارهم أسوأ أعداء الجنس البشري. هناك من تم زجّه في السجن لأنه قام بتشريح الجثث مثلاً؛ لقد قدموا فائدة كبيرة للبشر لكن ذلك لم يكن مفهوماً، وتم اعتبار عملهم هذا كجريمة. وقد كان بطريقة ما جريمة في ذلك الوقت أيضاً لأنهم كانوا ساذجين حيال الأمر؛ كان عليهم أن يعرفوا إلى أي عصر يتحدثون. إنه لتصرّف إجرامي أن تترك عبوة دواء القلب بيد طفل ليلعب بها مثلاً. فهي قد تنقذ حياتك بإبقاء قلبك ينبض مدة أطول، أو ربما تنقذ إنساناً مصاباً بمرض القلب، لكن إذا شرب الطفل تلك العبوة، فسوف يموت. عليك أن تأخذ بعين الاعتبار دوماً من هو الشخص الذي تتحدث إليه؛ فهو استخفاف يلامس الجريمة أن تتحدث إلى الأطفال عن حقائق معينة. أحد أهم الاعتبارات في التحليل النفسي هو أن يحاول المرء أن يفهم إلى من يتحدث، وهذا صعب للغاية؛ فالمرء يكون دوماً في حالة خطر دائم من أن يقول الكثير جداً أو القليل جداً. وهكذا فالشيء الذي كان جيداً بحد ذاته في فترة ما، يمكن للمرء أن يقول من وجهة نظر أكثر استنارة إنه كان سيئاً في فترة لاحقة، لأنه خرج إلى العلن بطريقة ساذجة وفيها نوع من الاستخفاف.

السيدة كروالي: هل لي أن أسأل سؤالاً يتعلّق بمعاملة المجرم؟ ألم تقل إن ذلك كان متأثراً بعملية تحويل بالمعنى التاريخي، تماماً مثل أي سلوك جمعي آخر؟ إذا كنا نحاول تنمية موقف قروسطي في علاقتنا مع الحياة، فلماذا نحافظ على نظام العقوبات الذي ينتمي إلى العصور الوسطى؟ وإذا كان عصرنا العقلاني مثلاً قد بدأ بإنتاج معايير أدبية معينة، فكيف لنا في معاملة المجرم أن نعود إلى الممارسات الوحشية التي تعود إلى أيام السجون القروسطية؟ ألا يتم تطبيق قانون التطوّر أو التحول هنا أيضاً؟

الدكتور يونغ: سيكون هناك تطور بالتأكيد، لكن التطور في العقلانية ليس تطوراً بالنسبة إلي. سيكون تطوراً إذا أنتجنا مجرمين بالمعنى الأخلاقي؛ سنقوم حينها باعتقالهم وإحضارهم إلى القاضي الذي سيقول: "أنا آسف جداً أيها السيد، لكن لا بدّ من القول إنك فعلت شيئاً ما كان يجب فعله؛ لقد آذيت مشاعر جميع المواطنين المحترمين، وينبغي أن أرجوك ألا تفعل شيئاً كهذا مرة أخرى". فإذا تطوّر المجرم إلى الحد الذي يشعر به بالإهانة من ذلك، بحيث يقدم وعداً قطعياً بألا يفعل ذلك مجدداً، فذلك سوف ينجح. لكن علينا أولاً أن ننتج مجرمين محترمين. فكما ترون، يعتمد هذا كله على ما إذا كان السجين ذا بنية جلفة أم لا؛ يجب أن تكون العقوبة وفقاً لطبيعة المجرم. ثمة تقدم ملحوظ في تأجيل العقوبة؛ فكل إنسان منطقي سيوافق على ذلك، عندما يفقد أحدهم عقله ويرتكب جريمة، فهو يفعل ذلك بنوع من الألم، وبالتالي علينا أن نكون منطقيين ونؤجّل العقوبة. أعتقد أن هذا تقدم أو ثورة، لكن على المرء أن يوضح أن العقوبة قد تأجلت وحسب، وإذا عاد هذا المجرم الخنزير إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة مجدداً، فسوف يخضع للعقاب القانوني القاسي. وهذا منطقي جداً. لكنني أخشى أن يكون تحسين مصير السجين أمر عاطفي جداً؛ حتى السجناء لا يوافقون عليه. إن المجرم الحقيقي يسخر من هذا التساهل في العقوبة.

السيدة كرولي: العديد من سجنائنا المعاصرين يعيشون الظروف ذاتها التي كانت سائدة في القرون الوسطى.

الدكتور يونغ: نعم، لا يمكن للمرء أن يوقف هذا النوع من التطور؛ ستصبح السجون صحية بالتأكيد بحيث يمكن للسجين أن يقضي فعلاً فترة خمس عشرة سنة. سيكون من السيئ جداً إذا مات في السنة الثالثة من العقوبة. إذ ليس لديكم فكرة ما الذي يعنيه فعلاً أن تكون في سجن، وكم هو قاس وجهنمي أن تحكم على شخص بخمس وعشرين عاماً في السجن. من الأفضل أن يتم الحكم عليه بالموت مباشرة. إنها بأي حال من الأحوال قسوة من حيث المبدأ. وعلى سبيل المثال، اعترف قاتل الأميرة إليزابيت بجريمته – كان ذلك واضحاً جداً – ودخل سجناً منفرداً توفي فيه بعد ست سنوات.[1] إنها عقوبة صعبة جداً أن تبقى وحيداً مدة ست سنوات. ربما كانت الشروط الصحية ليست جيدة بحيث أُصيب بداء السل، وسرعان ما مات؛ لو كان سجناً يحمل مواصفات الجودة لكان بقي حياً ثلاثين سنة ولكانت العقوبة قد انتهت. أما أنا فأفضّل أن أموت.

[1] الأميرة إليزابيت أميرة النمسا تعرّضت للطعن حتى الموت في جينيف عام 1899 على يد أناركي إيطالي اسمه لوكيني.

المحاضرة الثالثة

22 أيار – مايو 1935

الدكتور يونغ:

الفصل التالي بعنوان "عن القراءة والكتابة". والسؤال الذي يخطر في الذهن هنا هو كيف عبر نيتشه الهوّة بين موضوع "المجرم الشاحب" وموضوع "القراءة والكتابة"؟

السيدة باومان: بعد أن أنهى تأليف فصل "عن المجرم الشاحب"، لا بد أنه ألقى نظرة عليه لكي يفهم نفسه؛ ولا بدّ أنه بدأ يفكر "بما كتبه بالدم".

السيد يونغ: هذه الفصول، كما قلت سابقاً، تشبه جدولاً من صور تتبع إحداها الأخرى؛ "عن المجرم الشاحب" هو صورة في الجدول، ومنه تتبع صورة "عن القراءة والكتابة". لكن ما هو الرابط بين الفصلين؟ ألا يوجد شيء في فصل المجرم الشاحب يمكن أن يفسّر وصولنا إلى فصل "عن القراءة والكتابة؟" ماذا يعني "عن القراءة والكتابة؟"

السيدة سيغ: وسائل التعبير، وسائل إيصال شيء ما إلى الآخرين.

الدكتور يونغ: نعم، إنها وظيفة ربط. وكيف لذلك أن يأتي بعد المجرم؟

الآنسة حنّة: ألا يرتبط ذلك بالفقرة الأخيرة التي تحدث فيها عن كونه "سياجاً"؟ لقد بدا هناك متردداً وخائفاً مما قاله.

الدكتور يونغ: أنت محقّة تماماً. هو يرتبط بالفقرة الأخيرة: *"أنا سياج على حافة نهر؛ من يستطيع التمسّك بي فليفعل! لكنّني لست عكازاً تتكئون عليه"*. لقد بدأ يسأل نفسه عما قاله. لكن ما علاقة القراءة والكتابة، باعتبارهما وظيفتي تعبير، بالمجرم؟

السيد أليمان: المجرم الشاحب هو المعترض على أي نوع من التواصل.

الدكتور يونغ: تماماً. المجرم غير اجتماعي بالتأكيد، وهو يعطّل قوانين البشر، ويرتكب الآثام ضد قواعد المجتمع البشري كلها؛ كل من يرتكب جريمة يكون معزولاً. عليه أن يبقي جريمته سرية، ويزعج مشاعر رفاقه، وينتهك حقوقهم: هو أقسى محطم لروابط المجتمع البشري. كان من المثير للاهتمام فعلاً ألا يطلق على هذا الفصل عنوان "المجرم" أو "الإنسان السيئ" بل عنوان "عن المجرم الشاحب". من الواضح تماماً أنه أدرك ما يعنيه ذلك.

السيد أليمان: لقد أدرك صعوبة أن يبقى وحده ويكون منبوذاً.

الدكتور يونغ: نعم، وأدرك عدم قدرته على أن يكون مجرماً؛ لقد أدرك معنى المجرم الذي لا يمكنه أن يلتصق به، وأدرك أنه ليس بإمكانه أن يعاني من العزلة البشرية الكاملة. تمت استشارتي في إحدى المرات حول مجرم شاحب – كانت امرأة قاتلة. وكانت حالة حقيقية. امرأة بمستوى تعليم رفيع لا أعرفها مطلقاً، أتت إليّ لاستشارتي. أخبرتني أنها ارتكبت جريمة قتل منذ اثنتي عشرة سنة، حيث قتلت امرأة أخرى ولم يتم اكتشاف أمرها. تم إنهاء الأمر على أنها مسألة انتحار. وجاءت القاتلة لاستشارتي لأن رابطها الأخير بالحياة قد انتهى. كان لديها ابنة تحبها كثيراً، لكن لأسباب مجهولة لم تعد تستطيع أن تحتمل أمها، فانفصلت عنها. كما انسحب من حولها جميع الأصدقاء؛ لم تعرف كيف حدث ذلك، لأنه ما من أحد كان يعرف فعلياً أي

شيء عن الأمر. لكنها سعت إلى العزلة بنفسها، وعاشت في الريف، ولم تستطع التعامل إلا مع الحيوانات. كانت تخاف الأحصنة، وكانت ردود أفعال الأحصنة عصبية جداً نحوها؛ لكن أجبرت نفسها على ركوبها فقط لأنها كانت خائفة. وكان لديها كلاب أيضاً، وكان أحدها كلباً ألزاسياً، وهو المحبب إليها بشكل خاص؛ وعندما أصبح هذا الكلب أعرج، أصابها إحباط شديد وانهارت تماماً؛ لم تعد تعرف ماذا عليها أن تفعل. وحينها أتت إلي واعترفت؛ كنت أول شخص تتحدث إليه. ثم اختفت مجدداً. فكما ترون، هي لم تكن مجرمة شاحبة؛ لقد عانت وتحمّلت، لكنها أصبحت معزولة تماماً، ولم أشهد قبل ذلك حالة شخص معزول إلى هذه الدرجة – كانت معزولة أكثر من أي ناسك. حتى لو عاش المرء في ريف معزول مثل ألاسكا أو شمال كندا مثلاً، لن يكون معزولاً إلى هذه الدرجة، وكان الأمر المميز في حالتها أنها انهارت بشكل كامل عندما خذلها كلبها.

هنا إذاً أدرك نيتشه أنه هو ذاته المجرم الشاحب؛ تلك هي صورته وتجربته. وهو الذي لا يستطيع فعلاً تحمّل تلك العزلة. يكفي طبعاً إدراك أي شيء يشبه المجرم الشاحب حتى تشعر فوراً بعزلة هائلة، لكن كان عليه أن يحتمل ذلك لأنه الإنسان الأعلى. وكانت نصيحته هي: "أدرك نفسك، أدرك حتى جريمتك، وتحمّل نفسك: كن الإنسان الأعلى الذي يتجاوز كل أنواع الضعف". يأتي رد الفعل حالاً على أية حال؛ يفهم في نهاية فصل "المجرم الشاحب" أنه ربما يكون لما قاله نتائج غريبة، ويبدأ بالوعظ كما لو أنه يتحدث إلى بشر حاضرين أمامه: "لا تستخدموا ما وصفته بالعكازات. سأريكم الطريق لكن لا يمكنكم الاعتماد عليّ". وهكذا فمن الطبيعي للغاية أنه وصل إلى مهمته الأكثر تميزاً، أي القراءة والكتابة، قارئاً رسائل الآخرين

إليه، وكاتباً رسائل لهم. هذا هو الربط المنطقي بين الفصلين. وها هو يظهر في خضمّ نشاطه ويقول:

"لا أحبّ، من بين كل ما كُتِبَ، غير ما يكتبه المرء بدمه. اكتب بالدم؛ وستجد أنّ الدم عقل.

ليس من السهل أبداً فهم دم غريب: أنا أمقت القرّاء الكسالى.

إن من يعرف القارئ لن يفعل بعدها شيئاً من أجله. قرن آخر من القراء، وسيغدو العقل ذاته نتناً."

أو قرن آخر من الكتّاب!

"إذا كان لكل إنسان الحقّ في أن يتعلّم القراءة، فلن تفسد الكتابة بمرور الزمان فحسب، بل سيفسد الفكر نفسه أيضاً."

ثمة الكثير من الحقيقة هنا.

"كان العقل إلهاً فيما مضى، ثم أصبح إنساناً، وهو الآن كتلةٌ من الغوغاء."

كيف تفسّرون ذلك؟

السيدة كرولي: تحدثت في السيمنار السابق عن الفرق بين الكلمة المستمدّة من الروح، والروح المستمدّة من الكلمة، حيث تصبح الروح مجرّد مفهوم. أعتقد أننا تحدثنا عنها في فصل "عن صبوات الأفراح والآلام".

الدكتور يونغ: نعم، وصادفنا فكرة مشابهة في البداية تماماً عندما التقينا الكاهن في الغابة؛ وتحدثنا حينها عن هذا الهبوط. ونصادف الآن تلك الفكرة لدى نيتشه: "عندما كانت الروح هي الله، ثم أصبحت إنساناً، والآن تصبح الناس" — مجرّد حشد. تلك هي الأشكال التي اتخذتها الروح. فكيف حدث هذا؟

البروفسور فيرز: نرى ذلك في المسيحية، حيث بدأت تلك الفكرة.

الدكتور يونغ: نعم، في كافة مراحل التطوّر في المسيحية، بدأت فعلاً مع بداية إنجيل يوحنا: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ". وهكذا فالكلمة والروح متطابقتان تماماً؛ الكلمة هي ببساطة انطلاق الروح وانبثاقها، الكلمة هي الروح المرئية أو المسموعة لأن الروح انتقلت من خلال الكلمة المنطوقة. إذا أطلق الله الروح، فسوف تتخذ شكل الكلمة، الروح المبدعة. على سبيل المثال، بتاح؛ الإله الخالق المصري، هو كلمة مبدعة؛ لقد خُلِقَ من خلال الكلام – تكلّم وسيكون.[1] وهكذا فإن *اللوغوس* الذي كان مع الله كان خلقاً محتملاً، ومن خلال الكلام خلق *اللوغوس* الذي أصبح مرئياً في الجسد: أصبح الله إنساناً بهيئة الإله الإنسان، يسوع. وكما يقول نيتشه هنا: "ثم أصبح إنساناً". لقد ظهر بيننا على هذه الأرض، وشعّ في الظلمة، ولم تفهم الظلمة ذلك. وهكذا، فمن واجب المسيحي أن يعظ بالكلمة، وأن يكشفها للعالم فربما تستنير الظلمة؛ ويجب حتى أن تُجبر على فهم الكلمة. الآن، بقدر ما أصبحت الكلمة راسخة على الأرض، وبقدر ما أنتجت مؤمنين، ومؤسسات – الكنائس العالمية الكاثوليكية – وبقدر ما لدينا مبشرون يحملون الأناجيل إلى المناطق البعيدة، تصبح الكلمة أشبه بحشد. تصبح إيماناً وكنائس حجرية ومعتقدات وقوانين ومنظمات من أي نوع كان. وبالتالي هي تتحول أكثر وأكثر إلى جسد لتصبح الآن مجرّد كنيسة بشرية وتفقد قوتها. ذلك أشبه بتحوّل طاقة الشمس التي تصل عبر الإشعاع إلى الأرض على شكل ضوء. يبدو الأمر كما لو أنهم امتصّوا الضوء ولم يعد له وجود.

يمكننا أن نرى أنها عملية هامة جداً، ولم تكن يوماً محور اهتمام علمي أو فلسفي لأن الزمن لم يكن ناضجاً، والإنسان لم يكن ناضجاً أيضاً. لكن

---

[1] لمزيد من المعلومات عن "بتاح" راجع أعلاه محاضرة 5 شباط – فبراير، 1935.

قبل فترة طويلة من احتلال هذه العمليات محور الاهتمام الفلسفي أو العلمي، كانت موجودة في المثيولوجيا الفلسفية. إذ توقعت "المانوية" هذه الأشياء كلها. حيث بنى المؤسس "مانو" نظاماً فلسفياً مثيولوجياً قام إلى حد كبير على أساس الزارادشتية. كانت الفكرة في الأصل أن الكلمة، أو الروح الخيّرة، هي الموقف الجيد الذي يرمز إليه "فاهو مانو – *Vohu Mano*"، بينما يرمز إلى الموقف السيئ "أنغرامانيو – *Angramainyu*"، حيث كان هاجعاً أو متطابقاً مع "أهورا مازدا"؛ وعندما نبذ ملامحه الجيدة والسيئة من نفسه، انقسمت الكلمة، ومنذ ذلك الحين يوجد صراع بين قوى الضوء وقوى الظلام. ومسألة أن هذه التعاليم الزارادشتية القديمة للغاية هي أصل معظم المبادئ المسيحية باتت حقيقة يُعترف بها، وهي جوهر المانوية طبعاً. عاش 'مانو' حوالي عام *220* ميلادية، وطرح تمايزاً بين تلك المعتقدات الزارادشتية القديمة ممزوجة مع الكثير مما هو موجود في المسيحية؛ إن "ترتيلة إلى المسيح" كانت من تأليف "مانو" نفسه، وتوضحُ بشكل جليّ أنه اعترف بالمسيح بشكل كامل، وربما اعترف به أسلافه الآخرون أيضاً. واعترف الإسلام بجميع "أهل الكتاب"؛ كان قانوناً لحماية جميع أهل الكتاب لكنهم لم يعترفوا بأي شخص آخر. كان المسيحيون من ضمن أهل الكتاب، وكذلك اليهود وكذلك موسى ويوشع بن نون والأنبياء الآخرون، وكذلك "النبي عيسى" باللفظ الإسلامي، أي عيسى بن مريم. وهكذا كان مُعترفاً بـ "مانو" أيضاً، إذ عاش قبل النبي محمد بأربعمئة عام. ووفقاً لهذا النظام، ابتلعت الظلمة الضوء. وقبض "أنغرامانيو – *Angramainyu*" على كمية هائلة من جراثيم الضوء التي كانت تحاول أن تحصل على المزيد دوماً، وكان "أهورا مازدا" يصارعه باستمرار من أجل استعادة مادة الضوء الضائعة. إنها المعركة الأخيرة في حياة الإنسان فعلاً: فالإنسان مكون من كمية محددة

من الضوء، وكمية محددة من الظلمة، وتندلع المعركة ذاتها بينهما داخل كل إنسان.[1]

لقد صيغت الفروض العملية لمانو، والتي تشمل الكثير من التفاصيل، وفق الفكرة ذاتها. ويظهر ذلك بوضوح في رمزية الطائفة التي ركزت على المشاركة في الثمار. يظهر تمثيل جميل لهذه الحالة في "المتحف الآسيوي في برلين": اكتشف "غرونويدل ولوكوك" بعض المنمنمات التابعة مما يسمى فيما يُسمى بعثة "تورفان" في "قندهار"، وكان على إحداها تصوير للطائفة المانوية.[2] يوجد طبق فاكهة كبير فيه العنب وفوقه بطيخة كبيرة كانت تُعتبر فاكهة سريّة لأنها تشبه الشمس، ويُفترض أنها تتضمن عناصر الضوء، وأنها مصنوعة بالكامل من الضوء. لون أصفر من الخارج وبرتقالي من الداخل: هي الشمس ذاتها. وهكذا، فإذا تناول المرء البطيخ يكون قد أكل بذور الضوء وجعل جسده مضاءً، ويكون قد حرم الشيطان من الضوء وأعاده إلى أهورا مازدا. تعتبر فكرة امتصاص الضوء من الظلمة فكرة فلسفية للغاية؛ وهي ترمز طبعاً إلى ضوء الوعي الذي يهدده اللاوعي إلى الأبد. إنها أقدم من زمن زارادشت الفارسي؛ حيث تم العثور عليها بين البدائيين بشكل متكرر في الصراعات مع التنانين أو قوى الظلام التي تحاول أن تسرق روح الإنسان، لكي تكبح وعيه. ومردّ ذلك إلى حقيقة أن لدى

---

[1] "مانو"، مؤسس المانوية، البدعة المسيحية التي التزم بها القديس أوغسطين بداية ثم أجبِرَ على فضها، كانت قد استمدت معتقداتها الأساسية من تعاليم زارادشت. "ترتيلة إلى المسيح – Hymn to Jesus"، جزء من "إنجيل يوحنا المنحول – Apocrypal Acts of John" العائد إلى القرن الثاني الميلادي، هي طقوس بدء مع ردود يُنشدها المريد المرشح لطقوس البدء، مع المساعدين، وشخص يتخذ دور المسيح.

[2] تقع أديرة "قندهار" في أقاصي شمال شرق الهند. انظر كتاب ألبيرت غرونويدل بعنوان "الفن البوذي في الهند – Buddhist Art in India"، مراجعة "جي، بورغيس – J. Burges"، ترجمة "أغنيس غيبسون – Agnes Gibson" (لندن، 1901).

البدائيين خوفاً شديداً من أن يتغلّب اللاوعي عليهم؛ إنهم يخافون كثيراً من العواطف، كما أن الكثير من طقوسهم وطرق تعامل أحدهم مع الآخر يملؤها عليهم خوفهم من فقدان وعيهم الشخصي؛ إنه خوف حقيقي، لأنهم حينها سيفقدون تحكمهم الذاتي بالكامل وتصبح الأمور غير مقبولة إطلاقاً: قد يقتل أحدهم الآخر. وهكذا يتم قمع انفجارات كهذه، وتصبح مواضيع محرّمة، من أجل تأكيد حياة القبيلة ضدّ القوة المدمرة للوعي. من هنا نجد أن مواضيع الصراع بين الضوء والظلام قديمة للغاية.

يمكننا الآن أن نفهم الوعي باعتباره ضوءاً لأنه يحتاج إلى روح معينة ليبقى واعياً. والروح مفهوم غامض جداً فقد كثيراً من صفاته الأصلية، لكن تاريخ كلمة "روح – *spirit*"، أو الكلمة الألمانية "*Geist*"، يخبرنا بمعناها الأصلي. الكلمة الإغريقية "*pneuma*" والكلمة اللاتينية "*spiritus*" تأخذان معنى الهواء، والكلمة اللاتينية "أنيموس – *animus*" هي ذاتها الكلمة الإغريقية "*anemos*"، وهما تأخذان معنى الهواء أيضاً. ولا تزال كلمة "*Pneuma*" المصطلح السائد في الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية للتعبير عن الروح القدس، والذي يعني الهواء المقدّس؛ إنه الحركة والقوة. وكلمة "*Geist*" أتت من جذر يعني "التدفّق بعد الامتلاء"؛ فيها شيء من الحماس والعاطفية. "مذعور - *aghast*" هي كلمة شعورية أتت من ذلك المصدر، وكلمة "شبح - *ghost*" تنتمي إلى المصدر ذاته. تم فهم كلمة "*Geist*" الألمانية بمعنى نبع الماء الحار، والتدفّق بعد الامتلاء، وبمعنى الإلهام. وفي معجزة عيد العنصرة، تجتمع هذه الظواهر الرمزية كلها؛ فالألسنة النارية تعني نار الحماس: كان الرسل كالناس الثملين، والريح القوية ملأت المنزل.

تلك هي الروح، لكن أصبحت بالنسبة لنا عرجاء ودون فاعلية إطلاقاً، أصبحت مجرّد صورة ثنائية الأبعاد – أشبه بمعتقدات أو أفكار ليس لها كتلة ولا قوة؛ على المرء أن يؤمن بها ليمنحها قوة. وفي فلسفة "كلاجيس"،

على المرء أن يتعلّم أن الروح هي الشيطان الذي يدمر الحياة، لكنه يعزو إليها قوة تدميرية بالحد الأدنى. أما "شيلر"، الذي حاول استعادة قدر معين من أهمية الروح، فقد جعلها ضيقة وعرجاء؛ لم يجعلها تدميرية ولم يجعلها مؤثرة أبداً.[1] لقد تلاشت تلك الريح المدمّرة، ومنبع العواطف. وما بقي منها الآن بين أيدينا هزيل جداً، ولم يعد منها شيء كما كان سابقاً. حدث ذلك على مدى ألفي سنة. لقد كان الله في البدء، وقبل ذلك الوقت كانت كامنة فيما يدعوه الإنسان "الله"، تلك القوة التي لا يمكن فهمها في أعماق طاقة الحياة لديه. ويفترض الإنسان أن هذا موجود في عمق الكون بشكل عام لأن هذا العالم المصغّر لا يختلف عن الكون الهائل بأي شكل من الأشكال؛ وهكذا فما هو موجود في أعماق طاقة الحياة كان موجوداً في الكون من قبل، في المنبع الأبدي للحياة. ثم أصبحت مرئية أو مسموعة؛ أصبحت "البشرى - *euangelion*"، وتلقّاها الناس. لكنها تحوّلت لاحقاً إلى مؤسسة وضاع أثرها في أشياء تم خلقها. فمع حدوث الخلق، وصل الدافع الإبداعي إلى نهايته، فقط لأنه أصبح مخلوقاً؛ ولفترة طويلة لم يعد هناك دافع – حتى يحرر المرء نفسه مرة أخرى مما خلقه. فإذا التصق المرء بما خلقه فلن يخلق شيئاً آخر. ومن ثم جاء الزمن الذي أصبح فيه العالم فارغاً تماماً من الروح، حيث لا أحد يعرف ما هي الروح، وحيث لا يوجد سوى آثارها، على الرغم من أن تلك الآثار تبذل جهداً ملحوظاً للتذكير بالأوقات التي كانت فيها يافعة، كما يحب العجائز الحديث عن شبابهم لأنه لم يعد لديهم وحسب. وهذا الانحدار الذي حدث لنا ضمن الألفي سنة الأخيرة هو

---

[1] ماكس شيلر (1874 – 1928)، ألماني مختص بعلم الظواهر، وقد قدّم تفسيره الأكثر وضوحاً عن الروح في عمله الأخير بعنوان "موقع الإنسان في الطبيعة – Man's Place in Nature"، ترجمه إلى الإنكليزية "هانز مايرهوف" (بوسطن، 1961)، الفصلين الأول والثاني. ولمعلومات عن "كلاجيس" راجع محاضرة 17 تشرين الأول – أكتوبر، 1934.

الظاهرة التي يشير إليها نيتشه هنا ولو بطريقة ساذجة نوعاً ما. والسؤال الآن، أين الروح بعد أن قامت بعملها؟ لقد تم إنتاج الأثر، والإنسان يرى ذلك لكنه لا يجد الروح.

السيدة يونغ: أعتقد أننا تحدثنا فيما مضى عن ذلك؛ إنها في الجسد، في المادة.

الدكتور يونغ: أي نوع من المادة؟ إنها دوماً المادة التي يحرص عليها الشيطان بشكل خاص.

السيدة يونغ: الدم.

الدكتور يونغ: نعم، لأن الدم هو الروح السائلة للحياة، مكان طاقة الحياة؛ يوقّع المرء عقداً مع الشيطان بالدم. يريد الشيطان ذلك بشكل خاص لأنه يعرف قيمته؛ يُعتبر أي شيء يتم بالدم أو من خلال الدم شيئاً بالغ الأهمية. بوصولنا الآن إلى مستوى تكون الروح فيه في الدم، يصبح السؤال المطروح الآن هو: في جزء من العالم تدفع رأسك عالياً عبر القشرة؟

البروفسور فيرتز: في ألمانيا.

الدكتور يونغ: طبعاً، "تحيّة هتلر – *Heil Hitler*"! كما ترون، الروح الموجودة في الدم هي روح غير واعية طبعاً؛ أينما كانت الروح في الدم، يبدأ اللاوعي بالحركة. يتحرك الإنسان أو الأمة بتأثير اللاوعي؛ ثم يتحدثون عن الغرائز والعرق والدم لأنهم يشعرون أن ما يحرّكهم نابع من الداخل، من الجسد بطريقة ما. لذلك يعتقدون أنه الدّم، ثم يضفون عليه طابعاً عقلانياً لأنهم يعانون من مرض عقلنة كل شيء. لذلك تكون فلسفتهم كلها فلسفة دم. كل ذلك الكلام عن الدم والحديد واللعب بالنار، وعن الخوف من الحرب والشهوة للحرب – والموجود فعلاً – كل ذلك يأتي من فلسفة الدم. أنتم ترون إلى أي حدّ كان نيتشه رائداً. لكن ألمان ذلك الجيل، والجيل التالي، وكل الأجيال اللاحقة لم تكن موهوبة فعلاً بحيث تتعلّم ذلك من

نيتشه؛ لقد حدث ذلك لهم وحسب. واستطاع نيتشه أن يتنبأ بذلك لأنه حدث معه؛ لقد توقّع من جسده وحياته الخاصة كيف سيكون مستقبل شعبه.

النبي الحقيقي هو الذي يختبر في حياته الشخصية حياة شعبه، ويحاول أيضاً في حياته الشخصية إيجاد علاج لمرض الشعب وتعاسته. يمكن أن ترى ذلك في العهد القديم. ذلك كان سبب عدم اهتمام "هوشع"، مثلاً، بقناعاته الشخصية، وأطاع أوامر الإله وتزوج عاهرة – كان ذلك رمزاً لشعبه.[1] وأنا لا أعرف الآن إلى أي حد يُسمح لنا بقبول نبوّة نيتشه. هل حياة نيتشه كانت حياة نبوّة؟ لا نعرف. لكن يجب أن أقول إنه كان نبياً خطيراً، لقد توقع بالكلمات ما كان يعدّه اللاوعي بالتأكيد، ويبقى أن نرى إلى أي مدى ستكون حياته نبوئية أيضاً. إن كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** هو كتاب نبوئي للغاية. ورأيت منذ فترة قصيرة أن آخرين اكتشفوا شيئاً موازياً لذلك أيضاً. وجدتُ في نبوءات "ميشال نوستراداموس"، في كتابه بعنوان "القرون - *Les Centuries*" المنشور عام *1555*، أنه قال:

En Germanie nai tront diverses sects
S'approchan fort de L'heureux Pagnisme:
Le Coeur captive et petites receptes,
Feron retour a payer le vrai dine.[2]

---

[1] سفر هوشع 1: 2 – 3.

[2] ستولد في ألمانيا طوائف مختلفة/ تقترب كثيراً من الوثنية المرحة،/ يصبح القلب أسيراً ويعود صغيراً،/ ويعودون إلى دفع العشور الحقيقية". انظر موضوع يونغ بعنوان "نبوءات نوستراداموس – The Prophecies of Nostradamus"، الأعمال الكاملة، المجلد التاسع، الجزء الثاني، الفصل السابع. أما "هنري روبرتس" محرر كتاب "نبوءات نوستراداموس الكاملة – The Complete Prophecies of Nostradamus"

هو لم يذكر القرن الذي ستحدث فيه هذه الوثنية الجديدة، لكن لا بدّ أن مشاعر راودته حول الإمكانيات الغريبة لسكان تلك البلدان الشمالية الواقعة بعد نهر الراين. كان لديه حدس سليم جعله يتوقّع ما هو قادم في ألمانيا. ولا يمكنه أن يفعل ذلك إلا من أعماق اللاوعي الذي يعرف المستقبل، ويعمل في المستقبل، تماماً كما توقّع نيتشه.

السيدة بانيز: ما الذي تنبّأ به؟ أنا لم أفهم.

الدكتور يونغ: تنبأ أن تظهر في ألمانيا طوائف مختلفة تقترب كثيراً من الوثنية المرحة، وأن القلب سيصبح سجيناً، وأن عليهم أن يتعلّموا أن يدفعوا مقابل فهم الألوهة الحقيقية أو الاعتراف بها. إن النسخة الأولى من هذا الكتاب نادرة للغاية لأنها صدرت للمرة الأولى عام *1555*. وأنا لدي نسخة صدرت عام *1610*، وهي أيضاً نادرة للغاية. (سأحضرها معي لتروها في المرة القادمة). كما كتب إلى ملك فرنسا – وأظنّ أنه الملك هنري الثاني – أنه في عام *1792*، سيكون لديهم حسابات جديدة للزمن في فرنسا؛ وحقيقة الأمر أن الكونغرس صوّت عام *1793* على التقسيم الجديد للسنة إلى أشهر، ومنحها هذه الأسماء الطبيعية "جيرمنيال، فلوريال، فرراكتيدور، بروماير، وما إلى ذلك؛ وصوّتوا عليها عام *1793* لكنها أصبحت فعّالة من عام *1792*. كان ميشال نوستراداموس العجوز محقاً من الناحية المادية.[1] لقد كان شخصاً غريباً، لكن هناك أشياء مدهشة في تنبؤاته، وقال أيضاً إنها ستكون جيدة حتى عام *3796*. أنا أعتبر ذلك توقعاً خلال قراءة

(نيويورك، 1949) فقد أطلق على ذلك اسم "التفسير النبوئي لظهور العقيدة الوثنية للاشتراكية الوطنية" (صفحة، 107).

[1] كتب نوستراداموس للملك هنري الثاني عام 1557 بأنه أعتقد أن الفترة الفاصلة بين خلق العالم وولادة يسوع هي 4173 عاماً وثمانية أشهر تقريباً. ثم تابع تحديد الفترات الفلكية.

اللاوعي، ولا أشكّ أنه على حق تماماً، ولو كان لديه توقعات حتى ستة آلاف، أو عشرة آلاف سنة، سأصدقها بالمستوى ذاته. لِمَ لا؟ إذا كان باستطاعته أن يتوقع أشياء كهذه، فما الذي لا يستطيع توقعه؟ ربما سنكون جميعنا متنبئين أفضل لو كنا أكثر قرباً من اللاوعي – ودائماً بذهن عارف طبعاً. يجب أن تفتح عينيك وتبقى واعياً لتفهم ما تراه.

قلنا إنه عندما أصبحت الروح عبارة عن حشد أو غوغاء، اختفت في خلقها الخاص، ظهرت بعد ذلك في الدم. وهذا يعني أنه كان هناك فترة كامنة بينهما حيث لم يكن هناك روح من أي نوع، كالجزء الثاني من القرن التاسع عشر. ثم بدأت الأعماق بالحركة، وربما لم نكن بعيدين جداً عن الحقيقة عندما افترضنا أن تلك التطورات السيكولوجية التدميرية للغاية، والتي أدت إلى الحرب الكبرى كانت فعلاً أول إثارة للدم وكل ما يتضمنه الدم. لكن لدينا الآن تفصيل تجاوزته سابقاً: لفت انتباهي الدكتور كيرش للعبارة التالية: *"ليس من السهل أبداً فهم دم غريب"*، والتي أتت مباشرة عبارة "اكتبْ بالدم؛ وستكتشف أن الدم عقل". أدرك نيتشه هنا شيئاً في غاية الأهمية: بمعنى، عندما يتحرك الإنسان من خلال الروح في الدم، يكون محركه الأساسي دمه الخاص، أياً كان ما يعنيه ذلك الدم: وعندئذٍ لا يكون هناك أية مادة ضوء لفهم دم الآخرين. وهذا يعني " *le Coeur est captive*"، أي إن الدم في القلب، والقلب خاضع لسيطرة فكرة الدم والشعور وحقيقة الدم. الإنسان منغمس جداً في ذاته لدرجة أنه سيجد صعوبة كبيرة في فهم دم الآخر، وتعبيره عن فردانيته. وهذا مشابه تماماً للمريض الذي يخضع لحقائق لاوعيه الخاص وهو في بداية تحليله. لا يحلم بأي شيء آخر، ولا يتحدث بأي شيء آخر – يكون منغمساً بشكل كامل في سيكولوجيته الخاصة، ثم ينشر نفسه في كل مكان ويكون عاجزاً تماماً عن رؤية أية وجهة نظر أخرى. إن إحدى أكثر مهمات التحليل العاجلة هي جعل

أولئك الناس يرون أن للناس الآخرين سيكولوجيتهم الخاصة؛ ولن تصدّق أن قلّة من يستطيعون إدراك ذلك. يبدأ العقلانيون للغاية من الفرضية التي تقول إن الآخرين لا يشبهونهم وحسب بل يتطابقون معهم، وإذا لم يتصرّفوا كما يريدون منهم أن يتصرّفوا، فلا بدّ أنهم مخطئون.

هذا ليس مأزق المريض وحسب بل مأزق المحلل أيضاً، وهو الأمر الأكثر روعة. لكنني أرى ذلك بوضوح شديد. ينشأ مرض المحلل من اعتقاده بأنه لا بدّ أن يكون على حق حالما يلمس اللاوعي، وبأي شكل كان؛ يحتاج المرء إلى كل ما لديه من مزاج جيد ليبقى متوازناً. فعندما يلامس المرء اللاوعي يتعرّض لخطر أن يصبح نبياً. وهذا ببساطة نتيجة لحقيقة مفادها أن من يلمس اللاوعي، وبأي شكل يحضر فيه، يقع تحت سيطرته مباشرة، ولا يستطيع تحرير نفسه منه لأن الروح أقوى من الإنسان: لديها قوة هائلة. عندما تكون الروح في الدم، يكون المرء تحت سيطرة الدم. وإذا كانت في الماء، يكون المرء تحت سيطرة الماء، وإذا كانت في الحجر، يقع تحت سيطرة الحجر ويتحوّل إلى تلك المادة بكل ما تتضمنه. وإذا خضع لسيطرة الدم، يُصاب بالتسمم ويرى اللون الأحمر. وإذا تأملت في هذه الحقيقة المحزنة، تستطيع أن تفهم الكثير مما يحدث في العالم فعلاً؛ فهو إيجابي من جهة، وسلبي من جهة أخرى. وسواء أكنت خائفاً من الدم أو متحمساً له، فالأمر هو ذاته. وهي حالة خطيرة للغاية لأن الدم عبارة عن سمة أو صفة للعالم الآخر الذي يمثل آلهة الظلام من الناحية النموذجية.

ربما أرسم الآن لكم لوحة شديدة القتامة، وهي لن تكون الحقيقية كلها إذا بقيت في ذلك الجانب السلبي للغاية لأن لها جانباً آخر. لذلك اقتبست لكم وبشكل جزئي فقرة للمعلّم القديم "ميشال نوستراداموس"؛ ربما لاحظتم أنه قال إن ألمانيا كانت تقترب من "الوثنية المرحة – *l'heureuc panganisme*". فكما ترون يبدو المصطلح مشابهاً لمصطلح نيتشه "العلم

المرح - *die fröhliche wissenschaft*"، هو ما ادعى أنها فلسفته؛ إن "وثنيته – *Heidentum*" مرحة جداً ومضحكة ومن أكثر المواد متعة.[1] وهكذا فإن أكثر الأشياء رعباً، أي الدم، يبدو فيه جانب ممتع للغاية أيضاً. على سبيل المثال، كما نرى في الظواهر الفعلية لعصرنا، عندما تصدر الميول الوثنية من روح الدم، لا نراها بإطار غير مقبول ونكهة سيئة فقط بل غير حكيمة بالمطلق. ومع ذلك، إذا استطاع الناس إقناع أنفسهم *بالوثنية المرحة*، وإذا لم يجعلوا منها علاقات خطيرة للغاية، سيكون الأمر على ما يرام؛ ربما بقي بعض تلك الآلهة المرحة يرقصون بقرونهم وسيقانهم المشعرة في مكان ما في المروج المزهرة، وربما تسمع من حين لآخر صوت ناي بين عيدان القصب. لكن إذا جعلت منه نظاماً أو نهجاً – ولدى الألمان عادة سيئة تقوم على أنهم يجعلون من أي شيء نظاماً – عندئذٍ تصبح النكهة سيئة مع الأسف. لأنه ليس للوثنية المرحة علاقة حقيقية بذلك الحفيف الجاف للأوراق وكتب القانون والأناجيل والقذائف والأشياء الأخرى التي لا يعلمها إلا الله؛ تعود تلك الأشياء إلى المستوى التالي الأدنى.

ربما تذكرون طبقات الوعي المختلفة التي ناقشناها سابقاً: أولاً، ذروة عالم الوعي حيث يكون كل شيء منظّماً وقابلاً للتفسير، مجال ضوء النهار؛ ثم الطبقة التالية الأدنى وهي اللاوعي الشخصي، الأشياء التي تنتمي إلى الغسق؛ ومن ثم مجال الغموض العميق. إن ما يحدث في أيامنا الآن يأتي من منطقة الشفق الخاصة بروح الدم. وويل لمن يفهم هذه الروح من الطبقة الأعلى، لأن هذا يبقى مسيحياً. وهكذا فإن كل ما يأتي من الأعماق

---

[1] كتاب نيتشه بعنوان "العلم المرح – Gay Science"، "الكتاب الشخصي للغاية بين كتبي" تم تأليفه جزئياً قبل كتاب *هكذا تكلم زرادشت* مباشرة لكنه انتهى بعد خمس سنوات تقريباً.

يجب أن يكون مستوعباً. إذا لم يكن لتدمير كل ما هو في الأعلى بكل ما فيه من خير، فيجب أن يتم توجيهه إلى شكل منطقي.

على سبيل المثال، عندما قدّمت نفسي لكم كطبيب، وحتى كبروفسور، فأنا ثابت تماماً في وضح النهار؛ لدي محاضرات عامة، واسمي اختصاصي "علم النفس التحليلي"، وأتحدث بشكل معقول عن أمور كهذه، وأعلّم أطباء وأحضر مؤتمرات، وأترأس مجموعات معينة، وذلك كله يظهرني على أنني شخص متوازن، ومواطن وإنسان ممتثل للنظام الصحيح. وهذا هام جداً لأنني إلى هذا الحد أُثبت أن بالإمكان تنظيم قوى اللاوعي. ويبدو هذا بدهياً طبعاً لأولئك الذين لا يعرفون أن هناك طبقة دنيا للشفق، وهم لن يفهموا أنني أمضيت فترة في منطقة الشفق لأنهم لا يعرفون بوجود أشياء تحدث هناك: يشعرون بالدهشة فقط. وهم عاجزون تماماً عن فهم ما يحدث في ألمانيا مثلاً؛ ولا يستطيعون أن يفهموا لماذا لم يتم الوصول إلى أية نتيجة بموضوع نزع السلاح؛ يفكرون كثيراً بعصبة الأمم، ولا يدركون أبداً أن تلك الأشياء لن تنجح. وإلى أولئك الناس المدركين لوجود ما يحدث تحت الأرض، من المهم أنني استقرّيت في هذا العالم، وإلا لكنت عثّاً أو فراشة أو أي شيء آخر ينجرف وغير موثوق أبداً؛ وسينتج عن ذلك فقدان سريع للثقة: لا يثق الناس إلا إذا كنت مستقراً هنا كما ينبغي. وهكذا، جعلت من المهم جداً أن يستقرّ الناس في عالم ضوء النهار المعقول هذا، لأنهم إذا لم يكونوا مستقرّين، فلن يكونوا موثوقين، ولا ينبغي عليهم أن يندهشوا إذا لم يثق أحد بهم. يجب أن يستحقّوا الثقة، وهم لن يستحقوها إلا إذا كانوا هنا. إن أي شيء يدعم النهار يكون ركناً من أركان العالم كما هو، وبالتالي يجب الحفاظ عليه، وعلى المرء أن يختبر إلى أي حدّ يمكنه توجيه تدفّق الدم، وتلك الروح تنبع من الأعماق.

هذه فترة خطيرة للغاية، ونحن نواجه مشكلة لم تكن معروفة يوماً في تاريخ الوعي البشري. لا يمكنكم مقارنتها مع الفترات الأولى للمسيحية لأن تلك الحركة لم تأتِ من الدم، بل أتت من الأعلى، من الضوء الذي أشرق. هذا ليس ضوءاً بل ظلاماً؛ قوى الظلام قادمة. لذلك علينا الحذر من السباحة كالأسماك، وعلينا أن نتذكر أننا بشر؛ لا يجب أن نقاوم من خلال كمّ أفواهنا والدفاع عن أنفسنا بشكل أعمى. إن رمز زمننا والزمن القادم هو "برج الدلو"، رجل يحمل وعاء يمسك به أي شيء يطفو، ويجب أن يحوّله إلى ماء خصب للحياة. كان رمز الزمن السابق "برج الحوت"، وهم القادرون على السباحة؛ أولئك المتحررون من الأرض بقوة الروح لأن الروح كانت حينها في الأعلى في الضوء. لكنها لم تعد في الضوء اليوم بل في الدم، وهكذا فالموقع مختلف تماماً؛ لا يمكننا مقارنته بالظروف التي كانت منذ ألفي عام.

أن تتحرك في الدم يعني أنك تتحرك من خلال أشياء تقع في منطقة الشفق، حيث تصبح الأشياء مرئية. وإذا أردنا القيام بأشياء تخصّ تلك الحقيقة فأنا وبكل تأكيد لن أقوم بتنظيمها في ضوء النهار؛ بقدر ما هي ظاهرة قادمة من الشفق، يجب الحفاظ عليها في تلك الهوّة. يجب ألا تكون منظّمة كبيرة؛ بل *وثنية مرحة* – إثراء الحياة البشرية وعدم إزعاجها. تبدو كما لو كنت تريد تحويل مجرى نهر إلى حقولك بشكل كامل؛ الحقول تحتاج الماء طبعاً، لكن إذا حوّلت مياه النهر كلها إليها فسوف تدمرها ببساطة. وإذا قمت بتشغيل نهر الدم هذا، فسوف يكون التدمير مرعباً. لكن إذا أبقيت عليه في مكانه، دون إثارة الكثير من الضجيج حوله، سيكون جميلاً للغاية. لا تكن دقيقاً للغاية حيال ذلك، ولا تخبر أحداً إذا ظهر لك وجه "إله الريح القديم – *Pan*" مرة أخرى في الغابة كي لا يظن الناس أنك مجنون. إذا رأيت لمحات من ذلك الوجه في الغابة، كن سعيداً جداً بأنك نلت نعمة رؤية شيء

منه؛ لكن تذكر دوماً أنه ليس جميلاً جداً أن تعرف عن ذلك اللغز: لا يمكنك الحديث عنه. إنها أشبه بزجاجة نبيذ جيدة؛ من الممكن تماماً أن تذكر أنك تحب أن تحتسي كأس نبيذ جيد، لكن لا تقل إنك كنت ثملاً. من الجيد أن تكون ثملاً أحياناً لكن لا تتحدث عن ذلك بصوت عالٍ وإلا فسيصفك الناس بالمدمن، وبأن تجار النبيذ يفسدونك، أو أنك تعالج مرضاك بالكحول.

هكذا يتحدث الناس في وضح النهار حيث يكون كل شيء مضاءً، وكل شيء موجّهاً أو يسير على طريق مستقيم؛ بينما يوجد في الأدنى في منطقة الشفق حقيقة صغيرة جميلة ممتعة للغاية ومفيدة جداً، وحيوية أحياناً، وربما تحفظ حياتك. لكن لا ينبغي تنظيمها في العلن كي لا تصبح نكهتها سيئة، وتصبح لا أخلاقية. إذا كان لديك صراع أخلاق، فليس تصرفاً أخلاقياً أن تجيب عليه بالثمل؛ لا يمكن أبداً أن أقول: "هذا نوع من الصراع الذي يمكن حلّه، وفقاً للكتب، باحتساء زجاجة نبيذ مميزة، أو بالثمل والإقياء فيما بعد". يتحدث المرء بهذه الطريقة، لكن في الطبقة التي تليها في الأدنى، إذ ليس هناك وصفات من هذا القبيل. هناك تجارب معينة فقط، حقائق معينة لا تحتمل الكثير من ضوء التدقيق. ومن الخطأ أن تعيق تلك البذور لأنها أشبه بمحاولات لخلق شكل حياة جديد، شكل يحتاج ربما إلى قرون طويلة قبل أن تصبح منظّمة إلى حد ما. وإذا أخذتها بشكل صحيح وأسست منها نظاماً، ستصل إلى ما وصلت إليه ألمانيا الحالية، وهي ليست مثلاً جيداً فعلاً. وهكذا فإن هذه الحقيقة عن الدم هي أكثر الإشكالات إزعاجاً لأنها تخلق نظاماً لأشياء لا يمكن تنظيمها، ولا يمكن أن تنشأ في نظام بشري.

نحن جميعاً نفكر طبعاً فيما يسمى "*neuheidnische Bewegung*"، أي حركة الوثنية الجديدة، وهنا تلاحظ الخطأ؛ فمن غير المفترض تنظيم

شيء كهذا. إذا اختبر أي شخص تجربة "ووتان – *Wotan*" – ولا أشكّ أبداً أن هناك أشياء من هذا النوع – فسهدأ ويقول في نفسه: "إنه انزلاق ممتع في الأزمنة السابقة". أو إذا مارس إله آخر خدعة على أحدهم، فلن يقوم بتحويلها إلى نظام يتم فيه تعميد الأطفال وتزويج الناس وفقاً لها، ولا يجب أن تصبح موضوع عقيدة خاصة. إنها أخيولات خاصة؛ بذور أو إمكانيات ضعيفة ربما تتطوّر إلى شيء ما عبر الزمن، لكنها في الوقت الحالي عبارة عن زلّة فرديّة، وربما زلّة مؤسفة. يمكن للمرء أن يسلّم طبعاً في الوقت نفسه بأن الحياة الحقيقية الكاملة، التي تنبثق من الدم الذي يجب أن تنبثق منه، هي دائماً مؤسفة. لأن ذروة الحياة، أو المعنى الحقيقي للحياة، ليس السعادة العظمى؛ لا يمكن إلا لشخص ساذج أن يصدّق ذلك. إذا كنت تشعر بالسعادة العظمى، فأنت ببساطة عاجز عن تقديرها. على سبيل المثال، يؤمن البدائيون بأن الحصول على كمية كبيرة من الطعام هو الجنّة بحد ذاتها؛ لكن حتى البدائي، إذا استطاع أن يقيّد نفسه لدقيقة واحدة في حالة من الرغبة، فسيدرك بأن ذلك كان محض هراء. إنها أشبه بالحكاية الخرافية التي ينبغي على المرء فيها أن يأكل الكعكة على مدى ثلاثة أسابيع لكي يدخل فردوساً يُسمّى "شلارفينلاند".[1] إنها أرض يطير فيها الحمام المحشو إلى فمك، وفيها ينابيع من النبيذ، والأشجار تحمل النقانق، وتطوف الخنازير المشوية في الجوار والشوكة والسكين إلى جانبها، وتكون جاهزة لتأخذ شريحة لحم مشوي منها. سيشعر الجميع بالتخمة من الساعة الأولى.

---

[1] تتحدث قصة "شلارفينلاند – Schlaraffenland"، أو قصة أرض كوكيجن، عن بلد الكسل والبهجة الكاملة، مثل أولئك الذين يقطنون جبل "بيغ روك كاندي".

السعادة المطلقة عبارة عن هراء مطلق؛ الحياة الجيدة فعلاً تتضمن نصف سعادة ونصف معاناة.[1] لذلك خلق الله للإنسان الحياة الكاملة التي تتضمن القليل من الأسف دوماً. عندئذٍ لا بأس، عندئذٍ يشعر المرء بأنه حيّ فعلاً: فالجمال جميل والبشاعة بشعة فعلاً، وكل شيء في مكانه. إن منظمة الوثنية الجديدة، وحتى ولو كانت تعود أساساً للتأثير السياسي، هي حقيقة فعلاً، بل وحقيقة مدمرة. وهي تتضمن بالتأكيد الكثير من البذور لكنها تحتاج إلى حكماء للاستفادة منها، وكلما كانت المنظمة أكبر، كانت أكثر حمقاً؛ إذ تستطيع أن تكون واثقاً تماماً من أنه كلما ازداد عدد الأتباع في الحركة، أصبحت أكثر سخافة. كان من الأفضل بكثير أن نترك الخروف للكنيسة المنظمة بشكل جيد، والعالمية بالحد الأدنى – فهذا هو عامل الخلاص الوحيد في الكنيسة. لكن الكنيسة العالمية، الكنيسة ذات الطابع الوثني، لا تُنبئ بأي شيء جيد.

السيدة سيغ: أودّ أن أعرف ما إذا كان الحل بالنسبة لنا أن نفهم معنى التعاليم المسيحية القديمة التي تقول إن الإنسان يجب أن يولد من جديد بالروح والماء والدم معاً.

الدكتور يونغ: صحيحة تلك التعاليم التي تقول إن خلاصك غير ممكن دون الخضوع لتحول ضمن عملية طقوس البدء. ولذلك فمن المستحيل إطلاقاً بدء دين جديد. على الناس أولاً أن يخضعوا لطقس التحول قبل اتخاذ عقيدة جديدة. لكن الأمر ليس كذلك في هذه الحركة الجديدة؛ ولا هو صحيح حتى لمؤسسها. إذا خضعت لطقوس بدء حسب الأصول، تفقد

---

[1] يُحتمل أن يونغ يفكر هنا – بشكل سلبي – بشعار النفعية الذي يقول: "أعظم سعادة للسواد الأعظم". وقد فسّر نيتشه هذه الفلسفة حيث قال على سبيل المثال: "وفي النهاية يريدون جميعاً أن تفوز الخلقيّة الإنكليزية بناصية الحق بوصفها هي التي تُسدي أفضل خدمة للإنسانية أو 'للمنفعة العامة' أو 'لسعادة السواد الأعظم'، لا بل لسعادة إنكلترا" (كتاب ما وراء الخير والشرّ، فقرة 228).

بالتأكيد كل الرغبة بإيجاد دين لأنك حينها تكون قد عرفت ما هو الدين فعلاً.

البروفسور فيرز: قرأت للتو تقريراً عن سيمنار عام *1925* حيث تم نقاش الفرق بين مسيحية ألمانيا ومسيحية فرنسا.[1] وقال حينها أحد السادة الأمريكيين إنه عندما وصلت المسيحية إلى فرنسا، استوعبتها الثقافة الرومانية، لذلك فإن الكنيسة الكاثوليكية المبكرة في فرنسا قد أتت في الواقع ضمن مسار مباشر من روما، وهي لم تتغير. بينما في ألمانيا، كان من المفترض تدمير الوثنية ليقف الدين الجديد فوقها، لذلك فليس في ألمانيا أساس ولا استمرارية. لذلك كانت اللوثرية ممكنة في ألمانيا ولم تكن ممكنة بالطريقة ذاتها في فرنسا.

الدكتور يونغ: نعم، هذه حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها. ساعدت الحضارة الرومانية على تمهيد الطريق للمسيحية في فرنسا وإيطاليا، وهكذا تكيّفت تماماً وبقيت متكيّفة؛ لكن الوضع لم يكن كذلك في ألمانيا لأنها لم تكن مُعدّة لاستقبال المسيحية. وهذا بالطبع سبب إضافي يفسّر وجود هذه الصعوبات الآن، ولماذا اندلعت في ألمانيا فقط. لكنها اندلعت فعلاً في العالم كله بأشكال أخرى. وموجة الفجور الوحشية التي اجتاحت الولايات المتحدة بعد الحرب هي مثال عن الظاهرة ذاتها. لنتابع الآن:

" من يكتب بالدم والأمثال لا يريد أن يُقرأ، بل أن يُحفظ عن ظهر قلب."

هنا تصل إلى الواجهة سمة أخرى لروح الدم، وهي تعني أنك إذا كتبت من خلال روح الدم، فلن تكون هي التي أطبقت عليك فقط بل وقعت أيضاً في قبضة كلماتك. ثم تأخذ كلماتك وأفكارك أهمية كبيرة لدرجة تصبح فيها متسلطاً متعصباً؛ حيث تقول، على الناس أن يقرؤوك، ويفهموك بشكل

---

[1] السيمنار الذي تم عقده في زيورخ من 23 آذار – مارس حتى 6 تموز – يوليو عام 1925 لمناقشة موضوع علم النفس التحليلي.

كامل، وعليهم إما أن يكونوا معك أو ضدّك. ومرّة أخرى، يكون هذا التعصّب هو صعوبة فهم دم الناس الآخرين.

"إن أقصر طريق في الجبل هو الذي يمضي من قمّة إلى قمّة: لكن لا بدّ لك من ساقين طويلتين لأجل ذلك. على الأمثال أن تكون قمّة؛ والذين يتم توجيه الكلام إليهم ينبغي أن يكونوا عمالقة وذوي قامات سامقة."

هذا نوع من جنون العظمة؛ إذا شعر المرء بأهميته الشخصية يكون من المستحيل تماماً أن يتحدث إلى حشد عادي. يجب أن يكون المستمعون إليه من العمالقة؛ على المرء دوماً أن يكون بين الآلهة. وبما أن من الواضح أن المحيطين بك ليسوا من الآلهة حصراً، وطالما أن هناك بشراً بين النبلاء، فمن الواجب تطويرهم فوراً.

"الهواء خفيف ونقيّ والخطر قريب، والعقل مفعم بخبثٍ مرحٍ: كذا الأشياء كلها في توافق وانسجام.

أريد عفاريت من حولي لأنني شجاع. فالشجاعة التي تطرد الأشباح تختلق عفاريتَ لنفسها – تريد الشجاعة أن تضحك."

من جديد تظهر هذه الفقرات بنكهة سيئة جداً؛ فيها شيء من جنون العظمة بالتأكيد. ومع ذلك فهو يرى تلك الأشياء بشكل صحيح نوعاً ما. إنه يفهم أن كل ما يخرج من الدم هو روح معزولة وعالية للغاية، وموقف شجاع ثمة حاجة للقائه. كما لا يمكن للمرء أن يمنع نفسه من رؤية أن هذه الروح مليئة بالخبث المرح، وأن هناك صفات مرحة فيها – تلك الوثنية المرحة، شريطة أن يكون لديك الموقف الصحيح. يبدو الأمر كما لو أنني يجب أن أقول: "بالله عليك، لا تكن جدياً للغاية". إذا لم تأخذها بقيمتها الظاهرية، تكون شيئاً عالياً أو بالغ الرقة؛ ومع ذلك على المرء أن يحافظ على الملامح المرحة في هذه القضايا الأساسية. ومن ثم تصل على الملاحظة الصحيحة. أن تقول مثلاً: "أريد عفاريت حولي لأنني شجاع"، هو تعبير

خاطئ طبعاً، لكنه صحيح؛ هو لا يريد عفاريت حوله لأنه ليس شجاعاً للغاية، لكنه خائف حقاً، ولسوء الحظ ليس لديه ما يكفي من الشجاعة ليعترف بخوفه. إنها لشجاعة أكبر بكثير أن تقول إنك خائف؛ أن تقول إنك شجاع يعني أنك جبان تقريباً لأنك خائف من خوفك. وإذا قلت إنك تريد عفاريت حولك فأنت تكذب، لأنك تخشى من أن تكون العفاريت فقط حولك. وإذا لم يكن حولك سوى العفاريت، فأنت في عزلة هائلة؛ وتصبح عزلتك حيّة بالعفاريت، وهو أمر غير طبيعي أبداً. سوف يقول الحقيقة إذا قال: "أنا خائف، لقد لاحظت وجود عفاريت حولي وليس وجود بشر. لقد أخفت البشر وأبعدتهم عني وأصبحت الأشباح الآن في كل مكان في طرقاتي المقفرة". ثم يتابع القول إن الشجاعة تريد أن تضحك. إن الشجاعة الممزوجة بخوف غير معترف به تريد أن تضحك لتكون محتملة. لذلك كانت نظرته صحيحة، لكنها تشوّهت بشكل غريب لأن سلوكه لم يرقَ إلى مستوى الرؤية. لذلك كان عليه أن يحرف نظرته، لكنها لم تعد ما كانت عليه، ولم تعد نظرة مفيدة بل تراجيدية. تلاحظون أن تلك العفاريت كانت مجنونة سلفاً. إذا أصبح محيطك حيوياً وبدأ يتحدث إليك، فهذا يعني الجنون؛ لكن إذا استطعت أن تبتسم عندما تقابل ضفدعاً أو سنجاباً أو ورقة شجر تقول لك أشياء مضحكة، وإذا لم تنوّه إليها ولم تصنع منها نظاماً أو منهجاً، فسيكون صباحك رائعاً للغاية في الغابة: أنت تتمتع بصحة جيدة، ولديك شهية جيدة، وستنام بعمق. لقد كنت محاطاً بعفاريت وكانت عزلتك هادئة وجميلة. لكن لا تتحدث عن ذلك، لأن العفاريت ستختفي عندئذٍ وتظهر الأشباح عوضاً عنها.

المحاضرة الرابعة

29 أيار – مايو 1935

الدكتور يونغ:

سنتابع النص الآن:

"لم أعد أشعر بما تشعرون: وهذه السحابة التي أراها تحتي، وهذه الظلمة والثقل التي تثير السخرية، هي سحابة غيثكم."

يصف هنا شيئاً بالغ الأهمية؛ يقول إن السحابة التي تحته، تلك القتامة والثقل، تفسّر موقفه الغريب في أنه ضحك منها. يشعر بالخفة بشكل خاص لأنه يقف فوق القتامة التي تدفع الآخرين إلى الأسفل، وستكون سحابة برق عليهم. سيخافون منها، وهذا صحيح. لكن من غير الطبيعي أن يجعلها خفيفة؛ لقد رفع نفسه إلى مسافة كبيرة بالتأكيد، حتى إنه تماهى مع الإله الراقص، مثل شيفا الخالق العظيم والمدمّر الذي يتم تمثيله أحياناً وهو يرقص في المقبرة فوق الجثث. ثم يقول:

"تنظرون إلى الأعلى وتطلبون العُلا، بينما أنظر إلى الأسفل لأنني في الأعلى."

لقد ابتدع حركة تعويضية، صنع خفّة من شيء ثقيل؛ انحرف إلى الجهة الأخرى وميّز نفسه عن تلك القتامة. لكنه تخلّص بهذه الطريقة من ظله

وأصبح مجرّد فكرة؛ ترك خلفه الثقل والخوف والقتامة التي تجعل منه إنساناً، وفصل نفسه عن البشر. وهذا سيؤدي بالطبع إلى التماهي مع الألوهة، وهو نوع من التضخم؛ أصبح متماهياً مع الهواء والكائنات الهوائية، تلك كانت عفاريته. هنا بدأ يستعدّ للقضية التي لا مفرّ منها؛ إنه الجنون؛ إنها لحظة حاسمة. كما ترون، هو يتابع هنا فصل المجرم الشاحب بالفعل. لم يستطع أن يحتمل رؤية المجرم، مما يعني أنه هو نفسه المجرم الشاحب؛ وبناءً عليه، ميّز نفسه وارتفع مثل بالون، وهكذا وقع ضحيّة العفاريت. لنتابع الآن:

"من منكم يستطيع أن يضحك ويكون سامياً في الوقت ذاته؟ من يتسلّق شواهق الجبال يضحك من المآسي كلها سواء أكانت حقيقية أم مجرد مسرحية.

تريدنا الحكمة شجعان لا مبالين مزدرين عنيفين: فالحكمة أنثى ولا تحبّ من الرجال إلا المحارب."

الحكمة امرأة بالتأكيد، إنها "صوفيا"، وهي لا تحب سوى المحارب بالتأكيد، لكن المحارب ليس كائناً هوائياً وراقصاً في المقبرة. يكون في الوسط بين جميع الراقصين، يقاتل فعلاً في معركة الحياة، وليس راقصاً في السحاب. هناك تشابه مع حياة نيتشه الشخصية: عندما ألّف *هكذا تكلّم زارادشت*، استقال من عمله كبروفسور في جامعة بازل لأنه عانى من حالات صداع مرعب، وتلقّى الدعم من بعض الأشخاص الميسورين في بازل لأنه لم يكن يملك المال الكافي. وعاش بهذا المال في الأعلى فوق غيوم "إنغادين" حيث ألّف أفضل جزء من كتاب *هكذا تكلّم زارادشت*. لذلك كان يسير فوق السحاب حتى في حياته الشخصية، ويعيش على تبرّعات الآخرين دون أن يدرك إطلاقاً أنه دون قدمين تطأان الأرض. لا يعرف المرء حقاً كيف ألّف هذا الكتاب، أو ما إذا كان سيؤلّفه من الأساس لو كانت

قدماه تطأان الأرض. لطالما شعرت بالأسف لأن المسيح لم يبلغ من العمر سوى الثالثة والثلاثين، لأنني كنت أودّ أن أعرف كيف كان سيصبح عندما يقارب الخمسين، بعد أن يحظى بزوجة ونصف دزينة من الأطفال. أتساءل كيف كانت ستبدو تعاليمه عندئذٍ. لدي فكرة بأن أشياء معينة كانت ستختلف بالمطلق. بما أن حياة الإنسان العادي تستمر أكثر من ثلاثة وثلاثين سنة، وبما أن معظم الناس يتزوجون وينتشرون وهم في ساحة معركة الحياة، أو المقبرة، فلا بدّ أن تختلف آراؤهم في الحياة عن أولئك الذين لم يولدوا أبداً في عتمة الوجود. كان نيتشه فعلاً خالي البال وساخراً وعنيفاً – ذلك كله صحيح فعلاً في حياته الشخصية. فكما ترون، يمكنه أن يتحمّل أن يكون كذلك طالما أنه لم يولد بشكل كامل، لكنه بقي وعداً بشرياً، ومحاولة لم تتحقق؛ وبالتالي فإن ما يطرحه من تعاليم هو ما يمكن لفقاعة صابون أو فراشة أن تقوله – لا، ليس حتى فراشة، لأن الفراشة حقيقية للغاية. الفراشة لا تحلم بالسفر فوق سحابة الغيم، بل تكون دوماً تحت الغيم في المنطقة المجاورة للأرض، وبين الأزهار والأقران وما إلى ذلك.

"تقولون لي: "الحياة عبء ثقيل لا يُحتمل". لكن ما جدوى غروركم في الصباح وخضوعكم عندما يأتي المساء؟

الحياة عبء ثقيل لا يُحتمل: لكن لتكفّوا عن مثل هذه الرقّة! فنحن جميعاً حمير وأتانات تصلح لحمل الأثقال.

ما الذي نشترك فيه مع برعم الوردة الذي يرتعش لأن قطرة ندى وقعت عليه؟"

لقد هرب منها وحسب.

"لا ريب أننا نحبّ الحياة؛ ليس لأننا اعتدنا عليها بل لأننا اعتدنا حبّ الحياة."

عبارة رائعة جداً. يقول إننا تعوّدنا أن نحبّ، لكن نحب ماذا؟ لنفترض أننا نحب الحياة، لكن إذا أحبّ المرء الحياة فلا بدّ أن يأتي من ذلك شيء بالتأكيد. تريد الحياة أن تكون حقيقية؛ إذا أحببت الحياة فأنت تريد أن تعيش فعلاً، ليس بصفة وعد يحوم حول الأشياء. تؤدي الحياة حتماً إلى ما هو أدنى، إلى الواقع، وهي من طبيعة الماء: تسعى دوماً للمكان الأعمق المترافق مع العتمة والثقل. وبالتالي فما يقوله هنا هو مجرّد فقاعة صابون.

"ثمة شيء من الجنون في الحبّ دوماً. وثمة شيء من العقل في الجنون أيضاً."

صحيح فعلاً، لكنه كلام خطير في ظروف كهذه.

"وبالنسبة إلي أنا الذي أقدّر الحياة، يتراءى لي أن خير من يدرك السعادة هي الفراشات وفقاعات الصابون الفارغة وما يشبهها من البشر."

لا يثق المرء بتلك السعادة، ولا سيما إذا عرف أن حالات النشوة الموجودة في كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** كانت بكلفة عالية جداً مدفوعة بأيام مرعبة من الصداع والقيء، وهو الأمر الذي لم يربطه نيتشه بإنتاجه الفكري.

"لا شيء يُثير دموع زارادشت وأناشيده أكثر من رؤية هذه الأرواح الصغيرة الخفيفة الحمقاء اللطيفة التي تخفق طائرة.

لن أؤمن إلا بإله واحد يكون قادراً على الرقص."

نحن نعرف ذلك الإله، لكنّه يُدعى الإله المدمّر، ويقدّم رقصته في المقبرة لسوء الحظ.

"عندما رأيت شيطاني وجدته جديّاً كاملاً عميقاً جليلاً؛ كان أشبه بروح الثقل – هو الذي يجعل الأشياء كلها تسقط."

إن هذا الاتجاه الطبيعي والصحيح جداً، وحتى الحتمي في الحياة المتمثل في السعي للأماكن الأعمق، كان بالنسبة إليه أشبه بشيطان. ومن هو الأكثر

جدية أو رسمية أو أكثر عمقاً من زارادشت؟ هو لا يستطيع التخلّص من شيطانه كما ترون.

" يقترف الإنسان القتل بالضحك وليس بالحنق. هيا بنا نقتل روح الثقل! لقد تعلّمت المشي؛ ومنذئذٍ تركت نفسي أتمشّى."

لأنه كلما تعلّم المشي أكثر، أصبح أكثر خفّة وأعلى سرعة – شيء يشبه الانهيار الثلجي.

" وتعلّمت الطيران؛ ومنذئذٍ لم أعد أنتظر أن يدفعني أحدهم كي أتحرّك من مكاني.

أصبحت الآن خفيفاً، والآن أطير، والآن أرى نفسي دون نفسي. والآن ثمة إله يرقص في داخلي.

هكذا تكلّم زارادشت."

يصف هنا العملية السيكولوجية التي تجري في أعماقه، الاستعداد للجنون. إذ من الأعراض المتكررة للغاية في بداية أشكال معيّنة من الجنون أن يكون للناس علاقة غريبة مع أجسادهم. غالباً ما تراودهم فكرة أن الجسد ليس له وزناً مثلاً، وأنهم لا يستطيعون سماع وقع أقدامهم. ويعتقدون أيضاً أن باستطاعتهم الطيران، ويقومون بمحاولات الطيران، وهو ما يُفترض أنه كان سبباً للانتحار في كثير من الحالات؛ يقفزون من الطبقة الرابعة، ويتبعون بشكل طبيعي قانون الجاذبية، ثم يحطّون على الرصيف. وبما أنهم لا يستطيعون تفسير المحاولة التي قاموا بها، فهي تُدعى حالة انتحار لشخص غير سليم عقلياً. أو يحاولون السير على الماء ثم يغرقون.

أتذكر قصة مشابهة لطالب في الجامعة، طالب ذكي للغاية نجح في امتحان كليّة الطبّ مثلي تماماً، وكان مميزاً لدرجة أن الناس اعتقدوا إنه سيحظى بمهنة رائعة. لكنني لم أسمع عنه أي شيء بعد ذلك إلا بعد مضيّ

عشر سنوات، حيث قابلته في الخدمة العسكرية، وعندئذٍ أعطاني تفسيراً لحياته العُصابية في تلك الأثناء. سمعت أنه ذهب إلى مصر واعتقد أن لديه خطة رائعة، وهكذا سألته ما الذي فعله هناك. "نزلت من القطار في القاهرة". "وإلى أين ذهبت بعد ذلك؟" "ذهبت إلى الإسكندرية". "ماذا! ذهبت إلى الإسكندرية! من أجل ماذا؟" "لأرى البلد؛ ثمة كلاب سيئة هناك". "كلاب! ألم ترَ أي شيء آخر؟" "لدي ندبة من الشرطة. كان يجب أن أطلق النار على تلك الكلاب". "ألم تجرّب أي شيء آخر في مصر؟" "ما الذي يمكن أن تراه هناك؟ إنها بلد تافه للغاية". كانت تلك محاولته الأولى للطيران فوق الأرض؛ راودته فكرة أنه كان يقترب من الألوهية، وعليه أن يتحرك فوق الأرض، فلماذا لا يكون ذلك فوق مصر؟ وبما أن الأمر يحدث في مصر، فلماذا لا يكون ذلك فوق الدلتا؟ دون أي علاقة بالأرض ولا بالبلد، وإنما بهدف الحركة فوق الأرض. لكن عندما أخبرني لاحقاً أنه كان في مصحة عقلية، بدأت أفهم الأمر.

بعد الرحلة المرموقة إلى مصر، وتجربته مع الكلاب القذرة في قرى الدلتا، كان لديه مخطط كبير يشبه الخطط "الفاوستية" لخلق حياة للملايين. كانت فكرته العظيمة أن يبني سدّاً في "مقاطعة واليس" قرب "سانت موريس" في سويسرا، وهكذا يصنع بحيرة كبيرة داخل "وادي الرون"؛ سيغرق جميع السكان هناك، لكنه سيفعل ذلك من أجل إنتاج الطاقة الكهربائية لأوروبا كلها. وبينما كان منشغلاً بهذه الخطط راودته أفكار أخرى حول كيفية تخفيف الجاذبية مثلاً؛ لديه مجموعة من خمسة فرنكات فرنسية، واكتشف أثناء اللعب بها أنه إذا وضع إحداها فوق الأخرى، وباستخدام عملية كهربائية معينة، تصبح القطعة النقدية في إحدى نهايتي المجموعة أخفّ وزناً. أعاد التجربة عدة مرات واقتنع أخيراً أن بإمكانه أن ينتج ظاهرة مماثلة في نفسه، يستطيع أن يجعل جسده يفقد

الوزن. ولتجربة ذلك، سار في الطريق فوق جسر حيث بدا له أنه لا يسمع وقع خطا قدميه، واستنتج أنه فقد وزنه. وبعد ذلك سرعان ما استخلص من هذه الحقيقة أن جسده فقد الصفة المادية، وهو لن يعكس الضوء ولن يكون مرئياً. واختبر التجربة بالسير في حلقة دائرية حول الناس في الشارع على مسافة بعيدة؛ لم يلاحظ أحد ذلك على ما يبدو – أو أنه لم يلاحظ أنهم لاحظوا ذلك – حتى إنه احتكّ بأحدهم ولم يعيره أي اهتمام، فقرر أن جسده لم يعد جسداً مادياً. لكن بما أنه بقي غير واثق تماماً، مضى إلى المحطة الرئيسة وبدأ يدور حول مجموعات الناس هناك؛ من الواضح أنهم لم يروه لذلك قرّر أنه غير مرئي فعلاً، كما قال إنه كان يدور حول كل شجرة ضمن نسق من الأشجار أمام المحطة وفجأة: "أتى شرطي قذر وقبض علي ووضعني في مصحة عقلية، مدمّراً تجربتي الجدية للغاية". ثم تابع كلامه ليخبرني أنه لاحظ لاحقاً في العيادة أن لديهم فئران مدرّبة على اختبار ما إذا كان غبياً بما يكفي للوقوع في خدعهم. لكنه اكتشف أخيراً أنه لم يكن هناك فئران من هذا النوع فعلاً – كانت مجرد هلوسات – وأدرك بالتالي أنه يعاني من شيء ما. قلت له: "وهل استطعت فعلاً أن تصحح كل أفكارك؟" "لقد أصلحتها كلها". "حتى الفئران؟" "نعم، كانت كلها هلوسات باستثناء واحدة، وتلك كانت قد خضعت لتدريب المدرّب". ثم كان الطبيب الذي يمارس عمله المهني، لكنه احتفظ بخيط واحد: كان يمسك سلسلة الأوهام كلها عبر ذيل ذلك الفأر الذي تم تدريبه بشكل مؤكد على يد المدرّب. نعرف تماماً في حالة كهذه أن المسألة كلها قد تكثّفت في زاوية واحدة، وتم ترك المجال مفتوحاً حينها؛ لكن ذلك الثقب مفتوح، ويمكن لكل شيء أن يتدلّى في الوعي مجدداً. وبعد سنة تقريباً، كانت هذه الأوهام قد غمرته تماماً وبقي محتجزاً مدى الحياة. إنها حالة مشابهة تماماً.

يوجد هنا نوع من المجاز طبعاً – لم يصل التأثير بنيتشه إلى المدى الذي يشعر فيه بفقدان الجاذبية بصفته إنساناً. هو يصف شعوراً مشابهاً في مقطع شعري جميل عن "الرياح الشمالية" مثلاً، حيث يتماهى مع الريح.[1] ثمة فقرات كثيرة في كتاب *هكذا تكلّم زارادشت* نواجه فيها أعراض الجنون نفسها، لكن في هذا الشكل المخفف من الاستعارات الخطابية التي يمكن بسهولة أن تكون حقيقية بالنسبة إليه. وهي على أية حال لا تُعتبر سوى رمزية سيكولوجية مع أنها بالغة الأهمية، وتصف فقدان العلاقة مع الواقع في حالة الجنون. تلك الظاهرة المميزة في الفُصام، وفقدان الشعور بالارتباط، هي الشيء ذاته. يلاحظ المرء أولاً ومضات غريبة من الشعور بالارتباط؛ وهي إما أن تتزايد أو تضمر وفقاً للظروف. يبدو الأمر كما لو أن الآخرين أو الظروف قد فقدوا قيمتهم السيكولوجية الخاصة لدرجة أصبح الوعي مشوشاً. ولا يعود الناس في هذه الحالات يعرفون كيفية التعامل مع المواد أو البشر أو الظروف الموضوعية؛ تبدأ المهمة بالفشل مما يخبرنا بما تعنيه هذه الأشياء أو ما تستحقّه. وهكذا فإن سلوك بشر من هذا النوع يصبح سلوكاً غير مؤهّل؛ تشير الملاحظات الأولى إلى الشعور ومن ثم بشكل طبيعي، يكون الحكم خاطئاً. إنه شيء يشبه انسحاب النفس من تنبؤاتها وتوقعاتها الطبيعية. ويمكن للنفس أيضاً أن تنسحب من الحقائق الطبيعية للجسد، ومن الغرائز مثلاً؛ لا يشعر الناس بالجوع أو الألم. لا يشعرون بثقل جسدهم ولا يرون حالته؛ وهكذا وبشكل متزايد، تصبح النفس معزولة في ذاتها، ولا نعرف ما الشكل الذي تصبح عليه. عندما نقول إن أولئك الناس مجانين، ويجب ألا ننسى أنهم مجانين فقط من الآثار التي

---

[1] "إلى ريح الميسترال: اغنية للرقص – To the Mistral: A Dancing Song"، "في أغانٍ للأمير فوغيلفري – In Songs of Prince Vogelfrei". القصيدة موجودة في كتاب "العلم المرح – Gay Science".

تظهر عليهم؛ فنحن لا نعرف ما يوجد داخل أنفسهم. هناك حالات إذا قمنا بمراقبتها بعناية، نرى أن شيئاً في النفس يعمل بشكل اعتيادي، لكن أثناء المحاولة لنقل ما يجري في الداخل إلى شخص آخر، تسير الأمور بشكل خاطئ.

الأمر مشابه تماماً لتجارب روحانية معينة. أنا لا أعرف ما إذا كنتم قد قرأتم كتاب "هيسلوب" المثير للاهتمام للغاية ويحمل عنوان "العلم والحياة المستقبلية"، حيث أوضح في هذا الكتاب تجاربه مع السيدة "بيبر".[1] كان لديها "قرين" رائع جداً يُدعى "مجموعة الإمبراطور" – والتي تظهر بوضوح كبير سمات "القرين" الخاص بها! لكنها فهمته كمجموعة أرواح حقيقية تتواصل معها. توصل "هيسلوب" إلى اكتشافات هامة جداً؛ لقد وصف صعوبات الأشباح التي أرادت التواصل مع هذا العالم مثلاً. فعندما يقترب الشبح من مجال الإنسان، يتصل بنفس الشخص المعين الذي يريد التحدث معه، ويصبح مرتبكاً فوراً. هو يتأثر بالمجال العقلي لهذا الشخص وينسى كل شيء كان يريد قوله. وهكذا، نصح أحد أشباح مجموعة الإمبراطور شبحاً آخر عديم الخبرة أراد إظهار شيء ما أن يحفظه عن ظهر قلب ثم يندفع مباشرة ويقول ما يريد قوله بالسرعة الممكنة وإلا فسوف يفقد عقله. يشبه الأمر أن تدخل ضمن مجموعة وتريد أن تقول شيئاً محدداً، وتكون خائفاً من أن تتأثر بأفكار الآخرين وتنسى أفكارك الخاصة، وهكذا تحفظها عن ظهر قلب، ومن ثم تندفع وتنطق العبارات.

يحدث الأمر نفسه مع الجنون: ينجح الناس أحياناً في قول جملة أو جملتين، أو حتى بضع كلمات تكون على المسار الصحيح، ومن ثم يغيب الباقي عن ذهنهم. تلك ظاهرة شائعة طبعاً حتى مع الناس العاديين. لطالما

---

[1] "جيمس هيسلوب" مؤلف كتاب "العلم والحياة المستقبلية – Science and A Future Life" (بوستن، 1905).

سمعت مريضاً يقول: "كنت قد قررت إخبارك شيئاً ما في المرة السابقة لكنني حالما دخلت مكتبك، نسيت الأمر تماماً". وأتذكر حالة كان يحدث فيها ذلك الأمر بشكل متكرر؛ اتهمتني المريضة في البداية بمحاولة إسكاتها مع أنني لم أنطق كلمة واحدة بغد عبارة "كيف حالك؟" أو "ما الذي أحضرته لي اليوم؟" ثم جنّ جنونها وتحدثت عن كل شيء يمكن أن تتخيله باستثناء الشيء الذي أرادت قوله. وهكذا طلبت منها أن تكتب ما تريده في كتاب وتحضره إلي. ووعدت أنها ستفعل ذلك، إلا أنها في المرة التالية تابعت الكلام بجموح هائل حتى قلت لها: "اهدئي الآن، وألقي كتابك". ومن ثم نسيت الكتاب! هذا مشابه لما يفعله الأشباح والمجانين – لكن يسير الأمر إلى مرحلة أبعد بقليل مع المجانين. تكون نواياهم سليمة تماماً، وتجري الأمور بشكل صحيح، لكن عندما يريدون نقل فكرتهم في محاولة منهم لتوضيح ما يقصدونه فعلاً، يختلط الأمر بطريقة غريبة، ثم يرتبكون ويقولون كلاماً فارغاً.

كان لدي حالة امرأة بقيت عدة سنوات في المصحّة العقلية بحالة جنون كامل، لكنها كانت تسمع أحياناً أصواتاً تتحدث بشكل طبيعي تماماً. كانت تخضع دوماً لسيطرة الوهم والكلام المصطنع، ولا تستطيع التعبير عن نفسها، لكنها في أحد الأيام وبشكل مفاجئ، هزّت رأسها بغضب وقالت إن أحدهم اتصل بها هاتفياً. فسألتها ما الذي قاله، فأجابت بعد تردد طويل إن شخصاً غبياً للغاية قال لها الكلام الآتي: "أنت تسيطرين على الطبيب بشكل كامل". وتذمّرت في إحدى المرات من أنها ليست مجنونة، ولا يجب أن تكون في المصحّة؛ كان ذلك ظالماً للغاية، والآخرون في المحطة مجانين تماماً، عندما وصلها الهاتف، قال الصوت: "لكن من الواضح تماماً أنك يجب أن تكوني في المصحّة لأنك مجنونة! وكان ذلك بالنسبة إليها محض هراء طبعاً، لكنه يوضح لي أن طبيعتها انسحبت إلى عالم الأصوات – وهذا يعني أن

جنونها قد غمر المجال الذي كانت فيها "الأنا" العادية. لم يكن هناك أثر "للأنا" العادية بعد ذلك باستثناء تلك النفس التي انسحبت إلى مسافة أبعد، ولم تكن تُكتشف إلا من خلال الهاتف.

طالما أن طبيعة من هذا النوع موجودة، نعرف أنه يوجد في مكان ما عمل وتوجّه طبيعيان. وهذا يفسّر لماذا عندما يُصاب أشخاص من هذا النوع، تحت ظروف معينة، بمرض جسدي خطير جداً مثلاً، يعودون إلى طبيعتهم فجأة. كان هناك رجل لم ينطق كلمة منطقية واحدة لسنوات طويلة؛ كان علينا أن نبقي عليه في المهجع بسبب الحالات الاستثنائية، لكن عندما أُصيب بالحمى التيفية، أصبح طبيعياً تماماً، أصبح لطيفاً جداً وواعياً. وعلى مدى ستة أسابيع، وهي فترة بقاء الحمى التيفية، كان سليماً تماماً. أصبحنا معتادين على الحالة واعتقدنا أنه يتماثل إلى الشفاء، لكن عندما أتيت ذات صباح واقتربت من سريره، حيّاني بطريقته السابقة ذاتها حيث وصفني بالمضيف الكلب والقرد – كان يلقي التحية على الأطباء دوماً بهذه الطريقة - وهكذا عرفت أنه عاد مجدداً إلى حالته القديمة. في اللحظة التي تعافى فيها من الحمى عاد إلى حالة الجنون. لكن إلى أين ذهبت طبيعته؟ لقد تراجعت إلى الخلف وتركت المجال للعفاريت. وهكذا ليس لدينا أي مبرر لكي نفترض أن المجانين أشخاص مدمّرون بشكل كامل. إن آخر شيء كنا قادرين على اكتشافه هي أن نفسهم الطبيعية تنسحب ببساطة، فلا تكون في العمل، ولا تكون في البيت – بل ربما تكون في القبو أو العليّة. أو ربما تكون في مكان ما في الخارج، ولا تكون قادرة على الوصول إلى هدفها إلا من خلال هاتف؛ وهكذا فالذات الطبيعية يمكن أن تدق الجرس في بعض الأوقات، لكن العفريت الذي يقطن في المنزل يغضب بشدة إذا أزعجه القاطن السابق.

لطالما تم الحديث عن آثار انسحابات كهذه في جنون نيتشه، وأنا لا أستغرب ذلك. لا يزال هناك أشخاص مقتنعين أنه لم يكن جنوناً حقيقياً، بل كان حالة نشوة من طبيعة غامضة للغاية، لدرجة أنه ترك مستوى العقل العادي ومضى إلى منطقة أعلى حيث لا مجال للعودة، وكنا حمقى تماماً لأننا لم نفهم ما الذي كان يفعله. الشيء الوحيد الملموس الذي لم أسمع به عن حالته في هذا المجال، والذي قد يشير إلى انسحاب غريب، هو أنه بعد أن ترك العيادات في "بازل" و"جينا"، وعاش مع أخته في "فيمار" قال لها مرّة وبشكل مفاجئ وبصوت هادئ يبدو وكأنه استجمعه بأسلوب مثالي: "ألا يبدو كل شيء مختلفاً، ونحن سعداء جداً الآن؟" لكنه عاد إلى حالته بعد ذلك مباشرة؛ بدا الأمر كما لو أن نفسه المنسحبة عادت مجدداً وأعلنت عن نفسها، كما لو أنها تستطيع استخدام الأسلاك للحظة معينة، ومن ثم تسحبها الغيوم إلى الأعلى ويعود إلى حالته مجدداً. هذا ليس بالأمر الاستثنائي على أية حال؛ كان معروفاً للأطباء بوضوح في القرون السابقة أن المرض الجسدي يعالج حالة الجنون على ما يبدو، لذلك قاموا بتطبيق وسائل معينة تسبب الألم أو الحمّى، وشاهدوا مرضاهم وهم يعودون إلى حالاتهم الطبيعية. اعتادوا على دهن المراهم التي تسبب تقرّح الجلد في رؤوس المرضى المجانين، مفترضين أن أبخرة الشر أو الفكاهة أو المزاج أو أياً كان سبب الجنون يمكن أن ينتهي، ويمكن أن يعودوا طبيعيين مجدداً. وكان هناك بعض الحقيقة في ذلك.

سنتابع الآن الفصل التالي بعنوان "عن شجرة الجبل". هذه هي الصورة التالية في سلسلة الصور الرائعة من اللاوعي الجمعي كما قدّمت نفسها في الشكل المتغير للإدراك الواعي: كل فصل هو مرحلة جديدة من تطور اللاوعي. رأينا حلقة الوصل بين فصل "المجرم الشاحب" وفصل "القراءة والكتابة"، وعلينا أن نصلهما الآن مع صورة "شجرة الجبل". وعلينا لمعرفة

الرابط بينها أن نأخذ بعين الاعتبار الأفكار الرئيسة المشار إليها في الفقرة الأخيرة من الفصل السابق. ما الفكرة الأساسية التي ظهرت هناك؟

الآنسة حنّة: فقدان الوزن.

الدكتور يونغ: نعم، الطيران، التحليق كطائر، أو كخصلة شعر أو غيمة.

الآنسة حنّة: ثم وصل إلى الشجرة، ذلك الشيء المتجذّر الذي لا يستطيع الحركة.

الدكتور يونغ: تماماً. الشجرة هي ذلك الشيء الحي المجبر على البقاء حيث ينمو؛ لا يمكنها أن تسحب جذورها لأنها حيوية، بل لا يمكنها أن تعيش إلا عندما تكون جذورها في الأرض. لذلك نرى أن الشجرة هي نقيض الطيران والكائنات الهوائية، وهي تتسم بذلك أكثر بكثير من الحيوانات كلها، وحتى الأفعى، لأن بإمكانها أن تتحرك. فالشجرة ترمز إلى شيء خاص جداً، ما هو؟

السيدة كرولي: إنها رمز الحياة النفسية.

الدكتور يونغ: يعتمد الأمر كله طبعاً على كيفية تعريف الحياة النفسية، فالأمر ليس بسيطاً.

الآنسة حنّة: أنت تستخدمها عادة كرمز للحياة اللاشخصية، الحياة التي يمرّ بها الشخص أثناء اهتمامه بالجانب الآخر من النفس.

الدكتور يونغ: لكن لماذا لا يمثّل أي حيوان آخر الحياة اللاشخصية بالطريقة ذاتها؟

الآنسة حنّة: لأن الشجرة كائن متجذّر، بينما الحيوان يستطيع التحرك؟

الدكتور يونغ: لكن يمكنك بطريقة لاشخصية أن تتحركي وتبقي متجذّرة في آن معاً.

السيدة باومان: تتطور الحياة النباتية بطريقة مستمرة، وهي قبل الحياة الحيوانية؛ كانت تُستخدم في السيمنارات الماضية بهذه الطريقة دوماً. وهي رمز للتطور في الشرق.

الدكتور يونغ: تمثل الشجرة بالتأكيد طريقة حياة مختلفة جداً عن حياة الحيوان؛ وعادة ما يكون لحيوانات الدم الحار دم أحمر مثلاً، لذلك يجب أن تمثل النباتات حياة غريبة جداً بالنسبة لما نسميه حياة. وبما أن هذا الرمز يُستخدم، وتم استخدامه دوماً من قِبَلِ اللاوعي الجمعي، علينا أن نفترض أن لدينا فكرة داخلية عن وجود حياة في أنفسنا غير تلك الحياة الحيوانية. وهذه فرضية جريئة للغاية، لكن ما الذي نعرفه فعلاً عن ذلك الأمر؟ نعرف القليل جداً عن الحياة. تقوم فرضيتنا على أن لاوعينا يقدّم أدلّة على حقائق معينة؛ تقول فرضيتنا إنه لا يمكن الاستفادة من الدليل الذي قدّمه اللاوعي بهدف الوصول إلى حالات معينة نظرياً، أي حالات غير معروفة بالنسبة إلينا. وهكذا إذا تحدث اللاوعي عن شجرة، وأحاط ذلك الرمز بكل الإشارات الهامة – الشجرة السحرية مثلاً، الشجرة التي تتحدث، أو الشجرة التي تعيش بها الآلهة – يمكننا حينها أن نكوّن الفرضية الأخرى التي تقول إن هذا الرمز يشير إلى حياة غريبة داخل حياتنا الحيوانية، حياة غريبة تماماً عن حياتنا، ويمكن أن نعبّر عنها غالباً بحياة النبات.

إذا افترضنا الآن أن حياة اللاوعي الجمعي هي حياة بشكل عام، أي ليست حياة الجنس البشري فقط بل حياة الحيوانات من قردة وخيول وفيلة، وحتى الأفاعي، فلماذا لا نفترض أنها أساس الحياة عموماً، لماذا لا نفترض أنها نماذج بدئية تتضمن احتمالات حياة نباتية أيضاً؟ يتميز كوكبنا بالتأكيد بالحياة النباتية كما يتميز بالحياة الحيوانية، وهناك عدد لا بأس به من الحيوانات التي تُعتبر حيوانات ونباتات بالتناوب. لنأخذ مثلاً حالة الطحالب التي يجدها المرء في النوافير أو البرك، تلك الكتل الخضراء التي

تبدو كغيوم في الماء. هي تتكون من خيوط مجهرية وتُعتبر نباتات من دون شكّ، بل تشكل خلايا صغيرة، تلك الأبواغ الصغيرة ذات الذيول، والتي تتحرك كالجهاز الحركي للخلية ذات السوط المسماة "الفلاجيتا"، والتي لديها عين صغيرة حمراء لكنها غير متجذرة إطلاقاً. هي تسبح بحرية وتتصرف مثل الحيوانات، وتتنقل في الماء وتسعى إلى مكان للاستقرار. وبعد فترة، تنمو لديها مقدرات طبيعية جديدة وتستقر على صخرة وتشكّل جذوراً وتصبح نباتات. هناك إذاً العديد من الحيوانات التي تشابه النباتات وتصنع جذوراً كالنباتات، مثل "شقائق نعمان البحر – *sea anemones*". وهكذا تتداخل الحياة النباتية والحياة الحيوانية في مراحلهما البدائية مما يُظهر أنها ليست مختلفة بالمطلق، على الرغم من أن نتائج تمايزهما على المدى البعيد لم تعد تظهر أن إحداهما كانت تشبه الأخرى؛ كانتا تتشكّلان من المكوّنات ذاتها في أشكالهما البدائية جداً. لذلك ليس غريباً أن نفترض أنه لو كان هناك نماذج بدئية يوماً ما فيجب أن يكون هناك نماذج بدئية للحياة النباتية أيضاً. وبشكل عام، تقدم هذه النماذج البدئية غالباً فكرة عن حياة مختلفة تماماً عن تلك التي عرفها الإنسان، حياة تختلف تماماً عن حياة الحيوان من حيث المبدأ. وبالتالي بعد ذلك الفصل عن الطيران، والمحاولة الخطيرة للقفز في فردوس الجنون، لن نستغرب أن لدينا الآن "إنانيا دروميا – الانتقال إلى الجهة المعاكسة"، أي لدينا فصل عن الشجرة التي تجذّرت في الأرض، والتي تناقض الطيران تماماً.

ذلك الشعور بفقدان الوزن أو الجاذبية، كما قلت سابقاً، هو بمثابة عَرَضٍ تحذيري؛ حالة كهذه هي مبالغة في الحياة الحيوانية، كما لو أن الحيوان يرتفع عن الأرض، ويتفوّق على الجسد. إنها حالة تشبه النشوة، وتختلف تماماً عن حياة النبات التي لا تتغيّر إلا تبعاً للفصول، وهي بطيئة وثابتة للغاية. يشبه منحني الحياة الحيوانية حالة نمو لا تهدأ، لكنها تتراجع

وتصبح عقيمة غير قادرة على التكاثر قبل فترة طويلة من وصولها إلى نهايتها؛ فهي تنتهي مثل الشمس أو النهار أو الفصول. تشبه حياة الحيوان المنحني فعلاً، بينما يكون نمو النبات ثابتاً للغاية، تتزايد دوماً وتستمر بالإزهار وإنتاج الفاكهة حتى يأتيها الموت بشكل مفاجئ كما يتضح من المخطط الآتي:

رأينا في الفصل السابق أن هذا الصعود والهبوط خطير للغاية. عندما يصعد، ينتقل تقريباً إلى الجنة، وهكذا ربما نتوقع حركة مقابلة من اللاوعي؛ إذا لم يكن أمراً تدميرياً كاملاً، ربما نتوقع بشكل شبه مؤكد حلماً تعويضياً يتضمن رموزاً يجب أن تعالج هذه الحالة من النشوة غير الطبيعية بغض النظر عن الجمال الذي تبدو عليه. وهذا ليس مفهوماً سخيفاً عن النشوة بل هو حقيقة؛ إن هجران الجسد مغامرة خطيرة دوماً، وجعلها فكرة أو وصفها بأسماء جميلة يعني تعزيز حالة لاواقعية خطيرة. لكن لدينا في حضارتنا الكثير من الأشياء التي تدعم سلوكاً من هذا النوع؛ فهو يبدو رائعاً ومميزاً وعظيماً. وبشكل طبيعي، عندما نتصاعد أو نتسامى يمكن أن نكون واثقين من أن الآخرين راضون تماماً عن أن شخصاً آخر يتصاعد ويتسامى، لأنه حينها يكون هناك مكان أكبر لأنفسهم. يقول

شوبنهاور إن "أنانية" المرء هائلة لدرجة أن بإمكانه أن يقتل أخاه لمجرد أن يلطّخ حذاءه بدهون أخيه،[1] وهي طريقة صياغة شديدة التشاؤم، لكنها تتضمن شيئاً ما؛ الإنسان ليس راقياً جداً. لكن لنعد الآن إلى النص:

"لمحت في عيني زارادشت فتى كان يتحاشاه دوماً."

هذا دخول في قصة، كما لو أن نيتشه اكتشف قصة أو دراما غير معروفة في نفسه ودخل في خضمّها؛ فنحن لم نسمع عن هذا الفتى سابقاً، ولم تظهر لديه أية حالة من هذا النوع. إننا ندخل في فضاء تجريدي مطلق من الاحتمالات التي لا تتضمن أي شيء ملموس، ثم يبدو فجأة وكأنه على الأرض، وثمة فتى يتجنّبه.

"لمحت في عين زارادشت فتى كان يتحاشاه دوماً. وبينما كان يتمشى وحيداً ذات مساء في الجبال المحيطة بالمدينة التي تُسمّى "البقرة المرقطة"، وجد ذلك الفتى جالساً إلى جذع شجرة يرمق الوادي تحته بنظرات ملؤها الأسى، فأسند زارادشت يده على الشجرة وخاطب الفتى قائلاً..."

من هو ذلك الفتى اللافت؟

السيدة سيغ: ربما يكون نيتشه ذاته، لأنه يقول لزارادشت في الفصل ذاته إنه هو من دمّره؛ أو ربما يمثل بطريقة ما مثالية "القرين" الخاص بأمه وأخته.

الدكتور يونغ: أبقي هذه الملاحظة في ذاكرتك الآن؛ إنها فكرة جيدة!

الآنسة حنّة: أظن أنه جسده الفعلي.

الدكتور يونغ: حسناً، بالنظر إلى التقاليد القديمة عن " *pneumatikos, psychikos, and hylikos*" (الإنسان الروحاني، والإنسان السيكولوجي، والإنسان المادي)،[1] كيف تصنّفين ذلك الفتى؟

---

[1] ليست المرة الأولى التي يقتبس فيها يونغ شيئاً عن شوبنهاور، لكننا لم نستطع اقتفاء أثر هذا الاقتباس.

الآنسة حنّة: مع الإنسان المادي، الجسد.

الدكتور يونغ: وكيف تصنّفين زارادشت؟

الآنسة حنّة: في أعلى حد ممكن.

الدكتور يونغ: نعم، سيكون طبعاً "الإنسان الروحاني".

الآنسة وولف: أعتقد أنه سيكون الشاب الطبيعي الذي لم يعش نيتشه حياته.

الدكتور يونغ: ربما شيء من هذا القبيل؛ لذلك يمكننا تصنيفه بسهولة في الأدنى باعتباره "إنساناً مادياً"؛ إنه يعيش في "شاكرا مولادارا" الخاصة بهذا العالم.

السيدة فيرز: ألا يمكن أيضاً أن يكون "إنساناً سيكولوجياً"، الإنسان الذي يشعر بفردانيته؟ - لأنه عندما ارتفع زارادشت عالياً، أصبحت روحه وحياته الخاصة، حزينتين للغاية.

الدكتور يونغ: كلاهما يمكن أن يشعرا بالحزن. سيشعر "الإنسان المادي" بالحزن لأنه بقي في الخلف، ولكونه أول من لاحظ أن ثمة ما هو ناقص؛ وسيشعر "السيكولوجي" بالحزن أيضاً لأنه سيشعر على مستوى آخر بفقدان الارتباط مع الحياة والمحيط والناس الآخرين. لذلك أعتقد أن بإمكاننا القول إنها جميعاً أجزاء متدنية، لأن زارادشت لا يعيش الجسد فقط، بل يعيش المجال الإنساني الذي سيكون "السيكولوجي".

البروفسور فيرز: لكن لماذا ظهر بهيئة فتى يافع؟

السيدة فيرز: هو يافع لأنه يمثل حياة لم تُعَشْ.

---

[1] تعود تقاليد الذات ثلاثية الجوانب بالحد الأدنى إلى زمن هوميروس الذي تكلّم عن "Psych, Nous, and Thumos" وهي تعني الروح، وطاقة الحياة، والجسد، والتي أصبحت في زمن "جمهورية أفلاطون" متمايزة بوضوح وتعبّر عن الشهية، الروحانية، العقلانية.

الدكتور يونغ: البشر الذين لم يعيشوا غالباً ما يبقون شباباً. ويُعتقد أن تلك ميزة عظيمة.

السيدة سيغ: أعتقد أنه إذا كان زارادشت يمثل والد نيتشه، فهذا الفتى يمثّل ابنه: ثمة نموذجان بدئيان فيه.

الدكتور يونغ: نعم، لكن زارادشت، باعتباره نموذجاً بدئياً، لم يتم الشعور به كوالد لنيتشه؛ لقد تماهى معه بصفته العجوز الحكيم. يمكننا طبعاً أن نقول إن هذا الفتى هو ابنه، وإن زارادشت تعامل معه بصفة أبوية، لكن هذا موضوع آخر. يمثل زارادشت النموذج البدئي للعجوز الحكيم، ويمثل هذا الفتى الشباب غير الخاضع للتجربة، أي إنه التلميذ.

السيدة سيغ: تميل الشخصية لتكون بشرية.

الدكتور يونغ: إنه الشيء البشري الذي لم يعش بما يكفي، لم يتطوّر. سنرى كيف يتضح ذلك في النص، حيث يقول زارادشت:

"لو أردتُ أن أهزّ هذه الشجرة بيدي لما استطعت. لكن الريح التي لا نراها تعذّبها وتلويها كيفما أرادت. ونحن أيضاً تعذبنا أفظع الأيادي الخفية وتلوينا".

ما الذي يعنيه بهذه الملاحظة الغامضة؟

البروفسور ريكستين: أعتقد أنه يصف حالته الخاصة؟

الدكتور يونغ: تماماً، هكذا كانت حالته تماماً. الشجرة، باعتبارها شجرة الحياة، تمثل الشيء المتجذّر في الحياة، ولا يمكنها الهروب من موقعها المغروسة فيه؛ والريح تلوي هذه الحياة بقوة وتعاملها بقسوة، وتلك الريح هي "الإنسان الروحاني" زارادشت. إنها حالة "إنسان مادي" تعذّبه روحه. لكن من أين أتت تلك العبارة؟ إنه أشبه باقتباس.

السيدة باومان: من الإنجيل. "اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ".

الآنسة فون كونيغ: سابقاً تم ترجمتها على الشكل الآتي: "*Der Geist geistet wo er will*".

الدكتور يونغ: نعم، لأنها في النص الإغريقي "*pneuma*"، الروح القدس، لذلك يمكن ترجمتها إما كريح أو كروح؛ إنهما من الجوهر ذاته.

فنهض الفتى مذعوراً وقال: "أسمع صوت زارادشت! وقد خطر بذهني للتو".

فأجاب زارادشت: "وما الذي أخافك إذاً؟ فالإنسان مثل الشجرة.

كلما ازداد سعيه إلى الأعالي والنور، مالت جذوره للتوغّل في الأرض، في الأسفل، في العتمة – في الشرّ".

هذا تماماً ما نتحدث عنه: عندما تكون القفزة عالية للغاية، سيكون هناك حركة تعويضية في الأسفل، في الأرض. يظهر هنا نمط الحياة الحيواني، ويؤكد النمط النباتي نفسه بذهابه إلى الظلام، حتى إلى الشر. وهذا يلقي الضوء على المعنى الجوهري لفصل "المجرم الشاحب"، وعلى التلميح اللافت للغمامة السوداء في فصل "القراءة والكتابة".

السيدة سيغ: كان نيتشه في أعماق إجرامية في فصل "المجرم الشاحب"، ومن الغريب أنه تصرّف أثناء مرضه الحقيقي وكأنه شجرة. بين شهر ديسمبر – كانون الأول عام *1888* وحتى شهر يناير – كانون الثاني عام *1889*، أصبح مريضاً. وأول شعور راوده بعد ذلك هو أنه عديم الثقل، وأحياناً في حالة من النشوة العظيمة، عندما رقص في الواقع مثل كلب؛ وقالت أخته إنه كان يعود إلى حالته المرضيّة في الأشهر ذاتها على مدى خمس سنوات.

الدكتور يونغ: يلاحظ المرء ذلك في حالات أخرى أيضاً. عندما تنخفض طاقة الشمس ويسود الليل، يكون وقت ظهور الأشباح الشيطانية. تظهر هذه الحالة بشكل متكرر مع اقتراب عيد الميلاد، وقد رأيت حالات ظهرت

فيها أحلام مرعبة في تلك الفترة؛ كل شيء يحمل سمات الليل واللاوعي يكون حينها أقرب إلى الوعي، ويهدد بالسيطرة. ربما حدث الأمر نفسه في حالة نيتشه أيضاً. لكن ما أردت الإشارة إليه هنا هو الآتي: بما أن الشجرة تعوّض عن نشوة زارادشت، فيجب أن تغوص جذورها بشكل أعمق بكثير كي تعوّض عن ذلك الارتفاع. في فصل "المجرم الشاحب" بدأ بالارتفاع فعلاً وإخراج نفسه من الجريمة والشرّ؛ ولأنه مجرم شاحب، لم يستطع الوقوف أمام مشهد الشرّ وحاول الابتعاد عن ذلك المجال؛ وفي الفصل التالي عن "القراءة والكتابة" كان لديه سلفاً ذلك المجال القاتم تحت قدميه، تلك السحابة الداكنة التي يخافها الناس. ومن ثم قفز في الهواء وتغلّب على الظلمة والثقل؛ ومع هذا الابتعاد تأتي المشكلة: إذا قفز المرء عالياً فستتبعها الحركة المقابلة. والآن، تذكر أننا تعاملنا في بداية الكتاب مع لحظات قاتلة للغاية.

السيدة باينز: هل تقصد راقص الحبل؟

الدكتور يونغ: نعم، "إلى الأعلى ترمي حجرك، لكنه سيسقط عليك". هذه هي النشوة، القفز في الأعلى في الهواء، ومن ثم التحطم. وهنا تظهر الشجرة كي تنقل رسالة إلى زارادشت تبلغه فيها أنه كلما نما إلى الأعلى، ازداد عمق جذوره في الأرض؛ إذا كان عبارة عن شجرة، فلن يستطيع القفز في الهواء لأنه سيغرق في اللحظة ذاتها عبر غرس جذوره في أعماق الأرض؛ وإذا ارتفع إلى الجنّة فسوف تلامس جذوره الجحيم. هذا تماماً ما لا يعرفه، وما ينبغي أن يعرفه. كما حملت الشجرة رسالة تقول إنها متجذرة في الأرض، وعليها أن تقاوم كل عاصفة، حتى عاصفة الروح التي لا يستطيع *زارادشت* مقاومتها، وعلينا هنا أن نقول "نيتشه وليس زارادشت" على الرغم من أنه متماهٍ مع زارادشت. لا يستطيع نيتشه مقاومة العاصفة؛ فهي تحركه كما لو كان ورقة جافة، وهنا مكمن الخطر تحديداً. لكن الشجرة، مع أنها

تتعذّب كثيراً وتتشوه، إلا أنها تقاوم. وهكذا تقول الشجرة لزارادشت: "عليك أن تقاوم جميع القوى الفاعلة في الأرض والسماء كي تبقى في موقعك". لكنكم تعرفون أنه عندما تحرّكنا الروح، نعتقد أن ذلك ملائم جداً ومحترم للغاية: يريد الجميع أن يتأثر بالروح. يمكنك أن تقرأ قصتك الخاصة في العهد القديم والعهد الجديد. ولم ندرك الخطر في الوقت نفسه؛ إنها إحدى القوى الرئيسة الأربع قبل كل شيء. فالروح عبارة عن ريح، والريح عبارة عن روح.

السيدة سيغ: أليست الشجرة رمزاً للنوع الذي يتغذّى من التربة ومن الهواء؟

الدكتور يونغ: نعم، تشكل الشجرة رابطاً مع العالمين؛ تنمو الأغصان في الأعلى في الهواء عبر أنفاس الروح التي تمنح الحياة، وتتغذّى الجذور من عصارة الأرض، ممتصة الماء وجميع العناصر المغذية. لذلك تعتبر الشجرة رمزاً جميلاً وكاملاً. لكن علينا أن نتذكر دوماً أن الشجرة ترمز لحياة غريبة تماماً بالنسبة إلى عقل الحيوان؛ عندما يظهر رمز الشجرة، يعني ظهور نمط جديد للحياة. يبدو الأمر كما لو أن نمط حياة جديداً يبدأ ضمن حياة الإنسان الحيوانية. يجد المرء تعبيراً عن هذه الفكرة ضمن كل طائفة باطنية غامضة؛ تعني طقوس البدء تعريف الإنسان بنمط حياة آخر لم يكن يعرفه من قبل، ومن المعروف للبدائيين أن الإنسان لا يكون إنساناً إلا عندما تصله هذه المعرفة، أي عندما يعرف الجانب الآخر أيضاً. ويُدعى ذلك حياة الروح لكنها ليس حياة الروح فقط بل حياة الأرض أيضاً. إنه موقف جديد من السماء والأرض، وبالتالي من الشجرة التي تعيش من خلال الهواء أو الضوء وكذلك من خلال التربة. يتطفل الحيوان على النباتات، لكن النباتات تتغذى على العناصر الأصلية؛ الحيوان ثانوي سلفاً، وهو أشبه بالمتطفّل الذي يعيش على النباتات، والبشر متطفّلون أيضاً بقدر ما

هم حيوانات. لذلك يجب أن نعرف الحياة الثانية؛ علينا في الحياة الجديدة الثانية أن نعود إلى حالة الوجود تلك، الحالة التي تهضم العناصر الأساسية، وتتغذى على المواد غير العضوية. فهذه وجهة نظر هامة جداً من الناحية الرمزية.

"أجل، في الشرّ!" صاح الفتى. "لكن كيف استطعت أن تكشف خفايا نفسي؟ فردّ زارادشت مبتسماً: ربما لا يمكن للمرء أن يكشف خفايا نفس ما لم يبتدعها أولاً".

ما الذي يعنيه بذلك؟

السيدة سيغ: شيئاً في غاية الأهمية لأن ما أسميته اكتشاف الروح لا يمكن الوصول إليه إلا بالابتداع؛ إن فردانيتنا شيء عليك أن تبتدعه بنفسك فعلاً. كان نيتشه متماهياً دوماً مع أشخاص آخرين، مع والده على سبيل المثال، وهو لم يبتدع فردانيته الخاصة.

الدكتور يونغ: أنت على حق تماماً. تعرفين أن كلمة "ابتدع – *invent*" قد أتت من الكلمة اللاتينية "*invenire*"؛ وكلمة "*venire*" تعني "القدوم"، وكلمة "*invenire*" تعني "الدخول". وبالتالي أن تبتدع شكلاً جديداً للحياة يعني أن تعيش نوعاً جديداً من الحياة. ويبدو كما لو أن نوع الحياة الجديد هذا لم يكن موجوداً بحد ذاته، ليس بالنسبة إليك على الأقل؛ إنها حياة غريبة تماماً لا تعرفها، ومن الواضح أنك لم تتواصل معها. هي بعيدة جداً لدرجة أن عليك العثور عليها، أن تبتدعها؛ عليك اقتحامها بغية معرفتها. وتم التعبير عن هذه الفكرة أيضاً في طقوس البدء من خلال فكرة التنقيب والبحث، وكأنها حملات استكشاف لابتداع شيء ما: أن تسعى للعثور على شيء جديد. ربما يكون بحث فارس تائه يسعى إلى الكتاب المقدس أو الكأس المقدسة، أو يسعى إلى المخاطر بهدف تعزيز شجاعته؛ أو ربما يعني البحث عن كنز دفين، أو كيفية صناعة الذهب. فهذه المجازات كلها تعني الشيء

ذاته، أي تعني طريقة الابتداع، طريقة العثور على شيء، والعثور على شيء متضمن في ابتداع الشيء غير الموجود حتى الآن. لكن كلمة "*to invent*"، تعني الدخول إلى الشيء؛ عندما تبتدع شيئاً، فأنت تدخل ضمن شيء موجود سلفاً مع أنه غير مرئي. يبدو الأمر كما لو أنك تدخل إلى بيت لم تره من قبل، وتستنتج بالتالي أنك ابتدعته، لكنه كان موجوداً قبل أن تولد، وصادف أنك عثرت عليه. والكلمة الألمانية التي تعبّر عن الابتداع هي "*erfinden*"، وتعني "الاكتشاف الكامل – *thorough finding*": كان موجوداً سلفاً، لكن صادف أنك أنت من عثر عليه؛ أنت لم تصنعه بل عثرت عليه وحسب. وبالتالي فإن ابتداع الروح يعني أنك عثرت على الروح واقتحمتها لكنها كانت موجودة سلفاً.

هذا ما يلمّح إليه زارادشت هنا – أن روح الإنسان التي تعني الحياة السرّية للإنسان، يجب ابتداعها دوماً، أو ستبقى غير موجودة. وهو يصرّح تصريحاً سيكولوجياً حقيقياً عندما يقول إنه ليس هناك محتويات نفسية لا يجب ابتداعها طالما أنها في منطقة اللاوعي. فعندما تكون لاواعياً لشيء ما، يكون بالفعل غير موجود بالنسبة إليك؛ هو غير موجود في عالمك. إذا أردت العثور عليه، عليك أن تبتدعه ليصبح موجوداً. لكنه موجود سلفاً؛ لا يمكنك ابتداع شيء نفسي غير موجود مسبقاً بل يمكنك الدخول إليه وحسب. خذ مثلاً مبدأ "القرين والقرينة"؛ هو موجود دوماً ويمكن للجميع رؤيته. لكن أولئك الذين استحوذ عليهم هذا المبدأ لا يستطيعون رؤيته. هم يقولون: "لقد ابتدعناه"، وهذا صحيح؛ لقد اقتحمته بنفسي، وأنت اقتحمته بنفسك أيضاً. لأن على المرء أولاً، أن يبتدعه بغية أن يرى ما هو.

المحاضرة الخامسة

5 حزيران – يونيو 1935

الدكتور يونغ:

تسأل السيدة باومان عن الفرق بين شخصية العجوز الحكيم في كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت***، والعجوز الحكيم في أخيولات المرأة التي عالجناها في السيمنار السابق.[1] هناك فرق ملحوظ بين تلك الشخصية كما بدت في حالة المرأة، وكما بدت في حالة الرجل. إنها في الرجل، كقاعدة عامة، النموذج البدئي الأصلي، لكن زارادشت نيتشه لم يكن العجوز الحكيم النمطي؛ إذ لم يكن نمطياً إلا في بعض المواقع التي كان فيها نيتشه متماهياً معه، وهكذا طمس الصورة. ثم اختلط النموذج البدئي مع السمات الشخصية التي لا يحتويها عادة. أما شخصية العجوز الحكيم لدى المرأة فهي شديدة الندرة، وليست نمطية أبداً لأن الحكمة في حالتها تكون مرتبطة عادة مع الأم النموذجية البدئية. وفي حالات معينة أشارت إليها باومان، لم يكن النموذج البدئي نمطياً بل كان زائفاً لأنه كان علينا أن نتعامل حينها مع "قرين" ضخم كان يتعارض كثيراً مع غرائز المرأة، ويتداخل مع الجانب

---

[1] "سيمنار الرؤى – The Visions Seminars"، شتاء 1931 (زيورخ، 1976). انظر الكتاب الثاني، الصفحة 268 – 273.

الأنثوي من شخصيتها. كان هناك نزعة ذكورية لافتة جداً عززت شخصية "القرين"؛ ذلك هو سبب ظهور العجوز الحكيم من الأساس. ومع امرأة أنثوية جداً، يرتبط النموذج البدئي للعجوز الحكيم دوماً مع الأم، وتظهر صورة الأب في "القرين". لذلك من الخطأ أن نتعامل مع شخصية العجوز الحكيم في الحالتين كلتيهما باعتبارها شخصية نمطية. أعتقد أننا لا نخطئ مطلقاً إذا افترضنا أن عنصر العجوز الحكيم الخاص في حالة المرأة مرتبط بالنموذج البدئي للأم، وما يُطلق عليه الأم الأرض، ويرتبط في حالة الرجل مع شخصية تشبه الأب، أي العجوز الحكيم النمطي. إن تسلسل هذه الصور لدى المرأة، والطريقة التي تظهر بها تجريبياً هي أولاً، "القرين" باعتباره تجسيداً للاوعي، وحكمة بهيئة الأم. ويكون العكس تماماً لدى الرجل: تظهر "القرينة أولاً باعتبارها تجسيداً للاوعي، وعنصر الحكمة على شكل العجوز الحكيم. وهكذا عندما نتحدث عن العجوز الحكيم، نقصد عادة الشخصية كما تظهر في الرجل، لكن يمكن لمبالغة معينة "للقرين" أن تُنتج ذلك النموذج البدئي لدى المرأة، كما يمكن أن يظهر النموذج البدئي للأم لدى الرجل. ويجد المرء مثلاً فكرة الأم الأرض في الأسطورة الشمالية التي تتحدث عن "ووتان" وقد شق طريقه إلى "إيردا" بهدف التحري عن المستقبل، ولكي يتعلّم حكمة الأم.[1] لكن الأرض الأم نموذج بدئي باهت لدى الرجل، وهو لا يعمل كما هو الحال مع المرأة. ومع أن النموذج البدئي للعجوز الحكيم غير موجود لدى المرأة، فإن له أهمية عملية بسيطة. سنتابع الآن فصل "عن شجرة الجبل":

---

[1] تحت شجرة الدردار العظيمة التي تُسمى "إغراسيل" تجلس "أوردر"، بئر الحكمة حيث عاشت "إيردا"، وحيث تطلب الآلهة المشورة غالباً. أنظر كتاب "سنوري ستورلوسون" (1179 – 1240)، بعنوان "The Prose Edda"، وترجمه إلى الإنكليزية "أي. جي، برودير – A. G. Brodeur" (نيويورك، 1916)، صفحة 488.

"أجل، في الشرّ!" صاح الفتى. "لكن كيف استطعت أن تكشف خفايا نفسي؟ فردّ زارادشت مبتسماً: ربما لا يمكن للمرء أن يكشف خفايا نفس ما لم يبتدعها أولاً".

"نعم، في الشرّ!" صاح الفتى مجدداً. قلتَ الحقّ يا زارادشت، لقد تلاشت ثقتي بنفسي منذ أن بدأت أطمع لبلوغ الأعالي، ولم أعد أحظى بثقة أحد، فما السبب يا ترى؟

إنني أتحوّل بسرعة كبيرة فيدحض حاضري أمسي، وغالباً ما أتخطّى الدرجات قفزاً في صعودي، وهو ما لا تغفره أية درجة.

عندما أبلغ قمّة، أجد نفسي وحيداً دوماً. لا أحد يتكلّم معي، وأرتجف من صقيع الوحدة. ولا أدري ما الذي أسعى إليه في هذه الأعالي؟

يساير احتقاري رغباتي في نموها، فكلما ازددت ارتفاعاً، ازداد احتقاري لذلك الذي يرتفع، ولا أدري ما الذي يسعى إليه في الأعالي؟

لكم أخجلني ارتفاعي وتعثّري! ولكم أسخر بتهدّج أنفاسي! لكم أكره الطيران! لكم أنا متعب من الأعالي!

ما معنى هذه الفقرات؟ وما الذي يتذمّر منه الفتى؟

السيدة باينز: أعتقد أنه منزعج بسبب شعوره بأنه لم يجمع شتات نفسه كلها عندما حاول الصعود.

الدكتور يونغ: لكن ما الذي أثّر به بشكل واضح؟

السيدة باينز: أنه كان وحده تماماً قبل كل شيء، وأنه لا يتحد مع نفسه بسبب انحيازه؛ هو يقف إلى جانب "الروح أو الهواء، باللغة الألمانية - *Geist*" فقط.

الدكتور يونغ: نعم، لقد ارتفع أبعد مما يجب، وكان يرقص على الغيوم، وهنا جاء الاعتراف الذي يرمز إليه الفتى. فمن هو هذا الشاب؟

الآنسة حنّة: نيتشه، كما أعتقد.

الدكتور يونغ: نيتشه هو الشخصيات كلها كما نعرف، لذلك لا يمكن أن يكون هذا الفتى سوى جزء معين.

البروفسور ريكستين: إنه الجزء الطبيعي.

الدكتور يونغ: نعم، هو يظهر ردّ فعل طبيعي جداً؛ إنه في حالة شكّ هائل بما يخص قفزة زارادشت. لقد شارك بها طبعاً، لكن عندما كان زارادشت يرقص فوق السحاب لم يكن هناك شاب. لقد ظهر الآن تحت رمز الشجرة، وجسّد الشك فعلاً. فإلى ماذا ترمز حقيقة أنه شاب؟

البروفسور ريكستين: ترمز إلى أنه لم يتطور حتى الآن؛ إنه شاب على النقيض من زارادشت.

الدكتور يونغ: باعتباره النموذج البدئي للعجوز الحكيم فإن زارادشت عجوز دوماً، لكن أحياناً، عندما يندمج كثيراً بنيتشه، يبدأ القفز كالقطة الصغيرة، ويبدو حينها سخيفاً للغاية. تخيّل زارادشت بعباءته الطويلة راقصاً، يا للسخف! – الطعام السيئ مقنع فعلاً. لو كان شاباً لتغير الموقف، لكن لا يمكننا أن نتخيّل زارادشت وهو يقفز راقصاً مثلما لا يمكننا أن نتخيّل زارادشت الفارسي الحقيقي مؤسس الدين: يجبره اسمه على أن يكون محترماً. وهكذا عندما بدأ الرقص كان الأمر كوميدياً؛ بدا أشبه بعنصر مَرَضيّ. لو كان نيتشه مجنوناً فعلاً عندما تحدث بتلك الطريقة السخيفة، لما ظهر أي ردّ فعل على ذلك؛ كان سيتم قمعه. عندما يقفز زارادشت، سوف يعلق في الهواء من تلك اللحظة فصاعداً – يبقى معلّقاً ويتحدث ربما عن أشياء من سوية عالية غير طبيعية، وفيها الكثير من الجنون. لكن بما أن نيتشه لم يكن مجنوناً حينها، فقد ظهر ردّ الفعل الطبيعي لديه، وتمت الإشارة إليه من خلال عنوان هذا النص، "شجرة الجبل"، التي ترمز إلى العكس تماماً، ترمز إلى شيء متجذر. ولو كان مجنوناً، لما وُجِدَ ذلك الفتى. لكن نيتشه لا يستطيع أن ينكر وجود

الشخصية المناقضة؛ يوجد مقابل العجوز الحكيم ذلك الشاب الحزين إلى حد ما، مع تلك الحالة المَرَضية التي أتى بها زارادشت. يبدو الأمر كما لو أنه كان ينقل الموقف إلى نفسه.

كما ترون، ذلك الذي كان يجاهد في الأعلى كان فعلاً زارادشت. وكان الفتى اليافع يخضع لإغواء زارادشت للقيام بشيء ليس سيئاً بالنسبة إلى شاب يافع؛ إذا تحمّس الشاب وخسر الأرض الراسخة تحت قدميه لفترة من الزمن، فلن يكون ذلك خطيراً: يُفترض به أن يفعل ذلك. لكن إذا قفز زارادشت في الهواء، فذلك سخيف جداً. وبما أن الشاب تماهى مع زارادشت، فهو يشعر بوخز الضمير ذاته الذي يشعر به زارادشت. يقول زارادشت: "إنني أتغيّر بسرعة فائقة" – بمعنى أن زارادشت جاء إلى رمز الشجرة، وإلى إدراك يختلف عن إدراكه السابق، بينما تحدث الشاب اليافع كما لو أنه زارادشت، وتولّى مسألة الضمير السيئ الذي يجب أن يشعر به زارادشت بسبب تغيّره. كان يرقص البارحة على الغيوم، واليوم يناقض نفسه، "*يدحض حاضري أمسي*". وإذا فكّر زارادشت في نفسه كبطل، يستطيع بشكل طبيعي أن يفعل أي شيء يريده، لكن إذا فعل الإنسان ذلك، فسيتم اتهامه بالقيام بسلوك غريب منافٍ للعقل وغير مسؤول. لذلك يمثّل الشاب الجزء الطبيعي من نيتشه، والجزء الذي لا يصل لمستوى زارادشت؛ إنه نسخة جديدة من المجرم الشاحب. حالما تفوّق نيتشه على نفسه ظهرت شخصية المجرم الشاحب الذي لا يستطيع أن يحتمل النظر إلى نفسه، وغير قادر على البقاء في مستواه الخاص لأنه مرتفع جداً. والآن يتأمّل زارادشت الشجرة التي يقفان إلى جانبها قائلاً:

"تقف هذه الشجرة تقف وحيدة هنا فوق الجبل؛ لقد امتدّت عالياً فوق الإنسان والحيوان.

ولو أرادت الكلام فلن تجد من يفهمها؛ لطالما نمت وامتدّ علوّها.

وهي تنتظر الآن وتنتظر، ما الذي تنتظره يا ترى؟ إنها تُقيم قريباً من السحب؛ ربما كانت تنتظر أول صاعقة؟"

ما الذي يعنيه إصرار زارادشت على هذه السمة الخاصة – أن الشجرة تقف وحدها على الجبل؟

الدكتور شليغل: إنها حالة زارادشت نفسه.

الدكتور يونغ: نعم، بقدر ما تماهى نيتشه مع زارادشت، فهي حالة نيتشه نفسه. إنه صراع خاص للغاية؛ الشاب هو الإنسان العادي صاحب الفطرة السليمة، والذي يعرف تماماً أن القفز في الهواء يعني السقوط مجدداً، وسيظهر ردّ فعل نتيجة لذلك. لكن زارادشت ليس من البشر العاديين بل شيء غير بشري أو فوق بشري؛ من هنا جاءت فكرة الإنسان الأعلى. ومع ذلك فإن ذلك العنصر الذي شكّل زارادشت هو واقع حيّ في نيتشه، وقد ارتفع به عالياً إلى الغيوم. وبقدر ما يكون زارادشت حقيقة واقعية في نيتشه، فهو يشبه الشجرة التي تقف وحدها في الجبل فوق البشر العاديين. لذلك ينشأ هنا نوع من التمييز؛ يحاول زارادشت أولاً أن يرتفع كثيراً، وهذا يخضع للانتقاد في هذا الفصل، مما يشير إلى سلوك غير طبيعي. إنه يقترب من الجنون.

يتضمن القفز في الهواء نواة الحقيقة إذن. ويتوافق ذلك مع واقع نيتشه نفسه؛ ثمة عبقرية استثنائية في نيتشه يمكن تشبيهها بكونه أعلى من البشر العاديين. وترجع هذه القفزات الكوميدية إلى حقيقة أن الإنسان العادي يريد القفز إلى الأعلى أيضاً، وعندئذٍ تصبح متنافرة. إذا استطاع الإنسان العادي أن يحافظ على هدوئه ويبقى في الوادي، ولا يحاول تقليد زارادشت، تصبح الأمور كلها مقبولة: سيكون هذا الوضع هو الطبيعي. تستطيع الشجرة الوقوف هناك لأنها شجرة، هي ليست إنساناً بل رمزاً للنمو، بينما يكون الإنسان في الأدنى، في الوادي. لكن لأن نيتشه تماهى مع

زارادشت، فلا يمكن أن يكون شجرة؛ يجب بالضرورة أن يكون كائناً بشرياً تجاوز نفسه، وذلك التصرّف يشبه رقصة زارادشت، والسير في الهواء، وهو أمر غريب. ذلك كله ناتج عن تماهي نيتشه مع زارادشت، وتماهيه مع الفتى اليافع، وتماهى الفتى بطبيعة الحال مع زارادشت وتولّي مسؤولية كل ما يجب على زارادشت أن يشعر به من وخز الضمير جرّاء ذلك السلوك الغريب السابق. لذلك نشأ هذا المزيج العام. ولاستعادة الحالة الطبيعية والإنسانية، على المرء أن يميّز بين نيتشه وزارادشت، نيتشه باعتباره إنساناً، وزارادشت باعتباره النموذج البدئي الذي تجذّر في البشرية منذ الأزل – ولأنه متجذّر، هو يشبه الشجرة.

ثمة أشجار غريبة في الغابة قد يبلغ ارتفاعها ستين متراً أو سبعين، وهي تُعتبر مقدسة؛ ترتفع كثيراً فوق الأشجار العادية، وعادة ما تسكنها الأشباح أو الشياطين فتصدر أصواتاً لا بدّ أن تُطاع. ويوجد في الهند أشجار معينة يُعتقد أنها مسكونة بـ "*trimurti*"، أي الثالوث المقدس الهندي؛ وعادة ما يكون لديهم في القرى "شجرة بوذا المقدّسة - *asvatta*"، وتحتوي الشجرة أحياناً على ثقب في الجذع يُفترض أنه مكان إقامة الإله، أو يكون الإله مقيماً في الأغصان. إنه فكرة روح الغابة ذاتها،[1] مع فرق محدد طبعاً. يعتقد البدائيون أن روح الغابة تسكن في حيوانات معينة يرتبطون بها. فإذا كان للنمر "روح غابة"، وكانت هذه الروح موجودة أيضاً لدى شخص ما، فإن ذلك الشخص هو أخ للنمر – أو لثعبان البايثون أو التمساح؛ كما تسكن "روح الغابة" النباتات من جانب آخر، أو تسكن الصخور أو الأنهار، وحينها يكون ذلك الشخص أخا النهر أو الصخرة أو النبات. وهذا يتضمن اعترافاً بأن جزءاً من نفس الإنسان ليس إنسانياً أساساً. وهو من الناحية

---

[1] يعبّر البدائيون عن وجود روح أخرى لهم تقطن في الغابات أو الأشجار أو الحيوانات، وهي تسمّى عادة "روح الغابة – Bush soul". المترجم

الجوهرية ليس اعتقاداً بدائياً، بل هو حقيقة ندعوها إسقاطاً – نحن لم نعد نعرف ذلك الإسقاط، وأصبحنا غير واعين لوجوده. وأعتقد أنني لم أقابل أوروبياً واحداً كان مدركاً لوجود "روح الغابة" لديه، لكنني أشك في ذلك: ثمة حالات قاربت ذلك. ثم هناك ظاهرة أخرى لروح الغابة ملحوظة جداً لدينا هل تعرفون كيف يتم اختبار ذلك؟ عندما تختفي الآلهة من الأنهار والأشجار والجبال والحيوانات، تصبح أشياء عادية جداً.

السيدة فيرز: هل هي "*Die Tücke des Objekts*"؟[1]

الآنسة وولف: هل هي عناصر تصبح متحركة، كما في الظواهر الغامضة مثلاً؟

الدكتور يونغ: نعم، هناك حالات واضحة للغاية تقوم فيها بعض قطع الأثاث، أو صور معينة، أو ما شابه ذلك، بالتصرف بطريقة غريبة للغاية. يرى المرء ذلك في "التخاطر"، وأدنى شكل له هو في "*Die Tücke des Objekts*"، حيث تخدعك بعض الأشياء المادية الملموسة. والمثال الآخر هو اعتمادنا على الأشياء: نكون تعساء للغاية إذا لم يكن لدينا أشياء معينة عزيزة علينا – يضيع بعض الناس أحياناً من دون تلك الأشياء. أنتم تعرفون تلك القصة الشهيرة عن كانط: "روح غابته" الخاصة التي كانت تقع خارج نفسه وتوجّهه باستمرار هي الزرّ الأعلى من معطف أحد مستمعيه الذين يتابعون محاضراته بشكل دوري سنة تلو الأخرى. اعتاد أن يتحرك جيئة وذهاباً محدقاً بذلك الزر العلوي؛ لقد طوّر أفكاره كلها من خلاله، وعندما تغيّب مرة عن الحضور، لم يستطع إلقاء محاضرته. وقام بتأجيلها لأن الإله كان غائباً. كان البدائي سيدرك ذلك ويقول: "هذا الزرّ مقدس، معبود،

[1] انظر محاضرة 30 كانون الثاني يناير عام 1935. (العبارة تعني خبث الأشياء: عندما أقول عن شيء ما إنه ميت وحقير وخسيس، يصبح حياً على الفور) المحاضرة الثانية من شتاء 1935. صفحة 352 في الكتاب الأصلي.

أرجوك اعتنِ به دوماً وأحضره معك ليلهمني، وإلا فسوف أضيع". لم يفكّر كانط بشيء كهذا مطلقاً، لكنها الحقيقة. أستطيع أن أتحدث عن العديد من هذه الأشكال. ثمة قصة لم يستطع "شيلر" أن يكتب شيئاً منها قبل أن يشمّ رائحة التفاح العفن الغريبة، لذلك يكون لديه دوماً تفاح عفن في درج مكتبه. يمكن للعادات الغريبة أن تتخذ موقع المعبود. إننا نستخفّ بهذه الأشياء لأنها تافهة للغاية؛ نعتقد أنها مجرد سخافة، لكن إذا نظرنا إليها من الناحية الوظيفية، نرى أنها تلعب دوراً هاماً في نفوس أولئك الناس. على سبيل المثال، إذا تغيّب أحد متابعي كانط، أو بدلاً من أن يكون لديه خمسون متابعاً كان له واحد أو اثنان، كان سيستطيع إلقاء المحاضرة – وربما كان سيستطيع إلقاءها حتى ولو كان مريضاً – لكنه لم يستطع ذلك عندما تغيّب ذلك الزر. كان لديه "روح غابة" أخرى في كنيسة ينظر إليها من نافذة مكتبه، وعندما تم هدمها أصبح عاجزاً عدة أشهر لأنه فقد ذلك "المعلَم المعروف". تشبه ظاهرة "روح الغابة" وجود "معلَم معروف"، وكان للبدائيين دوماً معالم معروفة مثل المزار أو "الشورينغا" الخاصة بالسكان الأصليين لوسط إستراليا مثلاً – وعلى مستوى أهمية هذا المعلَم بالنسبة إليهم، يفترضون مباشرة أنه يضجّ بالحياة، وأن فيه الروح. والأمر ذاته عندما يخفف شخص ما من مشكلته بالحديث عنها أمام أحدهم؛ حتى ولو لم يفهم هذا الآخر كلامه بشكل كامل، يكفي أن يتحدث إليه عن أشياء معينة حتى تصبح واضحة أمامه. وأحياناً يقول أحدهم بامتنان: "عندما أتحدث إليك، يخطر بذهني دوماً فكرة جديدة، مفترضين أن الشريك الذي يتحدثون إليه يعطيهم فكرة جديدة أو يترك لديهم أثراً معيناً.

فيما يخص الشجرة، تقوم وجهة نظرنا على أنه كان لدى نيتشه "روح غابة" متماهية مع النموذج البدئي للعجوز الحكيم، ويجب أن يتعلّم من هذا الفصل أن العجوز الحكيم ليس إنساناً، بل هو من طبيعة الشجرة

أيضاً، لذلك لا يستطيع المرء أن يتماهى معه. وتبين معتقدات الهندوس التي تقوم على أن الآلهة تتماهى مع الأشجار أحياناً، أو أنها تعيش في بعض الحيوانات، أنها ليست بشراً. لذلك فإن الحلم بالحيوانات أو بنباتات مثيرة للإعجاب يعني الحلم بالإله، لأن هذه الأشياء ليست بشراً. وليس هناك أفضل من التماهي مع الشجرة لكي يعرف نيتشه هذا الأمر؛ الأفكار الصحيحة موجودة لكن الاستنتاجات هي الخاطئة. صحيح أن الشجرة أيضاً بشر بقدر ما هي زارادشت الذي يشبه البشر؛ هذا بسبب شبهه بالإنسان الذي يميل نيتشه للتماهي معه. يعتقد الرجال أن بإمكانهم التماهي مع "القرينة" التي هي ليست بشراً تماماً: هي أيضاً شكل من أشكال "روح الغابة"؛ سيطرة "القرينة" على الرجل هو مجرد جزء من شيء لم تعد تستطيع التحدث عنه. وعندما تتماهى المرأة مع "القرين" دون تفكير، فهي تتماهى مع "روح الغابة"، ولا تكون بشرية تماماً وتفتقد التواصل البشري. تتوقف أية مناقشة لائقة على الفور عندما تدخل "القرينة" أو "القرين" في اللعبة. والآن، إذا لم يتماه زارادشت مع نيتشه، فسيدرك هنا طبيعته الخاصة. يشبه هذا الفصل حلماً يتم فيه إبلاغ نيتشه بأن زارادشت عبارة عن شجرة، ولو استطاع أن يفهم ذلك لما عاد بإمكانه التماهي، ولوصلت هذه السخافات كلها إلى نهايتها – كان صراعه قد انتهى. سيكون من الأفضل الافتراض بأنه كان الفتى اليافع، لكنه ليس بحاجة إلى الهبوط إلى ذلك المستوى، لأن لم يعد هو ذلك الشاب عندما ألّف *كتاب هكذا تكلّم زارادشت*. يجب أن يكون في مثل سنه تماماً، لا أصغر ولا أكبر، ولا جنيناً ولا عجوزاً بلغ خمسة آلاف سنة من العمر.

البروفسور ريكستين: ألن يكون من الطبيعي أكثر لو أن شخصية امرأة جاءت بدلاً من شخصية ذلك الشاب اليافع؟

الدكتور يونغ: سيكون ذلك تماهياً مع "القرينة".

البروفسور ريكستين: نعم، لكن الشاب اليافع نوع من التعويض، والتعويض الحقيقي يجب أن يكون "القرينة" هنا.

الدكتور يونغ: لا، سيكون ذلك صراعاً مختلفاً تماماً، سيكون صراعاً بين العجوز الحكيم و"القرينة". لكن كما ترى، تمت تسوية ذلك الصراع لأنه عندما تم إنقاذ "القرينة" من ماخور هذا العالم، لحقت بالعجوز الحكيم كما فعلت "سيبيلا – *Sibylla*" أو "سومنامبولا – *Somnambule*". إذا كانت "القرينة" في الماخور، لا يكون للعجوز الحكيم وجود؛ لا يمكن أن يظهر إلا عندما يتم تحرير "القرينة" من الماخور. وطبعاً ستكون "القرين" النقيض المعاكس تماماً للعجوز الحكيم عندما تكون في الماخور، بل سيكون التناقض كاملاً لدرجة أن الجزء الآخر لا يكون مرئياً.[1]

البروفسور فيرتز: أودّ الإشارة إلى شيء آخر يرتبط بالشجرة الكبيرة. إن أشجار "سيكويا" الأضخم في العالم، والموجودة في وادي "يوسيميت"، تُعتبر أشجاراً مقدسة لأن البرق أصابها عدة مرات. وأخبرنا الدليل أن الهنود الحمر يشعلون نارهم قرب تلك الأشجار أثناء العاصفة؛ يؤمنون بأن "مانيتو – *Manitu*" يتحدث إلى الأشجار أثناء وميض البرق وهي محمية. وقال إن تلك كانت خرافة طبيعية جداً لأن الأشجار كبيرة جداً، ولا بدّ أن تتلقى ضربات البرق في أغلب الأحيان.

الدكتور يونغ: سترى ذلك في الفقرة الآتية: هو يقول إن أشجاراً كهذه تتلقى ضربات البرق. ما الذي يعينه زارادشت بذلك؟

الدكتور ريكستين: أعتقد أنه يقصد الإلهام.

---

[1] سيمون ماغوس، غنوصي بارز، قيل إنه أخذ من ماخور في "تاير" فتاة عرف فيها تجسّداً جديداً لـ "هيلين طروادة"، وظهور الأم السماوية للكائنات كلها، بما في ذلك الملائكة. انظر كتاب "هانز جوناس" بعنوان "الغنوصية والروح القديمة - gnosis und spätantiker geist" (غوتنغن، 1934) المجلد الأول، صفحة 353، 358.

الدكتور يونغ: الإلهام من جهة أولى. وبما أن النموذج البدئي للعجوز الحكيم هو جسر إضافي إلى أعماق اللاوعي، يُفترض أنه يعرف الأسرار العظيمة، ويحظى بالإلهام السماوي الذي يمكن أن يصله على شكل برق. وكقاعدة عامة، البرق خطير حتى على شجرة كبيرة – يمكن أن يدمرها – لكن إذا كانت الشجرة قديمة وكبيرة بما يكفي فلن يؤذيها إلا بشكل طفيف. لكن هل يمكن للإنسان الذي تماهى مع النموذج البدئي للعجوز الحكيم أن يحتمل البرق القادم من السماء؟

السيدة فيرتز: لا، سوف يقتله.

الدكتور يونغ: طبعاً. ليس على المرء أن يتماهى مع شجرة كبيرة كهذه؛ لأنه في وضع كهذا من السهل أن يتلقّى ضربة برق، أو من المفترض أن يتلقى الضربة. حتى إنه يزرع الأشجار لتحميه من البرق لأنها تجذبه؛ قمم الأشجار نواقل جيدة، وأسس حقيقية للتيارات الكهربائية. إن تدفق الكهرباء في أعلى الشجرة خلال عاصفة البرق أمر مذهل، وتحت ظروف معينة، يرى المرء نار "القديس إلمو"، النار الغريبة التي تظهر أحياناً على قمّة صواري السفن.[1] هذا هو التيار الذي يخرج من قمم الأشياء أثناء حالات الشحن الكهربائي؛ وطبعاً حيث يتدفّق التيار الكهربائي الموجب من الأرض، يشكّل نقطة تجذب البرق من الغيم. الخطر الاعتيادي لهذا النموذج البدئي هو ذلك الإلهام السماوي أو الظهور السماوي أو الدافع الإبداعي الذي يضرب هناك أولاً، لذلك تكون هناك حاجة للحكمة أثناء العواصف البرقية. الناس الذين لم يتعرّضوا للعواصف لا يكونون بحاجة للحكمة أبداً – شيء لا لزوم له إطلاقاً – مجرد رفاهية، لكن شخصاً مثل نيتشه سيحتاج إليها لأنه مهدد دوماً بالعواصف مع وجود هذا التناقض

---

[1] عرض كهربائي يسببه اقتراب سحابة من الرؤوس المدببة مثل صاري السفينة. و"القديس إليمو" هو قدّيس البحارة.

الهائل في طبيعته. كل من يمتلك أزواج أضداد منفصلة بشكل كبير، سيكون معرضاً لخطر الإصابة بضربات برق ذات شحنات قوية، وسوف يضرب القمم دائماً. ثم يبدأ النموذج البدئي للعجوز الحكيم بالتحرك لأن الحكمة يجب أن تأتي للمساعدة، وإلا لن يكون المرء محمياً بما يكفي. والآن ما هي ضربات البرق في لغتنا السيكولوجية؟ تمت الإشارة إلى الإلهام لكنه ليس مدمراً ولا ديناميكياً كالبرق.

السيد أليمان: انفجار اللاوعي الجمعي.

السيدة فيرز: الهلع.

الدكتور يونغ: نعم، العصف الذهني أو الاندفاع المفاجئ شديد الخطورة، أو الاستحواذ أو الهوس – أو اليقين الفوري بما ستفعله. عندما ينبثق اللاوعي الجمعي ويخترق حياتك، يبدو كما لو أنه سحابة سوداء ينطلق منها البرق. هذا يعني اندفاعاً هائلاً وانفجاراً ديناميكياً ضخماً في منظومتك، وإذا كنت تفتقد الحكمة، تواجه ذلك التوتر بدماغك الصغير للغاية، وعادة ما يكون معزولاً عن الأرض: ثم يصلك! لذلك إذا كنت حكيماً، سيكون سطحك شاسعاً متصلاً بالأرض بشكل كبير؛ عندئذٍ تصبح محمياً تماماً من خطر البرق. الأمر ليس هكذا دوماً. لذا، وكما قال السيد أليمان، وهو على حق بذلك، إنها حالة هجوم أو انفجار لحظي يطغى فيها اللاوعي الجمعي على المرء؛ أن تسميه إلهاماً لهو نوع من التخفيف: الإلهام لا يفسّر خطورة حدث كهذا بشكل كامل.

"ولما انتهى زارادشت من كلامه صرخ الفتى ملوّحاً بحركات متوترة: "حقاً تقول يا زارادشت. كنت أتوق إلى دماري عندما أردت الصعود عالياً، وأنت هو الصاعقة التي كنت أنتظرها! انظر! ما الحالة التي أصبحت عليها منذ أن ظهرت لنا؟ حسدي لك هو الذي حطّمني!" – بكى الفتى بحرقة بينما كان يتكلّم، فطوقه زارادشت بذراعه وسارا معاً."

تؤكد هذه الفقرة ما كنا نتحدث عنه. لجأ الفتى إلى التماهي مع زارادشت. وكان زارادشت مصدر إغواء له، لقد سعى ليكون مثله؛ وعندما أصبح زارادشت مصدر خطر: اقتحمه النموذج البدئي. وهكذا أصبح نيتشه الإنسان بعيداً جداً. وهذا أيضاً أشبه بنبوءة تقول إن اللاوعي الجمعي سيرسل في المستقبل القريب هذه الصاعقة لتدمير نيتشه. لذلك فإن زارادشت يشبه السحابة التي تحمل صاعقة.

السيدة باومان: هو قال أيضاً: "أنا الصاعقة".

الدكتور يونغ: نعم، وهذا يعني الغزو الخطير. إن النموذج البدئي بحد ذاته لا يعني الغزو والتدمير؛ هو هادئ دوماً ما لم يتراكم عليه سلوك الإنسان السيئ ويثيره. إذا ترك الإنسان الكثير من الأشياء إلى اللاوعي، ودخل إلى زاوية ضيقة، يبدأ النموذج البدئي بالإثارة كما لو أنها حالة تعويض. وإذا راودته فكرة أنه لا بدّ أن يكون شخصاً شيطانياً للغاية لكي تكون لديه فكرة شيطانية كهذه، فسوف يكون كذلك! إنه يتماهى مع مصدر فكرته ويتضخّم للغاية. لقد ضربته الصاعقة وانتهى. رأيتم أن الفتى قال: "*حسدي لك هو الذي حطمني*!" الأمر واضح جداً هنا: أراد أن يكون مثل زارادشت، لكن زارادشت لم يسمح له بأن يبقى طبيعياً؛ لم يدرك الفتى مستوى الخطر الهائل الذي يتعرض له من خلال تماهيه مع النموذج البدئي.

لدينا الآن سؤال من السيد أليمان: "قضية 'القرينة' التي أنقذها العجوز الحكيم من ماخور العالم جعلتني أتساءل عن معنى صوفيا المقدّسة. هل هي حالة تماهٍ مع العجوز الحكيم و'القرينة' في 'الزواج المقدّس بين إلهة وإله – *hierosgamos*'؟"

صحيح أن مفهوم "صوفيا" في تلك المقالة الغنوصية التي تحمل عنوان "*Pistis Sophia*" هو التماهي أو الاتحاد الكامل بين العجوز الحكيم و"القرينة". إذا تفحصت مشكلة "القرينة" سترى بالتأكيد ذلك التطور الغريب من "حواء" إلى "صوفيا"، ولا يمكن لهذا التطور أن يحدث من دون تدخل العجوز الحكيم. لكن العجوز الحكيم لا يخضع لتطور كهذا – يمكن القول إنه ليس من ضمن هذا العالم، إنه ثابت؛ في حين أن "القرينة" متورّطة للغاية في هذا العالم. هذا هو جزء الإنسان الذي يكون من هذه الأرض جزئياً – ويمكن إلى حد كبير أن يكون جزءاً من هذه الأرض: يمكن أن يكون في ماخور "مولدهارا" أو "مولدهارا" في أسوأ الحالات. ومن المهم جداً أنه يتم إسقاط القرينة على الأرض، فهي تنخفض كثيراً وإلا لن يكون صعودها إلى الحالة المقدّسة على هيئة صوفيا ذا معنى. لا فائدة من ذلك. إنها الشيء المتجذر في الأرض كما في السماء، وهي تمثّل جذور الشجرة وأغصانها.[1] إذا نظرنا إلى النموذج البدئي للعجوز الحكيم من جانب الأنيما، نراه دوماً شخصية ثانوية لا تظهر إلا كنتيجة، أو كشفاعة سماوية أو تدخل في الحياة وتطور "للقرينة". وفي النهاية، بقدر ما تتحوّل القرينة إلى صوفيا، لن يعود هناك وجود للعجوز الحكيم أو "للقرينة" لأنهما يصبحان واحداً. تلك هي مشكلة "الخنثى" في الخيمياء، الاندماج بين الذكر والأنثى.

---

[1] "Pistis Sophia" (الثقة، الحكمة) هو نص غنوصي هام يعود إلى القرن الرابع، وقد تمت كتابته باللغة القبطية، اللغة العامية المصرية (انظر المحاضرة الثامنة شتاء 1935). كان يونغ مهتماً للغاية بالصور الغنوصية/ الخيميائية – "بالزواج المقدس أو الزواج بين المتضادات – hierosgamos". وصوفيا، منذ "أنشودة الأناشيد – Song of Songs" فصاعداً، كانت التمثيل الأنثوي للحكمة. لمزيد من المعلومات عن مناقشة يونغ الأوسع عن موضوع (أربع مراحل لعقيدة الإيروس)، انظر الأعمال الكاملة، المجلد العاشر، الصفحة 361.

السيدة سيغ: يبدو غريباً جداً أن زارادشت فعل الشيء ذاته الذي فعلته "القرينة" باعتبارها "سالومي"؛ من المريع للغاية أن يبدو العجوز الحكيم كراقصة أنثى.[1]

الدكتور يونغ: نعم، إنها إحدى تلك التشوهات – هذا صحيح تماماً؛ وسبب ذلك كله أنه ليس لدينا "قرينة" في كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت***. لكن تظهر في نهاية الكتاب تقريباً شخصيات القرينة في مقطع شعري إيروتيكي يحمل عنوان "بين بنات الصحراء".[2] وهناك تظهر لدينا أكثر الظواهر انحرافاً حيث يكون العجوز الحكيم متماهياً مع نيتشه دون "القرينة". وبالتالي لا يمكننا أن نتجنّب أنه بدت على زارادشت أعراض كونه "راقصة" أو "قرينة". حيث احتاج الأمر إلى التطوّر الكامل لكتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** ليلفت انتباه نيتشه إلى أن هناك "قرينة". ولهذا علاقة وثيقة بحياته الشخصية طبعاً، وهي أيضاً سمة لحقيقة أن مشكلة الأنيما لا تصل إلا إلى ما يصل إليه نهر الراين. إلى الشرق من نهر الراين تظهر إما مشكلة العجوز الحكيم أو مشكلة "الطفل الأبدي".[3] إن الثورة المعدنية كلها في ألمانيا هي في الأساس نشاط "الطفل الإله"، لكن العجوز الحكيم غائب هناك. وكتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** عبارة عن محاولة للتنبؤ والتعويض عن

---

[1] مع أنه لم يتم ذكرها بالاسم في الأناجيل، يُفترض أن سالومي هي المرأة التي استمتع هرودوس برقصتها وعرض عليها أن يعطيها أي شيء تطلبه. فطلبت رأس يوحنا المعمدان. انظر إنجيل متى 14: 1 – 12.

[2] "بين بنات الصحراء - unter töchtern der wüste"، الجزء الرابع، صفحة 74.

[3] الطفل الأبدي هو الترجمة الألمانية لمصطلح "Puer Aeternus" اللاتيني، وهو الطفل الإله الذي يبقى صغيراً إلى الأبد. أما في علم النفس فهو شخص يكبر بالسن لكن حياته العاطفية تبقى على مستوى المراهقين، وهذه الحالة معروفة أيضاً باسم "متلازمة بيتر بان – Peter Pan Syndrome". المترجم.

خطر سقوط بلاده ضحية "الولد الإله"، الصبي.[1] وظهرت هذه المشكلة ذاتها في كتاب غوته بعنوان "المملكة الداخلية" – ولا علاقة لها طبعاً بمملكة السماء المسيحية – حيث كان هناك ثورة أولاد.[2] كان لدى نيتشه بصيرة حادة لدرجة أنه حاول تعويض الأحداث القادمة بكتاب الحكمة، لكن ذهب هباء طبعاً. فكما ترون، الإمكانية الوحيدة التي يمكن من خلالها تجنّب ثورة الطفل هي "القرينة"؛ من دونها لا يمكن تجنّب ذلك.

وبعد أن اجتازا مسافة قال زارادشت:

"ينفطر قلبي لهذه الحالة التي أصبحت عليها. وتخبرني عيناك بمدى الخطر الذي أنت فيه أكثر مما تقول كلماتك."

هنا يدرك زارادشت الموقف تماماً. هو يعترف بأن لديه الصراع ذاته الذي لدى الفتى؛ قلب زارادشت ممزق أيضاً: هو يعرف ما الذي يعنيه أن يرتفع شاب يافع إلى الأعالي ولا يكون متحداً مع نفسه. لأن زارادشت أيضاً ليس متحداً مع نفسه بسبب تماهيه مع نيتشه. إن بداية مشكلة نيتشه ونهايتها تقوم أساساً على أنه يتماهى دوماً مع شخصياته، ولا ينفصل عنها أبداً. إذ ليس لديه نقد سيكولوجي من أي نوع كان، ولا يستطيع بالتالي أن يمنح الشخصيات قيمتها الحقيقية؛ لا يستطيع أن يتخيّل وجوداً سيكولوجياً ليس وجوده، وليس ضمن نطاق وعيه. لكن ذلك كله نتيجة

[1] مرضى يونغ الكبار والمنوعون عالمياً أقنعوه بأن هناك تأثيرات ثقافية على الشكل الذي يتخذه العُصاب، وهكذا، تبدو فرنسا وكأنها تخلق رجالاً يتماهون مع الجانب الأنثوي للرجل، بينما ألمانيا تخلق المزيد من أولئك الذين يبقون أولاداً.

[2] تم تفسير كتاب "برون غوته" بعنوان "المملكة الداخلية – Das Reich Ohne Raum" (1919) في محاضرة ليونغ عام 1936 في "ووتان" باعتباره ضلال النازية الألمانية (الأعمال الكاملة، المجلد العاشر، صفحة 384). كتب يونغ لصديقه مرة عن رسالة لديه من غوته، الذي رفض رؤيته: "العرق الآري السامي" قد عفا عليه الزمن؛ والسيد غوته لا يعلم بهذه الحقيقة حتى الآن" (رسائل، المجلد الأول، صفحة 445).

لعصره. لو كان أكثر حداثة، ولو كان لديه نقد سيكولوجي، لكان سيقول: "روح زارادشت هذه هي روح شجرة، لكن الروح التي ترفعني إلى السماء، وتتركني أسقط مجدداً هي بالتأكيد ليست روحي: إنها قوة من القوى الطبيعية الأساسية التي وقعتُ ضحيتها".

السيدة أدلر: كيف يتوافق ذلك مع فكرة مهمة نيتشه؟

الدكتور يونغ: زارادشت هو عظمة نيتشه، شيطان نيتشه، ولدى نيتشه مهمة كتابة ***هكذا تكلّم زارادشت*** تعويضاً عن أحداث قادمة ستصيب أولئك الناس. لكن الطريقة التي حاول التعويض فيها طريقة غير فعالة لأنه تماهى مع زارادشت. النبي الذي تماهى مع "يهوه" ارتكب خطأ؛ يستطيع أن يقول إنه نطق الكلمة التي أعطاها له الرب، لكن كان عليه أن يفرّق بين نفسه والإله. عندما قال نيتشه: "***هكذا تكلّم زارادشت***"، كان يعني بذلك: "هكذا تكلّم نيتشه".

السيدة سيغ: لاحظت في سيرة نيتشه الذاتية أن القسّ قارن في جنازة والده بين الوالد المتوفى والشجرة التي فقدت أوراقها، بمعنى أن العائلة فقدت كل شيء. يبدو أن نيتشه دخل في حالة تماهٍ مع والده منذ بداياته تقريباً؛ عندما كان صبياً في الرابعة أو الخامسة من العمر، كان يُسمى القس الصغير؛ لأنه كان يعظ دوماً. كان جدياً للغاية ويتصرّف كرجل عجوز.

الدكتور يونغ: نعم، هذا متوقع جداً لأنه كان متأثراً بذلك النموذج البدئي منذ بدايته تحديداً، وساعدت الظروف في ذلك إلى حد بعيد. لكن الاعتماد المبالغ فيه على السلطة هو عقبة ألمانيا الأساسية. لقد اتخذت الآن شكلاً مختلفاً تماماً، ويقال إنها لم تعد موجودة، لكن لا تزال قائمة بأشكال مختلفة. وهذا بالطبع أساس المشكلة كلها هناك – لا تزال سيكولوجيا الفتى اليافع الذي لديه أب؛ هو يرضي الأب للغاية لبعض

الوقت، ومن ثم يزعجه بالمطلق. إنه الخطأ ذاته: لا تزال المشكلة هي الأب، بينما لا تكون الأم موجودة؛ لذلك، ليس هناك "قرينة" في القضية كلها، تماماً كما في حالة نيتشه. يوجد في العالم أمران بكل تأكيد، "اليانغ" و"الين"، الرجل والمرأة، وإذا أُهمِلَت المرأة، يكون الخطأ كبيراً. قيل مثلاً إن عدم نجاة العقيدة الميثرائية يعود إلى إزاحة النساء منها؛ ترعى النساء الإلهة الأم أو إلهة الخصب "ماغنا ماتر – *Magna Mater*"، ويذهب الرجال إلى الكهوف الميثرائية، وهذا سبب سقوطها. في حين نجحت المسيحية لأن المرأة والرجل كانا معاً على الرغم من أن المسيحية في أساسها دين ذكوري أبوي، كان العنصر الأنثوي فيها قليل الأهمية في البداية على الأقل. ولاحقاً، مع تطوّر الكنيسة الكاثوليكية، أصبحت المرأة بارزة أكثر، لكن البروتستانتية أبعدتها مرة أخرى. خلقت البروتستانتية فلسفة سرية تم فيها رعاية العنصر الأنثوي مجدداً لكن بنوع من العداء؛ قامت التقاليد الأساسية الماسونية على عقيدة الأم، لذلك تُعتبر معادية للكنيسة.

الدكتور شليغل: أليس المفهوم السائد في الكنيسة ذاتها أن الكنيسة هي الأم؟

الدكتور يونغ: نعم، لكنها فكرة تجريدية. ليس لدى الكنيسة أي شيء تقوله لأن البابا هو الذي يحكمها – إن البابا ومجمع الكرادلة هم الكنيسة.

الدكتور شليغل: هذا صحيح، لكن الكنيسة في اللاوعي هي الأم.

الدكتور يونغ: كان الفكر السيكولوجي المتأخر للكاثوليكيين اللاحقين هو من جلب العنصر الأنثوي، حتى باستخدام فلسفة سرّية. وتتضمن "صلاة لوريتو – *The Litany of Loreto*" رموز الفلسفة السرية كلها مثل: "*the hortus conclusus*"، و"*the rosa mystica*"، و"*the vas insigne devotionis*".[1]

---

[1] "الحديقة المغلقة"، "الزهرة السريّة"، و"وعاء الخلاص النبيل" هي صفات العذراء في هذه الصلاة التي تمت ترجمتها من "الطقوس الرومانية – **Rituale Romanum**".

الدكتور شليغل: ألم يتم تمثيل الكنيسة على أنها عروس يسوع؟

الدكتور يونغ: نعم، لذلك استخدموا "نشيد الأناشيد" الذي كان في الأصل أغنية حب عادية؛ كان في الأدب العالمي عدد من الأغاني من النمط ذاته. لكن تم تفسيرها على أنها علاقة روحانية بين الإنسان والله، أو بشكل رئيس بين الإنسان و"صوفيا". كانت في البداية ضمن تقاليد سرية، ثم استُخدِمت في الكنيسة المسيحية كرمز للعلاقة بين يسوع والكنيسة. لقد استخدموا الرموز لكن تحت عنوان الإله الذكر؛ لم تدخل مريم ضمن الثالوث المقدس، وتم استبعاد العنصر الأنثوي. كما جعلوا الروح القدس محايدة على الرغم من أن الحمامة هي رمزها، لقد خلقت الأنفاس الآب والابن، لكن ليس الأم: هذا أمر تدحضه الكنيسة. والاستثناء الوحيد القائم على أن والدة الله كانت مطابقة لصوفيا، يُعتبر هرطقة. هناك فرق كبير طبعاً فيما إذا كان المبدأ الأنثوي هو الحاكم أم لا. المبدأ الأنثوي مشمول دوماً – حتى في الدين الذكوري يأتي من طريق جانبي – لكنه يشكل فرقاً كبيراً عندما يكون المبدأ الحاكم فعلاً. فإذا كان المبدأ الحاكم، أو إذا كان هناك سيادة مشتركة على الأقل للمبدأين كليهما،[1] فهو يُنتج شكلاً دينياً مختلفاً تماماً عن الدين الذي نعرفه. إذا درست سيكولوجيا القديس بولوس الدينية، تجد أن المبدأ الأنثوي لا يزال يعمل، كما في الفكرة التي تقول: يكون أولئك الذين يحققون الخلاص بالحب أعلى من القانون.[2] كانت

غالباً ما ناقش يونغ موضوع "Mariolatry – عبادة مريم العذراء" والإعلان اللاحق، للأب "بيوس الثاني عشر" المرتبط بصعود مريم العذراء جسدياً إلى السماء، باعتباره اعترافاً متأخراً بالجانب الأنثوي للألوهية.

[1] نكاد ننسى اليوم معنى "السيادة المشتركة – condominium" باعتبارها السيطرة المشتركة لدولتين.

[2] "لا تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ" (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 13: 8).

تلك فكرة المسيح أيضاً، وهي أنثوية بشكل نموذجي. تستند وجهة النظر الذكورية على القانون، بينما تستند وجهة النظر الأنثوية على الحبّ طبعاً. الأولى "لوغوس"، والأخرى "إيروس". يتضح الآن أن زارادشت يفهم الخطورة التي وجد الفتى نفسه فيها – الفتى طبعاً بكونه جزءاً من نيتشه الذي لا يمكنه الاندماج به، والذي سيتدمر إذا تماهى مع زارادشت. يقول زارادشت:

"لم تتحرر بعد يا أخي، بل ما زلت تسعى إلى الحرية. وسعيك هذا جعلك مرهقاً أرقاً.

تريد الصعود إلى الأعالي؛ وتتوق روحك إلى النجوم. لكن غرائزك السيئة تتوق إلى الحرية أيضاً".

يمكننا القول إن مأساة *هكذا تكلّم زارادشت* كلها تبدأ هنا. يتوق الفتى إلى التماهي مع زارادشت، وأن يكون قاطن المرتفعات ويتحرر من أغلال الأرض، لكن إذا هرب من قانون الأرض يصبح روحاً لا إنسانية: سوف يضربه البرق ويدمره. والسؤال الآن هو لماذا رغب بتلك الحرية؟ ومما أراد أن يتحرر؟ من الواضح للغاية أن هناك غرائز شيطانية في الأسفل، هناك الكلاب البرية كما يقول زارادشت:

"تريد كلابك المتوحشة أن تتحرر؛ إنها تنبح فرحة في قبوها عندما يتطلّع عقلك إلى تحطيم أبواب السجون كلها".

إذا كان لك حرية الاختيار بين الارتفاعات الجميلة ومكان مليء بالكلاب البرية، ستفهم بالتأكيد لماذا يريد الهروب إلى المرتفعات. يبدو الأمر كما لو أن رائحة الشرّ تعبق في تلك المناطق الدنيا، وهو يسعى بشكل طبيعي إلى الضوء النقي، لذلك يصبح من المفهوم تماماً أنه سيحاول السموّ فوق نفسه. لكن عندئذٍ سوف يتماهى مع زارادشت – سوف يتلقّى ضربة البرق – وبالتالي إذا أراد العيش بأي حال من الأحوال، فعليه ألا يسعى إلى الحرية. لأنه إن احتوى الكلاب البرية والمقدرات الشيطانية في تركيبته، سيكون كلباً

برياً بشكل جزئي، ولا يجب عليه الهروب من شبهه بالكلب، وعليه أن يبقى هناك في كوخه. إذا هرب من الجسد، فسيضمحلّ ويتعفّن؛ إذا هرب من مكانه ككلب فهو يهرب من الحياة. ومن المهم جداً أن يفترض زارادشت بكل سرور أن الشيء الموجود في الأسفل في الوادي هو بيت مليء بالكلاب، لأن ذلك ليس مؤكداً إطلاقاً. ربما تكون أحصنة أو حميراً أو أبقاراً، أو أشياء لطيفة للغاية، وربما بعض الخنازير أيضاً، والكل يشكّل مزرعة مفيدة للغاية ورائعة جداً. لكن لماذا الكلاب البرية فقط؟ لماذا هذا التصريح التاريخي؟ أية سيكولوجيا يتضمنها هذا الافتراض؟

الآنسة وولف: المسيحية.

الدكتور يونغ: نعم، إنها السيكولوجيا المسيحية المبكرة، أو السيكولوجيا البروتستانتية العادية – هناك والده. الجسد بالنسبة إليه عبارة عن شر؛ يفترض المرء أن الجسد أشبه بكلاب بريّة حتى دون أن ينظر إليه. لكن حتى لو كان ذلك صحيحاً، فهذه الكلاب جزء من الطبيعة مثل الذئاب. وهي ليست مقبولة فقط - ثمة حيوانات جميلة وحيوانات ليست جميلة – لكن هي بحد ذاته لا بأس بها؛ ربما تلتهم الذئاب البشر أحياناً لكننا نأكل الحيوانات أيضاً، وبأعداد هائلة، لذلك ليس لدينا أي أساس لملامة تلك الحيوانات على التهامها للبشر أحياناً. وليس لدينا أي مبرر يجعلنا نلعن غرائزنا. إنها مجرد شهية عادية تشبه بسوئها وجودتها كل الغرائز الموجودة في الطبيعة. لكن البروتستانتية الأخلاقية هي من تلعن الغرائز وتجعلها غير مقبولة؛ أصبحت شريرة لأننا أقحمنا الشيطان فيها. نقول إنها شياطين ولا يمكن لمسها، وستكون بطبيعة الحال سيئة لأننا نرسلها إلى الجحيم. فالطبيعة ليست سيئة ولا جيدة، وإذا أطلقنا الأحكام على الطبيعة عبر تصنيفاتنا الغبية، يبدو الأمر كما لو أننا نضعها في خزانة قذرة تجعل حتى الطبيعة النقية قذرة. ثم يتابع زارادشت قائلاً:

بالنسبة إلي، أنت لا تزال السجين الذي يتوق إلى حريته:........

هذا يعني أنه كلب بري سجين في بيت الكلاب، وكم هو رائع أنه يريد السير فوق السحاب حتى لا يبقى لذلك الشيء الفظيع وجود! يا له من موقف من الحياة! إنها الأخلاقية البروتستانتية العادية، سمّ، وتناقض مطلق مع ما يعظ به زارادشت في مواقع أخرى.

آه، ذكية هي نفس مثل هذا السجين، لكنها ماكرة وخبيثة أيضاً.

على من حرّر عقله أن يطهّر نفسه أيضاً.

ليس كافياً أن تمتلك عقلاً حراً، عليك أن تطهّر نفسك من الكلب القابع في داخلك.

"لا يزال في داخله الكثير من السجن والأوحال؛ لا بدّ أن تصبح عينه نقيّة أيضاً."

العين تعني رؤيته، الطريقة التي يدرك فيها الأشياء والمشاكل المتخيّلة. هذا لا يحتاج لأن يكون نقياً من اختلاطات الأرض، بل يحتاج لأن يكون نقياً من اختلاطات البروتستانتية.

"أنا أعرف المخاطر التي تحدّق بك طبعاً. لكنني أناشدك باسم محبتي وأملي: لا تلقِ بمحبتك وبأملك!

ما زلت تشعر بأنك نبيل، وما زلت نبيلاً في عيون الآخرين الحانقين عليك والذين يرمقونك بنظرات مسعورة. ولتعلم أن للجميع نبيلاً ما يقف دوماً عقبة في طريقهم.

للإنسان الصالح أيضاً نبيل يقف عقبة في طريقه: وحتّى عندما يدعونه صالحاً فإنما يريدون بذلك أن يزيحوه جانباً."

هنا يعتزّ زارادشت بطموح الشاب اليافع بأن يصبح نفسه روحاً؛ جعله يشعر بأن وجوده في الجسد بظروفه الطبيعية أمر مثير للشفقة، ولو كان

رجلاً نبيلاً، فلن يتخلّى بالتأكيد عن أمله وحبّه: بمعنى آخر، سوف يهرب من وجوده الطبيعي. ثم يقول: *"لتعلم أنّ للجميع نبيلاً ما يقف دوماً عقبة في طريقهم"*. من يحاول الهروب من ظروف الإنسان العادي ليصبح روحاً أبدية هو حجر عثرة بالتأكيد. صحيح تماماً أنه يُفترض اعتباره كذلك؛ هو فعلاً مصدر إزعاج، وهذا أمر غير صحيح. وإلا فستكون النتيجة المنطقية أن الشيء الوحيد الذي يجب فعله في العالم هو أن يقوم الجميع بالانتحار – عندئذٍ ستتم تسوية المشاكل كلها. لكن ذلك أشبه بعلاج ألم الرأس بقطعه. فنحن لا نستطيع التخلّص من الإنسان الذي يعيش بجعله روحاً – يجب أن يعيش هنا – وعلينا فعلاً أن نفترض أنه بقدر ما تكون الحياة منطقية، فلا يمكن عيشها بطريقة مناسبة إذا أنكرنا نصف الحياة. لقد أطلق على الإيمان بتقاليد معينة، وحياة الجسد بظروف طبيعية، وجهة نظر الناس الصالحين، وافترض أن أولئك الناس يعارضون الأبطال الذين يريدون الخروج من الجسد. نعم، لحسن الحظ أنهم ضدّ ذلك، وإلا فسيصبح الجميع مجانين ويهربون من الوجود البشري.

"يريد النبيل أن يُبدع شيئاً جديداً وفضيلة جديدة. بينما يريد الإنسان الصالح ما هو قديم، ويريد الحفاظ على ما هو قديم."

إن حفظ الأشياء القديمة أفضل بكثير من ابتكار أشياء جديدة ليس لديها أقدام تحركها، وغير مؤكدة وأشبه بالأحلام. تلك هي المشكلة في خلق الأشياء الجديدة، وضرورة أن تعيش فعلاً وتقف على الأرض في متناول يد الإنسان. ما الهدف من خلق أخيولات لا فائدة ترجى منها؟

"لكنّ الخطر الذي يحدّق بالنبيل ليس أن يغدو صالحاً، بل أن يغدو وقحاً ومستهزئاً ومخرّباً."

من المؤكد أن خطورة أن يصبح إنساناً صالحاً عادياً هو الشيء الأقل اعتباراً، لكنه سيكون أعظم خطر على هذا النوع من الأبطال. وأن يصبح

وقحاً ومخادعاً ومدمراً هو الشيء الأقل خطورة لأن من الممكن التخلّص منه بسهولة.

"لقد عرفت الكثير من النبلاء الذين فقدوا أسمى آمالهم، وأصبحوا يستخفّون بعدها بكل الآمال السامية كلها!

باتوا الآن يعيشون بلا خجل في متع آنية قصيرة، ولا هدف لديهم أقصى من اليوم الذي هم فيه."

هذا فقط لأن لديهم ذلك الموقف، إما في قمة كل شيء فوق السحاب، أو في الوحل، لكن لا شيء بينهما – كما لو أنه ليس هناك أرض فيها أشياء جميلة جداً ورائعة ومتوازنة للغاية.

"الروح رغبة شبِقة هي أيضاً"، هكذا يقولون.

هذه وجهة النظر التي تعتبر أن الروح هي إما إله نقي للغاية، طبقة جوية تصل حرارتها إلى خمسين أو ستين درجة تحت الصفر، أو دفيئة من الرذائل. لقد رأينا ذلك كله، أولاً بالمبالغة الهائلة للروح، ثم لا شيء سوى شبق حيواني.

"هكذا ينكسر جناحا روحهم؛....."

ستنكسر أجنحتهم بسبب تجاوزهم أنفسهم.

"وهكذا تنتقل زاحفة تدنّس ما تتصل به.

كانوا يوماً ما يرون أنفسهم أبطالاً؛...."

سيكونون بحال أفضل إذا لم يفكّروا بذلك.

وأصبحوا الآن عبّاد ملذات. غمّ وهول هو البطل الآن في أعينهم.

والآن هم نقيض الأبطال تماماً، أصبحوا خنازير شريرة. لكنهم أصبحوا حينها أبطال الوحل.

لكنّني أناشدك باسم محبّتي وأملي: لا تلقِ بالبطل الذي في قلبك! واجعل أملك الأسمى أمراً مقدّساً!

هكذا تكلّم زارادشت.

يبدو ذلك جيداً طبعاً شريطة أن تستطيع تحقيقه فعلاً. لكن إذا كلّفك الأمر جسدك، فكيف يمكنك سحبه؟ لا يمكنك تحقيق ذلك إذا دمّرت جسدك. فهذه هي المشكلة التي ينتهي بها هنا، وأنت ترى من عنوان الفصل الآتي: "عن دعاة الموت" ما ينبغي أن يدركه.

المحاضرة السادسة

12 حزيران – يونيو 1935

الدكتور يونغ:

ما هو الرابط بين هذا الفصل بعنوان "عن دعاة الموت" والفصل السابق؟

السيد باومان: أعتقد الفصل السابق فيه دعوة للموت أيضاً؛ هناك فقط خيار بين الارتفاعات وبيت الكلاب، وإذا تخلّى المرء عن ذلك، لن يحظى بالمزيد من الحياة في الجسد.

الدكتور يونغ: هل تتذكر فقرة معينة لإثبات فكرتك؟

السيد باومان: يقول في نهاية الفصل: *"لكنّ الخطر الذي يحدّق بالنبيل ليس أن يغدو صالحاً، بل أن يغدو وقحاً ومستهزئاً ومخرّباً"*. وآخر فقرة في الفصل كانت: *"لا تلقِ بالبطل الذي في قلبك! واجعل أملك الأسمى أمراً مقدّساً!"*

البروفسور ريكستين: يفترض بالشاب اليافع أن يكون الحياة، والآن يأتي النقيض: هو لا يستطيع أن يعيش حياته.

الدكتور يونغ: تعتقد أن الرابط الفعلي هو "إنانيا دروميا – الانتقال إلى الجهة المعاكسة"؟ نعم يبدأ الانتقال إلى الجهة المعاكسة حيث يتلقّى

الإنسان ضربة برق. وعظ زارادشت بالسلوك البطولي على مدى الفصل السابق كله، لكنه أدرك أن هناك شاباً يافعاً يسعى إلى اللحاق به، ويقول الشاب وهو في الجبال: "*كنت أتوق إلى دماري عندما أردت الصعود عالياً، وأنت هو الصاعقة التي كنت أنتظرها!*" زارادشت هو السحابة التي ينبثق منها البرق، مما يعني أنه ليس بشراً بل هو روح وشيطان يعجّ بالطاقة الخطيرة؛ ويعني أنه مليء بالأفكار. لذلك عندما صعد هذا الشاب الذي لم يصل إلى حدّة توتر من هذا النوع إلى زارادشت، إلى مستوى الشيطان، بدا وكأنه تلقّى ضربة برق. هذا أشبه بالجنون؛ إنه انفجار مفاجئ في الرأس يفسّر العديد من حالات الفُصام. لقد اختبروا حالات كهذه في البداية، ويقولون إن ثمة أشياء تنهش رؤوسهم مثلاً، أو إنهم سمعوا صوتاً يشبه طلقة بندقية – ومن تلك اللحظة فصاعداً، يصبحون مختلفين. ثمة مصطلح يشير إلى هذه الحالة في اللغة الفرنسية هو "*le trouble cénesthésie*". وكلمة "*Cénesthésie*" أتت من الكلمة الإغريقية "*koinos*" وتعني الإحساس العام.[1] وهذه المشاكل الغريبة تحدث في الرأس بشكل خاص. إنها أشبه بأعراض أولية تمهيدية؛ يشبه استمرار تفكك العقل تحطم سطح جليدي أو مرآة. ونجد هذه الأعراض المميزة في اللوحات التي يرسمها هؤلاء الناس، والتي نسميها الخطوط المتقطعة. يرسمون مثلاً لوحة لشجرة، ثم يتم قطع أجزاء من الشجرة ويستبدلونها بتصميم مختلف لا يكون مناسباً للوحة؛ يشبه الأمر تكسيراً يحدث في اللوحة حيث تُنتزع قطعة منها لتوضع بدلاً منها قطعة أخرى مختلفة تماماً. يكون لدى أشخاص كهؤلاء شرخ واحد، أو حتى عدة شروخ، في بنيتهم العقلية. وهذا لا يعني أنهم

---

[1] المصطلح في اللغة الإنكليزية هو "coenesthesia"، ويعني "التخدير"، وهو حالة فقدان الإحساس الواضح بالجسد.

مجانين بالضرورة لأن هذه الأشياء تحدث مع أشخاص لديهم حالات عُصاب تكون قابلة للتحسّن بشكل كبير.

أتذكر حالة امرأة لم تكن مجنونة أبداً مع أن لديها أخت مجنونة. كانت امرأة عُصابية رسمت لوحة احتوت عدداً من الخطوط المتقطعة؛ وصُدمت عندما رأيتها. لكن شرحت لي أنها رسمتها في لحظة مشاعر مضطربة، وأن الانطباع الفوضوي الذي نتج عن اللوحة كان بسبب ذلك مع أنها لم تستطع تفسير الشعور الذي كان لديها في ذلك الحين. هذا يوضح أن ذلك التشخيص صحيح: الخطوط المتقطعة تعني أن هناك حالة انفصال، ولا يمكن للناس الذين يعانون من حالات انفصال سيئة تفسير ذلك، أو أنهم يصلون إلى نتائج غير منطقية إطلاقاً يبدو الأمر كما لو أنهم لا يستطيعون تجاوز هذا الانفصال؛ يمكنهم التفسير إلى هذا الحد، ثم يتوقفون بتأثير مشاعر مجهولة. لكن هذه المرأة كانت قادرة على تفسير الخطوط المتكسرة على أنها مشاعر. ثم قلت لها إن من الأفضل أن تحاول إخراج هذه المشاعر، وأن ترسم لوحة أخرى تعبّر عن ذلك. ففي اللوحة الأولى رسمت شخصية إنسان، صورتها الشخصية، لكنها مفككة تماماً أو ممزقة بالخطوط المتقطعة، عين هنا ويد هناك.وقدم في مكان آخر، إذ كانت أشبه بجثة مزقتها قذيفة – لهذه المشاعر العميقة تأثير الصدمة التي تنتج عن الإصابة بقذيفة. بينما مثّلت نفسها في اللوحة التالية بشكلها الكامل إلا أنها كانت في مواجهة أفعى مرعبة، وظهرت تلك الأفعى بسبب مشاعرها: لقد كانت أفعى الكونداليني. لأنه عندما ترفع الأفعى رأسها، يكون لهسيسها أثر صدمة هائلة كما يرونها في التانترية. وهذا ليس صحيحاً دوماً، لكن لهذا الهسيس أثر مدمر لدى ذوي البنية المرهفة. ومقدرتها اللاحقة على أن ترسم لوحة متكاملة تتضمن شخصيات منطقية وكاملة، يُظهر أن باستطاعتها أن ترأب الصدع، وتعمل على تقوية الخطوط المتقطعة. وطبعاً، لا تتم الإشارة إلى

ذلك بالطريقة ذاتها دوماً؛ قد يكون هناك لوحة متناظرة إلى حد ما تقتحم إحدى زواياها إشارة تتضمن شيئاً مختلفاً تماماً. أو ربما يتحلل جزء من شخصية إنسان (أو حيوان أو أي شيء آخر) إلى أشياء غريبة للغاية. لذلك فهو لا يشبه الزجاج المكسور دوماً، بل يمكن أن يكون حالة نمو أو ورم مثلاً. فعندما تنظر إلى ورم من هذا النوع تحت المجهر، ترى أنسجة الجسد العادية، ثم تتحلّل فجأة على خلايا غريبة فوضوية متراكمة لا تُبقي أي أثر للأنسجة السليمة السابقة. وهكذا يمكن أن تصفها بطريقة مختلفة. الآن، هذا هو البرق الذي دمّر الفتى اليافع دائم الشباب مقارنة بالعمر الكبير للنموذج البدئي – يبلغ العجوز الحكيم مليوني سنة من العمر على الأقل.

السيدة باومان: في نهاية الفصل السابق، فهمت أن هناك ظاهرة عن المسيحية لم يفهمها نيتشه إطلاقاً، وكنت أتساءل ما إذا كان ذلك هو العنصر الذي أعاقه، وما إذا كان هو ما قصدته عندما أسميته موتاً.

الدكتور يونغ: نعم، كان الفصل السابق كلّه بسبب المبالغة في تقدير الروح طبعاً، وقد قامت دراما هذا الكتاب كله على ذلك التحامل. ففي العصر الذي عاش فيه لم يستطع منع نفسه من التماهي مع شخصياته. أولاً، كان يعاني من الموقف المادي والعقلاني الخاص بذلك العصر الذي قام بشكل طبيعي على أن أفكار المرء كانت لنفسه دون وجود أية موضوعية – لأن الناس لا يزالون يتماهون مع أفكارهم ويعتقدون أن باستطاعتهم إدارتها كما يريدون، لأنهم يشعرون بها بأنها ذاتية بالمطلق. ثم هنا الإيمان المسيحي. كانت تلك مجرّد مفارقة في القرن التاسع عشر. فمن جهة أولى، كان لديهم موقف ميكانيكي عقلاني تماماً، وكانوا من جهة أخرى قادرين على أن يكونوا مسيحيين صالحين حيث كانت الروح هي كل شيء. وخلال الأسبوع ذاته، يعترف بروفسور بالنظرية الميكانيكية للسيكولوجيا، ويذهب يوم الأحد إلى الكنيسة ويؤمن بما لا يعلمه إلا الله. لديهم خزانتان:

يضعون في الأولى الفلسفة المادية، ويضعون في الأخرى الإيمان المسيحي؛ لذلك حتى لو لم يؤمنوا بالروح أو العقيدة المسيحية بوضوح، فهم يتبعون الأخلاق المسيحية في حياتهم العملية على الأقل. وهذا يحدث مع أفضل العقول المستنيرة. يتبنّى الناس مثلاً عقيدة شرقية كعقيدة التاو أو أية عقيدة شرقية أخرى، ويعيشون بعد ذلك، وبشكل لا يتوافق مع قناعاتهم، حياة عادية تتوافق مع الكنيسة. وهاتان القناعتان لا تعملان معاً. فالبراهمية لا تعني أي شيء للمسيحيين الصالحين، ولا تعني الحياة المسيحية شيئاً للبراهمي. إنهما غير متوافقتين، وتشبهان الزيت والماء. يمكن لذلك أن يؤدي إلى صراع هائل، ومن الغريب جداً كيف يمكن لشيء كهذا أن يبقى في حالة من اللاوعي المطلق.

لم يعد نيتشه مؤمناً بالله: يعتقد أنه انتهى من ذلك مع موت الله، ويظهر هنا تقدير آخر مبالغ فيه للروح، حيث تبدو الروح جيدة مثل الروح المسيحية تماماً. وبعد ذلك، من دون أي استفسار أو تساؤل، يتماهى مع زارادشت؛ إنه يتجسد فيه ويمنحه اسماً مختلفاً. يعرف نيتشه أنه ليس زارادشت، ومع ذلك يتماهى معه بدلاً من التعامل معه كشيطان أو كروح غير متجسدة على الأقل. لو أنه افترض أن زارادشت كان بالفعل روح زارادشت الفارسي القديم، لكان أدرك أن زارادشت من الذي يتحدث، وليس هو، ولما تسلّق المرتفعات حينها للقاء زارادشت، لكي يُصاب بضربة برق. لكن كان طفل عصره؛ هو لا يعرف السيكولوجيا. لو كان يعرف حينها ما نعرفه الآن لربما كان بحالة أفضل، لا أعرف. وعلى أية حال، علينا أن نعترف دوماً أننا لم نكن لنعرف ما نعرفه اليوم لو لم يعش نيتشه. لقد علّمنا الكثير. فعندما قرأت *هكذا تكلّم زارادشت* للمرة الأولى عندما كنت طالباً في الثالثة والعشرين من العمر، لم أفهمه أبداً طبعاً، لكن تشكّل لدي انطباع هائل. ولم أكن أستطيع أن أقول عنه أي شيء مع أن الجمال

الشعري لبعض الفصول ترك كثيراً من الأثر في داخلي، لكن *تفكيره الغريب* أثر بي بشكل خاص. لقد ساعدني في جوانب كثيرة، كما ساعد العديد من الأشخاص الآخرين. وهكذا، لا يمكن القول إنه كان عليه أن يفعل شيئاً مختلفاً؛ علينا أن نتذكر فقط أنه عند قراءة *هكذا تكلّم زارادشت*، علينا أن نقوم بتوجيه انتقادات معينة، لأن من الواضح جداً أين سار نيتشه باتجاه خاطئ. وإلا فسوف يتأثر المرء بذلك التماهي، لأننا نعاني جميعاً من تعصّب الروح: وطبعاً، من الرائع التماهي مع أشياء تصبح روحانية، لكن عندما ندرس نيتشه بطريقة نقدية، نرى المخاطر.

والآن، لأن تعاليمه تتشرّب فكرة التماهي مع روح زارادشت، فهو يعلّم شيئاً يعني الذبح الجماعي. لأنه وإلى حد بعيد، لا يمكن لمعظم الناس أن يتحمّلوا تماهياً من هذا النوع، كما أنه لا يستطيع هو نفسه أن يتحمّله؛ يمكنه أن يتحمّل الأمر فترة معينة لكن التماهي يصبح كبيراً جداً ومن ثم ينهار: يُصاب بالجنون. إدراك كهذا لا يأتي إلى الواجهة على أية حال. وكما أشارت السيدة باومان، وكانت محقّة بذلك، تصلك فكرة معينة في الجملة الأخيرة حيث ناشد مستمعيه قائلاً: "*لكنّني أناشدك باسم محبتي وأملي: لا تلقِ بالبطل الذي في قلبك! واجعل أملك الأسمى أمراً مقدّساً!*" لا بدّ من وجود مبرر قوي لنبذ البطل؛ وإلا فهو لن يحذّرهم من القيام بتصرّف كهذا. لا ينبغي نبذ البطل بالتأكيد. أمرٌ سيئ جداً أن تتماهى معه، ولن تُصاب بأذى إذا لم تفعل لكن لم يكن لدى نيتشه وجهة النظر هذه؛ فهو لم يفكر بها أبداً. كانت فكرته بوضوح هي أنك إما أن تكون غير مستنير ولا مثقفاً أو تكون برجوازياً صغيراً؛ تكون سميناً وتأكل وتشرب وتنام وما إلى ذلك، أو عليك أن تكون بطلاً، وقد كبر وهو خائف من أن الإنسان سيخسر مثله الأعلى، البطل، لأنه مهدد بكثير من المخاطر. ومع كل الحجج المناقضة لذلك يقول: "لا تتخلَّ عن الأمل ولا عن المثل الأعلى،

البطل". كان يعظ بالموت بطريقة ما من خلال تماهيه مع زارادشت. وقد هبطت عليه هذه الصورة ببطء دون وعي في الفصل السابق، وبات عليه الآن أن يقول شيئاً لأولئك الواعظين بالموت. لكن بما أنها كانت فكرة غير واعية، فقد أسقطها بشكل طبيعي على آشخاص آخرين؛ فهو لا يعرف أنه أهمّ أولئك الواعظين.

إن إسقاط الفكرة غير الواعية هي قاعدة، لذلك تكتشفها حولك دائماً. فالناس الذين لديهم أخيولات إيروتيكية غير واعين لوجودها مثلاً، يجب أن يدركوا بالتأكيد ما يجب أن يجدوه في أنفسهم من خلال الإسقاطات – مثل أولئك الذين ينضمون إلى مجموعات قمع الصور الإباحية. ثمة رجل إنكليزي انتمى إلى مجموعة كهذه، وجمع كل الصور الإباحية التي استطاع الحصول عليها، بهدف إحراقها طبعاً. كانت لديه خمسة آلاف صورة عندما أعلن في اجتماع المجموعة أنه قبل إحراق هذه الصور، يرغب كثيراً بأن يتكبّد أعضاء المجموعة النظر إليها ليكونوا على يقين من الشرّ الكامن في هذا العالم. وحشر الجميع رؤوسهم معاً في تلك الصور وحصلوا على وجبة دسمة قبل وقوع الكارثة النهائية المتمثّلة بإحراقها. وطبعاً ليس هناك من لديه حسّ سليم يقتنع بأنهم لم يستمتعوا بذلك. وبعد ذلك راودهم اعتقاد مثير بأنهم فعلوا شيئاً صالحاً لهذا العالم. كما لو أنهم لم يدعموا أعمال تجارة الصور الإباحية من خلال شراء تلك الصور كلها – استفادت الكثير من المطابع من هذه الصفقة العظيمة. لنبدأ بالفصل الجديد الآن:

" هناك من يعظون بالموت: الأرض مليئة بأولئك الذين ينبغي وعظهم بالإعراض عن الحياة."

من هم أولئك الناس الذي ينبغي أن يُكرز فيهم للإعراض عن الحياة؟

البروفسور ريكستين: أعتقد أن الرابط هنا هو مع تلك الكلاب البرية الموجودة في القبو. أراد أن يقتلها، وإذا كان قد بدأ بالوعظ، فسيكون ذلك

الجزء الطبيعي الذي يجب قتله. لذلك فإن أولئك الناس "الذين يجب أن يُكرز إليهم بالعزلة من الحياة" هم الناس البسطاء.

الدكتور يونغ: هو يعني بوضوح أن من الأفضل أن يختفي أولئك الناس غير القادرين على التخلّي عن الفكرة البطولية؛ يعني أولئك الناس العاديين الذين ليس لديهم كلاب في القبو. لكن من لديه كلاب في القبو؟ ما من شخص عادي لديه كلاب في القبو. أولاً، هو أمر يعارض الآداب البسيطة أن تحبس الكلاب في القبو: فأنت لن تفعل ذلك؛ تكون كلابك في المنزل أو الحديقة. إنها رفاق جيدة للإنسان، وهي أليفة للغاية؛ سيكون من غير الطبيعي أن تسجنها في القبو. لذلك تكون كلاب الإنسان الطبيعي العادي على السطح؛ هو يعيش معها، وإلى حد معين يكون السيد مكافئاً للكلب، والكلب مكافئاً للسيد. غالباً ما تلاحظ ذلك الشبه الغريب بين الكلب وسيده: يلتزمان التعابير ذاتها، ويمكن تشبّه الكلاب بنماذج بشرية معينة. ثمة علاقة داخلية بين الإنسان والكلب؛ لذلك يقول الصياد العجوز إن من الجيد للكلاب أن تنام مع الصيادين. والحصان أيضاً صديق للإنسان. يقول "فيلوستراتوس" في كتابه عن "أبولونيوس أوف تايانا"[1] إن الفيلة تشبه البشر كثيراً؛ سمعها تهامس فيما بينها ليلاً، وكانت حزينة جداً لأنها كانت خائفة من أنها لم تُسعد الإنسان خلال النهار. كانت تطمح لتقديره لها. هذه قطعة نفيسة جداً من سيكولوجيا الحيوان، ولأن سيكولوجيتنا الخاصة مشابهة لهذه الحالة، يقلق الناس لساعات في الليل بسبب شعورهم بأنهم لم يرتقوا إلى مستوى توقعات الآخرين، ولم يفعلوا الشيء

[1] "حياة أبولونيوس تايانا – The Life of Apollonius of Tyana" ترجمه إلى الإنكليزية "إف. سي. كونيبر" (لندن ونيويورك، 1912). "فيلوستراتوس – Philostratus" (مولود قرابة عام 170)، سجّل بإخلاص مقولات "أبولونيوس"، المولود عام (3 قبل الميلاد)، وعاش مئة سنة. رحالة، صانع معجزات، فيثاغورثي، زاهد، ولا يعرف عن المسيح لكنه كان منافساً.

الصحيح بالنسبة إليهم، ولم يُظهروا ما يكفي من الحب. هكذا يعيش الإنسان العادي الطبيعي مع حيواناته ولا يستطيع تجاوز نفسه، ولن يفعل. أولئك هم الناس الذين يقول نيتشه إنهم فائضون ولا لزوم لهم عندما يتعلّق الأمر بالمثال البطولي.

"الأرض مليئة بالفائضين عن اللزوم؛ وفسدت الحياة بسبب الفائض من الفائضين. عسى أن ينخدعوا بالحياة الأبدية فيرحلوا عن هذه الحياة!"

هذا طبعاً ضرب بالمسيحية التي تعظ بأهمية الحياة الأبدية وعدم الأهمية النسبية للحياة المؤقتة؛ يقول إن من الجيد لهم أن يموتوا ويرحلوا إلى الحياة الأبدية لأنهم لا يقدّمون شيئاً لهذه الحياة.

" يصف الناس الواعظين بالموت "بالصفر أو السود". لكنني سأظهرهم لكم بألوان أخرى."

من هم أولئك الصفر؟

السيد أليمان: إنهم البوذيون.

الدكتور يونغ: نعم، والمرتدون العباءات السوداء هم عادة المسيحيون، البروتستانتيون منهم والكاثوليك، لأن الأسود هو اللون الرسمي، مع أنه كان في الأصل في الشرق حيث كانوا يرتدون عباءات سوداء. ارتدى الرهبان المسيحيون العباءات السوداء، ولا زالوا يفعلون ذلك في الكنيسة الأرثوذكسية الإغريقية؛ لباس الحداد كان العنوان الرسمي للرهبان في القرون: الثاني والثالث والرابع. لذلك فإن الأسود، الذي يشير إلى الحداد والموت والتنسّك، أصبح مميزاً للقساوسة. يستخدمون في المهام الرسمية ألواناً أخرى، حيث يعبّر الأبيض عن البراءة والنقاء، ويعبّر الأحمر عن الحبّ؛ ويدخل اللون الأصفر أيضاً لكنني أعتقد أنه كان ابتكاراً لاحقاً. أما الأزرق فليس من ألوان الكنيسة.

السيدة أليمان: ماذا عن اللون البنفسجي؟

الدكتور يونغ: نعم، لكن اللون البنفسجي والأرجواني والقرمزي ظهر في فترة متأخرة جداً؛ الألوان الأصلية كانت الأبيض والأسود والأصفر والأحمر. وما يثير الدهشة أنها كانت الألوان السريّة للعناصر الأربعة في الفلسفة الخيميائية؛ لا بدّ أن لها علاقة بمفهوم أصلي معين. إنها ألوان الوظائف الأربعة؛ ما نسميه الوظائف السيكولوجية كانت في الأصل عناصر أو أمزجة. إن وظائفنا الأربعة هي السمات الأربع للوعي،[1] لكن عندما لم يكن هناك سيكولوجيا، عندما لم يكن المرء يعرف الفرق بين الكائنات البشرية، كان يتحدث عن أمزجة أو فروقات عاطفية، الحزن والتفاؤل والانفعال والبرود. فالشخص البارد هو صاحب المزاج البارد والإيقاع البطيء؛ ولدى الحزين مزاج أسود مُحبط للغاية؛ والشخصية الانفعالية هي الشخصية النزقة الغضوبة التي تندفع بسهولة وتثور؛ أما المتفائل فهو المرح الهادئ المتمهل. تم تفسير ذلك من خلال حالة خاصة تتعلّق بما يُسمى "مزاج" الجسد أو سائل الجسد أو رطوبته أو عُصارته. هذه الفكرة عن الأمزجة الأربعة لها أصل قديم، وهي أول محاولة لتصنيف الناس أفقياً إن جاز التعبير، لكن هناك قيمة خاصة ترتبط بذلك. والمحاولة الأخرى لتصنيف البشر في القديم كانت النظام العمودي: المراحل الثالثة، " *hylikos, psychikos and pneumatikos*" – الإنسان المادي، والإنسان

---

[1] تساهم الوظائف الأربعة بالتساوي من أجل توجّه كامل: يجب على التفكير أن يسهل المعرفة والحكم، وعلى الشعور أن يخبرنا كيف يكون الشيء هاماً أو غير هام بالنسبة إلينا، وإلى أي مدى، ويجب على الإحساس أن ينقل لنا واقعاً ملموساً عبر الرؤية والسمع والذوق وما إلى ذلك، ويجب على الحدس أن يمكننا من تحديد المكانيات المتوارية في الخلفية، لأن هذه الأشياء تنتمي للصورة الكاملة الخاصة بحالة معينة (الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 900). لكنه أضاف: "كقاعدة عامة، تكون واحدة فقط من الوظائف الأساسية في حالة الوعي الكامل، وتتمايز بشكل كافٍ لتستطيع الإرادة أن تتلاعب بها بحرية، بينما تبقى الوظائف الأخرى في اللاوعي كلياً أو جزئياً" (صفحة 905).

السيكولوجي النفسي والإنسان الروحاني. كان المزاج مرتبطاً بالعناصر الأربعة – النار والتراب والماء والهواء – وكانت تتميز أحياناً بأربعة ألوان. يجد المرء أيضاً في المندلات اللامية في الشرق أربعة ألوان هي الأبيض والأحمر والأخضر والأصفر؛ لكن اللون الأخضر ليس من ألوان الكنيسة في الغرب، لأنه لون الغطاء النباتي، ولا علاقة له بالكنيسة والروح. من الغريب أن اللون الأزرق لم يُستخدم.

السيدة بايتز: ثوب مريم العذراء كان أزرق دوماً تقريباً.

الدكتور يونغ: نعم، في الفن، لكن هذا لا علاقة له بالألوان الرسمية للطقوس؛ إنهم يطلقون عليها اسم "ألوان الكنيسة"، وهي تتطابق مع الألوان الخيميائية القديمة تحديداً. هناك فقرة في إحدى المؤلفات الهرميتية الباطنية اللاتينية تتحدث عن النسر باعتباره "طائراً روحانياً" يرتفع من الأم السوداء: *Vultur in cacumine montis magna voce clamet; ego sum ater et albus, rubens et citrinus*" وتعني: "النسر في قمة الجبل يصرخ بصوت عالٍ قائلاً: 'أنا أبيض وأسود وأحمر وزيتي'". أي إنه الوحيد الذي يجمع السمات الأربعة، أي إن النسر هو الوحيد الذي يرتقي فوق الأمزجة بلغة هذه الأيام. ويعني بالنسبة إلينا أنه الشيء الذي ليس تفكيراً ولا شعوراً ولا إحساساً ولا حدساً، بل هو فوق الوظائف الأربعة. وفي الفلسفة الخيميائية يكون المعنى أن الأربعة يجب أن تكون معاً في واحد، وحاولوا التعبير عنها في عملية كيميائية مادية من خلال دمج العناصر الأربعة – النار، التراب، الماء والهواء – أو بطريقة نفسية، بتوحيد الأمزجة الأربعة في واحد. والواحد، ذلك الشيء المركزي، كان يُدعى بأسماء مختلفة، "حجر الفلاسفة"، أو "ذهبنا" (الذي لم يكن ذهباً عادياً) ومواد أخرى متعددة. لم يكن جسداً كيميائياً بكل وضوح، ولا يمكن القول إنه كان روحانياً، لأنه كان مادة مثلما كان روحاً. إنه شيء رمزي يحتل موقعاً

مركزياً؛ مثل المندلا اللامية التي لم تكن في السماء إطلاقاً بل كانت تتجسد دوماً بنصف في الأرض ونصف في العالم العلوي.

المرتدون اللون الأصفر هم البوذيون بالتأكيد لأن عباءاتهم الرسمية صفراء برتقالية. كان في الأصل لوناً مشيناً ترتديه الطبقة الاجتماعية الدنيا كإشارة على التواضع والتنسّك. وكان يتميز اليهود أيضاً باللون الأصفر في العصور الوسطى؛ اعتادوا أن يرتدوا إما القبعة الصفراء أو الوشاح الأصفر، وفي بازل، في أواخر عام *1865*، كان على اليهود تقديم بطاقات هوية صفراء على بوابات المدينة إذا أرادوا دخولها. وكانت راية الحجر الصحيّ صفراء، وتعني مرضاً معدياً، انتبه! لنتابع الآن:

"إنهم المرعبون الذين يحملون في أعماقهم حيوانات مفترسة، ولا خيار لديهم سوى الشهوة أو تمزيق الذات وتعذيبها. لكن حتى شهوتهم تعذيب للذات أيضاً."

إلى من يشير بهذه العبارة؟ لدى نيتشه معرفة تاريخية عظيمة كما تعلمون.

السيدة بايتز: ألا يعني بذلك المسيحيين الذين أمضوا حياتهم في الخمول ثم مضوا إلى الصحراء وقتلوا الجسد؟

الدكتور يونغ: تماماً. يمكن بسهولة أن يقصد بذلك أشخاصاً مثل "ريموندس لولوس" أو "أغناطيوس لويولا" أو القديس أوغسطين أو "ترتليان"، الذين عاشوا في البرّية وتحوّلوا بعدها ضدّ أنفسهم بشكل مفاجئ، تحوّلوا إلى افتراس الذات؛[1] كانت وحشية الغرائز ذاتها، إلا أنها تحوّلت إلى غاية روحانية.

---

[1] مفترسو الذات: "ريموندس لولوس" أو "ريموند لولي " (1235 – 1315)، "أغناطيوس لويولا" (1491 – 1556)، القديس أوغسطين، أسقف هيبو (354 –

"لم يبلغ أولئك المرعبون منزلة الإنسان بعد: فليعظوا بالإعراض عن الحياة، وليرحلوا عنها!"

أمر مثير للفضول، لكن أشخاصاً مثل "أغناطيوس لويولا" كانوا أبطالاً فعلاً؛ مات لويولا بين "المسلمين المغاربة" كمبشّر، مات ميتة شهيد، وكان الشهداء أبطالاً – فقط من أجل الروح، كانوا أبطالاً. وهنا يرى نيتشه بوضوح إلى أين تؤدي البطولة؛ يتحدث هو نفسه عن صنع إله من الشياطين السبعة. كما يستخلص حلاوة من قسوته، ويحول الوحشية إلى غاية أخرى. لكنه يرى ذلك في الناس الآخرين فقط، ويعتقد أن هناك ما هو مختلف تماماً. لكن سواء أكان نيتشه أم "أغناطيوس ليولا" أو أي شخص آخر ينقلب ويضحّي بنفسه أو يؤذي نفسه في سبيل غايته، يكون له موقف بطولي. لا أحد يصبح بطلاً من دون أن ينقلب ضد نفسه إلى حد معين، لأن لكل إنسان قلب أرنب بداخله، ويدافع هذا القلب عن نفسه حتى النهاية ضد موقف البطل؛ إذا كان لدى المرء مجرد تلميح عن البطولة، فسيشعر كيف عليه أن ينقلب على نفسه. وإلا لن يصل إلى أي مكان. يبين هذا العتاب الخاص أنه يرى اللا إنسانية بوضوح، لكن التماهي مع زارادشت غير إنساني.

ذوو الأرواح المسلولة هم هؤلاء: لا يكاد أحدهم يولد حتى يبدأ بالموت، والتوق إلى تعاليم الزهد والتراخي والتنازل.

'يرغبون بالموت، وعلينا أن نقبل برغبتهم! لنحترس من إيقاظ أولئك الأموات، ولنحترس من تحطيم تلك النعوش المتحرّكة!

إذا ما التقوا بمريض أو عاجز أو جثة، يقولون في الحال:" باطل هي الحياة!".

---

430)، "ترتليان" (160؟ - 230). تم نشر محاضرات يونغ في معهد البوليتكنيك الفيدرالي حول "لويولا" بشكل جزئي في ربيع عام 1977 و 1978.

لكنهم هم الباطلون وكذلك أعينهم التي لا ترى من الوجود إلا جانباً واحداً.

تلفّهم كآبة ثقيلة، ويتوقون إلى مصادفات صغيرة تجلب الموت؛ هكذا ينتظرون ويصرّون بأسنانهم.

أو ينقضّون على قطع الحلوى، ويسخرون في الوقت نفسه من طفوليتهم: يتعلّقون بقشّة حياتهم، ويسخرون من تعلّقهم بتلك القشّة.

تقول حكمتهم: أحمق من يظلّ على قيد الحياة، لكننا حمقى للغاية! وهذا هو الأكثر حمقاً في الحياة!

إلى أي شيء تشير "قطع الحلوى"؟ لا بدّ أن تكون حالة مختلفة. هو لا يشير بالتأكيد إلى أي نهج ديني.

السيدة باومان: الطعام والشراب والزواج، لأنك ستموت غداً.

الدكتور يونغ: نعم، وجهة النظر الأبيقورية، الموقف الدنيوي الساخر، وهي إلى حد بعيد الأكثر شيوعاً في الفلسفة. تقوم فكرتهم على أن من الحمق أن تعيش أساساً، لكن للأسف، يعيش المرء ويفعل أفضل ما يمكن. وهذا لا يعني سوى وجود عاطفة ودودة. إنها فلسفة عملية كان لها العديد من الأتباع.

"الحياة مجرّد معاناة"، هكذا يقول آخرون، وهم لا يكذبون. ولا شيء سوى عذاب هذه الحياة – هكذا يقول آخرون، وهم لا يكذبون: فلماذا لا يضعون حداً لهذه الحياة! لماذا لا يضعون حداً لحياتهم إذا لم تكن سوى معاناة!

هكذا تقضي تعاليمهم: "عليك أن تقتل نفسك بنفسك! عليك أن تنجو بنفسك من نفسك!

إلى من يشير هنا؟

السيدة كرولي: إلى شوبنهاور.

الدكتور يونغ: طبعاً. كان نيتشه معجباً للغاية بشوبنهاور، لكن أصبح خصمه لاحقاً. أصبحت وجهة نظر شوبنهاور بغيضة بالنسبة إليه لأنها كانت بوذية للغاية؛ لقد تغلّب عليه التعاطف الكبير مع الإنسانية ومعاناة الحياة التي لا يمكن إنكارها، وهكذا قال إن على المرء ببساطة أن يتوقف عن الرغبة بالحياة لكي يضع حداً لهذا الوهم الكامل بالوجود.[1]

"اللذّة خطيئة" – هكذا يقول بعض الواعظين بالموت – "لنتنحّى جانباً ولا ننجب ولداً!"

"إنجاب الأولاد مرهق"، هكذا يقول آخرون، "لماذا الإنجاب إذاً طالما أن المرء لا يُنجب سوى التعساء!" هم أيضاً يعظون بالموت.

إلى أي شخصية مشهورة يشير هنا؟

السيدة باينز: لا بدّ أنه يشير إلى "تولستوي"، تلك كانت عقيدته.

الدكتور إليوت: ليس في أيام نيتشه؛ لم يكن لدى تولستوي فلسفة عندما كان يافعاً.[2]

السيدة سيغ: هل يشير إلى "توماس روبرت مالتوس – *Malthus*"؟

الدكتور يونغ: نعم، رجل فكرة "التحكم بالتزايد السكاني" الذي نشر مؤلّفاته قبل أواسط القرن التاسع عشر، وأعتقد أن ذلك كان بين عامي (*1840 – 1850*)، وأثار ضجّة هائلة في أوروبا كلها. وكان نيتشه متأثراً به لأن الجميع كانوا متأثرين به حينها.[3]

---

[1] تحوّل نيتشه تدريجياً ضدّ استخفاف شوبنهاور الشرقي بالإرادة باعتبارها منبعاً لكل التعاسة والبؤس، مع اقتناع متزايد بأن إرادة القوة هي الشيء الأفضل والشيء الجوهري لدى الإنسان.

[2] بعد أن أكّد شهرته برواية "الحرب والسلام – War and Peace" (1859) ورواية "آنا كارنينا – Anna Karenina" (1877) أصبحت توليفة تولستوي الماسونية والمسيحية تحريضية للغاية بمرور السنوات.

[3] يقول "توماس روبرت مالتوس – Thomas Robert Maltthus" (1766 – 1834): ليست النظم الاجتماعية الفاسدة هي المسؤولة عن البؤس، والطبيعة ليست

"الشفقة أمر ضروري"، يقول آخرون، "فلتأخذوا ما لدي! ولتأخذوا ما أنا عليه! وبذلك يتضاءل ما يربطني بالحياة!"

وإذا ما تغلغلت الشفقة في صميم ذاتهم فسيبذلون جهدهم لدفع سواهم إلى كره الحياة. سيكونون شرّيرين – وسيكون ذلك هو خيرهم الحقيقي.

لكنهم يريدون التملّص من الحياة؛ لا يضيرهم أن يقيّدوا الآخرين بقيودهم وهباتهم.

إلام تشير عبارة: "فلتأخذوا ما لدي! ولتأخذوا ما أنا عليه!"

السيدة كرولي: يمكن أن تكون إشارة إلى الرهبان.

الدكتور يونغ: لا، أبداً، الراهب لا يقول خذ كل ما أملك؛ لم يسارعوا للعطاء إطلاقاً.

السيدة كرولي: اعتقدت أنهم يهبون كل شيء للدير.

الدكتور يونغ: نعم، لكن كان لديهم أقبية جيدة.

الآنسة حنّة: يبدو أنها إشارة إلى المسيحية. المسيح نفسه يدعو إلى ذلك.

الدكتور يونغ: يشير إلى شيء حديث نوعاً ما، وكان نيتشه قد وجّه ضربة قوية للمسيحيين. يجب أن نتوقع شخصاً ما أكثر حداثة من "مالتوس".

السيد أليمان: "ماركس".

خيّرة بل هي المسؤولة عن ذلك. فهو يرى أن هناك تزايداً في السكان وكذلك في الموارد الغذائية بمرور الزمن لكنهما لا يتبعان المعدّل ذاته لأن زيادة السكان تتبع متوالية هندسية في حين أن زيادة الموارد الغذائية تتبع متوالية عددية. وأشار إلى أن السكان يتضاعفون مرة كل 25 عاماً إذا لم تقم عقبات تحول دون ذلك، ولا يستطيع الإنتاج الزراعي مواكبة هذه الزيادة. ويؤدي هذا الخلل بين زيادة السكان وزيادة الموارد الغذائية إلى ضرورة تدخّل عوامل خارجية من شأنها إعادة التوازن، وهذا العوامل هي الحروب والمجاعات والأوبئة والأمراض – أو اتخاذ تدابير وقائية مثل الإجهاض أو تحديد النسل. وتم نشر كتابه الرئيس في هذا المجال بعنوان "مقال حول مبادئ السكان – Essay on the Principle of Population" عام (1798).

الدكتور يونغ: نعم، النظرية الشيوعية وأفكار من هذا القبيل، تلك التي نشأت في النصف الثاني من القرن.

"وأنتم أيضاً أيها الذين لا تعدو حياتكم كونها كدّاً مجهداً وقلقاً: ألم يصبكم التعب من الحياة؟ ألم تنضجوا بعد كي تطلبوا الموت؟

أنتم جميعاً يا من تفضلون العمل الشاق، وكل سريع وكل جديد وغريب – أنتم لا تحتملون أنفسكم، وما اجتهادك سوى هروب من الحياة، ومحاولة للفرار من الذات.

لو كنتم تؤمنون أكثر بالحياة لقلّ تكريس أنفسكم للحظة الحالية. لكن ليس لديكم في أعماقكم ما يكفي من المحتوى للانتظار – ولا حتى للكسل!"

ما الذي يعنيه ذلك؟

السيدة باينز: يعني بذلك رجل الأعمال المتعب.

الدكتور يونغ: نعم، هو يشير إلى السمة الرئيسة للقسم الثاني من القرن التاسع عشر، الصناعة، الحياة القائمة على العمل، ورجل الأعمال المرهق.

"يصدح صوت الواعظين بالموت في كل مكان؛ وتكتظّ الأرض بأولئك الذين ينبغي وعظهم بالموت؛ أو "بالحياة الخالدة": فلا فرق عندي بينهما – لكن شريطة أن يسرعوا فقط بالرحيل!"

هو يمحو عملياً جيل الرجال كلهم؛ لن يبقى سوى قلّة ستقضي عليهم الصاعقة. يا له من تطرّف: إنه يمسك بيده إسفنجة ويمسح بها كل ما هو مكتوب على لوح التاريخ الأسود، إنه علاج شامل. وهذا هام للغاية. هو ينقل فكرة مفادها أن كل شيء موجود يجب إزالته لأنه لا يستحق الاستمرار. لكن ما الذي يتضمنه ذلك؟

السيدة سيغ: يتضمن بداية جديدة.

الدكتور يونغ: نعم، اقتلاع البشرية الفعلية كلها والقيام بثورة كاملة بغية إعداد الأرض لعالم جديد.

السيدة أدلر: يبدو الأمر بالنسبة إلي هزلياً وتعويضياً لأن نيتشه ليس لديه في الواقع أي اهتمام بالحياة على الإطلاق؛ هو يتخيّل أشياء كهذه لكن الناس الأقرب إلى الحياة أكثر حرصاً وتحفظاً.

الدكتور يونغ: نعم، لكن نيتشه لا يتكلم. نيتشه شاب يافع أصابته صاعقة؛ من يتحدث هنا هو زارادشت، هو الروح. والروح أشبه بظاهرة بدائية عظيمة تأتي عندما تريد أن تأتي، وتدمّر ما يحلو لها أن تدمّر. والروح لا تسأل ما إذا كنا مستعدين لقدوم قرن جديد أو عالم جديد، بل تأتي ببساطة عندما تكون مستعدة، وتدمّر كل مقاومة. وهكذا فإن نيتشه لم يتأثر بالاعتبارات الإنسانية على الإطلاق؛ هو يتبع ببساطة إيحاءات روح زارادشت.

نصل الآن إلى الفصل التالي "عن الحرب والشعوب المحاربة". ما هو التسلسل المنطقي بين هذا العنوان والعنوان السابق "عن دعاة الموت"؟

السيدة باومان: أليست الحرب التي يجب أن تدمر العالم؟

الدكتور يونغ: نعم، لطالما كانت الحرب وسيلة التدمير، وهذا ما كان يحظ به في الواقع. والسؤال طبعاً هو ما الشكل الذي سيتخذه هذا التدمير، واللاوعي يعدّ الإجابة سلفاً. قد يعني حرباً أو على الأقل موقفاً شبيهاً بالحرب جاهزاً للضرب والتدمير، والاستعداد للتهور الكامل، وهنا لا بدّ لي أن أتحدث مجدداً عن الخاصية النبوئية الغريبة لهذين الفصلين. يمكن للمرء أن يقول إن هذا غير منطقي؛ لقد تدفّق ذلك منه ببساطة، ولديه بوضوح خاصية التفكير والتخيّل. وهي حقيقة بالقدر ذاته لأن روح زارادشت، كما يمكن للمرء أن يقول، هي مرآة لتدفق الأحداث التي تُعتبر حقائق محتملة، مع أنها غير موجودة حتى الآن. يمتلك لاوعينا جانبين:

الأول هو الماضي أو بقايا الماضي، والآخر هو المستقبل أو علامات المستقبل. يمكن أن يتدفق اللاوعي بطريقة عكسية، إلى أشياء تصل إلى الماضي بعيداً عن الوجود الفردي؛ وكما تعلمون، يمكن للمرء أن يرجع بالزمن آلاف السنوات أو يتقدم. وزارادشت موجّهٌ إلى أشياء قادمة؛ الماضي لا يأتي إلا بقدر ما يكون مادة البناء من أجل مستقبل جديد. هو يعكس صور الإمكانيات المحتملة للاوعي الجمعي – ما هو المرجّح أن يكون – وبالتالي عندما يتحدث عن الموت ودعاة الموت، فهي ليست مجرّد كلمات؛ يمكن للمرء أن يفهمها باعتبارها حقيقة محتملة يختزنها اللاوعي من أجل أزمنة قادمة. فعندما يتحدث أحدهم من اللاوعي مباشرة، عليه أن يتذكر دوماً أن تلك هي حقائق يعكسها اللاوعي، وأنها نبوئية فعلاً: نبي حقيقي يصوّر تدفق الحقائق المحتملة.

هذه الفصول حافلة بالمستقبل. فهي توضح ما يحدث في أيامنا مثلاً؛ كان لدينا كثير من عمليات الإبادة، ولا يبدو أننا انتهينا من ذلك. هو يقول: "*الأرض مليئة بالفائضين عن اللزوم؛ وفسدت الحياة بسبب الفائض من الفائضين*". تعلمون أن كثيرين يتحدثون الآن عن الزيادة السكانية – ومن المؤكد أن أوروبا الوسطى تعجّ بالسكان. نحن متأثرون بشدة في سويسرا بأننا قد لا نستطيع إطعام سكانها البالغ عددهم خمسة ملايين؛ نستطيع إنتاج طعام يكفي مليونين فقط، لكن ماذا عن الثلاثة ملايين الباقية إذا وجب علينا إغلاق حدودنا مثلاً ولم نتمكن من الشراء؟ إيطاليا فيها عدد كبير من السكان، وهم يكرزون إلى الموت بإرسالهم فرقة تلو الأخرى إلى الحبشة لتغذية البعوض هناك؛ تلك محاولة جادّة لإراقة الدماء. وهكذا فالحرب بهدف إنقاص عدد السكان أصبحت مسألة خاضعة للنقاش في لاوعينا باعتبارها وسيلة تدمير مناسبة. إن لاوعينا مليء بمخططات التدمير، وهذا حقيقي؛ لكن اللاوعي الشخصي ليس

كذلك إلى هذه الدرجة، وإذا تعمقنا قليلاً في طبقات اللاوعي الجمعي الحقيقية نجد نزعة كهذه. لذلك نخاف على أوروبا من مستقبل غامض يهددها؛ يتوقع المرء قَدَراً خادعاً. تزيد جميع الدول من مستوى تسلّحها استعداداً للسلام؛ وبسبب ذلك الخوف، يفكّر حتى أكثر الناس سلماً بالتسلّح وبناء الحصون. نحن نرى ذلك بأوضح صوره في فرنسا؛ العقلية الفرنسية مليئة بالخوف. في اليوم الذي أعلن فيه هتلر التعبئة العسكرية العامة، لم يذهب الفرنسيون حتى إلى مقاهيهم المحببة، بل هجروا أماكنهم المعتادة في الطرقات لأنهم اعتقدوا بأن القذائف ستهطل على باريس في اللحظة التالية. هذه هي الخاصية التي أتحدث عنها؛ الجو مشحون بالخوف واحتمالات الحرب. ويرينا هذان الفصلان الاستعداد اللاواعي للمستقبل فعلاً".

السيدة باومان: أودّ أن أسأل ما إذا كنت ترى في أحلام مرضاك وأخيولاتهم صوراً لظروف عامة، وإذا كنت تراها فعلاً، فكيف تفرّق الشخصي منها عن السياسي؟

الدكتور يونغ: لا أرى أشياء كهذه بشكل عام لأن معظم المرضى غير مهتمين برفاه العالم، بل برفاههم الشخصي، لذلك تظهر لديهم صور ذات أهمية شخصية. والأحلام النبوئية نادرة للغاية؛ وأكثرها تكراراً النبوءات التي تخص اليوم التالي فقط، وهي غير هامة إطلاقاً على الصعيد العام إلا أنها تكون ذات أهمية ذاتية فقط. تتطلّب النبوءة الحقيقية *حجماً* بشكل دائم، ولا يمكن للجميع التباهي بامتلاك هذه السمة. لكن نيتشه كان من النوعية التي تمتلك هذه السمة.

السيدة يونغ: يبدو لي أنه ليس التدمير فقط هو ما يمكن أن نراه هنا؛ يمكن أن نرى موقفاً من الحياة أيضاً، ورابطاً آخر مع روح البطل الذي

امتدحه سابقاً. لذلك أعتقد أنه شيء إيجابي أيضاً، موقف إيجابي من الحياة، وليس تدميراً بالضرورة.

الدكتور يونغ: هذا صحيح. لكنه تدميري فعلاً *هنا*، وخلال مسار هذا الفصل يحدث "الانتقال إلى الجهة المعاكسة" التي تُعدّ للفصل التالي الذي يحمل عنوان "عن الصنم الجديد"، حيث يصل إلى فكرة العلاج. لأن اللاوعي لا يلتصق أبداً بالدمار المطلق. اللاوعي هو روح الحياة، وتيار الأحداث الذي يتدفق باستمرار. لا يعرف اللاوعي الموت أو التدمير الكامل، بل يعرف التغيير فقط، والتغيير عادة وفقاً لقانون "الانتقال إلى الجهة المعاكسة". لذلك يكون التدمير جزئياً دوماً، لكن أعتقد أن التدمير البعيد المدى نسبياً هو المقصود هنا. وإذا لم يكن بعيد المدى إلا بقدر الحرب العالمية، فهو ذو حجم هائل سلفاً! يتصوّر اللاوعي كوارث تتجاوز حتى الحرب العالمية.

السيدة سيغ: أعتقد أن الفقرة التالية: "*أريدكم أن تكونوا من أولئك الذين تبحث عينهم دوماً عن عدوّ – عن عدوّكم*"، يمكن اعتبارها نبوءة بالسيكولوجيا الحديثة.

الدكتور يونغ: نعم، لكن انتظري حتى نصل إليها!

السيدة آدلر: في محاضرتك التي ألقيتها في الجامعة عن "القرينة"، تحدثت عن شخص يسمع أصواتاً؛ أعتقد في تلك الحالة أن النبوءة قد قيلت من خلال الأصوات.[1]

الدكتور يونغ: في تلك الحالة، كان الصوت يهتم بشكل أساسي بأشياء شخصية. كان هناك تلميحات عامة، لكن مع تطبيق شخصي للغاية لا علاقة له بالأحداث العالمية. كان الموقف الشخصي من التغيير المحتمل في

---

[1] لم يتم اكتشاف أية محاضرة منفصلة ألقاها يونغ عن الأنيما من تلك الفترة، لذلك ربما كانت الإشارة إلى جزء من "السيمنار" الذي ألقاه عن أحلام الأطفال في المعهد الفيدرالي للتكنولوجيا في زيورخ.

البيئة المحيطة دوماً. لكن الموضوع لم يتغير في المحيط، والتغيير فقط في الموقف الشخصي؛ وحتى هناك، لم يكن سوى القليل من المادة النبوئية.

السيدة آدلر: لكن ألم تجد في كثير من حالات الهستريا معاناة كبيرة جداً في اللاوعي الجمعي؟

الدكتور يونغ: نعم، هذا صحيح، لكننا نجد ذلك في كل مكان؛ يعكس الوضع العام نفسه في حالات العُصاب كلها. ويكون لكل شخص جانب جمعي، يعاني كل شخص من تعاملاته المالية، ومن الأزمات العالمية الفعلية مثلاً. وهذا يدخل في عمق كثير من الحالات. يُصاب الجميع بأمراض نفسية بسبب الأحداث الفعلية والموقف العام. وربما يمكن القول إن ربع سكان سويسرا في هذه الأيام مصابون بأمراض نفسية. المصحّات العقلية تنتشر؛ هناك حالات عقلية غير طبيعية تسود أوروبا، والجميع متأثر بذلك إلى حد ما. لكن الأمر المميز لمريض العُصاب العادي أن العُصاب يكون شخصياً بالنسبة إليه. بمجرد أن يتعرض لتهديد شخصي بالخسارة، وحتى لو كانت هذه الخسارة عالمية والجميع متأثرون بها، يهتم الشخص بخسارته الخاصة ويتعامل معها كما لو أنها حالته الخاصة وليست حالة عامة. يكون هناك كشف عظيم دوماً لمرضى معينين عندما ينتهون من تحليلهم ليستمعوا إليّ وأنا أتحدث عن حالات أخرى. ثم يكتشفون أن لدى الناس الآخرين أعراضاً مشابهة بينما كانوا يعتقدون أنهم كانوا الأشخاص الوحيدين الذين وقعوا في تجارب كهذه في أرض الله الواسعة. من المذهل المدى الذي يركّز فيه الناس على أنفسهم ولا سيما أثناء المعاناة؛ يُصبحون متحفزين آلياً إلى أعلى الدرجات، وينسون الآخرين الذين يعانون من الشرور ذاتها التي يعانون منها. ويبدو صحيحاً ما قاله غوته في كتابه "فاوست":

"لا أعرف شيئاً أمتع في أيام الآحاد والأعياد من حديث عن الحرب وضجيج الحرب، حين تتقابل الشعوب هناك بعيداً في تركيا. يجلس المرء

عند النافذة، ويفرغ كأسه في جوفه، ويشاهد السفن المنوّعة تتهادى في النهر. ثمّ يعود المرء في المساء مبتهجاً إلى بيته ويبارك السلام وأزمنة السلام"[1].

لكن إذا أُصيب هذا الرفيق برصاصة فسيختفي العالم كله. هذا إنساني وكوني أيضاً. سنتابع النص الآن:

"لا نريد أن يراعينا خيرة أعدائنا، كما لا نريد أيضاً أن يراعينا من نحبّهم من الأعماق. دعوني أقول لكم الحقيقة إذاً!

إخواني في الحرب! إنني أحبكم من الأعماق؛ لقد كنت وما زلت واحداً منكم. وأنا أيضاً عدوكم الأفضل. فدعوني أقول لكم الحقيقة إذاً!

أنا أعرف الحقد والحسد الذي في قلوبكم، فلستم عظماء بما يكفي كي لا تعرف قلوبكم الحقد والحسد. لتكونوا عظماء بما يكفي كي لا تخجلوا بسبب ذلك!"

ما الذي يكشفه هنا؟ دائماً في بداية فصل كهذا يكون هناك فكرة غير واعية تخرج إلى النور. فعندما تسمعون كلاماً عن "إزالة عامة أو محو عام"، ربما تضعونه جانباً وتسألون لماذا يريد أن "يزيل" أولئك الناس، وما هو دافعه الشخصي. تتذكرون أن نيتشه كان بروفسوراً متقاعداً عاش على هبات مواطني "بازل" اللطفاء للغاية وإحسانهم. وقد عرفت أنا نفسي سيدة عجوزاً كانت تنفق آلاف الفرنكات سنوياً لدعم البرفسور نيتشه. وعندما عاش في "إنغادين" شدد كثيراً على فكرة كم هو جميل أن تكون على ارتفاع ستة آلاف قدم فوق ما هو عادي (أو الناس العاديين). لذلك أسأل ما الذي يكشف عنه هنا؟ من الهام للغاية أن نشير إليه هنا.

السيد أليمان: حقده وقلّة احترامه للآخرين.

---

[1] يعود اقتباس يونغ هنا إلى النسخة الإنكليزية التي ترجمتها "أليس رفائيل" مع بعض التعديلات (المقطع الأول، الفصل الثاني)، وقد نقلتها إلى العربية من النسخة العربية لمسرحية "فاوست" ترجمة: عبد الرحمن بدوي، صفحة 282. المترجم

الدكتور يونغ: حقده وحسده لأولئك الذين يعيشون في الواقع، ويستطيعون التأقلم مع هذا العالم. فليس هناك من إنسان تخلّص تماماً من ذلك الحسد الطبيعي للرفاهية مهما بلغ مستوى موهبته وعبقريته. ونيتشه لم يشعر أبداً أنه بخير؛ كان معزولاً تماماً. لا أحد يفهمه؛ كان أصدقاؤه جميعاً ينظرون إليه بخشية كبيرة لأنهم يتساءلون دوماً عما سيأتي لاحقاً. كانوا خائفين منه ولديهم شعور مسبق بالجنون في الأشياء التي كتبها. لذلك كان فعلاً في موقع لا يمكن وصفه بأنه مقبول. لا شيء طبيعي أكثر من أن يشعر بالحقد والحسد نحو أولئك الذين يتأقلمون مع الحياة العادية. يرى المرء ذلك كل يوم لدى الناس العُصابيين الذين يُجبرون بحكم حالاتهم على عيش نمط حياة غير عادي، ولا يمكن أن يكون عادياً، كيف يحسدون أولئك الذين يستطيعون عيش الحياة العادية ضمن أعراف، وضمن توقعات عادية! على سبيل المثال، أولئك الذين تسعدهم المتع العادية وتسليات الآخرين، الذين يجدون متعة خاصة بالجلوس مع جميع أقربائهم كل يوم أحد. أو يكونون ضمن جماعة لا رابط بينهم سوى أنهم وُلدوا في العام ذاته؛ أو الذين يمشون خلف راية مع فرقة معينة، سعداء للغاية وجدّيين للغاية، فرحين بمتعتهم. يشعر الناس المعزولون بقَدَر خاص دوماً بالحسد، ويكرهون أولئك الذين يستطيعون العيش وفق الحياة التي يجدونها. ويكون من الطبيعي جداً لو قالوا "أعرف حقد *قلبي* وحسده" بدلاً من قول: "أعرف حقد *قلبك* وحسده". لكن بما أن زارادشت هو الذي يتحدث – ليس لديه قلب بشري – تم الإسقاط؛ هم يشعرون بالحسد من زارادشت. باعتباره روحاً، هو لا يشعر بالحقد والحسد بل بالحكمة. ونيتشه من ناحية أخرى يشعر بأنه ينتمي إلى أولئك الناس.

"*لستم عظماء بما فيه الكفاية كي لا تعرف قلوبكم الحقد والحسد*"، تعني أنه ليس شريراً بما فيه الكفاية ليشعر بالحقد والحسد.

"وإن لم تكونوا قدّيسي معرفة، فلتكونوا على الأقلّ الجنود المقاتلين من أجلها. فأولئك هم الرفاق وروّاد مثل هذه القداسة."

ترون هنا ما يفهمه من كلمة محاربين؛ هم ليسوا وراء الحقد والحسد، ولا يحتاجون لأن يكونوا عظماء، بل يستطيعون على الأقل أن يكونوا محاربين من أجل المعرفة، حتى إذا لم يكونوا قدّيسين. لكن ما نوع المعرفة التي يجب أن تكون لدى المحاربين؟

الآنسة وولف: ربما معرفة الحقيقة لأنه يقول: "***دعوني أقول لكم الحقيقة***".

الدكتور يونغ: لكن ما هي تلك الحقيقة؟

السيدو كرولي: ألا تعني المعرفة النبوئية، تلك الحقائق التي يشعر بها زارادشت، ويتنبأ بالمستقبل؟

الدكتور يونغ: نعم، هو يعني المعرفة التي يعظ بها، معرفة الإنسان الأعلى. وعلى الرغم من أنهم ليسوا قديسين ولا مثاليين، فهم يخضعون لدوافع إنسانية وشخصية ترتبط بالحقد والحسد، ويمكن أن يكونوا محاربين. يمكن للإنسان أن يكسب معركة حتى مع جنود سيئين.

"أرى الكثير من الجنود؛ وأرغب في رؤية كثير من المحاربين! يصف الناس ما يرتديه الجنود بـ"الزيّ الموحد": وأرجو ألا يكون ذلك الذي يخفونه تحتها موحّداً هو أيضاً!"

ما الذي يعنيه ذلك؟

السيدة باومان: يعني ذلك أن يكونوا أفراداً وليسوا جماعات.

الدكتور يونغ: نعم، في الحديث عن المحاربين، يفكر في الجنود بشكل طبيعي؛ لكن الجنود يرتدون زياً موحداً وهو يعني شيئاً جمعياً بالمطلق دون أن يتضمّن أي شيء شخصي من أي نوع كان. إنهم ليسوا مسؤولين كرجال، بل هم مسؤولون كأجساد. لطالما كان خطر منظمات كهذه في أن ينكسر

الفرد إلى المدى الذي تضيع فيه الشخصية. يمكن للمرء طبعاً أن يتذكر "*Kadaver-gehorsam*" في ألمانيا قبل الحرب مباشرة، والتي تعني "الطاعة العمياء للجثث"؛ هم غير موجودين في الواقع. إنهم مجرّد صور مطيعة. لذلك هو يلمّح هنا إلى فكرة الفردانية؛ يجب ألا يكونوا منظّمين بل أن يكونوا أنفسهم.

"أريدكم أن تكونوا من أولئك الذين تبحث عينهم دوماً عن عدوّ – عن عدوّكم. وليكن لدى بعضكم حقد من النظرة الأولى."

والآن يا سيدة سيغ، ما الذي يعنيه ذلك؟

السيدة سيغ: أعتقد أن الشيء الهام في الفصل السابق هو أن نيتشه نفسه لا يرى عدوه الفردي الخاص لأنه قام بإسقاطه – لم يرَ عداءه الخاص للحياة.

الدكتور يونغ: إن ألدّ أعدائنا هو العدو القابع في داخلنا؛ وعلينا أن نجد هذا العدو ونعطيه فرصة لقتالنا. إنه يؤيّد بشدة الأعداء المتساوين، ليس العدو المحتقر بل المكروه حقاً. لذلك فإن "*عدوّك*" تعني أن عليك السعي للقتال داخل ذاتك؛ تتخذ الحرب هنا وجهاً جديداً بالمطلق. كنا نميل للتفكير في هذه الحرب كظاهرة كونية عامة، لكنه يقوم هنا باستراحة غريبة، وبشكل مفاجئ يصبح كل ما بدا خارجياً، وما بدا حرباً سياسية، وكأنه حرب ضمن الإنسان نفسه. إنه ليس العدو الذي يجب أن تبحث عنه بل *عدوّك*، وهذا طبعاً يعطي جانباً مختلفاً لمسألة الحرب والمحاربين كلها. ويمكن للمرء تقريباً أن يقول إن هذا هو الموقع الذي تبدأ فيه السيكولوجيا الحديثة كما صرّحت السيدة "سيغ"، وكانت محقّة في ذلك. فهي تبدأ بنوع من النقد الذاتي – تبدأ بسؤال "ما هو الذي يقف ضدّي؟" إذا لم أستطع القيام بما أود القيام به فلا بدّ من وجود شيء ضدّي، ولا بدّ أن يكون شيئاً قوياً، يساويني قوة على الأقل، وربما كان أقوى مني لأن باستطاعته أن

يمنعني عن القيام بما أريد القيام به. وهذا العدو غير موجود في أي مكان في الخارج.

تبدأ أنواع العُصاب كلها طبعاً من وهم أنه موجود في الخارج. أحدهم يقوم بإعداد الحيل ضدّهم؛ أشخاص فوقهم أو تحتهم لديهم نوع من الأشعة الكهربائية التي تجعلهم يقفزون؛ يعتقدون أن اليسوعيين ضدّهم، أو المؤسسة الدولية للنادلين أو الحمالين كما كان يعتقد أحد مرضاي. لدى كل مريض عُصابي "بعبع" في مكان ما، لدى الأم أو الأب، أو هذا الشخص أو ذاك، نوايا سيئة تجاهه. أو إذا لم تحدث أشياء معينة، أو إذا اختلفت الظروف، سيسير كل شيء على ما يرام. لكن ضعهم في ظروف محيطة مختلفة وسيكتشفون أن الأشياء القديمة ذاتها تبدأ من جديد، لأنهم يحملون عدوهم معهم؛ يستطيعون الذهاب أينما يرغبون لكن عدوهم يكون دوماً في ذواتهم. يحتاج الأمر طبعاً إلى عدة أشهر أو حتى سنة في الظروف المحيطة الجديدة لاكتشاف ذلك لأن لديهم شعوراً بأن كل شيء سيتغير في الظروف الجديدة – جميع المحاربين القدامى سيبقون خلفهم. لكن الأمور تسير بشكل خاطئ ويكتشفون أين تكمن الشياطين، وعندئذٍ لا يستطيعون أن يفهموا كيف علم الناس بأسرارهم، ويعتقدون أنهم على صلة بمعارفهم السابقين.

المريض الذي أشرت إليه مثلاً كان محامياً ذكياً للغاية، وكان يشعر بالاضطهاد من النُدُل في المقاهي؛ دائماً ما يتهامسون فيما بينهم ويضحكون، ويعرف تماماً أن لديهم بعض الأفكار عنه. لديه أفكار معينة طبعاً – وكان مثلياً. وفي لحظة ما ذهب إلى محطة القطار وابتاع بطاقة إلى مكان صغير يسمّى "بروغ" قرب "زيورخ"، ثم مشى باتجاه الجبل عبر الغابة إلى محطة أخرى على المسار ذاته ثم ابتاع بطاقة أخرى إلى "بازل". ثم عبر طرقاً ملتوية في مدينة "بازل" وصولاً إلى محطة أخرى ابتاع فيها بطاقة إلى "فريبرغ"؛

واختبأ هناك واستقل بعد عشر ساعات قطاراً إلى "هامبورغ"، وعرف بعدها أنه ضلّل أعداءه وأصبح كل شيء على مايرام – لقد فرّ منهم. لكنه لاحظ بعد نصف سنة تقريباً أن هناك نادلاً يغمز لنادل آخر عندما دخل أحد المقاهي. وبالطبع بدأ يفكّر بشدّة بالطريقة التي اكتشفوا فيها مكان وجوده. وخمّن كيف يمكن أن يكتشفوا ذلك، ووصل أخيراً إلى نتيجة مفادها أنه لا بدّ من وجود صحيفة عالمية للنُدُل يتبادلون فيها الأخبار، ولديهم صحيفة سرّية تصدر *تقارير* عن الأشخاص الذين يودّون اضطهادهم. لكنه لم يستطع اكتشاف هذه الصحيفة. يحدث هذا مع المصابين بالعصاب؛ عادة ما تبدأ المشاكل من جديد بعد فترة حضانة. هذا هو السبب الذي يجعل الناس ينتقلون باستمرار. وصادف أنني التقيت سيدة سافرت ثلاث مرات حول العالم بهدف الهروب من الظروف المحيطة، لكنها كانت تصل دوماً إلى عالم لا تزال الظروف ذاتها فيه.

المحاضرة السابعة

19 حزيران - يونيو 1935

الدكتور يونغ:

سنتابع النص الآن:

"عليكم أن تبحثو عن عدوّكم، وأن تخوضوا حربكم، وذلك من أجل فكرتكم!"

يلامس زارادشت هنا فكرة تبدو صحيحة في السيكولوجيا الحديثة كما قلنا الأسبوع الماضي.

وإذا ما هُزِمت فكرتكم فليظل إخلاصكم يهتف دوماً بنداء النصر!

عليكم أن تحبّوا السلام كوسيلة لحروب جديدة – وفترة السلام القصيرة أفضل من الطويلة.

لا أنصحكم بالعمل بل بالقتال. ولا أنصحك بالسلام بل بالانتصار! ليكن عملكم قتالاً، وليكن سلامكم نصراً!

لا يستطيع المرء إلا أن يظلّ ساكناً عندما يكون لديه قوس وسهم؛ وإلّا فإنه يثرثر ويشاجر. ليكن سلامكم نصراً!

تقولون إنّ القضيّة الجيدة هي التي تبرر الحرب أيضاً، وأنا أقول لكم إن الحرب الجيدة تبرر كل قضية.

لقد حققت الحرب والشجاعة أعمالاً عظمى أكثر مما حققت محبّة القريب. فبسالتكم هي التي ظلّت تُنقذ الضحايا حتى الآن وليس شفقتكم.

الكثير من هذه الأصوات مألوفة للغاية – يمكن أن تقرأ أشياء مشابهة في الصحف وفي كتب أدبية حديثة معينة. فإذا اعتبرنا هذه التعاليم عبارة عن ثقافة أمة، ستكون قيمتها مثار كثير من الشكّ، لكن إذا تعاملنا معها كتعاليم ثقافية فردية، فالأمر مختلف؛ إنها تعلّم أهمية الصراع. الحرب على المستوى الموضوعي هو ما يمكن أن نفهمه من الحرب عادة، لكن الحرب على المستوى الشخصي تعني صراعاً ضمن الفرد ذاته. ما هو جيد في الداخل ليس بالضرورة أن يكون جيداً في الخارج، وعلى الرغم من أن هيراقليطس قال إن الحرب هي أبو الأشياء كلها[1]؛ فهي أب مشكوك به للغاية، والآباء مثار شكّ دوماً. لذلك نرى أن خطبة نيتشه غامضة هنا؛ لا نعرف ما إذا كان يعظ بموقف حربي يظهر في سياسات الدول، أو يعظ بالصراع الفردي. فإذا كانت الحالة الثانية هي الصحيحة، لا بدّ أن أوافق على الحالة لأنه ما من شخص يصل إلى أي مكان دون صراع: نحن بحاجة إلى الصراع والاستعداد للقبول به. لأن الصراع هو أصل طاقتنا النفسية، ولن يكون لدينا طاقة من دونه. إذا لم نصارع، فلن نعيش.

ربما نفترض أن نيتشه يخبّئ في هذه الفقرة حدساً يتعلّق بالتفرّد لأن الصراع أمر لا مفرّ منه من أجل التفرّد. أنت لا تستطيع أن تتفرد طالما كنت متماهياً مع أهدافك ونشاطاتك لأنها تشكّل دوماً جانباً واحداً، وإذا تماهيت مع جانب واحد فقط من ذاتك، فأنت مجرّد وظيفة مستقلّة

---

[1] هيراقليطس (500 قبل الميلاد تقريباً) الفيلسوف المفضّل لدى "يونغ" بحكم الأهمية التي ربطها بالعملية والعكس، لديه قول مأثور متشائم: "الحرب أب الجميع، وملكَ على الجميع، فهي تُظهر بعض الناس كآلهة وبعضهم كرجال، وتجعل بعضهم عبيداً وبعضهم أحراراً" (شذرات 25، ترجمة فيليب ويلرايت).

وجانبٌ واحد من ذاتك. لكن إذا كنت تقبل الصراع بين جانبين أو عدة جوانب من شخصيتك يكون لديك فرصة للتفرد، لأنك تحتاج حينها إلى مركز بين النزعات المتصارعة؛ عندئذٍ يكون التفرّد منطقياً. إذا تماهيت فقط مع جانب واحد من ذاتك، فأنت تعارض اللاوعي بشكل طبيعي، وعندئذٍ يبدو الأمر كما لو أن عدوك خارج ذاتك؛ على الأقل أنت لا تفهم لماذا يجب أن تعارض من الداخل لأنك ترى تلك النزعة التي تتماهى معها، وتغضّ الطرف عن تلك النزعات المعارضة لها.[1] لذلك تُسقِط جوانبك على الآخرين الذين يصبحون "البعبع" الخاص بك. يبدون لك وكأنهم سبب إحباطك أو عُصابك؛ يرغب المرء باتهام الأب أو الأم أو الثقافة الخاطئة أو الأعداء كي يبرر لنفسه إحباطه الشخصي. وإذا كان نيتشه يعني التفرد هنا حقاً، فهذه نصيحة جيدة بالفعل؛ لكن إذا كان يخطب أمام حشد سياسي متحمّس فهذه فقرة رخيصة سيئة تفيد في ملء أعمدة الصحف.

تتساءلون "ما هو الجيد؟" الجيّد أن تكون باسلاً. ولتدعوا الفتيات الصغيرات يرددن: "الخير في اللطف والجمال، وأن تكون مؤثراً في آن معاً".

أعتقد أن عبارة "*تتساءلون ما هو الجيد*؟" تعود إلى شعور بالغموض والشك. هو يسأل نفسه: "هل هذه الخطبة التي أعظ بها خطبة جيدة؟" وطبعاً هو لا يشير هنا إلى الفتيات الصغيرات الحقيقيات الجميلات والمثيرات للشفقة. إن النص الألماني لا لبس فيه: هو يعني أن الشيء الجيد شيء جميل ومثير للشفقة. وهذه أيضاً وجهة نظر معينة غير مؤذية أبداً. هو يعني هنا أن من الجيد أن تكون شجاعاً. فهو في حالة شك كما قلت، لذلك يستخلص فكرة الشجاعة من خطبته على أن لها علاقة بالحرب؛

---

[1] اختار يونغ اسم "عقدة – complex" لوصف أجزاء النفس التي تنقسم، وتحاول استحضار نفسها ككل. انظر "مراجعة لنظرية العقدة – Review of the Complex Theory"، المجلد الثامن.

المحارب شجاع بالحد الأدنى. ويمكن طبعاً تطبيقها على الفردانية مجدداً، وعندها يصبح معنى هذه الفقرة على الشكل الآتي: من الجيد أن يواجه المرء مشاكله وصراعاته الخاصة، ولن يكون مفيداً أن تمتلك وجهة نظر لطيفة تتعلّق بالأخلاق، فالأخلاق مجرّد شيء جميل ومثير للشفقة. وهنا كلمة "شفقة - *pathetic*" لا علاقة لها بالكلمة الألمانية "*pathetisch*" التي تعني "مؤثر، يلامس المشاعر".

"يصفكم الناس بعديمي القلب؛ لكن قلبكم صادق، وأنا أحبّ حياء طيبتكم القلبية. إنكم تستحون من مدّكم، بينما يستحي آخرون من جزرهم.

هل أنتم قبيحون؟ لتلتحفوا إذاً يا أخوتي بلحاف القبيحين الجليل السامي!"

تبدو هذه نصيحة جيدة للغاية: التحفو بالجليل والسامي أو الصرامة لكي تخفوا القباحة. إذا كان ذلك ممكناً! ترى في التاريخ المعاصر العديد من هذه الحالات التي يحاولون فيها ارتداء الجليل والسامي فوق أشياء بشعة للغاية. وإذا فكرت بتطبيق ذاتي لهذه الخطبة، يمكن أن ترى كم هو مستحيل تطبيق هذه النصيحة. لن يفيد تغليف قباحتك بالجليل والسامي لأن بإمكان الكثير من الناس رؤية أذني الحمار أو حوافره وهي تظهر من تحت جلد الأسد.

"وعندما تصبح نفسكم عظيمة فستغدو مغرورة، ويكون خبث في سموّكم. إنني أعرفكم!"

هذا أيضاً شيء فكاهي في نيتشه. يتصرّف أحياناً بطريقة "عبثية" تترافق بنوع من الخبث، وكأنه عانس عجوز. أينما قرأتُ فقرة كهذه أتذكر تمثال "فولتير" النصفي الذي نحته "هودون" في بهو المسرح الوطني الفرنسي: تلك النظرة الخبيثة الساخرة للغاية. تحتاج إلى رجل فرنسي – تحتاج فقط إلى

السيد فولتير – ليستطيع إظهار ذلك الخبث، ومع ذلك كان نيتشه عبثياً بها؛ لكنه ساذج للغاية. عندما تقرأ كتاب فولتير بعنوان "حكايات فلسفية رومانسية"، تعرف ما هو الخبث؛ كان مدهشاً في هذا المجال. أو عندما تقرأ حكايات متعددة عن حياته – حتى وهو يحتضر، كان لديه ذلك الخبث السماوي الذي رغب نيتشه بامتلاكه. يجب أن يكون مؤذياً في هذه الحالة.[1]

البروفسور ريكستين: أتساءل ما إذا كان ممكناً اعتبار لحاف القبح نفسه هو السامي. قد يكون معناه إخفاء القبح، لكنه يعني العكس تماماً في النص الألماني. لأن كلمة "لحاف – *mantle*" بحد ذاتها شيء قبيح، وهي مجرّد شيء تلفّ نفسك به.

الدكتور يونغ: أنت على حق من الناحية القواعدية، لكنني أشكّ بصحة هذا المعنى.

الدكتور ريكستين: إذا كنت قبيحاً، فإن أفضل ما يمكن أن تفعله هو أن تقول إنك قبيح ولا تغلّف القباحة. هذا سيمنح إحساساً أفضل في كل الصراعات، وليس أن تحاول جعل القباحة جميلة بل أن تأخذها كما هي. عندئذٍ ستكون سامية.

السيدة كرولي: يبدو أن هذا التفسير مناسب للفقرة الآتية أيضاً.

البروفسور يونغ: لكنه لا يتناسب تماماً مع فحوى كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت***. هو يستخدم الصفة ذاتها في مفهومه عن الإنسان الأكثر قباحة. وهناك يتحدث فعلاً عن القباحة، وهو يكره الإنسان القبيح كما تعلم؛ ليس هناك أي شيء سامٍ فيه. لذلك أعتقد – بالإضافة للشك بعبارة "ما

---

[1] يتضمن هذا المجلد بعنوان "حكايات فلسفية رومانسية - **Philosophical Romance and Tales**" قصة "كانديد – **Candide**" وتهكمات أخرى. وعلى فراش موته عندما سأله راعي ابرشيته ان يعترف بالوهية المسيح، أشاح وجهه قائلاً: "دعني أموت بسلام"، ثم فارق الحياة.

هو حسنٌ؟" ـ أنه يعني "ما هو قبيح؟ هل تظنّ أنك قبيح، أو هل تظهر بهيئة القبيح؟ حسناً، التحف الجليل السامي بقبولك للقباحة". المجرم الشاحب مثلاً هو الإنسان الذي لا يقبل حقيقة أنه مجرم بشكل كامل؛ ولو استطاع فقط أن يقبلها فلن يكون شاحباً، بل سيكون جليلاً وسامياً بطريقة ما. وهكذا، إذا قبلوا القباحة فربما يمتلكون الصرامة. بعض الناس قبيحون جداً لدرجة أنهم في منتهى الصرامة. هل رأيت يوماً صورة لـ "دوقة تيرول"؟ كانت أقبح امرأة في التاريخ – المرأة الأقبح التي تم رسم لوحة لها؛ أنا لا أشكّ أبداً بوجود مسخ يقاربها. كانت أقرب إلى مسخ، مثيرة للاهتمام للغاية، ويمكن للمرء أن يقول إنها كانت سامية في قبحها، أو أنها تحفة فنيّة للقباحة. لذلك سوف أتخذها بالطريقة التي فهمنا فيها "المجرم الشاحب"؛ بقدر ما أستطيع أن أفهم الأمر، فالصرامة أو السموّ هو غطاء للقباحة. يسعدني أن أقبل فكرتك، لكنها تبدو لي بهذا الشكل. إن عبارة: "***عندما تصبح نفسكم عظيمة فستغدو مغرورة***..." تعني أن الروح لم تعد تخفي نفسها، وهذا هو السموّ والصرامة. وأن تُصبح "*übermütig*"[1] مشابه للتضخم، ولن يخفي المتضخم نوره بالتأكيد عن الآخرين، بل سيظهر يده، ويعرض نفسه بطريقة يكون فيها مرئياً؛ تكون فكرته عن نفسه كما يراها بعينيه أنه عظيم أو مثالي، ويعتقد أن الآخرين سيرونه كما يرى نفسه. ثم تأتي قباحته كلها إلى المقدمة، وعندئذٍ يمكن أن نسميها سمواً؛ هناك صرامة في ذلك. لذلك يقول نيتشه إن الصرامة خبث.

ليس من السهل رؤية إلى أي مدى تكون الصرامة خبيثة. لدى نيتشه موقف ساخر من الصرامة أو السموّ؛ يبدو الأمر كما لو أنه خائف منها. يبدو جيداً للغاية، كصرامة شخص تخلّى عن الحياة أو تغلّب على نفسه؛

---

[1] الشكل العام هو "التكبّر – haughty" والاحتمالات الأخرى هي "الروح العالية"، "العابثة أو المرحة – frolicsome" وحتى "الخليعة أو الفاسقة – wanton".

هذا يبدو كالكمال ذي الرائحة الكريهة، وكان له رائحة كريهة في أيامه بشكل خاص. وهكذا كان من الضروري بالنسبة إليه أن يضع ملاحظة على ذلك السموّ ليجعله أقل أخلاقية أو أقلّ جمالاً؛ إذ لا يمكنه أن يعترف بها أو يدركها بشكل كامل دون إضافة ملاحظة توضح الاستياء منه، وهنا مكمن الخبث. قد يكون السموّ خطيراً جداً أيضاً، فقد قال كثيراً من الأشياء البغيضة عن الناس السامين بحيث يمكن لذلك أن يعني أنه يناقض نفسه. لذلك كان لا بدّ أن يسميها خبثاً، "*Bosheit*"[1]، أي نوع من المزاح كما كان يفعل "فولتير" بالتأكيد. عندما أشرف "فرنسوا ماري أرويه دي فولتير"، أبو التنوير الفرنسي، وأسوأ لسان سليط في أوروبا، على الموت، وأتى راعي أبرشيته ليسمع اعترافه، طلب راعي الأبرشية منه أن يتوب عن آثامه أجاب فولتير: "نعم، أنا نادم على آثامي كلها، وخاصة تلك التي لم أرتكبها". هذا هو الخبث، إنه السموّ والسخف في آن معاً. تلك هي شفقة فولتير، كان خبيثاً حتى آخر نفس له. لكن نيتشه ليس كذلك، كان مثيراً للشفقة، والممثل الذي يعبّر عن مأساته الخاصة.

السيدة سيغ: أليست هذه هي الطريقة التي عامل بها زارادشت اليهود من قبل؟ تبنّى موقفاً سامياً لكنه كان خبيثاً معهم.

الدكتور يونغ: لا، لم يكن خبيثاً، لقد تحدث عن ذلك لكنه كان عاطفياً.

السيدة سيغ: إنه نوع من "الخبث والأذى – *Bosheit*".

الدكتور يونغ: لا، اقرئي فولتير. هناك فعلاً لدغة سامة، يمكن القول إنه لم يكن لدى نيتشه ذلك التهذيب.

السيدة بايتز: نيتشه جديّ للغاية.

---

[1] المعنـى الآخـر لهـذه الكلمـة وفقـاً لترجمـة "هولينغـديل" هـو "الخبـث والأذى – wickedness"، ووفقاً لترجمة "هوفمـان" هـو "السـخرية والـتهكّم – sarcasm". والاحتمالات الأخرى هي "السوء بشكله العام – badness".

الدكتور يونغ: نعم، الخباثة ليست جديّة أبداً.

السيدة فيرز: هل يوجد طيف تشابه بين هذا النوع من الخباثة وفكرته عن الراقص؟

الدكتور يونغ: تماماً. تخفف فكرة الرقص من وزن الأشياء الثقيلة فعلاً. هو متأثر للغاية بثقل الأشياء، وهو جدّي للغاية، ويخفف من وزنها. لكنك لا تشعر بالخفة؛ أنت لم ترفع قدميك عن الأرض بشكلٍ فعلي إن جاز التعبير، لم ترتفع عن الأرض. هناك الكثير من الشفقة في ذلك – إنه ثقيل للغاية وعاطفي للغاية. لكنك ستضحك إذا قرأت مزحة من مزحات فولتير، لا يمكنك أن تمنع نفسك من الضحك؛ إنها خفّة، وتعطيك شعوراً بالتحرر. كان نيتشه من أشدّ المعجبين بالفرنسيين وأقوالهم المأثورة، أولئك الذين طوّروا فن تغيير الحالة كلها بكلمة واحدة، لكنه لم ينجح في ذلك؛ هو يتقن اللغة بالتأكيد، وقد كتب كثيراً من النكات الجيدة، لكنه كان ألمانياً وجدياً للغاية.

السيدة سيغ: لا أعتقد أن في اللغة الألمانية كلمة مكافئة لكلمة "خبث – *maliciousness*".

البروفسور يونغ: بالطبع لا يوجد. تزن كلمة "الخبث والأذى – *Bosheit*" عشرة أطنان، وهي ليست خفيفة: ليست لدغة دبّور. الكلمة الفرنسية "*malicieux*" ذات أصل لاتيني؛ ليست ألمانية، وهي تحدد شيئاً لا يمكن ترجمته، كما لا يمكن ترجمة الكلمة الألمانية "مريح أو دافئ - *gemütlich*". الكلمة الفرنسية المكافئة لكلمة "مريح أو دافئ - *gemütlich*" هي "مقهى – *café*" بمناضد رخامية على ناصية الشارع، أو بمعنى "صالة – *salon*" حيث يتجمّد "العقل - *gamüt*".

السيدة كرولي: هل هذا بسبب فقدان الشعور الحقيقي في ألمانيا؟

الدكتور يونغ: لا، إنه مجرد قدرة الألماني المميزة على جمع عدة أشياء معاً في أحاسيسه، وعلى تشكيل متحف كامل من الحقائق؛ مصطلح "فرصة ليرتاح العقل - *gemütlichkeit*" هو تعبير عن أي شيء بدءاً بلحم الخنزير المقدد والبيرة وصولاً إلى الغيتار – إنها كلمة لا تُضاهى. لذلك فإن فكرته عن وجود خبث في السموّ عبارة عن محاولة لجعل السموّ شيئاً خفيفاً، شيئاً غير حقيقي بطريقة ما لكنه لم ينجح. وإذا أردت أن تعرف كيف يمكن لشيء جدي للغاية أن يصبح شيئاً خفيفاً، اقرأ مسرحية فولتير بعنوان "كانديد"، اقرأ حديثه مع "بانغلوس" الفيلسوف، الذي يعاني من مرض ذي سمعة سيئة ومتفائل جداً بأن يجعله هذا المرض خفيفاً. انظر كيف عالج فولتير هذا الموضوع وسترى ماهية الخبث، وكيف يجعل الشيء الصعب خفيفاً. ستفهم عندئذٍ أيضاً أن اللغة الألمانية عاجزة تماماً عن إنتاج كلمة كهذه. الكلمات الفرنسية منفصلة تماماً وتجريدية ودقيقة للغاية، بحيث تستطيع بوضوح أن تعزل شيئاً عن الآخر.

لكن الكلمات الألمانية التي تحدد أي شيء عاطفي أو شعوري تبدو وكأنها ثقيلة للغاية. الأشياء الأخف وزناً التي يمكن أن تجدها في الألمانية هي أحاسيس خفيفة معينة – الفالس الألماني خفيف مثلاً – لكنه ليس بخفّة الفرنسية. لا يزال فيه شعور بالدم والتراب؛ نعم، إنه رقص لكنك ترى ثقل الأحاسيس في الرقص؛ ولا علاقة له *بالإحساس* الفرنسي.

إذاً، يقول نيتشه إن في السموّ خباثة – يأمل أن يكون هناك خباثة – وألا يكون السموّ سموّا مبالغاً فيه. إذا وصل فعلاً إلى أعلى مرحلة فسوف يظهر مثل خطاف. هذا مؤكد؛ إذا صادف أن كان أحدهم سامياً فهذا يعني بالتأكيد أنه ضحيّة له. ما الذي يمكن أن يفعله؟ هو ليس إلا سامياً. وإذا كان أحدهم خيّراً فعلاً، فما الذي يستطيع فعله عكس ذلك؟ هو ليس سوى شخص خيّر، وهو ضحيّة ذلك، لأنه من دون القيام بأي تصرّف سيئ

يكون فاقداً حريته. لذلك أنا أعترض على اللاهوتيين دوماً عندما يقولون إن الله هو الخير. يقول "ميستر إيكهارت" إن الله ليس خيّراً لأنه لو كان خيّراً لكان أفضل. وهو على حق. وعلاوة على ذلك، أنا أقول إنه يخسر حريته لأنه سيكون عندئذٍ متعلّقاً بكونه خيراً، ولا يستطيع أن يفعل أي شيء سوى الخير، وهو ما سيشكّل تقييداً خطيراً لقدرته المطلقة، وهذا غير وارد بالتأكيد. لذلك يكون للسموّ عقبة في مكان ما بسبب أحادية الاتجاه المرتبطة به. إذا كان لديك علاقة بأشخاص سامين، فأنت تشعر بالخباثة؛ الحقيقة أنهم ضحايا السموّ، وهم مضجرون. لكنها شرور القدر؛ إنه شيء شرير وليس شيئاً خبيثاً تماماً، هي أشياء سيئة لأنها مثالية للغاية. يتم قمع الظلال والشرور، ومن ثم تتدفق بشكل طبيعي من مكان آخر. ليس هناك من شيء ممل وتدميري لأخلاق المرء أكثر من ارتباطه بأشخاص خيّرين بشكل لا يقبل الشك: إنه أمر في غاية الخطورة. سيصبح أبناء الخيّرين جداً سيئين أخلاقياً من أجل تعويض ذلك الخير، وبشكل طبيعي يجب تعويض السامي على الفور من قِبَلِ المشاركين غير المحظوظين في اللعبة. هذه هي الخباثة في السموّ. والشخص الذي يستطيع تعويض سموّه بعيب ما، هو ليس سامياً تماماً. وهكذا لا يمكن أن تمتلك الحالتين. إنه يطمح إلى حرّية خارقة للطبيعة لأن من المستحيل بشرياً أن تبلغ الحالتين في الوقت نفسه.

"في الخبث يلتقي المغرور والضعيف. لكن يكون هناك دوماً سوء تَفاهم بينهما. فأنا أعرفكم.

ينبغي ألا يكون لكم من الأعداء إلا أولئك الذين يدعون إلى الحقد، لا أعداء يدعون إلى الاحتقار. لا بدّ أن تكونوا فخورين بعدوكم: عندها يكون نجاح عدوكم هو نجاحكم أيضاً.

التمرّد – فضيلة العبيد. فلتكن فضيلتكم في الطاعة إذاً! ولتكن أوامركم ضرباً من الطاعة هي أيضاً!"

مرة أخرى، إذا كان هذا التصريح موجهاً لجمهور فهو لا يستحق الاستماع إليه؛ لكن إذا كان القصد هو الفردانية، فذلك شيء آخر، أي إنه يكون منطقياً. على سبيل المثال، أن يكون لديك أعداء لا تحتقرهم يعني أنك لن تحتقر العدو في داخلك؛ ربما تكرهه لكن لا يجب أن تحتقره، لأنك حينها تحتقر نفسك. إذا احتقرت شيئاً في ذاتك، فهذا يُعتبر صراعاً حقيقياً. كما يمكن أن تفخر بعدوك لأن بإمكانك أن تستنتج صفاتك الخاصة إذا كنت تعرف عدوّك؛ إذا كان لديك في ذاتك عدو سيئ بشكل خاص، فأنت تعرف أن لديك شيئاً جيداً من الجهة الأخرى. ثم تأتي أيضاً عبارة *"التمرّد – فضيلة العبيد. فلتكن فضيلتكم في الطاعة إذاً"*. إذا قمت بتطبيق ذلك على الفرد، يكون ذلك منطقياً طبعاً – وإلا فلن يكون ذلك منطقياً؛ أن تدع سلطتك تحديداً تكون في الطاعة، هذا يعني، أن تطيع نفسك.

"يجد المحارب الجيد عبارة "ينبغي عليك" أكثر استساغة من "أريد". وعليكم ألا تجدو ما هو مفضّل لديكم إلا في ما تؤمرون به."

فكرة جيدة أيضاً عندما تطبقها على الفرد. إذا قلت "أنا أريد"، تبدو عادة نوعاً من التضخّم لأنك في الواقع لم ترغب بذلك؛ لكن إذا شعرت بها بصيغة "ينبغي عليك"، فمن السهل أن تقبل بذلك، وستكون أكثر صحّة أيضاً لأن الذات ليست متماهية مع "الأنا". "تقول "الأنا": "أنا أريد"، وتقول الذات: "ينبغي عليك". وهكذا تشعر "الأنا" كما لو أن أحدهم قال "ينبغي عليك"؛ وهذا صحيح – في الأحوال كافة هذا أكثر صحّة من "أنا أريد"، وأكثر فعالية. بهذا المعنى، على كل شخص أن يكون مدركاً للمحارب الموجود في ذاته، ويقبل بصيرته الفائقة باعتبارها "ينبغي عليك" وليس "أنا أريد". وإذا كانت الثانية هي الصحيحة، فأنت في خطر التضخم لأنك لا تستطيع أن تتحمّل هذه المسؤولية إلا بالقدر الذي يمكن أن تبلغه "الأنا"؛ لا يمكنك

تحملها بالقدر الذي تبلغه الذات لأن ذلك يتجاوز مسؤوليتك. إن مسؤوليتك عبارة عن جانب واحد، ووظيفة واحدة للذات، لكن لديها جوانب أخرى؛ فعدم المسؤولية هو جانب من جوانب الذات أيضاً. هذا ما كان يقصده نيتشه عندما تحدث عما هو "وراء الخير والشر". الإنسان الأعلى هو شيء يتجاوز الخير والشرّ، والإنسان الأعلى هو الذات.

"ليكن حبّكم للحياة حباً لأملكم الأكبر؛ وليكن أملكم الأكبر فكرتكم الأسمى عن الحياة!"

هو يتحدث هنا عن شيء أساسي للغاية يرتبط بنوع جديد من الأخلاق. كانت تقوم الفكرة سابقاً على أن ما يسعد الآلهة هو جيد. ويعتبر زعيم القبيلة البدائية أن ما هو خير بالنسبة إليه هو الخير العام، وما هو جيد للآخرين وسيئ بالنسبة إليه هو سيئ بالضرورة؛ ليس لديه أية وجهة نظر أخرى. لكن لاحقاً أصبحت الفكرة تقوم على أن كلمة الله تخبرك ما هو الخير، وأنت سيئ إذا لم تحقق كلمة الله؛ لا ينبغي عليك أن تعارض هذه الفكرة. لكن مع اختفاء هذه المبادئ الميتافيزيقية، نحن بحاجة إلى أسس أخرى جديدة بالتأكيد. لكن ماهو المعيار الذي نستطيع أن نقول وفقه إن هذا الشيء خيّر؟ لا بدّ من مقياس ما. حسناً، الحياة هي المعيار: على سبيل المثال، كل ما هو حيوي له أهمية أخلاقية.

قد يمتنع المرء طبعاً عن استخدام كلمة خير في هذا الموقع لأنها اكتسبت صفة معينة في تاريخ الأخلاق؛ تعرفون جيداً أن الشيء الحيوي ليس شيئاً خيراً فقط وفقاً لفهمنا لهذه الكلمة. لكن لا يمكن أن ننكر أنه حيوي، ولا يمكنك في هذه الحالة أن تنكر أنه يبدو لك كما لو أن هناك شيئاً خيّراً فيه، شيئاً يستحق العناء. ربما تقول إن اتخاذ قرار حول شيء ما بهذه الطريقة أو تلك هو أمر جيد وأخلاقي، لكنك تلاحظ لاحقاً أنه ليس

حيوياً أن تقرر بهذه الطريقة؛ لذلك لا بدّ من السعي لحلّ حيوي يسمح للحياة بأن تُعاش. لكن لا يمكنك أن تسميه خيراً، على الرغم من أنك تشعر به بأنه أفضل من السعي إلى القضايا الأخلاقية. نحن نطلق صفة الأخلاق على كثير من الأمور التي فقدت حيويتها بشكل كامل؛ لم تعد تستحق العناء، ولم تعد على قيد الحياة. وهناك أمور أخرى لا توصف بالخيّرة لكن فيها كثير من الحيوية بالتأكيد – ليست حيوية فقط بل تتضمن أساساً أفضل للعيش. فهي تطرح أشكالاً أو إمكانيات تُغني الحياة. لدينا كثير من الأفكار الأخلاقية التي تفقر الحياة ونعتقد أن من الخير أن تفعل ذلك، لكننا نكتشف لاحقاً أننا لا نفعل ذلك لأسباب أخلاقية بل بسبب الجبن المطلق – مجرّد جبن وستار؛ نحن نخفي جبننا خلف القوانين الأخلاقية، وهذا لا يساعد كثيراً في الإيمان بصلاحيتها. لذلك أصبحنا في الأزمنة الحديثة نشكّ للغاية بالمعايير الأخلاقية وما يسمى فكرة أن هذا الشيء خيّر أو سيئ. والسؤال الذي يخطر في الذهن هنا هو: "هل هو حيوي؟ هل يساعد في الحياة؟" تعلمنا الآن أن نفكر بالحياة كحقيقة، وليس كأوامر تعسفية متشددة لأفراد معينين. الحياة بحد ذاتها حقيقة عظيمة، ونحن نفترض أن لها قوانينها بغض النظر عن قوانيننا الأخلاقية؛ ويزداد شعورنا الآن بأن قوانيننا الأخلاقية غير ملائمة للتعامل مع الحياة.

هذه النظرة ليست جديدة كلها؛ إذ يمكن أن نجدها في "الغنوصية المندائية" ليوحنا المعمدان الذي عمّد المسيح، إذ كان أحد ممثلي هذه التعاليم السرّية. فقد يدهشك أن تجد في نهاية كل فصل من "إنجيل يوحنا" هذه العبارة شبه الملحمية: "الحياة التي تُمتدح، حياة منتصرة – *and the life be praised, victorious was life*". كانت لديهم فكرة أن "فهم الحياة" هو الخلاص: كان مخلّصهم هو "المندائية – *Manda*

"*d'hayye*"،[1] أي معرفة الحياة. لقد آمنوا بأن فهم الحياة هو المعرفة الفائقة – وأن القرار النهائي حول عمل الإنسان قد تم تقديمه خلال الحياة نفسها. وهكذا فإن التاريخ كله من وجهة نظرهم كان عبارة عن سؤال عما إذا كانت الحياة ستنتصر أم لا، وأشبه بصرخة النصر بأن الحياة ستنتصر مرة أخرى. والغريب في الأمر أن هذه النهاية الملحمية ذاتها موجودة في كتاب ألّفه "زولا- *Zola*"، ولا يمكن أن تكون له أية معرفة "بإنجيل يوحنا المعمدان" الذي تمت ترجمته في وقت متأخر جداً؛ كان مكتوباً بالآرامية البابلية الجنوبية، تلك اللغة المفقودة التي لم يستطع حتى أتباعها الحاليون قراءتها؛ استطاع عالم ألماني أن يفكّ رموزها مؤخراً فقط. ومع ذلك فإنه في أحد كتب "زولا"، وأعتقد أنه كتاب بعنوان "الخصوبة – *fécondité*"، يجد المرء النهاية ذاتها للفصول، "الحياة منتصرة – *and victorious was life*". والآن يقول نيتشه: "*ليكن أملكم الأكبر فكرتكم الأسمى عن الحياة*".

يمكن للمرء أن يقول أيضاً: "لتكن الحياة فكرتكم الأسمى عن الأمل". عندئذٍ لن تضعوا أي شيء فوق حقيقة الحياة، لكن نيتشه وضع شيئاً فوق الحياة، وفوق الأمل ومفهوم الحياة. لكن الحياة نفسها يجب أن تقرر كما فعلت دوماً في الواقع. نحن لم نعد نستطيع أن نخفي الحقيقة عن تقديرنا الفلسفي بأن الحياة تقرر في النهاية، وأن قراراتها هي تلك القرارات الصالحة والصحيحة دوماً على الرغم من جميع محاولات الإنسان لإعاقة الحياة وتضييقها وتنظيمها: ستخترق الحياة الحواجز كلها في نهاية المطاف.

---

[1] "مندا – Manda": غنوصية، معرفة. في إنجيل "أبوكريفا" المنحول، انظر G. R. S. Mead، غنوصية يوحنا المعمدان (لندن، 1924). انظر أيضاً سيمنار الأحلام صفحة 240، 520.

"لكنّ مفهومكم - فكرتكم الأسمى لا بدّ أن تأتيكم من أوامري لكم، ومفادها: الإنسان شيء ينبغي تجاوزه."

هل لديكم أي احتجاج على هذه الجملة؟

السيد أليمان: الفكرة التي تعتبر أنه يجب تجاوز الإنسان هي فكرة تدميرية للحياة؛ الإنسان يعيش، الإنسان هو الفكرة الأسمى.

الدكتور يونغ: نعم، إذا لم يعش الإنسان، فماذا يفعل؟

السيدة سيغ: لا أتعاطف أبداً مع تلك الجملة التي يأمر بها.

السيدة آدلر: قد يكون منطقياً أن يأمر، لكنها ليست فكرتنا الأسمى، وهذا لا يمكن قبوله. وأوامر الفكر الأسمى من شخص آخر ربما تكون شاهقة بالنسبة إلينا.

الدكتور يونغ: نعم، قد تكون أشبه بمفهوم بدلاً من الحياة؛ وهو الشيء الذي لا يمكننا الموافقة عليه.

السيدة بايتز: القول إن الإنسان يجب تجاوزه لا يبدو لي أنه مدمّر؛ لا يعني ذلك أن من المفترض قتل البشر، بل يعني أنه يجب العمل على رفع مستوى نضجهم.

الآنسة وولف: أعتقد أنه يقصد أن الإنسان يجب تجاوزه لكي يصبح الإنسان الأعلى.

الدكتور يونغ: لا يمكن أخذها حرفياً بهذا الشكل. لكن الجزء الأول من الجملة "***لكنّ فكرتكم الأسمى لا بدّ أن تأتيكم من أوامري لكم.....***" تحتاج إلى كثير من التفسير. لا تصبح هذه الجملة مقبولة إلا إذا افترضنا أن زارادشت يمثّل الإنسان الأعلى باعتباره ذات كل شخص. إذا كانت الحالة على هذا النحو، يمكننا قبول ما يأمر به، لأنه صادق كما ذكرت سابقاً. وهذا يتوافق مع حقيقة سيكولوجية فعلية هي أنه عندما نقبل أمر الذات على أنه "ينبغي عليك"، فالذات لا تتماهى مع "الأنا". وبالتالي إذا فهمت أن

زارادشت هنا هو ذات كل شخص، فإن هذه الذات تستطيع أن تأمرنا، وما تأمرنا به يكون هو الفكرة الأسمى. لكنني لا أحب كلمة "مفهوم" الموجودة في النص؛ كلمة "مفهوم" تتضمن تجريداً من الحياة؛ وإذا كانت صياغة الجملة بطريقة: "لا بدّ أن تقبلوا *حياتكم* من أوامري لكم"، فسوف أقبل بذلك – وذلك بشكل طبيعي مع افتراض أن زارادشت هو ذات كل شخص.

السيدة يونغ: الكلمة في النص الألماني هي "*Gedanke*" وهي ليست متطابقة مع معنى "مفهوم – *concept*"، إنها شيء أكثر حيوية. أليس من الأفضل ترجمتها بمعنى "فكرة – *idea*"؟

الدكتور يونغ: هذا صحيح، إن كلمة "*Gedanke*" أكثر اعتدالاً؛ وكلمة "مفهوم – *concept*" حادة وقاطعة للغاية. الجملة أقلّ هجومية في النص الألماني؛ يمكنك أن تدعها كما هي. كلمة "*Gedanke*" أكثر رحابة. إن كلمة "*concept*" تعني شيئاً تم القبض عليه بشكل كامل، مبدأ، شيء قد فهمته، بينما "*Gedanke*" ليست كذلك بالضرورة: يمكن أن يكون لديك "*Gedanke*" أو فكرة لا تفهمها؛ وكقاعدة عامة، تكون أفكارنا مثل الطيور المحلّقة في الهواء، الطيور التي لم نقبض عليها.

السيدة كرولي: إنها بمعنى "فكرة" في هذه الترجمة. هل يمكن أن تكون عبارة "*فكرتكم الأسمى*" باللغة الإنكليزية مكافئة للنص الألماني.

الدكتور يونغ: نعم، كلمة "فكرة" يمكن قبولها.

السيدة كرولي: هل لي أن أسأل ما الذي تعنيه عندما قلت إن زارادشت يجب أن يكون ذات كل شخص – ألا يجعله هذا الوصف شيئاً جمعياً؟

الدكتور يونغ: إذا اعتبرنا أن زارادشت هو الإنسان الأعلى الذي يتحدث عنه نيتشه، أو ذات نيتشه، وقبلنا أن للإنسان ذاتاً، وأن زارادشت هو التعبير المناسب عن الذات، يمكننا القول إن زازادشت يرمز إلى ذات كل شخص. فعلى سبيل المثال، بدلاً من أن نطلق على زارادشت صفة "الذات"

نطلق عليه صفة "عبقرية نيتشه" أو "الإله"؛ عندئذٍ بقدر ما نقبل إمكانية أن كل شخص له علاقة بالله، يمكننا القول إنه "الله" بالنسبة إلى كل شخص.

السيدة كرولي: نعم، أستطيع أن أرى الأمر بهذه الطريقة، لكن ليس بطريقة الأمر.

الدكتور يونغ: إذا كان "الله" موجوداً، فستكونين خاضعة للأمر؛ وإلا فهو ليس "الله". وهكذا إذا قبلت فكرة الذات، فستقبلين أوامر الذات لأن "أناك" هي مجرّد جزء.

السيدة كرولي: أنت تقصد "ذات" وليس "الذات". كيف يمكن أن يخضع الجميع لأوامر الذات نفسها؟

الدكتور يونغ: النقطة الهامة هي أننا لا نعرف المدى الذي تصل إليه الذات. فإذا وافقنا على أن زارادشت حديث جداً وحيوي، نستطيع أن نشكّ فيما إذا كان "زارادشت" لا يعبّر عن الذات التي نخضع لأوامرها بالفعل، وذلك إلى درجة معينة على الأقل.

العبارات الأخيرة تتضمن الكثير من البلاغة:

"لتعيشوا حياتكم إذاً في الطاعة والقتال! فما الفائدة من العيش طويلاً!
وأي جندي يرغب بالمراعاة وأن تُصان حياته!
أنا لا أرفق بكم؛ لأنني أحبكم من الأعماق يا إخواني في الحرب!"

نصل الآن إلى فصل بعنوان "عن الصنم الجديد"، وهذا الصنم الجديد، كما سترون في الفقرة الأولى، هو الدولة. كيف حدث هذا التحوّل؟ كيف يمكن لفصل يتحدث عن الحرب والشعوب المحاربة أن يؤدي إلى صنم جديد، إلى الدولة؟ لاحظوا أننا نتبع خطوات التاريخ.

السيدة باومان: بما أن الفصل الذي أنهيناه الآن كان يعالج الفرد، فربما سيعالج الفصل التالي القضايا الجمعية.

الدكتور يونغ: نعم، إذا كان يعالج موضوع الأفراد، لكنني أخشى أنه لا يعالج موضوع الأفراد فقط. فالجانبان مختلطان هنا. إن حدس نيتشه صحيح عند تطبيقه على الفرد، لكن من خلال تماهي نيتشه الإنسان الفرد مع "زارادشت" النموذج البدئي، أصبح يتخذ طابعاً عاماً، وأصبح لديه جانب جمعي. وبالتالي فهو يتوقع الإمكانية التي تعتبر أن ما يجب أن يحدث في الفرد يحدث بشكل جمعي في أمة، وليس فقط في أمة واحدة بل في عدة أمم، وهذه بالنسبة إلينا حقيقة تاريخية فعلاً. ويبدو الأمر كما لو أن عملية التفرّد، التي أصبحت مجمّعة الآن، كانت تحدث على سوية أدنى، على السوية الأدنى للحالة الجمعية، حيث لا يكون العمل فيها عمل فرد واحد بل عمل المجموعة كلها. لقد تحدثنا عن ذلك سابقاً؛ إنه نوع من التسوية بين الفرد والبشرية. إن البشرية كونية، وليست قضية مجموعة وحسب، بل من الواضح جداً أن ما يحدث في الواقع هو مسألة مجموعات عالمية، أي فكرة الاستقلال والاكتفاء الذاتي للأمم. لقد احتلت هذه الفكرة الموقع الأساسي بدلاً من فكرة التفرّد. يبدو الأمر كما لو أن الله نفسه قد انفصل عن الوجود الكوني وأصبح وجوداً أممياً، وبالتالي أصبح هناك إله فرنسا وإله إيطاليا وإله ألمانيا وإله بريطانيا. يقول نيتشه إن الله نفسه قد أصبح "يهودياً"، ويمكن القول إن الله نفسه قد أصبح ألمانياً أو إيطالياً؛ يتم التعبير عن ذلك من خلال القائد، حيث يطلقون عليه صفة "قائد" أو "فوهرر".

الآنسة وولف: الحرب شيء تقوم به دولة أو ملك، والشعوب المحاربة تعني الجيش، لذلك فإن الدولة متضمنة في فكرة الحرب تحديداً.

الدكتور يونغ: هذا صحيح تماماً: فكرة الشعوب المحاربة تحديداً، أو الجنود، تفترض مسبقاً وجود *إرادة عامة* فوقهم، ملك أو جنرال أو دولة.

هذا هو السبب في وجود الشعوب المحاربة، لكن السؤال هو، كيف نتقدم من فكرة الحرب والشعوب المحاربة إلى فكرة الدولة؟

السيدة فيرز: عندما يحدث نموذج التفرّد الذي يصفه هنا في الحالة الجمعية، تكون الدولة أشبه بـ "الشخصية القناع – *persona*" أو التجسيد لهذا التفرّد، وسيوصف التغير الذي يحدث وكأنه يحدث ضمن ذلك الشكل أو تلك الشخصية، ضمن الحالة الجمعية المتفرّدة.

الدكتور يونغ: نعم، لكنني عبّرت عن ذلك كله في تفسيري لفصل الشعوب المحاربة. أريد أن أعرف كيف يمكننا الانتقال بلغة نيتشه، وقد رأينا أن نهاية الفصل السابق تحديداً هي بالفعل إجابة على المسألة الأساسية.

الدكتور إليوت: يراود المرء شعور بأنه في الحديث عن الشعوب المحاربة، هو لا يستطيع معرفة سبب نشوب الحرب، وما إذا كانت فردية أم جمعية. إذا كانت جمعية، فسوف تتدخل الدولة.

الدكتور يونغ: لكن لماذا تتدخل الدولة؟ لماذا لا يحدث شيء آخر؟ ستكون الدولة الصنم الجديد الذي يتقدم، لكن لماذا الدولة تحديداً؟

السيدة يونغ: تعني الحرب والشعوب المحاربة انفجار الليبيدو البدائي الذي يدعو للنظام والقانون، وهذا ما تعنيه الدولة.

الدكتور يونغ: نعم، كان واضحاً في نهاية الفصل أن نوعاً من السلطة بات مطلوباً. لكن لماذا؟

السيدة يونغ: لأن الغرائز قد ظهرت.

الدكتور يونغ: تماماً. الفصل عن الحرب والشعوب المحاربة، عن الناس المشاركين في الحرب، والحرب نقيض النظام، واضطرابات وحشية للغرائز، وهذا يتطلّب نظاماً بشكل طبيعي. إذا كانت الحرب جمعية، فينبغي أن يكون التنظيم جمعياً؛ لكن ما هو المطلوب إذا كانت فردية؟

السيدة كرولي: التفرد.

الدكتور يونغ: التفرّد كشرط للنظام، وكيف يتم التعبير عن ذلك؟

السيدة يونغ: بوضع الحدود.

الدكتور يونغ: نعم، هذه هي النتيجة. لكن كيف يتم التعبير عن الأمر؟

الدكتور سترونغ: بالرمز.

الدكتور يونغ: نعم، بطريقة رمزية؛ التعبير من خلال الرموز هو أسلوب التفرّد. هذا أمر لا غنى عنه: دائماً ما يتم التعبير عن ذلك بالرمز، وهنا يكمن الالتباس. لذلك فإن نيتشه لم يضع عنوان هذا الفصل "عن الدولة"، بل منحه اسم "عن الصنم الجديد". لكن ما كان يعنيه هو أن هذه الحالة من الحرب والشعوب المحاربة، والغرائز وفقدان النظام، وانتشار الحرائق والكوارث تحتاج إلى ردّ مناسب، تحتاج إلى مبدأ أو نظام أو سيطرة. سوف تحتاج إلى صنم، لكن ما هو الصنم؟ الصنم رمز لديه سلطة، إنه "مانا – *mand*". في حالة الفرد، وإذا كانت المسألة مسألة تفرّد، فالرمز يخلق نظاماً؛ لكن إذا كانت مسألة أحداث جمعية، فيجب أن تكون منظمة، وعندئذٍ لن يعود رمزاً. عندئذٍ يصبح الرمز صنماً. لأن المرء لا يستخدم كلمة "صنم" إلا للحطّ من قيمة الرمز؛ طالما أن الصورة أو النصب التذكاري هو رمز، فهو يعمل بشكل جيد ويعيش، لكنه يموت في اللحظة التي يصبح فيها صنماً. يسمى الرمز الذي يموت صنماً، وتبجيل الصنم حالة وثنية. لكن لا يمكن للمرء أن يدعو الاستخدام الرمزي لشيء كهذا وثنية لأنه يعمل من خلال الذات ويحيا. هذا هو الفرق الوحيد بين رمز حي وصنم ميت. يمكن أن ترى هذا الالتباس مستمراً في العنوان؛ يبدو الأمر كما لو أن زارادشت أو نيتشه كانا يشعران بالشيء الصحيح، يشعران بأنه يجب أن يكون رمزاً وليس صنماً. لذلك فإن الصنم الجديد يعني الخطأ

"الجديد- القديم"، وذلك الرمز الجمعي المزعوم ليس سوى صنم. لذلك أصبح لدينا الآن دولة بدلاً مما كان لدينا سابقاً.

تذكروا أننا نختبر التاريخ في وقتنا الحالي – نحن نعيش في التاريخ فعلاً، وهذه ليست قضية بسيطة؛ سابقاً كان الناس يقرؤون التاريخ، والآن يعيشون فيه. بالطبع كان لدينا في المسيحية دوماً دولة تتمثل بالكنيسة، لكننا لم نعش الزمن الذي كانت الكنيسة فيه صنماً. حينها كانت الكنيسة تطالب بما يُسمى الحالة الشمولية، وكان لديها سلطة لا تعلوها سلطة. ونعرف أيضاً أن سلطة الكنيسة الكاثوليكية أعظم من سلطة الكتب المقدّسة لأنها قامت قبل تدوين الأناجيل بفترة طويلة. لقد عاش القديس بولس مثلاً في زمن لم تكن فيه الأناجيل كتب وحي؛ ولم تكن حتى بعده أكثر من كتب مفيدة للغاية. لكن بعد ذلك، أعلنت الكنيسة أنها المؤهلة الوحيدة لتفسير الكتب المقدّسة لأنها هي الأقدم. وحاولت السلطة الدنيوية دوماً تحرير نفسها من مطالبة الكنيسة بالشمولية، وقد فقدت الآن هيبتها لدرجة أصبح من الضروري تغيير هذه المطالبة، هناك دائماً مطالبة بالشمولية. هذه هي الحاجة إلى الرمز، أو الصنم: لا بدّ من وجود هذه السلطة الهائلة في مكان ما. ولفترة معينة، لم تكن السلطة مرئية وكنا نسعى إليها في كل مكان. وكنا واهمين طبعاً بأن الناس لا يحتاجون إلى صنم خارق، لكن وبشكل سري بدأ العلم يغازل فكرة أنه ربما بإمكانه، أو بإمكان العقلانية، أن تكون ذلك الصنم. لقد نشر "هربرت جورج ويلز" أربعة مقالات في صحيفة "مانشستر غارديان" عن رحلته الأخيرة إلى الولايات المتحدة، فإذا راودتك رغبة بقراءة قصة حول مناصر حقيقي لصنم العلم والعقلانية، اقرأ "هربرت جورج ويلز"[1]. هو يؤمن بأنه إذا امتلكنا المال

[1] اهتمام "ويلز" بأمريكا يعود إلى عام 1906 عندما نشر كتابه بعنوان "المستقبل في أمريكا – Future in America" (نيويورك، 1906). وعن موضوع افتتانه بالعلم اقرأ

والممتلكات، وبنينا جامعات أفضل، ولم يتحدث سوى المتعلمين من الناس، فإن العالم سوف يتطور. هذا مشابه تماماً للعبارة التي آمنوا بها سابقاً: "إذا لم نسمع سوى كلمة الله، فسوف يصبح كل شيء على ما يرام". ودون فخر، نرى الآن ظهور هذا الادعاء الشمولي، بعد مغازلة قصيرة للعلم، على مسرح العالم في مطالبة كليّة بالدولة، أولاً في روسيا ثم في إيطاليا، وبعدها ألمانيا، وربما ستمضي إلى أبعد من ذلك.

السيد فولكاردت: أصبحنا نسمع عن الشمولية في شوارع ألمانيا كل يوم.

الدكتور يونغ: الحقيقة أن هذه المطالبة كانت من اختصاص الكنيسة في العصور الوسطى؛ ثم بدأت تخبو في عصر التنوير بعد أن قامت بعدة محاولات للتماهي مع العلم. قام عصر التنوير على ادعاء مطلق بالمنطق، ولاحقاً أصبح الأمل أن يكون العلم هو السلطة العليا.[1] لكن لدهشتنا الكبيرة ظهر ذلك الوحش المسمى دولة، وادعت السلطة المطلقة، وأن بإمكانها أن تقلب اللعبة كلها. وهنا يشعر نيتشه بوضوح بأن الصراع المثار، والغرائز الوحشية والشجاعة والجرأة والتبشير بالحرب، ستؤدي بشكل طبيعي إلى حالة فوضوية تتطلب سلطة خارقة؛ وهو يعرف في الأعماق أنها يجب أن تكون رمزاً. يجب أن تكون *"الرمز"*. لكن عندما يكون الحريق الهائل جمعياً فسيحدث على المستوى الجمعي، ولن يكون حالة تفرّد لفرد واحد بل لمجموعة، وقد تكون هذه المجموعة أممية أو قبلية، وعندئذٍ سيكون لهذه المجموعة سلطة خارقة. ومع عدم وجود منظّمة روحية - وبما أن الله نفسه، الملك الخفي بالنسبة إلى الكنيسة، قد مات – ستؤدي فكرة الله القبلي إلى منظمة إنسانية تُسمّى الدولة. وهكذا نعود إلى تنظيم قبلي ليس

كتاب "حرب العوالم – The War of the Worlds" (1898)، و"آلة الزمن – The Time Machine" (1895).

[1] انظر محاضرة يونغ في 6 حزيران – يونيو عام 1934 حول مسألة إلهة العقل.

فيه عنصر روحاني. لكنهم سيبجّلون الدولة كما بجّلوا الله من قبل: إذا كان ما يصدر عن الدولة بمثابة حكم من الله، فهو نهائي ولا شيء بعده. سابقاً، كانوا يتحدثون عن مساعدة تأتي من الله، لكنهم يتحدثون الآن عن دعم الدولة للعاطلين عن العمل؛ ستهم الدولة بكل شيء. لكن ما هي الدولة؟ إنها شيء سخيف للغاية، وهذا ما شعر به نيتشه.

السيدة سيغ: أليست بالفعل مثالية بروتستانتية تلك التي تعتبر أن الله الفرد وحده يجب أن يدّعي السلطة الكلية؟

الدكتور يونغ: خضعت المطالبة الشمولية بطبيعة الحال للعديد من التغيرات خلال الزمن. كانت الكنيسة في البداية، لكن ذلك لم يعد صحيحاً في البروتستانتية. وحاول "لوثر" أن يجعل الكنيسة سلطة عليا لكن سرعان ما أصبح واضحاً أنه بعد كسر سلطتها مرة واحدة، لم يعد باستطاعته أن يجعلها سلطة عليا مرة أخرى. لذلك أراد أن يحافظ على وهم أن الكنيسة اللوثرية كانت مرتبطة بالكنيسة الكاثوليكية. يؤمن اللوثريون بالخلافة الرسولية، وبتحوّل جوهر القربان المقدّس إلى لحم المسيح ودمه، وبأن الكنيسة وحدها تستطيع التحكم "بدواء الخلود" للطائفة عن طريق القربان المقدّس؛ ولم يعجبه أبداً أن الكنيسة تبرّأت منه. حاول الحفاظ على السلطة، لكن تعرفون كم تصبح الفائدة قليلة عندما يتم كسرها مرة. لذلك كان لا بدّ أن تكون السلطة داخل البروتستانتية هي الله – والإنجيل، الذي يُعتبر بديلاً سيئاً جداً للسلطة، ومتناقضاً للغاية؛ هذا موجود على قائمة الكنيسة الكاثوليكية، وهو صحيح للغاية.

السيدة سيغ: أعتقد أن لوثر حاول تعليم البروتستانتيين أن يكون لهم إلههم الفردي الخاص كسلطة عليا.

الدكتور يونغ: ليس إلهاً فردياً بل كونياً. ويكمن الخطأ في هذا الموقع تحديداً: إنها علاقة فردية مع الله لكن الله إله كوني. فالسلطة غير المرئية

التي تشكّل الملاذ دوماً هي الإنجيل، كلمة الله، وهذه سلطة مشكوك فيها للغاية لأنها من صنع الإنسان. كان من المفترض أن تكون مكتوبة بيد الله نفسه، ومع ذلك من الواضح أن هناك تناقض في الكتاب لعدة مرات وأنه يتضمن أشياء مضحكة للغاية، وبالتالي لم يكن للإنجيل سلطة جيدة بعد كل ذلك. سرعان ما اتضح ذلك في النقد العلمي للكتاب المقدّس؛ كان العلم الأداة القوية التي تم بها تقويض الكتاب المقدس، والعقيدة البروتستانتية في الوقت نفسه: لقد قتلها العلم بشكل كامل. وبالتالي اختفت آخر آثار المطالبة الشمولية وكان لا بدّ من ظهورها في مكان آخر. وتنبأ نيتشه بذلك بوضوح – هو لم يكن ابن قسّ عبثاً. وأن يعرف أن الصنم الجديد هو الدولة كان حدساً مميزاً.

السيدة كرولي: ألم يشعر بذلك تاريخياً من خلال كارل ماركس؟ كان ذلك هو تفكك النظام القديم.

الدكتور يونغ: نعم. وشعر بشكل طبيعي بحاجة ماسة للسلطة في ألمانيا: هذه حقيقة، وكانت حتمية. أنا لا أقول إنها نبوءة عظيمة، بل كانت حدساً صحيحاً للغاية: لقد توقع المسار الذي ستأخذه الأحداث تماماً. وفي الفترة التي ألّف فيها كتاب *هكذا تكلّم زارادشت*، كانت الدولة الاشتراكية، ذات السلطة المطلقة، قد تمت مناقشتها على نطاق واسع. وأصبحت متجسدة في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر، فقد المرء تدريجياً إمكانية رؤية أنها كانت فكرة مجرّدة. كما فقد علم الطبيعة مثلاً فهم حقيقة أن الطاقة عبارة عن مفهوم. لقد اكتشفنا في فترة متأخرة فقط أن المادة هي مفهوم؛ كنا نعتقد دوماً أنها شيء حقيقي لكنها كانت عبارة عن مفهوم. وهكذا لا زلنا نعتقد، ويعتقد الإنسان العادي أيضاً، أن الدولة هي شيء. لكنها ليست سوى وهم أو ميثاق، وهي في الواقع أخفّ من الهواء. يتحدث الجميع عنها وكأنها شيء موضوعي لكنها ببساطة هدف وهمي للجميع.

السيدة سيغ: يبدو من السمات السيكولوجية للفلاسفة أنهم قادرون على تأليف كتب عن الدولة، ويبدو لي أن ذلك ينطبق على نيتشه أيضاً. وبالتالي اعتقدت أنه ربما يكون نوعاً من الأداء الرمزي؛ كانوا مهتمين بالعالم الخارجي بينما كان العالم الداخلي هو المهم فعلاً، وحيث كان هناك ضرورة للتنظيم الداخلي، للتفرّد.

الدكتور يونغ: لا يمكن قول ذلك. من المؤكد مثلاً أن أفلاطون لم يؤلّف كتابه عن الجمهورية بسبب أية ضرورة للتفرّد. هذا أمر غير قابل للنقاش. يمكننا الحديث عن التفرّد فقط في حالة نيتشه الذي كان شوبنهاور بمثابة والده الروحي. حيث تحدث عن "مبدأ التفرّد" وعالجه بشكل كبير؛ قامت فلسفته كلها على ذلك.[1] وكان هناك حاجة إلى كل ذلك الإعداد. أنت لا تجد شيئاً كهذا لدى الفلاسفة القدماء لأنهم كانوا في سلام مع الله؛ كان العالم هادئاً .ولم يكن هناك سوى بعض التعديلات على النظام السماوي. علينا الآن أن نبدأ بالفصل الجديد:

"لا تزال هناك شعوب وقطعان في مكان ما يا أخوتي؛ لكن عندنا هنا توجد دول.

دولة؟ أيّ شيء هو هذا؟ أصغوا إليّ الآن لأنني سأقول لكم كلمتي عن موت الشعوب.

الدولة هي أشدّ الوحوش الباردة برودة."

هذه لغة غريبة للغاية. تعلمون أن نيتشه صديق رائع للحياة؛ لديه فكرة بارعة للغاية عن حقيقة الحياة، باعتبارها الشيء الحقيقي الوحيد؛ لذلك

---

[1] استحضر شوبنهاور "مبدأ التفرّد" الدراسي ليشير إلى أن الإرادة الكونية، المفردة منها وغير المتمايزة (مثل اللاوعي بالنسبة ليونغ)، وعبر مواقع زمانية ومكانية، تمت ترجمتها إلى تعدد الأفراد. انظر كتاب "العالم إرادة وتمثلاً – The World as Will and Representation"، المجلد الأول، الكتاب الثاني، المقطع 23.

يرتاب جداً فيما يتعلّق بالمفاهيم. جميع المفاهيم التي أصبحت متجسدة وملموسة، باتت سامّة للغاية، وأحد أكثر تجسيداتها خطورة وسميّة هي الدولة بالتأكيد، لأنها مجرّد ميثاق. وإذا أصبح مفهوم معين أو فكرة معينة متجسدة أو "مشخصنة" يكون هناك دوماً تشابه قاتل مع حدث تاريخي شهير للغاية يحذّر نيتشه منه. فما هو هذا الحدث التاريخي؟

السيدة سيغ: الكلمة التي أصبحت جسداً.

الدكتور يونغ: بالتأكيد، الكلمة التي ظهرت في العالم. إذا أصبحت كلمة الله جسداً، يمكنك التعامل معها، وهذا منطقي طالما أن كل شيء موجود ينطق الله من خلاله. وفكرة أن الله قد تكلم من خلال العالم الموجود فكرة قديمة نعرفها جيداً. لكن عندما تصبح كلمات إنسان حقيقة، يراودك الشكّ على الأقل؛ تصبح الأشياء معقدة وحرجة. على سبيل المثال، هل تثق بأي قائد من قادة العالم الأحياء عندما ينطق بكلمات خلّاقة؟ دعنا نفترض أن السيد "روزفلت" مثلاً، كان مزوّداً بكلمة القوة، وبأن ما يقوله يجب أن يكون. هل تخضع لها؟

السيدة بايتز: لا!

الدكتور يونغ: طبعاً لا، حتى لو كنت أمريكية، لأننا لا نثق بإنسان واحد لديه السلطة والكفاءة ليتحدث كلمة تستحق أن تكون حقيقية. وبأية طريقة تقول الدولة تلك الكلمة؟ ليس حتى من خلال شخص واحد لائق: إنها تقولها من خلال الصحف – وانظر ما يقوله نيتشه عن الصحف لاحقاً. الدولة عبارة عن تجسيد مرعب، لكن إذا بدأت أشياء كهذه بالتجسد، فهي الشيطان ذاته كما يشعر نيتشه. وهذا يتماشى تماماً مع تطوره الشخصي: إنه يقول "إن الله قد مات"، وأن أياً كان من يتحدث فهو إنسان. هو حتى لم يأخذ في الاعتبار أنه ليس الإنسان الأعلى؛ لقد تحدث بصوت البرق مثل زارادشت، مفترضاً أنه زارادشت. سيكون زارادشت هو

الكلمة، نعم، ربما تتجسد كلماته لأنه ملاك الله، كما يمكن أن نقول. لكن الدولة ليست كلمة الله بالتأكيد. إنها من ابتكار كثير من البشر، وبالتالي هي خطيرة وسامة؛ إنها اختراع شيطاني احتل موقع مخطط الله الأبدي الذي يجب أن يحكم العالم، إنها إنسان بدلاً من الكفاءة السماوية، العقل المحدود بدلاً من العقل اللانهائي، أشياء قامت على فرضيات مؤقتة بدلاً من الحقائق الأبدية. هكذا يمكن أن تفهم لماذا قال نيتشه عن الدولة إنها "*أشدّ الوحوش الباردة برودة*". لو كان لا يزال مؤمناً بالشيطان لقال إنها من ابتكار الشيطان، مثل اللاهوتي الذي عالجته يوماً. كان يعاني قبل الحرب من عُصاب صعب جداً وخطير، لكن عندما قابلته بعد الحرب وسألته كيف حاله، أخبرني أنه كان معافى تماماً. وعندما سألته كيف أصبحت علاقته بالكنيسة، أجاب اللاهوتي بدم بارد: "الكنيسة من ابتكار الشيطان من دون شك، لكن إذا كنت تعيش في هذا العالم، فعليك أن تتعامل مع الشيطان". الكنيسة من اختراع الشيطان بقدر ما هي من عمل الإنسان؛ لأن الإنسان دائماً فرد منعزل واحد وليس إنساناً كونياً، بل هو مجرد إنسان مؤقت ومحلي للغاية، وأي شيء يعرفه يكون صحيحاً زمنياً ومكانياً فقط. وإذا اخترع أي شيء ذا طابع كوني، فلا بدّ أن يكون سيئاً لأنه سيكون معارضاً لهذه الحقيقة الأبدية أو تلك.

المحاضرة الثامنة

26 حزيران - يونيو 1935

الدكتور يونغ:

بدأنا في المحاضرة السابقة فصلاً بعنوان "عن الصنم الجديد". وسنتابع معه:

الدولة هي أشدّ الوحوش الباردة برودة. ويكذب هذا الوحش كذباً بارداً أيضاً؛ وتخرج كذبته زاحفة من فمه إذ يقول: "أنا هو الشعب".

أن تكون الدولة هي الشعب هي فكرة حديثة للغاية. إذا كانت الدولة هي الشعب، فالشعب هو الدولة؛ لا يمكنك أن تفصل بينهما. لكن نيتشه يحاول أن يفعل ذلك، وغالباً ما يقوم الناس في أيامنا هذه بهذه المحاولة.

"هذا كذبٌ! فالمبدعون هم الذين أبدعوا شعوباً ونشروا بينها عقيدة ومحبّة: هكذا كانوا يخدمون الحياة."

هذا شيء كبير وضخم طبعاً؛ مبدعون عظماء أبدعوا شعوباً وفرضوا عليها، أو حاولوا أن يفرضوا عليها، إيماناً واحداً وحباً واحداً. هل يمكن أن تعطوني مثالاً؟

السيد أليمان: النبي موسى.

السيدة باينز: النبي محمد.

الدكتور يونغ: تلك أمثلة جيدة.

السيدة آدلر: أولئك الملوك القدماء في الصين.

الدكتور يونغ: لا، لقد كانوا أسطوريين، ولم يخلقوا بشراً في الصين، لقد اتبعوا مبادئ "وو وي – *Wu Wei*".[1]

السيد أليمان: الدول الثيوقراطية القديمة، كمصر مثلاً، أو شعب "الإنكا" في البيرو؟

الدكتور يونغ: لكن تلك الدول لم تكن متجسدة. كانت الثيوقراطية المصرية جسداً مجهولاً؛ حتى الفرعون، بقوته المطلقة، أو أي طاغية شرقي، نستطيع وصفه بأن كان شخصية مجهولة، ابن الشمس مثلاً، الكائن السماوي، وشخصيات مجهولة من هذا النوع.

السيد أليمان: زارادشت؟

الدكتور يونغ: الأمر ملتبس قليلاً؛ لا يمكننا القول إنه خلق دولة، مع أنه وصل إلى شيء كهذا على مدى العصور.

السيدة بايتز: بابوات إمبراطورية روما المقدّسة؟

الدكتور يونغ: البابا شخصية مجهولة الاسم أيضاً؛ لا يهمنا أي نوع من الرجال كان البابا. لا بدّ أن يكون قائداً شخصياً.

السيدة فيرز: نابليون؟

الدكتور سترونغ: لينين؟

السيدة سيغ: هتلر؟

الدكتور يونغ: نعم، هؤلاء جميعاً خالقون؛ لقد خلقوا شعوباً وفرضوا عليها إيماناً، لكن ماذا عن الحب؟ يتساءل المرء ما إذا كان هناك حبّ في ذلك. يشعر نيتشه بشكل واضح أن عبارته أحادية الاتجاه لذلك يتابع:

---

[1] "Wu Wei"، مبدأ اللافعل وترك الأشياء تحدث، هو مبدأ بارز بشكل خاص في كتاب "Chuang Tzu" الذي يُعتبر الآن أنه أقدم عمل "تاوي" مؤرّخ.

"والمدمّرون هم أولئك الذين يضعون فخاخاً للكثيرين ويسمونها دولة: إنهم يعلّقون سيفاً (يمكن للمرء أن يقول سيفاً واحداً) فوق رؤوسهم، وألف (شهوة) جشعة (الشهوات تعني هنا الرغبات)."

لدينا هنا صورة مختلفة تماماً تناقض ما أظهره أولاً. الحقيقة أن البشر ليسوا مثاليين؛ قد يكون لديهم أهداف مثالية ورائعة لكنهم لا يستطيعون إبداع أي شيء دون إقحام المادة السوداء. أياً كان من يخلق الضوء، فهو يخلق الظل، وأياً كان من يخلق الظل فهو يخلق الضوء أيضاً؛ وكل شيء يتم خلقه يجب أن يكون ذا وجهين، وجه إيجابي وآخر سلبي. (....) والأمر نفسه ينطبق على إيطاليا إذا لم تكن من الفاشيست. بقدر ما تكون فاشيستياً أو من الحزب القومي الاشتراكي، تكون متحمساً بشكل طبيعي؛ لديك إيمان واحد وحبّ واحد، لكن إذا ما انحرفت عن هذا المبدأ ستشعر به وكأنه سيف واحد وآلاف الرغبات. ما الذي يومئ إليه بعبارة "آلاف الرغبات".

السيدة فيرز: كل الأشياء التي يطلبها الشعب من الدولة إذا أصبحوا معتمدين عليها.

الدكتور يونغ: نعم، يتم في الدول الشيوعية تحفيز أدنى رغبات الإنسان، يتم تحفيز جشعه مثلاً، وتلك هي القوة المحركة. وترى ذلك أيضاً في التاريخ الألماني الواقعي وفي إيطاليا. (....) هذه هي الحقيقة التي تراها، لذلك فإن هذين الجانبين المنفصلين للشيء المخلوق هما الشيء ذاته في الواقع: لكل مخلوق جانب مضيء وآخر قاتم، ولا ينبغي أن تراودك شكوك حول هذا الأمر. وإذا كان بطريقة ما جيداً ومثالياً، فهو جيد ومثالي لأشخاص معينين فقط؛ لكنه الجحيم بالنسبة إلى الآخرين. أنت لا تستطيع القول إن الدولة هي الشعب، ثم تتلاعب بالعبارة وتقول إن الشعب هو الدولة. ربما قرأتم في الصحف إن "جوزيف غوبيلز" وجه مؤخراً

خطاباً يقول فيه ليست الدولة ما يهمنا بل الشعب. لكن من هو هذا الشعب؟ الشعب هو الدولة. كلاهما الشيء ذاته من حيث الجوهر؛ لن يختلف الأمر إلا عندما تتضمن الدولة شعوباً مختلفة متعددة. وعندما يقوم أحد الشعوب بتأسيس الدولة في هذه الحالة، يمكن أن نكون محقّين بالقول إن الشعب هو الدولة؛ لكن في هذه الحالة تكون الدولة هي الشعب أيضاً، لذلك فإن العبارة الأولى صحيحة، أو ربما تكون صحيحة. وبالطبع، ليس مؤكداً أبداً أن عبارة "الشعب هو الدولة" لها جانب إيجابي كامل؛ إذا قلبت العبارة وقلت إن الدولة هي الشعب، عندئذٍ يكون الجزء الثاني من عبارة نيتشه صحيحاً، لأن الدولة عبارة عن وحش بلا روح إطلاقاً. لكن بقدر ما تكون الدولة والشعب متطابقين، تكون العبارتان صحيحتين، وصالحتين. هما بطبيعة الحال صحيحتان نسبياً فقط؛ إذا كان لديك شيء ما متألّق وقاتم في آن معاً، فهو متألّق نسبياً وقاتم نسبياً. لذلك أعتبرها محاولة غير كافية لخلق حالة يفضّلها الشعب. لقد زوّد نيتشه الفاشيين، أو القوميين الاشتراكيين، أو الشيوعيين بحجة قوية لرفع قيمة فكرتهم وتمييزها، لكنه جلب أيضاً حجّة قوية جداً لصالح وجهة النظر المعاكسة التي تعتبر الشعب هو الدولة. وكأمر واقع، الحالتان كلتاهما صحيحتان، لذلك فالنتيجة هي حقيقة نسبية وحسب. كل كلمة يقولها نيتشه في هذا الفصل يمكن استخدامها لصالح الدولة الفاشية أو الشيوعية أو الاشتراكية القومية، ويمكن استخدامها أيضاً كأفضل حجّة ضد هذه الإبداعات كلها.

"إليكم الدليل: يتحدّث كلّ شعب بلغته عن خير وشر؛ ولا يفهم جاره هذه اللغة. فقد أوجد لنفسه ما يحدد به أعرافه وشرائعه."

هذه هي الاشتراكية، مثل ادعاءات الألمان أو الاشتراكيين اللاتينيين، تقاليد الناس وحقوقهم، "القومية الأنانية في التعامل مع الدول الأجنبية"،

والاختلاف عن الشعوب الأخرى. حتى إنهم قسّموا الكون الميتافيزيقي: أصبح الله الآن إما ألماني أو فرنسي أو إيطالي، وهناك عقيدة ألمانية جديدة. ويمكننا الحديث عن عقيدة يوغسلافية أو صربية أو تركية، لكن العالم كله سيضحك إذا تحدثنا عن عقيدة سويسرية أو عن إله سويسري خاص.

"لكن الدولة تكذب بكلّ لغات الخير والشرّ: وهي تكذب بكل ما تقول – وكلّ ما في يدها هو مما سرقته."

هذا صحيح للغاية. لكن بقدر ما تكون الدولة هي الشعب، يكون صحيحاً عن الشعب أيضاً.

"كلّ ما لديها مزيّف؛ فهي تعضّ بأسنان مسروقة. مزيّفةٌ حتى أحشاؤها.

مشوّشة لغتها عن الخير والشرّ: هذه علامة للدولة. حقاً أقول لكم، تعني هذه العلامة إرادة الموت! حقاً أقول لكم، إنها تغمز إلى دعاة الموت!"

هذا كله صحيح إذا اعتبرت الدولة مطلقة فعلاً، ومنفصلة عن الشعب، لكن بما أن الشعب هو الدولة فهذا يصحّ بالضرورة على الشعب أيضاً، وكل شعب هو في الواقع مزيج بين لغات الخير والشرّ. والحالة الجمعية بحد ذاتها شر، الحالة الجمعية من دون الشرّ مستحيلة؛ حتى أفضل حالة جمعية يمكن للمرء أن يتخيّلها هي حالة وحشية، وهي بكافة الأحوال حالة من الملل المرعب، والممل مكافئ للشرّ. إنه أقلّ ما يُقال عن الرذائل الإيجابية. انظر إلى المنظمات العظيمة وأخلاقياتها! كان لدينا ثلاث منظمات ضخمة قبل الحرب، ذلك الثالوث الشهير – الجيش الألماني، شركة "ستاندرد أويل"، والكنيسة الكاثوليكية. كلٌّ منها تعتبر نفسها مؤسسة أخلاقية للغاية. لكن أخبرني السيد "روكفيلر" في إحدى المرات أن شعب النمسا سيئ للغاية، واعتقدت حينها أنه لا بدّ أن يكون لديه بعض الأخيولات عن فيينا، لكن لا، قال لي: "***ربما كنت تعرف يا دكتور فكرتي عن السعر الموحد لمصلحة 'ستاندرد أويل تراست'؛ وترى كم هي ميزة كبيرة أن تدفع سعر***

النفط ذاته في العالم كله - إنها من أجل خير الشعوب كلها - لكن النمساويين وقّعوا عقداً منفصلاً مع رومانيا. ذلك الشعب سيئ للغاية".

عندما يجمع كثير من الناس أنفسهم بهيئة منظّمة، تتدهور أخلاقياتهم؛ تسود حينئذٍ سيكولوجيا الرعاع، ويصبح كل ما لا يريده الرعاع مدمراً. وحتى إذا حارب الشخص بأنبل الدوافع من أجل منظمة، فهذا غير مهم؛ هو عدو، ولا بدّ من القضاء عليه. أية منظمة عظيمة هي عبارة عن وحش مدمر عندما يقف المرء ضدّها؛ لا يهم ما هي شخصية المرء أو دوافعه، يجب تدمير هذا الشخص. ونعرف من التاريخ أن العديد من الشخصيات تم القضاء عليها على يد منظمات كهذه؛ تم القضاء على آلاف الناس المحترمين على يد شركة "ستاندرد أويل تراست". ونعرف كيف قضت الكنيسة على خيرة الناس. لأن على المنظمة الكبيرة أن تخفض مستوى أخلاقياتها لكي تتعامل مع الجماهير؛ لا يمكن للمرء أن يتعامل مع الجماهير دون أن يجعل أخلاقياته بالمستوى الأدنى من الغموض والنفاق.

ثمة أمثلة كبيرة في الكنيسة الكاثوليكية؛ هناك مثل قديم يقول إن للكنيسة معدة جيدة تستطيع أن تهضم أي شيء، تستطيع أن تهضم كل نقيصة في الأرض، شريطة ألا تكون ضد العقيدة. بقدر ما ينتمي المرء إلى الكنيسة، يمكن التعامل مع كل شيء، والتغاضي عن كل شيء، باستثناء الخطيئة ضد المنظمة. وهذا طبعاً ما أسميه أخلاقيات بدائية متدنية للغاية. كان نيتشه هنا إيجابياً جداً عندما اعتبر أن الدولة شرّ عظيم لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من رؤية أننا لا يمكن أن نفعل شيئاً من دونها؛ حالما يعيش الشعب على شكل كتلة منظمة، لا بدّ أن يكون ذلك على شكل دولة، وعندئذٍ تكون شراً. ثم يتابع:

"يولد كثير من الفائضين عن اللزوم: تم ابتداع الدولة من أجل هذا الفائض."

نعم، لقد وُلدوا لسوء الحظ، وهم بالتالي فائضون عن اللزوم، وبسببهم نحتاج إلى دولة.

"انظروا كيف تستدرج أولئك الفائضين عن اللزوم إليها! كيف تلتفّ عليهم وتطحنهم بأسنانها وتجترّهم!"

هذا تماماً ما يمكن توقعه من دولة محترمة، أن تجترّ الكثير وتضعهم في قالب ما. يجب أن نكون ممتنين لوجود آلة كهذه تفترس الجماهير الغفيرة التي ستتحول إلى آفة من دون هذه الآلة. لذلك فإن من الهام للغاية أن يكون لدينا شيء مشابه للكنيسة الكاثوليكية ذات المعدة القادرة على هضم كل شيء حتى الناس الذين لا يمكن هضمهم. يمكننا أن نديرها ونلقّها كما نريد، نحن بحاجة دوماً إلى شيء يشبه الدولة فيها أنظمة شرطة من أجل التعامل مع هذه الجماهير. الشيء الجيد هو لفئة قليلة فقط. وهكذا تقول الدولة:

"يدمدم الوحش قائلاً: "ليس هناك ما هو أعظم مني على الأرض: أنا يد الله المنظِّمة". وليست طويلات الأذنين وقصيرات البصر وحدها التي تجثو على ركبتيها أمامه!"

تجثو على ركبتيها لأن هناك ثقة هائلة فيما يقوله – ليس فيما تقوله الدولة طبعاً. وقبل كل شيء، الدولة هي منظمة عظيمة، إنها عنصر نظام؛ إنها وحش! لكن البشرية وحشية أيضاً، والشعب عبارة عن وحش. إذا اجتمع عشرون شخصاً معاً يصبحون متوحشين لأن سيكولوجيتهم لا تعود سيكولوجية بشرية بل تقترب من سيكولوجيا الحيوان. ليست فضيلتك هي التي تتراكم وسط الحشد، بل ما هو مشترك بين البشر، وهذا هو الإنسان الدوني؛ ينخفض مستوى أخلاقياتك. أنت تصبح ضمن حشد من بضع مئات من البشر قادراً على ارتكاب جريمة فظيعة دون أن تشعر بذلك؛ أنت لا تعرف ما تفعله لكن الحشد حولك يثير حماسك، وتتلاشى أخلاقياتك

بشكل نهائي. وفي ظل العدوى العقلانية التي يسببها الحشد، تصبح مجرد حيوان في القطيع. لكن هذا الوحش الهائل، الشعب، لا يمكن تنظيمه إلا بوجود وحش آخر، تماماً كما لا يمكن التعامل مع فيل بري وهو وحده بل بمساعدة فيلة أخرى. لذلك لا بدّ من وجود وحش آخر ضد الوحش البشري، وهذا الوحش هو الدولة، إنه شرط ضروري لأنه ليس هناك من وسيلة أخرى. لا يمكن أن تحكم الشعب بوسائل محترمة، لأن ذلك الوحش يقاتلك بأسوأ طرق الحيوانات الماكرة؛ لا يمكنك الإبقاء عليه منتظماً بالنوايا الحسنة والكلمات التقية والتصرّفات اللطيفة لأنه لن يقدّرها. الشعب لا يقدّر ذلك عندما يضرب أو يُضرَب. هذه حقيقة، ومن السخيف جداً التفكير بحكم الشعب بالطيبة والحكمة: هذا مجرد هراء.

السيدة فولكاردت: ثمة شائعة مفادها أن إيطاليا شنّت هذه الحرب على الحبشة بهدف معالجة مشكلة العاطلين عن العمل – وسيلة جيدة لتوظيفهم والتخلّص منهم.

الدكتور يونغ: نعم، الملاريا أيضاً وسيلة جيدة للتخلّص من عدد كبير من الناس. هذه حنكة رجل دولة جيد إذا نجحت!

الآنسة حنّة: لكن لماذا يمنح موسوليني جائزة للعائلات الكبيرة؟

الدكتور يونغ: ها نحن ذا! هذا هو التناقض الحيواني. إذا كان لديه سكان كثر، يصبح لديه جيش كبير. تصبح إيطاليا عندئذٍ عظيمة وقوية، ويكون الجميع فخورين بدولة كهذه؛ لقد آمنوا بذلك، وهكذا يمكن أن يبقوا تحت النظام. لكن إذا كان لديك عدد كبير يجب التخلّص منه، فيجب ابتكار حرب استعمارية في بلد موبوء بشكل خاص، حيث يكون هناك فرصة معقولة للقضاء على عدة آلاف من البشر. هذا ضروري للغاية، لأنه لا بدّ أن يذهبوا إلى مكان ما. هذا يشبه اليابانيين الذين يحاولون غزو الصين، إنها ليست بلداً خبيثاً تنتشر فيه الملاريا، لكن مناخ

"مانشوريا" قاس جداً على اليابانيين؛ أفترض أنهم سيطلقون ملايين الناس في هذا البلد مع أمل ضمني بأن يستطيع المناخ التعامل معهم. لمَ لا؟ لا يمكن القول طبعاً إنهم يفعلون ذلك بهدف التخلّص منهم فقط؛ إذا كان باستطاعتهم العيش هناك يكون أفضل. ويمكن القول أيضاً إن موسوليني لا يحاول قتل أولئك الناس؛ لا بدّ أن يفعل ذلك بطريقة منطقية. يمكن أن يفعل ذلك بشكل أفضل عبر شنّ حرب على فرنسا مثلاً. فرنسا معدّة بشكل جيد للتدمير، لذلك يمكن أن يتوقع موسوليني مليون قتيل؛ في هذه الأزمنة الحديثة حتى السكان المدنيون لن ينجوا من الحرب. سيتم قصف المدن بالغاز السام، ويموت كثير من النساء والأطفال. هذا سيكون عملاً على نطاق واسع، لكنه سيؤذي الدولة، لذلك هو لا يستطيع المخاطرة إلا بخسارة منطقية، ومن هنا جاءت فكرة الحرب مع الحبشة. هذه أشياء حتمية طالما أن هناك بشراً وهناك دولة. الدولة صناعة بشرية، إنها سيكولوجيا الشعب. الدولة هي النظام الذي خلقه الناس لأنفسهم، وإذا أدّت إلى أشياء كالحرب أو مذابح بالجملة، فهذا ما يسعى إليه البشر. ولأنهم لا يستطيعون مساعدة أنفسهم بطريقة منطقية، يجب أن يتم الأمر بطريقة غير منطقية.

كما ترون، في سيكولوجيا الرعاع التي لدينا، والتي تسمّى الآن سيكولوجيا الأمة، نحن لا نزال كالحيوانات تماماً. تتذكرون قصة القوارض التي سكنت شمال السويد والنرويج: إنها حيوانات خجولة معزولة، ومع ذلك فهي تتكاثر للغاية من وقت لآخر إلى حد أنها تشكّل منظمة أو دولة؛ دولة، وعندئذٍ تتجوّل غرباً نحو القرى والمدن، وتلتهم كل شيء، وتتجه في النهاية إلى البحر وتغرق. تحدث الظاهرة ذاتها مع نوع من الطيور في كندا؛ إنها مخلوقات لطيفة وجميلة نادراً ما تكون بأعداد كبيرة، لكن يتزايد عددها أحياناً إلى حد تتجول فيه نحو الغرب وتغرق في المحيط. هذه

سيكولوجيا بشرية؛ يهاجر البشر غرباً إذا كان ذلك ممكناً، وإذا لم يكن لديهم مكان هناك، يتجهون شرقاً لقتل الفائض من السكان. من المؤكد مثلاً أن النرويجيين لم يقوموا برحلات إلى أفريقيا لو لم يكن هناك زيادة في عدد السكان ورغبة بفعل شيء حيال ذلك. وفي الطريق إلى هناك، أسسوا نوعاً من النظام، أو شيئاً يشبه الموكب، وكان لديهم قادة يرشدونهم إلى الطريق. هكذا بدأ الأمر.

لا يكون هناك قادة عسكريون في القبائل البدائية إلا أثناء الحرب؛ لاحقاً وضعوا قادة معينين لديهم قوة مطلقة يخضع لهم الجميع، وشكلوا بنية تشبه الدولة، وهكذا تم تأسيس النظام الذي يؤدي إلى كم معين من التدمير. وطبعاً، بوجود أسلحتهم البدائية، لم يستطيعوا ارتكاب مذابح جماعية كما نستطيع أن نفعل الآن؛ عندما يكون الطقس ماطراً، يوقفون الحرب ويعودون إلى بيوتهم، كالصينيين القدماء، لأن الآلهة لا تفضّل المغامرات الحربية في تلك الأوقات على ما يبدو. لكن الرجل الأبيض قد أسس وعيه وطاقته إلى حد يمكنه أن يُنتج أعاجيب وكوارث هائلة لم يشهدها العالم من قبل. وفي سويسرا أيضاً، لا يوجد قائد عسكري في فترات السلام؛ ينتخب المجلس الفيدرالي أثناء الحرب قائداً يكون هو القائد الأعلى لسويسرا كلها، ويكون الملك الوحيد عليها فترة الحرب؛ وعندما تنتهي الحرب، يمضي إلى بيته ويعود مواطناً كما كان. هذه هي الطريقة التي عاشت بها القبائل البدائية، والدولة الحديثة قد خلقت تلك الحاجة مجدداً.

السيدة باومان: كيف أمكن لمبدأ "وو وي - *Wu Wei*" أن يحكم الصين؟ هل تسميه وحشاً أيضاً؟

الدكتور يونغ: لا، لأن الصينيين كانوا مغروسين بقوة في الأرض مثل الأشجار؛ تتكوّن الصين القديمة من حقول وبيوت وبشر يعيشون في بيوت

اختارها لهم منجّمون وعرّافون، وكل شخص بنفسه ومن أجل نفسه. وهذا تم التعبير عنه بشكل جميل في "بيت المنفى":[1] شعب كهذا لم يشن حرباً ولم يشكل دولة. إذا تفوّهت شخصية سياسية في المجلس السيامي مثلاً بوجهة نظر لم تُسمع من قبل أو لم يتم تقديرها، عندئذٍ تلزم هذه الشخصية المنزل – هذا كل ما يجب فعله. تخيّل مندوباً في المجلس الفيدرالي أو في مجلس النواب في فرنسا لم يتم سماع نصيحته! لكن الصيني لا يصرخ ولا يثير بلبلة بل يمضي إلى منزله ببساطة. وهكذا إذا مضى جميع أعضاء مجلس النواب الفرنسي إلى منازلهم، فسوف تزدهر فرنسا؛ يذهب جميع الأوغاد إلى منازلهم – إذا عاد السيد ديمرج، أو برايان، أو لافال أو أياً من السادة المحترمين إلى منزله وأظهر شخصيته الجميلة المحترمة في منزله ببطنه الصغير ونبيذه الفاخر، فسوف تعيش فرنسا بسلام. الصين ليست دولة بل شعباً يعيش ويتغذى من حقوله الصغيرة، ويتبادلون منتجاتهم فيما بينهم، وليس لديهم قادة لأن الجميع يبقون في المنزل. لا أحد يتجول في الطرقات ليسرق وينهب ويقتل، فلماذا يكون لديهم جنود؟ هناك لصوص تافهون طبعاً، لذلك يبنون جدراناً مرتفعة حول الساحات مع أبواب صغيرة يتواصلون من خلالها مع العالم. هكذا هي الحياة الصينية، والإمبراطور شخصية عظيمة يعيش أيضاً في مكان كهذا؛ جدرانه أعلى وأكثر سماكة من جدران الإنسان العادي، لكنه يعيش هناك مع زوجاته ومحظياته وكل أجهزته، وهو السيد الذي لا ينزعج وحسب. هو لطيف ومهذب مع الناس – يزوره الناس ويدعوهم لزيارته من وقت لآخر – وتقوم شؤون الدولة على إصدار مراسيم حكيمة معينة مثل شقّ قنوات الري لريّ مناطق معينة بشكل أفضل. وهناك أيضاً مجموعة من الجنود

---

[1] "نورا والن – Nora Waln" مؤلفة "بيت المنفى – House of Exile" (بوسطن، 1933). Wu Wei مرة أخرى.

تبلغ عشرة آلاف جندي مثلاً، يتم إرسالهم إلى أجزاء هذا البلد الهائل عندما يجمح بعض الأشخاص. لكن من الصعب أن يحتاج المرء إلى جنود. تخرج أجزاء من البلد عن النظام أحياناً. انفصلت الأرض عن السماء لفترة معينة. لم تسمع مراسيم السماء بشكل مناسب، وهؤلاء الناس كانوا مخطئين؛ وهكذا قيل لهم بشكل مهذب، وربما بشيء من القوة، إن ما يفعلونه ليس لطيفاً – هذا يغضب حكام السماء – ويعود الاستقرار مجدداً بعد ذلك.

كنا نقول إن هناك اضطراباً فظيعاً لأنهم لم يناقشوا القضايا. ليس هناك برلمان ولا شرطة؛ نحن نفهم النظام على أنه نوع من الأعمال العدائية أو الشبيهة بالحرب لأننا بدأنا من فكرة أننا حيوانات بريّة يجب قتلها إذا لم تخضع، لكن الصين بدأت من فكرة "أن تكون إنساناً يعني أن تكون حضارياً".

السيدة فيرز: في رواية "بيت المنفى"، عندما سألت تلك الفتاة عن الحرب الدائرة، أجاب الصيني: "إنها ليست حرباً، إنها حقبة زمنية".

الدكتور يونغ: نعم، هذا جيد للغاية. الفتاة الأمريكية الحديثة جاءت لزيارة أصدقاء صينيين لدى عائلتها تربطها علاقات عمل معهم منذ مئة سنة أو أكثر. لقد التقوا بها في "بكين"، ورافقتهم إلى منزلهم في مكان ما في الداخل، وسافرت عبر جزء مدمّر من البلاد حيث يحدث التمرّد والقتل والجثث وما إلى ذلك. وطبعاً، خافت الفتاة الأمريكية لكن الصيني شرح لها بهدوء أن هذه حقبة زمنية، ويعني بذلك أن هذه الفترة المضطربة ستستمرّ سبعين سنة أو تسعين ثم تنتهي. يعيش الناس تماماً في بيوتهم، تحدث الكثير من الشرور، هناك أشخاص سيئون، لكن ليس لذلك أهمية كبيرة. هذا هو الإنسان. سنردّ بإثارة الكثير من الصخب؛ سنقول إنها كانت الحرب الأولى والوحيدة، وإنها كانت من أجل المصلحة العليا، ولن تتكرر. لكن بالنسبة إلى الصيني، هذه ببساطة حقبة زمنية لم تكن الأمور فيها متناغمة،

ولهذا حدث خلاف، وسيتم إطلاق النار بشكل طبيعي عندما يكون هناك جنود. لكنني أخشى أن طريقة الإنسان القديمة جداً في النظر إلى الأشياء تختفي بسرعة في الصين؛ لقد أصابهم السمّ الغربي بشكل كبير. ولا آمل إلا بأن نتأثر بالصينيين: سيكون ذلك أفضل بكثير.

كان نيتشه متحمّساً للغاية هنا؛ والصيني لن يفهم لغته. لكن الصحف تحصي كل يوم عدد الحوادث التي وقعت، وعدد الجرائم التي ارتكبت، نحن متأثرون بشكل طبيعي بعددهم الكبير، ولا نستطيع أن نمنع أنفسنا عن التفكير بطريقة الإحصائيات، كما لو أننا كنا دماغاً لأمة كاملة مؤلّفة من سبعين مليون إنسان. أصبح هذا مثيراً للاهتمام طبعاً. على سبيل المثال، إذا رأى أحدهم شخصاً ثملاً يقول في نفسه: إنه رجل ثمل واحد، ربما كان شخصاً سيئاً". لكن عندما نقرأ أنه في كل يوم يكون هناك آلاف الحوادث بسبب الثمل، وأن عدداً من الأطفال ماتوا بسبب أشخاص سيئين أو مرض وراثي أو عقلي وأشياء أخرى، نشعر بشكل طبيعي بأن ذلك مريع. إن زيادة الوعي واتساعه من خلال الصحف يخبرنا عن أشياء مرعبة لم نحلم بها من قبل، وهي فعلاً غير موجودة بالنسبة إلينا لأنها تحدث في أماكن بعيدة؛ لأن الشيء الموجود فعلاً موجود هنا. إنها وجهة نظر إنسانية تلك التي تقول إن كل شيء بعيد زمنياً ومكانياً ليس لنا لأننا لسنا هناك ولا نعرف شيئاً عنه – نعم، تحدث بعض الشرور من فترة لأخرى طبعاً. لدى أولئك الناس فكرة أفضل بكثير عن الحياة؛ إنهم أكثر إيجابية لأنهم ليسوا خائفين. لا يرون الشرّ إلا بشكل نسبي. فالشخص الذي يكون تحت العجلة هو فعلاً تحت العجلة، لأنه *الوحيد* الذي تحت العجلة، لكن حتى لهذا مزاياه بطريقة ما. لديه تجربة أكبر في الحياة.

إذا بقيت فترة بين البدائيين أو الناس الأقل تحضراً، سترى كيف يختبرون كل لحظة وكأنها شيء كامل ممتلئ – شيء له معنى كامل ولا جدال

فيه إطلاقاً. على سبيل المثال، يأتي شاب يافع يتباهى بزينته والألوان الزاهية التي يرتديها، وبريشته وسيفه وأشياء أخرى لا يعلمها إلا الله، يشعر وكأنه ديك أو ثور أو بطل – إنه شخص كارثي وليس لديه أي إحساس بالدونية. هو مغرور وطموح وغبي لعين في كل مكان، لكنه كامل؛ إنه سعيد في تلك الفترة من حياته بين العشرين والثلاثين. ثم يأتي عجوز بين الخمسين والستين - يكبر البدائيون في العمر قبلنا – وهو ليس إلا عجوزاً. إنه العجوز الذي كان عليه دوماً، ولم يكن شاباً أبداً؛ إنه يجسد الشيخوخة. في كل كلمة يقولها، وفي كل إيماءة له، هو العجوز الذي كان، وسيكون، موجوداً دوماً. وهكذا عاش أولئك الناس كلهم كما لو أنه لم يكن هناك مستقبل ولا ماضٍ، إنهم يعيشون الآن فقط؛ ليس لديهم صحف ولا هواتف، ولا يعرفون ما يحدث، حتى ما يحدث على بعد سبعة كيلومترات. ربما تكون هناك حرب لكنهم لا يعلمون عنها؛ وربما يسمعون بعد أسبوعين أنه كان هناك حرب بين قبيلتين لكنها لم تمسّهم في النهاية: إنها أسطورة يمكن القبول بها. لكن إذا حدث الأمر معهم فهي لن تكون سوى حرب، والهوس الكامل بالحرب، لكنها لا تبقى إلا لمدّة قصيرة حيث يملّون منها ويعودون إلى بيوتهم وتضع الحرب أوزارها. يكون لأشخاص كهؤلاء حياة إنسانية كاملة يستطيعون أن يختبروها بشكل كامل؛ ليس هناك هاتف يعيقهم في إدراك حياتهم اللحظية، ولا اجتياح من ملايين الأرواح الأخرى التي عاشت على كوكبهم.

نحن نتعمّق في حياتنا لأن علينا أن نشارك بحياة الصين واليابان وأمريكا ودول أخرى لا يعلم بها إلا الله؛ نحن لا نعيش اللحظة. لو يتوقف الهاتف والصحف، ويتوقف الناس عن الطيران من مسافات بعيدة بسرعة ليحصلوا على حياة جديدة ووجود جديد، في مكان لا يجب أن يكونوا فيه،

فعندئذٍ لن نشارك في حياة تبعد عنا آلاف الكيلومترات؛ إنها حياة زائفة وغير موجودة. أصبحنا الآن مهووسين بالراديو، وبدأنا نسمع أصوات كافة الأمم، يا إلهي! إنهم بشر مثلنا تماماً. يكون المرء الآن في أثيوبيا، وبعدها بلحظة في "مانشوريا" وبعدها في الهند، يقوم المرء بتحويل مؤشر الراديو إلى مكان آخر فيصبح هو شخصاً آخر، ولا يمكن للمرء مقاومة الاعتراف بأن هذا حقيقي. حتى إننا نسمع أصوات الأدغال، نسمع زئير الأسود. لطالما اعتبرت أن ردّ فعل أمي على جهاز الهاتف صحيح تماماً. لقد وُلِدَت في زمن لم يكن فيه أجهزة هاتف، وكنت شاباً يافعاً عندما عرفته للمرة الأولى. لم تذهب أبداً إلى "صندوق السحرة"، كما كانت تسمّي "كبينة الهاتف"، لكننا أقنعناها بالدخول في وقت كانت تتلقى هاتفاً من ابن عمها، ووضعت أذنها على السمّاعة وهي تحدّق بها بقوة وتقول: "نعم، نعم، أسمعك لكنني لا أستطيع أن أراك!" كان ابن عمها يريد أن يخبرها شيئاً لكن أمي لم تُصغِ، وأخيراً ضربت السماعة بالصندوق وقالت إنها لن تستخدمه مرة أخرى. إنه ردّ فعل منطقي وطبيعي؛ ليس من الصحيح أن نسمع أحدهم يتحدث دون أن نراه: هذا جنون. نحن نطلق صفة المجانين على الأشخاص الذين يفترضون أنهم يسمعون أصواتاً تخرج من المواد الجامدة، لكن هذا ما نفعله؛ أمر غير طبيعي. الإنسان لم يرقَ إلى ذلك الحد، وبالتالي هو يفقد نفسه بالتأكيد.

يتابع زارادشت:

"وللأسف الشديد، يهمس الوحش بأكاذيبه العظيمة في آذانكم أنتم أيضاً يا أصحاب الأنفس العظيمة! إنه يعرف كيف يدغدغ قلوبكم الثريّة التي تبدد نفسها عن طيب خاطر.

أجل، إنه يعرف كيف يدغدغ أنفسكم أنتم أيضاً أيها المنتصرون على الإله القديم! غدوتم متعبين من صراعاتكم، والآن يغدو تعبكم ذاته في خدمة الصنم الجديد!

يريد الصنم الجديد أن يضع حوله أبطالاً وشرفاء! ويعجب ذلك الوحش البارد أن يتدفأ بشمس الضمير المرتاح.

سيمنحكم ذلك الصنم الجديد كلّ شيء إن أنتم عبدتموه: هكذا يبتاع بريق فضيلتكم ونظرة أعينكم الفخورة.

يريد أن يجعلكم أداة يستدرج بها الفائضين عن اللزوم! خدعة جهنّمية تم ابتداعها، وحصانَ موت يقرقع بحلية المكارم الإلهية!"

يشير نيتشه هنا إلى نقطة بالغة الأهمية لم يستطع إغفال رؤيتها: بمعنى، القوة الموحية الغريبة التي لدى فكرة الدولة، حتى على الناس الذين يفترض المرء أنهم غير متحيّزين، ويستطيعون رؤية أي وحش تكون هذه الدولة. لكن من المفهوم تماماً أن أفضل الناس يمكنهم الوصول إلى فكرة الدولة لأن الدولة، كما قلت سابقاً، تعمل كشيء حقيقي تماماً. فعندما تدّعي الدولة بأنها تشبه إصبع الله الذي يخلق النظام من الفوضى، فهذا صحيح إلى حد ما؛ إنه أمر وحشي وليس إنسانياً، لكن الشعب بكليّته ليس بشراً. الشعب عبارة عن وحش كبير يحتاج إلى وحش آخر يروضه. وبما أنها حقيقة لا يمكن تغييرها، يمكن حتى لألطف شعب أن يصل إلى فكرة الدولة، وعليه أن يعترف أنها تعمل، وعليهم احترامها. فهم يشعرون بوضوح أنهم إن لم يفعلوا ذلك فسيضيعون؛ هم بالتأكيد أضعف بكثير، وإذا لم يكونوا منتبهين كما ينبغي فهم يخاطرون بأن يطأهم الوحش بأقدامه ويقتلهم. ونظراً لأن الناس الهامين غالباً ما يكونون أذكياء للغاية أيضاً، فإن أمراً كهذا لا يفوتهم. سيدركون حتماً أن من الأفضل بكثير أن يتعاملوا مع قوى العالم بدلاً من إهمالها؛ لا يهمل الأخطار الواضحة سوى الأغبياء.

لذلك يجب على نيتشه أن يعترف، على العكس من رغباته، بأنه حتى خيرة الناس لا يستطيعون منع أنفسهم من الاعتراف بوجود الدولة وضرورة احترامها، حتى لو أدركوا أن الدولة تشتريهم كنوع من الدعاية. الدولة مثل أية منظمة كبيرة؛ عندما ينضمّ إليها أي شخص ذو أهمية كبيرة، ينشرون ذلك بأحرف كبيرة كنوع من الدعاية الضخمة. ثمة حاجة دائمة للدعاية لأنها بحاجة لإيمان الجمهور وثقته بها؛ الدولة أو أية مؤسسة أخرى سوف تشير إلى وجود أشخاص ذوي أهمية كبيرة فيها وذلك لصالح وجودها. إذا بات واضحاً أن أعضاء المنظمة شخصيات عادية وليست هامة، فستفقد المنظمة هيبتها ولن يعود باستطاعتها أن تعمل. لذلك فليس من الوارد إطلاقاً أن يكون شخص ذو أهمية معينة قادراً على الابتعاد عن ذلك الوحش. وإذا أراد التعامل مع العالم يوماً فهذا يعني التعامل مع الوحش؛ بما أن الوحش أشد خطراً منه فعليه أن يتصرّف بطريقة لا يثيره فيها. عليه أن يطعم الوحش ويراضيه، ويقدّم له الحلوى بين الحين والآخر، لكي يستطيع الوحش أن يتعامل مع تلك الدودة المسكينة، ذلك الفرد المعزول، بطريقة لائقة إلى حد ما.

يكون الأمر خاطئاً فقط عندما يفقد المرء فكرته عن ذاته، وعندما يبيع روحه للمنظّمة. لكن ذلك لن يكون سيئاً للمنظّمة أيضاً؛ يكون المثال الساطع عن شخص باع روحه، والآخرون يقلّدونه بشكل مباشر. إن خسارة الروح هو الخطر الأكبر طبعاً بالنسبة إلى أية منظمة كبيرة، إذ يكون للمنظمة روح بقدر ما يمتلك بعض الأشخاص فيها الجرأة والشجاعة للحفاظ على أرواحهم؛ إذا كان فيها روح إنسانية واحدة، يكون لديها روح بشرية واحدة على الأقل، وهو دائماً أفضل من لا شيء. وليس للأرواح المعزولة خارج المنظمة أية قوة من أي نوع، لأنها لا تتعامل مع الوحش. حتى "إله أيوب"، إن كنتم تذكرون، لم يكن لديه وحش واحد بل اثنان معه

ليحكم العالم، "لوياثان المائي - *leviathan*"، و"البهيموث البرّي - *behemoth*"؛ الأول يملأ ثلث المحيط وهو ملك البحار، والثاني يحكم الأرض. لكن إذا لم يكن بمقدور الله ذاته أن يعمل دون مساعدة وحشين أسطوريين، فكيف يمكن للإنسان أن يعمل دونهما؟ صحيح تماماً أن الدولة وضعت في صنارتها طعماً باسم شخصيات هامة لاصطياد كثيرين: الدولة موجودة لهذا الهدف مثلها مثل أي منظمة أخرى.

سأدافع أيضاً عن شركة "ستاندرد أويل"؛ إنها مناسبة جداً في واقع الأمر لأن الشركات الصغيرة لا تستطيع إنشاء محطات ضخّ في أي مكان غريب: ليس لديها رأس مال. لكن يمكن للمنظمة الكبيرة أن تفعل ذلك، ولا ننكر أن السعر الموحّد للنفط له فائدة معينة. فالكنيسة الكاثوليكية لديها سعر موحّد بطريقة ما؛ لديها إمكانية وصول سهلة للكثير من الناس غير القادرين أبداً أن يتصوّروا ما هي الروح. هناك صور وطقوس مثيرة للاهتمام، وهناك رجال دين متفهمون ومؤدبون، كالفرانسيسكان مثلاً، يجعلون الناس العاديين يفهمون الأشياء بسهولة. عانت البروتستانتية من عدم وجود منظمة كهذه. من المؤكد أن الكاثوليك أنجزوا مهمة بالغة الأهمية في أنهم أبقوا على الكثير من الحشود الفوضوية الجامحة تحت السيطرة. قاموا بعزل حشد عن الآخر، وهم يؤثرون على الصحف، ويراقبون المواد بعناية فائقة كي لا يتركوا أشياء خاطئة تمر، ويعملون على تزيين أشياء معينة بحيث تصبح مقبولة. لقد خلقوا أوهاماً مفيدة؛ إذا عملت منظمة كهذه بشكل حقيقي، فيمكن تجنّب كثير من الشرور.

لطالما قلت إنه لا ينبغي علينا أن نحظى بمنظمات كهذه إذا لم تكن هناك حاجة حيوية لها؛ لذلك، يجب ألا نشعر بأننا فوقها، بل ممتنون لوجودها. لكن على المرء أن يرى خطورتها، فالخطر يأتي دوماً عندما يوجد شخص ما يبيع روحه. إذا قمت ببيع روحك، تكون قد قدّمت أسوأ خدمة

للدولة، وإذا ما أغرتك الدولة ببيع روحك، فهي ترتكب جريمة. لكنك لا تستطيع أن تقول إن الوحش يرتكب جريمة. فهذه ليست وجهة نظر إطلاقاً لأن الوحش ليس أخلاقياً؛ هو لا يستطيع ارتكاب جريمة، كما أنه لا يستطيع أن يفعل ما هو خيّر. فالخير والشرّ أشياء من اعتبارات الفرد وليست خاصة بالوحش. ما علاقة الوحش بالخير والشر؟ إذا حاكمته باعتبارات أخلاقية، كما حاكمه نيتشه، فمن الطبيعي أن يكون شيئاً لديه أخلاق متدنية، كما يكون لفرس النهر أو وحيد القرن أخلاق متدنية. البشرية مجرّد حيوان برمائي هائل الحجم.

"نعم، موت يزيّن نفسه في حلّة الحياة قد تمّ ابتداعه هنا: خدمةٌ جليلة حقاً لكلّ دعاة الموت!"

لقد جعل من الدولة حالة بالغة السوء فعلاً، لكن يمكن قول الشيء ذاته عن الشعب.

"دولةً أسمّي موضع كل الذين يكرعون من السموم؛ الصالحون والسيئون معاً:...".

لكن لماذا يكرعون السموم؟ لا ينبغي عليهم ذلك.

"دولة هناك حيث يُضيع الجميع أنفسهم؛ الصالحون والسيئون معاً: دولة هناك حيث الانتحار الجماعي البطيء يُدعى "حياة"".

لماذا يُضيّعون أنفسهم؟ يمكنك أن تكون جزءاً من شيء ما دون أن تُضيع ذاتك فيه. إن ثقافتنا تمارس خدعتها علينا في غرس ما يسمى إخلاصنا المزعوم، ذلك الإخلاص الذي يحاول إقناعنا بأننا إذا أكلنا خبز أحدهم، يجب أن نغني أغنيته أيضاً؛ وهذا يعني أنه إذا كنا نخدم الدولة فعلينا أن نؤمن بها أيضاً. لقد جاء هذا التعصّب من الدين، ومن ادعاء الكنيسة البروتستانتية غير المشروع بأنها كل شيء: ادعاؤها المزعوم بالشمولية. فعندما تخدم الكنيسة، عليك أن تؤمن بعقائدها الجوهرية.

وإذا كنت جزءاً من الكنيسة، فعليك أن تكون فيها بشكل كامل. عليك أن تبيع روحك للكنيسة وتعتبر أنك تفعل بذلك خيراً. أما في الكاثوليكية فعليك أن تبيع لها روحك خارجياً فقط، ولا تحتاج للإيمان بالعقائد، ولا بعقيدة واحدة منها. أعرف شخصاً أخبر الكاهن بأنه لا يستطيع أن يتحوّل إلى الكاثوليكية لأنه لا يؤمن بعقيدة الهلاك الأبدي في الجحيم. فقال له الكاهن: "هذا ليس عائقاً، أنا لا أؤمن بذلك أيضاً". "كيف ذلك؟ هل يمكن أن تكون كاهناً ولا تؤمن بالعقيدة؟" "طبعاً، العقيدة صحيحة، وهناك هلاك أبدي، لكن عندما يموت البشر، يرون في الحال غاية الله من ذلك وما الخطأ الذي ارتكبوه في الحياة الدنيوية، ثم يتوبون في الحال ولا يخضعون للهلاك الأبدي. يبدو الأمر كما لو أنه لا وجود للهلاك الأبدي". تلك طريقة لطيفة للغاية تعمل بها الكنيسة الكاثوليكية.

صادف أن أجريت حواراً مثيراً للاهتمام مع يسوعي متمكن جداً، ووصل الحوار إلى الإيمان بالعقيدة: وعندئذٍ رأيت أنني أناقش تلك القضية القديمة بطريقة بروتستانتي حقيقي – نحن أغبياء بما فيه الكفاية لنصدّق بأن الكاثوليكيين يؤمنون بالعقيدة. أجاب: "طبعاً، يجب أن يكون للكنيسة عقيدة تُعتبر الحقيقة المطلقة، بل العقيدة التي تعيش. لقد نمت على مرّ العصور؛ بعض العقائد لم تكن موجودة دوماً وبعضها تمت إضافته. ويمكن للبابا في أية لحظة أن يعلن عقيدة جديدة تتخذ سلطة وتصبح حقيقة جديدة. إذا لم توافق على ذلك، فهذه حرّيتك الشخصية؛ لا داعي لأن توافق، لكن لا ينبغي عليك أن تعلن ذلك؛ ضع يدك في جيبك وانتظر. على سبيل المثال، نحن الألمان نُعتبر طيوراً غريبة بالنسبة لأولئك الكرادلة الرومان. إنهم لا يفهمون سيكولوجيتنا، ويحدث غالباً أن يكون لدينا آراء مختلفة – ربما تصبح عقيدة لاحقاً، لكن البابا لا يرى في الوقت الحاضر طريقة لتبنيها، لذلك يقول أشخاص كهؤلاء: "*ارتكبت إثماً يا أبتي*"،

وسيحصلون على الغفران شريطة ألا يتحدثوا عن الأمر". وسألته أيضاً عن حالة معينة قام فيها بروفسور كاثوليكي بنقد حقائق تاريخية معينة، لا شيء سيئ، لكنه كان ضد تعليمات الأسقف؛ وأجاب بأن على المرء طبعاً أن يوبّخ شخصاً كهذا لأن الطلاب الشباب اليافعين الذين يعلّمهم غير قادرين على محاكمة الأشياء بالشكل المناسب ورؤيتها بمنظور صحيح. إن التشوش الذي نشأ ليس جيداً لرفاههم الروحي. أجبت: "أنت على حق، على المرء أن يكون منتبهاً لما يقوله؛ لقيادة حشود كبيرة، وعليه أن يتجنب التشوش والتناقض". لذلك، يجب وضع قاعدة عامة للتمسّك بها، وعلى القائد أيضاً أن يتعلّق بها. وإلا فسيزعج الكنيسة؛ من أجل حياة الكنيسة على المرء أن يكون حذراً، عليه أن يغلق فمه. تعتبر وجهة النظر الكاثوليكية أن ارتياد الكنيسة أهم بكثير من *الإيمان* بها؛ أن تؤمن بها هو أمر قليل الأهمية. إنهم يتحدثون عنها لكنها لا تعني الكثير.

هذه فكرة قديمة. الالتزام الديني الأساسي هو أن تكون في مكان مقدّس. فالكنيسة مليئة "بالمانا" وإذا كنت في الغرفة ذاتها حيث تجري طقوس القربان المقدس، تكون قد اتبعت القداس إلى حدٍ ما، يصلك جزء من النعمة؛ تستطيع مناقشة بعض القضايا بينما يقوم الناس بالصلاة، لكن إذا سمعت جزءاً من القداس، وتشرّبت رائحة القربان المقّدس، فستحصل عليها أنت سواء أكان ذهنك حاضراً هناك أم لا. هذا هو المفهوم الحقيقي. نحن نرتكب خطأ كبيراً في محاكمة الكاثوليكية؛ نحن لم نعد مدركين لوجهة النظر الكاثوليكية البدائية والقديمة الضرورية لاحتواء الجماهير. لا يمكن أن تتوقع أن يكون لكل هؤلاء الناس البدائيين موقف روحاني. إنهم لا يعرفون ما هو، لكن إذا كانوا في المكان المقدّس، فهم مقدّسون بطريقة ما؛ إنهم يرون ذلك ويسمعونه، ويشتمّون رائحته، وهم تحت السقف ذاته – وهكذا يكفي. كما يكفي الكثير من الناس أن يشعروا بالتميّز الكامل

عندما يكون لديهم هذا الصديق المميز أو ذاك. هم لا يحتاجون أي تميز خاص بهم بل بحاجة لأن يكونوا مع ذلك الشخص، وبالتالي هم على حق. وهم كذلك في عيون الآخرين. تتعامل الكنيسة الكاثوليكية مع وجهة نظر البشر، وهي تمسك بهم. لكن البروتستانتية لم تمسك بالبشر طبعاً؛ فقد طوّرت وجهة نظر أكثر جدارة عن الاقتناع التام والتضحية التامة بالذات – التفاني الكامل لمبدأ روحي معين. لكن ماذا يحدث عندما يموت المبدأ الروحي أو يختفي؟ عندئذٍ يسعون إلى شيء آخر لديه مزاعم كاملة بالشمولية، وهذه هي الدولة.

تطالب الدولة الآن بالشمولية بدلاً من الكنيسة لأن الشعب يحتاج إلى هذا الشعور بالشمولية. وأي شخص لا يكون مع الدولة يُعتبر ضدّها، كما لو أن الدولة هي المسيح ذاته؛ إذا كان أي شخص ينتمي إلى الدولة دون أن يؤمن بها، يعتقد هو نفسه أن في الأمر نفاقاً. لكن هذا ليس صحيحاً، لأنه لا يمكنك أن تثق بذلك الوحش المسمى دولة؛ يمكنك فقط أن تثق به إلى المدى الذي يبلغه ذكاء الوحش وليس أكثر. وطالما أنك لست في علاقة بشرية معه، لا يمكن القول إن الوحش يتصرف بشكل سيئ أو أنه مزعج وشرير: هذه ليست اعتبارات بالنسبة إلى الوحش. إذا تصرّف وحيد قرن بالطريقة الطبيعية التي يجب أن يتصرّف بها وحيد القرن، فهذا طبيعي تماماً ولا نعتبره حيواناً سيئاً؛ إن وحيد القرن المدجّن الذي لا يهاجمك بقرنه لدى رؤيتك هو وحيد قرن سيئ. لذلك فإن البروتستانتي معرَّض بشكل خاص لخطر الاعتقاد بأن واجبه الأسمى هو الإيمان بالمنظمة التي يعمل بها؛ يعتقد أن عليه الإيمان بالدولة التي يكون موظّفاً فيها، وهذا خطأ فادح. وهو يبيع روحه ضمن نوع من المثالية دون أن يعرف ذلك، ويكرّس روحه للدولة كما لو أنها الله. حتى إنه من الخطأ الكبير أن يكرّس المرء روحه

إلى الله بالكامل طالما أننا نعيش في هذا العالم. افعل ذلك وراقب إلى أين ستصل. ستخرج من العالم وربما تصبح أشبه بشبح – ستصبح وكأنك لم تعد تعيش، ولست موجوداً في الزمن المناسب؛ لا يمكنك أن تكرّس نفسك إلى اللامكان لأنك الآن هنا. وبالتالي من المستحيل على الإنسان أن يكرّس نفسه إلى الله بالكامل. وقد عرف الصوفيون أن الابتعاد عن الله كان جزءاً جوهرياً من الاتحاد معه.

"انظروا هؤلاء الفائضين عن اللزوم! إنهم يختلسون أعمال المبتكرين وكنوز الحكماء. يسمّون سرقتهم تلك ثقافة، ويتحوّل كل شيء لديهم إلى مرض وأذى!

انظروا هؤلاء الفائضين عن اللزوم! يعانون من المرض دوماً؛ يتقيؤون مرارتهم وسمّوها صحافة. يلتهم أحدهم الآخر ولا يقدرون حتى على هضمه."

غير صحيح، هذه هي المشكلة.

"انظروا هؤلاء الفائضين عن اللزوم! يسعون إلى الثروات ويزدادون فقراً."

يفقد نيتشه كل ما لديه من كبت هنا. هو لا يرى الدولة إلا كمستنقع مليء بالشرّ والأفاعي السامة. لكن هذه هي البشرية، هكذا هم الناس. الدولة ليست حتى نتنة، لأنها ليست موجودة. الدولة عبارة عن اتفاقية، تجريد؛ لا أحد يعتقد أن الدولة موجودة سوى الأغبياء من الناس فقط. إنها مجرّد خيال، واتفاق بين مجموعة أشخاص؛ الحقيقة الوحيدة هي في كونها اتفاقاً بين مجموعة من البشر. وإذا كان هناك وجود لشيء نتن، فستكون البشرية. ادخل غرفة كان بها مجموعة من الأشخاص، وستشم رائحة البشر مباشرة، وهي ليست رائحة جيدة: رائحتها تشبه رائحة حيوان. يقول الزنوج إن الحيوانات البرّية تتجنب الإنسان لأن رائحته مثل رائحة

الأسود، وربما لأننا نأكل اللحوم كثيراً تبدو رائحتنا كرائحة حيوانات مفترسة. نحن نتأثر برائحة الزنوج لأنها تبدو مختلفة تماماً، فهي أكثر وضوحاً بقليل، "وغير بشرية" بالتأكيد، لكنها لا تختلف عن رائحة الأوروبيين عندما يجتمع عدد منهم. يمكننا إثبات سيكولوجيا الرعاع من خلال الرائحة السيكولوجية لعدد كبير من الأفراد: تكون رائحتهم مثل سيكولوجيتهم تماماً. يمكن القول إن الشمّ وظيفة نصف سيكولوجية؛ تستطيع أن تشمّ أشياء لا يمكن أن تشمّها في الواقع: يعمل حدسك من خلال الرائحة. أحياناً يتولّد لديك انطباع معين نتيجة إحساسك برائحة ليست حقيقية. يبدو الأمر كما لو أنك تشمّ نوعية غريبة.

"اجتنبوا الروائح الكريهة! وابتعدوا عن عبودية الفائضين عن اللزوم للأصنام!

اجتنبوا الروائح الكريهة إذاً! وابتعدوا عن دخان هذا القربان البشري!

ما يزال هناك مكان للأنفس العظيمة فوق الأرض. ما تزال هناك أماكن شاغرة للأفراد وللأزواج، وحولها تتضوّع نفحات البحر الهادئ."

يمكن لهذا أن يكون مجرّد عتاب للشعب وليس للدولة، أي للحالة الجمعية؛ لذلك يتحدّث عن النسّاك. لأنه يشعر بوضوح شديد أنه إذا كان لديه مقاومة كهذه ضد الدولة، فهي مقاومة ضدّ البشرية، وعليه أن يستثني نفسه من البشرية إذا أراد أن يرسو حيث يريد أن يرسو في نهاية المطاف. لذلك فإن الروح العظيمة لا تنتمي إلى الحشد، بل يجب بالضرورة أن تكون خارجه؛ إنه حاسم جداً في هذا الجانب. ويقول إن العالم لا يزال مفتوحاً، وفيه أماكن كثيرة تستطيع فيها الأرواح العظيمة أن تعيش في عزلة. لكن لدينا هنا نقطة كنت أضع عليها دوماً إشارة استفهام: أنا لا أعرف تماماً ما الذي يعنيه نيتشه عندما يقول هنا "*للأفراد والأزواج*". من هو الثاني؟ هل هو ناسك مضحك يعيش مع شخص آخر. أعتقد أن لديه

شعوراً غريباً بالثنائية، كما لو أن هناك شخصاً آخر. ثمة أسباب كثيرة للتفكير بذلك. إن زارادشت ونيتشه هما اثنان على سبيل المثال. أعتقد أنه التفسير الأفضل.

السيد أليمان. ألا يمكن أن يكون السبب في أنه لا يستطيع العمل من دون شخص آخر يستمع إليه – أي من دون "الأنا"؟

الدكتور يونغ: تماماً، والسؤال هو كيف ظهرت "الأنا" بالنسبة إليه. هل هي العلاقة بين نيتشه وزارادشت، أو *اتفاق* مع شخص آخر؟ قد تكون "القرينة" لكنه لم يكشف عن سيكولوجيا "القرينة" إلا في نهاية الكتاب، وفي السنوات التي تلت، عندما أصابه الجنون؛ كان الأمر كله يرتبط بعلاقته بزارادشت حتى ذلك الحين. كان ينتمي إلى شعب يعيش شرقي نهر الراين، حيث لم تكن سيكولوجيا "القرينة" قد ظهرت حتى ذلك الحين؛ كانت السيكولوجيا الذكورية، وسيكولوجيا "الطفل الإله"[1] هي السائدة هناك بسبب شباب تلك القبائل. تظهر مشكلة "القرينة" في الحضارة القديمة غرب نهر الراين، لكن في شرق نهر الراين يوجد بشكل عام مشكلة العلاقة بين الرجل و"المبدأ التابع أو الخاضع" – فكرة أو حماسٌ أو مشروع كبير مثلاً. إنها تماماً سيكولوجيا الشاب الذي يدخل الحياة حيث يكون العالم مكوناً أساساً من الرجال. هناك أنثى لاحقة تخدم هدفاً معيناً، تخدم موضوع التكاثر أو المشاعر الرومانسية، لكن ليس هناك من استخدام آخر لها. لذلك، ترى في الواقع فكرة تنتشر مرة أخرى مفادها أن المرأة تنتمي إلى المطبخ، وهي مفيدة فقط لإنجاب الأطفال – أي إنه ليس لها مشاكل سيكولوجية، وليس هناك إمكانية لتطوّر الروح.

---

[1] في الميثيولوجيا هو إله طفل صغير إلى الأبد. وفي السيكولوجيا هو الشخص الأكبر سناً الذي بقيت حياته العاطفية عند مستوى المراهقة. وهي تعرف أيضاً بـ "متلازمة بيتر بان". المترجم

"ما يزال هناك مجال حياة حرّة للأنفس العظيمة. حقاً أقول لكم، من لا يملك سوى القليل لن يصبح مهووساً: مبارك هو الفقر البسيط."

"الفقر البسيط" نعم، أفضل من الفقر الخالص!

"حيث تنتهي الدولة يبدأ الإنسان الذي ليس فائضاً عن اللزوم: هناك يتعالى نشيد الضرورة، والطريقة الوحيدة التي لا مثيل لها للوجود.

هناك، حيث تنتهي الدولة؛ انظروا إلى هناك إذاً يا إخوتي! ألا ترون قوس قزح وجسر الإنسان الأعلى؟

هكذا تكلّم زارادشت."

صحيح تماماً أن الشخص الذي لا يكون فائضاً عن اللزوم، الإنسان المفيد، هو الذي لم يبع روحه للمنظّمة، والقادر على الوقوف إلى جانب نفسه، ومن أجل نفسه. إنسان كهذا ضروري دوماً لأن معظم الناس لا يقفون بأنفسهم؛ يبيعون أرواحهم، ولا تكون هناك حرية. الأثر الوحيد للحرية والأمل الوحيد بها طبعاً هو في الشخص الذي لا يفترسه الوحش، والذي يستطيع أن يتعامل معه ويتخلّص منه. لذلك يعرض الصينيون القدماء أبطالهم أو معلّميهم العظماء وهم يمتطون الوحش. عندما سُئِلَ "كونفوشيوس" كيف يرى "لاو تسو"، الذي لم يتعرّف عليه شخصياً، أجاب بأنه لا يعرف ما إذا كان خبيراً بالأسلحة، أو في قيادة العربات، لكن كيفما كان الأمر، هو يعرف جيداً أن "لاو تسو" كان خبيراً بامتطاء التنانين. أي إنه عرف كيف يتعامل مع الوحش.[1] يرمز التنين طبعاً إلى اللاوعي الجمعي: الدولة هي ببساطة المظهر الخارجي للوحش ذي المئة رأس. والتنين ذو الرؤوس المتعددة والقرون المتعددة في "سفر الرؤيا" يعني الأمم، الرومان

---

[1] عن هذين الحكيمين من القرن السادس قبل الميلاد، من النادر أن اقتبس يونغ شيئاً عن كونفوشيوس، ذلك الفيلسوف الاجتماعي بشكل خاص. لكن "لاو تسو" المنطوي كان مفضلاً بالنسبة له.

على سبيل المثال. ومجموعة البشر المنظمين هي عبارة عن أفعى ضخمة: يحلم المرء بأشياء كهذه ويجدها في الأحلام التاريخية. راود "هنيبعل" الشاب مثلاً حلم نبوئي يرتبط بغزو إيطاليا؛ رأى أن تنيناً ضخماً يتبعه ويدمّر البلد كله، وهذا يعني طبعاً جيشه الذي يتبعه ويدمّر البلد.[1] وهو يعني الحشد أيضاً، اللاوعي الجمعي؛ إنه يعني روحاً محتشدة، روح الإنسان الجمعية. مرة أخرى هذا الوحش هو الإنسان الذي لا يبيع روحه للوحش، وهناك حاجة له. يجب أن يكون حذراً، ويجب حتى أن يسعى إلى قدر معين من العزلة كي يحافظ على عزلته. لكن سيضيع أيضاً إذا لم يعرف كيف يتعامل مع الحشد. ربما لا يكون عليه حينها أن يواجه الفقر البسيط بل الفقر الشديد أيضاً.

[1] في حلم "هنيبعل" راى شاباً يشبه الإله، واخبره أنه مُرسل من "جوبيتر" ليقود هنيبعل إلى إيطاليا، وحذّره من النظر جانباً او إلى الخلف، لكن الفضول انتصر طبعاً. "ثم راى خلفه حيّة بحجم وحش، تحرّكت منطقة مدمّرة هائلة من الأشجار والأحراش، ثم أتت عاصفة قوية مصحوبة برعد قوي: ولدى سؤاله عن معنى هذا الحلم، قيل له إنه يعني تدمير إيطاليا". "ليفي، ترجمة بينيامين أوليفر فوستر، 'ليوب كلاسيكال ليبراري، كامبريدج، لندن 1929. المجلد الخامس، المقطع 22.

خريف 1935

تشرين الأول- أكتوبر / كانون الأول - ديسمبر

المحاضرة الأولى

16 تشرين الأول – أكتوبر 1935

الدكتور يونغ:

سنتابع الآن فصول كتاب "هكذا تكلّم زارادشت". لكن قبل أن نبدأ، أود أن أخبر أولئك الذين لم يتابعوا المحاضرات السابقة أن كتاب *هكذا تكلّم زارادشت* هو حالة خاصة جداً. فهو ليس حالة يمكن أن نتوقع فيها تمايزاً بين الوعي واللاوعي؛ على العكس تماماً، نحن نجد تطابقاً كبيراً بين الوعي واللاوعي. عندما يتم تنشيط لاوعي نيتشه، يتماهى مع كل محتوياته، ولا سيما في المؤشرات الأولى لهجمات اللاوعي الجمعي الذي كان سبب دماره في نهاية المطاف. لقد تماهى مع "القرينة" ومع النموذج البدئي للعجوز الحكيم ومع شخصيات عديدة أخرى، ولا سيما مع الذات التي لا تتمتع بطبيعة الحال بميزات النفس البشرية، بل بميزات الإله القديم البدائي. وهذا طبعاً، في قاع تجربته الديونيسية الشهيرة. فهي حالة نفسية غريبة للغاية ويصعب التعامل معها لأن عليك أن تتذكر دوماً حالة التماهي الكاملة تلك. كما أنها حالة يندر وجودها في أي تحليل خاص. وقد نجدها بطبيعة الحال لدى الناس المبدعين عندما يكونون في مزاج إبداعي، لكنها نادرة جداً لأنهم عندما

يكونون في هذا المزاج الإبداعي، لن يكونوا مهتمين بالخضوع للتحليل بالتأكيد. لذلك تصبح توقعاتنا العادية مرتبكة، فيصعب علينا فهم حالته السيكولوجية الخاصة. لكن لا بدّ من القول مرة أخرى أنكم اخترتموه بأنفسكم. فأنا لم أختر ذلك. إنه مثير للاهتمام بالطبع، لكن عليكم التركيز والعمل بجد لكي تفهموا هذا النوع من التداخل. وأود أن ألفت انتباهكم مرة أخرى لتقرير السيمنار الأول حول الكتاب، إذ حاولت توضيح هذه السيكولوجيا الغريبة بطريقة "القياس المنطقي"، ووضع مخطط يظهر تطابق جميع الشخصيات التي ظهر فيها زارادشت.[1] والآن سنبدأ بفصل اسمه "عن ذباب السوق".

"سارع إلى عزلتك يا صديقي! أراك متعباً من صراخ الرجال العظام، ومدمّى من وخز صغارهم.

ستعرف الغابات والصخور كيف تكون صامتة بوقار مثلك. لتكن مثل الشجرة التي تحبها، تلك الشجرة الضخمة التي تقف معلّقة فوق البحر ساكنة مصغية."

تتذكرون المحتويات الأساسية للفصل السابق، "عن الصنم الجديد"، الذي تحدث فيه عن الدولة؛ يبدو كما لو أنه تنبأ بالتطورات الحديثة. فقد تحدث عن الدولة وكأنها وحش هائل اتخذ أهمية استثنائية: أي عن الموجة الجمعية التي بدأت تهز العالم وتغرق الفرد. وبينما كان يحاول الدفاع عن إنسانه الأعلى المثالي، حاول بشكل طبيعي أن يؤكد حق الفرد في العيش. رأى إنسانه الأعلى في حالة تناقض مطلق مع الدولة. الدولة هي عدو الإنسان الأعلى اللدود، ولأن الدولة هي العدو، فهي مكافئة لذلك الشخص الذي يسعى لتأكيد نفسه ويصبح إنساناً أعلى.

---

[1] انظر أعلاه محاضرة 27 حزيران – يونيو عام 1934.

ما حدث هناك هو أن فكرة الإنسان الأعلى، أو الفرد المتمايز الذي لم يصل إلى سطح الوعي، بقي في الظلمة، وبالتالي هو موجود في كل مكان؛ هو في كل شخص، ويتخذ كل شخص طابعاً فردانياً ومتضخماً في الوعي لدرجة يحتاج فيها إلى بناء دولة كي يستطيع العيش. فعندما يُصاب الجميع بالتضخّم، لا يعود أحدهم قادراً على فهم الآخر، وتتفتت المنظمات الإنسانية والاجتماعية. وعندئذٍ يرى المرء أن من الضروري للغاية أن تتحد حتى وجهات النظر المتعاكسة بهدف الحفاظ على بعض النظام؛ وهكذا يشكّل جميع المتضخمين دولة لا يكون لأي شخص فيها أي معنى. وهذا بطبيعة الحال شرط يعارض تمايز الفرد تماماً؛ يكون التمايز خطيراً أيضاً. إن دولة قامت على تسوية بين أشخاص مصابين بالتضخّم تخاف من الفرد الذي يُظهر تمايزه؛ هذا يعني بالنسبة إليها أن التسوية لن تعمل لأن الفرد كان بارزاً بطريقة ما، وقد تمت التسوية كلها بهدف ألا يحصل ذلك. فدولة كهذه هي طبعاً ضمان لعدم بروز أي فرد.

هكذا كان الوضع في زمن نيتشه، وبعده بفترة طويلة، حتى أصبحت الأمور مستحيلة لدرجة أن الأفراد فجأة بدؤوا يبرزون بشكل سيئ جداً، ولا سيما في دول معينة. وأصبح العالم مثار شكّ للغاية من هذه الناحية؛ اعتقد البعض أن ذلك كله خطأ، واعتقد آخرون أنه صحيح. لكن ذلك كان تطوّراً في عالم الوعي الخاص بنا بكافة الأحوال. وبما أن نيتشه كان في مواجهة أساسية مع دولة كانت ضماناً ضد الأفراد الذين يمكن أن يبرزوا، شعر بذلك الضغط الهائل، وهو ما يفسّر إدانته للدولة ونظرته لها على أنها الرسم الكاريكاتوري لفكرة الإنسان الأعلى. هذا هو الحال دوماً عندما تحوم فكرة كهذه فوق الإنسان – أو يحدث في البنية الرئيسة للعقل اللاواعي – إنها موجودة في كل مكان: الجميع مصابون بها، والجميع متضخمون بها؛ الجميع عبارة عن إنسان أعلى لاواعٍ. وبما أن الفرد غير واع

لذلك، فعلى الدولة أن تعبّر عنه. يتم وضع جميع الأفراد المتضخمين بشكل فوضوي أحدهم ضدّ الآخر، وبالتالي على الدولة أن تتولّى السلطة من أجل جمعهم معاً. ويصبح الناس مجبرين على الدخول في مجتمع يضمن قدراً معيناً من الحياة لكل جزء متضخم شريطة ألا يبرز أي شخص.

الآنسة وولف: أودّ أن أقرأ عليكم ما قاله "جاكوب بوركهارت" عن الدولة الجديدة.[1] فقد قدّم نبوءة عن الحالات المستقبلية في رسالة إلى صديقه الألماني "فريدريك فون بربن" يقول فيها:

كم من الأشياء العزيزة على العقول المثقفة المتعلمة ينبغي إلقاؤها في البحر باعتبارها "ترفاً" عقلياً. وكم هو صعب نشوء الجيل الجديد بالنسبة لنا. ربما سنظهر للشباب وكأننا مركزون على الرفاهيات كما ظهر المهاجرون الفرنسيون لأولئك الذين تجنّبوهم.

الطبيعة السياسية الجوهرية (الكومنويلث) للناس عبارة عن جدار لا يزال بالإمكان خدشه بهذا الظفر أو ذاك، لكن المسمار لم يعد يثبت فيه. لذلك، في القرن العشرين المقبول بالنسبة لنا، سترفع السلطة رأسها مجدداً، وسيكون رأساً مرعباً. وأخيراً، اعتبار كل شيء مؤقتاً، وهذا الحقّ في كل ابتكار متعمّد، وهذا الامتياز لكل طهارة، سيصل إلى نهايته.

واحسرتاه، ما الذي سيحدث للكثير من الاهتمامات العزيزة علينا؟ للعلم الذي يُستخدم لشغل المقعد الخلفي في السيارة "التقدم بشكل عام"! كم سيكون اهتمام السلطة الجديدة بالعلم ضعيفاً.

---

[1] كتب "بوركهارت" لاحقاً: "كان من الواضح بالنسبة إلي منذ فترة طويلة أن العالم ينتقل إلى التبديل بين الديمقراطية الكاملة والاستبداد المطلق الخارج عن القانون.... لكن الناس لا يرغبون بأن يتخيّلوا عالماً يتجاهل قادته القانون والازدهار والصناعة والأعمال التي تجلب الثراء وما إلى ذلك.... (بازل، 13 نيسان – إبريل، عام 1802). رسائل جاكوب بوركهارت. "ألكسندر درو – Alexander Dru" (نيويورك، 1955).

الدكتور يونغ: كانت نبوءة لافتة. لا بدّ أنها كُتِبَت قبل نهاية الثمانينات لأن نيتشه "توفي" بعد ذلك.

الآنسة وولف: وعندما أرسل نيتشه كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** إلى "كوتفريد كيلر"،[1] أرفقه برسالة (روما، حزيران – يونيو، *1883*) يصف فيها حالته بينما كان يؤلّف الكتاب:

كم هو غريب! من هوّة المشاعر التي عشتها في الشتاء الماضي، والأكثر خطورة في حياتي كلها، نهضت فجأة ولمدّة عشرة أيام كنت كما لو أنني تحت سماء ساطعة، وفوق الجبال العالية. ثمرة هذه الأيام تستلقي الآن أمامي.

الدكتور يونغ: هذه مشاركة قيّمة. الشعور في حالة كهذه يرفع الإدراك بما يجب أن يشعر به الفرد المتميز عندما يكون مجبراً على العيش في دولة كهذه، وهذا ما سنراه الآن في فصل "عن ذباب السوق". إنه يعاتب صديقه لهربه إلى العزلة، إلى الطبيعة، ليكون مثل شجرة، يتابع نيتشه:

"حيث تنتهي العزلة تبدأ الأسواق العامة؛ وحيث تبدأ الأسواق يبدأ أيضاً صخب الممثل الكبير وطنين الذباب السام. تظل أفضل الأشياء في هذا العالم لا تساوي أي شيء طالما لم يكن هناك من يعرضها. ويسمّي الناس هؤلاء العارضين رجالاً عظماء."

يقول إن أفضل الأشياء لا تساوي شيئاً في عالم يتميز بالدولة؛ لأن الدولة لن تسمح للفرد بالظهور، وأفضل الأشياء لا يمكن أن توجد. وإذا وُجِدَت، فيجب عرضها، ولهذا العرض أشخاص مميزون مثل الممثلين.

---

[1] حول "كيلر"، انظر أعلاه محاضرة 16 تشرين الأول – أكتوبر عام 1935. كتب نيتشه أحياناً إلى كيلر بطريقة المودة والملامة. كتب إلى "هيبوليت تاين – Hippolyte Taine" عن أحد السويسريين الذين يعتبرهم الشعراء الألمان الوحيدين الأحياء وهو "غوتفريد كيلر" (4 تموز – يوليو، عام 1887).

وهكذا إذا كان يجب عرض دور الملك، ستكون هناك حاجة إلى ممثل يؤدي دور ملك – أو البطل أو الله – وعندئذٍ يسمي البشر الأشخاص البارزين أو الممثلين رجالاً عظماء.

"لا يفهم الشعب كثيراً ما هو العظيم؛ أي ما هو مبدع. لكنّ لديه حسّ للعارضين كلهم، والممثلين للأدوار الكبرى على مسرح الحياة."

تأتي الأشياء العظيمة إلى العالم من خلال بشر لا يمكن رؤيتهم، وينبغي أن يظهروا من خلال ممثلين عنهم، وتكون علاقتهم بالأشياء العظيمة مثل علاقة الممثل بدوره. تعرفون تلك الفقرات الشهيرة في مسرحية هاملت: "من هي 'هيكوبا' بالنسبة إليه، أو من هو بالنسبة لـ 'هيكوبا'، حتى يبكي من أجلها؟....."[1]

"تتوقّف مسيرة العالم على مبدعي القيم الجديدة – يطور العالم حول هؤلاء

بطريقة غير مرئية."

هنا يصف تحديداً أهمية أنه عندما يتم إبداع شيء عظيم، يُصبح لدى العالم؛ لكن طالما أنه يكون في العالم بطريقة لاواعية، بما أنه ليس مرئياً، فاللاوعي الجمعي وحده هو الذي يعرفه. إنه في اللاوعي الجمعي لكل شخص، وبالتالي سيتحول الجميع إليه؛ ربما يلتفتون إليه ضدّ إرادتهم الواعية تماماً. وهم لا يعرفون إلى ماذا يلتفتون – هذا إذا لاحظوا أنهم يلتفتون إليه!

"لكن يلتفّ الشعب والشهرة حول الممثلين: هكذا تسير الأمور."

إنهم يلتفتون إلى شيء حقيقي، ومع ذلك ما يكتشفونه هو الممثّل الذي يعرضه، وهكذا يرون المظهر الخارجي للشيء فقط.

---

[1] هاملت في مناجاته "لعبد فلاح محتال"، عن أحد الممثلين (المقطع الأول، الفصل الثاني الأسطر 543-544).

"الممثّل ذو عقل، لكن ينقصه الوعي بالعقل."

يستطيع أن يؤدي الدور كما لو أنه من إنتاجه الخاص، كما لو أنه هو نفسه فعلاً، وهذا يمكن أن نسميه نقص الضمير الفكري.

"هو لا يؤمن إلّا بما يجعل الناس يؤمنون بقوّة؛ ما يجعل الناس يؤمنون به هو!"

إذا لم يؤمن بنفسه فهو ممثل سيئ. لا بدّ أن يؤمن بنفسه، ولا بد أن يؤمن بأنه ما يمثله – أو لا يمثله. في حين أن من اخترع الدور يمثله دوماً بطريقة مستوحاة من الضمير الفكري؛ هو لا يقول: "هذا أنا"، وبالتالي فإن الناس لا يرونه. إنهم لا يستطيعون، إنها شخصية دقيقة للغاية. إنهم لا يرون سوى الشخص الذي يمثل الدور.

"وغداً ستعتنق عقيدة جديدة، وبعد غدٍ عقيدة أخرى. فهو، كالشعب تماماً، يتمتع بحواس شديدة التذبذب والتوقّد والتقلّب.

يعني الإبهار بالنسبة إليه برهاناً، وبلبلة العقول إقناعاً. فالدم حجّته الفضلى."

هنا نصل إلى التاريخ الحديث.

"ويسمّي الحقيقة التي لا تصل إلا إلى الآذان المرهفة كذباً وعدماً. حقاً إنه لا يؤمن إلا بالآلهة الصاخبة في الحياة."

تسمع كثيراً من الأصوات العالية هذه الأيام. الضجيج هو الدليل على وجود شيء؛ كلما أثار المرء ضجيجاً أكثر عنه، أقنع الناس أكثر. تبقى في آذاننا تلك الأصوات عن أحداث سويسرا الأخيرة.. يُفترض أن تكون حجّة.

"تغصّ السوق العامة بمهرّجين كثر."

الممثلون الذين يتماهون مع الشيء الأفضل.

والشعب يهلل برجاله العظام! إنهم أسياد الساعة في نظره.

لكنّ الساعة تستحثّهم؛ وهكذا يستحثّونك بدورهم: يطالبونك أنت أيضاً بـ"نعم" أو "لا".

ذلك الشعب مستعجل أيضاً، يتحدث عن الغزو ولا يمكنه الانتظار: هذا يوم الرب! هذا هو الوقت المناسب! انهض لتكون شاهداً! لا تنتظر بعد الآن لأننا في عجلة من أمرنا لضمان نجاحنا.

الويل لك، أتريد أن تضع كرسيّك بين الـ"نعم" والـ"لا"؟

لا تشعر بالغيرة من هؤلاء المتصلّبين المستحثّين يا محبّ الحقيقة! لم تتعلّق الحقيقة أبداً بذراع شخص متصلّب قطعي.

هذا لا يحتاج أي تعليق.

عد إلى موقعك الآمن أمام هؤلاء المندفعين النزقين: في السوق فقط يُغتصب المرء بـ نعم؟ أو لا؟

بطيئاً يكون ما يحدث داخل كلّ بئر عميقة: لا بدّ للبئر العميقة أن تنتظر طويلاً قبل أن تعرف ما الذي حدث في قاعها.

لا تقوم عظمة إلا بعيداً عن الأسواق العامة وبعيداً عن الأمجاد، ويكون موطن مبتكري القيم الجديدة دوماً بعيداً عن الأسواق والأمجاد.

سارع إلى عزلتك يا صديقي؛ إني أراك فريسة للسع الذباب السامّ، سارع إلى حيث يهبّ هواء حادّ قويّ!

ما الذي يعنيه بالذباب السامّ؟ لماذا هذا الشكل الغريب في الكلام؟

السيدة فيرتز: ألا يمكن أن تكون كلمات في الهواء لاذعة وسامة؟

الدكتور يونغ: أسراب الذباب سامّة في الهواء، وربما تعني الأفكار التي تحوم في الهواء، كالشائعات، أو الصحف، أو نداء الحرب الخاص بتلك الأيام. ويُصيب الذباب السام الإنسان بعدوى رهيبة مثل تسمّم الدم؛ إنها آفة مروّعة. غالباً ما يظهر هذا الرمز لتسمّم الدم أو العدوى في الأحلام حيث تعني العدوى الجماعية، وغالباً ما يتم تمثيلها بعدوى تناسلية أو

دَرنيّة (ترتبط بمرض السلّ)، أو أي مرض معدٍ آخر. من يكون على طريق التفرّد معرّض بشكل طبيعي للعدوى الجماعية؛ كل الحقيقة الواضحة التي يسمعها في السوق سامة بالتأكيد لأنها تعترض طريقه بشكل كامل. هي تخبره كم هو مخطئ، وكم من الأشياء التي كان يُفترض فعلها كانت بعيدة عن أفكاره ومبادئه. إذا سمح لنفسه بأن يُصاب بالعدوى بهذه الأفكار، سرعان ما سيموت كفرد ويكون جزءاً من النهر العظيم؛ سوف يندفع إلى الأمام ويعتقد أنه شخص عظيم، لكنه مجرّد خروف سمين واحد في قطيع كامل لا أكثر. وهكذا فإن من الخطير جداً أن يعرّض المرء نفسه لذباب السوق. يمكن للمرء أن يسأل طبعاً، ألا توجد إمكانية للمناعة – حماية من هذه العدوى؟ ألا ينبغي على هذا الشخص المتميز أن يكون محمياً بشكل خاص بسبب هذا التميّز؟ ويجب أن أقول: نعم، *يجب* أن يكون محمياً: أنا لا أعتقد أن في التميز أية فائدة إذا كان المرء معرّضاً لمخاطر أكثر من هذا النوع. لكن خطر العدوى هذا أتى من حالة معينة. هل تعرفون ما هي؟

السيدة باومان: من خلال *المشاركة*[1] عبر اللاوعي.

الدكتور يونغ: نعم، ومن خلال *شبهه* بالذباب في السوق. نيتشه هو ذبابة أيضاً، وقد نسي كل شيء عن ذلك عندما وضع الإنسان الأعلى نصب عينيه. فالتماهي مع الإنسان الأعلى يعني أنه لم يعد ذبابة في السوق. لو أدرك فقط أنه أحد أولئك البشر العاديين، لأدرك أن من الطبيعي جداً أن يشارك في تلك الحركة، وعندئذٍ لن يكون خطيراً. كان سيقول: "الإنسان الجمعي في ذاتي يشعر بطبيعة الحال بالميل نحوهم أو ضدّهم، لكن بما أنني لا أحتمل أن أكون جمعياً، لن أختلط بذلك كله". ويمكن أن يقول:

---

[1] هذه إشارة إلى مصطلح "ليفي بروهل – Levy Bruhl" عن سحر *المشاركة*، ميل الفرد لأن يكون ضائعاً في الحشد. انظر محاضرة 23 أيار- مايو، 1934.

"بما أنني جسد، فإنني في الأرجوحة ذاتها؛ لكن بقدر ما أكون إنساناً، أكون خارجها. أنا لا أتماهى مع جسدي ولا مع الطبقات الدنيا من نفسي". لذلك فإن الخطر الذي يصفه نيتشه هنا يصحّ فقط بقدر ما يعاني من التضخّم؛ إنه يتماهى مع الإنسان الأعلى ويترك الإنسان العادي خلفه، كما رأينا سابقاً. لذلك لم يعد لديه حماية من الكائن الجمعي الذي سيسمح له بالتأكيد بأن يكون واحداً من الحشد في السوق دون أن يُصاب بعدوى خطيرة. لا تحدث عدوى من هذا النوع إلا عندما لا يكون المرء متواضعاً بما يكفي، وعندما يتماهى بشكل غير لائق مع مثالياته أو مثاليات الإنسان الأعلى؛ فحينها لن يكون له أي أساس يستند عليه بل يبقى معلّقاً في الهواء، وربما يسقط ثم يصحو ويرى نفسه وقد سقط في ثقب أسود عميق.

"سارع إلى عزلتك! فقد كنت تقيم قريباً جداً من الصغار والحقيرين. ابتعد عن انتقامهم الخفيّ! إنهم رغبة انتقام ولا شيء غير رغبة انتقام مستعر ضدّك."

لو أنه قبل ظلّه لما وصل إلى هذه الحالة، بمعنى لو أنه قبل الإنسان الجمعي في نفسه؛ بما أنه لا يقبل بذلك، فسوف يجد بطبيعة الحال أن العالم كله يقف ضدّه.

"لا ترفع يدك عليهم لأنهم كثرة، وليس قدرك أن تكون صائدَ ذباب."

كما ترون، يجب أن يقبل حقيقة أنه أحد هذه الذبابات؛ لا يمكنه أن يمحو الإنسان العادي لأنه أحد أولئ ك البشر العاديين، وإذا حاول أن يفعل ذلك، سيؤدي ذلك إلى الانفصال والهستريا في نفسه.

"كثيرون جداً هؤلاء الصغار الحقيرون؛ إنّ بعض البنايات الشامخة لتكفيها قطرات الندى والأعشاب الطفيلية كي تنهار وتنهدم."

إذا لم تنتبه لذلك، فهذا سيحدث بالتأكيد.

"لستَ حجراً، ومع ذلك فقد تجوّفت من جرّاء القطرات الكثيرة. وإني لأخاف عليك أن تتصدّع وتتفتّت بسبب تلك القطرات."

يمكن للمرء أن يقول: لا تكن حجراً لأنك إنسان؛ إذا كنت حجراً وكذلك إنسان، فسوف تجوّف نفسك بقطرات أمطارك: ستجوّفك حياتك الشخصية. لا تكن حجراً بل كن مرناً.

"أراك متعباً من لسعات الذباب السام؛ وأراك تنزف في مئة موقع؛ لكن كبرياءك تأبى حتى أن تُبدي سخطاً.

يرد الذباب دمك بكل براءة؛ تتعطّش روحه إلى الدم – لذلك يلسع بكل براءة.

وأنت العميق، تتألم في أعماقك بسبب تلك الجراح الصغيرة أيضاً، وقبل أن تضمّد جراحك وتتعافى، ترى هذه الحشرة السامة نفسها رابضة على كتفك."

ما الذي يقصده بهذه الصورة الغريبة، المخلوق السام، " *der Giftwurm*" في النص الألماني؟

السيدة فيرز: ألم يحلم مرة بأن ضفدعاً كان يقف على يده؟

الدكتور يونغ: نشر "برنولي" المراسلات بين نيتشه وصديقه "أوفربك"، البروفسور في تاريخ الكنيسة في بازل – وكان هو من أعاد نيتشه من تورين إلى بازل عندما انهار.[1] يذكر في هذه المراسلات حقيقة أن نيتشه كان يعاني دوماً من رُهاب غريب مفاده أنه عندما يرى ضفدعاً، يراوده شعور بأنه يريد أن يبتلعه. وفي إحدى المرات عندما كان جالساً مع شابة إلى طاولة العشاء، أخبرها عن حلم راوده، وفيه رأى يده بكل تفاصيلها التشريحية، شفافة

---

[1] انظر كتاب "فرانز أوفربيك وفريدريك نيتشه: علاقة صداقة – Franz Overbeck und Friedrich Nietzsche: Eine Freudschaft" كارل البريتش بيرنولي (جينا، 1809).

تماماً، نقية كالزجاج، وبشكل مفاجئ، رأى ضفدعاً بشعاً يجلس على يده وكان مضطراً لابتلاعه. لطالما كان هناك شكّ بأن الضفدع سام، لذلك فهو يمثل سماً سرياً مخبّاً في الظلام حيث تعيش مخلوقات كهذه – إنها حيوانات ليلية. هناك حقيقة استثنائية موازية لما حدث لنيتشه، ومن بين جميع الناس – هذا الرجل العُصابي الحساس للغاية قد أُصيب بمرض السفلس. فهذه حقيقة، وأنا أعرف الطبيب الذي عالجه. حدث ذلك عندما كان في الثالثة والعشرين من عمره. أنا واثق أن هذا الحلم يشير إلى ذلك الانطباع القاتل؛ هذا نظام نقي تماماً ملوث بسمّ الظلام.

تحدث أشياء من هذا النوع لأشخاص كهؤلاء – وأية إصابة أخرى أو أذى ربما يحدث لأشخاص حدسيين للغاية، يعيشون خلف أنفسهم، دون أن يلقوا كثيراً من الانتباه إلى الجسد، وإلى حقيقة الحياة. نحن نكره طبعاً أن نتحدث عن أشياء مقززة أو شريرة أو خطيرة؛ نحن مثل البدائيين في هذا المجال. ولا نفضّل ذكرها. ومع ذلك لا نستطيع العيش في عالم غير موجود، بل يجب أن نعيش في عالم موجود. لو انتبه نيتشه كما ينبغي إلى حقيقة جهازه العصبي الحساس الاستثنائي من جهة، وإلى حقيقة العالم من الجهة الأخرى، لكان حريصاً على تجنّب موقف يمكن أن يُصيبه بهذه العدوى؛ كان سيعرف الأثر الذي ستتركه على حياته. هذا وضع لا مفرّ منه. ولا تحدث هذه الأشياء إلا لهكذا أشخاص كان إحساسهم بالواقع معيباً. هو لن يكون مرعباً لأي شخص آخر، لكن لجهاز عصبي مشابه لجهاز نيتشه، فقد كان فاجعة مرعبة، وأعتقد أن هذا الحلم يعبّر عن ذلك. مع جلوسه مع تلك الفتاة الشابة عادت إليه تلك الحقيقة دون وعي، وشعر بأنه مجبر على إبلاغها بذلك: لا تلمسيني! أنا مريض – وقدري واضح. كان عليه أن يعطيها معلومات كاملة. يفعل الناس ذلك عندما يتحدثون إليك بشكل لاواعٍ؛ يزودونك دوماً بالمعلومات اللازمة عن أنفسهم. غالباً ما يحدث أن يخبرك

غرباء كل شيء عن أنفسهم، شريطة أن تصرّ أذنيك، وشريطة أن يكون هاماً بالنسبة إليهم أن يفعلوا ذلك. وبالتالي أعتقد أن المخلوق السام الذي يزحف على يده هو فعلاً خلاصة ما فعله الغالم لنيتشه. لكن العالم لم يكن ليفعل شيئاً له إلا لأنه لم ينتبه. لم يكن مدركاً للعالم، ولم يره كما هو، لأنه لم يرَ نفسه كما كان.

"أرى كبرياءك أعلى من أن تقتل ذاك الكائن الشره. لكن حذار من أن يغدو قَدَرك أن تجرجر عبء كل مظالمها السامة!"

"يطنّون حولك بمدائحم أيضاً: تطفّلٌ هي مدائحهم. فهم لا يريدون سوى الاقتراب من جلدتك ومن دمك."

صحيح أنه عندما يبرز أحدهم – عندما يتقدم ويتطور مثلاً – يحاول كثير من العلق الوصول إلى المقدمة عبر مصّ دمه؛ لكنهم يستطيعون فعل ذلك عندما يكون شخص مثله غير مدرك لجسده ولوجوده الحقيقي. لو كان مدركاً له، لحاول التخلّص من العلق.

الآنسة وولف: الذباب يمكن أن يصل إلى نيتشه، أيضاً، لأنه كان معزولاً للغاية. كما أخاف أصدقاءه أيضاً لأنه غير متسامح معهم. حتى إذا لم يفهموه، كانوا أشخاصاً جيدين. كان وحيداً للغاية، ولأنه لم يهتم بما يكفي بعلاقات الصداقة، فإن تلك الطاقة النفسية التي كان يجب تطبيقها عليهم تم امتصاصها منه بسبب الحالة الجمعية. لذلك لم يتم التخلّص من الذباب.

الدكتور يونغ: لو أنه عرف الإنسان الجمعي في ذاته، لاستطاع حماية نفسه، لكنه كان وحيداً للغاية ومفصولاً عن الباب المفتوح على ذاته ويدخل من خلاله العلق.

"يتملقونك مثل إله أو شيطان، ويهرّون مستعطفين أمامك كما أمام إله أو شيطان. ما الذي يهمّ! متملقون هم ومستعطفون أذلاء، ولا شيء غير متملّقين ومستعطفين أذلاء."

من الواضح تماماً أن هذا الإطراء مصدر آخر للعدوى. ونرى أن الإسقاطات يمكن أن تحدث في الحالة العدائية والموقف السلبي، وكذلك في الموقف الإيجابي؛ إنهما ببساطة طريقان مختلفان لحمل الإسقاطات أو العدوى.

"غالباً ما يظهرون المودّة تجاهك أيضاً. لكن ذلك كان دوماً من فطنة في طبع الجبناء. نعم، إن الجبناء ذوو فطنة أيضاً!

يفكرون فيك كثيراً بروحهم الضيّقة – إنّك محلّ ريبة لديهم على الدوام! ومحلّ ريبة هو كل ما يدعو كثيراً إلى التفكير."

يصف هنا حالة فكرة عامة لم تصل الوعي حتى الآن، وهي تسبب في الوعي الجمعي عدوى للوعي يمكن أن يظهر مثلاً في حالة تضخّم غريب. فعندما يكون لدى شخص ما محتويات لا واعية، كحالة نموذج بدئي مركّب، سيمتلئ وعيه بانبثاق هذا النموذج البدئي النشيط وإشعاعه دون أن يعرف هو ما يحدث معه. ثم يتصرّف بشكل لاواعٍ كما لو أنه نموذج بدئي، لكنه يعبّر عن التماهي من خلال شخصيته الأنانية بحيث يقول كلُ من لديه بصيرة وغير متحيز: "أه، هذا الرفيق مجرّد متضخّم، مجرّد حمار متورّم، يا له من سخيف!". لأنه، ودون وعي منه، يلعب دوراً معيناً ويحاول تمثيل شيء اعتبره ذاته الخاصة، وهذا ليس بالمعنى الفلسفي طبعاً، بل مجرّد شخصيته الأنانية التي تضخّمت بتدفّقات النموذج البدئي اللاواعي وانبعاثاته.

يشبه النموذج البدئي النشيط اللاواعي الشمس المشرقة، منبع الطاقة أو الحرارة التي تبعث الدفء في "الأنا" من الداخل، ثم تبدأ "الأنا" بالإشعاع

كما لو أنها شيء لا يعلمه إلا الله. لكنه يشعّ بألوانه الخاصة، ويعبّر عن النموذج البدئي بطريقته الخاصة، ويظهر بالتالي كما لو أن "الأنا" هامة جداً. في حين أن "الأنا" ليس لها أهمية في الواقع بل يتم حثّها من الداخل، ودفعها للأمام وجعلها تتصرّف كما لو أنها ذات أهمية كبيرة. الأهمية هي في العظمة الموجودة في الخلف. تجد في أسطورة نشأة الكون في الأبنيشاد مثلاً أن "براجابتي"، وهو الكائن الأول، عندما وجد نفسه وحيداً تماماً وليس في الكون ما هو ليس من ذاته، بدأ يتكلم مع عظمته الخاصة، أو بدأت عظمته الخاصة تتحدث معه.[1] كما ترون، يصنع العقل الفلسفي الأصلي هذا الاختلاف – تقول "الأنا": "أنا وحيدة"، حالة تعيسة للغاية. لكن هناك عظمة أخرى هي عظمة نفسي، مع أنها ليست نفسي؛ هي تحدثني وتخبرني بما لا أعرفه. وهذا مجرّد إسقاط لذلك العقل الأصلي الذي يعرف بوضوح كامل أن آراء الوعي ذات أهمية صغيرة، وأن العظمة التي وراء الوعي هي التي تقول الحقيقة. لكن إذا لم يكن المرء واعياً لها، تصيبه حالة تضخّم ويتصرّف كما لو أنه العظمة.

عندما ترى أشخاصاً مصابين بالتضخّم، تستطيع طبعاً أن تلومهم على ذلك، لأنهم عبارة عن حمير بطلعة بهيّة، وممثلين سخيفين؛ لكن يمكن أيضاً أن تفهمهم على أن لديهم دوافع، وبكونهم تعابير رمزية عن أهمية كامنة لا يرونها. ولن تكون مخطئاً أبداً إذا افترضت أن هؤلاء الناس قد لامسوا بوضوح شيئاً له أهمية كبيرة يعمل عليهم ويدفعهم إلى أهمية ربما لم يبحثوا عنها هم أنفسهم. لكن من الجميل جداً أنك عندما تحصل عليه لن تتركه يفلت منك – لا يمكن الرفض. إذا قال أحدهم: ألستَ شخصية

---

[1] كتب "زيمر" عن الإله الخالق الهندوسي "براجاباتي": "إنه تجسيد لما يحتويه كل شيء من مادة حياة وقوة حياة.... شعر بالوحدة... وهكذا أحضر الكون ليحيط نفسه برفقة" (زيمر، فلسفات، صحفة 300).

عظيمة كبيرة؟" تجيب: "لا، لا!" – لكن ادفع التاج قليلاً فقط وسوف ترى.[1] وبالتالي تحدث هذه الأشياء من هذه العدوى.

ثم تأتي هذه الفقرة: "يفكّرون فيك كثيراً بروحهم الضيّقة – إنّك محلّ ريبة لديهم على الدوام!" يتحدث عن أشخاص يجدون زميلاً يمثّل الشيء الذي يسبب تضخّمهم. والسبب وفقاً لنيتشه هو الفكرة النموذجية البدئية الشاملة عن الإنسان الأعلى، فعظمة الإنسان ومثاليته وطموحه هو الوصول إلى هذه العظمة. ولا يمكن للمرء أن يقول إن ذلك ليس شرعياً؛ الحقيقة الواضحة هي أن هناك فلسفات وأنظمة دينية تحمل هذه القناعة: *حتى إنها تعلّمها*. الفكرة التي تقول إننا يجب أن نتفوّق ونكون جيدين، هي كلها أفكار الإنسان الأعلى بطرق مختلفة. والفكرة التي تقول إن علينا أن نحاول الوصول إلى النيرفانا، وليس الرغبة بهذا أو ذاك، ونتحرر من الأضداد، ونكون وراء الخير والشر، هي بكل بساطة نسخة هندية عن فكرة الإنسان الأعلى. أن تكون "تاوياً" هو الشكل الصيني للفكرة ذاتها. هذه كلها تظاهرات صعبة للفكرة ذاتها. لذلك كان تطلّعه للوصول إلى عظمته مشروعاً. من الواضح أن هذه الفكرة أصبحت واعية لدى نيتشه، وبقدر ما تماهى مع عظمة الإنسان الأعلى، كان هو الذي أثار الجميع في ذلك الوقت. كيف عرف "جاكوب بوركهارت" عن المستقبل مثلاً؟ من خلال لاوعيه الشخصي، من خلال حالته السيكولوجية الخاصة. وكيف رأى الدور الذي ستلعبه السلطة؟ لأن هذه الفصول كانت لدى "جاكوب بوركهارت" كما كانت لدى أي شخص آخر، وكما هي لدى كل شخص يأتي الآن في الواقع: نراهم يتصرّفون أمام أعيننا على مسرح العالم.

---

[1] "من الواضح أن يونغ هنا يفكر بخطبة جنازة 'مارك أنتوني' في مسرحية شكسبير بعنوان 'يوليوس قيصر – Julius Caesar'".

الآن، إذا كان نيتشه واعياً لفكرته ومتماهياً معها، فمن المتوقع تماماً أن يصبح متهماً، لأنه عندما يلتقي الناس بالحامل الظاهري لمنبع تضخمهم، سيحاولون على الفور وبشكل طبيعي أن يقمعوا تلك الشخصية البارزة، فقط لأنها تهدد ذلك التضخم. لأنهم لن يكونوا عندئذٍ الشمس الوحيدة في الجنة – سيكون هناك شمس أخرى، ولا ينبغي لذلك أن يحدث، هذا غير شرعي. وسيقولون بطبيعة الحالة إنه يقلّد شيئاً ما، ويطمح إلى شيء ما، ولا بد من قمعه لأنه يهدد بسلب القيمة منهم وهي السبب المفرح لتضخّمهم العزيز. هذا غير مقبول طبعاً، لذلك يرتاب الناس بالشخص الذي يكون واعياً لهذه القيمة. هذا ما يجب أن يحدث طبعاً. إنهم غير واعين له، وأن تكون واعياً للفكرة التي تسبب التضخم العام هي شيء ثمين سلفاً؛ هذا أفضل بكثير من أن تكون ممتلئاً به بطريقة لاواعية.

مع امتلاك نيتشه فكرة واعية عن سبب هذا التضخم، كان في حالة أفضل. كان سابقاً عصره، وكان بطبيعة الحالة موضوعاً للحسد والغيرة لأن الجميع يتوق إلى الوعي وامتلاكه. فهم كمن يمتلك مئة دولار في جيبه ولا يعلم بذلك، أما نيتشه فهو أصبح واعياً لوجود المئة دولار في جيبه: هذا هو الفرق وحسب. لكنه لم يكن مختلفاً عن الناس في زمنه في أنه لم يكن يعلم أن هذه المئة من الدولارات كانت مجرد قرض؛ قيمة مئة دولار ترجع إلى العظمة. لذلك سيشكّ أولئك الناس بأنه سارق وغشاش وكاذب. كما أن الناس العاديين مقتنعون للغاية بعدم أهليتهم على الرغم من تضخّمهم، وهم واثقون تماماً أنه لا وجود لشخص عظيم، ولن يكون هناك وجود لشخص عظيم، في الشارع أو في المدينة التي يعيشون فيها. لا يمكنهم الافتراض أن رجلاً عظيماً سيعيش في شارع له اسم عادي؛ يعيش العظيم عادة في بلد بعيد تكون لطرقاته أسماء غريبة، وتكون المنازل غريبة يسكنها

بشر غرباء تماماً. حتى إنهم يفترضون أن العظماء لا ينامون ولا يأكلون؛ وأن لهم أجنحة أو شيئاً آخر يمكّنهم من الطيران.

"إنّك محلّ ريبة لديهم على الدوام! ومحلّ ريبة هو كل ما يدعو كثيراً إلى التفكير."

هذا صحيح لأن أفكارهم قد تشكّلت لتدور حول شيء يسبب التضخم؛ لذلك عندما يصادفون حامل منبع التضخم هذا، أي عندما يصادفون الفكرة، يبدؤون بالتفكير حالاً لكن المهم في الأمر هو كيف يفكّرون.

"يعاقبونك على فضائلك كلها، ولا يغفرون لك من الأعماق غير أخطائك."

يشعر الإنسان العادي براحة كبيرة طبعاً عندما يرى أن الإنسان الأعلى المرتاب بأمره يرتكب أخطاء. هذا يخفف من مهمتهم ويمنحهم حبلاً معيناً يمكنهم من خلاله التمسّك بتضخمهم.

ولأنك حليم وذو حسّ عادل: "إنهم ليسوا مسؤولين عن حقارة وجودهم". لكن روحهم الضيّقة تقول: "مذنب هو كلّ وجود عظيم".

ثمة تناقض هنا مع أنه حقيقة عظيمة. كل العظمة التي تأتي إلى الوجود عبارة عن إثم لأنها تدمر الإنسان العادي. الأشياء غير المرئية لا يمكن أن تأتي إلى الوجود دون تعذيب وتدمير للإنسان الجمعي وللوجود الطبيعي اللاوعي؛ أنت تقتل دوماً وتدمر من أجل أن تأتي بشيء ما إلىَ الوجود. أياً كان ما تفعله فهو يعني التدمير أيضاً إذا كان ذا أهمية. فهذا هو الإثم التراجيدي لبروميثيوس الذي قدّم النار للبشر. كانت فائدة عظيمة للبشر، ومع ذلك فقد سرقها من الآلهة وأهانها. لذلك فإن الفكرة التي تقول إن الإنسان عظيم، أو يقارب العظمة، أو ربما يحقق العظمة، هي عبارة عن سرقة تامة لأنه تمت سرقتها من اللاوعي ووضعها في متناول الإنسان. عندئذٍ أصبح الإنسان في حالة خطر شديد؛ جيران النموذج البدئي تسبب

التضخّم، والإنسان أصابه الجنون: أصبح عالمه كله مليء بالجنون. لا بدّ من حجب هذا الحضور النموذجي البدئي لأطول فترة ممكنة لأنه يسبب اضطراباً لا نهاية له في العالم. وسيتأثّر طبعاً حتى مُبدع أو مخترع هذه الأفكار بالنماذج البدئية؛ الفرق الوحيد هو أن جهازه العصبي حساس للغاية لدرجة أنه لا يستطيع منع نفسه من إدراك ذلك. هو يراه ويفهمه. لذلك فهو لا يتساوى في في خسارته مع الآخرين، لكنه سيكون بطبيعة الحال مسؤولاً عن كل الأثار التدميرية التي تنتج عن فكرة كهذه.

"حتى عندما تكون حليماً تجاههم، فإنهم يشعرون بالإهانة بسببك، ويردون على عملك الخيّر بعمل سوء مستتر.

تتعارض كبرياؤك الصامتة دوماً وذائقتهم؛ يطربون عندما يحدث لك أن تكون على قدر من التواضع كي تكون مغروراً.

ذلك الذي ندركه في شخص ما، نؤجّجه في داخله. لتحترس إذاً من صغار الناس!

يشعرون أنفسهم أنهم صغار أمامك، يضطرم انتقامهم في داخلهم ويتأجج. ألم ترَ كيف كان يصيبهم البكم غالباً عندما كنت تقبل عليهم، وكيف تفرغ طاقاتهم وكأنها دخان يصعد من نار أطفئت للتوّ؟"

هذه هي الملاحظة التي تقول إنه حالما يقترب من البشر العاديين، ينهار تضخمهم بطبيعة الحال بسبب وضوح كونه حامل القيمة، وهكذا يفقد الناس العاديون إثارة معينة أو قوة دافعة معينة بدا وكأنهم يمتلكونها: فقدوا مئة دولار. تختفي المئة من الدولارات المتخيّلة من جيوبهم ويكتشفون أن لديه مئة دولار حقيقية في جيبه ويمكنه أن يضعها على المنضدة أمامهم. وهكذا يعتقد الجميع أنه سرقهم باستخدام بعض الخدع غير المعروفة، وأخذ من جيوبهم كل قيمة يمتلكونها. لذلك يكرهونه ويرغبون بالانتقام

منه. هم لا يدركون طبعاً أنه حتى المئة من الدولارات التي لديه ليست ملكاً له، بل هي مجرد قرض؛ هو لا يملك سوى القليل الذي يمتلك مثله الجميع.

"نعم يا صديقي، أنت الضمير القلق بالنسبة لأقربائك لأنهم غير جديرين بك؛ هكذا يحقدون عليك ويودّون امتصاص دمك.

سيكون الأقرباء ذباباً سامّاً دوماً؛ وإن ما هو عظيم لديك هو الذي لا بدّ أن يجعلهم أكثر سمّاً وأكثر فأكثر ذُبابيّة."

بما أنه ارتكب بطبيعة الحال خطأ الاعتقاد بأنه عظيم، لم ير أنه ليس مثلهم. وعندما أظهر المئة من الدولارات التي لديه قال: "انظروا ماذا لدي، هذه لي!" – وهذه كذبة. لقد خدعهم في هذا الموقع. لذلك عندما ظهر نيتشه وقال: "هذه فكرتي، وأنا متطابق مع الإنسان الأعلى"، أصبح يستحق مصيره: لقد تماهى فعلاً مع شيء ليس هو. لكن من الطبيعي تماماً أن يتصرّف أي شخص بالطريقة ذاتها، ويتوقع الجميع من أي شخص لديه فكرة معينة أن يتماهى معها على الفور. إذ ليس هناك من إنسان عادي يفترض مثلاً أن مضمون "الدرجة الأولى" يمكن أن يكون أي شيء سوى إنسان عظيم؛ هم يعتقدون أيضاً أن لديه شخصية رائعة لأن أسلوبه راقٍ للغاية. وتعشقه جميع الفتيات ويعتقدن أنه موجود هناك في عليائه. لكن عندما يتلاشى صوته، إذا كان غبياً بما يكفي ليتماهى معه، يتلاشى هو أيضاً. أين ذهب ذلك الصوت الاستثنائي؟ عليك البحث عنه. يشبه الأمر النساء الصغيرات الجميلات: عندما يكبرن ويتلاشى ذلك الجمال، إلى أين يذهب؟ عندما تذبل وجوههن، يختفين بشكل كامل لأنه لم يكن هناك أي شيء خلف وجوههن. أين هي "كليو دوميرو - *Cleo de Mèrode*" أو "لا بيل أوترو – *La Belle Otero*"؟[1] لقد اختفتا. ربما "لا بيل أوترو" هي "مير"

---

[1] "كليو دوميرو" (1875 – 1966) هي راقصة فرنسية، و"لا بيل أوترو" (1898 – 1965)، راقصة إسبانية كانت تلقّب بـ "آخر مومس عظيمة".

وتعيش في الساحة الخلفية في مكان ما. وبالتالي فإن كل السم الذي أتى من الذباب يعود سببه إلى ذلك التضخم الناتج عن مالك المئة دولار ظاهريا".

"سارع إلى عزلتك يا صديقي، هناك حيث يهبّ هواء حادّ وقويّ. فليس قدرك أن تغدو صائد ذباب."

ثمة ما هو إيجابي في هذه النصيحة؛ سيكون لديه في هذا الموقع فرصة ألا يكون هو العظمة. لكنه لن يكون قادراً على إدراك أنه يشبه الناس العاديين مع أن عليه ذلك. فلو كان معلّماً حكيماً فعلاً لقال لنفسه: "اخرج إلى الشارع، واذهب إلى الناس البسطاء، كن واحداً منهم وانظر كيف تشبههم، كم تستمتع بأن تكون بسيطاً كفرد منهم. هذا أنت". هكذا سوف يتعلّم أنه ليس عظمته الخاصة. أو ربما يقول: "ابتعد عن الناس البسطاء واختفِ في رحابة جبلك؛ حاول أن تتماهى مع عظمتك، وسوف ترى أنك لا تستطيع أن تتماهى معها، وهكذا ستتعلّم أنك لست تلك العظمة". فالطريقتان صالحتان لإدراك ذلك. لكن أن تختفي في عزلة بهدف أن تتلهّف وتتوق للأصدقاء والاعتراف والتأثير العاطفي وما إلى ذلك، فهذا ليس مفيداً. عندئذٍ لن يدرك أبداً أنه ليس هو عظمته الخاصة.

السيدة سيغ: أنا لا أفهم ما تعنيه العبارة التالية: ***"ذلك الذي ندركه في شخص ما، نوجّهه في داخله"***.

الدكتور يونغ: يعني أنه عندما تُدرك شيئاً ما في شخص ما، فأنت تُظهر هذا الشيء فيه. عندما ترى صفة معينة في شخص ما فهذا نوع من الحدس، وهذه ليست حقيقة محايدة: هي تنجح معه. عندما يكون لأحدهم حدس سيئ تجاهك، تشعر بذلك دون أن تعرف به؛ تشعر بأنك مكبوت لأن ذلك الحدس عبارة عن حقيقة تشقّ طريقها عبر اللاوعي. ونحن لا نعرف من أين جاء الحدس، لكننا نعرف أن له علاقة دوماً بشيء في اللاوعي؛ وبما أن اللاوعي موجود في كليكما، تتلقى أنت أيضاً ضربة منه.

ستظهر فيك بالتأكيد، وهذا كله يتوقف على طبيعة الحدس سواء أكنت متأثراً به سلباً أم إيجاباً. إذا كان لأحدهم حدس بأن لديك فكرة معينة، من المرجّح جداً أن تفكر بهذه الفكرة. يبدو الحدس وكأنه يعمل من خلال النظام الودّي، ويكون وظيفة نصف لاواعية، يُظهر الحدس أيضاً أثر لاواعياً في موضوع الحدس. في التعامل مع الناس الحدسيين، تلاحظ أنه يمكن أن يكون لديهم حدس بشيء ما بطريقة تصيبك في عمودك الفقري، في الحبل الشوكي، وعليك أن تعترف أنك فكرت بذلك، مع أنك ستدرك فيما بعد أن الفكرة لم تكن فكرتك بالتأكيد.

هناك أمثلة غريبة. يقرأ بعض من يعملون في المبيعات في عينيك ما الذي تريده بوضوح؛ تشتري أشياء مدهشة لا تفهم لماذا اشتريتها، ومن غرس هذه الرغبة فيك! ويضع السحرة الشرقيون فيك أشياء تجعلك تقع بسذاجة في فخّهم. حاول ساحر أن يفعل ذلك معي ووقعت في الفخ؛ كان لديه ذلك الحدس المذهل لدرجة أنه كان قادراً على التأثير في ذهني. وتتم خدعة الحبل الشهيرة بهذه الطريقة أيضاً؛ إنها نوع من الإسقاط. سمعت قصة عن ساحر قام بخدعة الحبل في موقع عسكري في الهند بينما كان جميع الضباط مجتمعين حوله. وبينما كان الأمر يسير على قدم وساق، وصل شخص كان متأخراً ليشاهد العرض. اخترق حلقة الرجال الذين كانوا يحدّقون في الهواء إلى الصبي الذي يتسلّق الحبل، لكنه لم يرَ أي شيء. لم يرَ سوى صبي يقف إلى جانب الساحر والحبل ممدد على الأرض، وقد أوشك أن يصرخ عندما أمسك به الساحر وقال: "انظر إلى ذلك الرجل، ليس لديه رأس!" ثم نظر ورأى الرجل بلا رأس، ثم دخل الحلقة أيضاً – عندئذٍ رأى الحبل والصبي يتسلّقه. كان الساحر قد رأى طبعاً أن الرجل لم يكن ضمن الحلقة، وأن عليه أن يدخله فيها في الوقت المناسب، ونجح في ذلك. يعمل الحدس بهذه الطريقة في حالات معينة.

يمكنك أن تراقب بوضوح تام أن أفكاراً معينة تدخل رأسك وتشعر بعدها أنها لم تكن أفكارك: كنت خاضعاً لتأثير شيء ما. يسمّي المرء ذلك سحراً لكنه ببساطة تأثير من خلال اللاوعي، وهو يأتي من أن الوظائف الثلاث الأخرى – الإدراك والتفكير والشعور – تتحرك كما لو أنها في الوعي؛ لكن الحدس يشق طريقه عبر اللاوعي العميق حيث تكون أنت مندمجاً بالجميع. فعندما يحدث شيء كهذا، تحدث الإثارة للجميع. فإذا تحركت على الكرسي الخاص بي فأنت لن تنزعج، لكن إذا تحرّكت الأرض التي تجلس عليها، تشعر بزلزال وتضطرب. يشبه الحدس شيئاً يخترق الأرض ويهزّ الجميع. هذا أحد المصادر الهامة للإصابات العقلية، وليس هناك دفاعات ضدّه. لا يمكنك أن تكبح التأثير، سوف يحدث. الشيء الوحيد الذي يمكنك فعله هو أن تحدد بأسرع وقت ممكن ما إذا كانت هذه الفكرة أو الأثر أو الشعور تخصك أنت فعلاً أم لا. لكن إذا تركت الأشياء على حالها، كما يفعل معظم الناس، تتعرّض للإصابة. تمسك بك من رقبتك.

مشاركة المحلل بشكل خاص غير مرغوب بها؛ عليه أن يخلّص نفسه يومياً من حالات الحدس الخاصة بمرضاه كي يتجنّب الإصابة العقلية، ويحافظ على صحته. فإذا تركت الأمور تسير على حالها، ستتراكم وتسبب التضخّم في نهاية المطاف؛ تستيقظ يوماً ما بحالة تضخم كبير سرعان ما سيجعلك تسقط في حفرة. على المحلل أن يكون حذراً للغاية. نيتشه ليس في هذا الموقع طبعاً: كان متماهياً مع هذه العظمة بشكل ساذج. وأشخاص مثله يبتلعون جرعات من السمّ بسرور. إنهم نوع من مدمني المورفين أو الكحول، لكن من نوع عقلي، ويفعلون ذلك من أجل الحفاظ على حالة من السعادة. التضخم شيء رائع: أنت ترتفع عن الأرض وتحلق في السماء، وتنظر إلى الأسفل نحو الشعب بنوع من التعاطف.

المحاضرة الثانية

23 تشرين الأول – أكتوبر 1935

الدكتور يونغ:

وصلنا الآن إلى فصل بعنوان "عن العفّة".

"أحبّ الغاب. لا يحلو لي العيش في المدن، فهناك الكثير ممن يفيضون شهوة."

وفقاً لما يشير إليه هذا العنوان، سيتحدث نيتشه عن النشاط الجنسي. وأكرر لأولئك الذين لم يكونوا معنا في المراحل السابقة أن سلسلة الفصول تتكون من سلسلة صور. هو يبدأ بصورة معينة أو فكرة معينة، ويصل في نهاية الفصل تقريباً إلى احتمال صورة جديدة؛ تظهر مشكلة جديدة تشكّل محتويات الفصل التالي. وهكذا فإن كتاب "*هكذا تكلّم زارادشت*" عبارة عن سلسلة صور تعبّر كلٌ منها عن مشكلة، وترتبط جميعها معاً بتيار خفي منطقي واحد. وقد تحدثنا سابقاً عن فصل بعنوان "عن ذباب السوق". فكيف وصل نيتشه من ذلك الفصل إلى فصل عن "العفّة"؟

السيدة كرولي: كنت تتحدث عن حلمه بالضفدع في المناقشة السابقة.

الدكتور يونغ: نعم، لدينا بالتأكيد تلميح يشير إلى حلمه الذي ظهر فيه ضفدع يقف على يده، ويفسد هيئته الجميلة. لكن للضفدع علاقة بإصابته بالمرض، وهذا وحده لا يفسّر سبب وصوله إلى هذا الفصل.

السيدة باومان: أعتقد أنه كان يهرب من الناس ليهرب من تلك الإصابة – لكي يجد العفة في العزلة، وبالتالي يتجنّب الضفدع.

السيدة كرولي: لا أعتقد أن ذلك ليهرب من الإصابة بالمرض بل إن حضور الآخرين يجعله أكثر وعياً له.

الدكتور يونغ: قد يكون أحد الأسباب الشخصية لحساسيته الغريبة هو شعوره بأن القدر ساقه ليتميز بإصابته بمرض الزهري؛ ربما منحه ذلك شيئاً من وعي الذات. أو ربما ربطه طبعاً بالطبقة الدنيا من البشر؛ لا يهتم الناس غالباً، ولا يصبحُون واعين للذات بسبب إصابة كهذه. إلا أن بإمكاننا أن نتوقع ذلك الأثر في بنية كبنية نيتشه الحساسة. لكن يجب نعرف المشكلة التي أثارها "الذباب في السوق"، فقادت نيتشه إلى هذا الجانب الجديد. إلى أي مدى جعل التطور في الفصل السابق من الضروري تقريباً أن يتبعه هذا الفصل عن العفّة؟ منذ لحظة، أشارت السيدة باومان إلى شيء ما.

الدكتور بيرتن: السوق مكان جمعي، والجنس هو الرابط الجمعي؛ لقد رفض الحالة الجمعية وبالتالي رفض تماسكها.

السيدة فيرز: إنه يبتعد عن الإنسان المتدني.

الدكتور يونغ: نعم، يمكن صوغها بهذه الطريقة. يعني الذباب حالة جمعية مبالغاً فيها لكائنات صغيرة، ونيتشه لم يتعب من الحديث عن البشر العاديين بوصفهم نوعاً من الحشرات الطفيلية التي لا يميزها سوى خصوبتها المفرطة؛ الميزة الوحيدة التي أعطاها لهم بشكل خاص هي أنهم كثرة، كمية من الحشرات الطفيلية. وهكذا استثنى نفسه باعتباره الإنسان

الأعلى الذي تفوّق على ذلك الحشد البشري المريع. هذا ما سنراه بوضوح أكبر مع اقتراب نهاية الكتاب عندما رفض "أقبح الآدميين". الإنسان الموجود بهدف التكاثر هو أقبح الآدميين، هو الإنسان الدوني، الكائن الجمعي الغريزي، وهذا تماماً أشد ما يكرهه. أن يرفع نفسه عن طبقة الإنسان العادي الجمعي تلك يعني الوصول إلى حالة ارتقاء فوقبشرية، لكن كيف يمكن لإنسان أن يكون فوق إنسان؟ بقدر ما يكون إنساناً حياً فهو مجرد إنسان. لذلك ما الذي يجب أن يتبع حالة كهذه؟

الآنسة حنّة: التضخّم.

الدكتور يونغ: هو متضخم سلفاً، ويثب في الهواء كالبالون. يحتاج المرء تضخماً لكي يرتفع، ويمكن له أن يصل إلى أعلى السموات من خلاله. لكن ما هي الحالة العقلية لشخص كهذا؟

السيد أليمان: يتمزق.

الدكتور يونغ: ربما ينفجر، لكن ذلك سيكون حالة فُصام.

البروفسور فيرز: يصبح عُصابياً.

الدكتور يونغ: كان نيتشه عُصابياً طبعاً، لكن عندما تقوم بتحليل أحلام هكذا حالة معلّقة فوق الأرض بطريقة مميزة، ما الذي ستجده؟

السيدة كرولي: تظهر مشاكل الأرض.

الدكتور يونغ: ربما تجد مشاكل الأرض، والإنسان الدنيوي الثقيل كالرصاص، والمتماهي بالمطلق مع الأشياء المتدنية. وبما أنه الشخص ذاته، لا بدّ من وجود رابط بين الاثنين. فما هو ذلك الرابط؟ أين الرابط، الحبل السري بين الجسد، ذلك الإنسان الدوني، والبالون الموجود في الأعلى؟

السيدة فيرز: هل هو الصراع؟

الدكتور يونغ: لكن أي صراع هذا؟ في نهاية كتاب "*هكذا تكلّم زارادشت*" تجد التفسير رائعاً للغاية. وهو يظهر لأنه تحليل ذاتي.

.. الآنسة تايلور: أليست هي الحالة الجنسية ذاتها؟ إنها ستعمل كرابط لأنها عميقة جداً.

الدكتور يونغ: الرجل الدوني، بكونه حُرِمَ من ذلك الجزء الذي ارتفع في البالون، يُترك لغرائزه فقط، وبالتالي لا يمكنه التعبير إلا عن حالته الجنسية المتدنية. الجنس ليس متدنياً بالضرورة طبعاً، لكنه كذلك لأن الجزء الأعلى قد مضى في البالون ولا يعرف أي شيء عما يحدث في الأسفل؛ لذلك تستمر الحالة الجنسية الدونية كتعبير عن الإنسان الدوني. الإنسان الذي ارتفع إلى الغيوم يشعر بها لأنها هي التي تربطه فعلاً بالإنسان الدوني، ويشعر بمقاومة مماثلة. لكنها مقاومة للحالة الجنسية للإنسان الدوني، وهي مجرّد ارتباط من خلال الصراع. إذا كان للإنسان الدوني حالة جنسية شهوانية، فلدى الذي في الغيوم مقاومة شهوانية مماثلة ضدّها.[1] ففي السيكولوجيا الطبيعة يتساوى الأمر ما إذا كنت تكره شخصاً أو شيئاً أو تحبّه. هناك فرق كبير بالنسبة إلى الإنسان بين أن تحب شيئاً أو تكرهه، لكنه الأمر نفسه في السيكولوجيا؛ أنت مرتبط بالشيء عبر الكراهية كما أنت مرتبط به عبر الحب، وأحياناً بنسبة أكبر، لأن الصفات السيئة في البشر أقوى من الصفات الخيرة. القوة الحقيقية في الإنسان ليست قوته إطلاقاً بل هي ضعفه، لأن الضعف أقوى من أعظم قوة.[2] وبالتالي أحب نيتشه الجبال العالية كي يستثني نفسه ويبعدها عن الإنسان العادي، ولذلك يعتبر السوء كله في أن تعيش في مدن فيها كثير من الشهوانيين، لكن الإنسان العادي الذي هو عليه موجود في أسوأ قسم من المدينة.

---

[1] قارن عبارة يونغ التي تقول: "ليس هناك ما هو مثير للاشمئزاز أكثر من روحانية تحثّ على الجنس بشكل ماكر، إنها بغيضة مثل الشهوانية المفرطة" (الأعمال الكاملة – المجلد السابع عشر، الصفحة 336).

[2] لدعم هذه المفارقة الواضحة استشهد يونغ كثيراً بالحركة الموجودة في كتاب " I Ching" من القوة المؤثرة للبالغ إلى القوة السلبية المائية للين.

"أليس من الأفضل للمرء أن يقع بين يدي مجرم سفّاح من أن يقع في أحلام امرأة جامحة شبقة؟"

ها أنت ذا! حتى إنه لا يعيش في المدن، بل في أحلام المرأة الشبقة. والآن، من هي هذه المرأة الشهوانية الشهيرة؟

السيدة فيرتز: "قرينته؟"

الدكتور يونغ: طبعاً، لأنها تحاول إقناعه دوماً بأن ينزل من على بالونه ويعتني بالإنسان الدوني؛ في حالة كهذه يمكن أن تتوقع ذلك النوع من الشهوة. سنرى لاحقاً "ترتيلة للقرينة". وعندما أُصيب بالجنون كتب كثيراً من المؤلفات الإيروتيكية الفظّة للغاية لدرجة أن أخته المحترمة لم تجد أفضل من إتلافها كلها. نحن نعرف تماماً أنه كان يفيض بأخيولات جنسية، وأن هناك تلميحات فظة في رسائله إلى أصدقائه. وكما تكون الحالة دوماً عندما يحلّق شخص في بالون، تكون "قرينته" طبعاً إلى جانب الظل، أي إلى جانب الشخص الدوني في نفسه؛ تكون حتى متزوجة من ذلك الرجل ومطابقة لظله. الفكرة هي أنه يكون مرتفعاً جداً، وقريباً من خطر السقوط بطبيعة الحال، ثم تراوده أحلام عن المرأة الشهوانية، "قرينته"، زوجة ذلك المخلوق الفظيع، الظل. لكنه لا يعلم أن لديه ظلاً لأنه فقد جسده؛ إنه شبح، والشبح لا يشكّل ظلاً. لذلك يعتقد بطبيعة الحال أن المرأة الموجودة في الأسفل، والتي يشعر بلمستها، هي امرأة غريبة عنه ولا علاقة لها به؛ ربما هي زوجة أحدهم. لأنه لا يتعرّف على نفسه في ظله يتم إسقاطها ولا يكون له علاقة بها. ومع ذلك يشعر بلمستها. لذلك فإن ما يربط الاثنين معاً بشكل دائم، ذلك الذي في الأعلى والآخر الذي في الأسفل، ليس الجنس تحديداً أو الصراع على الجنس بل هو "القرينة". لكن القرينة تعني الصراع. لذلك يتم تمثيل المرأة دوماً ككائن متناقض؛ غالباً ما تظهر منقسمة إلى اثنتين، العليا والدنيا، أو الجميلة والقاتمة. وهذا حقيقي تماماً لدرجة أن الرجال يقعون

في الحبّ وفقاً لذلك: يقعون في حبّ "القرينات" الجميلات والقاتمات، حيث يظهرن كنساء حقيقيات على مسرح الواقع. عندما لاحظ نيتشه أن تلك النساء الرهيبات مرتبطات برجال سيئين بالمستوى ذاته قال:

"انظروا هؤلاء الرجال؛....."

تذكروا أن هذا ظله المشابه لكل الذباب في السوق!

"تتحدّث عيونهم عن ذلك – لا شيء آخر يفعلونه على هذه الأرض سوى أن يضطجعوا إلى جانب امرأة."

تلك هي الحالة الجنسية المتدنية لظله، لكنها متدنية فقط لأنه ارتفع في بالون؛ لو أنه بقي في الأسفل، لما كان دونياً. لأن الحالة الجنسية هي دائماً ما يكون المرء عليه، وليست شيئاً منفصلاً عنه، بل هي شيء موجود بحد ذاته. إنها نشاط في الإنسان، وهي ما يكون الإنسان عليه.

"تلتصق القذارة بأعماق روحهم؛ والويل لهم إذا كان لقذارتهم عقل فوق ذلك!"

تماماً. ارتفع عقله في البالون ومضى، وبطبيعة الحال لا يوجد عقل في الأوحال؛ ولو كان بها عقل لما كانت أوحالاً بل كانت جسداً بشرياً لائقاً.

"لو أنكم كنتم كاملين كحيوانات على الأقل! لكن لا بدّ من البراءة كي يكون الواحد حيواناً."

هذا صحيح تماماً. لو كان حيواناً لكان غير واعٍ بالمطلق؛ ولن يكون لديه عقل ولا فرصة ليحلّق بالبالون. إذا كان لديك عقل فسيغريك التماهي معه طبعاً، لأن الوعي نظام مستقل يمكنك تضمين نفسك فيه تقريباً؛ مع قدر معين من الإثارة الجنسية الذاتية، *تستطيع* تضمين نفسك، والدفاع عن نفسك ضد الظروف المحيطة، وسجن نفسك في وعيك، إلى الحد الذي تصبح فيه متماهياً معه، حيث يمكنك الطيران بعيداً في أي وقت. إن استقلال الوعي هذا شيء ثمين؛ إذا افتقدنا هذه الميزة فلن يكون لدينا

إرادة. لأن قوة الإرادة هي تعبير عن استقلال الوعي: يمكنك أن تختار؛ وإلا لن يكون لديك حرية الاختيار. يمكنك امتلاك قوة الإرادة فقط بقدر ما يكون وعيك مستقلاً، بغض النظر عن الظروف البيئية المحيطة أياً كانت. وهكذا فإن إمكانية انفصال الوعي بحد ذاته عن قاعدته ليس سيئاً إذا لم يبتعد كثيراً. حتى إنها حالة ضرورية لوجود الإرادة الحرة؛ بقدر ما ينفصل الوعي عن الظروف، يكون لدينا إرادة حرة. والإرادة الحرة هي بالتأكيد أساس الأخلاق؛ لا يكون الموقف الأخلاقي ممكناً إلا بقدر ما يكون الوعي مستقلاً أو قابلاً للانفصال. لكن إذا ابتعدت كثيراً، إذا ازدادت المخيّلة لديك، وازداد استقلال الوعي، بافتراض وجود مسؤولية كبيرة، ترتفع للأعلى مثل بالون. تعتقد أن بإمكانك الانتصار على قوانين الطبيعة التي هي أساس حياتك إذا اتبعتها؛ أنت تزيد من مسؤوليتك عن أشياء لا يمكن للإنسان أن يكون مسؤولاً عنها ولا يُفترض أن يكون، ثم تعلو فوق السحاب. وعندئذٍ تواجه حالة مشابهة لحالة نيتشه. مهما كانت الشتائم التي يطلقها إلى الأسفل من الطبقات العليا، فهي شتائم موجّهة إلى نفسه ببساطة. تلك الحيوانات القذرة التي تتضاجع في الأسفل هي الجزء الآخر من ذاته؛ لقد أزال تلك الحشرات الطفيلية من وعي الإنسان الأعلى، وتخيّل أنه فوقها بشكل كبير. لكنه بعيد عن ذلك، لأن ما من أحد يستطيع فعل ذلك. هو نفسك يشكّ في ذلك إذ يقول:

"أنا لا أنصحكم بقتل شهواتكم بل أنصحكم ببراءة الشهوات.

لا أنصحكم بالعفّة، فالعفّة فضيلة لدى البعض، لكن للعديد منكم أشبه بالرذيلة."

هل ترون أية نصيحة رائعة يعلنها من موقعه في الغيوم – من البعيد.

"هؤلاء متعفّفون بلا شك؛ لكن كلبة الشهوانية تتبدى في كل ما يفعلونه.

يظلّ ذلك الحيوان يتبعهم هو وشغبه حتى فوق أعالي فضيلتهم، وفي الأعماق الباردة لروحهم."

إنه يؤكد ما كنا نقوله تماماً.

"وكم تستطيع كلبة الشهوانية أن تتوسّل القليل من العقل عندما لا تفلح في الحصول على قطعة من اللحم!

تحبّون مسرحيات المآسي وكلّ ما يمزّق القلب؟ لكنني شديد الريبة تجاه كلاب شهوتكم.

تتراءى عيونكم شنيعة أمامي. وتنظر عيونكم بلهفة إلى الذين يتألمون. أليست هذه شهوتكم متنكّرة وقد سمّت نفسها شفقة؟"

إنه يكشف عن سيكولوجيته الخاصة في هذا العتاب أو العظة للحشرات الطفيلية المسكينة في الأسفل؛ ذلك كله يحدث في ذاته. العيون القاسية هي عيونه تحديداً لأنه يتحدث بعقل بارد دون مشاعر. وفيما يتعلّق بعبارة *"ترنو عيونكم بلهفة إلى الذين يتألمون"*، من هو الذي يعاني؟ من الذي يشفق على نفسه ويعتني بها، ويتجنّب كل شيء يمكن أن يسبب إزعاجاً لجهازه العصبي المتعب؟

"أضرب لكم هذا المثل أيضاً: كثرة أولئك الذين أرادوا أن يطردوا شيطانهم فدخلوا بدلاً عنه أرواح الخنازير."

هذه حقيقة عادية للغاية وعظيمة للغاية. ثمة كثير من الناس الذين يحاولون أن يقدموا نصيحة رائعة لأشخاص آخرين، يحاولون إنقاذهم أو مساعدتهم، وفي النهاية يغرقونهم في الوحل؛ هذا في نهاية المطاف الموقع الذي كانوا يصنعونه فعلاً تحت ستار من الشفقة والتعاطف والفهم. وهذا قَدَر نيتشه نفسه. في نهاية *"هكذا تكلّم زارادشت"*، نصل إلى فقرات هي إلى حد كبير على مسار الإثارة الجنسية المَرَضيّة التي أظهرها عندما أصابه المرض.

السيدة كرولي: قلتَ في سيمنار سابق أن على النبي أن يمتلك تجربة جمعية كي يتحدث عن تجربته الجمعية. لذلك قد يكون هذا سبباً طبيعياً.

الدكتور يونغ: هكذا تماماً، لكن النبي حالة مختلفة. نحن لا نتحدث الآن عن نبي بل عن سيكولوجيا نيتشه الإنسان. وأنا سأكون الإنسان الأعلى لو تجرّأت أن أتحدث عن سيكولوجيا نبي. لا يمكن أن أفعل ذلك. كما أنني أشكّ فيما إذا كان للنبي سيكولوجيا خاصة أم لا – الإنسان فقط لديه سيكولوجيا.

السيدة كرولي: لكن في هذا النموذج، كما أفترض هو دور النبي، كان عليه أن يمرّ في هذه التجربة.

الدكتور يونغ: لكنها سيكولوجيا نيتشه باعتباره نبياً. إذا كانت لديه سيكولوجيا نبي، فلا بدّ أنه مرّ بهكذا تجربة. إذا افترضت نفسك بأنك نبي، فهذا يعني أنك في بالون؛ أن يكون نبياً يعني طبعاً أن يكون له بالونه الخاص. زارادشت هو بالونه الخاص.

"ومن تصعب عليه العفّة عليه أن يعدل عنها: كي لا تغدو طريقه إلى الجحيم – جحيم قذارة ونارها.

هل أتكلّم عن أشياء قذرة؟ هذا ليس أسوأ الأشياء بالنسبة إلي.

لا ينفر العارف من الخوض في مياه الحقيقة عندما تكون قذرة بل عندما تكون ضحلة."

هذه حقيقة عظيمة أيضاً.

الحق أقول لكم هناك عفيفون في عمق أعماقهم؛ وهم أكثر ليناً في قلوبهم، وهم يضحكون طواعية وبسخاء أكثر مما تفعلون.

يضحكون أيضاً من العفّة ويسألون: "لكن ما هي العفّة؟".

أليست العفّة حمقاً؟ لكنّ هذا الحمق هو الذي أتى إلينا ولسنا نحن من ذهبنا إليه.

"إننا نمنح هذا الضيف قلباً ومأوى؛ والآن ها هو ذا يقيم عندنا – فليبق ما طاب له إذاً!"

من الواضح تماماً أن أولئك الحكماء الذين لا يعرفون ما هي العفة هم أخوة زارادشت؛ زارادشت هو واحد منهم. ويرى المرء هنا أين تماهى نيتشه مع زارادشت؛ هذه هي الطريقة التي تحدث بها الإنسان الأعلى، إذا كان لهذا الموضوع أن يحدث. لذلك يمكن القول إن هذه هي الطريقة التي تحدث بها النبي زارادشت، وإذا كان هناك من شيء يُعتبر نبياً، فأنا أمنحه الإذن ليتحدث بهذه الطريقة. لكن بما أن المتحدث هو نيتشه، فما الذي يريد قوله؟

الدكتور ريكستين: كما قلت أنت، يقوم الآن بتشكيل الشهوة من العفّة.

الدكتور يونغ: لقد شكّل وجهة نظر خاصة منها، حتى إلى المدى الذي سأل فيه "ما هي العفّة". وهذا يعني أن لا مشكلة لديه إطلاقاً؛ يعني التفوّق على كيانه الأرضي، وهذا شبه مستحيل.

الدكتور برتين: تصريح غير واقعي.

الدكتور يونغ: تماماً، وهو بعيد الاحتمال للغاية. طبعاً، إذا كان النبي يتحدث بهذه الطريقة فلا جدال حول ما يقوله النبي كما تعلم. لكن بما أن الذي يتحدث إنسان، فهو عُصابي ببساطة. لذلك هناك مبرر قوي لعدم تماهيه مع النبي.

أنا أتابع هذه الفصول بسرعة لأنها ليست ذات أهمية بالنسبة إلى ذهني على الرغم من أهميتها بالنسبة للإنسان الذي يهمّ نيتشه. نصل الآن إلى فصل بعنوان "عن الصديق":

"واحد فقط إلى جانبي كافٍ ليكون فائضاً عن اللزوم" – هكذا يفكّر الناسك. "واحد وحيد مع نفسه على الدوام – ذلك ما سينتج عنه اثنان مع مرور الزمن.

أنا وأناي في جدال ساخن لا ينقطع: كيف للمرء أن يتحمّل ذلك إذا لم يكن هناك صديق؟

الصديق شخص ثالث دوماً بالنسبة إلى الناسك: الثالث هو الفلّينة التي تمنع محادثة الاثنين من الانحدار إلى الأعماق.

آه، هنالك أعماق كثيرة لكلّ النسّاك: لذلك تتوق أنفسهم إلى صديق وإلى موقعه العالي."

كيف عبر الهوّة من العفّة إلى الصديق؟

السيدة فيرز: كان فصل العفّة عن جانب "القرينة"، والآن عن جانب الظل؛ يقوم الآن بحوار مع ظلّه.

الدكتور يونغ: هذا ما يأمل المرء به.

السيدة فيرز: لكنه مؤلم للغاية.

الدكتور يونغ: نعم، لذلك أقول إن الحوار لم يحدث.

السيدة فيرز: هو يحتاج إلى شخص آخر، وسيكون هو "الطفل الإله".[1]

الدكتور يونغ: نعم، في كثير من الحالات. من الواضح أنه رفضَ العلاقة مع "قرينته" لأنها غير مهذبة بما يكفي وتحاول ربطه بالرجال السيئين الذين يفعلون تلك الأشياء الفظيعة هناك في الأسفل. وبما أن العلاقة المرفوضة مع "القرينة" هي علاقة متباينة الجنس، لا يبقى لدينا سوى العلاقة المثلية، لذلك اكتشف الصديق. الصديق الحقيقي الذي يحتاجه سيكون بطبيعة الحال الرجل الدوني في داخله، والحوار الذي سيجريه سيكون معه؛ لكن هذا مستثنى، وهو في أمسّ الحاجة إلى علاقة بشرية يأمل أن يجدها مع

---

[1] في المثيولوجيا هو إله طفل صغير إلى الأبد. وفي السيكولوجيا هو الشخص الأكبر سناً الذي بقيت حياته العاطفية عند مستوى المراهقة. وهي تعرف أيضاً بـ "متلازمة بيتر بان". المترجم

صديق. عندما كان نيتشه وحيداً تماماً في "إنغادين"، مرّ بتجربة الشعور المفاجئ بالحالة الثنائية – أي هو وزارادشت – وشعر والحالة هذه وكأنه يتحدث مع صديق.[1] والآن يقول: نشعر "أنا وذاتي" بحرارة شديدة في الحديث – زارادشت هو الذات، كما عرفنا من الفصل السابق. ندخل "أنا وذاتي في الحوار بشكل دائم، وبجدّية تامة؛ كيف يمكن أن تستمرّ إذا لم يكن صديقاً؟" بالنسبة للناسك، الصديق هو ثالث دوماً لأن الناسك عبارة عن اثنين، وبما أنه لا يستطيع المقاومة، فهو يحتاج إلى صديق: "الثالث هو 'الفلينة' التي تمنع حوار الاثنين من الغوص في الأعماق". هذا يعني، لأن الذات أعظم من وعيه، فهو ينجذب بشكل طبيعي إلى الهاوية الأبدية لما هو أعظم من الإنسان؛ هو يتلاشى ببساطة من خلال حواره الخاص. إنه يغوص في حالة تماهٍ كامل مع الذات، ويتضخّم وعيه بشكل مرعب، وليس هناك فرصة أخرى لأي نوع من الارتباط مع الأرض. هذه هي سيكولوجيا الإنسان المعزول بالكامل ويحاول بشكل طبيعي أن يرتبط بالأرض مجدداً. لكن بما أن التواصل مع الأرض شائن ومؤذٍ فلا يستطيع الاقتراب منه، وسيكون الرابط الضروري صديقاً يمثّل الارتفاعات أمام الأعماق. ستجذبه الذات إلى هاوية الأبدية بينما يبقيه الصديق على سطح الواقع.

"إنّ إيماننا بالآخرين يفضح ذلك الذي نودّ أن نؤمن به في أنفسنا. فالتوق إلى الصديق هو الذي يفضحنا.

---

[1] تحدث نيتشه عن نفسه أحياناً بأنه يرى نفسه "doppelgänger"، أي "الاثنان يسيران معاً"، يقول نيتشه "هذه السلسلة المزدوجة من التجارب وهذه القدرة على ولوج عوالم تبدو مختلفة تتكرّر في طبيعتي وعلى جميع الأصعدة؛ إنني الوجه الثاني لنفسي، وإن كنت أمتلك هذا الوجه إلى جانب الوجه الأول؛ ولعلّي أمتلك أيضاً آخر ثالثا...." (كتاب "هذا هو الإنسان – Ecce Homo"، فصل "لِمَ أنا على هذا القدر من الحكمة"، المقطع الثالث، صفحة 22. انظر أيضاً رسالة إلى "بيتر غاست" 14 آب – أغسطس 1881.

غالباً ما لا يريد المرء من الحبّ سوى مراوغة الحسد. وغالباً ما يهاجم المرء ويخلق عدواً كي يخفي أنه عرضة للاعتداء."

يصف هنا نوعاً غريباً جداً للعلاقة مع الصديق، وهي طريقة الكثير من العصابيين. ما رأيك بذلك؟

البروفسور ريكستين: أعتقد أن نيتشه عاجز تماماً عن أن يكون لديه صديق، وبالتالي صنع هذه الشخصية له.

الدكتور يونغ: نعم، من الواضح أنه يحاول ابتكار صديق متخيّل، الصديق الذي يتخيل أنه يجب أن يكون لديه. وإذا كان بالحالة التي وصفناها، فسوف يحتاج إلى الصديق الذي تخيّله. لكن لا يمكن لأي شخص أن يكون صديقه تحت هذا الظرف؛ هذا مستحيل تماماً. لا يمكن لأي شخص أن يتأقلم مع شخص مزدوج. ولدى نيتشه في هذه الحالة جانبان اثنان: الجانب الأول المتمثل بشخصيته العادية، والجانب الثاني المتمثل بتماهيه مع الذات – وهو في الحالة الأولى ضحية مؤسفة، وفي الحالة الثانية نبيّ غريب للغاية. كيف يمكن لرجل في الأرض أن يتأقلم مع حالة كهذه؟ لنفترض أن شخصاً معيناظهر في هذه الحالة، ما الذي سيحدث له؟ لدى نيتشه صديق، هل تعرفون أي شيء عنه؟

البروفسور فيرتز: "بيتر غاست – *Peter Gast*".

الآنسة وولف: لم يكن "بيتر غاست" شخصية هامة. لن يقبل نيتشه شخصاً مكافئاً له كصديق؛ كان مجرد إنسان يريد أن يبقى وحده. إذا كان لديه صديق من هذا النوع، فسيكون منافساً له، لقد قام ذلك على أساس المنافسة إلى حد كبير.

الدكتور يونغ: كانت العلاقة مع "بيتر غاست" تعيسة للغاية. شعر "بيتر غاست" بفراغ مرعب وواجه صعوبة كبيرة، وكل من تعامل مع نيتشه بشكل مباشر وجد أن الأمر بالغ الصعوبة. ربما تذكرون تلك الحكاية الصغيرة عن

نيتشه: كان نيتشه يتحدث بحماس عن إيطاليا في محاضرة في بازل، وصادف أن وقعت عيناه على شاب بين مستمعيه فتخيّل فوراً أنه صديقه. فقال للشاب بعد أن أنهى المحاضرة: "سنذهب إلى إيطاليا سوية!" لكن لم يكن لدى الشاب نقود، ولم يفكّر إلا بجيبه الفارغ فقال متلعثماً: "لكن يا بروفسوررر!..." ثم تعثر وانقلب أعلى عالمه أسفله، وغادر نيتشه مع شعور بالاشمئزاز. هذا هو نيتشه. لم يفكر بالواقع، لم يفكر بأن الطالب الشاب المسكين لا يمتلك بالضرورة المال الكافي لرحلة إلى إيطاليا، ولم يفكر طبعاً بأن يدفع بنفسه تكاليف الرحلة. لو أن الشاب قال: "نعم، سأذهب معك"، لشعر نيتشه بالسعادة طبعاً دون أن يفكر بأن هذا الرفيق ليس لديه ما يكفي من المال ليفعل ذلك؛ إن الواقع الذي فرض نفسه في تلك اللحظة تحديداً جعله يتجنّب الشاب بشكل كامل، أصبح الشاب غير موجود بالنسبة إليه. هكذا كانت نوعيه علاقات صداقته. يجب أن يكون الصديق موجوداً في الوقت المناسب، ويختفي في الوقت المناسب، ثم عليه أن يظهر من جديد في وقت آخر – هذا تماماً ما يتوقعه نيتشه منه، وهذه هي النتيجة الحتمية إذا تماهى المرء مع الذات.

"كن عدوّاً لي على الأقل!" – هكذا يتكلّم ورع الاحترام الذي لا يجرؤ على التماس الصداقة.

وإذا ما كان المرء يريد صديقاً، فعليه أن يرغب بخوض حرب من أجله: ولكي يخوض حرباً لا بدّ أن يكون قادراً على أن يكون عدوّاً.

على المرء أن يحترم العدوّ في صديقه أيضاً. هل تستطيع أن تقترب كثيراً من صديقك دون أن تنضمّ إليه؟

على المرء أن يجد في الصديق عدوّه الأفضل. ستكون أكثر قرباً من قلبه عندما تناهضه.

عبارات حكيمة للغاية بالتأكيد، وصحيحة بطريقة ما، لكنها أيضاً حقيقة عالية جداً. إنها متناقضة ومُبالغ فيها لدرجة لا يمكننا تصديقها ضمن مجال المشاعر البشرية؛ لا يحتمل الشعور البشري إجهاداً كهذا. وهذا مُبالغ فيه بسبب الشعور الهائل بالإجهاد.

"تريد أن تكون عارياً أمام صديقك؟ سيكون شرفاً لصديقك أن تمنح نفسك له كما أنت. لكنه سيبعث بك إلى الجحيم بسبب ذلك!"

صحيح تماماً. بدافع الأدب المطلق، ليس على المرء أن يظهر نفسه كما هو: الأمر صادم وفيه شيء من التهوّر دوماً. هو لا يقصد "كما هو" تماماً لأن هناك وجهين دوماً؛ لكل شيء وجهان – لا يتشكّل المرء من الجانب السيئ فقط. لكن إذا كانت مثاليتك تتطلّب منك أن تظهر نفسك كما أنت، فسوف تظهر سماتك الشريرة وليس سماتك الجيدة، لأنه تم إقناعك بعمق أن إظهار ما أنت عليه يعني إظهار شيء غير مرغوب. بينما إظهار ذاتك كما أنت ***فعلاً*** يعني إظهار الجانبين معاً، فيخفف أحدهما الآخر؛ عندئذٍ يمكن القول بأمان إن علاقة الصداقة لم تكن ممكنة إلا عندما أظهرت من أنت، وما أنت عليه. ليس عليك أن تستخدم مصطلحات من نوع "عدم التستّر" أو العري عندما تفترض أنك ستبدو بشعاً، وهو افتراض غير صحيح. لا يكون الإنسان بشعاً عندما يتعرى، ربما يكون جميلاً للغاية، أو يكون كما هو على الأقل، ليس سيئاً ولا جيداً. لكن إذا تمزّق الجانبان، إذا كان جزء في الجنة والآخر في الجحيم، فلا يجب عليك بطبيعة الحال أن تظهر الجانب الموجود في الجحيم، والذي هو الجانب السيئ طبعاً. وبناءً عليه، يقول نيتشه إن عليك أن تكون في غاية الحذر لتخفي نفسك عن صديقك. ثم يشعر بعد فترة بما هو بالغ الأهمية:

"من لا يتستّر يثير الاستنكار: هكذا يكون لكم سبب للخوف من العري!
أجل، لو كنتم آلهة لكان لكم أن تخجلوا من لباسكم!"

يعتقد أنه إذا أظهر نفسه بهيئة الإنسان الأعلى، سيكون مقبولاً طبعاً، ومقبولاً للغاية لأن هذا هو جانب الله؛ لكن بما أننا لسنا آلهة، يجب أن نُظهر جانبنا الدوني الذي كان منحطاً للغاية في حالته. لذلك بدا بطبيعة الحال منطقياً تماماً في عدم إظهاره.

"إنك لن تستطيع أن تتجمّل بما فيه الكفاية من أجل صديقك: إذ عليك أن تكون بالنسبة إليه سهماً وتوقاً إلى الإنسان الأعلى."

النص الألماني مميز هنا إذ يقول: *"Du kannst dich für deinem Freund nicht schön genug putzen"*. نحن لا نستخدم في ألمانيا مصطلح "التجمّل - *sich putzen*" لوصف الرجل بل المرأة فقط هي التي تتجمل – عندما تسرّح شعرها وتضع وردة فوق أذنها وتلبس زياً جميلاً وتضع الحلي وما إلى ذلك. يتذكر نيتشه بوضوح رجلاً بهيئة أنثوية – يمكن للمرء أن يطلق بثقة صفة المثلي على الشخص الذي يتزين، يصبغ شفتيه وخديه بأحمر الشفاه ليحظى باهتمام صديقه. إننا نراه بوضوح هنا متماهياً مع "القرينة"؛ ها هي تتحدث من خلاله لأن هذه ليست الطريقة التي يتحدث بها رجل، هي طريقة أنثوية بالتأكيد. فكرة أنه يجب أن يزيّن نفسه من أجل صديقه هي فكرة لن تدخل ذهن رجل حقيقي. *"إذ عليك أن تكون بالنسبة إليه سهماً وتوقاً إلى الإنسان الأعلى"*، تعني أنه سيجمّل نفسه كي يظهر لصديقه كما لو أنه الإنسان الأعلى، ولإثارة الرغبة ذاتها لدى صديقه ليكون فوق السحاب، وذلك حتى لا يزعجهما الظل. ستكون هذه طبعاً علاقة صداقة غير حقيقية بالمطلق، ولن تكون ممكنة ولا للحظة واحدة؛ سيحدث شيء ما في اللحظة التالية ويهبطا إلى الأرض.

"هل حدث أن رأيت صديقك وهو نائم – كي تعرف ملامحه؟ فما هو بالنهاية وجه صديقك؟ إنه وجهك أنت منعكساً في مرآة خشنة وغير مصقولة."

لذلك يمكن القول إن من الأفضل له ألا يراه وهو نائم.

" هل حدث أن رأيت صديقك وهو نائم؟ ألم يصبك الفزع لرؤية وجهه على تلك الهيئة؟ آه، يا أخي إنّ الإنسان شيء ينبغي تجاوزه.

في الحدس والصمت ينبغي أن يكون الصديق معلّماً: لا ينبغي لك أن تريد أن ترى كل شيء بعينك."

هنا تظهر فرضياته وتوقعاته. لا يمكن أن يكون صديقه صديقاً عادياً، بل يجب أن يكون معلّماً في التكهّن، يعرف بشكل مسبق دوماً ما يتوقّعه نيتشه عنه. "***في الحدس والصمت ينبغي أن يكون الصديق معلماً***". عليه أيضاً ألا يتحدث، والأهم ألا يتحدث في اللحظات الخاطئة، ويجب ألا يقول أي شيء ليس مفرحاً.

" على حلمك أن ينبئك بما يفعل صديقك في الصحو."

هذا يعني أن المرء قد يحلم به عندما يكون في أفضل حالاته فقط.

" حدساً ينبغي أن تكون شفقتك: ألا تعرف أولاً إن كان صديقك يريد شفقة. فلعله يحبّ فيك العين الباردة ونظرة الأبدية."

هذا هو الإنسان الخالد من جديد؛ يجب أن تقوم علاقة الصداقة من أجله فقط.

"لتكن شفقتك على الصديق مغمورة مخفيّة تحت قشرة صلبة تتكسر عليها سنّك. هكذا تكون لها رهافتها وحلاوتها."

مبالغة مخيفة أخرى. إذا أظهرت القشرة الصلبة لأصدقائك على مدار الوقت، كيف سيكون شعورهم بالصداقة معك؟ لن يأتوا إليك كي يفقدوا أسنانهم.

" هل تستطيع أن تكون هواء نقياً ووحدة وخبزاً ودواء لصديقك؟ هناك من لا يقدر على فكّ قيوده الخاصة وهو مع ذلك المخلّص لصديقه.

هل أنت عبد؟ إنك لا تستطيع أن تكون صديقاً إذاً. هل أنت طاغية؟ لا يمكن أن يكون لك أصدقاء إذاً."

هنا مبالغة أيضاً، تفككت الثنائيات المتضادة؛ إما عبد أو طاغية، وأين هو الإنسان بينهما؟ من الواضح تماماً أن الإنسان الوحيد بينهما هو صديق، وليس الشخص الموجود في الأعلى ولا الموجود في الأدنى. فهنا يبدأ باستجواب نفسه بطريقة ما. لماذا تنفصل الثنائيات المتضادة؟ لماذا ذلك الهرج والمرج حول الصديق، لماذا كل هذه التوقعات والمطالبات؟

"داخل المرأة كان هناك دوماً عبد وطاغية متستران."

هو في طريقه ليكتشف شيئاً. لا يعني ذلك أنه سيدرك وجود القرينة، فنحن من يجب أن يكشف وجودها له. القرينة عبارة عن مشكلة – الجانب الأنثوي منه عبارة عن عبد وطاغية. القرينة هي من تقوم بفصل الثنائيات المتضادة لأنها هي بذاتها ثنائية متضادة؛ إنها مشرقة وقاتمة، طاغية وعبد؛ وهي من يجب أن تُطاع، وهي في الوقت نفسه عاهرة، ضحيّة الجميع.

"لذلك ما تزال المرأة غير قادرة على الصداقة: إنها لا تعرف سوى الحبّ."

بدل أن يقول إن الإنسان العادي الذي لا يكون مرتفعاً للغاية ولا متدنياً للغاية هو القادر على إقامة علاقة الصداقة، قال: "لا"، ولا يمكن لهذا أن يكون، لأنه ليس بهيئة إنسان أعلى". ثم أسقط الأمر كله على المرأة دون أن يعرف أنه هو ذاته تلك المرأة. لقد بدأ حواراً عن ميزات المرأة وعيوبها بدلاً من رؤية أن هناك جانباً أنثوياً في ذاته، وامرأة هستيرية أيضاً، بالإضافة إلى الانفصال بين الثنائيات المتضادّة. وهذه المرأة هي السبب في أنه لا يستطيع أن يحظى بعلاقة صداقة ولا يستطيع أن يمنحها؛ إنها في حالة خطر دائم، إما أن يكون عاشقاً للصديق أو كارهاً له، لأنه امرأة.

"في حبّ المرأة هناك ظلم وعماء تجاه كلّ ما لا تحبّه. وحتى داخل الحبّ الواعي للمرأة هناك دوماً هجوم مباغت وصاعقة وليل إلى جانب النور."

يصف هنا ردود أفعال قرينته. لديه نمط تفكير حدسي، وبالتالي ستحمل قرينته بشكل طبيعي الشعور والإحساس بالوظائف الدونية، وتعني هاتان الوظيفتان معاً حقيقة قيّمة للغاية، حقيقة مزودة بشعور. يمكن أن يكون لديك واقع من دون شعور، وهو لا يتمايز ولا يتم اختياره أو تشخيصه بالشعور؛ لكن إذا اجتمعت الوظيفتان معاً، فهناك نوع من الشعور بالواقع. يختار جانب القرينة لديه مثلاً عالماً مكوناً بشكل رئيس من علاقات شخصية، فبقدر ما يكون انطوائياً تكون لدى قرينته شخصية انبساطية. وهكذا سيتحرّك في عالم من العلاقات الشخصية للغاية بين أشخاص حقيقيين. لكن الأشخاص الحقيقيين في نيتشه يتعرضون للقمع وتخفيض القيمة مثل ذباب السوق؛ لذلك ترغب قرينته بأن تكون ذبابة أيضاً ليكون قادراً على التحرك بين تلك الحشرات الطفيلية العادية. وهذا طبعاً ما لا يستطيع أن يراه. لكن عندما يقول: *"في حبّ المرأة هناك ظلم وعماء تجاه كلّ ما لا تحبّه"*، فهو يعطي وصفاً دقيقاً لإحساسه. يعني الظلم إعطاء قيمة خاطئة، ويعني العمى عدم رؤية الأشياء كما هي.

"ما تزال المرأة غير قادرة على الصداقة..."

هو غير قادر على الصداقة؛ لا أحد قادر على إقامة صداقة معه لأنه مفكك، لكنه يسقط ذلك على المرأة.

"... قططاً ما تزال النساء وعصافير."

تلك الحيوانات أعداء فيما بينها؛ العصافير ضحايا القطط، وهذا يعني التفكك والانفصال. والشكل الروحاني للقرينة هو طائر يحلق في الأعلى، والآخر هو قطة تعيش في الأسفل على الأرض.

"أو في أحسن الحالات أبقاراً."

كما لو أنه الحل الوسطي الوحيد، عندما تضع قطّة وطائراً معاً، يشكّلان بقرة. هذا غير ممكن. لذلك يقلل من قيمة قرينته كما هو متوقّع منه أن يفعل، لأن القرينة تثقل إحساسه وتدفعه للأسفل إلى الإنسان الحقيقي الذي يحتقره؛ لذلك ينبغي تخفيض قيمتها.

"لا تزال المرأة غير قادرة على الصداقة. لكن قولوا لي أنتم، أيها الرجال من منكم قادر على الحبّ إذاً؟"

ها أنت ذا، الرجال غير قادرين على الصداقة أيضاً.

"يا لفقركم أنتم أيها الرجال ويا لشحّ روحكم! ما ستمنحونه للصديق سأمنح مثله لعدوي أيضاً من دون أن أغدو فقيراً بسبب ذلك."

إذا قدم لصديقه ما يقدمه لعدوه فهي صفقة سيئة للغاية. أنا لن أرغب أن يقدّم صديقي لعدوّه مثلما يقدم لي.

ليست هناك سوى علاقات زمالة؛ لتكن هناك صداقة.

هكذا تكلّم زارادشت.

أنا أفضّل الزمالة لأنها عادية وكريمة وإنسانية قبل كل شيء: أنا لا أهتم أبداً بصداقة فيها أشياء هستيرية وعديمة القيمة. كما ترون، سمح لنا هذا الفصل بالحصول على نظرة هامة في روح العُصاب.

الآنسة وولف: لقد حاول طبعاً تبرير توقعاته عن النساء. ضخّ الكثير من المشاعر في أصدقائه الرجال، ثم أراد صداقة امرأة، لكن كان عليها أن تكون تلميذة. أراد دوماً أن يكون مقبولاً مع أفكاره. وهذا سبب عدم عمله مع النساء طبعاً؛ لم يرغبن بأن يكنّ تلميذات.

البروفسور فيرز: هل كان لديه أية تجارب مع نساء المجتمع، صداقات اجتماعية عادية؟

الدكتور يونغ: صادف أن عرفت امرأة حاولة الاقتراب منه، ولطالما اعتقدت أنها كانت تحاول الإمساك به تماماً كما تمسك القطة عصفوراً؛ كانت تلاحق سيرته الذاتية.

الآنسة وولف: كانت تلك "لو سالومي"؛ أخبرته أنها ستكون تلميذة رائعة؛ وحاول وأن يعطيها أفكاره.[1]

البروفسور يونغ: نعم، لم يكن في ذهنها أي شيء من هذا القبيل، كانت تحاول أن تمسك بالعصفور.

السيدة يونغ: أظن أن على المرء أن يأخذ بعين الاعتبار الزمن الذي كتب فيه نيتشه، وأظن أن ذلك لم يكن مجرّد حالته السيكولوجية الخاصة. كانت تلك الفترة التي ترك فيها الجميع الكثير "للشخصية القناع" ولم يدركوا وجود جانب الظل، وكان نيتشه أول من أشار إلى هذه الخلفية. في هذا الفصل عن الصداقة، كان هناك الكثير من السيكولوجيا العادية، وأعتقد أن من المهم للغاية أن يتحدث شخص ما عن ذلك. فعندما تحدث عن المرأة، القرينة، كان ذلك لأنها تمثل وظيفة مرتبطة، وعندما تحدث عن الصداقة، كانت لديه هذه الوظيفة، لذلك كان عليه أن يُظهر سيكولوجيا القرينة هنا.

الدكتور يونغ: صحيح بالتأكيد. لا يستطيع القيام بأية علاقة دون أن يأخذ قرينته بعين الاعتبار: ذلك شرط لا غنى عنه. لذلك كان عليه أن يأخذ بعين الاعتبار سيكولوجيته التي كانت مجهولة في أيامه كما قلتِ تماماً. كانت

[1] توضح الرسائل التي تم تبادلها ذهاباً وإياباً بين نيتشه و"بول ري" و"لو سالومي" وآخرين، أنه كان يتوق فعلاً لتلميذة، وأن تكون "لو سالومي" هذه التلميذة، لكن سرعان ما سئمت من تلك العلاقة ورفضت عرضه المندفع بالزواج. وبعيداً عن "لو سالومي" كان هناك تعلّق قوي، لكنه متباعد، بزوجة فاغنر "نيك وزيما ليزت"؛ وخلافاً لذلك، كان ارتباط نيتشه بالنساء محصوراً إلى حد كبير بصداقة (حب/ كره) مع أخته ووالدته.

السيكولوجيا في ثمانينات القرن التاسع عشر، عندما ألّف كتاب "*هكذا تكلّم زارادشت*"، تتكون من أفكار برجوازية، من أفكار "الشخصية القناع" – كانت كلها واضحة على السطح – مع إنه كان من المعروف قبل ذلك أن الإنسان لديه ظل. لكن بدأ القرن التاسع عشر ينسى ذلك لأن الفكر أصبح قوياً للغاية بسبب تطور العلم والتكنولوجيا؛ حقق الوعي استقلالاً يمكنه فعلاً أن يُبهر الناس ويترك الظل خلفه – القرد عبارة عن إنسان مثالي لديه أفكار مثالية – حتى انهار العرض الخيالي كله مع اندلاع الحرب العالمية. لكن بالنسبة للناس في ذلك الزمن، كانت سيكولوجيا صالحة.

السيدة يونغ: أودّ أيضاً أن أشير إلى أن الأمر يبدو نبوئياً إلى حد ما، لأن الصداقة بين الناس تلعب مثل هذا الدور الآن في ألمانيا.

الدكتور يونغ: نعم، يبدو الأمر تماماً كما لو أن نيتشه قد توقّع الكثير عن مستقبل شعبه، وأنه واجه مشاكل كانت في الأساس مشاكل وطنه. إن من أكثر السمات التي تميّز السيكولوجيا الألمانية الحديثة أن فكرة "الطفل الإله" تلعب دوراً أهم بكثير من دور "القرينة". ظهرت أعمال أدبية مميزة تمثل هذين النوعين كليهما من السيكولوجيا. في الغرب، كانت رواية "بيير بينو" بعنوان "لا أتلنتيد" المثال الأبرز عن قصص "القرينة"، لكنْ هناك كثير من الروايات الأخرى كرواية "ربدر هاغرد" باللغة الإنكليزية. وهناك شخصيات قرينة معينة في الأدب الألماني أيضاً، لكن ليس من بينها ما يمكن مقارنته بالأمثلة الإنكليزية والفرنسية. كما نجد أمثلة بارزة عن سيكولوجيا "الطفل الإله" في أعمال مثل رواية "برونو غوبتز" بعنوان "*Das Reich Ohne Raum*" والتي تعني "مملكة دون فضاء"، هي من أكثر الأعمال التي صادفتها تميزاً. حيث تم تنظيم هذه السيكولوجيا بشكل رائع في مدرسة

الشاعر "ستيفان جورج" المشبع بنوع من المثلية الجنسية.[1] لأن "الطفل الإله" يتضمن دوماً مثلية جنسية سواء أكانت حقيقية أم تخيّلية: إنها سيكولوجيا الشباب المغامر. تلعب المرأة دور الزوجة والأم فقط، وتبدو وكأنها خالية من المشاكل. بينما المرأة في الغربة إشكالية للغاية، ويبدو أن الصداقة بين الرجال قد حققت مستوى ليس فيه إشكاليات – أعني كظاهرة اجتماعية، وليس كمشكلة أو ظاهرة شخصية.

الآنسة وولف: أعتقد أن العديد من النساء كان لديهن سيكولوجيا "الطفل الإله"؛ كنّ زميلات رجال أو صديقاتهن، لم يكنّ نساء إطلاقاً بل صبيان بطريقة ما.

الدكتور يونغ: هذه تطورات حديثة للغاية.

الآنسة وولف: نعم، ثمة فرق كبير بين النساء في زمن نيتشه ونساء اليوم.

السيدة سيغ: يبدو لي أن نيتشه كان لديه أصدقاء جيدون حتى بلغ الخامسة والثلاثين من عمره على الأقل. لقد ألّف كتابه ***هكذا تكلم زارادشت*** عام *1883*، وذلك قبل صداقته مع "بيتر غاست"، وعندما كانت حالته العقلية متردية للغاية. لكن قبل ذلك، كانت علاقاته جيدة مع "أوفربيك"، ومع صديقين آخرين من أيام الشباب هما "وليام بايندر" و"غوستاف كروغ".

---

[1] رواية "بيير بينوا – Pierre Benoit" بعنوان "لاتلانتيد – L'Atlantide" (1919)، ورواية "ريدر هاغرد – Rider Haggard" بعنوان "هي – She" (1887) غالباً ما تمت الإشارة إليهما لتصوير شخصيات القرينة. وبالنسبة لـ "غويتز" انظر محاضرة 5 حزيران – يونيو 1935. "ستيفان جورج – Stefan George" (1868 – 1933) شاعر ألماني مهم جداً أصبح الشخصية المعبودة للشباب النازي، لكنه نفى نفسه إلى سويسرا احتجاجاً على الاستبداد. انظر تقرير يونغ حول "ستيفان جورج" في الأعمال الكاملة، المجلد العاشر، صحفة 375.

الدكتور يونغ: لو درست أولئك الأصدقاء بعناية لرأيت أنهم كانوا بعيدين للغاية؛ كتبوا رسائل جميلة فيما بينهم. لطالما تعامل "أوفربيك" مع نيتشه مستخدماً قفازات؛ كنت أعرفه. كان مؤرخاً لبقاً نموذجياً، وشخصاً واسع الثقافة، ومهذباً للغاية في كل حالاته وحذراً جداً من لمس أي شيء ساخن؛ كان يقدّر ذكاء نيتشه العظيم لكن تعامل مع نيتشه الإنسان بحذر بالغ. وطبعاً كان نيتشه يطلق على أي صديق له صفة العظيم، وكان الناس مهذبين بطبيعة الحال، لكن لم يستطيعوا ملامسته. على سبيل المثال، عرفت شخصاً كان نيتشه يعتبره أحد أفضل أصدقائه. كان بروفسوراً في الطب الداخلي، رجلاً متعلّماً مثقفاً وموسيقياً مميزاً، وكان نيتشه يزوره باستمرار في منزله – لا أحد يعرف مكانه تحديداً؛ كان يظهر فجأة ويجلس إلى البيانو ويعزف لساعات متتالية. لم يكن يكلّم أحداً، ولا أحد يستطيع أن يكلّمه. ثم يذهب ويقول كم كانت أمسية جميلة. تماماً مثل هذين الرجلين من "كانتون غريسون" اللذين لم ير أحدهما الآخر مدة عشرين عاماً، حيا أحدهما الآخر بكلمة "تشاو"، مع إيماءة تدلّ على أنهما يرغبان بالذهاب إلى "نزل" قريب، وهناك تناولا شرابهما معاً وبقيا حتى الساعة الثانية عشرة دون أن ينطق أحدهما بكلمة واحدة، وعندما همّا بالرحيل قال أحدهما للآخر "ألم تكن أمسية جميلة؟" وهكذا إذا اعتنيت بنيتشه وتركته يستمتع بنفسه تكون صديقاً رائعاً، لكن الويل لك إذا كان لديك دافع خاص بك. كان "أوفربيك" صديقاً مخلصاً فعلاً: ذهب إلى "تورين" في إيطاليا عندما عرف أن نيتشه غادر البلد وعاد به إلى بازل؛ كان الوحيد الذي اعتنى به. لكن في علاقته الشخصية أنا واثق تماماً أنه كان حذراً للغاية معه. لذلك أعتقد أن تلك الصداقات الجيدة كانت مثار شكّ مع أنها محلّ تقدير كبير.

البروفسور فيرز: قيل إن سيكولوجيا نيتشه تعبّر عن زمنه، وأعتقد أن سيكولوجيا "ريتشارد فاغنر" هي أيضاً كذلك. لقد دمّر بائع قبعاته، ولم يسدد دينه لـ "مايربير"، وكتب أشدّ الرسائل وقاحة عندما طالب بالمبلغ المستحق وقدره خمسمئة فرنك. كان الإنسان الأعلى، وكان من أبغض الناس.

الدكتور يونغ: نعم. عندما كان يدعو أصدقاء، كان عليهم أن يحضروا النبيذ، والويل لهم إذا لم يفعلوا. وكان يهتم بزينته – لديه مراسلات طويلة مع صانع قبعات في فيينا تتعلق بأشرطة الحرير الوردي لقميص نومه. وكما تعلمون، عندما كان فاغنر يؤلّف تلك المقطوعة الموسيقية التي يظهر فيها سيغفريد الشاب وهو يشحذ سيفاً بمطرقة وسندان، كان يجلس في مكتبه على أريكة حريرية طويلة عليها كم هائل من الأشرطة الحريرية، ويرتدي ثوباً حريرياً وقبّعة من المخمل. كان الهواء يعبق بروائح العطور وزينته أشبه بزينة النساء، وهذا من أكثر المشاهد التي يمكن أن تتخيلها بشاعة. كان تلك حقيقته، حيث كان متماهياً مع القرينة بشكل كامل، وكان "مخنثاً"، وتعني الرجل الذي يرتدي زيّ امرأة ويستمتع بلعب دور امرأة. وليس هناك مصطلح إنكليزي مقابل كما أعتقد.[1]

البروفسور فيرز: في مقال تم نشره في بازل منذ خمس سنوات، قيل عن فاغنر إن سريره في باريس كان مغطى بمظلة حريرية عليها أزهار، بالإضافة إلى مرآة يستطيع أن يرى فيها نفسه. وهو لم يدفع لقاء صنعها؛ بينما كان على "مايربير" أن يدفع مقابل ذلك. وبعد خمسة أسابيع من ذلك، كتب فاغنر عملاً بعنوان: "اليهودية في الموسيقى".[2]

---

[1] المصطلح المناسب في قاموس إكسفورد الإنكليزي هو "transvest" وهو يعود إلى عام 1552.

[2] "Das Judentum in der Musik – اليهودية في الموسيقى"، عمل تم نشره عام 1850 بحدود خمسين صفحة تقريباً ثم تم استكماله بخمسين صفحة أخرى عام 1869،

الدكتور يونغ: أليس هذا رائعاً؟ حسناً، لدى نيتشه أيضاً تأنّق غريب: يتخيّل نفسه وكأنه "لورد". في تلك الأيام، كان يُعتقد أن الرجال الإنكليز الذين يأتون إلى سويسرا هم لوردات، وأنهم يرتدون دوماً قبعات وقفازات رمادية وقطعة قماشية تغطي القدم والكاحل، وأشياء من هذا القبيل. كما أنهم يرتدون أيضاً حجاباً حول القبعة للدلالة على أنهم كانوا مسافرين، ومستعدين للدخول بشكل مفاجئ في مناخ استوائي؛ كانوا شاذين دوماً – لا أحد يستطيع أن يفهمهم. هذا هو السبب في أن وسط أوربا فهم سيكولوجيا العرق الإنكليزي؛ كانت قلّة قليلة تستطيع أن تفهم اللغة الإنكليزية حينها. وهكذا أصبح نيتشه يتمشّى في بازل بقبعة رمادية طويلة. لم يرتدِ الحجاب لكنه كان رجلاً إنكليزياً تماماً خارجاً من قصص الحكايات، مشهد ساذج للغاية. هكذا كان يتزين! لأنه ما من أحد في بازل حلم يوماً بأن يتمشى بهذه الهيئة. كانت تلك الفترة التي كانوا يرتدون فيها ياقات وربطات عنق قذرة للغاية، وبنطالاً مربعاً يشبه الأكورديون.

ولم يشنّ فيه فاغنر هجوماً عنيفاً على "مندلسون وشومان وميربير" فقط بل على الشعراء اليهود والفنانين الآخرين أيضاً. وقام "إدوين إيفان" بترجمة هذا العمل إلى اللغة الإنكليزية بعنوان "Judaism in Music" حيث ظهر في نيويورك ولندن عام 1910.

المحاضرة الثالثة

30 تشرين الأول – أكتوبر 1935

الدكتور يونغ:

الفصل التالي بعنوان "عن ألف هدف وهدف". ما الذي يعنيه هذا العنوان برأيكم؟

السيدة فيرز: إذا رفض الإنسان ظله أو كيانه البشري، فلا بد أن يكون لديه ألف شبح بدلاً من شبح واحد لأنه لا يعرف إلى أين ينتمي؛ إنه نوع من "*Zersplitterung*".[1]

الدكتور يونغ: نعم، لكن ما الذي بقي بعد أن رفض الظل؟

السيدة فيرز: الرجل الحكيم.

السيدة سيغ: "القرينة".

الدكتور يونغ: نسيت أكثر الأشياء أهمية. إنه في رفضه لظلّه يرفض الإنسان الدوني وحسب، لكن جزءاً من اللاوعي المتمثل بالنموذج البدئي للعجوز الحكيم والنموذج البدئي للقرينة، يبقيان مع الوعي. إذاً ما الذي بقي إلى جانب هذين النموذجين البدئيين؟

السيد باينز: وظيفته الفوقية، "أناه" الخاصة.

---

[1] انقسام المنقسم.

الدكتور يونغ: تماماً، "أناه المتماهية مع الوظيفة الفوقية، والمتماهية في هذه الحالة مع الحدس والعقل. وبالتالي في رفضه للظل، يرفض شخصيته الدونية، باستثناء النموذجين البدئيين للقرينة والعجوز الحكيم، ويحافظ على وظيفته الفوقية: يكون متماهياً معها. والآن ماذا عن الوظيفة الفوقية في ظل هذه الظروف؟ ما هي مشكلتها؟

السيدة سيغ: تتصرّف كطاغية أحياناً بسبب عدم وجود توازن.

السيدة فيرز: تصبح حالة جمعية تماماً.

السيدة كرولي: ليس هناك تفحّص ولا توازن ولا نقيض.

الدكتور يونغ: ذلك كله صحيح، لكن لماذا – ما هي المشكلة مع "الأنا"؟

السيدة سيغ: تصبح متضخمة.

الدكتور يونغ: نعم، تصبح مثل البالون لأنها مليئة بالأبخرة والغازات الخفيفة الصادرة عن هذه النماذج البدئية؛ يتم رفع "الأنا" عن الأرض وتبقى معلّقة في مكان ما في الفضاء، وتصحب تحت هذه الظروف حالة جمعية. لكن ما هو المبرر السيكولوجي الذي يجعل المُصاب بهذا النوع من التضخّم جمعياً دوماً؟

السيدة يونغ: بسبب التماهي مع النماذج البدئية يحدث التضخّم عبر اللاوعي الجمعي.

الدكتور يونغ: تماماً، اللاوعي الجمعي متمثلاً بالنماذج البدئية للقرينة والعجوز الحكيم. هذا ما يجعل الشخص المتضخم يصبح حالة جمعية. والنتيجة أن أشخاصاً من هذا النوع أصبحوا متماهين بالمطلق مع الحركات الجمعية لهذه الأيام. فهم لم يعودوا بشراً. لذلك فإن فكرة الإنسان الأعلى غير بشرية لأنه مجرّد فكرة، وهو فكرة الجميع – حتى إنه يجب أن يكون فكرة الجميع. هنا يأتي الطاغية ويقول: "يجب أن تصبح فكرتي فكرة الجميع". إن نيتشه غير راضٍ عن حقيقة الاستمتاع برؤية الإنسان الأعلى:

يجب أن يبشّر به. على كل شخص أن يصبح إنساناً أعلى. إنها قيمة جديدة ينبغي على الجميع أن يحملوها ويؤمنوا بها؛ يشعر بأن فكرته تسود بين الجميع وصالحة للجميع. والخطير في الأمر أن ذلك صحيح إلى حد ما. والسؤال هو: هل من الممكن وجود شيء كالإنسان الأعلى، وإذا كان ذلك ممكناً، هل هذه طريقة مناسبة للتبشير به؟ ستكون الإجابة بالنفي طبعاً؛ وفقاً لتصوّره عن الإنسان الأعلى، هذا مستحيل تماماً لأنه يتجاوز الإنسان. لكن هل ترون أية إمكانية لتحقيق فكرة الإنسان الأعلى؟

السيدة كرولي: نعم، إذا تم تطبيقها رمزياً وبشكل شخصي على الذات.

الدكتور يونغ: نعم، وفي هذه الحالة، ما هي العلاقة التي ستكون بين الإنسان الأعلى و"الأنا" الفردية؟

السيدة سيغ: ستكون علاقة أب وابن.

الدكتور يونغ: نعم، وهذا رمز يمكن إثباته بمواد تاريخية وحديثة. ويمكن استخدام رمز آخر أيضاً.

الآنسة حنّة: ستنتقل القيادة إلى الذات، وعندئذٍ ستكون "الأنا" بعلاقة مع الأرض والشمس.

الدكتور يونغ: هذا تشبيه آخر، كوكب يدور حول نجم مركزي أو حول الشمس، وهي ستكون علاقة أب وابن أيضاً؛ ستكون الشمس هي الأب، والكوكب هو نسل الشمس. تقول النظرية إن الكواكب قد انفصلت عن الشمس. هل تعرفون أية رمزية أخرى؟

الآنسة وولف: رمزية الإنسان والله.

الدكتور يونغ: نعم، هنا أيضاً يكون الله هو الأب، والإنسان هو الابن، أو الله هو الشمس، والإنسان هو الأرض، الكوكب.

السيدة فيرز: ألا يمكن لهذا الوصف أن يشمل فكرة القائد أو "الفوهرر" الموجودة في أيامنا هذه؟

الدكتور يونغ: تماماً، فكرة "الدوتشي"، "الفوهرر" هي التعبير ذاته على مستوى الموضوع الملموس – على المستوى اللا سيكولوجي. هكذا جلبناه إلى الأرض إلى تجربة هذه الأيام. لقد أظهرت لنا محتويات الفصول السابقة كيف رفض نيتشه الإنسان الدوني وبنى حالة التضخّم الخاصة هذه، وبالتالي يصبح بشكل طبيعي أكثر جمعية، وأكثر تطابقاً مع البشرية التي تشكل وحدات لا تُحصى، وبما أن لكل وحدة بشرية هدفها الخاص، تكون مجموعة الأهداف هائلة. لكن ثمة اختيار غريب للكلمات هنا، عبارة "ألف وواحد – *thousand and one*" هدف، التي تعني الكثير من الأهداف. أين وجد نيتشه هذا المصطلح.

السيدة بايتز: في كتاب "ألف ليلة وليلة" العربي.

الدكتور يونغ: نعم، هذه استعارة أو رمز للدلالة على "كثرة العدد". فالرقم "ألف" يُعتبر كمية كبيرة لا يمكن تخيّلها، وفوق ما لم يمكن تخيّله واحد إضافي. وهكذا إذا حدث تضخّم مَن هذا النوع، سيشعر المرء أحياناً وكأنه مكوّن من "ألف وواحد" شخص، و"ألف وواحد" قيمة أو هدف. لكن إذا كانت الحالة على هذا النحو، فما هو الآتي؟ إن شخصاً في هذا الحالة سيدرك حاجة خاصة للغاية.

السيدة كرولي: التقييم.

السيدة سيغ: الحاجة الفعلية لشعبه في ذلك الوقت.

الدكتور يونغ: هذا صحيح إذا كان متماهياً مع شعبه، لكن هذه هي المسألة. ربما كان متماهياً مع البشر، وهذا من شأنه أن يسبب الكثير من الاضطراب في الداخل، وهو ما يسمّى باللغة اللاتينية القديمة "*turba*"، التي تعني ضجيجاً واضطراباً هائلين؛ لقد استخدم آباء الكنيسة هذه الكلمة للإشارة إلى الاقتراب من الشياطين. وهي تظهر في الأحلام على شكل أسراب نمل أو بعوض أو حيوانات صغيرة لا تُحصى؛ هكذا دوماً تكون

بداية تلك الظاهرة الغريبة في حالات الأمراض العصبية والفُصام. وإذا استمرّ الانفصال، سينهار العقل؛ قد يتحوّل التضخم تدريجياً إلى تفكك. عادة ما يحدث أثناء الفُصام الحقيقي ظهور حالة نموذجية بدئية – نموذج بدئي من أي نوع كان - يعمل على تضخيم وعي الفرد وتوسيعه ليشمل البشرية كلها؛ عندما يبدأ بالتفكك فجأة إلى وحدات صغيرة، تتحوّل إلى حالة فُصام. هي تشبه الانفجار؛ يعمل التضخم مثل الغاز المضغوط ضمن حيّز فارغ، ثم ينفجر فجأة محطماً جدران ذلك الحيّز.

تلاحظ في حالة الفُصام أن العديد من تلك الوحدات تُصدر أصواتاً؛ لديها كلها "أنا" صغيرة، مع سمات شخصية مختلفة: وكل صوت يقول: "أنا" ويشير على ميل معيّن أو هدف معين. لكن لأنه مجرّد مادة روح متشظية، أو كيانات نفسية متشظية، لا يتم بلوغ الهدف إطلاقاً، كما أن كمية التأثير أو العاطفة التي تسمح باستمرار النيّة بتحقيق الهدف تكون مفقودة. وهكذا فإن الشخص كله مكون من العديد من النفسيات الصغيرة لكل منها غرضها الخاص. ويمكن أن تجد توصيفاً لتلك الحالة في كتاب ألّفه "شريبر – *Schreber*"، وأنا مقتنع تماماً بأنه كان ابن مؤسس "حدائق شريبر *Schreber Gardens*" التي ربما سمعتم بها؛ إنها حضانات للأطفال الصغار. كان "شريبر" الذي أتحدث عنه محامياً يعيش في ليبزيغ، وقد أُصيب بحالة عُصاب، وعندما تم احتجازه في مصحّة عقلية ألّف كتاباً بعنوان: "مذكرات مرض عقلي"[1] وصف فيه ظواهر غريبة. ذكر من بين

---

[1] "ديفد باول شريبر – David Paul Schreber" (1842 – 1911)، "مذكرات مرض عقلي – Memorise of a Mental Illness"، ترجمه وحرره "إيان ماكالين وريتشارد هانتر" (لندن، 1955). وقد قدّم هذا العمل لـ "فرويد" إحدى أهم دراسات الحالات التي لا تُنسى. وقد كتب يونغ في الأعمال الكاملة، المجلد الخامس، الصفحة 458: "كتب فرويد عن حالة شريبر في ذلك الوقت بطريقة غير مرضية بعد أن قمت بلفت انتباهه إلى الكتاب".

أمور كثيرة أنه في بعض الأحيان يكون هناك عدد كبير من تلك الحشرات الصغيرة في كل مكان فوقه – مخلوقات صغيرة جداً تمشي على جفونه مثلاً؛ أو كانت تطير حوله وتحط على بشرته كالبعوض. وأحياناً تختفي عندما يصرخ غاضباً. ثم تعود مرة أخرى؛ كما ترون، تلك هي أجزاء عقله المنقسم التي لا تزال قادرة على الاندماج. ومع أننا نعرف القليل عن هذه الأمور، إلا أنه في أوقات معينة، وعندما تكون الأحوال جيدة، تتحد بعض الأجزاء مجدداً كما تتحد شظايا الجليد ليلاً، ثم تنقسم مرة أخرى عندما تهب الرياح.

يلاحظ المرء كيف تتجمد مجدداً مساحات كبيرة من سلسلة متشظية مجدداً وتصبح متماسكة. حالات كهذه تعطينا انطباعاً بأنه طبيعي إلى حد ما، لكن تصادف فجوة هنا وأخرى هناك، أو تلاحظ انقساماً يجري بشكل مباشر. يمكن أن ترى ذلك في لوحات رسمها أولئك الناس. فهم يرسمون لوحة جيدة التصميم ثم يرسمون زاوية حادة بشكل مفاجئ، أو يظهر خط غير منطقي يغير الموضوع، ثم تظهر محتويات غريبة للغاية عند منطقة الكسر. ترى في تلك الصورة[1] خط تماس لا يلتصق عنده حقل الجليد المجاور مع الكتلة الرئيسة، وهناك عدد كبير من تلك البقع. هناك خطوط مكسورة متعددة؛ فالانقسامات سيئة للغاية. وإذا قارنت أسفل الصورة مع أعلاها، ترى فعلاً عدم وجود رابط بينهما بل هناك مزيج من الوحدات المنفصلة التي ربطها عقله بعناية. لديه بنية ذهنية فائقة ربما تسمح له أن يتصرف بطريقة طبيعية إلى حد ما، ومع أن المادة الحقيقية لنفسيته ممزقة تماماً، ويعمل على تجميعها وتأطيرها، فهو يقوم بتشكيل إطار ثقيل حول اللوحة بإضافة تعويذات سحرية، كما يحاول وضع شيء في قمّة

---

[1] يعرض يونغ هنا لوحة رسمها شخص يُعتبر طبيعياً.

العمل كله كبديل "للأنا" ويضع له أربع زوايا ليجعله ثابتاً. لكنها لم تعد استمرارية طبيعية؛ العقل أصبح منقسماً تماماً وربما كان هناك فترة تشوش كامل سيطر فيها "الضجيج والاضطراب – *turba*". فأنا لا أعرف التاريخ الفعلي لهذه الحالة. وبعد ذلك يستطيع مع ما تبقى من ذاته أن يجمع بعض الشظايا وكأنها قطع زجاج يجمعها بمواد لاصقة بحيث تبدو سليمة مع أنها محطمة ومليئة بآثار الكارثة السابقة. عادة ما تستطيع أن ترى تلك الخطوط المتكسرة بشكل أفضل في لوحة ذات خطوط منحنية متدفقة؛ تمرّ أحياناً هوّة حادة عبر اللوحة كلها.

السيد باومان: أحياناً يكون للوحات الناس المصابين بأمراض عقلية الدافع ذاته مكرراً عدة مرات، أشخاص صغار الحجم أو أقزام مثلاً. هل هي الفكرة ذاتها؟

الدكتور يونغ: نعم. تلك الأحلام التي تظهر فيها وحدات صغيرة عديدة، وحيوانات صغيرة كلها من النوع ذاته، وخنافس وأشياء من هذا القبيل، هي أحلام نصف عضوية. لذلك نجدها بشكل رئيس في حالات مدمني الكحول، وحالات هذيان الذين تتم معالجتهم من إدمان الكحول؛ عادة ما يكون لديهم هلوسات من هذا النوع. يرون مثلاً قطعاً نقدية على الأرض ويحاولون التقاطها؛ أو يرون الكثير من الفئران أو الجرذان أو الطيور أو أية حيوانات أخرى في أماكن كثيرة يستحيل وجودها. وهذا نوع من الانقسام أيضاً. لقد ذكرت سابقاً تلك الحالة الطريفة عن شخص واسع العلم والثقافة لكنه كان يشرب بكثافة. فبعد ليلة مرهقة للغاية دخل في حالة هذيان شديد، وعندما استيقظ صباحاً رأى خنازير على كل الأشجار في حديقة منزله الأمامية. واعتقد أن هناك سوقاً قريبة، وأن الخنازير هربت وتسلّقت الأشجار، وهكذا بدأ يضحك ويصرخ للناس في الشارع ليروها أيضاً. وبطبيعة الحال، قبض عليه رجال الشرطة بسبب صخبه وإزعاجاته.

السيدة يونغ: ألا يمكن لظاهرة "الضجيج والاضطراب" أن تشير إلى طبقة عميقة جداً من طبقات اللاوعي؟ يبدو أن لها سمة سيكولوجية. يجد المرء هذا الحلم لدى الأطفال.

الدكتور يونغ: نعم، إنها النموذج البدني للكثيرين، ونجد أحلاماً كهذه لدى أطفال صغار جداً. في السيمنار الذي أقدّمه في "هوكشول – *Hochschule*"[1]، أعالج حلم طفل صغير تراوده أحلام عن حيوانات صغيرة أو أسراب نمل أو بعوض أو فئران أو مجرّد أشياء صغيرة. وأظن أنه تصوّر للتعددية الأصلية للعقل البشري. تعلمون أن أجسادنا تتكون من وحدات كهذه، وما يُطلق عليها "جينات ماندل الوراثية". ففي عائلة معينة، قد تكون عينا الأم زرقاوين مثلاً وعينا الأب سوداوين، ولديهما أنفان مختلفان للغاية. من الواضح أن يرث بعض الأطفال لون العيون الزرقاء من الأم، ويرث بعضهم اللون الأسود من الأب، كما يرث بعضهم شكل أنف الأم والآخرون شكل أنف الأب؛ تتبع هذه الخصائص المميزة قوانين ماندل؛ يؤدي تراكم بعض الجينات إلى خصائص جسدية أو عقلية.

تفسر هذه القوانين أيضاً لماذا يكون في أحد الأجيال أشخاص من نموذج معين، ويكون في أجيال أشخاص من نموذج مختلف، والنموذجان كلاهما موجودان في عائلات الأسلاف. بين إسبان "هابسبيرغ" من القرون الوسطى، كان هناك عدد من حالات المرض العقلي؛ لم تظهر بعدها أية حالة على مدى مئتي سنة. والشفة السفلى المنتفخة لشعب "هابسبيرغ" التي ظهرت أولاً للإمبراطور "ماكسميليان"، كان وراثية في الكثير من الحالات؛ كانت لدى "ألفونسو الثالث ملك إسبانيا": إنها نموذجية للغاية. تتكون أجسادنا من جينات كهذه، وينطبق الأمر نفسه على عقولنا؛ لقد

[1] سيمنار قدّمه في ألمانيا حول أحلام الأطفال، وهو متزامن مع هذا السيمنار.

تشكّل عقلنا الواعي وقام على النفس التي تتشكل أيضاً من العديد من الجينات الوراثية. وهي ما أطلق عليه البدائيون اسم أرواح الأجداد، وبقايا حياة الأسلاف، وبما أن لدينا العديد من الأسلاف، سيكون لدينا آلاف الجينات في النفس الأساسية، وهي عرضة للانفصال. ولو عرفنا أكثر عن هذه الأشياء، سأكون مقتنعاً تماماً أننا سنكون قادرين على إظهار أن الجينات التي تصيب العقل في حالة الفُصام هي جينات أسلاف، جينات ماندل الوراثية. نلاحظ أحياناً أنه إذا كان الأب والأم غير متوافقين مثلاً، يكون الطفل الأول شخصية صعبة المراس؛ لا يتحد نسقا جينات الأجداد مما يخلق انحرافاً صعباً لدى الطفل. عندما لا تتطابق جينات الأسلاف، ولا تلتصق كما ينبغي، يكون هناك خطر الانفصال. أنا أرى ذلك من حين إلى آخر.

هناك أيضاً خطر في الاختلاط بين الأعراق الذي تقف غرائزنا في مواجهته غالباً. يعتقد المرء أحياناً أنه نوع من الانحياز المغرور، لكنه انحياز غريزي في الواقع، والحقيقة أنه إذا اختلطت أعراق متباعدة، تكون السلالة ضعيفة للغاية، كما يرى المرء بتزاوج البيض مع الزنوج؛ من النادر أن تحمل امرأة زنجية من رجل أبيض. وإذا صادف أن حملت، ستكون النتيجة مولوداً خلاسياً، ومن المحتمل أن تكون صفاته سيئة. الماليزيون عرق بارز وواضح المعالم للغاية، وبعيد جداً عن الرجل الأبيض، وتزاوج الماليزي مع الأبيض هو أمر سيئ كقاعدة عامة. والأمر نفسه ينطبق على الحيوانات: لدى البغال صفات غريبة ووحشية، وهي غير قادرة على الإنجاب. ربما تمارس الجنس لكنها تكون غالباً مجرد ممارسة بين ذكر وأنثى؛ وإذا صادف وحدث الحمل فهي تجهض. لا تستطيع أن تحمل الجنين لأن الحمل ينقطع. والأمر ذاته ينطبق على الفراشات؛ تم إجراء تجارب مثيرة للاهتمام على أنواع من الشاطئ الشمالي للبحر الأبيض

المتوسط مع النوع ذاته من الشاطئ الجنوبي. الصنف الجنوبي أكبر بكثير من الشمالي، وتنتج عن تزاوج النوعين معاً عينات جميلة للغاية، ومع ذلك فهي تموت في الجيل الثالث أو الرابع لأنها لا تستطيع التكاثر، فهي لا تختلط حقاً. لذلك إذا بذلت جهداً معيناً يمكنك أن تضع الزيت والماء معاً لفترة: تصنع نوعاً من الرغوة أو المستحلب، لكن المزيج يعود إلى الانفصال من جديد. هذا هو سبب حالات كثيرة من الجنون. الفرق الكبير بين الأعراق يسبب بشكل شبه دائم ترتيباً هشاً بالغ الحساسية لأن الجينات لا تلتصق كما ينبغي – هذه على الأقل طريقة للتعبير عن هذه المشكلة الصعبة للغاية في علم النفس المرضي[1]

نواجه الآن الشيء نفسه في حالات التضخّم؛ عندما يصل التضخّم إلى ذروة معينة، يكون هناك إدراك لتعدد الجينات، يجب القول إننا وصلنا إلى ذروة كهذه هنا. وكان ذلك متوقعاً بسبب زيادة عدد الفقرات المَرَضيّة في النص سابقاً؛ لم تكن تلك الفصول ودّية للغاية، ويمكن أن نعتبر ذلك بمثابة إشارة إلى أننا نقترب من مجال مَرَضي. ثم ربما سيكون لدينا ردّ فعل يحاول إصلاح المشكلة. وصلنا الآن إلى إدراك الأهداف الكثيرة التي ستكون أهداف كثيرين في شخص واحد كما ذكرت سابقاً.

"رأى زارادشت بلداناً كثيرة وشعوباً كثيرة: هكذا اكتشف خير العديد من الشعوب وشرّها. ولم يجد على الأرض سلطة أقوى من سلطة الخير والشرّ."

---

[1] نظريات يونغ الجينية، التي يُفترض أنه اكتسبها خلال دراسته للطب، يمكن اعتبارها الآن قديمة للغاية، ولا سيما وجهة نظره في التقاطعات الجينية بين الأعراق (الماليزيين/ والعرق الأبيض) والتقاطعات الجينية بين الأنواع (الحصان/ الحمار). في الواقع، يعتقد علماء الوراثة الآن أن التهجين بين أعراق مختلفة من النوع ذاته تؤدي إلى أنواع أكثر نشاطاً وخصوبة من الجيل السابق الذي أنجبها.

لم ير نيتشه الحقيقي بلداناً وشعوباً كثيرة؛ لا يعرف سوى ألمانيا وسويسرا وجزء من إيطاليا. تلك بلدان تم توضيحها بحدود في ذاته، قارات محددة ببحار، وحدات تقطنها وحدات أصغر تسمّى "شعوباً". تلك هي بنية ذهنه، وبنية نفسيته الأساسية. ثم قام باكتشاف خير كثير من الشعوب وشرّها؛ رأى أن هناك قيماً ومزايا وعيوباً معينة بين تلك الشعوب المختلفة، وأن الخير والشرّ كانا السلطة الأقوى. لكن كيف وصل إلى مسألة القيم؟ حسناً، كما اقترحت السيدة كرولي، لكي يتعامل المرء مع ذلك التفكك، عليه أن يعين مقياس قيم جديداً ليكون قادراً على التفضيل والرفض واختيار ما هو مناسب؛ على المرء أن يضع تسلسلاً هرمياً لهذه الحشود، يضع ملكاً أو قائداً على رأس الهرم، ثم يضع الآخرين الأتباع في درجات مختلفة. مما سيشكل نظاماً. لقد وصل إلى فكرة القيم ووجد أنه ليس هناك سلطة أقوى من سلطة الخير والشرّ. يجب أن يكون هذا مفهوماً بهذه الطريقة: إنه ليس الخير والشرّ كما نفهمه باللغة العادية، أي الخير والشرّ الأخلاقي، بل يعني ببساطة وجود قيم: بمعنى أن هذه القيم عبارة عن فئات تخبرنا مثلاً ما يجب فعله وما يجب اختياره أو رفضه. أن تعطي قيمة لشيء ما يعني توضيح محتويات معينة للنفس كونها نشيطة وقوية وموحية: المحتويات الأخرى كونها متعاطفة وموصى بها؛ وأخرى مرفوضة؛ وأخرى لديها قيمة الأفكار القيادية والملكية التي تقرر في النهاية. وتجد فعلاً في كل مكان أن هناك أفكاراً مزاجية تقرر في النهاية، ولكل بلد تقريباً أفكار مطلقة كهذه.

من الصعب قليلاً توضيح هذه الأشياء لأنها تتطرّق دوماً للحساسيات والتحيزات الوطنية؛ تكون غالباً على شكل نكات لذلك من الأفضل الابتعاد عنها. ويجب أن أشير إلى مثال بسيط للغاية، وهو ليس مؤذياً بشكل خاص،

من أمة وضعت هذه النقطة بشكل خاص لتكون قادرة على السخرية من نفسها، إنها إنكلترا. ثمة فكرة أساسية هي فكرة "*السيد المحترم – جنتلمان*"؛ قد يكون الرجل غنياً، وقد يكون ذكياً أو لديه ميزات خارقة بطرق مختلفة، بحيث تطلق عليه البلدان الأخرى صفة "شخص عظيم". ليس الأمر كذلك في إنكلترا. إن القيمة المطلقة الأساسية هناك هي: "وهو *جنتلمان*". وهذا يُنهي كل شيء. إذا كانت المحاكمة سلبية، تستقر الحالة بطريقة سلبية. لا يساعده في النهاية أن يكون لديه أي مقدار من المزايا؛ إذا لم يكن "*جنتلمان*"، فسيمضي إلى الجحيم. يمكن أن تقرأ هذه العبارة في الصحف، وحدث معي أكثر من مرة أن قال أحدهم: "هذا الرجل مثقف رائع، سوف تستمتع كثيراً في الحديث معه" – وبعد القليل من التردد. "لكن؟" "حسناً، هو ليس *جنتلمان*". وهكذا يعرف المرء ماذا يفعل مع شخص كهذا بغض النظر عن أي شيء آخر قام به.

السيد باومان: هل يمكن أن تقدّم تعريفاً لصفة "*جنتلمان*"؟

الدكتور يونغ: علينا أن نترك هذا للإنكليز؛ إنهم مسؤولون عن هذه الفكرة. وإلا فسأضطر إلى خوض نقاش حول القيمة المطلقة لبلدان أخرى حيث تصبح الأمور صعبة للغاية.

"ليس هناك شعب يستطيع أن يعيش دون أن يقيّم؛ لكن إذا أراد أحد الشعوب البقاء والاستمرار فعليه ألا يقيّم مثلما يقيّم جاره."

ما يفهمه هنا من *القيمة* هو طبعاً فكرة رائدة. يجب أن يكون للأمة فكرة رائدة، كما يجب أن يكون لها جسد سياسي أو قائد أو ملك. يجب أن يكون هناك نوع من التسلسل الهرمي. وإلا فلن تكون الأمة فرداً بل مجرد ركام. غالباً ما يتحدث المرء عن كومة نمل، لكنني أؤكد أن كومة النمل عبارة عن منظومة رائعة: يشكّل النمل الأبيض تسلسلاً هرمياً رائعاً يكون

كل شيء لديه في مكانه! والشعب من دون فكرة رائدة تتجسد في هيئة قيادية لا يصنع أمة؛ بل يكون مجرّد ركام، قطيع. حتى قطيع الحيوانات لديه قائد. كان هناك فعلاً في تاريخ البشرية حالات ظهرت فيها مجتمعات كبيرة لم تكن سوى ركام، وكان ذلك دوماً نوعاً من الفوضى؛ بدون مبدأ قيادي، يكون هناك تشوّش واضطراب، وفترات من الكوارث والانحلال. حالما بدأ الناس بالعيش مجدداً، كان هناك قائد أو فكرة رائدة أو شعار قيادي؛ هو ضروري ببساطة بغض النظر عن ماهية هذا الشعار. تلك هي القيمة التي يقصدها نيتشه هنا، ومن دون قيمة كهذه لن ينجو الناس بالتأكيد. ولا بدّ أن تكون هذه القيم مختلفة عن قيم البلدان الأخرى وإلا فلن تكون مميزة. لن يفرّقوا إحداها عن الأخرى وستختلط. المجتمع من دون فكرة رائدة هو ضحية المجتمعات المحيطة التي لديها أفكار رائدة. إنه مجرّد ركام مصيره التمزّق لأنه لا ينتمي لأي شخص ولا لأي مبدأ، وعدم وجود *مبادئ* يعني عدم وجود قائد.

"فما يجده شعب معيّن خيراً يكون محلّ سخرية واحتقار لدى شعب آخر؛ هكذا وجدتُ الأمر. فالكثير من الأشياء التي تُعتبر شرّاً هنا، ترتدي معطف الشرف القرمزيّ في مكان آخر."

هذا واضح جداً طبعاً. يكون وهماً الاعتقاد بأن القيم هي ذاتها؛ الأشياء ذات القيمة العليا بالنسبة إلينا لا تعني أي شيء إطلاقاً في بلدان أخرى. ترى في الحياة الدينية للبلدان الأخرى أكثر الأشياء إثارة للدهشة؛ ما هو تجديف بالنسبة إلينا ربما يكون عادياً في بلدان أخرى. إذ من المخجل بالنسبة لنا مثلاً أن تناقش قضايا تجارية في الكنيسة: لكن الأمر ليس كذلك في البلدان الكاثوليكية كإيطاليا مثلاً. قد تدين الكنيسة ذلك طبعاً لكن لا يهم، لأن الكنيسة بالنسبة إليهم ليس لها أي معنى خاص بعيداً عن كونها مكاناً سحرياً. يكفي أن تكون موجوداً في الكنيسة؛ لا ضرورة لأن تشارك في الأداء.

تحتاج فقط أن تكون في محيط أداء النعمة لتحصل على جزء منها، بغضّ النظر عما يحدث إلى جانب ذلك؛ يشبه الأمر أن تسقط في الماء ويصيبك البلل. وأنا لا أعني الازدراء طبعاً؛ إنها سوية أخرى من التجربة الدينية. كانت تلك فكرة قديمة. ولم يكن الأمر يتعلّق بالأخلاقيات؛ أنت تحضر أداء سحرياً ويصيبك شيء ما منه – تحصل على الدواء. كل تلك البنى الأخلاقية المعقدة المرتبطة بالقيام بشيء بالطريقة الصحيحة، وأن تكون واعياً له، هي بنى فوقية مصدرها الشمال.

"ما من جار يفهم جاره أبداً: يظلّ الجار مستغرباً من حمق الجار وخبثه.

ثمّة لوح لقيم الخير معلّق فوق كل شعب؛ انظر، إنه لوح انتصاراته؛ إنه صوت إرادة القوة لديه."

هذه وجهة نظر نيتشه، جعل الأخلاق تعتمد على غريزة القوة. يقول إن أخلاق الأمم والأفراد تفتقر أساساً إلى هذا الجانب من التكيّف؛ أن تكون أخلاقياً يعني أن تكون مفيداً – طريقة للنجاح. وهذا بالتأكيد جانب واحد للمشكلة.

"كل ما يرى أنه صعب يكون جديراً بالثناء؛ كل ما هو صعب ولا غنى عنه يسميه خيراً؛ وما يخلّصه من أكبر المحن، والنادر جداً يكون مقدّساً.

ويضع في المرتبة الأولى كلّ ما يجعله يسيطر وينتصر، ويثير مخاوف الجار، هذا هو مقياس الأشياء كلها ومعناها."

جاء ذلك من حقيقة أن الفكرة الرائدة والقيمة الرئيسة لشعب ما تجسّد صفاته السيكولوجية الرئيسة، وبالتالي فهي الطريق للنجاح. لأنه لا يمكنُ النجاح إلا بطريقتك الخاصة، وليس بطريقة أخرى؛ ستنجح في وظيفتك الفوقية. لذلك إذا كان لإحدى الأمم فكرة رائدة خاصة، فهي تعبير عن مزاج معين، ووظيفة فوقية معينة يحقق الشعب نجاحه من خلالها. وهو ما يؤدي إلى الآتي:

"حقّاً أقول لك يا أخي، إذا عرفت حاجات الشعب وأرضه وسماءه وجاره، فسوف تتنبأ بقانون تغلّبه على المصاعب، وتعرف ما الذي يجعله يتسلّق هذا السلّم نحو آماله."

خذ على سبيل المثال فكرة "الجنتلمان" فيما يتعلّق بمناخ إنكلترا وموقعها الجغرافي. أنت تعرف أنها أرض محاطة بالبحار، وكانت سابقاً أرضاً لا يمكن الوصول إليها بسهولة. لكن الأمر اختلف الآن بوجود الطائرات، وأصبحت فكرة *"الجنتلمان"* في حالة تراجع. كانت في الأصل فكرة إقطاعية عندما كانت إنكلترا جزيرة معزولة، وقد تراجعت عندما أصبحت الطائرات تطير بسهولة عبر القناة. "الجنتلمان" عبارة عن جزيرة معزولة. وحتى وقت قريب نسبياً، لم يقترب من إنكلترا أي ضجيج بدأ في القارة. والمبدأ بشكل عام هو أن أي ضجيج في القارة أو في أي مكان في العالم لا يهمنا. "عزلة إنكلترا الرائعة" هي شعار السياسة الإنكليزية. لكن هذا لم يعد صحيحاً منذ الحرب العالمية. لذا فإن موقع إنكلترا الجغرافي الغريب يمثل مثاليتهم الغريبة، والأمر نفسه ينطبق على البلدان الأخرى. لنأخذ مثلاً إيديولوجيا روسيا البلشفية أو روسيا القيصرية، ونقارنها بروسيا الحالية كبلد، وستلاحظ على الفور التشابه المطلق. ولن نتحدث عن سويسرا!

السيدة باينز: نحن نأخذ ذلك الأمر كما لو أن نيتشه قد تماهى مع الألف هدف، لكن يبدو لي أنه عانى كثيراً ليظهر أنه لم يتماهَ.

الدكتور يونغ: لكنه كان مجبراً على القيام بذلك لأنه متماهٍ. أي شخص يعاني من التضخّم هو شخص متماهٍ. وإلا لكان سيفرّق بوضوح بين ذاته وزارادشت، وبين ذاته وقرينته. لكن لأن لديه هذا التماهي، يحاول بشكل طبيعي أن يخرج منه. وهذا ينطبق على فكرته عن الإنسان الأعلى. هذا التماهي هو دافع قوي للغاية لإبداع شيء لا يشبه أي شيء آخر، وسوف ترى في هذا الفصل الجهد الهائل لإبداع شيء يخرجه من هذا التماهي.

والفصل السابق أيضاً "عن الذباب في السوق" كان محاولة لتحرير نفسه والخروج من هذه الحالة. ويُظهر التضخّم أنه كان يحاول القيام بذلك بطريقة جمعية: بمعنى أنه يحاول التخلّص من حالة التماهي لديه، ويحاول الجميع فعل ذلك بالطريقة ذاتها بغض النظر عما يريدونه. والسؤال الهام هو ما إذا كان الناس يريدون مثالية الإنسان الأعلى تلك أم لا. لقد كانت مثاليته الخاصة، وكما أظهرت الأحداث اللاحقة، تبدو هذه الفكرة وكأنها واضحة بشكل خاص في اللاوعي الجمعي؛ لكن السؤال الهام هو كيف ستتطوّر؟ وهل سيكون ذلك لمصلحة العالم أم لا؟ أنا واثق تماماً أنه كان هناك وقت تتخذ فيه الحالة جانبين دوماً؛ تكون مفضلة لأحدهم، وغير مرغوبة أبداً للآخر. ربما تُنتج هذه الفكرة، وقد أنتجت سلفاً، أشياء غريبة – الحركات الشعبية في هذه الأيام مثلاً. على الرغم من أن الفكرة بحد ذاتها تعارض الحركة الشعبية، فعندما تصل إلى السطح بطريقة لاواعية، تُنتج حركات شعبية تتعارض دوماً وبشكل مطلق مع فكرة تميز الذات هذه.

السيدة كرولي: تحدثت سابقاً عن أن التزاوج بين الأعراق يؤدي إلى شيء شبيه بذلك، وكنت أتساءل ما إذا كان هذا الأمر خارج مجال الشكّ في حالة نيتشه نفسه. إن النموذج البدئي المتمثل في "زارادشت" هو من عرق أجنبي غريب، زارادشت الإيراني، فهل تعتقد أن اختيار هذا النموذج البدئي يمكن أن يكون له أي تأثير على حالته السيكولوجية – حقيقة أن هذه القوة، هذه القوة اللاوعية فيه، تعود إلى عرق آخر؟

الدكتور يونغ: إذا كنا نتحدث عن الإيرانيين أنفسهم، فسيكون زارادشت إيرانياً، ونيتشه أيضاً إذا كان متماهياً معه. لكن ليس هناك نماذج بدئية غريبة. هم بشر بشكل عام، ويوجد لدى كل شخص نفس أساسية، ولديه بالتالي النماذج البدئية كالأعراق الأخرى.

السيدة كرولي: إذا كان الأمر على هذا النحو، فإن لدى العرق الإيراني إرادة القوة الهائلة هذه.

الدكتور يونغ: ليس أكثر من الأعراق الأخرى.

السيدة كرولي: ليس أكثر من الصينيين مثلاً؟

الدكتور يونغ: كان الإيرانيون عشاق سفر، وارتحلوا كثيراً، بينما كان الصينيون يحرثون حقولهم.

السيدة كرولي: ألا يؤدي ذلك إلى ظهور مواقف مختلفة؟

الدكتور يونغ: نعم، ما كان بالإمكان أن يكونوا "تاويين" لو لم يكن لديهم غريزة القوة؛ لديهم فلسفة قوية لمقاومتها.

السيدة كرولي: نعم، لكن لديهم تلك المثالية أيضاً؛ "التاو" باللهجة المثالية، هو الذات.

الدكتور يونغ: يمكن تفسير ذلك من خلال حياة تلك الأمم. طوّر الفارسي بطبيعة الحال فلسفة وديناً من نوع آخر مختلف عن الأصل الصيني. أحدهما كان يعمل في حقله بينما كان الآخر مرتحلاً، وهكذا طورا أفكاراً مختلفة. كانت الفكرة الهامة في بلاد فارس هي النقاء، وكانت المتضادّات هي "الأعلى والأدنى" "الأبيض والأسود"؛ بينما لم يكن في الصين صراع بين المبادئ الأخلاقية، ولم تكن فكرة النقاء موجودة. كان السائد هو التوفيق بين المبادئ المتعارضة، وكانت رؤيتهم أكثر ثباتاً. وحقيقة أن نيتشه اختار النموذج البدئي لزارادشت ليس لها علاقة إطلاقاً بالنموذج البدئي الفارسي؛ يجد المرء القليل جداً من زارادشت الفارسي في زارادشت نيتشه.

السيدة كرولي: ظننت أن الثنائيات المتضادة، الخير والشر، ربما تشير إلى ذلك هنا.

الدكتور يونغ: صحيح أن ثنائية الخير والشرّ هي الأكثر أهمية في تعاليم زارادشت الفارسي، واعتقد نيتشه أنه تلقى دعوة من القدر لإصلاح المشكلة

التي سبها زارادشت الفارسي أصلاً في هذا العالم. كان نيتشه لا يزال يتبنّى وجهة النظر "اليوهمرية"[1] التي تعتبر أن الإنسان يمكن أن يبتكر قيماً، وهذا خطأ فادح طبعاً؛ إنها فرضية "يوهمرية" قديمة تعتبر أن الإنسان هو من اخترع الآلهة. وهو تابع فكرة أن الإنسان اخترع الأخلاق. كانت تلك وجهة النظر المادية في عصره. وذلك كان ميل فرويد الأساسي أيضاً. يعتقد أن الإنسان اخترع شيئاً يمكنه أن يقمع الغريزة.[2] لكن ليس هناك طبعاً ما يمكن أن يقمع الغريزة سوى غريزة أخرى؛ إنه صراع الغرائز. القوة التي يمكن أن تكبح غريزة تساوي قوة الإنسان بالتأكيد أو أقوى منه بقليل. ويتابع نيتشه لتحديد فكرته عن المثالية.

"عليك أن تكون سبّاقاً دوماً وتتجاوز الآخرين في كل مضمار: ولا ينبغي لروحك الغيورة أن تحبّ أحداً إلا إذا كان صديقاً" – هذا ما جعل روح اليوناني تخفق؛ وهكذا راح يسلك دربه إلى العظمة.

هذه هي الطريقة التي صاغ بها نيتشه جوهر المثالية الإغريقية. وربما كانت كذلك.

"قول الحقيقة وحسن استعمال القوس والسهم" – ذلك كان يبدو عذباً وثقيلاً في آن معاً بالنسبة للشعب الذي أستمدّ منه اسمي؛ الاسم الذي أجده عذباً وثقيلاً في الآن ذاته.

---

[1] "اليوهمرية – euhemerism": نهج لتفسير الأساطير يفترض أن الروايات الأسطورية قد نشأت من أحداث تاريخية أو شخصيات حقيقية. وتفترض اليوهمرية أن الروايات التاريخية تصبح أساطير عند المبالغة في إعادة سردها، وفي تجميع التفسيرات والتعديلات التي تعكس الأعراف الثقافية. وتعود هذه التسمية إلى "أيوهيمروس – Euhemerus" مؤلف الأساطير الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد. المترجم.

[2] يفكّر يونغ هنا بـ "الأنا العليا – super – ego"، التي اعتبرها فرويد، بحسب توصيف يونغ، بأنها "تمثيل السلطة الأبوية، ووريثة عقدة أوديب، والتي تدفع 'الأنا - ego' لتقييد 'الهو – id'"، حيثما يتم تحديد موقع الغرائز (الأعمال الكاملة، المجلد الثامن عشر، الصفحة 1152). كما تم اعتبار الأنا العليا أساس الإيمان بالإله.

يعلن هنا إحدى أفكاره المفضّلة وهي أن اسم نيتشه اسم "بولندي"؛ يلعب على فكرة أنه كان ينحدر من نسب بولندي مميز.[1] هذا إلى حد ما يشبه "بينفنتو سيليني" الذي افترض أنه ليس ابن أبويه، وأن خلف الكواليس شخصاً كبيراً وغير معروف.[2] هذا هو انحياز الأبطال الدائم؛ أنهم نتاج خطأ بسيط من الآلهة.

الدكتور بيرتن: ألا يمكن أن يكون قصده زارادشت عندما قال "اسمي"؟

الدكتور يونغ: نعم، يستخدم الفارسيون القوس والسهم، هذا صحيح تماماً، لكن نيتشه نفسه خلف ذلك. وبالنسبة إلي، تشير هذه الفكرة إلى نيتشه أكثر مما تشير إلى زارادشت، وذلك من خلال إشارته إلى أنه ينتمي إلى نسب بولندي نبيل غير معروف. نلاحظ هنا أنه لم تتم الإشارة إلى زارادشت باعتباره إنساناً في أي موقع من هذا الكتاب، لكن هناك تلميحات كثيرة عن نيتشه مموهاً بشخصية زارادشت، بالإضافة إلى اعترافه بأن زارادشت كان القسم الآخر من ذاته.

"أكرِمْ أباك وأمّك ولتكن باراً بهما من صميم قلبك": هذا قانون آخر للتغلّب على الذات يعلّقه شعب آخر فوقه، وبه كُتِبَت له السطوة والخلود.

هذه إشارة إلى اليهود.

---

[1] بحسب ما ذكر نيتشه عام 1883 في رسالته إلى صديق 'جورج براند': "كان أسلافي من الأرستقراطيين البولنديين (Niezsky)" (رسائل/ ميدلتون). يوافق كاتبو السير الذاتي على أن هذا مجرّد وهم، ويُحتمل أنه نابع من رغبة نيتشه بتحرير نفسه من ألمانيا. غالباً ما تحدث بتقدير عن السلافيين. -

[2] في سيرته الذاتية الشهيرة، لم يُذكر "بينفنتو سيليني – Benvenuto" (1558 – 1566) والديه، لكنه فعل ذلك بوجود القليل من الأدلة عندما قال: "أعتقد أن عائلتي تنحدر من شخص عظيم جداً". كتاب "السيرة الذاتية – Autobiography"، ترجمة جورج هال (Harmondsworth, Middlesex, 1968)، صفحة 17.

"كن وفيّاً، وابذلْ من أجل وفائك دمك وشرفك حتى في أكثر الأشياء ضرراً ومخاطرة":...

هذه إشارة إلى الألمان: "الشرف والدم". هو شعار ألماني؛ يمكن أن تقرأ ذلك في صحف اليوم.

"بمثل هذه التعاليم استطاع شعب آخر أن يتغلّب على نفسه، وفي التغلّب على نفسه على هذا النحو غدا مثقلاً بعظيم الآمال.

حقاً أقول لكم، إنّ البشر هم الذين ابتدعوا لأنفسهم كلّ الخير والشرّ. حقاً، لم يعثروا عليه، ولم يتسلّموه ولم يكن وحياً من السماء."

هنا يتضح الأمر. يعتقد فعلاً أن البشر هم من فعلوا ذلك. هو لا يرى أن الإنسان لم يخترع تلك القيم، بل تم اختراعها من أجله. فجميع القيم التي ورثناها أو سلّمها لنا معلّمون أجلاء، تم التخلّي عنها لأنها لم تتوافق مع النموذج الغريزي. هي لا تنجح ببساطة، بل سببت صراعات مرعبة وتم إلغاؤها بالسرعة الممكنة. لأن أساس قيمنا هو مزاج عائلتنا، وانتماؤنا الوطني؛ إن أخلاقنا في النهاية ليست اختراعاً بل غريزة. وهو تحيّز مادي أن رجلاً يُدعى "موسى" صعد إلى جبل سيناء، وهناك شعر بشيء غريب وقال: "أيها الشعب! هذا أمانة في أعناقكم؛ سوف أريكم ما لا ينبغي أن تفعلوه". ولو أن موسى لم يفعل ذلك لما كانت هناك أخلاق في العالم إطلاقاً: كانت ستزدهر الغرائز بلا خجل. كان هناك موسى في كل مكان وكل بلد؛ لكل أمة كريمة موسى خاص بها حتى لو لم نستطع تأكيد الوجود التاريخي لرجل مثله، على الأقل كان هناك قوانين، وقوانين شديدة الصرامة أيضاً. فمن أين جاءت؟ جاءت من غريزة أخرى. ومع ذلك لا يستطيع فرويد أن يرى ذلك بسبب الانحياز المادي القائل إنه لا شيء هناك سوى الوعي البشري؛

إن الوعي يمارس خدعة. لكن القوانين والقيم وما إلى ذلك هي عبارة عن ميول مزاجية موجودة قبل الوعي. فنحن نستيقظ صباحاً ونقول: "هل السماء جميلة؟" هذا مصنوع من أجلنا؛ نراها ببساطة كشيء جميل. أو نقول: "هل القهوة جيدة؟" إنها جيدة بالنسبة إلينا لأنها كانت جيدة حتى قبل أن نتذوقها، لذلك كان ميلنا لأن نقول إنها جيدة. وإلا لاعتبرناها سيئة أو عادية. وبطبيعة الحال، يمكن لذوقنا والأشياء التي تشبهه أن تتأثر كثيراً بالتقاليد؛ هناك خصوصيات معينة مثلاً لها علاقة بميول معينة أثّرت علينا سابقاً. إذا كنا منحدرين من أهل لديهم قناعة بأن البصل من صناعة الشيطان، سنبقى لفترة طويلة مقتنعين بأن أي شخص يأكل البصل يُعتبر آثماً - والسيئون وحدهم يأكلون البصل أو يلعبون الورق أو أي شيء من هذا القبيل.

الإنسان هو الذي ابتدع القيم أولاً من أجل البقاء – هو الذي ابتدع للأشياء معنى إنسانياً! لذلك يسمّي نفسه "إنساناً"؛ يعني أنه "المقيِّم".

أو بالأحرى "القيّاس". ربما كان لكلمة "إنسان" بالفعل علاقة بالذي يقوم بعملية "القياس"؛ "أن تقيس أشياء" يعني ببساطة أن تكون واعياً للأشياء وتمنحها أسماء وتعطيها قيماً معينة، وتعطيها عدداً وأهمية معينة. هذا صحيح بالتأكيد إلى حد ما، لكنه ليس صحيحاً بالنسبة إلى القيم الأساسية لأن معنى الأشياء وقيمتها وعددها قد نشأ قبل الوعي. لقد فرضت طريقتها على الوعي فأصبحت مفروضة. كانت الأفكار الأولى للإنسان دوماً نوعاً من الوحي. ينكشف فجأة اسم شيء ما على الإنسان؛ يذكر أحدهم أسماء مقدّسة سرية لآلهة كشفت أهمية الأشياء. تم الكشف عن أفضل

جزء من الفلسفات الجديدة في عصرنا. فالغنوصية وحي مثلاً، و"المتون الهرميسية"[1] بدأت بوحي، والعهد الجديد (الذي هو فلسفة أيضاً) عبارة عن وحي؛ لا يزال الأرثوذكس يعتقدون أن الله الآب قد أملاه، على الرغم من وجود العديد من الأخطاء. وهذا حقيقي. هم لن يؤمنوا بهراء واضح كهذا لو لم يكن صحيحاً بطريقة ما، إنها حقيقة مزاجية. نحن لا نزال نميل إلى الاعتقاد بأنه لا يمكن معرفة الحقيقة الفعلية إذا لم تكن وحياً. وإذا أصرّ أحدهم بشكل جدي على أنه أوحي إليه بشيء ما– حسناً إذاً، إنه صحيح. طبعاً، لقد أصابت السمعة السيئة مبدأ الوحي في القرن الماضي، لكن من الناحية المزاجية، لا نزال نميل إلى الإيمان بأي شخص يظهر أمامنا حاملاً ادعاءً بأنه صانع معجزات، حتى ولو كان ذلك كله مجرّد هراء. "إيلينا بلافاتسكي" على سبيل المثال كانت صانعة معجزات. كانت وسيطاً بلا شك، لكن لم يكن ذلك يؤخذ بالحسبان في النهاية لو لم تكن صانعة معجزات في الوقت نفسه. وكان المصلحون في بداية عصرنا صانعي معجزات دوماً ومعلّمي وحي.[2] "يسوع" الإنسان كان رجل معجزات يسافر في جميع أنحاء

---

[1] ربما أخذ يونغ هذا الاشتقاق من إشارة نيتشه إلى أن "الإنسان – man" (manas) يفترض أنه يرى "نفسه ككائن يقيس، والحيوان الذي يُقيّم" (كتاب "جينالوجيا الأخلاق – The Genealogy of Morals" ترجمة فرنسيس غوفمان (مدينة الحديقة، 1956)، صفحة 202.

يقتبس يونغ دوماً من كتب "المتون الهرمسية – Corpus HERMETICUM"، المجموعة القروسطية الخيميائية، ومن أعمال هرمسية أخرى. انظر بشكل خاص مؤلفات يونغ: الأعمال الكاملة، المجلد الحادي عشر ومجلدات الخيمياء، والأعمال الكاملة، المجلد الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر.

[2] الروسية "إيلينا بيتروفنا بلافاتسكي – Elena Petrovna Blavatsky" (1831 – 1891)، مؤسسة الثيوصوفية ومؤلفة كتاب "كشف النقاب عن إيزيس – Isis

البلد، وكذلك كان "سيمون ماغوس – *Simon Magus*"، و"أبولينوس من تيانا – *Apollonius of Tyana*"، والآباء الغنوصيون – جميعهم كانوا من تلك الزمرة.[1] إنها لحقيقة فعلاً أن الأفكار القوية لها طابع الوحي دوماً. وهكذا وقع نيتشه هنا بخطأ مادي.

"التقييم هو الإبداع..."

ها نحن ذا! لا يمكن إلا للناس المتضخمين أن يفترضوا أن بإمكانهم أن يبدعوا. أنت لست مُبدعاً بل يتم الإبداع من خلالك؛ في مسألة الإبداع أنت عبارة عما تم إبداعه. يجعلك المبدع تفعل ذلك حيناً، ويعمل من خلالك حيناً، أنت الأداة بالغة التأثير. حاول أن توقف الإبداع لترى ما سيحدث. لو أن الإبداع كان من فعلنا نحن، لاستطعنا أن نقول "نعم" أو "لا"، لكنها حقيقة معروفة للغاية أن المبدع لا يستطيع أن يقول "نعم" أو "لا"؛ عليه أن يفعل، والويل له إن لم يفعل.

"اسمعوا هذا أيها المبدعون! التقييم ذاته هو الذي يجعل من كل الأشياء المقيَّمة كنوزاً ومجوهرات."

هذا صحيح. إذا فهمت عملية التقييم على أنها غريزية في الإنسان، على أنها حقيقة سابقة للوعي في لاوعي الإنسان تُنتج الذهب، عندئذٍ يظهر الكنز. لذلك يكون التعبير الرمزي دوماً هو أن الكنز يحرسه التنين، أو الحجر النفيس أو الجوهرة الثمينة مخبأة في كهف في قاع البحر أو في عمق الجبل وما إلى ذلك. تلك أيضاً رموز عن القوة القاتمة في لاوعينا، والتي تُنتج

Unveiled" (لندن، 1877). على الرغم من وجود عدد كبير من المتابعين لها في بريطانيا والهند والولايات المتحدة الأمريكية، فهي لم تكن مفضّلة لدى يونغ. انظر كتاب "سيمنار الأحلام – Dream Sem" صفحة 341-342.

[1] حول هذا الموضوع كله انظر "جوناس – Jonas" حول الغنوصية، وكذلك انظر محاضرة يونغ في 5 حزيران – يوليو 1935.

القيمة، وإنتاج القيمة يعني التقييم. الجوهر هو ذاته دوماً، لكن قيمة جديدة تُعطى له، والقيمة الجديدة هي الكنز. هذا هو سرّ الخيمياء على سبيل المثال.

"لا تغدو هناك قيمة إلا من خلال التقييم: من دونه ستكون جوزة الوجود جوفاء خاوية. اسمعوا هذا أيها المبدعون!

تبدّل القيم، إنما هو تبدّل المبدعين. وعلى الدوام يظل يدمّر كلّ من كان عليه أن يكون مبدعاً."

انتقلت عملية التفكير هنا إلى الجهة المعاكسة. كل ماقيل كان صحيحاً باستثناء وحيد هو أن نيتشه اعتبره أداء الوعي، في حين أننا نعرف تماماً أن تقييمنا الواعي لا يعني شيئاً. حاول أن تفعل ذلك مع أطفالك أو أي أشخاص آخرين، وسوف ترى أن ذلك كله كلام فارغ ولا ينجح أبداً. إذا قلت للطفل: "قناعتي الراسخة هي أن هذا الحساء رائع جداً" لا يرى الطفل أنه جيد، ويرفض تناوله. عندما يخبرني والداي بأن شيئاً ما جيد أو رائع، أقول في نفسي: "لا شيء من هذا؛ إنه يشعرني بالملل". كما أن عبارة "***وعلى الدوام يظل يدمّر كلّ من كان عليه أن يكون مبدعاً***" صحيحة للغاية. لا يمكن أن تضع شيئاً على منضدة بينما هي محمّلة سلفاً؛ عليك أولاً أن ترفع تلك الأشياء عنها كي تضع مكانها أشياء جديدة. ولتبني بيتاً مكان بيت قديم، عليك أولاً أن تهدم القديم. علينا أن نتعمّق أكثر قليلاً وندرك أنه لطالما ارتبط بغريزة الخلق أو الإبداع تدمير شيء ما؛ الخلق في جوهره تدميري أيضاً. أنت ترى ذلك بوضوح شديد في اللحظة التي تتفحص فيها دافع الإبداع؛ لا شيء يؤذي الجهاز العصبي أكثر من دافع إبداع تم تجاهله أو تفحّصه، فهو يدمّر صحة الناس العضوية أيضاً. وهذا خطير بسبب وجود سمة تدميرية في الأشياء الإبداعية كلها، فقط لأنها الغريزة الأعمق، القوة

الأعمق في الإنسان، القوة التي تجاوز سيطرة الوعي، ولأن على الجانب الآخر وظيفة تخلق قيمة جديدة، من الخطير للغاية أن تتداخل معها.

السيدة لومان: أودّ أن أسألك إذا كانت تجربة عامة عندما يشعر الإنسان بألم رهيب عندما يظن أنه خالق شيء وصل إليه. إنها تلقي عليه المسؤولية أيضاً، وتكون راحته العظمى عندما يعرف أنه مجرد أداة؛ ليس هو نفسه الخالق بل شيء آخر.

الدكتور يونغ: نعم، يمكن اختبار تلك الراحة الكبيرة عندما تدرك أنك لست متماهياً مع القوة الإبداعية. لو أدرك نيتشه مثلاً أنه ليس زارادشت، لا أعرف ما الأثر الذي يمكن أن يتغير على دماغه نتيجة لذلك. عبء ثقيل، ومؤلم بشكل هائل أن تشعر بأنك الخالق شريطة أن تكون مبدعاً بما يكفي لتشعر بذلك عن وعي. المبدع عادة مثل طفل يلعب مع الآلهة، ويستطيع أن يخلق أفظع وحش دون أن يرى ذلك. لا يستطيع الكثير من الفنانين الإبداع إلا لأنهم لا يعرفون ما يُبدعونه؛ وفي اللحظة التي يعرفون فيها، يتوقف الإبداع بشكل كامل. لأنهم يبدؤون حينها بالتفكير؛ ثم يشعرون بالمسؤولية ولا يعودون قادرين على اللعب مع الآلهة ما لم يحققوا المتطلبات السيكولوجية التي تفصلهم عن الإبداع، وعن النموذج البدئي، وعن الدافع الإبداعي بحد ذاته. إذا استطاعوا القيام بذلك، يمكنهم أن يتابعوا إبداعهم؛ عندئذٍ يمكنهم أن يسمحوا للإله بأن يلعب. يحتاج ذلك إلى مَلَكة إبداعية، وفن العيش بطريقة لا أخلاقية؛ إذا اختلطت أية أخلاقيات مع الدافع الإبداعي فلن يستطيع العمل، وسوف يدمر كل شيء. ومن جهة أخرى، إذا دمّرت الدافع الإبداعي، فستدمّر القيمة الغريزية للفرد في الوقت ذاته. لكن يمكنك متابعة العيش كجدار مزيّن.

"كان المبدعون شعوباً أولاً، ثم أفراداً؛ في الحقيقة، إن الفرد ذاته هو آخر الابتكارات."

هذا تصريح بالغ الأهمية. صحيح تماماً أن الشعوب كانت المبدعة في البداية – الشعوب التي كانت مكوّنة من أفراد غير واعين لوجودهم. هل يمكن أن تخبروني بمثال جيد عن هذا النوع من السيكولوجيا، حيث كان الإبداع كل شيء، وحيث كان يوجد فرد واحد فقط؟

السيدة فيرز: مصر.

الدكتور يونغ: نعم، كان ذلك الأكثر تميزاً في الحضارة المصرية. الشعب، حتى الفرعون، عاش في أكواخ طينية، وكان للآلهة أروع المباني الحجرية التي عاشت آلاف السنين. الكائنات الحقيقية عاشت في أكواخ طينية اختفت بشكل كامل، بينما الكائنات غير الحقيقية عاشت في قصور رائعة تم بناؤها لتبقى إلى الأبد. وكانت بابل على هذا المسار أيضاً، لكن الإغريق، بغض النظر عن حضاراتهم اللاحقة، بنوا بيوتهم الدنيوية بقوة أكبر. الغريزة الإبداعية في مصر كانت قضية أمة؛ نحن لا نعرف اسم فنان مصري عظيم واحد. كان هناك فنانون عظماء لكنّ أسماءهم مجهولة. كما أن معرفتنا بـ "هوميروس" مثلاً، هي اختراع يوناني. وتشبه بلاد ما بين النهرين مصر في هذا الجانب، فأسماء شعرائها وفنانيها مجهولة تماماً؛ كان فيها شعر عظيم وفن عظيم، لكن ليس هناك تعبير فردي عنه. نحن نرى شيئاً من هذا القبيل في اليابان حيث كان لديهم أسماء عظام معينين لكن تلاميذ أولئك العظماء مثل "هيروشيغ – *Hiroshige*" أو "هوكوساي – *Hokusai*"، تخلّوا عن أسمائهم الخاصة وأطلقوا على أنفسهم اسم "هيروشيغ الثاني" والثالث والرابع، أخفوا أنفسهم وأصبحوا مجهولين. لقد حملوا اسم المعلّم، بينما هم أنفسهم تلاشوا بشكل كامل. لا يزال هناك بقايا من الوعي القديم

للمبدعين؛ شعروا بحالة من التماهي المطلق مع شعوبهم لدرجة أنه لم يبقَ منهم حتى الاسم؛ لقد أبدعت هذه الشعوب وكان الإنسان مجرّد ممثل لها. الإبداع كان حرفة؛ كان يبدع دون أن يعرف أنه يبدع شيئاً جميلاً. معظم الحرفيين القدماء الذين أبدعوا تحفاً فنية رائعة كانوا غير واعين إطلاقاً للواقع. وأنا واثق تماماً أن الموسيقي العظيم "باخ" كان من هذا النوع أيضاً. لم يكن يعرف ما الذي كان يُبدعه فعلاً. لقد ألّف ترانيم رائعة للكنيسة وغيرها، لكني أشكّ للغاية بأنه عرف أنه كان الموسيقي "باخ". يفترض المرء أنه عرف ذلك، لكن ذلك صعب بمستوى صعوبة معرفة الفترة الزمنية التي نعيش فيها الآن. وعن هذه النقطة يجب أن أحكي دائماً قصة ذلك الفارس من القرن الثالث عشر الذي أسره عدوّه وألقوا به في زنزانة لعدة سنوات. وأخيراً سئم من هذا السجن الأبدي وضرب المنضدة بقبضته وقال: "أتساءل متى ستنتهي هذه العصور الوسطى!"

السيد باومان: ينتمي "باخ" إلى عائلة ضخمة تضم اثنين وسبعين موسيقياً. وهناك بعض الموسيقيين الذين حملوا اسم "باخ" ولم يكونوا من تلك العائلة. "الباخيين" كانوا موسيقيين، كانوا أشبه بقبيلة.

الدكتور يونغ: بل كانوا أشبه بنقابة. "*حقاً، إنّ الفرد ذاته هو آخر الابتكارات*". هذا صحيح تماماً. وكما ترون، الفرد الأول – وكان فقط رمز الفرد – كان فرعون المصري؛ من أجل تصنيفه كفرد، كان من المفترض أن يكون تجسيداً للإله، المولود مرتين، والذي جعلوه إلهاً عبر الولادة السماوية. كان الوحيد البارز صاحب الاسم المعروف، وكان مبجلاً كفرد، وهو الذي يجسّد الشعب كله. الشعب كله كان الفرعون. وفي أمم أخرى، كان الملك هو الفرد الأول، وكان يتميز دوماً باعتباره ابن الإله، أو ابن الشمس أو القمر. ثم يتحول إلى فرد عبر التتويج. والتتويج هو معدات

الإنسان ليكون مع الشمس أو ليحمل سمات كونية. لذلك كانت عباءة الإمبراطور مطرّزة بالنجوم والكواكب، ولا يزال الإمبراطور يضع على جسده نجوماً تُسمى "أنظمة". وفي أوقات مبكرة جداً، كان يتم تمثيل الملوك البابليين بنجوم على أجسادهم. وكانت عباءاتهم أشبه بفضاء نجمي كوني، والرأس هو الشمس. وبالتالي كان الفرد أشبه بالوحي الذي يهبط من السماء.

الفكرة الغنوصية عن المسيح هي أنه لم يولد مسيحاً؛ كان يجب أن يولد مرتين، يتم تعميده في نهر الأردن، من أجل أن يصبح المسيح الإله الحقيقي. ووفقاً لهذه التقاليد، خلقت الروح القدس جسد المسيح الإنسان بمعجزة حمل مريم العذراء، لكنه بقي إنساناً عادياً مع أن الحمل به كان معجزة. وهكذا كان على الروح القدس أن تهبط مرة أخرى لتحويل المسيح إلى "الله"، ثم تركه الله في الحديقة قبل أن يتم صلبه. لذلك قال المسيح وهو على الصليب: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" لقد كان في تلك اللحظة مجرد إنسان وجد نفسه معلّقاً على الصليب، لم يكن يعرف كيف وصل إلى هناك؛ كان مقوداً عبر الحديقة – كانت تلك حياة – وأُجبِر على القيام بأشياء معينة. كان أداة بالمعنى الكامل، وكانت المأساة أن الله قد تركه قبل أن يموت. تلك كنت قناعة الشكل "الدوكشتي – *Doketic form*" المسيحي الذي كان منافساً خطيراً جداً للمسيحية التي نجت.

ورث المسيح المولود مرتين التقاليد الدينية من مصر القديمة. لقد كان "أوزيرس" الحي، لأن الفرعون كان الإله بقدر ما كان "رع" أو "أوزيريس". في البداية كان الوحيد المتمثل بأوزيرس وبالتالي كان فرداً وكان متميزاً؛ لاحقاً، تمثل النبلاء ووزراؤه أيضاً بأوزيرس، وأخيراً أصبحت الطبقة العليا كلها متمثلة به. بالطبع كان ذلك استعداداً للفكرة المسيحية التي تقول إن لكل

شخص روحاً، وبالتالي يستحقّ الخلاص. وعندما أصبح هذا الأمر معروفاً، حان الوقت للمسيح الذي كان أيضاً "الله – الإنسان"، الوحيد الذي تضمن الروح الإلهية التي أظهر الله نفسه فيها – بينما كان للناس العاديين روح بشكل جزئي، أي جزء من أوزيريس. هكذا تم تخفيض قيمة فكرة أوزيريس بسبب توزيعها بشكل عام؛ إذا كان الجميع يمتلكون شيئاً ما، لا يعود هذا الشيء ذا قيمة. كان يراودهم الشكّ فيما إذا كان أوزيريس الموجود في كل شخص يمكن أن ينجح، وأن تخفيض قيمته ستؤدي إلى نشوء خطر كبير يقوم على ضياع فكرة أوزيريس كلها. لذلك كانت راحة كبيرة للناس أن المسيح الإنسان أتى بفكرة أنه كان "الله – الإنسان"، فعندئذٍ فقط كانت لديهم فكرة خلود الفرد. لقد احتاجوا نبياً يخبرهم أن الله نفسه ظهر في إنسان. وبما أن الله خالد بالضرورة، فبقدر ما تؤمن بذلك المخلّص، وبقدر ما تأكل من جسده وتشرب من دمه، وتشارك في خلود الله، تصبح أنت نفسك مؤلّهاً. لذلك فإن الفكرة المسيحية الأولى اعتبرت أنه عندما تم تعميدك وتناولت القربان المقدس، لم يعد بإمكانك أن ترتكب إثماً، وإذا حدث وفعلت، فعليك أن تتعمّد من جديد، وإن لم ينجح ذلك، فسيكون الجحيم مصيرك.[1]

[1] يعتبر "ترتليان – Tertulian" أن ارتكاب الإثم مستحيل بعد العمادة. انظر محاضرة 16 أيار – مايو، 1934.

المحاضرة الرابعة

6 تشرين الثاني – نوفمبر 1935

الدكتور يونغ:

لدي هنا سؤال من السيدة باومان: "بما يخص أفكار نيتشه وفاغنر حول *التزيّن*، أودّ أن أسأل لماذا أصبح من غير الطبيعي أو السائد أن يتزين الرجل الحضاري؟ لم يكن ارتداء الملابس الملونة الزاهية يُعتبر دوماً مؤشراً على الخنوثة أو المثلية الجنسية، ولم يكن يدلّ على نقص الرجولة لدى الناس البدائيين. كان الرجال البدائيون يتزينون أكثر من النساء، وربما بشكل أكثر وضوحاً. (الهنود الأمريكيون على سبيل المثال). وإذا نظرنا إلى الحيوانات نجد أن جميع الحيوانات ذات الألوان الزاهية هي من الذكور (الأسود، النمور، وكذلك الطيور). يبدو أن الظرف الوحيد المقبول في هذه الأيام، والذي يُسمح به للرجل المتحضر بالتزين وارتداء الألوان الزاهية هو في الحرب".

ارتداء الملابس الزاهية للرجل قد عفا عليه الزمن حتى في الحرب، فهو بعد الحرب الأخيرة لم يعد عملياً، وللسبب ذاته تم إلغاء ارتداء تلك الملابس الملونة المعقّدة الرائعة بشكل عام. صحيح أنه أسلوب بدائي وشبيه

بالحيوان عندما يزين الرجل نفسه. هذا واضح وساذج للغاية، وبقدر ما فقد الرجل سذاجته وتخلّى عن بدائيته، كان عليه أن يتخلّى عن أسلوبه البدائي؛ هو لا يستطيع ببساطة أن يحافظ عليها دون أن يتخلّى عن نفسه بشكل كامل. كانت الملابس الجميلة التي ارتدوها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر نوعاً من البروز؛ نحن لم نعد نلبسها الآن لأنها ليست مناسبة كما ينبغي؛ ليس على الرجال أن يكونوا بارزين لكي يستطيعوا الاندماج في الجماعة. كلما كانت بلداتنا ومدننا أكثر شعبية، ازدادت حاجتنا للملابس تقلل البروز: أزياؤنا الفعلية هي إنكليزية وفرنسية بشكل رئيس؛ المدينتان العظيمتان باريس ولندن تصنعان الأزياء. ومؤخراً أصبح لمدينة نيويورك تأثير كبير في تحديد الأزياء في أمريكا؛ لفترة من الزمن كان خارجاً عن المألوف أن يرتدي أحدهم قبعة قشّ أو قبعة سوداء في الولايات المتحدة. وقد حافظت لندن على تقليد ارتداء القبّعة العالية؛ لفترة طويلة كان يُعتبر أمراً لا غنى عنه. وهكذا كانت المدن هي المسؤولة عن ملابس الرجال العادية والرسمية.

يعيش الرجال الحالة الجمعية أساساً لكن هذا لا ينطبق على النساء حتى الآن. على النساء أن يتأقلمن مع أزواجهن وأطفالهن وبيوتهن، ويلعب المجتمع والمسؤوليات الخارجية دوراً هاماً في هذا الأمر: الأمر الهام بالنسبة إلى النساء هو البيت والعائلة وما إلى ذلك، وليس الدولة أو المجتمع بالشكل العام. في حين أن تلك هي حياة الرجل الجدية، وليست ملعبه. تستطيع المرأة أن تلبس أي نوع من الملابس والألوان في الحياة العامة؛ هذا ضروري للغاية. كان عليها أن تأخذ جزءاً من العفوية والنشاط الذي كان على الرجل التخلّي عنه. ولأن الرجال كبتوا بدائيتهم الطبيعية، ولم يعودوا قادرين على تحمّل عبئها، تولّت النساء ذلك الجانب. نرى في العصر الحديث كيف

تأقلمت النساء مع النمط الذكوري بشكل مبالغ فيه، ليس فقط في الملابس بل بتفاصيل الجسد أيضاً؛ أصبحن يحاكين القوة واللياقة الذكورية، ويشاركن في الألعاب الرياضية، لدرجة أنهن يخلقن امرأة جديدة بالمطلق، امرأة تشبه الرجل. ويقدّر الرجال هذا النموذج بشكل كبير لأنهم يرتاحون من المهام الكريهة المرتبطة بلعب دور البدائي الذي لم يعودوا يمثلونه؛ لا يمكنهم أن يكونوا ساذجين حول هذا الأمر لأنهم سيؤذون أنفسهم كثيراً في الحالات الاجتماعية الفعلية.

تصبح النساء زائفات إلى حد ما بسبب إقدامهن على تقليد الصفات الذكورية التي لا يمتلكنها في شخصياتهن الثانوية – يساعدهن "القرين" على لعب ذلك الدور الذكوري. لكن هذا غير طبيعي. لذلك لدينا بين النساء في أيامنا هذه "قرين" ذكوري لم نسمع به فيما مضى عندما لم يكن ضرورياً بالنسبة إليهنّ. لم تكن النساء في المجتمع البدائي بارزات ورسميات بشكل مبالغ فيه؛ وإذا كان في المجتمع نوع من الأزياء التي تبرزهن، فجميعهن يلبسن الزي نفسه. مثل الهنود الحمر على سبيل المثال؛ يتزين الرجال ويرتدون ملابس رائعة، بينما ترتدي النساء شالات سوداء وأحذية عالية خرقاء أو غير جذابة بشكل عام. لكن بالنسبة إلى الرجال البدائيين، لا تحتاج النساء للزينة عملياً؛ يكفي أن المرأة أنثى؛ الإنسان البدائي نشيط بما فيه الكفاية. وتلتهم الرجل الحديث ظروف اجتماعية عليه أن يتأقلم معها إلى درجة ليس لدى النساء فكرة عنها – ما لم تكن النساء أيضاً في اللعبة ذاتها. لطالما قلت إننا لسنا بحاجة إلى اتحاد لحماية "الشابات" بل نحتاج اتحاداً لحماية "الشباب"، وليس "الشباب" فقط بل "العجائز" أيضاً. ليس هناك رجل آمن في المجتمع الحديث إطلاقاً لأن النساء أصبحن مرعبات. لقد حُرِمَ الرجل من رجولته بسبب الظروف، بسبب الحالات الاجتماعية.

فالمدن الكبيرة والتراكمات الهائلة تضعفه؛ لا يستطيع الرجال احتمال أن يكونوا رجالاً في المجتمعات الكبيرة.

في تجمع صغير معزول، لا يزال بإمكانك أن تجد نماذج فردية بين الرجال؛ رجل له لحية وآخر له خصلات شعر تتأرجح، وآخر بشاربين كبيرين وما إلى ذلك، ويرتدون أشياء مضحكة ويظهرون بطريقة مضحكة. إنهم يتميزون بالأصالة، ويمثلون البقايا الحزينة لفترة كان كل رجل يميز نفسه بنوع خاص من الريش أو ربما بعقدة غريبة في شعره. يمكن أن ترى ذلك بين الزنوج، ولا سيما زنوج السودان، "الشيلوك – *Shilluks*"، حيث يكون لدى كل رجل تسريحة شعر بتصميم خاص. أحدهم يلبس ما يشبه القارب مثلاً حيث يكون مصنوعاً من الطين والدهون النتنة والشعر؛ لديه فقط شعر غريب لكنه يضيف شعر فرس أو شعر زرافة ويحوّله إلى شيء استثنائي. وآخر لديه شكل آخر على شعره، وآخر يصنع شيئاً يشبه هالة تحيط برأسه. كل نموذج متفرّد بذاته وله فنّه الخاص. يستمرّون على هذه الحالة لسنوات ويحافظون عليها بعناية؛ يبقون على الشكل ذاته دائماً تقريباً. وهكذا يتميز كلّ منهم بتسريحة شعر خاصة، ولا وجود لأي زيّ موحد. بينما نساؤهم غير بارزات إطلاقاً؛ يتمتعن بنوع من الرقة والنقاء لأنه يكفي أن يكنّ نساء. يُفترض بهن أن يكنّ سلبيات ولا يتزيّن، ويسرن عاريات إلا من بعض الحلقات النحاسية، بل يعود هذا أيضاً لزيّهن الموحد. يحتمل أولئك الرجال أن يكونوا أفراداً لأنهم ليسوا بأعداد كبيرة؛ هنا وهناك فقط في مجموعات معزولة، لذلك لديهم مساحة كافية ليشكّلوا أخيولاتهم وتخيّلاتهم الخاصة. لكن إذا عاش عدد منهم في مدن أفريقيا الجنوبية، فسرعان ما سيرتدون زياً موحداً أو لن تكون هناك نهاية للمضايقات والمتاعب؛ من الأفضل ألا يتميزوا في ذلك الموقع، أو سيكونون عرضة للتعليقات.

هذا ما يجعل الأفراد يتلاشون في المدن الكبيرة ويتحولون إلى مجرّد عناصر من القطيع؛ يشير الزيّ الموحد البسيط إلى شعور الفرد بأنه مشابه لأي شخص آخر، أي إنه ذرّة مشابهة لملايين الذرات الأخرى. ويمكن للمرأة أن تتولّى هذا الدور الذكوري إذا لم تكن متجذرة. ونحن نتحدث طبعاً عن نساء لسن في مجال الأعمال، أي النساء المتزوجات اللواتي لديهن عالمهن الخاص على الأقل. وإذا عشن ضمن جماعة فيها آلاف النساء الأخريات، عليهن أن يكن حذرات بارتداء الأشياء الصحيحة فقط كي لا يكنّ بارزات بالطريقة الخاطئة، لأنه حتى بين النساء هناك حدود للاختلاف الفردي، هناك قوانين تزداد قسوة مع زيادة حجم المجتمع الذي يعشن فيه. يمكنهنّ تحمّل شيء خارج عن المألوف في الريف، لكن لا ينبغي أن يخرجن عن إطار التناغم في مدينة كبيرة. وعلاوة على ذلك، لن تتم مساعدتهن على أن يكن فرديات إذ يجعلونهن يرتدين أشياء يتم توزيعها بشكل عام بكميات كبيرة وحتى بالآلاف؛ لا تستطيع غالبية النساء أن يتحمّلن ارتداء أزياء صُنِعَت لهن.

بالعودة إلى القرون الماضية، نجد أنه بعد أن توقف الذكر عن الاهتمام بزينته، أخذت النساء هذا الأمر لأنفسهنّ، ويرجع الفضل لهنّ الآن بوجود هذا التميّز في اللباس. لكن مع ازدياد انخراط الناس في الأعمال ينخفض حتى ذلك الهامش الصغير من الاختلافات الفردية. كما أن نوع حياتنا المحطمة لا يسمح بملابس معقدة. وقد عملت النساء الإنكليزيات على تطوير زيّ يُعتبر زياً رسمياً وطنياً عملياً يتم ارتداؤه مرة واحدة في اليوم عند العشاء. إنه مخصص لتلك الساعة فقط، حيث يستطعن حينها أن يظهرن بشكل لائق، بينما يبقين لباقي ساعات اليوم وكأنهن مشابهات لأية امرأة أخرى. كما أصبحت الألوان، حتى ضمن قطاع الجيش، محددة الآن ببقعة صغيرة مثبتة في مكان ما باللون الأحمر أو الأصفر. لكن بما أن الزيادة

الهائلة في عدد السكان في المدن الكبيرة أدت إلى هذا النقص الغريب في التمايز الفردي في أزيائنا، ولم تعد لدينا فرصة لفعل ذلك في الخارج، قمنا بتطوير فكرة التمايز الفردي الداخلي، أي الفردانية. ليس لدينا عباءات وجلابيب هنا كما لديكم في جامعاتكم الإنكليزية والأمريكية، وكما يوجد في ألمانيا وإيطاليا. لكن هذه الأشياء ستزول أيضاً لأنها ترجع بشكل كبير إلى القرون الوسطى؛ هي لا تتناسب مع النمط الحديث. ستتخذ كلها الشكل الانطوائي وتختفي في اللاوعي. ثم تعود من جديد بطريقة أخرى على هيئة تمايز داخلي. هذه الأشياء كلها مرتبطة معاً.

سنتحول الآن إلى سؤال أكثر صعوبة من الآنسة حنّة: "فيما يخص الفقرة التي تنتهي بعبارة 'إنّ الفرد ذاته هو آخر الابتكارات' أود أن أسأل:

(*1*) هل تعتقد أن القوة الإبداعية تقرر شكل الإبداع، أم أن الفنان لديه خيار معين فيما إذا كان سيتم استخدام هذه القوة بشكل ذاتي أم موضوعي؟

(*2*) بافتراض أن لديه ذلك الخيار، وقرر استخدامه ذاتياً، هل تعتقد أنه سيشعر بأية حاجة إضافية للإبداع خارج ذاته؟"

يجب أن أسأل ما هو الخيار الآخر. إذا لم يستطع المبدع أن يُبدع خارج ذاته، فما الذي سيفعله؟

الآنسة حنّة: أعني، هل يستطيع استخدامه في عملية التفرّد؟ يقول نيتشه إن آخر شيء تم اختراعه هو الفرد، وأودّ أن أعرف إذا كانت العملية كلها يمكن تحويلها إلى الداخل طوعياً – أم أن ذلك حدث بتأثير قوى إبداعية؟

الدكتور يونغ: تقرر القوى الإبداعية أي شكل من أشكال الإبداع، طالما أنه ليس هناك وعي يستطيع اتخاذ القرار. فلدى الوعي كمية معينة من الطاقة الجنسية التي يمكن التخلّص منها، لذلك نستطيع أن نضع قيمة

معينة اعتباطية على شيء يمكننا تقييمه كما يقول نيتشه. فعندما يكون لدينا إرادة حرة، يمكننا القول عن شيء ما إنه ذو قيمة، أو يمكننا أن نختار ونتخذ قراراً معيناً بين إمكانيتين. لكن عندما يكون وعينا ضعيفاً تكون إرادتنا الحرة ضعيفة. نحن لا نعرف مدى الضعف لأننا لا نستطيع القياس، لكن يمكننا فقط أن نقول إن لدينا إرادة حرة أكثر من البدائيين إذا كان لدينا وعي أكثر من البدائيين. لقد طوّرنا مَلَكَة التمييز. وأصبح وعينا أكثر اتساعاً. لقد انتزعنا من اللاوعي كمية كبيرة من "الليبيدو" لكي يكون لدينا بالفعل شيئاً يشبه الإرادة الحرة إلى حد ما. فبقدر ما يكون لدى الفنان إرادة حرة، يمكنه اختيار الشكل؛ يمكنه توجيه القوة الإبداعية إلى حد معين، اعتماداً على درجة قوتها أو كثافتها. إذ يمكن مقارنة القوة الإبداعية بالنهر. إذا تدفق النهر بانسياب عبر السهل، وكان اندفاعه بسيطاً، يمكنك التعامل معه وتحويله إلى مسارات وقنوات مختلفة. لكن إذا كان النهر مندفعاً عبر ممر ضيق بقوة هائلة، لا يمكن أن تفعل الكثير. سيختار النهر في هذه الحالة شكله الخاص بغض النظر عن إرادتك الحرّة. ونستطيع باستخدام وسائلنا الحديثة أن نبني أنظمة قوّة تسيطر حتى على نهر جامح؛ يمكننا ترويض هذا التيار الجامح إذا أنفقنا ما يكفي من الوقت والطاقة على العمل، لكنه يتطلّب قدراً هائلاً من الإرادة الحرة. ثم هناك بالتأكيد حالات لا نستطيع فيها تقييد الدافع الإبداعي حيث ينفجر ويعمل وكأنه ثوران بركاني؛ يختار دوماً مساره الخاص في هذه الحالة. فقط حيث يتدفق النهر بهدوء، نستطيع بسهولة بناء قنوات وسدود دون أن نخاف من أنه سيدمر كل شيء؛ يمكننا أن نعطيه الشكل الذي نختاره بالإرادة الحرة. وإذا كان لدينا ذلك الخيار، نستطيع استخدام الطاقة الإبداعية هنا أو هناك؛ يمكننا بناء قناة على يسار النهر ونروي الصحراء هناك، ربما نفضل أن نروي الصحراء على جهة اليمين. وبالتالي إذا كنت تستطيع أن تمنح

الدافع الإبداعي شكلاً ما، فيمكنك اختيار هذا الشكل، ويمكنك أن تقرر هل سيكون شكلاً داخلياً أم خارجياً، ودائماً شريطة أن تساعد طبيعة هذا الدافع الإبداعي في العملية. والآن، بافتراض أن نهر قواك الإبداعية هادئ جداً وتستطيع التحكّم به، يمكنك عندئذٍ حتى أن تطبقه على الشكل الداخلي، وهو بالأحرى تطبيق غير عادي. لكن قد يحدث أيضاً أن تختار القوة الإبداعية الشكل الداخلي بدلاً من الخارجي – هذا ممكن أيضاً، وعندئذٍ لن يظهر على السطح إطلاقاً.

الآنسة حنّة: هذا ما يقوله نيتشه بطريقة أو بأخرى، أليس كذلك؟ أليست "روح العصر – *Zeitgeist*" هي التي توجّه "الليبيدو" إلى الداخل؟

الدكتور يونغ: هذا موضع شك. عندما قال إن الناس كانوا مبدعين في البداية، كان يقصد الأزمنة البدائية حيث كان هناك القليل من الوعي والإرادة الحرة. وهو محق في ذلك، ويمكننا أن نراه. لقد زيّنوا أسلحتهم وزوارقهم وعملوا دون وعي تقريباً. ونذكر على سبيل المثال تلك القصّة الشهيرة عن البدائي الذي كان يصنع قاربه بإتقان شديد، وعندما كان يصل إلى النهاية الأخرى تكون البداية قد تعفّنت – بقي يتابع العمل فيه على مدى سنوات. فالمبدع البدائي لا ينتبه للحقائق الطبيعية؛ عندما يبقى الخشب معرّضاً للشمس والمطر لسنوات، فسوف يتعفّن بطبيعة الحال، لكنه لم يفكر بذلك لأن امتلاك قارب مناسب لم يكن غايته. أنا على ثقة تامة أنه كان يستخدم القارب دوماً لكن لم يكن قارباً مزيناً، ثم خطرت بذهنه فكرة امتلاك قارب رائع خاص به، وبدأ بصنع زخرفة متقنه له؛ وهكذا تابع العمل على مدى سنوات بينما كانت النهاية الأخرى تتعفّن؛ هذا هو المبدع البدائي. لذلك يمكن القول: "***شعوباً كان المبدعون أوّلاً، ثمّ أفراداً***"، لأن اللاوعي يستخدمهم كأدوات. فكما يستخدم المبدع أدواته، يستخدم اللاوعي المبدع كأداة فائقة. ومع تطوّر الشعب لاحقاً، أصبح واعياً لكونه "أنا"، وأن

في داخله شيئاً كان مختلفاً عن الآخرين؛ لكن قبل ذلك الوقت كان الشعب يعيش حالة فوضى.

إذا عدت بالذاكرة إلى طفولتك، ربما تتذكر تلك اللحظات التي أصبحت فيها "أنا"، وعرفت من أنت. أنا أتذكر تلك اللحظات جيداً. عندما كنت في عامي الحادي عشر، أتذكر أنني قلت في نفسي: "أنا موجود الآن". وعندما نظرت إلى الخلف كان هناك فوضى، وعرفت أن الأنا موجودة بينها. وعرفت أشياء كثيرة حدثت، وقد حدثت "الأنا" بينها، لكن ذلك كان فيما مضى، ولم يعد هناك أنا. وفي أحد الأيام عادت مجدداً وأصبحت الأنا موجودة، هناك من يفعل شيئاً، وهناك من يعرف أن ذلك العمل قد تم إنجازه. أنا مجرّد "أنا"، أنا عبارة عن "الأنا" الوحيدة. سمعت كثيراً عن أناس يتذكرون اللحظة التي أصبحوا واعين فيها – أحياناً لاحقاً، وأحياناً سابقاً – وهذا ببساطة تكرار لما حدث في تاريخ الجنس البشري؛ في عمر معين، يصبح الناس واعين لوجودهم.[1] إنه شعور غريب أن تتنقّل بين بدائيين عاشوا كما عشتَ عندما كنتَ في السادسة من العمر؛ هم يشبهون الأطفال، بدون أية استمرارية من أي نوع كانت. يحبون شيئاً ما بمودة كبيرة في لحظة معينة، ثم يقتلونه في اللحظة التالية؛ ثم يندمون ويشعرون بالأسف. ليس هناك ثبات ولا استمرارية "للأنا"؛ كانوا دوماً شيئاً آخر، ولم يكونوا بالطريقة ذاتها. عندما يكونون أطفالاً، فهم ليسوا سوى أطفال. وعندما يكونون بالغين، ليسوا سوى بالغين. وعندما يكونون عجائز، فهم عجائز ولا شيء آخر. لذلك، ترى بين الشعوب البدائية والوحشية الأداء الأكثر روعة وتأثيراً للرجولة والشباب والشيخوخة؛ من الرائع أن تشاهد رجلاً عجوزاً أو امرأة

[1] يذكر يونغ في سيرته الذاتية اكتشافات متعددة وهو في عامه الحادي عشر كيف "وصل إلى ذاته"، ويتضمن ذلك أنه لم يكن شخصاً واحداً بل "عدداً من الأشخاص". انظر كتاب "ذكريات وأحلام وأفكار" صفحة 20، 32-35، 44-46.

عجوزاً، وكتتويج للحياة البيولوجية، فإن رجلاً في الثلاثين، أو امرأة في العشرين أو الخامسة والعشرين، هو حقاً مشهد. أحياناً يكون أطفالنا أشبه بالبالغين، ويكون البالغون لدينا أشبه بالأطفال والعجائز أحياناً. يمكن حتى أن نرى في وجوهنا ملامح الشباب المفرط، وملامح الرجولة، وملامح الشيخوخة؛ إنها مجموعة من فترات الحياة كلها لأننا أصبحنا عاجزين تقريباً عن تصديق أننا في الحاضر ولا شيء آخر. من النادر للغاية أن تكون في هذا المزاج.

إذا كنت في الحاضر بكلّيتك، فأنت كامل. لكن من الصعب للغاية أن تكتمل، لذلك نكون دوماً في كل مكان، هنا وهناك. من الصعب أن نحظى بلحظة نفكر فيها بشيء واحد – نحن نفكر دوماً بشيئين على الأقل، أو عشرة أشياء. هل حظيت بلحظة في حياتك، في أي نوع من العلاقات، استطعت أن تقول فيها: "أنا متكامل، أنا شخص واحد في ذاتي؟" لكن البدائي هكذا ولا شيء آخر؛ في حزنه وفي سعادته وفي حالات ألمه هو مكتمل. هل حظيت بلحظة في حياتك استطعت أن تقول فيها إنك عبارة عن فرح ولا شيء آخر؟ طبعاً لا. نحن ننظر إلى الفرح ونحاكمه ونكوّن آراء عنه، نعرف أن له بداية ونهاية وسبباً وتأثيراً، ونعرف ما قاله السيد فلان عنه. أنت لا ترى أي شيء من هذا القبيل لدى البدائيين، إذ يعيش الإنسان البدائي في اللحظة الحالية. يكون هنا والآن، يكون الأداء الكامل. المريض أو المتسوّل مكتمل بشكل مذهل؛ يمكن أن ترسم أي واحد منهم. الإيماءة، الترنيمة، الأفق كله، المزاج، كله مكتمل؛ ما يكونون عليه أمر لا لبس فيه. أما نحن فمثار شكّ. عندما يبكي البدائي يكون ذلك واضحاً تماماً، تكون صورة مميزة، لكن ماذا سنعرف عن البكاء إذا بكت امرأة من المجتمع الحديث؟

السيد أليمان: إذا أصابك ألم شديد في الأسنان ألا تعتقد بأنك ستكون كاملاً؟

الدكتور يونغ: هل أصابك يوماً؟ بالتأكيد، إذا كنا محبطين تماماً فإننا نظهر ذلك، لكن يحتاج الأمر إلى ظروف استثنائية للغاية؛ يحتاج إلى إدراك كامل. ذلك كله له علاقة بما كان يتحدث عنه نيتشه في الفقرة التي قرأتها سابقاً، "*كان المبدعون شعوباً أولاً، ثمّ أفراداً؛ وفي الحقيقة، إن الفرد ذاته هو آخر الابتكارات*". لكن الفرد عبارة عن انفصال، والانفصال يرجع بطبيعة الحال إلى شيء تم وضعه بين المرء ذاته والقطيع، وهذه وجهة نظر أخرى. يسبب هذا الأمر تفككاً فورياً طبعاً؛ باعتبارك ذرة من الاستمرارية، وفرداً من القطيع، فأنت لست شيئاً ولا تشعر بشيء سوى القطيع، لكن عندما تكون "أنا"، وعندما تكون وحدة منفصلة، تشعر بالفرق – أو لن تستطيع أن تكون وحدة منفصلة. لكن من خلال وعيك للوجود تحديداً، فأنت منفصل سلفاً؛ هناك تفكك سلفاً. من هنا تم فهم تفرّدك على أنه إثم: تلك هي الخطيئة الأصلية. كان شيئاً غير مقبول بالتأكيد، والإنسان البدائي يفهم دوماً الأشياء غير المقبولة على أنها إثم. عندما يسأل المبشّر رئيس القبيلة الزنجي عن الفرق بين الخير والشر يجيب: "أمر سيئ أن يأتي عدوي ويأخذ نسائي، وأمر جيد عندما آخذ نساءه". هذا هو المفهوم الأساسي عن الخير والشر، لأن الإنسان شعر دوماً بأن الانفصال عن الحالة الجمعية نوع من الضياع، وأسماه إثماً. لكن في زمن المسيح تقريباً، بدأ الناس يرون أن بالإمكان تقييم الأمر بطريقة مختلفة، وهذا يفسّر الانقسام المثير للاهتمام الذي وقع بين الآراء اللاهوتية والفلسفية حول تفسير أسطورة الفردوس: بمعنى، حول مسألة ما إذا كان الإله الذي خلق الإنسان على هذا الشكل من اللاوعي، كان إلهاً جيداً أم سيئاً.

اعتبر الغنوصيون هذا الإله شيطاناً مغروراً دونياً قليل الشأن خلقَ من غروره إنساناً غير كامل وغير واعٍ، وبالتالي كان شيئاً جيداً أن يتدخل إله

العوالم الروحانية الغريب بما يفعله الخالق، ويرسل ابنه إلى الفردوس على شكل أفعى ليخلّص الإنسان ويعلّمه الوعي. وهكذا فالخلاص ببساطة هو استمرار الانفصال والتمايز؛ هكذا تم فهم الخلاص باعتباره أمراً جيداً بقدر ما كان انفصالاً عن شيء شرير؛ تم فهمه من جانب التفرّد. في حين كانت وجهة نظر العهد القديم، وكذلك وجهة النظر المسيحية، إلى جانب الحالة الجمعية. اقتنع المسيحيون بأن الخالق كان جيداً، وبأن آدم وحواء كانا مجرّد أطفال مشاغبين لم يطيعوا قانون الآب، لكن الغنوصيين كانوا إلى جانب التفرّد فعلاً. ونيتشه، في فكرته عن الإنسان الأعلى، تابع ذلك المسار الذي يكون في أغلب الأحيان بعيداً عن الرأي الجمعي. لأن الرأي الجمعي كان، وسيكون دوماً، لمصلحة وجهة النظر التي تعتبر أن الأشياء جيدة عندما تكون كما هي فعلاً، وأن على المرء أن يتبعها ولا يكون مختلفاً؛ الهدف أن تكون الأشياء موحّدة دون انفصال. القمصان السوداء في إيطاليا تعني: ليس هناك تمييز؛ نحن عناصر في القطيع، ولا وجود لذواتنا الخاصة، لأن الله هو الخير، وهو يعرف جيداً لماذا طلب عدم تناول ثمار الشجرة. وبالتالي فإن جميع الناس الذين لا ينتمون إلى هذه العقيدة أشخاص سيئون بالضرورة. وقد قلّدت الأحزاب السياسية ما فعلته الكنيسة ومجموعات الرأي الجمعية كلها.

الآنسة حنّة: لا أزال لا أفهم تماماً مسألة التحول إلى الداخل، واستخدام القوة الإبداعية كلها في عملية التفرّد. ولو كان نيتشه قد فعل ذلك، وإذا كان قد فهمه، فهل كان سيستمرّ بالكتابة؟ وهل كان سيشعر بأية حاجة للوعظ به، وأن يصوغه بشكل ما؟

الدكتور يونغ: قلت إن ذلك مشروط بأن تسمح القوة الإبداعية بذلك. وهذه المسألة واردة. فمع كمية معينة من الإرادة الحرّة يمكنك أن تفعل ما تريد بطريقة أو بأخرى؛ تستطيع توجيه الدافع الإبداعي. لكن بما أنه

لا يمكن تحديد مقدار تلك الإرادة الحرة، وبما أن تلك الكمية قد تكون كبيرة أو صغيرة، فنحن لن نعرف. وما نعرفه غير كافٍ إطلاقاً. نعرف أننا لا نستطيع أن ننجح من خلال الإرادة الحرة. هي تصل إلى نقطة معينة ثم تعتمد على نعمة السماء، تعتمد على ما إذا كان الدافع الإبداعي يناسبها أم لا. إذا كان الدافع الإبداعي يناسب غايتك لاستخدامه في الداخل، يمكنك فعل ذلك لأن الدافع الإبداعي معك. بمعنى آخر، إذا أراد لاوعيك أن تطبق الدافع الإبداعي على الداخل حصراً، يمكنك فعل ذلك، لكن إذا لم يرغب، فليس هناك شيء في العالم يجعلك قادراً على فعل ذلك. يمكنك طبعاً أن تقود نفسك إلى الجنون، يمكنك أن تنفصل وتصبح غير حقيقي، لكنك ستدفع الثمن، ولن تصل إلى هدفك. أنت لا تستطيع إتمام ذلك دون مساعدة اللاوعي؛ إذا عارضته فسوف تفشل. لكن بما أن *هكذا تكلّم زارادشت* عبارة عن عمل إبداعي، فهو موجود وله أهمية خاصة لا يمكن إنكارها. تلك هي الطريقة التي نجح فيها، ولم يكن أمام نيتشه أي خيار، لكنه لم يرغب بأي شيء آخر. أراد أن يُؤلف كتاباً، ولم يفكر بتطبيق هذا الدافع الإبداعي على نفسه. في ثمانينات القرن التاسع عشر، ما من أحد كان يحلم بشيء كهذا، لأنه لم يكن هناك شيء في الداخل سوى الأمعاء والأحشاء.

الآنسة حنّة: ومع ذلك، طالما أنه أُصيب بالجنون، أعتقد أنه ربما كان قادراً على تحويله قليلاً في الداخل.

الدكتور يونغ: ربما! ما الذي كان سيحدث لو أن الرومان القدماء امتلكوا أسلحة نارية؟ ما الذي كان سينتج عن الغزو الألماني لإيطاليا لو كان لديهم غاز سام وأشياء من هذا القبيل؟ من الواضح أن بإمكاننا النظر إلى الأمر من مسافة زمنية والقول ربما اخترنا شيئاً مختلفاً. لكن لا تنسَ أننا نستفيد من أفكار نيتشه، نستفيد من أفكار جيل تأثّر به نيتشه بشكل

هائل، لذلك لدينا قدرة على التفكير والفعل. خلال مئة سنة، بعد أن يهضم الناس ما نسميه السيكولوجيا الحديثة، سيفكرون بشكل مختلف تماماً؛ سيكون لديهم وجهة نظر مختلفة.

السيدة باينز: اعتقدت أن السؤال كان حول فكرة ما إذا كان يجب أن نعتبر الكتاب عَرَضاً من أعراض تجربة داخلية غير مكتملة أم لا.

الدكتور يونغ: لا أظن أن الآنسة حنّة كانت تعني ذلك. يمكنك معالجة ***هكذا تكلم زارادشت*** كَعَرض إذا رغبت بذلك طبعاً. إنها وجهة نظر جريئة للغاية لكنها ممكنة؛ يمكن أن تسمي أي إبداع، حتى أكثر الأعمال الفنية كمالاً، مجرّد عَرَض لسيكولوجيا شخصية، لكن السؤال هو، هل وصلت إلى نتيجة مقنعة بفرضية كهذه؟ كما ترون، كلما كان الإبداع أكثر أهمية، تنخفض قدرتك على تخفيض قيمته إلى سيكولوجيا شخصية. حاول فرويد ذلك على سبيل المثال – حاولوا تخفيض عمل فني مثالي إلى سيكولوجيا شخصية غير كاملة لفنان. لكن لم ينتج أي شيء عن تدمير عمل فني.[1]

الآنسة حنّة: لكن إذا لم تستخدمه كعَرَض أنتجه أحدهم بل كإسقاط، فهل يمكن للفن الموضوعي الملموس أن يكون أول تخبّط للإنسان باتجاه التفرّد – مع افتراض أنه إذا تم تأطير الفرد، فستختفي الحاجة إلى الفن؟

الدكتور يونغ: هذا إذا لم تسمِّه ***فناً***، بل أسميته ***دافعاً إبداعياً***. لطالما كان الدافع الإبداعي صانع الفرد. لا يظهر الدافع الإبداعي في كل شخص

---

[1] الفنان مرة أخرى في الأساسيات هو انطوائي، ليس بعيداً عن أن يكون عُصابياً....... وبناءً عليه، ومثل أي شخص آخر لا يشعر بالرضا، يبتعد عن الواقع وينقل اهتماماته كلها، و"الطاقة الجنسية – الليبيدو" الخاص به أيضاً، إلى البنى المرغوبة لحياة أخيولاته، في حين أن الطريق قد يؤدي إلى العُصاب". كتاب "محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي – Introductory Lectures on Psycho-Analysis" (1916 – 1917)، المجلد السادس عشر، صفحة 376.

بالقوة ذاتها: يتم اختيار بعض الأفراد لأن لديهم موهبتهم الخاصة. يُبدعون شيئاً لافتاً ويصبحون مبتكرين، ويبرزون مثل بروميثيوس العجوز الآثم الكبير المناهض للآلهة. كان فردانياً وتمت معاقبته على ذلك، لكن كان مجبراً على التميّز من خلال دافعه الإبداعي. والدافع الإبداعي هو دائماً صانع الشخصية وهو يستخدم هذا الشكل الفرداني، وهذا التميز. لذلك من الضروري للغاية أثناء عملية التفرّد أن يصبح كل شخص واعياً لدافعه الإبداعي مهما كان هذا الدافع صغيراً.

الآنسة وولف: أعتقد أن الآنسة حنّة تتحدث عن مرحلة معينة من الدافع الإبداعي، فمن الممكن أن يتحول إلى الداخل في وقت محدد، لكن لا أعتقد أنه سيدوم إلى الأبد. لأن الإنسان لم يعش فعلاً في الداخل من أجل نفسه فقط؛ إنه وظيفة جمعية. قد يحتاج المبدع دافعه الإبداعي إلى مرحلة معينة لكي يبني شخصيته، لكنه سيحتاج إلى الآخرين بعد فترة معينة. سيؤلّف مرة أخرى كتباً أو يصبح فناناً، لأنه إذا عاش لنفسه فقط لن يكون سوى نصف إنسان.

الدكتور يونغ: علينا ألا نفهم أن الإنسان يتحوّل إلى نفسه فقط؛ وإلا فإن الفردانية ستؤدي إلى غياب كامل للفرد العاقل. لا بد أن يظهر مجدداً. في حالة الفنان المبدع فعلاً، يستمرّ بكونه الفنان المبدع لأن هذه هي الوسائل التي تربطه بالعالم الخارجي وتجعله يتواصل معه. ليس هناك هدف من التحوّل – الاختفاء – إذا لم تعد برسالة للناس في الخارج.

الآنسة حنّة: أول ما أثار انتباهي كان عبارة في إحدى رسائل "فان كوخ" يقول فيها إن المسيح تجاوز فترة النحت أو الرسم على الحجر، وقام بالعمل على البشرية مباشرة.[1]

---

[1] في رسالة إلى "إيمانويل برنارد" (حزيران – يونيو، 1888)، قال فان كوخ عن المسيح: "هذا الفنان المذهل الذي نتصوره كأداة بليدة، كشخص عُصابي بدماغ مهتلك، لم

الدكتور يونغ: مع أنها نقطة مثيرة للاهتمام، بل هي وجهة نظر فنان مع إشارة إلى المسيح. من الواضح تماماً أن المسيح لم يفكّر بالرسم. وأنا واثق أن شخصاً لديه مهنة أخرى قد يكون لديه الفكرة ذاتها؛ يمكن للطبيب مثلاً أن يقول إنه تخلى عن الممارسة العامة كلها وأصبح معالجاً نفسياً.

السيدة بانيز: يمكن للمرء أن يقول إنه لم ينزل إلى الرسم للتعبير عن طاقته الإبداعية.

الدكتور يونغ: ربما لم يكن لديه موهبة في هذا المجال. فقد كان "مانو" مثلاً، رساماً رائعاً مع أنه كان مؤسس دين؛ قيل إنه رسم لوحات جدارية لمعبدين. وفي التقاليد الفارسية الحديثة، لم يعد معروفاً باعتباره مؤسس دين بل فقط كرسام وفنان عظيم. كان لديه قوة إبداعية مميزة اتخذت أشكالاً عديدة، وأنا أفترض أنه كان بإمكانه التعبير عن فنه بأشكال مختلفة – في حين أنه في زمن المسيح كان المجال الذي يمكن التعبير فيه عن الطاقة الإبداعية محدوداً بالشكل الفردي. لكن ذلك كله شكل من أشكال القدر؛ لا نستطيع أن نتوقع أشياء من هذا القبيل. من غير المجدي إطلاقاً القول إن المسيح كان متجاوزاً هذه المرحلة؛ وبالطريقة ذاتها من غير المجدي القول إن شوبنهاور وكانط كانا متجاوزين المرحلة التي يمكنهما فيها التعبير عن نفسيهما بالنحت أو ما شابه ذلك.

نحن لا نزال عالقين عند هذه النقطة الهامة التي تقول: "*إنّ الفرد ذاته هو آخر الابتكارات*". لكن لا يمكننا أن نعالج هنا مفهوم نيتشه عن الفرد بطريقة حديثة؛ علينا الرجوع إلى ثمانينات القرن التاسع عشر لكي نفهم ما يعنيه. فهو لم يبدأ الكلام عن الفرد إلا في الفترة التي بدؤوا يتحدثون فيها

ينحت تماثيل ولم يرسم لوحات ولم يؤلف كتباً؛ لقد تحدث بوضوح كافٍ عما كان يفعله – عن رجال أحياء، وكائنات خالدة". "رسائل فان كوخ – The Letters of van Gogh"، ترجمة دوغلاس لورد (نيويورك، 1938).

عن الأعراق والأنواع والعائلات والحالات الجمعية كمفاهيم خاصة؛ مصطلح كهذا هو اختراع علمي يعني الفرد ضدّ القطيع. لم يستخدموا مصطلحات كهذه إطلاقاً لو لم يكونوا يتصورون الأشياء بطريقة علمية. وبالتالي عندما كانوا يتحدثون عن الأنواع أو الأصناف، كانت الوحدات الأصغر فيها تُسمى أفراداً. فهذا الفرد المرئي كوحدة منفصلة، ووفقاً لما يقوله نيتشه، هو آخر الابتكارات. وقبل هذا الابتكار كان الوجود الحقيقي للوحدات الأكبر من عائلات وقبائل وعشائر، حيث لم يكن للفرد أية أهمية من أي نوع: كان الفرد إلى حد ما الطريقة العابرة التي ظهرت من خلالها الشعوب والطبقات والأمم. ولا تزال هذه فكرتنا إلى حد كبير؛ نحن لا نزال نفكر بطريقة إحصائية. يفكّر العقل العلمي تحديداً بالأعداد الكبيرة؛ أثناء معالجة أية مشكلة اجتماعية كمشكلة النظافة العامة مثلاً، يقولون إن نسبة معينة بالألف تعيش حياة معينة، أو ثلاثة أشخاص من كل مئة يعانون من حالة كذا وكذا، أو يوجد في المملكة المتحدة عدد من الأشخاص الذين يموتون بسبب حوادث السيارات شهرياً – أو يموت ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف شخص في الولايات المتحدة بالسبب ذاته. فذلك المفهوم عن الفرد هو ما يعنيه نيتشه.

إن فكرتنا الحديثة عن الفرد مختلفة تماماً عن تلك الطريقة الإحصائية لتصوّر الإشكالات. فنحن ننظر إلى الفرد من الداخل، وعندئذٍ هذا الفرد يعني الإنسان، الإنسان الذاتي، يصبح الإنسان الفرد أشبه بعالم مصغّر وليس ذرة في سلسلة مستمرة. لذلك فإن مفهومنا السيكولوجي عن الفرد، مقارنة مع ما كان في ثمانينات القرن التاسع عشر، يبدو وكأنه مبالغة غير عادية. عندما كان ذلك العصر مزدهراً للغاية، لم يكن الفرد طبعاً أكثر من شيء اخترعته الطبيعة، وكان الهدف الرئيس من الحياة كلها هو حياة الأنواع؛ لم يكن الفرد أكثر من خلية في جسد. وعلاوة على ذلك، ليس لدى

الفرد أي شيء. ليس في داخله سوى النفس الواعية؛ كل ما تبقى مجرّد جسد. فتلك الفترة لم تكن قادرة على رؤية الفرد كعالم مصغر على النقيض من فترة بداية العصور الوسطى التي سبقتها. حيث كان يُنظر إلى الفرد باعتباره عالماً مصغّراً، لكنهم شاهدوا بعد ذلك العالم الكبير – السماء والنجوم والكواكب والله باعتباره الروح القائدة للكون – وكان كل فرد انعكاساً لذلك الكمال؛ بدا الأمر كما لو أن الكون كله قد هبط في الكيان الفردي *للإنسان* وجعله عالماً مصغّراً.

لدينا الآن الفكرة ذاتها مرة أخرى، مع أنها مختلفة للغاية: بمعنى أننا اكتشفنا العالم المصغر في الفرد باعتباره أصل العالم الكبير. تقوم فكرتنا على أنه كما نجد أفكاراً نموذجية بدئية في الإنسان، تجدها أيضاً في الكون، لكن الإنسان وضعها هناك: هي لم تكن هناك من قبل. فالمجموعات النجمية في السموات كان لها وجود دائم ذو مغزى بالنسبة إلى إنسان القرون الوسطى. والله نفسه عبّر عن قدراته وقوته في تلك المجموعات النجمية، وجعلها موجودة في الإنسان أيضاً؛ لقد خلق الله الإنسان كعالم مصغّر. يمكننا أن نقلب هذا الأمر كله ونقول إن الإنسان الفرد كان أصل ذلك الكون؛ نحن نرى الكون يعتمد على الإنسان بشكل كبير. إنه يملأ هذا الكون بالمعنى، لكن ليس له أي معنى في ذاته؛ حتى إنه من غير المجدي إطلاقاً أن تسأل ما إذا كان أبدياً. كما أننا مقتنعون تماماً أنه ليس أبدياً في شكله الحالي. إذ ليس هناك من أبراج نجمية خالدة، لأنها كانت تغير مواقعها على مدى قرون طويلة. وبالتالي فإن ما كان يُعتبر حقيقة أبدية لا ريب فيها بالنسبة للإنسان البدائي، أي الطبيعة الثابتة للإشارات المرتبطة بالأبراج، كان حقيقة نسبية بالنسبة إلينا؛ نحن نعرف أن هذه النجوم ستغيّر مواقعها مع الزمن، وسيتخذ الكون هيئة مختلفة تماماً؛ إن وصفها "بالأبدية"، أو أن نسمها "برج الحوت" و"برج الجدي" وما إلى ذلك، هو

مجرّد إسقاط. لقد وجدنا الصور النموذجية البدئية في الإنسان، لكننا جعلناها مستمدة من تركيبة الإنسان بدلاً من أن تكون مستمدّة من الكون الكبير. ولا أريد الآن مناقشة القضية الفلسفية البعيدة الشائكة التي تسأل "من هو الأقدم، البيضة أم الدجاجة؟ وما أقوله إننا نميل في عصرنا إلى التفكير بهذه الطريقة. طبعاً، ربما يُعتبر ذلك استمراراً للمادية، "الانتقال إلى الجهة المعاكسة"، والمبالغة في تقدير الفرد أمام الفترة التي كان فيها مستهلكاً بشكل كامل. هذا ممكن جداً، لكن حتى إذا كنا نعرف ذلك، لا نستطيع الهروب من وجهة نظر كهذه لأنها مفهوم ضروري في الوقت الحاضر. علينا أن نعيش هذا المفهوم، وأن نقبل به؛ لأن وجهة النظر هذه طبيعية في وقتنا الحالي.

السيد أليمان: ألا تشبه وجهة النظر هذه فكرة التضخم في الفرد؟

الدكتور يونغ: ستكون تضخماً إذا كان ظهورها في الوقت غير المناسب؛ لو ظهرت عام *1850* كان يمكن اعتبارها تضخماً.

السيد أليمان: نعم، بالنسبة للفرد، لكن أليس تضخماً للجميع أن تكون لديهم هذه الفكرة؟

الدكتور يونغ: حسناً، يمكن للنقد الفائق أن يسمي هذا تضخماً محتملاً للفرد. لكننا لا نسمح بوجود تضخم كهذا لأننا سنحرم أنفسنا حينها من الحياة الخاصة لعصرنا؛ علينا أن نفكر بطريقة معينة لنحوّل ما جعله الزمن الماضي سيئاً إلى شيء جيد. لا نستطيع الهروب من هذه القوانين؛ لن نشارك في حياة هذا العصر إذا فكّرنا بطريقة أخرى. إذا أصبح مناخ التفكير العام مقتنعاً تماماً وراضياً بفكرة أن الإنسان هو الذي يقيّم الأشياء، أو أن الكون يبدأ في الإنسان، عندئذٍ يمكن أن تسمح لنفسك بأن تتخذ طريقاً آخر وتسأل إذا كان هذا لا يُعتبر تضخماً. لكن بما أن قلّة من الناس في أيامنا هذه تولي جلّ اهتمامها للفرد، سيبغضون تضخّمك في كل

خطوة. تصادف في كل مكان أشخاصاً يقولون لك كم أنت بغيض لأنك تفكر كثيراً بالعقل البشري أو بما هو موجود بداخل الإنسان، فما هو الإنسان في نهاية المطاف؟ هذا الفرد في نص نيتشه هو جسر إلى الإنسان الأعلى؛ إنه الفرد الذي كان صالحاً في زمن المادية. ومع هذا الإنسان الأعلى يسير نيتشه نفسه في عملية تحوّل القيم هذه؛ هو يقول في هذا الفصل إن الإنسان هو صانع القيم. لقد صنع الإنسان الإشارات والرموز الأبدية؛ ربما صنعها "الله – الإنسان"؛ هي لم تأتِ من السماء. لذلك بدأ يتبنّى في حياته الشخصية الخاصة أفكار الميتافيزيقيا كلها دون وعي منه – الله قد مات. لقد ملأ الفرد بأشياء اعتدنا على وجودها في الكون، وهذا طبعاً نوع من التضخم طالما أن نيتشه لم يحتمل زمنه. كل شخص لديه فكرة جديدة يكون مهدداً بالتضخم دوماً. وإذا وضع نفسه فوق عصره، يصبح متضخماً بشكل فعلي طبعاً، لأنه لا يستطيع أن يرفع نفسه فوق سطح الأرض باستخدام الطائرة أو البالون. يستطيع أن يفعل ذلك فقط عبر نوع من التضخم. لذلك أقول إن النقد الفائق ضروري. إن انحيازنا وتطرفنا هو عبارة عن فكرتنا عن الفرد وهذا نوع من التضخم؛ لكن تذكر أن هذا تضخم طالما أنك في بالون. عندما ترتفع الأرض حتى تصل إليك، وعندما تقف مجدداً على سطح الأرض، لن يعود هناك تضخم. يمكن عندئذٍ أن تتخلى عنه لأن العالم قد انبثق: يوجد هناك تقدّم للوعي.

"لقد علّقت الشعوب ذات يوم لوح قوانين الخير فوقها. الحبّ الذي يبتغي سيطرة والحب الذي يبتغي طاعة هما اللذان ابتدعا معاً ذلك اللوح."

لوح قوانين الخير يعني طبعاً قائمة القيم أو دستور القيم، وهو يصرّح بأن الرغبة بالسيطرة، والرغبة بالطاعة هما المسؤولتان عن خلق هكذا قيم أخلاقية. لذلك يوجد هنا جزء هام من فلسفته الأخلاقية. لقد جعل الأخلاق والأحكام الأخلاقية مستمدة من إرادة القوة الغريزية.

السيد أليمان: أعتقد أنها ترجمة سيئة. الكلمة هنا هي "*Liebe*".[1]

الدكتور يونغ: نعم، لكن يمكن أن تقول إن "الليبيدو" يرغب بالسيطرة والطاعة، والليبيدو يرغب بالطاعة، وبالتالي تصل إلى الشيء ذاته. إنها رغبة السيطرة؛ في تسميته إياها "حباً"، يمنحها اسماً جيداً للغاية. وإذا تابعت في النص أو إذا قرأت كتاب "جينالوجيا الأخلاق"، ترى من الواضح تماماً أنه يستمدّ الأخلاق بشكل كامل من غريزة القوة بغض النظر ما إذا كانت الغريزة هي الحب أم لا. إنه يمنحها اسماً جميلاً بهذه اللغة الشعرية لأنه يشير هنا إلى حبّ الحياة والموقف الإيجابي منها؛ حتى الرغبة بالسيطرة أو الإجبار على الطاعة هو أمر إيجابي لأن متعة الحياة هي الحب، والحب متعة، وهو يرى أن المتعة أعمق بكثير من المعاناة. يأتي هذا الأمر لاحقاً في القصائد؛ في الفقرة الآتية لدينا متعة:

"إن المتعة التي يجدها المرء في القطيع أقدم من المتعة التي في الأنا:...."

يتشابه الحبّ مع المتعة إلى حدّ كبير: وهذا يعني قول "نعم" للحياة، والردّ الإيجابي على سؤال الوجود. ما إذا كان بإمكانك أن تستمدّ الأخلاق من إرادة القوة، أو ما إذا كان لديها أصل آخر هي وجهة نظر مثار شكّ. ويثير الشكّ أيضاً ما إذا كان للأخلاق أصل في الأساس، أو ما إذا لم تكن إحدى قوانين الوجود الأساسية الأصلية. فإذا قمت بتحليل القوانين الأخلاقية ستجد طبعاً قدراً معيناً مستمداً بوضوح من غريزة القوة. إذ يمكنك مثلاً تبجيل الوالدين أو طاعتهما أو طاعة السلطة على أنها مسألة قوة، لكن لا بدّ أن أعتبر هذا التفسير قصير النظر لأن من الواضح تماماً أنه مناسب – أو غائي - لمصلحة البلد. لا يمكن للمرء القول إن العجائز

[1] Liebe: الترجمة هي "الحب" بشكل دقيق تماماً. من الواضح أن السيد أليمان اعتقد أن يونغ يتحدث عن "الإرادة الحرة" كترجمة.

يطلبون التبجيل أو السلطة من أجل أهدافهم الأنانية الخاصة، لأن الجانب الآخر واضح للغاية: من المفيد أن يتمتّع أحدهم بالسلطة.

تستطيع أن ترى ذلك في حياة القبائل البدائية؛ سلطة العجائز هامة للغاية من أجل حياة القبيلة لدرجة أن البريطانيين بذلوا قصارى جهدهم لتعزيزها بأية وسيلة كانت. لقد تابعت عدداً من القضايا القانونية عندما كنت في أفريقيا. كنت مهتماً بالسياسة البريطانية في ذلك المجال، وكان هناك حالات أساء فيها شباب لقوانين قبيلة معينة كانت غير منطقية فعلاً، أو ربما حتى غير أخلاقية من وجهة النظر الأوروبية؛ لكن عندما اشتكى مجلس الحكماء إلى مفوّض المنطقة، تم اتخاذ القرار لصالح المجلس. وفي بعض الحالات فرض مجلس الحكماء عقوبات على عدد من أعضاء القبيلة حيث كان من الصعب تبريرها، ولم يكن الحق إلى جانبهم، لكن مفوّض المنطقة حكم لصالحهم من أجل حماية سلطتهم. ذلك لأن البريطانيين اكتشفوا أن القبائل التي تم تقويض سلطة حكمائها سرعان ما أصبحت جامحة؛ لقد تطوّر عنصر فوضوي أثّر على القبائل الأخرى وقوّض النظام العام في المستعمرة. لذلك حاولوا إعادة ترسيخ سلطة مجلس الحكماء عبر البلد كله بهدف الحفاظ على النظام البدائي قدر الإمكان. واكتشفتُ أن من المستحيل حكم تلك القبائل بالطريقة الأوروبية؛ ليس لديهم الفكرة ذاتها عن العدالة، ولديهم أخلاقيات مختلفة تماماً على الرغم من أنهم تأثّروا كثيراً بالمبشرين. وبطبيعة الحال، كان المبشرون بشكل أساسي هم من قوّض سلطة الحكماء لأنهم بأخلاقياتهم الملوثة، قاوموا قراراتهم بطريقة قصيرة النظر للغاية – إنهم يقدّمون لهم وجهة نظر مثالية لا يمكن تطبيقها على هؤلاء الناس أبداً لأنهم لا يفهمونها؛ إنهم يعتبرونها مجرد هراء.

في حالة كهذه، عندما يشعر أحدهم بكراهية وحسد مكبوت لا يستطيع التعبير عنه تجاه سلطة كبار السن مثلاً، يميل إلى تفسير قانون وجوب

تبجيل الأهل وطاعتهم باعتبارها غريزة أنانية من جانب الأهل؛ أو سيفهم الأمر بأنه يحقق مصلحة القبيلة، وبالتالي فإن من مصلحة الشاب احترام العجائز لأن ذلك قد يحافظ على استمرار حياة القبيلة الثقافية. وهكذا فإن القبائل التي فقدت قناعتها بالسلطة انحدرت إلى مستوى مجتمع فوضي متدنٍ للغاية، ولا يمكن لأي شيء أن يحافظ على النظام لديهم سوى الشرطة والبنادق. هكذا كانت الحالة في بعض مناطق أفريقيا، وبشكل أساسي أثناء عمل المبشرين الذين كان عليهم أن يتعاملوا مع الفوضويين. هكذا كانت الحالة في أوغندا، وهو ما كان يثير قلق إنكلترا عندما يثير أحدهم الغبار في أفريقيا؛ ثمة الكثير من الغبار الكامن في أفريقيا، وقد تشتعل النار يوماً. يخضع السودان لسيادة "أنجلو مصرية" مشتركة، وأوغندا عبارة عن مستعمرة فعلاً؛ لم يكن هناك اتصال حقيقي بينهما حتى فترة قصيرة. كان من الممكن للغاية بناء طريق جيد هناك، لكنهم تركوا ذلك البلد مدمراً؛ ليس هناك شيء سوى بلد قاحل مرعب تسكنه قبائل جامحة. لقد فعلوا ذلك عمداً لمنع انتقال العدوى من مصر إلى السودان ووسط أفريقيا عبر نهر النيل. إنهم يفضّلون عبور حركة المرور كلها من "مومباسا" على الشاطئ الشرقي حيث يمكنهم أن يحصلوا على كل ما يأتي من خلال الحفاظ على سيطرة قوية للغاية على المهاجرين. كل سكان بوغندا في أفريقيا خطرون للغاية.[1] قالوا إنهم ينتظرون وصول أعداد كافية لكي يهاجموا الهنود والأوروبيين. إنهم يكرهون الهنود حتى أكثر من الأوروبيين، حتى إنهم لا يهابون البنادق. تلك القبيلة بشكل خاص فقدت

[1] بوغندا هي جزء من أوغندا. امضى يونغ بضعة أيام في أوغندا عام 1925 في بعثة مع صديقين.

تنظيمها تماماً؛ لكنه شعب ذكي للغاية، ذكي لدرجة أنه لم يكن للتجار والمرابين الهندوس حظ جيد في بوغندا. كان لديهم أكثر من ذلك في مناطق أخرى.

الأخلاق شكل من أشكال الغريزة فعلاً أو هي قوانين تحكم الغرائز التي وُلِدَت مع الإنسان. إنها أشبه بجهاز دقيق مستمد من غريزة القوة أو أية غريزة أخرى؛ الأخلاق عبارة عن تعبير أو ترتيب لقوانين حيوانية تحكم حياة الجماعة. أنت لا تحتاج إلى أخلاق إذا كنت وحدك إذ ليس هناك حالة يمكن أن تستخدم الأخلاق فيها، لكن عندما تعيش ضمن جماعة، يبدأ القانون بالعمل؛ وكلما ازداد عدد سكان المدن، ازدادت القوانين تبايناً بسبب ازدياد الحالات التي يمكن أن يؤذي البشر فيها أحدهم الآخر. لذلك لدينا تطوير وتنقيح للقوانين، ولدينا تمايز في الأخلاق لم نعهده من قبل؛ تنقيح الوعي هذا ناتج ببساطة عن تزايد السكان في المراكز الكبرى. ونحن لن نصل إلى العدد المناسب إطلاقاً: لدينا الكثير للغاية أو القليل للغاية، لأن هذه هي النقطة التي لا يكون الإنسان واثقاً من نفسه فيها أبداً. فلم يحدث أبداً أن كانت هناك فترة في وجوده تزايدت فيها الأعداد إلى هذه الدرجة، وكان فيها تسهيلات للالتقاء والاحتكاك بينهم. سابقاً، كان يحتاج الأمر إلى سفر يومين أو ثلاثة للوصول إلى قريب كنت في شجار معه، وفي هذا الوقت كنت تنسى كل شيء عن ذلك، ولا تستطيع أن تتذكر سبب قدومك إلى هذا المكان ما لم يكن لهدف ممتع. لو احتاج كل شخص منا للمشي أسبوعاً كاملاً للوصول إلى زميل تشاجر معه، ستكون تلك نهاية الشجار.

الدكتور برتين: أليس هناك تناقض بين فكرة نيتشه التي تقول إن التقييم إبداع، والتقييم هو تعبير عن إرادة القوة؟

الدكتور يونغ: أنا لم أقل ذلك. كان بإمكانه الدفاع عن ذلك التناقض الظاهري بالقول إنه خُلِقَ من غريزة القوة. وكما يُفترض عادة، ربما تم اختراع كل غريزة بطريقة ما طالما أنه ليس لدينا تعبير مناسب للقوة الإبداعية. إنها مجهولة تماماً؛ وأنا لست قادراً على إعطاء أي تعريف مناسب "للقوة الإبداعية". إنها نوعية غريبة تظهر في الغرائز، في هذا الشكل أو ذاك، وهي مفهوم يقف على الحد تماماً وليس له انتماء واضح، وهو مفهوم ميتافيزيقي تقريباً. نحن نعرف فقط أنها موجودة، لكننا لا نعرف كيف يكون ذلك ممكناً. تماماً كما لا يمكن أن نفسر لماذا استطاع الإنسان فقط أن يكتشف النار والحماية باستخدام الأسلحة وما إلى ذلك.

لماذا لم تستطع الحيوانات اكتشاف النار؟ أو لماذا لا يرتدي شعب معين، كشعوب وسط استراليا، الملابس؟ الحرارة لا تفسر ذلك لأن الحرارة تقترب من الصفر ليلاً، ومع ذلك لا يرتدون الملابس؛ هم لم يبتكروها. كان لديهم كل الفرص لتغطية أنفسهم بفراء الحيوانات لكنهم لم يفعلوا؛ وهم يستلقون حول النار كالأفاعي المتجمدة من الصقيع، وينتظرون بحالة من فقدان الوعي حتى تشرق الشمس مجدداً وتدفئهم، ثم يعودون للحياة مجدداً. إنهم أكثر بدائية من أن يتمكنوا من اختراع أي شيء. بينما قبائل أخرى ومنذ زمن بعيد، كقبيلة "أوريغناسيان – *Aurignaciens*"[1] مثلاً، في أيام ما قبل التاريخ، التي نفترض أنها كنت في الواقع على نفس مستوى شعب أستراليا الأصلي، كانوا يرتدون ملابس. لقد عاشوا في مناخ أشد برودة من أستراليا، وربما استخدموا الفرو والجلود وعاشوا في مغاور؛ ربما لو كانوا في بلادنا لما تلاشوا بالمطلق. لذلك يعجز العلم عن تفسير هذه

[1] "Aurignacien": تشير إلى ثقافة العصر الحجري القديم العليا التي تحتوي آثاراً بشرية في أوساط مختلفة.

الحقيقة الغريبة التي اخترعها الإنسان. إذا استطعنا أن نرى ذلك فعلاً، نستطيع القول بالطريقة ذاتها إنه كان من المستحيل اختراع أي شيء؛ الشيء الوحيد الذي يثبت ذلك هو حقيقة أنه موجود.

"وطالما يظلّ الضمير المرتاح يعني القطيع فإنّ الضمير القلق وحده هو الذي يقول: أنا."

هذا تصريح هام جداً، وهو صحيح بالتأكيد. المتعة هي في القطيع، وهي أقدم من المتعة في "الأنا"، لأن المتعة في حالة البدائيين حالة جمعية حصراً. وهذا صحيح حتى بالنسبة إلينا. ثمة بشر لا يستطيعون الاستمتاع بأنفسهم عندما يكونون وحدهم – يكونون تعساء للغاية لدرجة أنهم يتجنبون أنفسهم – وعندما يكونون مجتمعين في قطيع يصبحون أشخاصاً مختلفين، فهذه حقيقة لا يزال بإمكانك مراقبتها، وهي بشرية بشكل نموذجي. عندما تكون في القطيع، يكون للجميع ضمير جيد، لأن كل ما تفعله هناك تفعله مع الآخرين؛ حتى لو فعلت أكثر الأشياء ترويعاً فلا بأس بذلك لأن الجميع يفعلونه. وإذا تبين غداً أن آخر صيحات الموضة في باريس هو أن تذهب النساء إلى العشاء عاريات تماماً، فسوف يفعلن ذلك؛ سيكون هناك طبعاً صدمة طفيفة عندما يظهرن في الصحف للمرة الأولى، لكن إذا ذهبت السيدة جونز عارية تماماً، أستطيع أن أذهب أنا أيضاً. لِمَ لا؟ لو أنهم استطاعوا في ثمانينات القرن التاسع عشر أن يروا كيف تظهر السيدات الآن بملابس الاستحمام، أو الطريقة التي يذهبن فيها للعشاء بظهورهن العارية بشكل كامل – كنّ مكشوفات في الواقع – لكان مصيرهم الموت بالسكتة الدماغية. لكن هذا ممكن تماماً، لأنه إذا تم فعل ذلك بشكل جماعي، يمكن أن تفعل ما ترغب به. بقدر ما توافق الجماعة على ذلك، لن يكون هنا ما هو سيئ؛ تكون حتى غير واعٍ ضمن حشد كبير. يبدو الأمر كما لو أنك غير موجود، وغير مهتم. لذلك لا توجد "الأنا" فعلاً إلا

بوجود ضمير سيئ – عندما تخطئ ضد ضمير صالح. أنت تتشارك في الضمير عندما تكون مع الجميع؛ لكن إذا فعلت شيئاً بنفسك، يكون لديك ضمير سيئ لأن البشر لا يشتركون فيه.

حتى إذا فعلت شيئاً لائقاً جداً، فأنت تخجل، وربما تتوقع أن تخجل لأنك منفصل: لقد ارتكبت الخطيئة الأصلية. إذا استطعت أن تقرر مشاركة كل ما تفكر فيه، وكل شيء شيطاني تشعر به، مع الآخرين – أعني هنا بقدر ما يتنازل الآخرون لمشاركتك بقذاراتهم أيضاً – تكون في حالة سهلة التبرير لأن الجميع في المستوى ذاته؛ يفعل الجميع الشيء ذاته وأنت تتخلّص من "الأنا". عندما تتخلّص من "الأنا"، بغضّ النظر عما إذا كان تصرّفك أخلاقياً أم لا، لا تعود مهتماً بأي شيء، وتستطيع أن تفعل أكثر الأشياء سخفاً ولا أخلاقية. كما تستطيع في الكنيسة الكاثوليكية أن تعترف وتنال الغفران حيث لا يعود هناك وخز ضمير، أي أنت لن تعود "أنا".

هنا يأتي السؤال الآتي: أيهما أفضل – ماذا ينبغي أن يكون؟ من الواضح أن هناك وجهتي نظر. يقول إله العهد القديم: "لا تكن 'أنا'، لا تأكل من تلك الشجرة، أو سترى كم أنت بلا وعي ومثير للشفقة، وكم هو الشيء الذي صنعته بنفسي مثير للشفقة". أما وجهة النظر الأخرى فهي: "كن واعياً قدر ما تستطيع، كن مسؤولاً عن نفسك، لأنك ستتجنّب بذلك الكثير من الشر ليس من نفسك فقط بل من محيطك أيضاً". ونحن لا نعرف الآن أيهما الصحيح. دائماً ما يكون القرار هو المهمة الخاصة بالوقت – ما إذا كنا مجبرين بهذه الطريقة أو تلك، بأن نكون أشخاصاً جمعيين أم فردانيين. أنا لا أستطيع أن أقرر في كثير من الحالات. لقد قلت لعدد كبير من الناس إن من الأفضل لهم أن يتخذوا طريقاً آخر. إذا كنت مهتماً بالكاثوليكية، أو كنت كاثوليكياً، ابق في حظيرة الكنيسة. أو انضم إلى هذه الحركة أو تلك، بحيث لا تعود فيها "أنا". أنا مقتنع تماماً بأن هناك عدداً كبيراً من البشر

الذين ليس لديهم نيّة بأن يكونوا "أنا"، والذين ينبغي أن يعيشوا في عالم يهوه العجوز الذي يكون كل شيء فيه مثالياً. لكن هناك عدداً آخر من الناس الذين ليس لديهم نيّة بأن يكونوا مثاليين ولا يمكنهم العيش في عالم يهوه العجوز.

المحاضرة الخامسة

13 تشرين الثاني – نوفمبر 1935

الدكتور يونغ:

وصلنا إلى الفقرة الآتية:

"في الحقيقة، إنّ "الأنا" الماكرة عديمة المحبّة، التي تريد مصلحتها الخاصة في مصلحة الجماعة؛ هي ليست أصل القطيع، بل انحطاطه."

يشرح نيتشه هنا أن "الأنا"،[1] باعتبارها وحدة منفصلة تسعى إلى مصلحتها الخاصة ضمن مصلحة الجماعة ليست أصل القطيع بل انحطاطه. هذا واضح تماماً: يكون القطيع موجوداً بقدر ما تكون "الأنا" الواعية غير موجودة. يتشكّل القطيع من وحدات بيولوجية لأن الوحدة فقط، أو الكائن الحي، هو من يحمل الحياة؛ إذ لا تظهر الحياة بهيئة عامة أو مطلقة بل ضمن وحدات بيولوجية حية. وهي لا تشكّل قطيعاً إلا بقدر ما تكون لاواعية لانفصالها. فعندما تصبح الوحدة الحيّة، أو الفرد، واعياً لانفصاله يتفرّق القطيع ويتوقف عن العمل. وهكذا بقدر ما يزداد وعي

---

[1] **كثيراً ما يتم الآن توضيح هذه النقطة، ولا سيما بين منتقدي الترجمة الإنكليزية لأعمال فرويد، بأن الكلمة الألمانية "ich" غالباً ما تعني "ضمير المتكلم – i" أكثر مما تعني "الأنا – Ego".**

الأفراد، يزداد انحسار القطيع، ويتم استبداله بما نسميه "مجتمعاً": هذا يعني أن النظام قام على اتفاقيات بين أفراد واعين. لذلك فإن الوعي الذاتي للفرد لا يدمّر الصلة بين البشر بل يدمّر العلاقة *غير الواعية* بينهم. لا يحدث تدمير المجتمع بسبب وعي الأفراد أو بسبب التفرّد، بل يحدث ذلك بسبب الأفراد غير الواعين وحسب. ومع ذلك يتم تدمير القطيع بسبب الأفراد الواعين.

حالما يكون هناك شخص واعٍ، يكون هناك أيضاً نظام قيم، لأن القيم تعني التميّز. في حال عدم وجود هذا الشخص الواعي، لن يظهر التميز، لكن إذا كان هناك ذلك الشخص الواعي يكون هناك إمكانية لوجود تميز في القيم والأهمية. إذا لم يكن هناك شخص واعٍ، لن يكون هناك تميز، لكن إذا كان هناك شخص واعٍ، يكون هناك أيضاً إمكانية لأن تتمايز القيم والأهمية. أن تكون واعياً يعني أن هناك تميزاً؛ لا وجود للوعي من دون التميز، لأنه يجب أن يكون الوعي موجوداً من أجل تمييز الذات عن الأشياء الأخرى. تجد في فلسفة أفلاطون مصطلحاً مناسباً للغاية للتعبير عن المبدأين: بمعنى أن الـ "*Tauton*"، وهي تعني حرفياً "الشيء ذاته"، وهو متطابق مع "الذات"؛ والمبدأ الثاني هو "*Thateron*" التي تعني "الآخر"،[1] الشيء الذي ليس "أنا"، ليس وعيي. إن وعيي هو "*Tautom*"، الشيء المتطابق مع ذاتي، وهدف وعيي هو الشيء الآخر. فعندما يكون هناك وعي، يكون هناك "*Tauton*" و"*Thateron*"؛ إذا لم يكن هناك وعي، فهي غير موجودة. بما أن هناك تطابقاً ذاتياً مع الشيء الآخر، فأنا خلقت التمايز

---

[1] "Tauton/ Thateron": ناقش أفلاطون في حواراته اللاحقة الشيء المطابق والشيء الآخر أو المختلف. انظر كتاب "محاورة بارمنيدس – Parmenides"، وكتاب "حوارات أفلاطون – التيتس – Theaetetus".

سلفاً: خلقت قيمة وأهمية. الـ "*Tautom*" يعني الأهمية، لأنها تعني التساوي مع ذاتي؛ والـ "*Thateron*"، هي أيضاً أهمية، أي ما هو مختلف، أو الشيء الآخر. وهي في الوقت نفسه شعور بالتمايز – أي الشيء الذي يكون مطابقاً هو شيء خاص بي. لديه عندئذٍ شعور بقيمة التطابق معي بينما "*Thateron*" هي الغريب أو الغرابة – هي الشيء الآخر - وهي الشعور بالتمايز. وهكذا فإن أصل الوعي هو أصل القيمة والأهمية، وتجد هذه المبادئ مصوغة بشكل جيد في الفلسفة المبكرة لأن أفلاطون كان قريباً من أصل الوعي الفلسفي.

لقد كان رجلاً قبل المسيحية، رجلاً من القرن الرابع قبل الميلاد، ومع ذلك كان هناك فلسفات أخرى قبله، وكان فلاسفة ما قبل السقراطية مهتمين بالعناصر أكثر من اهتمامهم بالوعي، ولا سيما فلاسفة الطبيعة مثل "إمبادوقليس – *Empedocl es*"؛ كان لديهم كثير من السذاجة فيما يخص الطبيعة أو العناصر الطبيعية، وكثير مما يمكن قوله عن الطريقة التي أتت بها الأشياء إلى الوجود وما إلى ذلك، وكانت كلها إسقاطات الفلسفة السقراطية والأفلاطونية اللاواعية. فمنذ القرن السادس إلى الرابع قبل الميلاد، كانت أفكار أفلاطون موجودة سلفاً لكن في لاوعي أولئك الفلاسفة؛ وقد أسقطوها على الطبيعة. ثم أصبح أفلاطون سيكولوجياً أكثر – من الصعب أن تفرّق بين سقراط وأفلاطون – ربما كان سقراط هو من اكتشف المصطلحات السيكولوجية الأولى. ونجد أن أفلاطون استخدم الفلسفة الطبيعية القديمة على شكل أسطورة. إن فكرة الإنسان البدائي الأفلاطوني التي لا تزال قوية حتى الآن هي رمز الذات، تلك "الكينونة المتميزة. هذا جزء من فلسفة كانت قبل مئة وخمسين سنة أو مئتي سنة قبل أفلاطون، عندما كانت الأفكار الأفلاطونية لا تزال هاجعة في اللاوعي،

ويروي أفلاطون قصة هذه "الكينونة المتميزة" كما لو أنها أسطورة. هذا مثال واضح عن الطريقة التي دخلت فيها أفكار كهذه إلى الوجود السيكولوجي. إذاً ليس هناك شيء عن تلك الفكرة المرتبطة بـ "*Tauton*" و"*Thateron*" في الفلسفات القديمة - لم تكن مهتمة بتلك الأفكار؛ ومع ذلك فقد وضعوا الاختلافات ذاتها بين العناصر، لكنهم لا يشملون أنفسهم. هم لا يستطيعون التفكير بتشابه أنفسهم، ووعيهم، ولا التفكير بكونهم متماهين مع أنفسهم؛ بل يضعونه في المادة كمبدأين متعاكسين. يمكن للمرء أن يقول تقريباً إن الفلسفة ما قبل السقراطية كانت على المستوى الموضوعي، وإن الفلسفة الأفلاطونية وصلت إلى المستوى الذاتي.

يرى المرء الشيء ذاته في رموز مسيحية معينة أو في رموز أخرى من الماضي يتم الآن تطبيقها بشكلها السيكولوجي، بينما كان يُنظر إليها في السابق كسمات للمادة. التميز الذي كان يحاول أفلاطون تطبيقه في هذين المبدأين كان يراه الفلاسفة القدماء وكأنه سمة جافة أو باردة أو رطبة أو دافئة للعنصر؛ إنهم يميزون العناصر ويقسّمونها إلى عناصر تتجاذب وأخرى تتنافر. لكن أفلاطون ربط التمايز بالوعي، أي من المكان الذي نشأ منه طبعاً. عندما تطور الوعي من اللاوعي العام، حدث انقسام في العالم كله، وأصبح العالم كله منقسماً. يمكن للمرء أن يقول إن التجربة البدائية لفجر الوعي، وانقسام روح العالم، لا تزال محفوظة في أسطورة أفلاطون. لقد قال إن "ديمرج – خالق الكون المادي" صنع العالم في البداية، ثم قام بفصله عرضياً. كانت فكرة أفلاطون أن هناك ثلاثة أشياء مع روح العالم، وهي عبارة عن ثلاثة محاور. قصّ ذلك الشيء من الوسط وحنى جزأين منه إلى الخلف على شكل عجلات، ثم دفع إحدى العجلتين بالأخرى بشكل غير مباشر، وعندما تنظر إلى تلك الدائرتين على طول سطحها المستوي، تراها

على شكل حرف "*X*". هذا عبارة عن "*chi*" أفلاطوني، وهو تقسيم رباعي للعالم.[1] يمكنك أن ترى ذلك في السماء في أجزاء أضواء الأبراج ودرب التبانة. هذه الرمزية الغريبة هي بقايا مثيولوجية للتجربة البدائية للانتقال إلى الوعي، كان هناك انقسام. يخلق المُبدع دوماً مفهوماً جديداً وسوية جديدة للوعي؛ إنه يعمل على توسيع الوعي، ويفتح عالماً جديداً أو قارة جديدة يضيفها إلى صورة العالم الموجود؛ وهكذا تم خلق القيمة والأهمية. لكن نيتشه غير مهتم بالأهمية في هذا الموقع؛ هو يهتم فقط بالشعور بقيمة الخير والشر. لكن لكي تجعله كاملاً، عليك أن تضيف إلى قيمة الخير والشر فرقاً جديداً وأهمية جديدة.

"كان أولئك الذين ظلّوا على الدوام يبتدعون الخير والشرّ محبّين مبتكرين"

الإبداع ليس محبة بالضرورة؛ المحبّة هي النموذج الشعوري للإبداع. تجمع المحبّة بين شيئين غير متجانسين يلتقيان في الإبداع. الإبداع هو انفجار طاقة، ومن دون الأضداد لا يوجد إبداع. وهكذا يمكن للمرء أن يقول المحبة هي الإبداع في الشعور.

"تلتهب نار المحبّة ونار الغضب في أسماء الفضائل كلها".

هذه عبارة شاعرية.

"رأى زارادشت بلداناً كثيرة وشعوباً كثيرة: هكذا اكتشف خير العديد من الشعوب وشرّها. ولم يجد على الأرض سلطة أقوى من أعمال المحبّين: "الخير" و"الشر" هو اسمها".

من الغريب أنه يصرّ على الشعور. لكن زارادشت هو من يفعل ذلك. فما هو المبرر السيكولوجي لذلك؟ لماذا لم يصرّ على الفهم؟

[1] يفكر يونغ بحوار أفلاطون بعنوان "تيمايوس – Timaeus".

السيدة كرولي: لأن الشعور هو جانب نيتشه الضعيف.

الدكتور يونغ: نعم، إنه حدسي وفكري بشكل رئيس، وبالتالي شعور ملوّث بالوظيفة الدونية. وبما أنه حدسي أكثر منه فكرياً، فالوظيفة الداخلية الحقيقية هي الإحساس لكنه مقترن بالشعور. لذلك، يصرّ زارادشت بشكل حصري على الشعور وبنسبة أقل على الأهمية. قيم المشاعر النموذجية هي طبعاً "الخير" و"الشر"، وليس الأهمية.

"حقاً، مِسخ فظيع هي سلطة هذا الإطراء وهذا اللوم."

لكن إذا كان هذا الإطراء وهذا اللوم هو الشعور بالقيم أو الأحكام، ويتم تنفيذه من خلال قيم الخير والشرّ، فإلى أي حد تصل قوة الإطراء واللوم لهذا الوحش؟

الدكتور بيرتين: إذا كان ذلك في اللاوعي أو في روابط "القرينة" يمكن أن يكون شبيهاً تماماً بالحيوان، تلك كانت حالة نيتشه إلى حد ما.

الدكتور يونغ: نعم، عندما تكون وظيفة الشعور دونية، أو المحاكمة الشعورية دونية، تكون في اللاوعي أو ملوّثة باللاوعي، ثم تتخذ صفات الوحش. إن مصطلح "*الوحش*" أو "*الوحشي*" هو إلى حدّ ما تلميح مستتر إلى تلوّث باللاوعي الجمعي. والآن ما هو الوحش؟

السيدة أدلر: إنه ليس واحداً بل مكوناً من عدد من الشخصيات.

الدكتور يونغ: نعم. الوحش النموذجي هو "الكمير – *chimaera*"، وهو أسد من الأمام وأفعى من الخلف وشبح في المنتصف؛ وهو وحش لأنه مزيج من عدة أشكال. وفي المجال الطبي يكون الوحش هو الطفل غير الطبيعي، أو عجل بخمسة أطراف وثلاثة رؤوس مثلاً. لذلك فإن اللاوعي وحشي لأنه يتضمن عدة متناقضات مع أنها ليست متناقضات بعد، لكن إذا كان للوعي أن يخرج إلى مكان ما وينظر إلى اللاوعي، فسيكتشف على الفور أن هذا الشيء كان وحشاً. لكن طالما أنك في الداخل، لا يمكن أن تراه.

الآنسة وولف: لا أعرف لماذا يجب على المرء أن يتحدث عن اللاوعي هنا. فمفاهيم "الخير" و"الشر" هي مجرّد عوامل جمعية، وبما أن نيتشه يتحدث عن الحالة الجمعية، أعتقد أنه يعني أن إصدار قوانين الخير والشر مشابه للوحش؛ لا أعتقد أن علينا الابتعاد إلى "القرينة" واللاوعي وما إلى ذلك.

الدكتور يونغ: علينا ذلك لأن مصطلح *وحش* يشير إلى مفاهيمه عن الخير والشرّ، وهي ليست وحشية بالضرورة لكنها وحشية بالمفهوم السيكولوجي. ففي "سفر أيوب" مثلاً، كان يرافق الله وحشان هما "البهيموث" و"الليفاثان"، وهما من الثنائيات المتناقضة. "البهيموث" حيوان أرضي من ذوات الدم الدافئ، و"الليفاثان" حيوان البحر العظيم الذي يملأ ثلثي المحيط. وهو عبارة عن "ماكارا – *makara*" في شاكرا "سفاديستانا"[1] والفكرة ذاتها موجودة في الأبنيشاد حيث يترافق "براهمان" مع وحشين. هذا الانفصال أو التمييز الذي يسببه الوعي هو من جهة أولى حقيقة ضعيفة الأهمية، وتغير بسيط في سطح العالم؛ ليس هاماً ما إذا قال أحدهم يوماً إن هذا الشيء خير وذلك شر – هذا لا يعني أي شيء على الإطلاق. لكن من جهة أخرى، أصل الوعي أو وجوده له معنى ميتافيزيقي كبير؛ إذا نظرنا إليه من وجهة النظر المثيولوجية أو الفلسفية أو الدينية، ويعني خلق الإنسان أو خلق الوعي الحقيقة الأكثر ثورية في الكون. إنه يعني فجر العالم، لأن العالم ليس له وجود ما لم يعرف الإنسان أن له وجوداً. وطبعاً يمكن القول إنه لا يؤثر على الكون إطلاقاً ما إذا كان الإنسان يعرف بوجوده أم لا – من المرجح جداً أنه ما من أحد في الكون ينزعج من حقيقة كهذه. لكن بالنسبة إلينا، بالنسبة إلى العالم الداخلي، من الهام للغاية أن نعرف أننا

---

[1] "makara" مخلوق أسطوري يشبه "سمكة – تمساح – دلفين" يتم تمثيله في نظام الكونداليني كجزء من "شاكرا سفاديستانا – svadhisthana chakra"، زهرة اللوتس، متوضعة في مركز الضفيرة الشمسية.

موجودون، وأن العالم موجود. وهكذا يمكن القول بالطريقة ذاتها إنه لا يهم ما هو العالم بحد ذاته، بل المهم فقط هو العالم الذي ندركه. وليس لدينا بالتأكيد أي مفهوم عن أي عالم آخر غير هذا العالم الذي نعيش فيه؛ ليس لدينا تواصل مع أي عالم آخر ليس ضمن وعينا، ولا يمكننا حتى أن نكون واثقين من أن هناك كوناً ليس لنا أية معلومات عنه. من غير المجدي إطلاقاً أن نتحدث عن عالم كهذا. لكن يمكننا القول بثقة إن هذا العالم هو "*العالم*" بالنسبة إلينا، وفي عالمنا هذا، هناك فرق كبير بين ما إذا كنا نعرف أننا موجودون أم لا. إن فلسفتنا وعلمنا وديننا يهتم بسمات عالمنا وتفاعلنا معه؛ نحن لن نبتعد عن ذلك أبداً ولا يمكننا تجاوزه.

لذلك فإن هذا الابتكار الصغير الذي صنعه الإنسان، أن يقسم الأشياء كلها إلى "خير" وشرّ" هو في الوقت نفسه ابتكار فيه شيء من الوحشية. هو شيء كبير جداً اخترق العالم وجعله ينقسم إلى خير وشرّ. وفكرة انقسام الكون إلى قوى إلهية سماوية وقوى ظلام تقبع في العالم السفلي تعود بأصلها إلى رحم الزمن. وأقول إن هذا الأمر فيه شيء من الوحشية فعلاً لأنها تمثل قوى اللاوعي الجمعي الوحشية دوماً. وكان نيتشه على حق عندما وصف سلطة هذا الإطراء وهذا اللوم بالمسخ الفظيع، بالأعجوبة؛ إطراء الإنسان وملامته قسّمت العالم، لذلك كانت سلطة وحشية. يمكن أن تقرأ في الأبنيشاد أن العالم أتى إلى الوجود من خلال صلاة: صلّى أحدهم فأتى العالم إلى الوجود؛ هم يعرفون أن العالم موجود لأنهم واعون تماماً لوجودهم. وظهر الخير والشر عندما وصف أحدهم شيئاً "بالخير" وشيئاً آخر "بالشر". تم استدعاء قوى هائلة إلى الوجود من خلال التصريح بهذه الكلمات، أي من خلال الفصل بين الثنائيات المتضادّة التي عاشت دوماً بسلام معاً في حالة بدائية. اعتقد الفلاسفة الإغريق القدماء أن الهيولى البدائية الأولى كانت عبارة عن حركة متأرجحة هادئة كحركة البحر، وتشبه

إيقاع تنفّس منتظم لم يحدث فيها أي شيء حتى تسبب أحدهم بالتبلور أو الانقسام، ومن ثم تم وضع الثنائيات المتضادّة إحداها مقابل الأخرى؛ حيث بدأت الثنائيات المتضادة بالصراع فيما بينها لحظة حدوث هذا الانقسام.[1] وهي تتمثل دوماً في الأحلام وفي الميثولوجيا بحيوانات ضخمة أو وحوش أو شياطين؛ لأن الشيطان أيضاً عبارة عن وحش له شخصية بشرية وحوافر وقرون وذيل.

لا يزال حتى وعينا الحديث ممثلاً بثنائيات وحوش متضادّة. وأتذكر هنا مريضة راودها حلم مثير للإعجاب إذ حلمت بأنها تستيقظ من حالة لاواعية؛ لم يكن باستطاعتها أن تفتح عينيها، لأن جفنيها كانا كالرصاص. لكنها بعد أن استطاعت أن تفتحهما تدريجياً وبجهد كبير رأت أنها تقف تحت شيء يشبه عمودين، وسطح فوقها. وبعد أن أصبحت واعية أكثر، وجدت وهي ترتعب أنها تقف بين ساقي فيل ضخم يعلوها، ويقف مقابلاً له فيل آخر ضخم مثله. كانا قد أوشكا على القتال بينما هي تقف بينهما. هذان هما وحشا الخير والشرّ. لكن ما الذي سبب الصراع بين هذين الحيوانين؟ إنهما هناك منذ الأزل، لكن الإنسان دخل بينهما الآن – جاء الوعي – وفي اللحظة التي رأت فيها مريضتي هذين المخلوقين، أوشك الفيلان أن يتقاتلا. وهنا قفزت من بين الساقين واستيقظت خائفة.

السيدة شيفل: أبو الهول عبارة عن وحش بجسد ثور وجناحي نسر، ومخالب أسد ورأس إنسان.

---

[1] في فقرة ربما اقتبسها يونغ بسعادة، كتب يونغ: "من خلال مبدأ الثنائيات المتضادة تحديداً والمشاعر التي تسببها يتطور الإنسان العظيم، ذلك القوس ذو التوتر الهائل" (كتاب 'إرادة القوة'، صفحة 967). وهما يتفقان أيضاً، على رسول المتضادات الإغريقي القديم: "أنا أميّز بإجلال كبير اسم هيراقليطس" (الشفق، المنطق في الفلسفة - ميّز بإجلال كبير اسم هيراقليطس) (كتاب "غسق الأوثان – Twilight of idols"، المنطق في الفلسفة).

الدكتور يونغ: نعم، هناك العديد من الوحوش المشابهة، ونذكر منها الحيوانات البابلية مثلاً.

السيدة باينز: هل تعني أنك عندما ترى هذه الثنائيات المتضادة في الكون، يكون ذلك مجرّد إسقاط؟

الدكتور يونغ: ليس إسقاطاً؛ هي موجودة دوماً لكنها لا تعمل إلا إذا تعرفت عليها. هي أشبه بأفكار المصريين القدماء عن "بتاح" خالق العالم؛ ما يقوله يصبح موجوداً. تقول فكرتنا العقلانية عن العالم إنه كان موجوداً دوماً لكنه غير موجود بالنسبة إلينا لأننا غير موجودين.

"أخبروني من سيحكم وثاق هذا المِسخ يا إخوتي؟ من سيُحكم الوثاق على هذه الألف رقبة؟"

هذا يعني كيف يمكن أن نتجاوز هذا الانقسام المرعب الذي يحدث في العالم كله؟

"لقد كان هناك ألف هدف إلى حدّ الآن، ثمّ كان هناك ألف شعب. ولم يظلّ ناقصاً سوى وثاق الألف رقبة؛ لا يزال ينقصنا الهدف الواحد. ما زالت الإنسانية تفتقر إلى هدف."

هذا هام جداً. المحاكمة الشعورية تسبب وجود القيم، والقيم النهائية هي قيم "الخير" و"الشرّ"، تلك الثنائية المتضادة التي تقسم العالم؛ وهكذا فالمحاكمة الشعورية تسبب الصراعات أيضاً. والسؤال الذي يخطر في الذهن هنا بطبيعة الحال هو: كيف يمكن تجاوز ذلك الصراع؟ كيف يمكن توحيد الثنائيات المتضادة؟ أي كيف يمكنك توحيد هذه الثنائيات من خلال هدف. إذا كان لديك هدف مطلق، فسينشأ خلال سعيك إليه شيء ثالث بين الثنائيات المتضادة يعمل على توحيدها. وهناك يمكن أن نفهم أن الهدف المطلق ليس هدفاً واحداً بل آلاف الأهداف في إشارة إلى مثاليات الشعوب المختلفة، وأفكارها الدينية والفلسفية بشكل رئيس. وقد يتوقع المرء أن الصراع الكوني أو الميتافيزيقي بين الخير والشرّ له شكل واحد

فقط، وأنه سيكون هناك إجابة واحدة عليه، أو هدف واحد له. فلا نستطيع أن نتخيّل أنه يمكن أن تكون هنا سوى إجابة واحدة على هذا الصراع الواحد؛ لأنه إذا كان هناك إجابات كثيرة ممكنة، فإن صراع الخير والشر ليس واحداً بل عدة صراعات، ولديه أوجه عديدة يمكن الإجابات عليها بعدة جوانب: وبالتالي فإنه ما من هدف، ولا رمز يمكن أن يخمده على الإطلاق. إنه أشبه بمرض له سمات كثيرة لا يمكن الوصول إليها لتطبيق العلاج، وهناك ألف علاج؛ عندما تكتشف في كتابك المدرسي وجود مئة علاج لمرض معين، تعرف أن المرض غير قابل للشفاء؛ لو كان الأمر بسيطاً، لكانت الإجابة بسيطة.

وهنا يبدأ نيتشه بفكرة مفادها أن هذا ليس شيئاً سهلاً بالتأكيد، لا بدّ أن هناك عدة جوانب، وبالتالي أُعطيت آلاف الإجابات غير المرضية حتى الآن. وإدراك أن مشكلة الخير والشر هي مشكلة واحدة، وأنها هي *المشكلة*، يوجب أن يكون هناك إجابة واحدة، وهدف واحد، وينبغي أن يكون هذا الهدف نيراً في آلاف الأعناق. لكنْ هذا الهدف مفقود، وبقدر ما يكون هذا الرمز التوحيدي أو التوفيقي مفقوداً، لن يكون للإنسان هدف. لقد أدرك بوضوح تام هنا أن هناك سؤالاً واحداً وإجابة واحدة عليه، لكن الإنسان لم يجده.

"لكن قولوا لي يا إخوتي: إذا كانت الإنسانية تفتقر بعد إلى الهدف، ألا تفتقر أيضاً – إلى ذاتها؟"

هكذا تكلّم زارادشت.

بما أن الهدف هو الإجابة على خلاف كبير، ولم تُعرف هذه الإجابة أو هي غير ممكنة، فقد فشلت البشرية في إثبات وجودها الفاعل بين فيلين ضخمين. وطالما أن مريضتي الحاملة لا تستطيع إثبات وجودها أو الخروج من بين سيقان الفيلة الهائجة، فسوف يتم سحقها بشكل كامل. يجب أن تثبت وجودها بين هذين الحيوانين لتعطي الإجابة على هذا الخلاف الكبير،

وتكون هي الرمز التوفيقي. عليها إبعاد هذين الفيلين المتصارعين أو أن تسمو فوق ذلك الصراع المرعب وتُثبت أن إنسانيتها فوق صراع الحيونات. ستكون موجودة بقدر ما تستطيع تقديم تلك الإجابة. لذلك يتساءل نيتشه ما إذا كان هناك شيء اسمه بشرية، لأن البشرية لم تقدّم الإجابة على ذلك الخلاف الهائل.

نصل الآن إلى الفصل التالي بعنوان "عن محبّة القريب"، وعلينا أيضاً أن نحاول تأكيد الرابط. لقد اختتم الفصل السابق بسؤال عن الهدف الواحد. ولا تزال الإجابة الواحدة على المشكلة الواحدة مفقودة، وقد وصل الآن إلى مشكلة محبة الإنسان لقريبه. فما هو الرابط؟

السيدة ويتني: من أجل شيء واحد، لقد حاولنا التملّص من مشكلة الثنائيات المتضادة عبر الصيغة المسيحية.

الدكتور يونغ: تماماً. حاولنا الهروب من هذه المشكلة المرعبة من خلال الموقف المسيحي الشهير "أَحِبَّ قَرِيبَكَ..."، وتوقفنا عند هذه النقطة لأن تتمة الجملة، وهي كلمة ".... كَنَفْسِكَ"، غير موجودة. لذلك فقد أصبح الحب المسيحي ذريعة، وأصبح أسهل وسيلة للهروب من الذات. يرى المرء ذلك في كتاب شائع للغاية في أيامنا هذه ولا داعي لذكره الآن. فالصراع بين الخير والشر هو بطبيعة الحالة صراع في نفسك؛ يبدو الأمر كما لو أن في داخلك وحشين من وحوش الأرض الهائلة، أو كما لو أن ذاتك وحش برأسين. ما نخاف منه ولا نريد رؤيته هو أنه لا وجود لشيء خيّر فينا لا يقابله شيء شرير، وأن حياتنا كلها خاضعة لتأثير هاتين القوتين. ليس هناك من طريقة لإثبات أننا خيرون بالمطلق، أو ليس لدينا سوى الغايات الخيّرة؛ علينا الاعتراف بأن هناك ظلاً هائل الحجم ومطابقاً للجانب الآخر. فعندما نعرف ذلك، لا يعود بإمكان المرء بطبيعة الحال أن يعتزّ بأوهامه حول شخصيته الرائعة. إذ يسمع المرء في كل مكان عبارة: "أردت دائماً أن أقدّم أفضل ما لدي، لكن هذا يعني: "أنا لم أقدم أفضل ما لدي بالتأكيد".

إنه إعلان هزيمة. عندما يتحدث شخص بهذه الصيغة، يدير الآخرون وجوههم ببساطة ويبحثون عن القريب أو الجار. يبدو الأمر كما لو أنه ارتكب "زلّة اجتماعية"، بقوله شيئاً لم يكن عليه قوله، ثم يقول آخر: "جيد، أليس الجو رائعاً هذا اليوم؟" كمحاولة لتغيير الموضوع. أو يحدث في اجتماع حيوي أن يدلي أحدهم بملاحظة صحيحة لكنها محرجة، ثم يفتح أحدهم النوافذ لإخراج روح الحق الشريرة.

تكمن مشكلة مسيحيتنا الحقيقية في أنها نسيت أن الإنسان شيء فاسد للغاية. والحقيقة التي توصلنا إليها اليوم تعتبر الإنسان لائقاً وجيداً إلى حد ما لكن هذا ليس صحيحاً. كان المسيحيون الأوائل في موقع أفضل بكثير لأنهم عرفوا أنهم فاسدون؛ استطاعوا أن يروا ذلك كل يوم من الحالات الظاهرة أمامهم. ربما تتذكرون ذلك المثال الرائع في كتاب أوغسطين بعنوان "اعترافات". يذكر أن صديقه "أليبيوس" كان مسيحياً صالحاً، وعندما ذهب إلى السيرك حيث تُقام حلبات المصارعة، أغمض عينيه حتى لا تريا تلك المشاهد الفظيعة. وعندما سقط أحد الرجال وعلت صيحات آلاف المتفرجين المهللين للبطل، لم يستطع منع نفسه من النظر والانضمام بسرعة إلى المشهد، والعودة مجدداً إلى الصراخ والتصرّف كحيوان بري. لقد فقد رحمته كلها.[1] كان ذلك مشهداً يومياً، إذ لم يكن للمسيحيين الأوائل بالتأكيد أي مبرر ليكونوا واهمين حيال أمر كهذا. لكن الظروف أصبحت أكثر استقراراً وسلاماً لاحقاً، وأصبح بإمكاننا أن نسمح لأنفسنا أن نعتني بحديقة غرسناها بأوهامنا عن صلاح الإنسان وسلامه الأبدي وما إلى ذلك من ترّهات. وعند أقل استفزاز، تظهر أوهام جديدة. بعد أن انتهت الحرب مباشرة، قال الجميع: "نحن الآن في طريقنا إلى سلام أبدي، سيصبح الناس الآن عقلانيين". لكن راقب تلك اللعنة التي حلّت علينا الآن!

---

[1] انظر الكتاب السادس، الصفحة 8.

هذا هو الإنسان، وهذه هي مسيحيتنا. نقول إننا نحبّ أقرباءنا. لكن عندما يقول أحدهم لي: "أحبك"، أقول له: "من يحبني؟" من هو ذلك الشخص الذي يحبني؟" عندما يأتي قاطع طريق مثلاً، أعرف أنه يحب ما في جيبي. هذا مشابه تماماً لما تفعله قبيلة "الشلك" عندما تقتل أفراس النهر على ضفاف النيل. يقطع أفراد القبيلة أحشاءه، ثم يزحف أحدهم داخل معدته ويصلّي لنخاعه الشوكي حيث يُفترض أن تكون روحه: "يا فرس النهر العزيز، لا تعتقد بأننا نكرهك لأن لحمك جيد بالنسبة إلينا؛ لا تخبر أفراس النهر الأخرى أننا قتلناك كراهية؛ لقد قتلناك من أجل الحب، ولأننا نحب لحمك. إذا أخبرت أفراس النهر الأخرى أننا نكرهك، فسوف يهربون ولا نحظى بالمزيد من اللحم".[1] لقد نسي المسيحيون الصالحون تماماً أن السؤال المطروح هو: من يفعل ذلك؟ من هو المسؤول؟ من هو الذي يحب؟ على سبيل المثال، إذا قال أحدهم لشخص آخر يعاني صعوبة في عمله وتجارته: "أنا سأفعل ذلك، سأكون مسؤولاً عن أعمالك"، يجيبه الآخر: "يا لك من شخص رائع! لكن بالمناسبة، من أنت؟" ثم يتلقّى معلومات بأن هذا الرجل الحريص على تحمّل المسؤولية أمضى خمس سنوات في السجن بتهمة الاحتيال والإفلاس مرتين. نحن نسمع في جميع أنحاء العالم عبارة: "نحن نتولّى المسؤولية". هذه هي الصرخة الأولى في ألمانيا. لكن من هو الذي يتولّى المسؤولية؟ هذا ما أريد معرفته.

يقول المسيحيون: "نحن نحب" أو "أنا أحب" لكن من هو ذلك الذي يحب؟ إذا كانت دجاجة، فالأمر ليس سيئاً؛ سوف تأكل خضارك في الحديقة ولن تؤذي بشكل كبير. لكن إذا كان نمراً، فالأمر مختلف؛

---

[1] قبيلة الشلك هي قبيلة من السودان كانت محور اهتمام "ليفي بروهل" بشكل خاص. وقد علّقوا أهمية كبيرة على قوة عين الشر. انظر كتاب "البدائيون والخارقون للطبيعة – Primitives and the Supernatural". ترجمته إلى اللغة الإنكليزية "ليليان كلير" (نيويورك، 1923)، صفحة 167، 389.

سيصبح الأمر أكثر قساوة. الحقيقة المجردة التي تعتبر أنهم خضعوا للعمادة واعترفوا بخطاياهم لا تعني أي شي سوى: "أنا أصرّح بأنني نمر، لكن هذا لا يعني أنني لن ألتهم اللحم بعد الآن. لقد التهمت خروفك وآسف جداً لذلك، وفي الأسبوع التالي سألتهم خروفاً آخر". لأنه نمر، يُفترض به أن يلتهم الخراف والنعاج وما إلى ذلك. والاعتراف وحده لا يعني أن هذا الأمر لن يحدث مجدداً – حتى إن حدوثه ضروري؛ وإلا كيف ستعترف مرة أخرى؟ في الكنيسة الكاثوليكية يشكلون قضية صغيرة من الإثم أو الخطيئة؛ تعترف بخطيئتك ويفهمون أنك تعلن توبتك، لكنك ترتكب الخطيئة مجدداً.

السيدة فولكاردت: لكن في "حركة أكسفورد"، عليك أن تتعهد بألا تفعل ذلك مجدداً.

الدكتور يونغ: نعم، لكنك تعرفين أنهم سيفعلونها مجدداً. تلك حكاية قديمة؛ تلك كانت الحكاية في زمن "ترتليان" الذي ظن أنه عندما يخضع أحدهم للعمادة، فهو لن يرتكب الإثم مجدداً إطلاقاً. لكن ظهرت لاحقاً حالات ارتكب فيها الشخص الإثم من جديد. ثمة حالة جميلة عن شخص انتقل من إدمانه على الكحول إلى "حركة أكسفورد"، وكانت ميزة عظيمة. ثم لعب دوراً كبيراً؛ كان أحد المهاجمين في الفريق وقدم اعترافه بطريقة رائعة – كان نموذجاً حقاً. وهكذا اهتمت الحركة به وأرسلته إلى ألمانيا لغزو "ليبزيغ". لكن من الواضح أنه سئم هناك من الاعتراف وعاد لإدمانه الكحولي مجدداً، وهو ما كان متوقعاً؛ بعد فترة من الزمن سيشعر بالعطش. لاحقه الجميع وحاولوا مساعده، لكن الإنسان إنسان، وسيبقى إنساناً. والوعود ليست مجدية.

السيدة لومان: قرأت كتاباً قيل فيه إن النمر لا يهاجم الإنسان. عليه أن يحصل على طعامه بطبيعة الحال لكنه لا يهاجم الإنسان ما لم يتعرّض لهجوم، أو عندما تُقتل أنثاه مع وليدها.

الدكتور يونغ: نعم، تحت ظروف طبيعية يكون الجميع مدركين تماماً لحقيقة أن كل شخص يحتاج إلى الغذاء، وإذا لم تشكّل الظروف الطبيعية عائقاً، فالأمر ليس شديد الخطورة. لكن يريد بعض الناس دائماً تحسين الظروف الطبيعية، وعندئذٍ يجعلونها أكثر سوءاً. الأمر هكذا وحسب؛ الإنسان حيوان مضحك. يحاول دوماً أن يمتلك أجنحة لم تكن لديه أصلاً.

"أراكم تتدافعون إلى القريب، وتنظمون كلاماً جميلاً حول ذلك. لكنني أقول لكم: إن محبتكم للقريب تعبير عن نقص محبتكم لأنفسكم."

تظهر لدى نيتشه هنا بصيرة عميقة تجعله يخبرنا أن ما نحبّه في قريبنا هو أنفسنا في الواقع؛ وقد يضيف أن ما نلومه في القريب هو ما نلومه في أنفسنا، لكننا لا نعرف ذلك.

"تهربون من أنفسكم إلى القريب وتريدون أن تجعلوا من ذلك فضيلة....."

يجعلونها فضيلة!

لكنني أنظر في ما وراء "نكران ذاتكم".

الـ"أنت" أقدم عهداً من "الأنا"؛ و"الأنت" قد كُرّست كقداسة، أما الأنا فلم يُكتب لها ذلك بعد: هكذا يتدافع الناس نحو القريب.

وصل هنا إلى الأفكار التي قمنا بمناقشتها سابقاً: أي إن إسقاط الذات أقدم من الذات؛ قبل أن يصبح الإنسان واعياً لنفسه، اكتشف أن الذات خارج نفسه، وهذا لا يزال صحيحاً.

"أنا لا أنصحكم بمحبّة القريب بل أنصحكم بالهروب من القريب ومحبّة البعيد!

محبّة البعيد والمستقبلي أسمى من محبّة القريب؛ ومحبّة الأشياء والأشباح أسمى من محبّة الإنسان."

يناقش هنا الوسائل التي يجب تطبيقها ضد ذلك الحب المَرَضيّ للقريب؛ هو يفضل الهروب من القريب ومحبة الأبعد. من المثير للاهتمام طبعاً

معرفة ما يعنيه بعبارة "محبة الأبعد". الأبعد ليس البشر؛ إنه المستقبل البعيد أو "الأشياء والأشباح". فإلى أي شيء يشير هنا؟ سنتحدث هنا عن شيء أعلى بقليل من نيتشه.

السيدة كرولي: هل يشير هنا إلى الذات دون أن يكون واعياً بالمصطلحات السيكولوجية؟

الدكتور يونغ: هو يشير إلى اللاوعي. إلى شيء ليس في وعي الإنسان، وأشباح وأشياء بعيدة. أشياء مستقبلية هي المحتملة فقط؛ تلك ليست أشباحاً. إنها رموز أو أوهام عن أشياء.

"ذلك الشبح الذي يركض أمامك أجمل منك يا أخي؛ فلِم لا تمنحه لحمك وعظامك؟ لكنّك تخاف وتفرّ إلى قريبك."

لديه بوضوح رؤية معينة، ليست ظلاً بل نوراً، هناك إنسان أجمل منه يركض أمامه، شخصية مثالية على المرء أن يمنحها لحمه وعظمه. وهذه طبعاً فكرة الإنسان الأعلى الذي تجاوز الإنسان الحالي. ومع ذلك، لا يستطيع أن يسميه شبحاً. يا له من تعبير غريب!

"إنكم لا تطيقون أنفسكم، ولا تحبون أنفسكم بما فيه الكفاية؛ وها أنتم تريدون استدراج قريبكم إلى الحبّ وتلمّعون سحنتكم بخطئه."

هذه إعادة صياغة لفكرة عبّر عنها مسبقاً لكن بشكل مضخّم قليلاً مفادها أنكم لا تحبّون أنفسكم، وأنكم تهربون منها لأنكم لا تستطيعون احتمالها. إن محبتكم لأنفسكم صعبة للغاية؛ وهذا أمر طبيعي إلى حد ما. وتعرفون أنه قيل في الإنجيل: "أَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ"، من البدهي للغاية أن تحب نفسك لكن ليس واضحاً أن عليك أن تحب قريبك، لأن محبّة القريب مفهوم غير معروف أبداً بالنسبة إلى الإنسان البدائي؛ هذه مشاعر غير واعية بالنسبة إليه. إنه كريم ويشارك بضاعته مع الفقير، وقد يكون أكثر كرماً بكثير مما نحن عليه، لكنه ليس عاطفياً تجاه ذلك. هو يعطي دون أن يعني العطاء لأنه لا يعطي بسبب التعاطف بل لأن جائعاً أتى إليه، ولا بدّ

لهذا الجائع أن يأكل بطبيعة الحال. هو يرى نفسه مكان هذا الجائع أيضاً؛ يقول له: "تناولت طعامي عندما كنت جائعاً، وها هو الطعام". إنه لا يمارس حسن الضيافة بالتعاطف، ولا يتوقّع التقدير كما نفعل نحن، كما أن الجائع الذي حصل على وجبته لا يشعر بالامتنان من ذلك لأنه لا يفكّر بالموضوع بطريقة عاطفية، فالجوع سببه الطبيعة. تلك هي وجهة نظر الإنسان البدائي. إذا منحتك شجرة التفاح في حديقتك محصولاً وافراً لا تشكرها على ذلك؛ تعتبر أن من المسلّم به أن تعطي الشجرة هذا القدر من الفاكهة. كما أن شجرة التفاح لا تعطي محصولها من خلال التعاطف، ولا من خلال القلب الطيب أو الحب المسيحي، أنت أيضاً لا تكون ممتناً.

لكن على مستوى أعلى تبدأ بإدراك أن هذه الأشياء ليست بدهيات، لأنها تفقد طبيعتها البدهية مع تقدم الوعي. فالبدائي لا يقاوم دافع الكرم هذا لأن عليه أن يعطي، وليس لديه رابط عاطفي مع الكرم. لكن على مستوى أعلى من الوعي الجمعي يقول المرء في نفسه: "لماذا يجب أن أعطي طعامي لهذا المتسوّل؟" وعندئذٍ ربما يتغلّب المرء على أنانيته الخاصة ويعطي، ثم يقول لهذا المتسوّل إن عليك أن تكون ممتناً لأنني تغلّبت على أنانيتي وشعوري "بالأنا"، وتعاملت معك بلطف. ومن تلك اللحظة فصاعداً، على المتسولين أن يشعروا بالامتنان لأنهم تلقّوا ما يحتاجونه من خلال طيبة القلب وما إلى ذلك. لكن في بداية الوعي الإنساني، كانت محبّة الذات واضحة تماماً لأن البدائي مهتم بنفسه بشكل طبيعي. فهو يعطي كما يأخذ، فلماذا لا يسرق شيئاً؟ من الجيد أن تسرق خارج إطار القبيلة. لكن إذا مارس الخداع ضمن القبيلة سيكون مخطئاً بحق قوانين القطيع، وباعتبار الأفراد عناصر من القطيع، لا أحد سيكون غبياً لدرجة أن يؤذي نفسه؛ لذلك لن يكذب ضمن قبيلته وعشيرته ولن يغش ولن يسرق. فتلك فضائل إذا تمت ممارستها خارج القبيلة على أية حال؛ عندئذٍ يبدو ذكياً. هو يثبت

ذاته ويعيش – وهذا واجبه. لذلك فإن محبة الذات حقيقة بدهية طالما أن المرء غير واعٍ.

حيث يدرك المرء أنه ليس هناك فرق ما بين قبيلته والقبيلة الثانية أو عائلته وعائلة أخرى أو عشيرته أو دولته أو إنسانيته، تكون وجهة النظر المسيحية قد وسّعت مجال الوعي بشكل كبير. لقد رفعت الوعي إلى مستوى تصبح فيه آثماً إذا خدعت أو سرقت أو كذبت، حتى إذا طبقت ذلك على الغريب، لأنه إنسان مثلك تماماً. لذلك فإن حب الإنسان لنفسه لم يعد بداهة؛ أصبح مهملاً بطريقة ما لأنه كان مرتبطاً دوماً بفعل شيء مؤذٍ للآخر. عندما تحب ذاتك، عليك أن تسرق، عليك أن تأخذ لنفسك. وكما قال البروفسور "برونير" في مقالته الحديثة في صحيفة "زرتر زايتينغ – *The Zürcher Zeitung*"، حتى كلمة "خاص – *private*" أتت من كلمة "*privare*" التي تعني "أن تسرق"؛ كل ما تملكه من السلع الخاصة بطريقة ما تم أخذه من الجماعة؛ أنت سرقته فعلاً.[1] لذلك علينا أن ننهار من وخزات الضمير لأننا أخذنا من الجماعة. لكن علينا أن نأخذ من الجماعة؛ وإلا فسنفقد وجودنا الفردي. إذا لم يكن هناك سلع خاصة، لن يعود لنا وجود. طبعاً، إن البروفسور "برونر" يعني السلع المثالية، أسرارك وما شابه – عليك ألا تُبقي أسرارك لنفسك بل دع الآخرين يستمتعون بها أيضاً. وهكذا فإن المعنى الأصلي للحقيقة البدهية بأنك تحب نفسك أصبحت شيئاً عفا عليه الزمن، وأصبح من المفترض التعويض عنها بفكرة "أحبّ قريبك". وينبغي إخفاء حقيقة أنك تحب نفسك وعدم التطرّق إليها. يجب أن يبدو الأمر وكأنك لا تحب نفسك؛ وإلا فسيشعر المجتمع بالتهديد في

---

[1] البروفسور "أوغست برونر – August Brunner"، لاهوتي وفيلسوف سويسري، ومؤلّف كتاب "أسئلة أساسية في الفلسفة – Fundamental Questions of Philosophy"، ترجمه إلى الإنكليزية، "إس. آي. ريمرز – S. A. Raemers" (سانت لويس، 1937).

وجوده. والأكثر من ذلك، عندما تحب نفسك فعلاً فقد سرقت، لأنك سمحت لنفسك بامتلاك شيء خاص بك، بأن تكون لك أفكارك الخاصة عن الأشياء بدلاً من الأفكار التي لدى الجميع؛ وهذا من وجهة نظر القطيع هو تماماً ما لا يجب أن يكون. لكننا بهذه الطريقة خلقنا هذا اللاوعي الخرافي عن ظلّنا. تلك الفكرة التي لا يجب أن تعرفها عن ظلك لأنها مزعجة، وتمنعك عن المشاركة في حياة المجتمع. أنت في وضع مخيف لأنك من الناحية العملية الشخص الوحيد الواعي لذلك الأمر. وبالتالي ستكتشف أنك غير قادر على العيش بهذه الطريقة؛ أنت متردد، ولست سعيداً تماماً – الناس الذين يمكن أن يكونوا سعداء تماماً هم فقط الذين نسوا من هم بالفعل. وبركتك ومحبتك للآخرين هدية مشكوك بها؛ أنت لا تعرف ما الذي جلبته لهم بحبّك رغم كل نواياك الطيبة. والسؤال الآن هو أين تسمع كثيراً عبارة: "لطالما حاولت أن أقدّم الأفضل؟" تسمعها مع أولئك الذين أتوا بأعظم الاضطرابات والكوارث من خلال نواياهم الطيبة مع الآخرين.

"كنت أودّ لو أنكم لا تطيقون كلّ نوع من الأقرباء ومن جاورهم؛ هكذا يكون عليكم أن تصنعوا لأنفسكم من أنفسكم ذاتها صديقكم وقلبه الفيّاض."

هذه هي العبارة التي لم يتعمق بها المتدينون في عصرنا كما ينبغي. فبدلاً من تلك النقاشات التافهة للغاية حول اللاهوت الطبيعي وما شابه ذلك، كان من الأفضل بكثير للبروتستانتية أن تناقش هذا الفصل من كتاب "***هكذا تكلّم زارادشت***". سيكون ذلك مفيداً جداً لها.

المحاضرة السادسة

20 تشرين الثاني – نوفمبر 1935

الدكتور يونغ:

لدينا هنا سؤال من السيد أليمان: "قلت في السيمنار السابق إنه لا وجود للعالم الخارجي إلا إذا كنا واعين لوجوده". ولا بدّ أن أقطع السؤال هنا لأن هذه العبارة غالباً ما يُساء فهمها. فهي عبارة موضوعية مشابهة لأن تقول: عندما تنير المصباح يمكن أن ترى أشياء معينة؛ ولا تعود تراها عندما تطفئ المصباح. عندئذٍ تقول إن تلك الأشياء لم تعد موجودة، أو تبدو كما لو أنه لم يكن لها وجود. أنت تفترض أنها لا تزال موجودة بشكل طبيعي، لكن يبدو الأمر كما لو أنها ليست كذلك، وإذا لم ترها في ضوء النهار، فستفترض أنها غير موجودة. وبهذا المعنى، عندما يتوقف وعيك عن أن يكون موجوداً، ينتهي عالمك. ونحن نعرف من خلال التجربة أن العالم لا ينتهي مع نهاية أحد الأشخاص. لكن إذا انتهى الوعي، فسينتهي العالَم، وهذا مؤكد. لأن عالماً لا نعرف شيئاً عن حالته ليس له مكان في الوجود المُدرك بالوعي؛ إذا لم يعرف أحد عنه شيئاً فهو ليس عالماً. ونحن نرغب دوماً بالتفكير بالوجود كما لو أنه مستمرّ حتى ولو لم يعرف أحد عنه شيئاً، لكنه في واقع الأمر ظاهرة من ظواهر الوعي أيضاً.

يتابع السيد أليمان: "ألا يمكن القول بالطريقة الصحيحة ذاتها إنه مع تقدم وعينا بعوالم اللاوعي الجمعي، ربما تصبح عوالم أخرى حقيقية و'خارجية' مثل عالمنا الخارجي؟ لقد فكرت بالمفاهيم المختلفة أو درجات الوعي المختلفة في الفلسفة الهندية التي أشار إليها البروفسور "هاور" في "كتاب اليوبيل": 'برانا – *'Prana* – 'مايا – *'Maya* – 'بوروشا – *Purusha*'" وما إلى ذلك.[1] إذا اعتبرنا حالات الوعي هذه وكأنها عوالم تختلف عن عالمنا، لكنها حقيقية وأكثر من حقيقية بالنسبة لمن يستطيع الوصول إليها، فربما نصل إلى فهم أفضل للمصطلح الألماني "النشوة - *entrückt*" أو حتى "الجنون - *verrückt*" إذا تحطم الجسر بين الوعي الخاص بالعالم الخارجي والعوالم الأخرى، في حين يبقى وعي الشخص المذكور آنفاً في العالم الآخر. ألا يمكن أيضاً أن يكون مرض نيتشه عائداً إلى مغامرة من هذا النوع؟"

من المؤكد تماماً أنه إذا كان وعي "الأنا" قادراً على التقدم إلى مجال لاوعي "هنا والآن"، فربما يكتشف نظاماً واقعياً خارج هذا النظام الواقعي. إن حقيقة الوعي مثلاً لا تتوافق مع واقع هذا العالم: إنها نظام مختلف تماماً. وبالتالي ربما نفترض أن الأنظمة الأخرى قد تصبح ضمن منطقة الوعي؛ لطالما تمت مناقشة هذه الفكرة. إذ يمكن أن تجدها في كتاب "جون وليام دون" بعنوان "مسلسل الكون – *The Serial of the Universe*" مثلاً.[2]

---

[1] "كتاب اليوبيل – **Jubilee Book**": مجموعة من المؤلفات التي تم نشرها تكريماً ليونغ عندما بلغ عامه الستين، عنوانه "الأهمية الثقافية للسيكولوجيا المعقدة – **Die Kulturelle Bedeutung der Complexen Psychologie**" (برلين، 1935). وقد شارك الدكتور "جي، دبليو، هاور" بمقالة بعنوان "تعاليم الهنود الآريين حول الذات مقارنة بتعاليم كانط حول الموضوع القابل للفهم".

[2] ظهر كتاب "جون وليام دون – **John William Dunne**" في لندن عام 1934. وهو معروف بكتابه بعنوان "تجربة مع الزمن – **An Experiment With Time**" (لندن، 1929).

وهي مشكلة قديمة في علم نشأة الكون في البوذية الذي يفترض أن هناك ملايين الأنظمة في العالم؛ الكون الذي نعرفه لا يُفترض أنه يشكّل حتى ما يُسمى "تشيليوكوزموس – *Chiliokosmos*" (الترجمة البوذية للمفهوم الإغريقي عن آلاف العوالم)؛ إن كوننا كون واحد فقط، ويحتاج إلى ألف كون آخر لتشكيل "تشيليوكوزموس"، وهناك أيضاً مئات آلاف "التشيليوكوزموسات". لقد افترضوا أن العالم المطلق، عالم الوجود اللانهائي، يتشكل من عدد لا نهائي من أنظمة العالم الممكنة. ويمكن القول إنه مفهوم كوني فعلاً؛ أدرك فلاسفة الحضارات العظيمة كلها هذه الفكرة، وتمت مناقشتها مجدداً في أيامنا هذه من وجهة نظر العلم الطبيعي. لدرجة أن شخصاً مهتماً بالأدب "هربرت جورج ويلز" قد أخذ هذه الاحتمالات بعين الاعتبار في قصصه الخيالية. ربما تذكرون قصته عن رجل كان يقود سيارته ثم شعر فجأة بهزّة جعلته يتوقف ليرى ما إذا كان هناك مشكلة ما فيها، وتبين بعدها أن لا مشكلة في السيارة، لكن عبر مصادفة غريبة، أصبح يقود سيارته في أبعاد أخرى؛ كان هناك حد فاصل في العالم في ذلك الموقع، وتابع السير في نظام عالمي آخر كان كل شيء فيه مختلفاً، وأكثر تقدماً بكثير. ثم استغل "ويلز" بطبيعة الحال تلك الفرصة لتطوير إحدى مخططاته الطوباوية.[1]

من الرائع جداً التطرّق لاحتمالات كهذه، لكن السؤال الذي يخطر في الذهن دوماً هو: هل لها أية قيمة تجريبية؟ هل يمكننا إثبات واقع أنظمة مختلفة تتجاوز تلك التي نعرفها؟ حتى البدائي لديه فكرة واضحة بهذا

---

[1] يتحدث هربرت جورج ويلز – Herbert George Wells" (1899 – 1946)، في قصته الشهيرة "آلة الزمن – The Time Machine" (1929) عن مخترع يسافر في الزمن إلى عام 802، وعام 701 ميلادية. وفي قصته "رجال مثل الآلهة – In Men Like Gods" (نيويورك، 1923)، يقود السيد بارنستبل سيارته عن غير قصد إلى بعد آخر، ويجد هنا (يوتوبيا أو مكان خيالي) مشوّه الزمن.

الخصوص؛ إن فكرته عن أرض الأشباح، أو جزر البركة أو جزر الموتى، هي عبارة عن مفاهيم عن أنواع مختلفة للواقع. يفهم البدائي بطبيعة الحال أنه عندما يكون الإنسان في حالة "النشوة - *entrückt*"، يكون في نظام مختلف. لذلك يجد المرء كثيراً من القصص حول "الكاتاباسيس – *katabasis*"، والنزول إلى العالم السفلي، أو الهيام في الجنان، وأرض المستقبل في الآخرة، وما إلى ذلك. تلك هي حالات "المنتشين – *Entrückung*"؛ الناس الذين يرتحلون إلى بلد آخر أو عالم آخر تحت البحر أو في السماء أو على القمر، أو إلى أي مكان غير هذا المكان. يعرف الجميع أن أية محاولة للوصول إلى حالة يدرك المرء فيها حقيقة مختلفة عن الحقيقة العادية السائدة هي محاولة محفوفة بالمخاطر دوماً. لذلك يُعتبر مشروعاً خطيراً جداً أن يكون أحدهم "الطبيب المعالج". إذ يُفترض به أن يكون خبيراً بنظام عالم مختلف عن عالمنا؛ سيقابل أشباحاً وشياطين وما إلى ذلك. وغالباً ما يُصاب شخص كهذا بالجنون بشكل أو بآخر؛ ينفتح لديه ثقب في عتبة الوعي ويتدفّق منه اللاوعي. وهم معرّضون دوماً لحالات وعي أخرى تختلف عن حالتنا أياً كان نوعها. يمكن القول إن الرجل كان مجنوناً، وإن تلك حالة فصام أو مرض عقلي أو غيرها من مئات الكلمات التي يمكننا من خلالها تسويغ حالته، لكن الحقيقة تبقى أن هذا الشخص، إذا كان "طبيباً معالجاً فعلاً"، معرّض لتجارب ذات طبيعة غامرة حقيقية مثل أي تجربة في العالم الذي نعرفه.

نظراً لوجود مخاطر كهذه، من الطبيعي أن يتأذى الناس عندما يدخلون تجارب من هذا النوع، ربما يُصابون بأمراض جسدية أو عقلية، أو يموتون بحادثة ما؛ إذ يمكن للكثير من الأشياء الغريبة أن تحدث معهم أثناء مغامرتهم. هذا ما أطلق عليه "فرسان الطاولة المستديرة" والألمان القدماء

في القصائد الألمانية اسم "*aventure*"، أي التجربة الخرافية؛ كانوا في طريقهم لمحاربة التنانين، وتحرير العذراوات اللواتي تحرسهن التنانين والسحرة. لكن ذلك ليس سوى إسقاطات لحقائق داخلية معينة؛ كانت فعلاً تجربة غامضة وجدت التعبير عنها باشكال مختلفة متعددة. وربما يصف الروائي عملية البحث هذه بطريقة سردية جذابة، أو ربما يعبّر عنه شاعر جديّ للغاية. فرواية "ريدر هاغرد" بعنوان "هي – *She*" هي مثال جيد على هذه الحالة. يمكن القول إنه سرد ممتاز عن طبيعة رائعة أو ساحرة، لكن عندما تقرأ أسلوبه الشعري في الإصدار الأول لرواية "هي"، تدرك أنها كانت تجربة جدية للغاية في حياته الخاصة، ومسألة لا يمكن أن يتعامل معها ببساطة إطلاقاً. هذا يفسر لماذا تعالج كثير من الكتب التي أصدرها لاحقاً المشكلة ذاتها بطريقة ما؛ إذ من الصعب أن تجد رواية واحدة لا تتضمن وهماً عن تجربة عظيمة. هو لن يكون قادراً على تطوير طاقة استثنائية في هذا المجال – لا يمكن أن يكون لهذا الدافع هذه القوة المبالغ فيها - لم يكن بالنسبة إليه حالة واقعية جداً؛ لو كان مجرد دافع عادي أو أخيولة عادية، لكان تلاشى خلال فترة قصيرة، ولكان ألّف ربما كتاباً واحداً، ولربما لم يكن كتاباً بهذه الروعة. لقد كان حقيقياً مثلما كان المحرّك البخاري أو الجسر في رأس المهندس الذي صممه؛ كان في البداية عبارة عن أخيولة في رأس المهندس، وكانت القوة الدافعة قوية لدرجة أنها أصبحت حقيقة. كانت القوة الدافعة قوية جداً في سيكولوجيا "ريدر هاغر" لدرجة أنه ألف ما يقارب ستين مجلداً.

هذا النوع من التجارب، وهذه المغامرة، يمكن التعبير عنها بالوصول إلى نظام آخر. كما يمكن وصفها وفقاً "للأسرار الدينية" بأنها "العالم السفلي – *Hades*" مثلاً، أرض الأشباح، المدينة العجيبة، الجزيرة العجيبة أو شيء

من هذا القبيل. ويمكن اعتبارها تقريباً بلداً ذا موقع جغرافي حقيقي. أو كحالة وعي غريبة تكافئ البلد طبعاً باعتباره مجرد وعي مُسقط؛ بلد لا يهمنا وإنما حالة الوعي التي تتخيل أشياء كهذه هي ما يهمنا. هي أشبه بحالة نفسية عموماً، والمغامرة خطيرة مثل اكتشاف قارة جديدة – هي أيضاً يتم تمثيلها بتلك الطريقة – أو اكتشاف منطقة خاصة، كما في رواية "هي". إنها مغامرة غامضة، وهذا أمر بالغ الخطورة. لقد قيل مراراً إن مرض نيتشه لم يكن مرضاً عادياً؛ كان يذوي تدريجياً ولم يبقَ من دماغه سوى القشرة الخارجية التي توحي بأنه يتحلل أو في طريقه إلى الجنون. كان يُعتقد أنه هو نفسه كان ينتقل خلال حياته إلى نظام وجود آخر، وحقيقة أن مرضه لم يكن الشلل الدماغي العام الذي يظهر على المُصاب بالجنون عادة هو دليل واضح على هذه الفرضية. هذا صحيح، لم يكن شكلاً عادياً، لكن كان هناك حالات يتخذ فيها هذا المرض النموذجي أشكالاً خاصة لا يكون فيها نموذجياً، لذلك ليس هناك من دليل إطلاقاً.

عرفنا من كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** أن انشغال نيتشه الهائل كان ذلك البحث، وقد وجد شيئاً من دون شك. ومن العدل أيضاً تحديد تاريخ مرضه القاتل بفترة تأليف هذا الكتاب، لأننا نعرف بالتجربة أن البحث يمكن أن يؤثر على سلامة الدماغ كما يؤثر على الجسد؛ لأنه استثنائي وحاسم في فترة حياة الإنسان، ويمكنه أن يدمّر النظام في أية لحظة. لذلك يمكن أن نصوغ فرضية تقول إن مرض نيتشه، من خلال فهمه من هذا الجانب تحديداً، كان مغامرة أُجهِضَت، مغامرة تعرّض فيها للأذى. وربما نفترض أن روحه، على الرغم من ذلك، كانت قادرة على عبور المياه المظلمة والوصول إلى البلد الآخر، مع أنه لم يعد في موقع يمكنه أن يرسل رسائل. لقد أخبرتكم عن ذلك المثال الوحيد الذي ترافق مع حدوث شيء ما معه. قال مرّة لأخته وبشكل مفاجئ: "ألسنا سعداء للغاية الآن؟" ثم في اللحظة

التالية هبطت الغيوم مجدداً. أرى أن بإمكاننا النظر إلى هذه الحادثة بهذه الطريقة. كما يمكننا أن نعتبرها فرضية للناس المصابين بالجنون بشكل عام. ربما سمع بعضكم نقاش "رونالد فرازر" في روايته بعنوان "تاجر الأقمشة الطائر".[1] كان الرجل الذي يقوم بالبحث، واكتشف نظام عالم آخر؛ وتحوّل في النهاية إلى مجرّد قشرة، ومع ذلك يتضح من الكتاب أنه وصل إلى شكل آخر للوجود. كما ترون، ربما يعني اختفاء شخص ما نجاته في ظرف جديد، وما يتركه خلفه هو مجرّد بقايا لوجوده السابق. ونرى الفكرة ذاتها في كتاب "تالبوت موندي" الجديد بعنوان "كان هناك بوابة". وربما تذكرون أن كتابه الشهير بعنوان "أوم – *Om*" كان لافتاً للغاية ومثيراً للاهتمام، ويعبر كتابه الجديد عن الفكرة أو الانطباع الذي يتولّد لدى المرء أثناء البحث بأنه ليس هناك "باب"، لا مفرّ. ومع ذلك كان هناك مخرج. لقد وجده ثم اختفى؛ الشخص الذي يقوم بالبحث في الكتاب تلاشى ببساطة.[2]

لدينا من الناحية الفلسفية مطلق الحرية لنفترض أن نيتشه الإنسان قد وصل إلى نظام وجود آخر، ثم اختفى بعد ذلك ولم يعد بالإمكان قول أي شيء عن ذلك. وإذا قلت إنه كان مجرد مريض عقلي مسكين، وإن دماغه كان يتعفّن ويتحلل، فأنت على حق أيضاً لأن هذا صحيح. والأمر الآخر قد يكون صحيحاً أيضاً، لكن ليس لدينا دليل على ذلك. أنا واثق أنه كان بين الحكماء الذين أمضوا حياتهم كلها في ممارسة اليوغا؛ عدد من المجانين وفقاً لفكرتنا عن الأمر، ويفترض آخرون أنهم لم يكونوا مجانين

---

[1] رواية "تاجر الأقمشة الطائر – The Flying Draper" (لندن، 1931) لمؤلفها "السيد رونالد فرازر – Sir Ronald Fraser" الذي كان روائياً غزير الإنتاج وكاتب مقالات.

[2] ألف "تالبوت موندي – Talbot Mundy" روايات عن مواضيع ثيوصوفية كرواية "ليس هناك مخرج – There Was a Door" (لندن، 1931) ورواية "أوم: سرّ وادي أبور – Om: The Secret of Ahbor Valley" (إنديانابوليس، 1942).

إطلاقاً، وأن ذلك كان مجرّد مظهر خارجي لأنهم كانوا عاقلين جداً من الداخل، وهم محقون في هذه الفرضية. على سبيل المثال، الناس الذين يبدون مجانين تماماً يصبحون منطقيين عندما يُصابون بالحمّى. وهناك آخرون، مع حالة من التفكك والانفصال الكامل ظاهرياً، لديهم من بين الأصوات التي تصدح في عقولهم صوت ذهن طبيعي؛ وهذا يبين أن الذهن الطبيعي السليم الذي بدا أنه اختفى لم يختفِ تماماً، بل يقبع في مكان ما بين حقائق أخرى لا يمكننا تفسيرها لأننا لا نعرف ما هو الوجود السيكولوجي الذي يكون في تلك اللحظة. عندئذٍ علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن الوجود السيكولوجي أو الكينونة السيكولوجية غريبة للغاية؛ هي ليست شيئاً سهلاً. والمادة ليست سهلة أيضاً؛ نحن نفترض على الأقل أنها ملموسة، ونعتقد أنها بسيطة لأننا نستطيع لمسها. لا نستطيع أن نلمس العقل لكننا نفترض أنه موجود، مع أن لديه خصائص غريبة للغاية وغير مكانية: هو يرى زوايا مستديرة، ويعرف أشياء في المستقبل. كيف يمكن تفسير هذه الأمور؟ علينا أن نفترض أنه شيء يختلف عن نظامنا العالمي، وكذلك عن فكرتنا عن الفضاء والزمن، وأن هناك إمكانية لوجود أنظمة أخرى. لقد لعب الفيزيائيون الجدد بهذه الفكرة مع أنها ليست فكرة غريبة عنا: فكرة نسبية الفضاء التي يمكن أن تتغير في ظل ظروف معينة. على سبيل المثال، نفترض أننا هنا معاً في الفضاء ذاته، لكن ربما لا نكون هنا على الإطلاق؛ أنا موجود هنا من جانب معين، لكن من جانب آخر، ربما أكون في الفضاء ذاته مع شخص آخر في الهند أو الصين.

السيد أليمان: يبدو وكأن هذه الأشياء معروفة أكثر في الهند، ويتم إدراكها بوعي؛ إذ صرّح البروفسور "هاورد" أن هناك خمسة أنواع مختلفة من العوالم، أو خمسة أنواع من "البوروشا – *Purushas*".

الدكتور يونغ: في البوذية، يشعر المرء وكأنه مُصاب بدوار.

السيدة فيرز: قرأت رواية جديدة بعنوان "ميبام – *Mipam*" من تأليف السيدة "ديفد نيل" و"اللاما يونغدن". كان البطل فها عبارة عن "تولكو – *tulku*"، أي إنه عبارة عن تجسّد، مع أنه لا يعرف ذلك، وقد تعلّم كل تلك الحكمة من ناسك يعتبره جميع نسّاك الدير الآخرين أنه مجنون تماماً. لكن عندما تحدث إليه، تعرّف منه على الشيء الأساسي. وهو تماماً كما قلت، إنه مجرد قشرة.[1]

الدكتور يونغ: أشياء غريبة كهذه تحدث فعلاً. أخبرني أحدهم قصة رائعة عن شخص مجنون مخمور، تحدث معه عن بعد آخر، وشرح كل ما رآه. لذلك ابقَ منفتحاً على أشياء كهذه. لكن طالما أننا لم نحظَ بتجربة فعلية عن أنظمة أخرى، وإذا لم يُدعَ المرء للبحث والتقصّي، لا تقم بتجارب قاتلة، فالأمر لا يستحقّ العناء.

السيدة سيغ: المثال الجيد عن نيتشه أنه كتب إلى حكّام "بافاريا" و"بادن" ينصحهم بالاستقالة والعودة إلى حياتهم الخاصة، وكان من المفترض حينها أن يكون مجنوناً تماماً.

الدكتور يونغ: من الممكن تماماً أنه رأى أشياء مستقبلية. لقد راودتني في بداية الحرب أحلام عن لقاءات أجريتها مع "قيصر فيلهم"، وحاولت إقناعه دوماً أن عليه الاستقالة والحصول على كل حقوقه وملكياته، لكنه لم يصغِ إلي. كان أحدنا يعرف الآخر جيداً؛ عندما كنت أظهر أمامه كان يلوّح لي

[1] "الكساندرا ديفد نيل – Alexandra David Neal" (1868 – 1969) فرنسية كتبت بغزارة عن بوذية التيبت. رواية "ميبام: لاما بنود الحكمة الخمس – Mipam: The Lama of the Five Wisdoms"، التي تم تأليفها بمشاركة "اللاما يونغدن – Lama Yongden"، ابنها بالتبنّي، ربما كانت معروفة لـ "يونغ" بنسختها الألمانية (ليبزيغ، 1928)، وقد قام "بيرسيل ويد – Percy Lloyd" و "برنارد ميل – Bernard Miel" بترجمتها إلى اللغة الإنكليزية (لندن، 1938). وقد سافرت ألكساندرا إلى التيبت متنكرة بزيّ رجل بعد لقائها "الدلاي لاما".

بيده، وكنت أقول: "نعم، أنا هنا مجدداً، ويجب أن أقول لك إن عليك أن تستقيل!"

السيدة وتني: وهل توقف ذلك بعد فترة؟

الدكتور يونغ: نعم، كان بلا فائدة كما ترين. لم أنجح إطلاقاً. توقف ذلك في نهاية عام *1916*.

السيدة سيغ: خضع غوته لتجربة غريبة للغاية؛ مات ابنه الوحيد في إيطاليا، ودُفِنَ قرب "هرم سيزتوس – *Pyramid of Cestius*"، وكان غوته قد كتب قبل ذلك بثلاثين عاماً "صنعت تصميماً لموقع دفني قرب 'هرم سيزتوس'".

الدكتور يونغ: ربما بلغه إيحاء بأن ابنه سيُدفن هناك.

السيدة سيغ: لكنه لم يكن متزوجاً آنذاك.

الدكتور يونغ: ليس بالأمر المهم؛ لقد اختاره كموقع لدفنه وليس لدفن ابنه؛ لكن عندما توفي ابنه كانت فرصة جيدة – من الرائع أنه ابني وليس أنا! يجب أن نتابع نصنا الآن. هذا الفصل عن محبة القريب هو فصل تحضيري، لكن فيه الكثير من التلميحات التي لا أريد أن أتابع دون مناقشتها بشكل أفضل.

"إنكم لا تطيقون أنفسكم، ولا تحبونها بما فيه الكفاية؛ وتريدون استدراج قريبكم إلى الحب، وتموّهون خيبتكم بخطئه."

يحاول هنا أن يفسّر دافعاً هاماً يتعلّق بمحبة المرء لقريبه. ومحبّة القريب إحدى المثاليات العظيمة في المسيحية طبعاً. لكن أصبح واضحاً لنيتشه، وآخرين كثر غيره، في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر، وحتى قبل ذلك، أن هذه الفضائل لم تكن كما تبدو إطلاقاً. تلك المحبة الشهيرة للقريب والجار كانت غالباً مبرراً للأشخاص الذين يرغبون بتغطية مساراتهم الخاصة، لقد تحدثوا عن محبة الجار لأنهم أرادوا الهروب من

أنفسهم، والتملّص من مشاكلهم الخاصة. عندما كانت حديقة منزلهم مليئة بالأعشاب الضارة الكبيرة لدرجة أنها تعلو فوق السياج إلى حديقة الجار، أرادوا أن يكونوا فاعلي خير وإخبار الجار ما ينبغي فعله حيال ذلك من أجل أن يكسبوا ميزة كونهم إيثاريين للغاية؛ كانوا كسالى في المنزل، لذلك حاولوا تحسين حدائق الآخرين، ليكونوا معلمي هذا العالم. كان انتقاده عنيفاً للغاية "*إنكم لا تطيقون أنفسكم*" – عدم قدرة هؤلاء الناس على تحمّل أنفسهم هو دافع حقيقي لاهتمامهم بجيرانهم وأقربائهم. أخبرني أحدهم يوماً أنه سيكتئب بشكل فظيع إذا بقي مع نفسه ساعة واحدة فقط؛ لقد أحب العالم وأحب جاره من الساعة السابعة صباحاً إلى الحادية عشر ليلاً، ولم يصدقني عندما قلت له إنه يجب أن يبقى لوحده ساعة واحدة على الأقل. أن يمضي ساعة واحدة على الأقل لوحده. كان مخلوقاً بائساً لأنه لم يستطع أن يتحمل أن ينظر إلى نفسه أو يشتم رائحته الخاصة. تستطيعون أن تتخيلوا ما تستحقه محبة الجار هذه. رائحتها عفنة؛ رجل كهذا لا يحب جاره إلا لأنه غير قادر إطلاقاً على أن يحب أي شيء في ذاته. وعندما يخبرني أحدهم أنه يحبني لكنه يكره نفسه، أعرف كل شيء عنه؛ محبّة من هذا النوع غير مقنعة إطلاقاً. هراء كلها. هو يحبني فقط من أجل أن يجلس على ظهري لأبعده عن نفسه، وهذه ليست سوى أنانية. والحقيقة المثيرة للعجب أننا نعظ بها؛ نعتقد أن الشيء العظيم والمثالي هو أن نحب الجار والقريب وننسى أنفسنا. لكن السؤال الذي يطرحه نيتشه هنا هو "من الذي يحب؟" أريد أن أعرف أولاً إذا كنت تحتمل نفسك. فإذا كنت تحتمل نفسك، ربما تكون قادراً على محبة شخص آخر؛ وإلا فهي مجرد ذريعة، مجرّد كذب. ولا يمكن تكرار ذلك كثيراً.

"كنت أودّ لو أنكم لا تطيقون أيّ نوعٍ من الأقرباء ومن جاورهم؛ فعندها يكون عليكم أن تصنعوا من أنفسكم ذاتها صديقاً لكم بقلب فياض."

بطبيعة الحال، أدت هذه المثالية المسيحية المتأخرة عن محبة القريب إلى نوع من العاطفة: فعل ما هو صحيح وخيّر للآخرين، وخلق مجتمع يعتني كل فرد فيه بالآخرين دون أن يهتم أحدهم بنفسه. نوع من المجتمع الذي يعتني كل فرد فيه بالآخرين، ولا أحد يهتم بنفسه. ويقف نيتشه ضد ذلك ويقترح أن الأفضل أن تخلق صديقك من خلال نفسك. ولهذه العبارة معنى مزدوج طبعاً. يقول لاحقاً في هذا الفصل إنه يجب اختيار صديق بعيد للغاية. لكن هناك فرصة ضئيلة للعثور على الأكثر قرباً من بين الأكثر بعداً، لذلك أقول إن الفكرة غامضة؛ ربما تعني شيئاً مشابهاً للذات، أو إسقاط الذات على صديق، لكن يجب أن يكون الصديق بعيداً بعد الإنسان عن ذاته. ليس هاماً ما إذا تم خلق هذا الصديق من الذات أو كان هو الذات نفسها. سترون في الفصل التالي أن هذا الصديق هو الذات، وتكون الذات صديقاً للإنسان بقدر ما يكون وحيداً؛ إذا أسقط الإنسان ذاته على العديد من الأصدقاء فلن تكون الذات صديقاً أبداً بل عدواً لدوداً. من هنا نجد أن أولئك الذين يحبون القريب ويكرهون أنفسهم، يكرهونها بسبب الذات لأنها تظهر لهم حينها بهيئة العدو اللدود، بهيئة شيطان له قرون ومخالب وذيل. أصبحت الذات شيطاناً حقيقياً بالنسبة إلى المسيحيين اللاحقين.

يمكننا مسامحة المسيحي القديم عندما تحدث عن محبّة القريب لأنه كان واعياً تماماً إلى أنه لا يكره نفسه. لقد تعلّم أن يحب نفسه وعرف ذلك جيداً. وكان مدركاً لأنانيته البدائية، ومدركاً لحقيقة أن محبة القريب هي ميزة؛ لقد جعل منها ميزة لتعويض أنانيته السخيفة، وحبه السخيف لذاته. ولاحقاً تم اكتشاف الثغرة الدقيقة الماكرة التي كانت عليها محبّة القريب؛ عندما تزداد سخونة الأشياء بالنسبة لك ولا تعود قادراً على احتمالها، فسوف تحبّ القريب وتنسى نفسك. وعندما تحدث نيتشه عن خلق الصديق من الذات، يمكننا اعتبار أنه يقصد خلق الذات، لذلك كان من

الضروري أن تكون قادراً على تحمّل ذاتك، وأن تعود إلى ذاتك، وأن تتجرّأ على أن تكتئب وأنت تقف إلى جانبها، ولا تستغلّ قريبك لتحقيق شهوتك. لأنها مجرد شهوة: وأنت لا تريد أن تصبح كئيباً تقوم بإشباع شهوتك من الآخرين، وتفعل أشياء مدهشة لترضي ذاتك على حساب الآخرين.

"إنكم لتدعون إليكم شهوداً عندما تريدون أن تغدقوا الثناء على أنفسكم؛ وإذا نجحتم في استدراجه لكي يُحسن الظنّ بكم، يَحسُن ظنّكم بأنفسكم أيضاً".

هذا يعني أنك لا تستطيع التفكير بذاتك بشكل جيد إذا لم يكن لديك شهود، إذا لم يكن لديك دعم، إذا لم يخبرك أحدهم أنك على حق. أم أنك تحتاج الدعم لترى أن الآخر جيد أو على حق – يجب على أحدهم أن يخبرك أن هذا الشخص على حق. أليس هذا هو البؤس بذاته؟ أنت لا تستطيع حتى الاعتراف بكلب إذا لم تتلقَ الدعم على حكمك. حسناً، تلك هي سيكولوجيا القطيع.

"ليس الكاذب من يناقض معرفته فقط، بل هو أيضاً من يناقض عدم معرفته أيضاً. هكذا تتحدثون عن أنفسكم في علاقاتكم، وتكذبون على جاركم فيما تكذبون على أنفسكم".

هذا صحيح. هذا النوع المتأخر من الحب المسيحي يخدع الآخرين ويخدعك أيضاً؛ إنه ذريعة ووسيلة للهروب.

"يقول الأحمق في نفسه: "التعامل مع الناس يفسد سماتك الحسنة، ولا سيما عندما لا يكون للمرء سمات حسنة".

يذهب امرؤ إلى القريب لأنه يبحث عن نفسه، ويذهب آخر لأنه يريد أن يضيّع نفسه. إن قلّة حبكم لأنفسكم تجعل لكم من الوحدة سجناً".

هذه هي الحالة البائسة التي تصل إليها عندما تكون مع ذاتك. لكن إذا كنت سيئاً لدرجة يكون فيها وجودك مع ذاتك أشبه بالعقوبة، فسيكون

ذلك مبرراً جيداً لكي تتحسّن وتتطوّر ميزات جديدة تستطيع الاستمتاع بها. على المرء أن يكون قادراً على الاستمتاع برفقة ذاته. لكن النبي يقول إن رفقة المرء لذاته هي الأكثر سوءاً، وهذا يثبت ببساطة سيكولوجيا القطيع المرتبطة بالمسيحية المتأخرة: أي إن الفرد سيئ، وعلى المرء أن يفعل كل ما يستطيعه للهروب من نفسه وليضع ذلك الشر كله على الآخرين – عليهم أن يحملوه عندئذٍ.

"أولئك الأكثر بعداً هم الذين يدفعون ثمن محبتكم للقريب؛ ويكفي أن تكونوا خمسة معاً كي ينبغي على سادس دوماً أن يموت.

أنا لا أحبّ احتفالاتكم أيضاً لأنني وجدت فيها كثيراً من الممثلين، وحتى المتفرّجون غالباً ما يتصرّفون هم أيضاً كممثلين."

صحيح جداً.

"لا أعلّمكم القريب، بل الصديق أعلّمكم. ليكن الصديق حفل الأرض بالنسبة إليكم، ونكهة أولى تستبق مجيء الإنسان الأعلى."

الإنسان الأعلى هو الذات بالتأكيد، لذلك لا يظهر الصديق ويلعب دوراً معيناً إلا بقدر ما يكون حاملاً للرمز. وعندما يكون الصديق حقيقياً يكون "ما قبل مرحلة" الإدراك الكامل للذات.

"أعلّمكم الصديق وقلبه الطافح"

هذا يعني قلبك ذاتك وقلبك الطافح.

"لكن على المرء أن يعرف كيف يكون إسفنجة إذا ما أراد أن تُحبّه القلوب الطافحة."

لا يمكن أن تكون مغموراً بالحب إذا كنت فارغاً ومظلماً من الداخل؛ عندئذٍ يكون الحب الذي تفيض به على الآخرين مجرّد رغبة. أنت متسوّل، ومع ذلك تعتقد أنك تجلب هدايا عندما تغدق حبّك على الآخرين. أنت لا تعطي في حالتك هذه من خلال الوفرة بل من خلال الحاجة، وحاجتك

تمتصّهم. أنا لا أريد خمسة قروش من متسوّل عندما أكون في حاجة لها لكنني أستطيع أن أقبلها من شخص غني لأنها تأتي حينئذٍ من الوفرة. والشعور الذي يصل المرء من قلب طافح بالحب هو كنز حقيقي، لكن إذا وصله من خلال التعاسة والفقر والشحّ، فلن ينال أي شيء: على المرء أن يدفع، إنه تحت إغواء الحب المسيحي ببساطة.

"أعلّمكم الصديق الذي يحمل العالم جاهزاً في داخله، قدحاً يطفح خيراً – الصديق المبدع الذي لديه دوماً عالم جاهز للهبة."

هذا الصديق رمزي للغاية، من الواضح أنه الذات.

"وكما ينبسط العالم أمامه، يلتفّ مجدداً أمامه على شكل حلقات، مثل نموّ الخير من خلال الشرّ، ومثل نمو الغايات من خلال المصادفات."

تبين هذه الفقرة بوضوح أيضاً، أن هذه هي الذات، "الأتمان" الشخصي وفوق شخصي الذي ينكمش ويتكشّف.

"ليكن المستقبل والمقاصد البعيدة ما تصبو إليه في يومك: لتحبّ في صديقك الإنسانَ الأعلى الذي هو غاية وجودك.

لا أنصحكم بمحبة القريب يا إخوتي: بل أنصحكم بحبّ الأبعد."

هكذا تكلّم زارادشت.

من الواضح تماماً أنه يوصي بمحبّة الأبعد بهدف حماية النفس من المرواغة السهلة التي تقوم على منح المحبّة للآخرين المقيمين في الجوار مباشرة. إذا كان أولئك الذين تحبهم بعيدين، يكون لديك أعظم فرصة لتكون وحدك مع ذاتك خلال تلك الفترة؛ لديك فرصة كبيرة لتتعرّف عليها وتكتشفها. فالبحث هو سعي وراء الذات – ذلك هو الشيء الثمين الذي يصعب تحقيقه؛ هذا هو صراع البطل، صراعك وحدك حتى بدون سلاح. وأي شخص يكون معك في تلك اللحظة سيكون بين الاثنين؛ الصراع الأخير هو مع ذاتك، وكل ما تبقى هو عبارة عن عائق، أو قد يكون عائقاً. وربما

يكون "الأبعد" نقطة انطلاق، ووسيلة لا يمكن الاستغناء عنها إلى حد ما ـ لكن المعيار الأخير هو ما إذا بإمكانك أن تتحمل ذاتك عندما تكون وحدك أم لا.

السيدة وتني: هل يمكننا أن نفترض أن الرجل الذي يتحدث عنه نيتشه هو الظل، وإذا اجتمعت "الأنا" والظل معاً، ستولد الذات من تلك العلاقة؟

الدكتور يونغ: يكون الظلّ من وجهة نظر سيكولوجية، لأن هذا سيكون الشرط المسبق للاتحاد مع الذات؛ لن يحدث الاتحاد دون إدراك الظل. لكن نيتشه لا يدرك وجود الظلّ بسب تماهيه مع النموذج البدئي زارادشت؛ أي إنه لا يدرك وجوده بالمعنى الإيجابي الواعي. في القسم الثاني من كتاب *هكذا تكلّم زارادشت*، يتجسّد الظل في أبشع إنسان، وهو يرفضه بسبب تضخمه. فأي شخص يُصاب بالتضخم بسبب نموذج بدئي، لا يستطيع بطبيعة الحال أن يقبل الظل لأنه سيجعله منكمشاً؛ مع أن هذا الانكماش ضروري للغاية من أجل التفرّد. ونلاحظ في الفصل الذي عالجناه الآن أنه يميل إلى مماهاة ذلك الشخص مع الإنسان الأعلى: هو الدلالة التي تُنذر بقدوم الإنسان الأعلى. والإنسان الأعلى ليس ظلاً بكل تأكيد، إنه يحلم بالإنسان الأعلى الذي هو صديق الذات، ومع ذلك بدون ظل. لكن إذا حاول أن يتماهى مع الذات أو يتحد معها، فسوف يصادف الظل، وسيحدث تداخل. وعندما يتداخل الظل لاحقاً لن يدرك وجوده. وهنا تظهر المأساة. لأن ظله هو حقيقة ذاته الأصلية التي لن تسمح باتحاد كهذا من خلال التماهي. الاتحاد النموذجي البدئي هو اتحاد من خلال التماهي طبعاً؛ هو ببساطة يتماهى مع النموذج البدئي، وعندئذٍ الذات لن تكون ذاته تماماً، بل النموذج البدئي الذي يتم التعبير عنه من خلال زارادشت، معلّم الحكمة القديم الذي كان يعيش قبل ألفين وسبعمئة سنة مضت.

السيدة سيغ: لماذا قال نيتشه لاحقاً إن "جمال الإنسان الأعلى – *des Übermenschen schönheit*" أتى إليه بهيئة ظل؟

الدكتور يونغ: لا نستطيع أن نأخذ ذلك بشكل حرفي؛ ربما استخدم هذه الكلمة دون أي رابط سيكولوجي كذلك الذي نعزوه إليه. لا أتذكر تلك الفقرة بشكل خاص، لكن من المؤكد تماماً أن ما نسميه "ظلاً"، الإنسان الدوني، ظهر بهيئة أقبح الرجال. نصل الآن إلى فصل بعنوان "عن طريق المبدع". ما هو الرابط المنطقي مع الفصل السابق؟

السيدة كرولي: الصديق البعيد، ذلك الذي تحدثنا عنه باعتباره الذات، قد يكون هو المبدع.

الدكتور يونغ: نعم، افترض أولئك المسيحيون اللاحقون الجميلون أنه عندما لا تفعل ذلك، فسيكون عليك أن تحبّ شخصاً آخر. وهو من سيفعل ذلك.

السيدة كرولي: لكنها الذات من وجهة نظرنا. لذلك يتحدث عن العزلة.

الدكتور يونغ: تماماً، لذلك أسقطها على الصديق، آملاً أنه إذا أحب الصديق، فسوف يُبدع من أجله. لكن سترون في الفصل اللاحق نغمة أخرى. بسبب التماهي مع الذات المبدعة، يشعر بنفسه وكأنه مبدع، وسوف ترون كيف يختبر حقيقة كونه مبدعاً. إنها ميزة عظيمة أن تكون قادراً على التماهي مع نموذج بدئي لأنك ستمتلك أجنحة تجعلك قادراً على السير فوق السحاب، يا له من أمر رائع! لكنك تدفع في أوقات معينة ثمناً باهظاً لقاء هذه الأعمال المثيرة؛ إذ ينبغي عليك أن تهبط إلى الأسفل. إذا تماهيت مع المبدع، وإذا وجدت نفسك أنك المبدع، فسوف تواجه أحياناً سقوطاً مرعباً، وحالة ظلام دامس استثنائي. لا أحد يكون مبدعاً باستثناء الذات. إذا افترضت أن لديك امتيازاً سماوياً بالإبداع، فسوف تعاني من العقوبة التي يلقاها الإله المبدع؛ ستتقطع أوصالك. تم تطبيق هذه الفكرة

في معضلة ديونيسوس، ثم تولّتها المسيحية كمبدأ إبداعي عن دورة الحياة الموسمية، والخلق في الربيع والاضمحلال في الشتاء. يخضع ديونيسوس لقدر الخالق. يقبض عليه "العمالقة - التيتان"، قوى الطبيعة الفوضوية، ثم يقطعونه ويفترسونه؛ لذلك فإن جزءاً من ديونيسوس موجود في كل مكان في الطبيعة، لكن تم إنقاذ قلبه فقط في الوقت المناسب من الوقوع في وعاء الطهي الخاص بالعمالقة. وهو ما ابتلعه "زيوس" ليمنح "ديونيسوس" ولادة جديدة. قدر المبدع هو تقطيع الأوصال من الناحية المادية، وهذا متمثل أيضاً في التضحية المسيحية. جسد المسيح ودمه قد تم توزيعهما على جميع البشر. كما تقاسم عباءته الجنود تحت الصليب وتقاسمها البشر. إنه ديونيسوس مجدداً، والنبيذ الذي نشربه على أنه دم المسيح هو ديونيسوس أيضاً.

ثمة رابط آخر قريب جداً من "معضلة ديونيسوس" حيث قال آب الكنيسة "جوستين مارتيار"[1] إنه حوالي عام *900* قبل الميلاد، أصبح الشيطان مدركاً أن الله كان يخطط لفعل شيء للعالم الذي كان في حالة سيئة للغاية، ولأنه ذكي جداً، كان لديه فكرة شديدة الذكاء عما سيكون عليه الأمر. وهكذا نزل الشيطان إلى البشر وأخبرهم بقصة "ديونيسوس" من أجل أن يقول الناس عندما يظهر المسيح: "تلك قصة قديمة، إنها قصة ديونيسوس". والحقيقة التاريخية المثيرة هي أنه عندما وصل الغزاة الإسبان إلى "يوكاتان – *Yucatan*"، وجدوا بين بقايا حضارة الأزتك عدة صلبان وإشارات على تضحيات دموية. كان مذهلاً العثور على رمز مسيحي في كل مكان في هذا البلد مع أن شعب الأزتك ليس لديه أية معرفة بالمسيح. لذلك

---

[1] **القديس جوستين مارتيار (100 – 166)، المولود في فلافيا نيابوليس، تم رميه للوحوش لرفضه إعلان إيمانه.**

طرحوا القضية على الأساقفة الذين عقدوا مجلساً ووصلوا بعد بحث طويل إلى نتيجة مفادها أن الحالة مشابهة تماماً لما ذكره "جوستين": بمعنى أن الشيطان توقع أن الإسبان سيكتشفون أمريكا، وذهب إلى هناك قبل عدة قرون وأخبر الناس بأن يصنعوا الصلبان عبر البلد كله، بحيث إنه عندما يأتي الإسبان يقول الناس لهم: "نحن نعرف كل شيء عن إلهكم؛ ليس هناك ما هو جديد بالنسبة إلينا". هكذا يفكر الناس عندما يظهر أمامهم شيء جديد.[1] بداية، يسمونه كلاماً فارغاً، ويقولون لاحقاً، بعد أن يصدقه البعض، إنه صحيح وقد عرفوه منذ زمن. الأمر دوماً على هذا النحو. هكذا يتصرّف أولئك الذين ليس لديهم محاكمة للأمور، ومن يجب أن يتلقّى الدعم دوماً. فهم لا يصرّحون بأنهم يعرفون شيئاً ما إلا عندما يخبرهم شخص ما بأن هذا الشيء صحيح. سنبدأ الآن بالفصل الجديد:

"أتريد أن تمضي إلى الوحدة يا أخي؟ أتريد أن تبحث عن الطريق إلى نفسك؟ تمهّل قليلاً إذاً وأصغِ إليّ."

أصبح واضحاً في الفصل السابق أن الصديق كان ببساطة حامل الرمز، ومن الواضح في هذا الفصل أن الشخص الذي يبحث أصبح في مواجهة مع الذات، ومع الذات وحدها – وليس مع الصديق. وإذا كان مهتماً بتلك القضية، فهو في عزلة، ويجب أن يكون في عزلة. سيسعى إلى الطريق وحده لأن عليه ذلك؛ ما من أحد آخر يكون على الطريق إلى نفسه، هو وحده فقط. والآن يريد زارادشت أن يقدم نصيحة جيدة.

---

[1] أحد "الجريغالفا – Grijalva"، وتم تعيينه ضابطاً لحملة إلى "يوكاتان"، "كان مدهشاً لمشهد صلبان حجرية هائلة الحجم، من المؤكد أنها كانت أدوات للعبادة". هذا ما أدى إلى اسم "إسبانيا الجديدة". وليام بريسكوت، كتاب "تاريخ غزو مكسيكو – History of the Conquest of Mexico"، تحرير "جون فوستر كيرك (فيلادلفيا، 1873)، المجلد الأول، صفحة 225.

"إنّ من يبحث يمضي بدوره إلى الضياع بسهولة. وكلّ اعتزال خطيئة". هكذا يتكلّم القطيع. ولزمن طويل كنتَ مع القطيع.

هو يلفت انتباهه لحقيقة أنه في بحثه عن ذاته، سيفعل شيئاً يعتبره الجميع خاطئاً ويصفونه بالغرور. حيث يتم تذكيرهم دوماً بعدم قبول هذه الطريقة؛ إذا اعتبرت مجموعة من الناس أن من الصواب البحث عن الذات، وكان ذلك صحيحاً، فسيجب عليهم عندئذٍ المضي قدماً بحثاً عن الذات أيضاً. وسيكون أمراً بغيضاً لا بدّ من سحقه أو تسطيحه من البداية لكي لا يسانده أي مخلوق؛ يكمن الخوف الكبير في أن يقول شخص آخر الشيء ذاته. يمكنك إخماد حريق صغير واحد، لكن إذا كان هناك عدة حرائق يصبح الأمر أصعب بكثير. وعلاوة على ذلك، ستقول "الكثرة" في ذاته وفي وعيه الجمعي وليس في الواقع: "ألست مخطئاً؟ هذا ليس إيثاراً، أنت لا تحبّ قريبك، أنت لم تنس نفسك، أنت مع 'أناك' على مدار الوقت ولا شيء سوى 'أناك' – لذلك أنت مخطئ". تلك هي وجهة نظر الوعي الجمعي، ووعي القطيع.

"سيظل صوت القطيع يرنّ في داخلك. وعندما ستقول: "لم يعد لي من ضمير مشترك معكم"، سيكون ذلك شكوى ووجعاً.

. انظر، ذلك الوجع ذاته إنما منشؤه ذاك الضمير أيضاً: وآخر بصيص من ذلك الضمير ما يزال يشتعل فوق لوعتك."

ما هي اللوعة؟ كيف يمكنكم صوغ ذلك؟ .

السيدة لومان: أن يكون وحده.

الدكتور يونغ: نعم، وما يترتب على ذلك من نتائج بغيضة، وشعورك بالتعاسة عندما تكون وحيداً مع ذاتك هو آخر ومضة لضمير القطيع.

"لكنك تريد المضيّ على درب لوعتك الذي هو دربك إلى ذاتك! أرني إذاً إن كنت حقيقياً بذلك وذا طاقة عليه!"

كلمة "لوعة – *affiction*" تعني المعاناة طبعاً، ويمكنك تضخيم هذا المفهوم؛ يمكنك أن تجعل أي نوع من اللوعة يدخل هذا الإطار، ويمكنك مثلاً أن تدخل أشخاصاً لا يكونون مع أنفسهم أبداً بسبب وعيهم القطيعي. لا يمكنهم فعل أي شيء لأنفسهم لأنهم، بساق واحدة على الأقل، يؤمنون بالمثالية المسيحية المتأخرة، ومع تلك الساق الواحدة ينسحبون إلى حديقة جارهم؛ ثم يصبحون بطبيعة الحالة منقسمين لأن الساق الأخرى تبقى في البيت – يصبحون مفككين. لذلك تشبه هذه اللوعة حالة العُصاب. فعندما يقرر المريض أن يشقّ طريقه إلى نفسه، فسيقول الأطباء والأصدقاء والصحف إنه مخطئ تماماً – إنه مريض للغاية، ومهووس. يمكن أن تسمع ذلك في كل مكان. عندما يأتي مثلاً شاب يافع للاستشارة، وقد يأتي الأب والأم أيضاً، وأسمع بانتظام عبارة: "ألا تعتقد أن من الخطر على الناس أن يهتموا بأنفسهم؟" هم مهتمون بأنفسهم بطبيعة الحال، لكن يعتقد الجميع أنه نوع من المرض، أو أنها مجرّد أنانية؛ أن يكون المرء قادراً على الاهتمام بنفسه بشكل لائق هو أمر لا مجال للشك فيه إطلاقاً. وأن يشغل المرء نفسه بنفسه يعني أن هذا الشخص غير جيد بالمطلق وسيئ السمعة، بل ومهووس للغاية. لا أحد لديه مفهوم يقوم على أن المرء يستطيع أن يقوم بعمل منطقي لائق على ذاته؛ وكأن هذه الفكرة قد عفا عليها الزمن بالنسبة إلينا.

إذا سألني أحدهم مثلاً ما الذي فعلته الليلة الماضية وأجبته بأنني عملت على نفسي فسوف يسأل: "ما الذي فعلته – رياضة بدنية؟" إذا قلت له ما الذي فعلته فسوف يعتبره محض جنون، وهراء مطلقاً – ما الفائدة من

ذلك، هذا لا يمكن بيعه، ولا يمكن تطبيقه في أي مكان. لأن الشيء الذي يمكن تطبيق هذا الأمر عليه ليس له وجود؛ الإنسان ليس شيئاً. أن تقول إنك فعلت شيئاً ما للسيد فلان أو السيدة فلانة هو أمر رائع جداً: لا بأس بذلك. السادة فلان وفلانة أشخاص موجودون في الحياة يمكنك أن تعثر عليهم في دليل الهاتف العام، وبالتالي يمكنك أن تفعل شيئاً لهم – لكن إذا قلت إنني أعمل على نفسي، فأنا مجهول، أنا لست موجوداً. يمكن لأي شخص آخر أن يعمل شيئاً من أجلي؛ يمكن لـ "فراو ستوتز – *Frau Stutz*" أن تفعل، وسيصدق الجميع أنها كانت تقوم بعمل مجهد، لكن إذا قالت السيدة ذاتها أنها فعلت شيئاً لنفسها، فلا أحد يفهم ذلك. إذا لم تكن رياضة بدنية، فما عساها أن تكون؟ مع أن الناس كانوا مقتنعين سابقاً بواقع العمل على أنفسهم، وكانت مدن من البشر تخرج إلى البراري للقيام بذلك؛ وهناك أديان عظيمة، كالبوذية مثلاً، جعلت العمل على الذات هدفاً أساسياً. لكن بالنسبة إلينا، تم القضاء على ذلك كله بسبب الجبن الناتج عما يسمى محبّة القريب المسيحية. وهذا نوع من الجبن المنظم.

السيد باومان: لكن الناس في القرون الوسطى اعتقدوا أنهم يتعاملون مع الله وليس مع أنفسهم.

الدكتور يونغ: تلك كانت عقيدة بطبيعة الحال، لكن لا يمكنني القول إنني أثناء الليلة الماضية قمت بعمل من أجل الله، ولا تستطيع السيدة "فراو ستوتز" أن تقول ذلك أيضاً؛ لن يفهم أي شخص ما أقوله. ما هو العمل مع الله أو من أجل الله؟ سيفترضون أنها كانت في جمعية خيرية، وباعت مناديل الجيب للزنوج. وبسبب هذا الموقف الجمعي، والتجاهل المطلق لما يمكن أن تكون عليه الذات – تعني الذات حقيقة النفس – لدى البشر ضمير جمعي قوي يجعلهم مرضى تماماً إذا حاولوا اتباع

طرقهم الخاصة، وأن يكونوا مع أنفسهم، وأن يعملوا على أنفسهم. وقد يرقى ذلك إلى مستوى مصيبة حقيقية أو لوعة أو مرض أو عُصاب. لكن إذا كانت الحالة عُصاباً سلفاً، فإن أي طبيب يفهم فعلاً بهذه القضايا سيكون مجبراً على القول: "إذا أراد المريض أن يشفى، عليه أن يتبع طريق عُصابه" – الشيء الوحيد الذي يتحدث الجميع ضدّه. يقول الناس: "إذا كان لديك عُصاب معين، فحاول الابتعاد عنه، اذهب إلى الهند أو إلى أي مكان آخر لا يكون فيه هذا العُصاب، اترك عُصابك في أوروبا، وادفنه هناك". لكنني أقول: "اتبع طريق عُصابك؛ هذا أفضل شيء قمت بإنتاجه، وهذه قيمتك الحقيقية".

هذا تماماً ما يعنيه نيتشه هنا. لكنه يتساءل ما إذا كان المرء على حق في اختيار هذا الطريق أم لا، وهذه طبعاً إحدى المشاكل الرئيسة. ليس مؤكداً بأي حال من الأحوال ما إذا كان المرء يمتلك القوة أو الحق بالمضي قدماً إلى ذاته، لأن هذا المشروع ضخم وصعب للغاية. فالكنيسة الكاثوليكية مثلاً قد تشكّ فيما إذا كان لأحدهم القوة أو الحق أو الملَكة ليكون راهباً أو ليعيش كراهب أو راهبة. وطريق المرء إلى ذاته، طريقه إلى لوعته الخاصة، هو أصعب الطرق وأقساها. يمكننا فعلاً أن نسأل: "هل لدى أحدهم القدرة والقوة والصبر على فعل ذلك؟ وأيضاً، هل لديه الحق بفعل ذلك؟" لأن من الممكن القيام بذلك انطلاقاً من دافع خاطئ؛ ربما تكون أنانياً فعلاً كما يحدث إذا كنت في طريقك إلى ذاتك لكي تنغمس في ذاتك وليس للعمل عليها. معظم الناس لا يفهمون الأمر انغماساً لكنهم يجعلونه انغماساً؛ فهم ينغمسون ولا يفعلون أي شيء. يمكن أن ترى ذلك في كل التفاصيل. إنه جزء من العمل اليومي للمحلل النفسي أن يُظهر للناس إلى أي حدّ هم منغمسون في أخيولاتهم، وإلى أي حد يعملون. إذا انغمسوا في أخيولاتهم

فلن تقودهم إلى أي مكان. بقدر ما هم منغمسون في أخيولاتهم، فهي لا تقودهم إلى أي مكان. هي لا تتطور. وهم يخرجون منها مرة تلو أخرى ليجدوا جانباً جديداً ينغمسون فيه، ولا تظهر لديهم تركيبة جديدة لأنهم لم يقوموا بأي عمل. ثمة فرق كبير بين أن تقرأ كتاباً كي تعمل عليه أو أن تغمس نفسك في كتاب؛ وهذا الفرق ذاته موجود بالنسبة إلى الأخيولات.

"هل أنت طاقة جديدة وحقّ جديد؟ حركة أولى؟ دولاب يدفع نفسه بنفسه؟ سيكون بإمكانك إذاً أن ترغم النجوم على الدوران حولك."

هذه مشكلة ضخمة للغاية. هو يتوقع أن يشعر المرء القادر على الدخول إلى نفسه أن لديه قوة جديدة وحقاً جديداً، شيئاً لم يكن لديه من قبل، حركة أولى. ذلك سيكون شيئاً بلا تاريخ؛ البداية اليوم، البدء من لا شيء، من نقطة الصفر. إنها عجلة تدور من تلقاء نفسها مثل الشمس. والأهم من ذلك، هو يسأل ما إذا كان هذا الشخص يمتلك تلك القوة التي تجبر حتى النجوم على الدوران حوله – كما لو أنه الشمس. من الواضح أن العجلة الدوارة هي رمز الذات، والنجوم التي تدور حول الذات هي درب التبانة، مركز السموات. لذلك يسأل نيتشه هنا: "هل أنت ذات؟ إذا كنت ذاتاً، فيمكنك المخاطرة". هو يفترض أن المرء لا يستطيع المخاطرة بهذا الطريق إلا إذا كان عجلة – الشخص الذي يكون ذاتاً هو وحده الذي يمكنه المخاطرة بهذا الطريق الذي يكون فيه وحده. حول أي شيء يدور ذلك من وجهة نظركم؟ هل هذا صحيح؟

السيدة باومان: لا، هذا يظهر حالة تماهٍ.

الدكتور يونغ: لا يمكن لأحد بمنطقه السليم أن يقول إنه يمتلك تلك القوة، وإنها عجلة تدور ذاتياً، كما لا يمكن لأي شخص أن يقول إنه يمتلك القوة التي تجعل النجوم تدور حوله. هذا مستحيل، إنها قوة فوق طاقة

البشر، قوة إلهية. لذلك عندما يطرح هذا السؤال، لا يمكنه التحدث إلا من منظور التماهي مع النموذج البدني الخطير بالتأكيد. إذا تماهى مع الله فسوف تتقطع أوصاله؛ عندما تبدأ الشمس بالدوران، سوف ينفجر إلى ملايين الأجزاء التي تتطاير من العجلة.

"لكم هناك من طمع متلهف على الأعالي! وكم هناك من صراعات طموحين! أرني أنك لست واحداً من الطماعين والطموحين!

كم هناك من الأفكار الكبيرة التي لا تفعل أكثر من فعل الفقاقيع: تنتفخ لتزيد من فراغ الفراغ."

لا يريد سوى أن يطبق تلك الفكرة على التماهي، عندئذٍ تتخذ الأشياء مسارها الصحيح. لديه بالتأكيد حدس صحيح.

"حراً تسمّي نفسك؟ أريد إذاً أن أستمع إلى فكرتك المسيطرة، لا إلى كونك تخلّصت من نير."

يفرّق هنا بين الانغماس والإنجاز أو العمل. هو لا يريد أن يسمع عن تحرير المرء لنفسه. ربما يكون عبداً هرب من قيوده، أو ثوراً تخلّص من عربته. لقد حرر نفسه، لكن لماذا؟ من أجل لا شيء، من أجل انغماس.

"هل أنت واحد ممن حقّ لهم أن يتخلّصوا من نير؟ فهناك من رمى بآخر قيمة له عندما رمى بآخر أواصر عبوديته."

هذا تصريح هام للغاية. يظن الناس أن بإمكانهم الدخول إلى ذواتهم للهروب من النير، وكانت المحبّة المسيحية اللاحقة على حق تماماً عندما طبّقت ذلك على الناس. إنهم مجرّد أنانيين ذهبوا إلى ذواتهم للتخلّص من شيء ما، من أجل خداع العالم أو خداع أنفسهم. في بحثهم عن ذواتهم بطريقة الانغماس، حرّروا أنفسهم من عبودية كانت قدرهم. لذلك، في أي وضع تجد نفسك فيه، عليك أن تقبل بذلك كعَرَضٍ من أعراضك؛ إن

حالتك هي أنت، وإذا لم تتبنَّ حالتك كتعبير عن ذاتك، تتركها ببساطة للانغماس، ثم تفقد قيمك التي تمتلكها: بمعنى، عبوديتك، وارتباطك بالبشرية، استخدامك للبشرية واستخدامك لنفسك أيضاً. إن التشابك الصعب الذي يعيشه الجميع، يشكل جذور وجودهم. هو أشبه بقناة الريّ التي يُسمّدون بها تربتهم. وإذا انسحبت من ذلك الموقع، إذا عملت على الانغماس، فأنت تصنع عالماً مصطنعاً بالكامل أشبه بالبيوت الزجاجية؛ لا تلمس التربة، ولا تحصل على السماد، بل تبقى أشبه بشيفرة للوجود – لم تعد حقيقياً. إذا لم يكن للذات موطئ قدم في هذا العالم، فقد تكون كالشبح تماماً – ذاتك لم تولد أبداً – وفي تلك الحالة يكون الارتباط مع الذات انغماساً قاتلاً تماماً.

"حرّ من ماذا؟ ما همّ زارادشت في هذا؟ بل لتقل لي نظرتُك بوضوح: من أجل ماذا؟

هل تستطيع أن تمنح نفسك خيرك وشرك وأن تعلّق إرادتك مثل قانون فوقك؟ هل تستطيع أن تكون قاضي نفسك والمقتصّ لقانونك؟

فظيع أن تكون على انفراد مع قاضي قانونك والمقتصّ له. نجم يُقذف به هكذا في فضاءٍ خلاءٍ وفي الوهج الجليدي للوحدة."

أولئك الذين يعتقدون أن بإمكانهم الهروب من عبوديتهم التي تمت دعوتهم إليها من خلال القدر والحياة عبر الانغماس في "أنواتهم" الخاصة، هم مخطئون طبعاً، وسرعان ما سيرون أنهم أصبحوا غير حقيقيين، وأنهم لا يستطيعون التأثير على هذا العالم. العالم لا يصلهم، وهم بلا فائدة – هم ببساطة ممحوون من الحياة ومُلقى بهم على شواطئها. لكن إذا قبلت عبوديتك، وإذا شاركت في الحياة، يمكن عندئذٍ أن تُنتج شيئاً، وعندئذٍ أيضاً يكون لك الحق بطريقك الخاص. لا يمكن للمرء أن يطأ هذا الطريق

إلا إذا رغب المرء بقبول حقيقة أن كل شخص يشكّل قانونه الخاص. عندئذٍ يتنحّى الضمير الجمعي وكل تلك الأفكار الجمعية جانباً. ثم يخطر بالذهن السؤال الآتي: هل يمكن أن تحتمل ذلك؟ هل يمكن أن تحتمل تلك الإهانة ضد ضميرك الجمعي؟ إذا كانت الإجابة النفي، فمن الأفضل أن تبقى مكانك. أما إذا وجدت أنك تستطيع ذلك، فيمكنك المضي قدماً. ربما تسقط في وهم أنه لن يكون لديك قاضٍ ولا قانون على نفسك، لكن ستكتشف أنه ليس هناك قاضٍ ولا قوانين في العالم أكثر صرامة من تلك التي وضعتها لنفسك: أنت نفسك القانون الأقسى من أي قانون آخر اخترعه الإنسان يوماً. لكن طبعاً، لا يمكن للمرء أن يختبر ذلك عندما لا يواصل السير على الطريق، ومن الأفضل تماماً ألا يواصل على ذلك الطريق إذا لم يستطع أن يحتمل العواقب القاتلة التي تجلبها الإساءة للضمير الجمعي.

ما زلت أنت الواحد تعاني من أولئك الكثيرين إلى اليوم: ما تزال شجاعتك كاملة وكذلك آمالك.

لكنك ستتعب في يوم ما من جراء وحدتك، في يوم ما ستنثني كبرياؤك وستصرّ دواليب شجاعتك. في يوم ما ستصرخ: "إنني وحيد!".

في يوم ما لن تستطيع أن ترى علوّك، وستكون أقرب ما يكون من حضيضك؛ سيغدو مقدّسك ذاته كشبح مرعب بالنسبة إليك. وستصرخ ذات يوم: "الكلّ باطل!".

هناك أحاسيس تريد قتل المتوحّد؛ وإذا ما لم تفلح في ذلك فإنه سيكون عليها هي إذاً أن تموت! هل أنت قادر على أن تكون قاتلاً؟

هذا هو الصراع مع الضمير الجمعي. إذا كنت قادراً على قتل تلك المشاعر الجمعية القابلة للفهم، إذا كنت قادراً على تحمّل مشهد ذاتك

كقاتل ومجرم، فعندئذٍ قد تمتلك القوة الكافية لمواصلة ذلك الطريق، لأنك حينها تستطيع أن تحتمل حتى قانوناً أقسى من القانون الذي دمرته. المسألة على الشكل الآتي: القانون الذي ستواجهه أسوأ من أي قانون آخر. أولئك الذين يهربون إلى القانون الجمعي هم أفضل وأمرن وأبسط. وكما يحدث في عالم الفكر، إذ يكون من السهل أن تفكر بشيء عادي شائع تستطيع العثور عليه في الكتب الدراسية، لكن من الصعب جداً أن تفكر بما هو نادر الوجود. والأمر نفسه ينطبق على الحياة، في نمط الحياة المعيش، في الأخلاق: إنه ذاته دوماً. قال أحد الفرنسيين يوماً إن أكثر المخترعين تعاسة هم أولئك الذين اخترعوا الأخلاقيات الجديدة. كانوا جميعاً لا أخلاقيين، "*c'était toujours des immoraliste*".[1]

---

[1] كان يونغ يشير من دون شك إلى كتاب "أندريه جيد – André Gide" بعنوان "اللا أخلاقي – The Immoralist" (الأصل، باريس، 1921). و"أندريه جيد" بدوره عرف أن نيتشه قال: "أنا أول لا أخلاقي" كتاب (هذا هو الإنسان – Ecce Hom، الفصل الثالث، "معاينات غير معاصرة – The Untimely Essays).

محاضرة السابعة

27 تشرين الثاني – نوفمبر 1935

الدكتور يونغ:

تسأل السيدة سيغ عن الفقرة التي تقول: "***هل تستطيع أن تمنح نفسك خيرك وشرّك وأن تعلّق إرادتك مثل قانون فوقك؟ هل تستطيع أن تكون قاضي نفسك والمقتصّ لقانونك***؟".

السيدة سيغ: القاضي واضح لكن المقتصّ للقانون غير واضح.

الدكتور يونغ: القاضي والمقتصّ هما الشيء ذاته، لأن القاضي موجود ليقتصّ من المخطئ؛ القانون مقتصّ دوماً.

السيدة سيغ: نعم، لكن كانت هذه الشخصيات لدى نيتشه في مواقع مختلفة. في فصل "المجرم الشاحب" كان هناك القاضي والمجرم، حتى إنه تحدث أحياناً عن زارادشت باعتباره جلاداً.

الدكتور يونغ: إذا كان هناك قاضٍ فهناك مقتصّ أيضاً – القاضي نفسه هو المقتصّ. طبعاً، إذا لم يحدث أي شيء بعد أن ينهي القاضي حكمه، لا تستطيعين أن تسمي القاضي مقتصّاً؛ كان ينطق ببساطة كلمة غير مؤثرة أبداً. أن نقول إن أحدهم مجرم لا يعني أي شيء إذا لم يكن هناك قوة انتقامية ترتبط بالقاضي؛ إنه سلوك القانون، ويجب أن يكون

هناك شرطة وسجن وعقوبة الإعدام. لذلك فالمصطلحان مترادفان؛ قاضٍ من دون جدارة وفعالية لا يمكنه أن ينقل حكمه إلى حيّز التنفيذ. لا رأس يمكن أن يُقطع بمجرد صدور الحكم، يحتاج الأمر إلى سيف أو مقصلة، وهذا هو فعل القصاص.

السيدة سيغ: اعتقدت أن هناك فرقاً بسيطاً، وأن هناك شخصيتين في الداخل.

الدكتور يونغ: هناك فرق بطبيعة الحال؛ هناك قانون وهناك من ينفذ القانون. القانون نفسه ليس أكثر من استنشاق للهواء؛ لكنه لا يصبح حقيقة إلا عندما يتم تنفيذه. أن يكون أحدهم في طريقه لفعل شيء ما، وتنفيذ هذا الشيء، هما أمران مختلفان للغاية.

السيدة سيغ: أعرف من هو القاضي.

الدكتور يونغ: إذاً تعرفين أيضاً من هو المقتصّ. إذا عرف أحدهم أنه ارتكب خطأ ما، فلن يظل مع ذلك الحكم الداخلي. سيتم نقله إلى حيز التنفيذ؛ سيحدث له شيء ما. فالساذج وغير الواعي هو فقط الذي لا يعرف ذلك لأنه عاجز عن ربط الحقائق. قد تعرف على سبيل المثال أنك ارتكبت خطأ ما لكنك تركت الأمر يمر، واعتقدت أن ذلك لن يسفر عن أي شيء، وبعد ذلك تظنّ أن من المضحك أنك سقطت عن السلالم ولويت كاحلك لأنك لم تربط ذلك بالحكم – بأنه تم الحكم عليك بهذه العقوبة. يبدو الأمر كما لو أن مجرماً يوشك أن يُعدم فيقول: "يا للهول! ما الذي يفعلونه؟" – هو لا يرى أي رابط بين الجريمة والمحاكمة وحقيقة أنه سيُعدم. تمر بالناس لحظة يرون فيها أنهم ارتكبوا خطأ ما لكنهم يكبتون ذلك وينسون كل شيء عنه. ثم يحدث شيء ما ولا يستطيعون ربط الأمرين معاً لأنهم نسوا الجزء الأول من المحاكمة؛ عندما يحدث القسم الثاني تصيبهم الدهشة. لطالما طُرِحَ علي سؤال، عندما يُصاب الناس بحادث من

نوع ما، كيف يمكن لهذا أن يحدث من اللاشيء، ويعاني المرء من كل الصعوبات الموجودة في العالم ليكتشف ما الذي حدث من قبل كي يفسّر ما حدث بعد ذلك؛ هذا الحدث لم يأتِ من اللاشيء. إنه قانون السببية.

السيدة سيغ: إنها عقوبة ذاتية.

الدكتور يونغ: لا يمكن حتى أن تسميها عقوبة ذاتية لأن الشخص لم يخلق هذه العقوبة لنفسه؛ لقد كان مجرّد أداة. هذه هي المشكلة تحديداً. في كتاب *هكذا تكلّم زارادشت*، تماهى نيتشه مع القاضي؛ اعتقد أنه قاضي نفسه، وبالتالي فإن العمل يأتي مع الأسف لصالح وجهة النظر التي تقول إن أي شخص يتحدث عن ذاته هو فرداني بالضرورة. يُفترض أن نيتشه فرداني لدرجة كبيرة، وهو سلف جميع الفردانيين؛ يتم تصنيفه مع ماركس وأمثاله، وهذا خطأ كبير. هو ليس فردانياً إطلاقاً بذلك المعنى لأن مفهومه عن الذات مفهوم لائق للغاية ويربطه فعلاً بالبشرية جمعاء. لذلك يتلقى التقدير من جميع الشعوب عملياً. لكن لا تزال تسمع أينما ذهبت أنه وعظ بالفردانية، لأن الناس لا يستطيعون التقريب بين الذات و"الأنا" العادية؛ عندما تتحدث عن الذات، يظنون أنك تقصد "الأنا". على المرء أن يكون حذراً ولا يتماهى مع القاضي؛ ولا يجب أن يتحدث عن العقوبة الذاتية لأن المرء لم يختر العقوبة. عندما تحلل قضية كهذه بعناية، أو حادثة مثلاً، ترى تعاون كثير من الظروف وكثير من الناس من أجل تنفيذ حكم أنت نفسك لم تقرر أي شيء حوله؛ لديك فقط شعور بسيط يرتاب بأن هناك شيئاً ما لم يكن كما ينبغي أن يكون. والأهم من ذلك أنك نسيت. هذا غير مقبول إطلاقاً، وأنت تنحي الأمر جانباً وتضع أجهزة القانون كلها قيد العمل. تماماً كما يرغب المجرم الذي سرق شيئاً أو زوّر أو ارتكب جريمة قتل بأن ينسى الأمر؛ يخفي آثاره ويتوارى عن الأنظار ويعيش اللحظة كما

لو أنه ما من شيء حدث. يعود إلى الظروف المستقرة والسلوك الحسن، وحتى إلى احترام الذات؛ يعمل رجال الشرطة بحماس حالياً للعثور على المجرم، وأخيراً، يقتفون أثره ويقبضون عليه، ولا يمكن القول إنها كانت عقوبة ذاتية؛ بالتأكيد لا: لقد خضع للعقاب. تقع الحوادث بالطريقة ذاتها تقريباً، ومن المدهش رؤية كيف تأتي الظروف والأشخاص من مسافة بعيدة وتلتقي في ذلك الموقع بالذات لتنفيذ العقوبة. ويستحيل القول إنك قمت بترتيبها.

القاضي والمقتصّ يتم إسقاطهما عادة على الله، لكن إله نيتشه ميت؛ ليس هناك كائن كهذا ليعمل من أجله. لذلك، افترض أنه هو نفسه القاضي. هو يعرف أن هناك ذاتاً، لكن بسبب فكرته عن الإنسان الأعلى وافتقاده لفكرة وجوده خارج ذاته، كان مجبراً على افتراض أنه متماهٍ مع ذاته. لو استطاع فقط أن يكون واضحاً بما يخص تصوّره الخاص! لأن بإمكان المرء أن يكون ذاته، بإمكانك أن تكون ذاتك – أعني *الذات* الخاصة بك – تماماً كما يمكن أن تكون جزءاً من البلد أو الأمة التي تنتمي إليها. لا يمكن للألماني أن يقول إنه الأمة الألمانية كلها، وإن الأمة الألمانية كلها ليست سوى نفسه، كما لا يمكن للسويسري أنّ يقول إنه "الاتحاد السويسري" أو إنه "الإقليم" الذي يعيش به لكنه جزء منه بالتأكيد. وبالتالي فإن علاقة الذات بنا مطابقة تماماً لعلاقة الدولة أو الأمة بالفرد؛ إنها ببساطة نظام سيكولوجي عظيم ننتمي إليه كجزء من الكل. والكل هو القاضي والمقتص، وليس الجزء؛ الجزء هو الشيء الذي يُحاكَم، والشيء الذي يكون الأداة التي تخضع للعقوبة. من خلالنا يتم تطبيق العقوبة.

يحدث مثلاً أن تكون معتاداً على معاقبة شخص ما، ومن الخطأ الكبير أن تعتقد أنك أنت من أنزلت هذه العقوبة. الويل لك إذا كنت تعتقد ذلك،

وأن هذا سيرتدّ إليك، لأنك لم تنفذ سوى دورك الأدواتي "بامتعاض"[1] ومع افتراض أن لديك منزلة القاضي. يكون القساوسة وقحين وذرائعيين عندما يعتقدون أن بإمكانهم أن يخبروا الناس بأخطائهم وتعليمهم أشياء تتعلّق بآثامهم. هذا يعود عليهم بالانتقام، لأننا لسنا قادرين أبداً أن نحكم على ذنوب الآخرين؛ نحن لسنا منتقمين، ولسنا شريعة النزاهة، لأننا مخطئون دوماً أيضاً، وإذا قام القَدَر أو القاضي باستخدامنا لإيقاع الألم بالآخرين كعقوبة، فعلينا أن نبرر لأنفسنا، ويجب أن نطلب المغفرة ونغادر. يجب أن نكون واعين دوماً لحقيقة أننا مجرد أدوات. ولا أعرف لماذا لم يكن نيتشه قادراً على إدراك هذه الفكرة البسيطة التي تقول إن الذات هي الكل وإنه هو نفسه جزء منها، أو ذرة في مركّب. هذه ليست فكرتي الأصلية طبعاً. لقد وصلتني من الشرق. لكن نيتشه لم يدرس الفلسفة الشرقية لسوء الحظ؛ كانت ستشكّل عوناً هائلاً له في هذا المكان كما يمكن للمرء أن يتوقع. للشرق أهمية لا تقدّر بثمن. عبر آلاف السنوات، اكتشفت أذهان المعلمين الشرقيين تلك الأفكار، وسنكون أغبياء للغاية إذا لم نتبنها بالقدر الذي يساعدنا على توضيح ما لدينا؛ لا يجب أخذها بدلاً من أفكارنا بل لتوضيحها فقط. وإذا ضعنا في الأفكار الشرقية، نصبح طبعاً وكأننا ضبابيون. لنتابع الآن:

" هل تعرف كلمة "احتقار" (ازدراء) يا أخي؟ وعذاب عدالتك في إنصاف أولئك الذين يحتقرونك؟

إنك ترغم كثيرين على مراجعة معرفتهم بك؛ ذلك هو ما يحاسبونك عليه حساباً عسيراً. لقد اقتربت منهم لكنك مضيت في طريقك، ذلك ما لن يغفروه لك أبداً."

---

[1] بدأ نيتشه بالأسلوب الفلسفي المتمثل باستخدام مصطلح "الامتعاض – ressentiment" الفرنسي لتوصيف الاضطراب السائد المعاصر – ليس استياءً فقط بل مترافقاً باستنفاد الروح.

في هذه الفقرة والفقرات اللاحقة، يعترف نيتشه بتجارب هامة في حياته. إنسان مبدع طبعاً من يتبع طريقه لوحده، وأياً كان من اختار طريقاً كهذا ستكون لديه تجارب غريبة لا يحظى بها أولئك الذين يسيرون على الطريق السريع مع الآلاف غيرهم. فعندما يتحدث عن الاحتقار أو الازدراء، أو عن إدانة أحدهم – "*وعذاب عدالتك*" – فهو يتحدث عن تجربة خاصة؛ هو يضع كلمة "احتقار" ضمن قوسين، ويعني نوعاً خاصاً من الاحتقار – ذلك الاحتقار الضروري ليميز نفسه عن رفاقه. لأنه إذا لم يميّز نفسه عن رفاقه، كيف له أن يختار طريقه الخاص؟ سيبقى معهم؛ سيبقى على الطريق السريع ذاته. وإذا أراد فعلاً أن يتسلّق إلى الأعلى فسيبقى على مسافة أمتار فوقهم ويراهم في الأسفل. هذه النظرة للأسفل هي ما يسمّونه "احتقاراً"، وهي تبدو احتقاراً أيضاً بالنسبة إليه طالما أنه لا يزال إنساناً جمعياً. لا يستطيع الإنسان الجمعي بطبيعة الحال الامتناع عن الشعور بالاحتقار عندما يرى الآخرين في الأسفل. لكنه شيء على المرء أن يحتمله إذا رغب باختيار طريقه الخاص، ورغب بأن يرفعه هذا الطريق إلى ما هو أعلى من الطريق السريع. يكون هذا ممكناً إذا كان المرء مبدعاً، ومن المؤلم جداً لعدالة المرء أن يجد نفسه مع مشكلة النظر إلى الأسفل؛ بدلاً من "الاحتقار"، من الأفضل لك أن تسميه "النظر للأسفل". لكن عندئذٍ لا يكون النظر للأسفل احتقاراً، على الرغم من أن الإنسان الجمعي فيك، مثل الإنسان الجمعي على الطريق السريع، سيسميه بطبيعة الحال "احتقاراً".

غالباً ما يعاني الناس الأكثر ذكاء بقليل من الغالبية العظمى من ذلك الانحياز المتمثل في ازدراء الآخرين أو النظر إليهم إلى الأسفل، لأن الشخص العادي يشعر بطبيعة الحال بالتجاهل إذا قيل أمامه ما يتجاوز أفقه بقليل. إذا *كانوا* ينظرون إلى الأسفل، سيكون ذلك من أجل أن يمنحوا

أنفسهم أسلوباً خاصاً؛ سيكون احتقاراً فعلاً. لا يمكنهم أن يفهموه إلا باعتباره فخر أولئك الذين يقولون أو يفعلون شيئاً خارج نطاق المألوف أو طموحهم أو حساسيتهم؛ إذا لم يفهموه، لا يمكنهم استيعابه بأية مصطلحات أخرى. لذلك لا يمكن للطموحين الساعين إلى السلطة والهيبة أن يفهموا أن بإمكان شخص أن يفعل شيئاً لائقاً دون أن يكون لديه ذلك الطموح، وسيحاولون الإمساك به من خلال تقديم الشيء ذاته. على سبيل المثال، يأتي أحدهم إليّ ويعرض علي كثيراً من المال لأنه يفترض أن هذا ما أسعى إليه فعلاً. لكن إذا اكتشف أنه لا يستطيع شرائي بالمال، سيعتقد أن بإمكانه التأثير علي بجوائز الشرف – أي إن الهيبة هي طموحي – ويضع أمامي ما يثير اهتمامي بقوة الغريزة الشريرة. هو لا يستطيع تفسير صعوبة التعامل معي إلا من خلال فكرته التعيسة عن القوة، لأن فكرة أن شخصاً قد يفعل شيئاً لمصلحته الخاصة ليست ضمن مجال تفكيره. لا يمكنه أن يفترض مثلاً أنني ربما أحقق في شيء ما، أو أبني شيئاً ما، فقط لأن هذا الأمر جميل بحد ذاته، هو يعتقد أنني لا أفعل ذلك إلا للتأثير على الناس وحجب بصيرتهم، كي أضعهم تحت سيطرتي الكاملة.

لا يمكنك منع نفسك من الشعور بالاحتقار نحو سيكولوجيا كهذه – إنها محتقرة ملعونة لدرجة يصعب إنصاف من يطبّقونها. "*إنك ترغم كثيرين على مراجعة معرفتهم بك*". لا يمكن أن تتخيل محنة أسوأ من اضطرارك لتعليم الناس أنه ليس لدى المرء دوافع كهذه؛ إنهم يفضّلون الموت على تصديق أن لدى المرء دافعاً لائقاً، أو دافعاً خيالياً وهمياً لفعل شيء من أجل مصلحته الخاصة. لا يستطيعون التفكير بأشياء جميلة بحد ذاتها بل بأشياء تهدف إلى شيء ما – كما لو أن الوردة لا تكون جميلة إلا للحشرات؛ التفسير الذي يرضيهم هو أن جمال الوردة ليس موجوداً إلا

لجذب الحشرات لتخصيبها. حتى إنهم يعتقدون أن هذه قيمة عليا للوردة. لكن السيكولوجيا الحقيقية للوردة، وأراهن على ذلك بأي شيء، هي أن تكون كما هي تماماً؛ تمنح الشمس أشعتها للنباتات، وتتفتح بشكل جميل في الهواء دون أي تفكير بالتخصيب. هي لا تفكّر بالنحل ولا تفكر أيضاً بالعلماء!

إنها مهمة صعبة وخطيرة أن تعلم الناس شيئاً جديداً، ليس فقط لأنهم يتحاملون عليه بشدّة، بل لأنهم يفترضون أن أي جديد هو سيئ بالضرورة. يقولون: "لدينا تلك الأشياء الجيدة والجميلة، ما الفائدة من هذا الجديد؟ لدينا الحقيقة وأنت مهرطق". لأن الحقيقة الجديدة تخمد القديمة. إذا أنتج أحدهم شيئاً جديداً في مجال الدين، فمن الطبيعي أن يكون المرء في مأزق لأن الدين امتلك دوماً الحقيقة الأبدية كلها. ولسوء الحظ، كان هناك عدد كبير ممن امتلكوا حقيقة أبدية: يجب أن تكون هناك عدة حقائق أبدية. فمن هو الإله المسيحي مثلاً؟ - هل هو إله العهد الجديد، أو إله الحب، أو إله العهد القديم الذي لمّح أو اقترح تلك الأشياء المرعبة لتلك القبائل البدائية القديمة؟

"إنك تقفز من فوقهم: لكن كلما ازددت ارتفاعاً تراءيت صغيراً في أعين حسّادك. غير أنّ الذي يطير عالياً هو الذي يكون هدفاً للنقمة غالباً.

صحيح تماماً. يمكن القول أيضاً إن الخروف الذي يسير أمام القطيع هو القائد، لكن إذا صادف أن كان لهذا الخروف جناحان، أو كان قادراً على السير أسرع قليلاً – إذا استطاع أن يسير على مسافة مئتي ياردة أمام القطيع – فسيكون عندئذٍ ذئباً. لا تتبعه؛ إنه بعيد جداً، وهذا خطير.

"كيف تريدون أن تكونوا عادلين تجاهي!" – كذا ينبغي عليك أن تتكلم – "بل إنني أختار لنفسي ظلمكم كنصيب مستحقّ".

هذا أمر حتمي. إذا قلت أو فعلت أي جديد، فستؤذي شخصاً ما أو شيئاً ما. الحقيقة القديمة التي لا تزال موجودة ستتم إعاقتها أو إزعاجها، وعندئذٍ تكون شريراً، تكون مجرماً.

"يقذفون ظلماً وقذارات على رأس المتوحّد: لكن إذا ما أردت أن تكون نجماً فلا يمنعنّك ذلك من أن تضيء عليهم!"

حسناً، لا يمكن للقذارة أن ترتفع بما يكفي لتبلغ النجوم.

"ولتحذر أهل الصلاح والعدل! فلا شيء يحلو لهم مثل صلب أولئك الذين يبتدعون فضائلهم الخاصّة – إنهم يحقدون على المتوحّد."

يحقدون فعلاً وهذا صحيح، لأنه كان مزعجاً دوماً. عندما تصبح الظروف مستقرة وآمنة، يأتي شخص كهذا بفكرة جديدة ويبدأ بالإزعاج. لدى التجار وأصحاب الحرف في النقابات القديمة مثلاً نوع من الاحتكار؛ لم يتعرّضوا للإزعاج. ثم تم اختراع مبدأ المنافسة الحرّة فأصبحوا مجبرين على اختراع شيء جديد أو البقاء في الخلف، لذلك كرهوا بشكل طبيعي مبدأ المنافسة الحرة. قال "هيراقليطس" إن الحرب هي أبو الأشياء كلها، لأنه ما من شيء يتحرك أو يتطور دون صراع؛ يصبح العالم كله مليئاً بالصراعات، ولا يمكن قيادته بالحب. من المستحيل أن تتجنب المنافسة، من المستحيل أن تحظى بسلام أبدي، لأن الأشياء حينها ستبقى تراوح مكانها، وبسبب الانحطاط الكامل سيبدأ الناس بالحرب. لذلك من الأفضل الحفاظ على التقدم، لتكون الحرب ذات قيمة، لأنها إذا نشأت من الانحطاط فلن يكون لها أي معنى.

لا يمكن حكم العالم من خلال الحب: إنه مبدأ غير قابل للمقارنة والقياس. لو كان ذلك ممكناً، لتم حكمه بالحب قبل المسيح بفترة طويلة. ولو كان بالإمكان مثلاً تطبيق تعاليم فيثاغورث القديم، لكان العالم في حالة رائعة من السلام والحكمة والكمال؛ لكنا جميعاً نرتدي ملابس

حريرية بيضاء، ولما كنا نأكل ونشرب كثيراً، ولكنا معتدلين من الجوانب كافة.[1] لكن العالم بقي حيث كان قبل ستمئة عام قبل الميلاد. لا يمكن تطبيق تلك التعاليم، وهي لم تُطبّق أبداً. حتى عندما جاء ابن الله إلى الأرض، قاموا بصلبه. وما الذي أنتجته المسيحية؟ حروباً مستمرة! لقد بدأت بصراعات دموية من البداية تحديداً، واستمرت بسلسلة طويلة من الحروب والثورات، هذا هو تاريخ المسيحية كله؛ إنه تاريخ مليء بالشر.

"كيف تريدون أن تكونوا عادلين تجاهي!" – كذا ينبغي عليك أن تتكلم – "بل إنني أختار لنفسي ظلمكم كنصيب مستحقّ". يقبل نيتشه هنا الظلم الضروري للعدالة باعتباره نصيبه وقدره – ويقبل أيضاً كل القذارة التي يقذفونها على رأس المتوحّد. لأن من غير الممكن تجنّب أن الإنسان صاحب الفكرة الجديدة لا يجب أن يكون متحداً مع الخيّرين والصالحين، فالخيّرون والصالحون هم بشر لديهم بضاعة راسخة يعتنون بها؛ إنهم يحافظون على النظام أو الحالة الجيدة للحقيقة الراسخة التي تم بناؤها في الماضي. وهؤلاء الناس مفيدون للغاية. إذا لم يكونوا موجودين، فلا شيء جيداً أتى إلى العالم كان سيبقى لحظة واحدة، بل كان سيتلاشى فوراً؛ أولئك البشر هم المتعلّقون بهذا الشيء الجيد والذين يعتنون به، ويحافظون على وجود الخير لبعض الوقت حتى يأتي أحدهم بفكرة جديدة. وبعدها سيقفون ضدّه لأنه يؤثر على حقيقتهم وقيمتها. وهم بطبيعة الحال يعتقدون أن فكرته لا أخلاقية وبلا قيمة، وسيقومون حينها، كملاذ أخير، بقذف كل القذارة التي تراكمت في لاوعيهم على حامل الفكرة الجديدة.

[1] "فيثاغورس من ساموس – Pythagoras of Samos" (حوالي 530 قبل الميلاد) يبدو وكأنه لم يترك أية مؤلفات، لكنه الشخص الذي يختفي إلى حد ما في مجموعة أو مدرسة لا تعلّم الرياضيات فقط بل تعلّم طريقة حياة الزهد، قامت على السمات الأخلاقية للأرقام.

الخيرون والصالحون هم الأسوأ؛ عندما تأتي فكرة جديدة تُبطل أو تقوّض فكرتهم القديمة، يقعون في الخطأ الذي راكموه على قرون. خذ مثلاً المسيحي الصالح الخيّر اللطيف ضمن محيطه المستقر، ودغدغه بفكرة جديدة: راقب حينها ما يصدر عنه! مثل رعاة القطعان الصالحين، الكهنة والقساوسة البدناء من القرون الوسطى مثلاً، مع ما لديهم من نبيذ وسمك ولحم وحقول غنية. كان من الجيد الإقامة معهم لأنهم مسالمون، لكنهم يصبحون مرعبين عندما تزعج نظامهم. لقد عذّبوا الناس وأحرقوهم بغية الدفاع عن وجودهم الخاص. يصبح الناس سيئين عندما يتهدد وجودهم.

الخطأ طبعاً في الخيّرين والصالحين. يجب أن يقول أي شخص خيّر وصالح لنفسه: "أنا ممتن جداً لأنه على مدى عدة قرون، سمح الله لي بأن أكون من الناس الخيّرين الصالحين". إنها لميزة هائلة لأولئك الذين قدّر لهم أن يكونوا سيئين، أو الذين يلعبون دور المبدعين، وهذا أسوأ أيضاً بطريقة ما لأنهم ليسوا سيئين فعلاً بل مجرد مبدعين. عندما تتم معاقبة الناس السيئين فعلاً، يعرفون لماذا تمت معاقبتهم، ويعرفون أنهم مخطئون فعلاً مقارنة بالناس الخيرين، لأنهم اتخذوا الجانب المعاكس ولم يُظهروا أية قيمة. لكن الإنسان المبدع يمثل أعظم قيمة معروفة في العالم، وبالتالي هو الأفضل؛ لذلك هو بالنسبة إلى الخيّرين والصالحين الشخص الأسوأ بطبيعة الحال، وهو أكثر سوءاً من المجرم. وقد تم التعبير عن ذلك في الأسرار المسيحية حيث تم اختيار المسيح بدلاً من "باراباس". (هذا الاسم يعني أيضاً "ابن الآب"). تم إطلاق سراح المجرم، واختيار المسيح لاختبار البلاء لأنه كان الإنسان الأفضل. تتساهل الكنيسة كثيراً مع الشخص السيئ فعلاً، لكن ليس مع الشخص الجيد. بالنسبة إلى الكنيسة، الشخص الجيد هو الأكثر سوءاً.

"ولتحذر السذاجة المقدّسة أيضاً! فكلّ ما ليس ساذجاً مدنّسٌ في نظرها؛ وإنه ليحلو لها أيضاً أن تلعب بالنار – نار المحرقة."

إلامَ يشير هنا؟

السيدة يونغ: يشير إلى "يوهان هوس – *Johann Hus*".

الدكتور يونغ: نعم. حوالي عام *1400*، تم وضع البوهيمي البروتستانتي الإصلاحي "يوهان جاكوب هوس" على عمود المحرقة في كونستانس، أقرب مدينة ألمانية، بتحريض من الكنيسة. وعندما قيدوه إلى العمود، رأى عجوزاً هزيلة تجلب بعض الحطب لإشعال النار فقال: "يا لها من سذاجة مقدّسة!" – لأنها كانت تعتقد أنها تفعل شيئاً صالحاً. هؤلاء السذّج المقدسون عبارة عن قوة عظمى خلف الخيّرين والصالحين الذين هم قلّة نسبياً؛ إنها فضيلة وإنجاز، لكنهم لا يصبحون مؤثرين وخطرين إلا عندما يصبح ملايين السذّج يمشون خلفهم. وصحيح تماماً أن هؤلاء السذّج يجب أن يؤمنوا بالناس الخيّرين والصالحين، وإلا فسوف يتبعون المجرمين كما فعلوا في أزمنة أخرى. لقد ساروا بقناعة الأطفال خلف الأشرار الذين قادوهم إلى الجحيم؛ وعندما شوتهم نار الجحيم لفترة، اعتقدوا أن الخير كان أفضل، ثم انقلبوا. الجماهير كبيرة وخطيرة للغاية، لأنهم يجلبون الحطب إلى المحرقة فعلاً – لا داعي لأن تكون محرقة حقيقية طبعاً: ثمة محرقة أخلاقية أيضاً. والآن إلى الأكثر سوءاً:

"ولتحذر أيضاً اندفاعات محبّتك! إن المتوحّد يمدّ يده بسرعة لكلّ من يعترضه."

يتعرّض المتوحّد للأوهام دوماً لأن أنواع الأشباح كلها تزور ذلك الذي يعيش في صحراء لا يوجد فيها أي كائن بشري. لدى كثير منهم أوهام بأنهم أشخاص عاديون. وبطبيعة الحال، يفترض إنسان مثل نيتشه أنه إنسان عادي، ويمكنه أن يعيش حياة عادية؛ يفترض أنه بإمكانه أن يكون صديقاً

جيداً مثلاً، وينسى بشكل كامل أن شيطانه المبدع قد سرق حياته وقيمه الإنسانية كلها ولم يقدّم أي شيء للإنسان. يحتاج لأن يكون وحده. من السهل أن ينسى هذه الحقيقة ويتخيل أنه يمكن أن يعني شيئاً لأولئك الذين يقتربون منه. لكنه مخيّب للآمال في الواقع؛ المبدعون مخيّبون للآمال عادة من الجانب الإنساني لأن الله سلبهم الكثير؛ إنهم ضحايا!

"إن من الناس من ينبغي عليك ألا تمدّ إليهم يدك بل كفّ الوحش؛ وأريد أن تكون لكفّك مخالب أيضاً."

لأن العديد لديهم مخالب.

"لكنّ أشرس عدوّ يمكنك أن تلتقيه هو ذاتك دوماً؛ أنت الذي تتربّص بنفسك داخل الكهوف والغابات."

ذلك المعزول الذي يلتقي بأوهامه وأشباحه في الصحراء، يتربّص بنفسه بطبيعة الحال. وربما نفترض من تصريح كهذا أن نيتشه قد يستنتج، ويجب أن يستنتج، أنه هو نفسه، "الأنا"، وذلك الرفيق الذي يظهر أمامه، هما عدوّان فعلاً؛ إنهما متعارضان مع أنهما الشيء ذاته. لكن من هو ذلك الواحد، من هو ذلك الكائن الذي يجمعهما؟ ذلك المعزول، "الأنا"، هو اليد اليمنى، وهناك يد يسرى تعكس المرآة صورتها عن اليد اليمنى، واليدان تتصارعان. إذاً أين هو الإنسان الكامل، أين هو الإنسان البدائي؟ تلك هي الذات فعلاً، وهذا ما يفهمه نيتشه من الإنسان الأعلى.

"وحيداً تمضي على طريقك إلى نفسك! عبرك أنت ذاتك وعبر شياطينك السبع تمرّ طريقك!"

يقترب كثيراً من الحقيقة في هذه العبارة. إنه على طريق الذات، ليس إلى ذاتك بل إلى ذاته، وتمر هذه الطريق عبر ذاته وعبر الشياطين السبع. لذلك نرى أن الشخص الوحيد مكوّن أيضاً من سبعة شياطين – تلك هي يده اليسرى. هو ليس على طريق اليد اليمنى لأنه هو اليد اليمنى، وعلى الطريق

إلى اليسار يلتقي بشكل طبيعي باليد اليسرى التي تعني نقيضه الشخصي. نحن نسميه "الظل"، وطبعاً، سيكون ظلاً قوياً طالما تم التعبير عنه بالشياطين السبع؛ ربما نستنتج أن "الأنا" الواعية مُثارة أو متضخمة أكثر من اللازم عندما تحتاج إلى مثل هذا التباين في التعويض. ويجد المرء السيكولوجيا ذاتها مع "لوثر". عندما كان يخطط لإصلاحاته، تراءى الشيطان له، ورماه بإناء الحبر؛ كان ذلك شيطانه. ويمكن تطبيق النقد السيكولوجي ذاته على المسيح؛ عندما أغواه الشيطان، كان ذلك شيطانه، شيطان القوة. لا أفهم لماذا يُصدم الناس بتصريح كهذا. أفترض أن المسيح كان بشرياً وإلا لما كان له أية فائدة بالنسبة إلينا. نحن نتوقع إلهاً يفعل أفضل مما نستطيع؛ أن يكون نموذجاً، يجب أن يكون *إنساناً* يفعل ما هو أفضل، وهو لا يكون إنساناً إلا عندما يلتقي مع شيطانه الخاص. فهو إنسان إذاً. إذا كان هو الإله القديم نفسه، فأين هي الميزة؟ سيكون إلهاً مسكيناً للغاية. لكن إذا كان هو الإنسان الذي فشل، يكون الأمر مفهوماً تماماً لأن البشر يرتكبون أخطاء؛ لقد فعل ما فهمه على أنه الأفضل، وقد فعل شيئاً فعلاً، حتى إنه حارب شياطينه. وهذا لا يُعتبر شيئاً بالنسبة لإله. لكنه كان يختبر نفسه دوماً بشياطينه الشخصية.

"ستكون زنديقاً في عين نفسك وساحراً وعرّافاً ومهرّجاً ومشكّكاً ومدنّساً وشريراً. ستريد أن تحرق نفسك في لهبك الخاص: كيف يمكنك أن تغدو جديداً إن لم تتحوّل أولاً إلى رماد!"

يفسّر هنا ما سيحدث عندما تلتقي فعلاً بشيطانك الخاص، نقيضك الخاص؛ سيكون صراعاً حتى الموت، حريقاً هائلاً لا يُبقي خلفه سوى كومة رماد. وهذا التصريح قوي للغاية، ومثيولوجي للغاية طبعاً. فهو يشبه طائر الفينيق الذي يحرق نفسه مع عشه وروحه وجسده، وينهض من الرماد من جديد. هذا التحوّل الكامل مستحيل تماماً. تلك ليست أسطورة الإنسان

العادي، بل هي أسطورة الإله في الإنسان، الإنسان البدائي أو الإنسان الأول الذي كان يسمّى "أنثروبوس – *anthropos*" في الفلسفة الأفلاطونية المحدثة وفي الأديان التوفيقية في زمن المسيح.[1] وبسبب تلك الفكرة عن "الأنثروبوس" أطلق المسيح على نفسه اسم "مونوجينس – *monogenes*"، التي تعني "ابن الإنسان" – أي إنساناً بدائياً وليس من الله. (تعني كلمة "مونوجينس" "المولود الوحيد"، وكلمة "أوتوجينس – *autogenes*" "المولود ذاتياً). هذا هو "أنثروبوس – *anthropos*" في الإنسان، أو يمكن أن تسميه الذات، وقصة الذات تشبه أسطورة طائر الفينيق، وتشبه هذه الفقرة هنا. عندما يكون الإنسان في طريقه إلى نفسه سيرى الجانب الآخر، وسينشب صراع هائل؛ ستظهر ألسنة النيران التي يحترق بلهيبها.

لطالما توقع نيتشه شيئاً من هذا القبيل؛ هناك فقرة غريبة في أحد أعماله الأولى بعنوان: "تأملات في غير أوانها" يقول فيها: "سقوط شرارة واحدة من نار العدالة على روح باحث ستكون كافية لكي تلتهم حياته كلها".[2] هذا مشابه للأسطورة الغنوصية عن الروح باعتبارها الـ "*spinther*" (هي الكلمة الإغريقية المكافئة لكلمة "شرارة – *spark*") التي سقطت من "البليروما"[3] أو السماء في المادة؛ الشرارة هي روح الإنسان، وإذا تم المساس بها، فستتحول إلى نار. كانت هذه الفكرة في طبع الإنسان، وفي الفلسفة في عهد المسيح. وهناك عبارة في الأناجيل المنحولة تقول: "من يكون قريباً مني

---

[1] في الفكر المسيحي الأفلاطوني المحدث المبكر والأديان التوفيقية، تعني "أنثروبوس – anthropos" الإنسان البدائي أو الأول، آدم. وفي المؤلّفات الخيميائية، كانت تمثل الكل المتكامل، وبالتالي رمز الذات. انظر الأعمال الكاملة، المجلد الرابع عشر، الصفحة 484-497.

[2] كتاب "شوبنهاور مربياً – Schopenhauer as Educator" في "تأملات في غير أوانها – Untimely Meditations"، الفصل الثالث.

[3] الكون الروحي كمسكن للإله، ومجموع القوى والانبعاثات الإلهية.

يكون قريباً من النار، ومن يكون بعيداً عني يكون بعيداً عن ملكوت السماء". لذلك فإن ملكوت السماء ملكوت من نار، والمسيح نفسه هو اللهب. وهذا يتم التعبير عنه أيضاً في معجزة "عيد العنصرة" حيث تهبط الروح القدس في ألسنة من نار.[1] وثمة عبارة أصلية عن هيراقليطس تقول: الروح الجافة المتوهجة أفضل وأكثر حكمة.[2] فمن المؤكد أن كل من يسعى إلى الذات يُقحم نفسه في ذلك الصراع مع الظل، مع الجانب الآخر لنفسه، مع نقيضه؛ وتلك كارثة سيظهر فيها الإنسان العادي كما لو أنه مُدمّر: يصبح رماداً. ويوجد هنا رابط مع الخيمياء طبعاً. هذا الحريق الهائل ضروري؛ وإلا فلن تظهر الذات كوحدة حية، وسيتم محوها من خلال الصراع الدائم بين "النعم" و"اللا". على إحداهما أن تفني الأخرى كي نتمكن من سماع صوت الذات كما ينبغي، واتباع الإيحاء. هذا هو الطريق العادي للتجربة الدينية. هناك "النعم" أولاً، ومن ثم "اللا" العنيفة، حيث تحدث الكارثة ولا يعود الإنسان موجوداً؛ ثم يصبح راغباً ويخضع لله. وبعد ذلك تصبح إرادة الله هي التي تقرر عنه. فمن دون هذا الصراع المرعب، لن تكون هناك حقيقة في وجود كهذا. فما من ميزة في أن تدخل صراعاً حيوياً وتقع في قبضته.

"وحيداً تمضي على طريق المبدع: إلَهاً تريد أن تصنع لنفسك من *شياطينك* السبع!"

نيتشه هنا في طريقه لخلق إله من صراعه، ومن شياطينه السبع. لا يستطيع منع نفسه من رؤية ما يفعله لكنه لا يستطيع استخلاص النتيجة

---

[1] وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ... وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ (سفر أعمال الرسل 2: 1-2).

[2] هيراقليطس (شذرات 118؛ فريمان)، وفقاً لترجمة "ويلرايت" للمقطع 46 "الروح الجافة أكثر حكمة وأفضل"، وتتبعها فوراً عبارة "الأرواح تبتهج بأن تصبح رطبة".

اللازمة. ليس هو من يخلق إلهاً، ليس نيتشه الإنسان الذي أعلن أن الله قد مات، بل الله هو من يخلق نفسه. مثل النصوص المصرية القديمة، هو باني عشه الخاص، وصانع بيضه الخاص:[1] إنه يشكّل نفسه على قالب الخزف الخاص به. وهذه أسطورة طائر الفينيق، وما يحدث في تجارب الأديان، كما أظهر "مستر إيكهارت" بوضوح كبير. الألوهية بحد ذاتها ليست نعيماً، لكن يجب أن تولد في روح الإنسان مرة تلو الأخرى: عندئذٍ تصبح هي الله. وإلا فسيبقى الإنسان بلا أهمية؛ سيبقى أغبى المخلوقات التي خلقها الله يوماً أكثرها نقصاً. لكن لأن الإنسان هو إنسان، لأنه شيء مقيّد يعيش في ثلاثة أبعاد، في بقعة صغيرة في هذا المكان وهذه اللحظة، أصبح الله مجبراً على المرور من هذه البوابة الضيقة، بوابة الإنسان، كي يصبح الله. هذه هي تعاليم "مستر إيكهارت"، وهذا هو معنى الأسرار المسيحية التي تقول إن الله يصبح أولاً إنساناً، ويخضع لأشد الأقدار سوءاً كي يصبح الله.[2]

---

[1] لأن تمثيل "بتاح – Ptah" يتخذ شكل البيضة الكونية، انظر الأعمال الكاملة، المجلد الخامس.

[2] "من أعماق قلبي أقول، أيها الإنسان، كيف يمكن أن يزعجك أو كيف لا تحتمل أن تأخذ بعين الاعتبار أن من تم استبداله هناك بهينة الله، وفي يوم أبديته، ومجد القديسين، ومن وُلِدَ من قبل في بهاء اللهِ وجوهره، قد دخل السجن، فخ طبيعتك الذي مهما كان نجساً، ومهما كان نقياً، يلوثه بالاقتراب منه، ومع ذلك فقط أقام هناك من أجلك؟" (فرانز بفيفر، مستر إيكهارت، ترجمة سي، دو، بي. إيفان 'لندن، 1956'، صفحة 145). بالنسبة إلى يونغ، هذا يرمز إلى عمل شخص متفرّد يضحّي طوعاً بشخصيته الكبيرة مقابل بعض الجوانب منها. إن أدلّة يونغ على "مستر إيكهارت" لا تعد ولا تحصى. في موقع ما ينسب إليه الفضل بكونه أول شخص "تبدأ الذات لديه بلعب دور ملحوظ" في أوروبا (رسائل، المجلد الثاني، صفحة 453). أو مرة أخرى: "طريقة ترك الأموز تحدث، الفعل من خلال اللافعل، ترك المرء لنفسه على هواها، باعتبارها تعاليم "مستر إيكهارت"أصبحت بالنسبة إلي مفتاحاً يفتح الباب إلى الطريق" (ريتشارد فيلهيلم، سرّ الزهرة الذهبية، تعليقات يونغ السيكولوجية، المجلد الحادي عشر).

عندما تنظر إلى إله العهد القديم، تفهم أنه احتاج إلى ألغاز كي يصبح إنساناً؛ "الديميرج، أو خالق الكون المادي" المرعب في العهد القديم أصبح الآب المحبّ في العهد الجديد. انظر ما فعله يهوه بالعجوز "أيوب" مثلاً، ذلك الإنسان المحترم الذي بجّله. كان يهوه يراهن الشيطان حول ما إذا كان بإمكانه أن يثير غضب أيوب أم لا؛ يراهن الله على أن الشيطان غير قادر، ويراهن الشيطان بأنه قادر. ولم يكن هناك قاضٍ فوق يهوه، كان خارجاً عن القانون – ولم تكن حتى لعبة عادلة. ذلك الإنسان المسكين "أيوب"، كان سعيداً مع امرأته وأطفاله، ومع عبيده وقطيعه، ثم نزل إله الكون القادر على كل شيء إليه ودمّره وتبجّح متباهياً: انظر إلى قوتي – ها هو "البهيموث" خاصتي، ها هو "الليفيثان"، الوحشان خاصتي، هما كلباي الصغيران، يا لي من رفيق! أستطيع أن أدمّرك بشكل كامل! – والآن تابع تبجيلي. لقد أنهينا المزاح، وسأعيد إليك قطيعك ونساءك.[1] هذا هو يهوه في العهد االقديم، وهناك قصص أسوأ بكثير. هذا الإله بحاجة إلى إعادة بناء، وهذا هو سبب صلبه: كان يستحقّ ذلك بعد كل ما فعله في العهد القديم. وبالتالي تم إلحاق العقوبة به وإصلاحه. تلك هي دراما العالم: العالم هو دراما الله الخاصة.

"وحيداً تمضي على طريق المحبّ: نفسك تحبّ، ولذلك تحتقر نفسك كما لا يمكن إلّا لمحبّ أن يحتقر."

أن يتحدث عن الاحتقار فيما يتعلّق بالحب يعني "أنت لست جيداً بما يكفي بالنسبة إلي، يمكن أن تكون أفضل".

"يريد المحبّ أن يخلق لأنه يحتقر! ماذا يعرف عن الحبّ ذلك الذي لم يكن عليه أن يحتقر بالذات ذلك الذي يحبّ!

---

[1] انظر كتاب "بين يهوه وأيوب – Answer to Job" المجلد الحادي عشر، الفصل السادس.

لتمض بحبّك إلى عزلتك، وبإبداعك يا أخي؛ بعدها ستتبعك العدالة مجرجرة قدمها العرجاء من ورائك.

لتمض برفقة دموعي إلى عزلتك يا أخي. إنني أحبّ ذاك الذي يريد أن يبدع ما يفوق منزلته ويمضي هكذا إلى حتفه."

هكذا تكلّم زارادشت.

هذا الخضوع هو مرة أخرى شعور بالنهاية. كان لدى نيتشه حدس بقرب نهايته. لقد شعر أثناء تأليف ***هكذا تكلّم زارادشت*** أنه سيقضي عليه، والواقع أن مرضه بدأ بعد ذلك مباشرة. وطبعاً، كل أنواع التفسيرات الجميلة تم تقديمها لذلك المرض كما قلت الأسبوع الماضي – أنه لم يكن مرضاً عقلياً، وأنه كان ينتقل إلى سوية أعلى. ربما كان ذلك صحيحاً فنحن لا نعرف، ولا يمكننا أن نرى ما هو موجود خلف حجاب الجنون، لكنه شعر بالأمر وكأنه تدمير. أينما وجدت فقرات كهذه في كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** ترى أنه شعر بذلك وكأنه كارثة. والآن، لماذا هذا الكتاب فقط جلب إليه هذا الحدس بشكل خاص أكثر من أي عمل آخر؟

السيد أليمان: لأنه لم يكتبه بنفسه، بل كانت ذاته التي تكتب، كان شيئاً أعلى منه لكنه تماهى معه.

الدكتور يونغ: نعم، ***هكذا تكلّم زارادشت*** هو بالفعل ما كانت الذات تفعله به، هذا صحيح، لكن لماذا كان ذلك مدمراً؟

السيد أليمان: لأنه لم يستطع أن يفهمه. لقد تماهى مع عمله، ومع الإنسان الأعلى، وكان صغيراً جداً بالنسبة إليه. لم يستطع أن يحتمل ذلك.

الدكتور يونغ: هل تفسّر السبب بأنه كان كثيفاً للغاية؟

الدكتور أليمان: نعم، لقد احترق.

الدكتور يونغ: نعم، كتاب ***هكذا تكلّم زارادشت*** هو ذاك الاحتراق. هناك اجتمعت الأضداد معاً ونشب الصراع فعلاً، وجاء الحدس بالإنسان الأعلى

من خلال هذا الحريق الهائل. الإنسان الأعلى هو شعلة أو لهب سيلتهمه بطبيعة الحال: سيصبح هو نفسه الرماد. ومن خلال نفسه وظله سيتشكل الإنسان الأعلى، لكن طبعاً ليس بالطريقة التي توقعها؛ الإنسان الأعلى هو "سوبر مان – إنسان خارق" فعلاً، وهو أعلى من الإنسان، ومتجاوز له، وتلك هي الذات. الإنسان شيء يجب التغلب عليه لكن عندما يتم التغلّب عليه فعلاً لن يعود هناك إنسان. يكون بطريقة ما ملعباً للآلهة، وموقعاً أو إطاراً يتم فيه تمثيل الدراما الإلهية، وتحوّل الإله. غالباً ما نسيت أن نيتشه كان متماهياً جداً مع هذه العملية، لأنه لو لم يكن كذلك، لكان قادراً على أن يعطينا صورة رائعة جداً عن ذلك اللغز الكبير، لغز تحوّل الإله. وربما أنتج ما أنار بصيرتنا عن التطلّعات السريّة الخاصة بالخيميائيين في العصور الوسطى. كانت تطلّعاتهم أيضاً في مجال تحوّل الإله الذي يحدث داخل الإنسان، فالإنسان هو "وعاء التقطير" الذي يتحوّل الإنسان فيه، حيث ينزل إلى المادة بحدها الأقصى، ثم تتطور الروح من المادة مجدداً حاملة معها درجات الوجود كلها. هي لا تكون في البداية سوى روح، لكنها تصبح بعد فترة قصيرة روحاً وجسداً وقرينة. والآن سنبدأ الفصل التالي بعنوان "عن المرأة شابة وعجوزاً". الكل يبتسم! كيف أتت النساء إلى هنا؟ هذا سؤال غريب ومثير للاهتمام. ربما تعرفون الحل.

الدكتور ويتني: أتساءل ما إذا كانت تلك امرأة أصلاً أو مجرد اختبار من "القرينة". أعتقد أنه لا يتحدث عن النساء فعلاً في هذا الفصل.

الدكتور يونغ: لنأمل ذلك!

السيدة سيغ: عندما ذهب القديس أنطونيو إلى الصحراء راودته رؤى عن نساء مغويات.

الدكتور يونغ: أمضى القديس أنطونيو فترة طويلة مع تلك النساء الأشباح في الصحراء.

السيدة فيرز: كانت نهاية الفصل السابق عاطفية: عبارة "*لتمض برفقة دموعي إلى عزلتك يا أخي*" على سبيل المثال. يتم استدعاء القوة العاطفية الآن، أي استدعاء الناحية الشعورية التي يجب أن تتخذ جانباً أنثوياً بالنسبة إليه، باعتباره مجرّد ناقل.

الدكتور يونغ: هذا الجانب حدسي. إنه يصف طريقة الشخص الذي يبدع ما هو أبعد من نفسه، ويخلق الذات أو يكون ضمن عملية الخلق؛ هو يشعر أن شيئاً كهذا لا يمكن أن يحدث من دون احتراق كامل للأضداد. وسيكون النقيض الرئيس هنا جانب الإنسان الذي بقي في الظلام أياً كان، وهو الشياطين السبع في حالتنا هذه. لكن يتم إسقاط الجانب المظلم عادة على أشخاص آخرين، ولا سيما إذا كانوا الشياطين السبعة. إذا كان رجلاً سيتم إسقاطه على سبع نساء، وإذا كانت امرأة، سيتم إسقاطها على سبعة رجال. يا له من شرط ساذج! أنت لا تستطيع الدخول في صراع خطير مع ذاتك عندما تكون في "إنغادين" ولا شيء حولك سوى صاحبة المنزل العجوز. لكن عندما يتجسّد التباين، تزداد سخونة الأشياء؛ لن يندلع حريق حقيقي دون أن يتجسّد النقيض. لا بدّ أن يكون للجانب الآخر جسد، فهو سيتخذ جسد شخص آخر لأنه لا يستطيع أن يكون في جسدك. وإذا ظهر نقيضك وكأنه عدوك الداخلي، سيكون تجريدياً بالمطلق لأنه من دون جسد: أنت لديك جسدك. ستعتقد عندئذٍ أنها المخيّلة وحسب؛ أو ربما تعترف بأن لديك صفات سيئة جداً، وتقدّم اعترافاً بآثامك بالكثير من العاطفة أمام الله. لكن إذا قال لك أحدهم إن لديك تلك الآثام، ستقسم بكل شيء لإثبات العكس – لن تقبل بذلك، ولا سيما إذا تدخل ذلك الشخص في نظامك. لذلك لا يصبح الصراع حقيقياً إلا عندما يتم إسقاط الجانب الآخر على أحدهم. عندئذٍ يملأ جسداً؛ يتم إسقاط نقيضك الخاص على شخص ربما يكون مجبراً على لعب دور معارض لك.

عادة، عندما تنتقل "قرينة" الرجل إلى امرأة، يكون على المرأة أن تلعب دور القرينة إلى حد ما؛ أو عندما تُسقِط امرأة "قرينها" على رجل، يصبح مجبراً على لعب ذلك الدور سواء أكان يريد ذلك أم لا، وكلما قلّت معرفته بذلك، ازداد لديه لعب دور الأحمق. ربما تذكر المثل الكلاسيكي في رواية "ماري هاي" بعنوان "كرم العنب الشرير" حيث تتزوج البطلة العجوز الحكيم المتمثل في زوجها، ويشعر أحدهما بخيبة أمل كبيرة من الآخر. هو لم يعطِ النوع الصحيح من الحكمة، وبالتالي تكون باردة؛ حاول دوماً اكتشاف أي شيطان كان بداخلها حتى وجد الإجابة الصحيحة. ثم سجنها في "كاسا دي فيرو قرب لوكارنو"، وهو موقع مناسب لفتاة كهذه، وحاول في النهاية قتلها.[1] لقد قامت بدفع نقيضها، الذكر الشرير الموجود في داخلها، إلى زوجها، وبسبب لا وعيه الشديد، كان يحاول أن يعيش وفقاً لما تلمسه فيه. غالباً ما تحدث أشياء مثيرة للاهتمام للغاية في الزيجات بهذه الطريقة.

أتذكر حالة فتاة شابة جميلة محترمة أتت لاستشارتي، ليس بسبب حالتها بل بسبب حالة زوجها. أخبرتني أنه كان فيما مضى شاباً رائعاً، لكنه أصبح الآن يلاحق الخادمات. وقد اعترف بالأمر، ولا يعرف لماذا فعل ذلك، وقال إنه لن يفعلها ثانية لكنه بدأ يلاحقهن مجدداً. سألتها ما إذا كان لديها أطفال، وأخبرتني أن لديها طفلة صغيرة عمرها سنتين أو ثلاث، وأن إزعاجات زوجها بدأت بعد أشهر من ولادة هذه الطفلة. كانا متزوجين من ست سنوات، وكلاهما يرغبان بطفل، ولا يعرفان لماذا لم يستطيعا إنجاب طفل، لذلك استمتع الزوج كثيراً عندما وُلِدَت هذه الطفلة، وكان من الغريب بالنسبة إليها أنه عندما أصبح سعيداً بهذا الشكل بدأ فجأة

---

[1] رواية "ماري هاي" بعنوان: "كرم العنب الشرير – The Evil Vineyard" (لندن ونيويورك، 1927). لمعلومات حول هذا العمل، انظر الأعمال الكاملة، المجلد العاشر، الجزء 89، وكتاب "الأحلام – Dream Sem".

بالتصرف بهذه الغرابة. قلت لها: "لكن كيف حدث الحمل بالطفل فجأة؟" لمحت حينها وجود أحدهم على مسرح الأحداث خلف جفنيها المغلقين، فقلت: "هيا، كيف حدث ذلك؟" وعندئذٍ أتت الحكاية على الشكل الآتي: أخبرها عدة أطباء أنه ما من سبب يمنعها من الحمل بطفل، وأصبحت يائسة تماماً من ذلك. ثم استشارت قريبها الذي كان يدرس الطب إذا كان يعرف طريقة للعلاج فقال لها: "المشكلة لدى زوجك على الأرجح، لكن إذا كنت ترغبين بالحمل مني فأنا مستعد من أجلك". وهكذا تم الحمل من هذا القريب، وكان الزوج سعيداً للغاية وهي أيضاً. لكن عندئذٍ بدأ زوجها يتصرّف بشكل غريب. قلت لها: "ألم تفكري أبداً أن تصرفات زوجك الغريبة ربما كانت نتيجة لما فعلته؟" كان يحاول بشكل طبيعي أن يكتشف كيف تم الحمل بهذه الطفلة، وما إذا كانت المشكلة لديه فعلاً، لذلك كان عليه أن يحاول ويختبر نفسه مع أقرب النساء على الرغم من أنهنّ غير مثيرات أبداً بالنسبة إليه. وهكذا جعلته يتصرّف بهذا الشكل الغريب، لكنها لم تكن واعية للأمر طبعاً. أنا لا أعرف ما حدث بعد ذلك، لكن الأمر واضح للغاية. هكذا تحدث أمور كهذه. يصبح أشخاص رائعون ومسالمون تماماً أشبه بالشياطين عندما يتلقون مثل هذا الإسقاط من اللاوعي الخاص بالشريك.

يكون للرجال أحيانا قرينة شيطانية تماماً لدرجة لا يستطيعون منع أنفسهم من إسقاطها، ثم يجسّدونها في الزوجة أو في امرأة أخرى؛ وعندئذٍ تُجبر المرأة، بقدر ما تكون غير واعية، على لعب دور ذلك الدافع الشيطاني مما يؤدي إلى كل أنواع الإشكالات التراجيدية. والعكس صحيح. يكون الاحتراق الحقيقي عندما يظهر النقيض في شخص آخر. وإلا فسيكون أكاديمياً وحسب؛ يمكننا أن نمنحه اسماً ونضعه على الرفّ وتنتهي القضية. لكن القضية لا تبدأ إلا عندما تصبح القصة حقيقية إلى حد ما؛

عندما تكون هناك نار حقيقية وعاطفية وشغف وصراع وإحباط ويكون كل شيء واضحاً؛ إنها شعلة الحياة. شعلة الحياة وحدها التي تحرق، وليس الاعترافات الأكاديمية. لذلك عندما بدأ نيتشه يتحدث بنبرة عالية عن الأشياء الإلهية التي يجب خلقها، نسي تماماً أنه عندما يريد الله أن يجدد نفسه، يحتاج إلى أكثر من إنسان؛ وعادة ما سيهيّج جزءاً كبيراً من أرضنا في ذلك الاحتراق. وبناءً عليه، ما أن تبدأ البحث عن ذاتك حتى ترى عدوك الشخصي؛ أنت تقرّب العدو إليك. وبالنسبة لأي ناسك منعزل، تظهر أشباح النساء بشكل طبيعي: تظهر النساء. عندما تكون المرأة قادرة على استقبال إسقاط "القرينة" وأداء دورها، تكون مشابهة "للقرينة"؛ هذا أمر لا يمكن إنكاره. فهناك العديد من النساء اللواتي يتطابقن تماماً أو يتناغمن مع الوصف الذي يعطيه الرجل "للقرينة". لم يكن ليظهر لديه صورة عن المرأة لو لم يكن لديه مثل هذه التجارب. ولن يكون للمرأة مثل هذا "القرين" لو لم يكن هناك رجال يمكن أن يكون لها مثل هذه التجارب معهم. ولكي تعطي النساء عزاء استباقياً قبل الخوض في هذا الفصل، أعرف كاتباً اكتشف أن زوجته تقرأ كتاباً لكاتب آخر فصفعها على وجهها!

المحاضرة الثامنة

4 كانون الأول – ديسمبر 1935

الدكتور يونغ:

وصلنا إلى فصل بعنوان "عن المرأة شابة وعجوزاً"، وقررنا أن له علاقة "بالقرينة"؛ أول ما يصادفه المبدع عندما يكون وحده هو لاوعيه طبعاً، فاللاوعي هو رفيق كل من يدخل في حالة عزلة. في حالة الرجل، يكون للاوعي سمات أنثوية تتجسد على هيئة ما نسميه "قرينة" ويتخذ هيئة "القرين" الذكر في حالة المرأة. هذا ما يجعل الناس غير راغبين بالبقاء وحدهم مع أنفسهم، إنه أمر غير مقبول؛ من الذكاء القول إن المجتمع الذي يخصّ الفرد هو المجتمع الأكثر سوءاً لأن الرفيق الذي يجده المرء هناك هو كل الأشياء التي يتجاهلها أو يبقيها في العتمة بطبيعة الحال. عندما يكون المرء وحده مع نفسه، فستهاجمه كل أنواع المشاعر والأفكار الغريبة التي تأتي بها القرينة، ويفعل القرين الشيء ذاته مع المرأة. ويكون المرء في وحدته أعزلَ تماماً أمام هجمات كهذه. والآن سنرى ما الذي صادفه زارادشت:

بشكل عام؛ بعض الرجال أصغر من سنّهم أو لا يزالون طفوليين بسبب نقص الخبرة، وعندئذٍ تكون "القرينة" عجوزاً للغاية لتعويض النقص. ويمكن "للقرين" أن يكون صبياً طفولياً مليئاً بالأفكار الشقية لأن الوعي

عجوز"لم تتسلّل هكذا وجِلاً عبر الغروب يا زارادشت؟ وما الذي تخبّئه بهذا الحذر تحت معطفك؟

أهو كنز وُهِبته؟ أم صبيّ وُلِدَ لك؟ أم تراك تسلك الآن درب اللصوص أنت أيضاً، يا صديق الأشرار؟"

حقاً، يا أخي! أجاب زارادشت، إنه كنز قد وُهِبَ لي. حقيقة صغيرة أحملها معي.

لكنها مشاغبة مثل صبيّ؛ وإن لم أكمم فمها، فستصرخ بأعلى صوتها.

وبينما كنت ماضياً في طريقي اليوم عند الغروب اعترضتني عجوز وهكذا تحدّثت إلى روحي:

ما يهتم به هنا هو شيء "ثمين"، وهو ناتج عن لقائه مع تلك العجوز. وكنت أتمنى من وجهة نظري الشخصية أن تكون شابة – لكان ذلك أفضل بكثير. ما الذي يعنيه أنه التقى عجوزاً عندما كان وحده؟ ما هي النتيجة التي تصلون إليها؟

السيدة فيرز: أنه كان شاباً للغاية.

الدكتور يونغ: تماماً. الحقيقة هي أن الرجل يحلم "بقرينة" عجوز عندما يكون شاباً جداً في وعيه الشخصي. قد يكون ذلك في الوقت الحالي، أو وحكيم جداً. وهذا ليس صحيحاً دوماً طبعاً، فهناك استثناءات معينة، ولدينا منها شخصية "الطفل الإله". لكن هذا اللقاء يتضمن سرّاً. أن يعني له لقاؤه مع العجوز شيئاً مثل طفل صغير هو استعارة كلامية بطبيعة الحال، لكنه يتضمن أكثر من مجرد استعارة كلامية؛ إنه يشير إلى سرّ يرتبط بلقائه بالقرينة. من يمكن أن يكون هذا الطفل؟ يبدو الأمر كما لو أنه هو نفسه أماً تحمل طفلاً. هذا مثير للاهتمام.

السيدة سيغ: كما لو أن نيتشه نفسه يحبل دوماً بالأفكار، قرينته لديها طفل.

الدكتور يونغ: تماماً. لكن لماذا تصرّف زارادشت كما لو أن لديه طفلاً تحت عباءته؟ هو ليس امرأة.

الدكتور ويتني: كان متماهياً مع القرينة.

الدكتور يونغ: نعم، تلك هي النقطة الهامة. تماهى نيتشه مع زارادشت، ومع القرينة أيضاً، لأنه لا يستطيع الوصول إلى زارادشت إلا من خلال الوسيط، أي من خلال قرينته، ويحدث ذلك بالتماهي مع الوظيفة التي تربط الوعي باللاوعي. لذلك كان متماهياً مع القرينة، ومع الرجل العجوز ومع كل نموذج بدئي آخر كان بادياً في الأفق. لكن طالما أن زارادشت يخفي ذلك الطفل الذي يحمله، أي نوع من الأطفال هو؟

السيدة فيرز: سيكون طفلاً غير شرعي.

الدكتور يونغ: نعم، ومن أين "حصلت" على ذلك الطفل؟ من هو والد طفل القرينة؟

البروفسور فيرز: إنه من قرينه اللاواعي.

الدكتور يونغ: يمكن أن تقول ذلك، لكن القرين اللاوعي لدى رجل هو حالة خاصة جداً، هو بديل لشيء آخر. ما هو قرين القرينة؟ هذه مشكلة تعامل معها الغنوصيون؛ نجد هنا الدافع وراء الأب المجهول.

السيدة باينز: أليس هو العجوز الحكيم في هذه الحالة؟

الدكتور يونغ: نعم، إذا أدرك الرجل قرين قرينته، يتم حينها استبدال القرين بالعجوز الحكيم. فكما ترون، إن "أناه" في علاقة مع اللاوعي، واللاوعي يتجسد بشخصية أنثوية هي "القرينة". لكن اللاوعي شخصية ذكورية أيضاً، شخصية العجوز الحكيم. وتلك الشخصية مرتبطة "بالقرينة" باعتبارها "قرينها"، لأنها امرأة. وهكذا يمكن القول إن العجوز الحكيم كان في الموقع ذاته الذي يشغله "القرين" بالنسبة إلى المرأة.

ربما يكون الرجل الواعي و"القرينة" متطابقين؛ إذا كان الرجل مسكوناً "بالقرينة" مثلاً، يتحوّل فوراً إلى امرأة. وإذا كانت المرأة مسكونة "بالقرين" تصبح ذكراً بشكل طبيعي، لكن عندما يكون الرجل مسكوناً "بقرينته"، فإن تلك الشخصية الذكورية التي تنتمي إلى "القرينة" تتحوّل إلى "قرين".

الرجل المسكون بعواطفه مسكون "بقرينته"، وعندما يفكّر من خلال عواطفه، يبدو وكأنه امرأة؛ يتحدث كالمرأة تماماً، وسيُنتج شيئاً يشبه "القرين". وكذلك تُنتج المرأة شيئاً "كالقرين" بشكل مباشر تقريباً، لذلك يمكن القول إن الرجال وحدهم لديهم أمزجة وطباع. عندما يكون للمرأة مزاج، فهذا لأنه كان لديها فكرة أو رأي "قرين" يفترض بطبيعة الحال وجود عاطفة معينة، بينما يعمل الرجل بطريقة معاكسة تماماً: يكون لديه مزاج في البداية، ومن ثم يكون له رأي. يمكن للمرء أن يرى ذلك على الشكل الآتي: إذا قلت لرجل إنه في مزاج سيئ يقول: لا، ليس مزاجي سيئاً، بالتأكيد لا". وعندما تقول لامرأة إن لديك رأياً أو انحيازاً معيناً تجيب: "لا، الأمر ليس كذلك" – ليس لديها أي رأي من أي نوع كان. لكن إذا قلت لها إن لديها مزاجاً معيناً، فسوف تعترف بذلك. كما هو الحال عندما تقول لرجل يتحدث من خلال عواطفه إنه يصرّح بهذا الرأي أو ذاك، فهو لن يستطيع منع نفسه عن رؤية ذلك. المرأة لا تستطيع أن تمنع نفسها عن رؤية العاطفة أو المزاج، لأن من الواضح تماماً بالنسبة لها أن لديها عاطفة معينة؛ بينما لا يكون الأمر واضحاً بالنسبة إلى الرجل لأنه يكره الاعتراف بتلك العاطفة. وهذا معقد قليلاً لكن إذا كان لديك فكرة واضحة عن علاقة "الأنا" بالقرين أو القرينة، يمكنك بسهولة أن تستخلص نتيجة حول طبيعة الشخصية الذكورية أو الإنثوية لدى رجل أو امرأة. وهنا يؤكد زارادشت بوضوح كبير تماهيه مع القرينة – زارادشت ونيتشه كلاهما

متماهيان مع القرينة طبعاً – لذلك يتصرّف زارادشت كما لو أنه امرأة. ربما تذكرون الفقرة السابقة التي تحدث فيها زارادشت عن تزيين نفسه أو ارتداء أزياء زاهية من أجل صديق كما لو أنه امرأة. وهو يخفي الآن بوضوح حملاً غير شرعي، إن قرينته حبلى بمحتويات معينة، والأب مجهول. ولا بدّ أن الأب في هذه الحالة هو العجوز الحكيم الذي يتمثّل "بالقرين" أيضاً. فبأية أسطورة تذكرنا هذه الحالة.

السيدة سيغ: مريم.

نعم، أسطورة مريم العذراء، الأم التي حملت بطريقة غير شرعية من "القرين". و"القرين هو الروح القدس؛ لذلك كانت سلطته هائلة. لكن وفقاً للتقاليد القديمة، هل وقع هذا الحدث؟ كيف أصبحت حبلى؟

البروفسور فيرز: جاء الملاك إليها.

الدكتور يونغ: لكن بأية طريقة غير الطريقة الطبيعية؟

الآنسة وولف: عبر الأذن.

الدكتور يونغ: نعم، وفقاً لتلك الترتيلة الشهيرة: "التي حبلت من الأذن". وبوذا أيضاً لم يتم الحمل به بالطريقة العادية.[1] وهكذا فقد حملت مريم العذراء عبر الأذن حين سمعت "كلمة"، لقد وصلتها "كلمة الله". لقد سمعت "القرينة" شيئاً ما هنا. وهذه هي الطريقة التي جاء بها رأي "القرين" إلى الوجود لدى المرأة: اعتاد الأب أن يقول دوماً، أو قال الأعمام والأخوال، أو قال الطبيب أو شخص معين، وبالتالي فهي الحقيقة الأبدية. وفي حالة الرجل، يكون الأمر ذاته تماماً: سمعت "قرينته" شيئاً، خضعت لتجربة، حبلت "بكلمة الله". ويتم التعبير عن هذه الفقرة في الرمزية المسيحية في فكرة "الحبل بلا دنس" من خلال "كلمة الله"، حيث حبلت بالمخلّص. ونحن

---

[1] يقال إن والدة بوذا حبلت به عندما راودها حلم عن فيل أبيض مقدّس.

لا نعرف طبعاً ما إذا كان هذا الطفل هو المخلّص فعلاً – ربما يكون شيئاً آخر لأن الحالة ليست مسيحية بوضوح. نحن نرتاب للغاية ما الذي يعنيه الأب في هذا الحالة، وما الذي يعنيه الطفل أيضاً.

السيدة يونغ: يقول زارادشت هنا إن المرأة العجوز تحدثت إلى "*Seele*" الخاص به. هل يمكن أن نفهم هذا "*Seele*" على أنه "القرينة"؟

الدكتور يونغ: كلمة "روح" لها معنى تقليدي بالنسبة إلى نيتشه، وفكرة الروح المسيحية لا علاقة لها بمفهوم "القرينة". يتم فهم الروح المسيحية على أنها الشيء العميق، ويقال إنها خالدة، ذلك الجزء الذي ينجو من الإنسان، وما إلى ذلك. يمكن للروح أن تكون أي شيء يمكن للاوعي أن يحوّله. بينما "القرينة" مفهوم خاص تجريبي يشبه الفكرة البدائية عن الروح. حيث يؤمن البدائيون أن هناك عدة أرواح، وأحياناً يصل عددها إلى ستة. وهذا يعني ببساطة أنها مركب نفسي قابل للانفصال أو مستقلّ نسبياً – مكوّن نموذجي بدئي – وهو شخصي أكثر من فكرة الروح المسيحية التي تعني الكمال والكلية وجوهر الإنسان. لكنها ليست مفهوماً تجريبياً بل هي مفهوم ميتافيزيقي وعقائدي؛ لدينا في مفهوم "القرينة" سمات تجريبية محددة يمكننا إثباتها بالدليل. "فالقرينة" مثلاً نوعية غامضة لشخصية أنثوية خالدة بطريقة ما؛ تعيش أطول من الإنسان، ولديها قَدَر مغامر غريب، ليس هنا فقط على الأرض بل في الحياة الأخرى أيضاً، وفقاً لما يمكن قراءته من روايات "ريدر هاغرد" وقصص أخرى.

اللافت هنا أن القرينة سمعت "*الكلمة*"، ومن الواضح أنها حبلت بها، ولا نعرف ما يمكن أن يكون عليه ذلك الطفل، لكن من الواضح أنه طفل حيوي ويريد أن يكون مسموعاً. والطفل الذي تم الحمل به من خلال الكلمة سيكون "لوغوس"، أي كلمة ذات سلطة. وهكذا فإن زارادشت، دون معرفة منه، مهدد هنا بولادة طفل ربما يصرخ بصوت عالٍ، وربما يقول

شيئاً بصوت ليس صوته. هذا ما كان يخشاه زارادشت عندما كان في عزلته من دون صديق: كان يخشى أن يسمع أصواتاً؛ لو كان لديه صديق، فسيظن أنه صوت الصديق. وقد تحدث في هذه الحالة عن كونه وحيداً، وعلينا أن نفترض أنه حاول أن يكون وحده مع نفسه. وبما أنه لا يستطيع في هذه الحالة أن يخمد أي صوت قد يسمعه من كائن آخر، سيكون مجبراً على الاعتراف أنه كانت هناك حقيقة أخرى غيره هو نفسه، وفكرة أخرى غير فكرته. هذا من شأنه أن يكون قاتلاً لأنه سيؤدي إلى نهاية التماهي بين نيتشه وزارادشت؛ لأنه سواء أحدث ذلك لنيتشه أو لزارادشت، فسيكون شيئاً من الخارج. سيعترف أيٌ منهما أن أحداً ما غيره يتحدث. وربما نستخلص من ذلك نتيجة مفادها أنه عاجلاً أم آجلاً، سيحدث شيء يؤدي إلى وضوح هذا التماهي بين نيتشه وزارادشت.

"لقد حدثنا زارادشت عن أشياء كثيرة نحن النساء أيضاً، لكنه لم يكلّمنا أبداً عن المرأة".

وأجبتها: "لا ينبغي الحديث عن النساء إلّا إلى الرجال".

هذه الإجابة دقيقة وحكيمة طبعاً، لأنه عندما يتحدث رجل عن المرأة أمام امرأة، يقول عادة أشياء غبية للغاية.

"فقالت العجوز: "حدّثني عن النساء أيضاً، إنني مسنّة بما يكفي كي أنسى ذلك سريعاً"."

صحيح تماماً. لأن حديث رجل مع امرأة مسنّة هو أسهل طبعاً، طالما أنه يمكن أن يفترض أنه يواجه مقداراً معيناً من التجربة، وأن ما يقوله لن يكون له عواقب كما لو كان مع شابة. لذلك شعر بأمان هائل.

"ونزولاً عند رغبة العجوز تكلّمت إليها هكذا:

كل شيء في المرأة لغز، ولكل شيء في المرأة هناك حلّ واحد: إنه الحَبَل."

نرى تناقضاً هنا. إذا كان كل شيء في المرأة لغزاً فهو لا يستطيع بالتأكيد أن يقول إن هناك حلاً واحداً. هذا تماماً ما يميز موقف الرجال من النساء – بما أنه يُسقط "قرينته" سيكون عليه أن يضع تلك الإضافة. لكنه لا يستطيع منع نفسه عن ذلك. هو يسقط قرينته دوماً عندما يتحدث إلى امرأة لأنها الطريقة الوحيدة التي تمكنه من الوصول إليها؛ هو لا يستطيع أن يلمس امرأة دون أن تكون "القرينة" بينهما لأن هذه هي الطريقة التي يستطيع من خلالها التواصل مع امرأة. إذا لم يكن هناك "قرينة" فلن يكون هناك تواصل أبداً، لن يكون هناك جسر، وإذا كانت "قرينته" "مايا – *Maya*" أو وهماً، تكون العلاقة بين الجنسين وهماً. ولا تستطيع المرأة أن تفهم رجلاً دون مساعدة "القرين"، لأن الرجل في داخلها يمكّنها من فهم الرجل في الخارج؛ وكلما لعب ذلك النظام دوراً أضعف، قلّ لقاؤها مع الرجل الحقيقي. هذا يثبت صعوبة ترسيخ علاقة حقيقية بين الجنسين. كلما عرفت عنها أكثر، عرفت أن ذلك مستحيل، أو إذا فهمت الأمر، فربما تكون في نهاية الرحلة. وعندما تفهم أن هذا هراء كله بأي حال من الأحوال، تكون قد دمجت الرجل والمرأة في داخلك، وعندئذٍ يبدأ شيء آخر طبعاً. يقول نيتشه في تصريحه الأول المفارقة الأكثر إثارة للصدمة. صحيح تماماً أن الرجل لا يفهم أي شيء عن المرأة؛ وفكرة أن كل امرأة هي لغز هي أفضل فكرة يمكنه أن يبدأ بها. لكن أن يكون هناك حل واحد لكل امرأة يعني أن المرأة واضحة تماماً، وهذه هي وجهة نظره الأخرى. تلك هي الطريقة التي يعالج بها الحالة: هنا يتجلّى انحياز الرجل وموقفه المتناقض. هو لا يفهم أي شيء عن المرأة، مع أنه واضح تماماً ماذا تريد، وما هي عليه، وإلام تسعى – تسعى لإنجاب طفل طبعاً.

"الرجل وسيلة بالنسبة إلى المرأة؛ وهدفها دوماً هو الطفل. لكن ماذا تمثّل المرأة بالنسبة إلى الرجل؟

يريد الرجل الحقيقي أمرين اثنين: الخطر واللعب. لذلك هو يحبّ المرأة كأخطر أنواع اللعب."

هذا هو موقف الرجل المغلّف "بقرينته"؛ إنه يتحدث من وجهة نظرها فقط. عندما يتواصل مع امرأة حقيقية، سرعان ما تكون "قرينته" بينهما؛ إنه يقف خلف شاشتها الضبابية، ولا يرى شيئاً من المرأة الحقيقية. ثم يسمع صوتاً من الجهة الأخرى لذلك الضباب لكن لا يفهمه – هذا هو اللغز كله. ومع ذلك، من الواضح جداً بالنسبة إليه أن أي شيء تقوله تكون الإجابة عليه هو تلك الإجابة التي أعدّها سلفاً: "أه، هي لا تريد سوى طفل، وهذا كل شيء". ومن المؤسف أن هناك كثيراً من النساء الصحيحات تماماً لهذا الدور؛ فكرتهنّ الأولى تحديداً هي إنجاب طفل من ذلك الرجل، أو لا شيء على الإطلاق. فإذا كان لدينا كثير من النساء من هذا النوع، وبما أن "القرينة" من رواسب التجربة القديمة عند الرجل مع المرأة، فيمكن القول إن هذا التصريح فيه شيء من الصحّة – يمكن القول إن معظم النساء قلن للرجال إنهن يرغبن بإنجاب طفل؛ لذلك، وصل بطبيعة الحال إلى فكرة أنه مجرّد وسيلة لهدف، ولا وجود لأي شيء آخر.

الآنسة وولف: إذا لم نأخذ فكرة الطفل بشكلها الحرفي، فهل سيكون التصريح أكثر صحّة؟ – إذا قلت مثلاً إن علاقة المرأة بالرجل هادفة أكثر من علاقة الرجل بالمرأة، وهو من هذه الناحية وسيلة لغاية لديها.

الدكتور يونغ: أنا أحافظ على نموذج نيتشه هنا عندما أتحدث عن الطفل؛ ليس من الضروري أن يكون طفلاً بل هدف "إيروس" المرأة. وهذا ما لا يفهمه الرجل أبداً. إن نيتشه يستخدم لغة عنيفة طبعاً أثناء الحديث عن طفل؛ لو كان يتحدث بطريقة سيكولوجية لقال إن "إيروس" المرأة شيء هادف بينما "إيروس" الرجل مهتم باللعب. إن "الإيروس" أو الوظيفة ذات الصلة ليست هي الجانب الجدّي بالنسبة إلى الرجل. الجانب الجدّي

بالنسبة إليه هو العقل، هو يعني العمل بعقله؛ وهناك امرأة تلهو: تتكلم بهدف الكلام وحسب. عندما يتحدث الرجل، يعني بذلك العمل؛ يتحدث دوماً من أجل هدف ربحي. يضع قانوناً أو يصوغ عقداً أو تصريحاً، أو يعطي رأيه بشيء ما؛ الرجل الخامل الذي تستحوذ عليه "القرينة" هو فقط من يتكلّم بهدف الكلام. لكن ذلك شرعي تماماً بالنسبة إلى المرأة، لأن هناك سحراً إضافياً في أي نوع من العلاقات التي تستطيع فيها أن تقول ما يجب أن تقول؛ إذا لم يعطِ الرجل هذه الفرصة للمرأة، فستشعر بالانكماش والتشوّه، ويكون هناك معاناة في العلاقة. بينما يعاني الرجل من العلاقة عندما يكون عليه أن يقول ذلك النوع من الكلام – يكره الرجال عادة ذلك النوع من اللهو؛ أن تتكلم بهدف الكلام يشبه أن تسيء استخدام شيء ينبغي أن يكون عملياً وعقلانياً.

عندما نصل إلى "الإيروس" يكون العكس تماماً. عندئذٍ يريد الرجل أن يلعب ولا يريد أن يكون مسؤولاً. يريد "الإيروس" لمصلحته الخاصة، ويتم تحقيق هدف "الإيروس" بحد ذاته. وكما تحب النساء الكلام العام، ويتحقق هدفهنّ بذلك، يحقق "إيروس" الرجل نفسه ضمن مجاله الخاص، ويرى أنه يستطيع أن يذهب بعد تحقيق الهدف. عندما يصل التودد وممارسة الحب إلى الذروة، يبتعد الرجل لأن دائرته قد اكتملت بذلك: لقد حصل على ما يريد. لكن بالنسبة إلى المرأة، فهي البداية وليست النهاية، وهذا ما لا يفهمه الرجل. على المرء أن يتعلّم أنه كما تتكلّم المرأة بهدف الكلام، فالرجل يحب لأنه يريد الحب؛ ينتهي الأمر بالنسبة إليه بينما بالنسبة للمرأة تكون هذه هي البداية وحسب. وهنا موقع سوء الفهم الذي لا نهاية له طبعاً. بالنسبة للمرأة، العلاقة والإيروس متطابقان ولهما هدف – هي تعني العمل. إن عبارة "على المرء ألا يعبث بشأن الحب - *On ne badine pas avec l'amour*" ليست مجرّد كلام فارغ، فهي تريد أن تحقق

شيئاً. تماماً كما لا يكون عقل الرجل موجوداً من أجل ما يسميه كلاماً فارغاً – كما يعني أن شيئاً يجب إنتاجه، تعني المرأة أن هناك ما يجب إنتاجه من العلاقة. فالعلاقة ليست شيئاً يتم القيام به بهدف القيام به وحسب، بل من أجل تحقيق شيء معين، ربما لإنجاب طفل أو شيء آخر، لكن لا بدّ من إنتاج شيء منها.

لكن كلما كان إيروس المرأة هادفاً أكثر، وكلما رأى الرجل ذلك أكثر، انسحب بشكل أسرع لأن ليس هذا ما كان يعنيه بالإيروس إطلاقاً. هو لا يريد أن يفسد متعته. وكذلك عندما تفهم المرأة أن هناك نتائج لما تقوله، فهي تنسحب وتصبح باردة؛ كلما ازدادت جدية الأشياء، ازداد خوفها من الكلام: لقد رأت أن الناس يستخلصون نتائج. ربما يقول الرجل: "لقد أعطيتني معلومات وقد فعلت هذا وذاك، وهذا هراء"، ستكون كارثة عندئذٍ؛ ستمسك لسانها من تلك اللحظة فصاعداً. وكذلك عندما يرى الرجل الإيروس الحقيقي للمرأة يقول: "لا، لا شيء من هذا القبيل!" وتصاب النساء بالدهشة لأنهن يجدنه مقفلاً تماماً. لقد أصابه الرعب لأنها استخلصت نتيجة مما كان مجرّد لعبة مرحة. هذا هو حبّ الرجل، تلك فكرته عن الحب، ما يبدأ به على الأقل. وهذا غير مناسب بالتأكيد لكن من الواضح أنه هكذا. أنا لست من خلقه ولم أكن لأخترعه مطلقاً، وأفترض أن الخالق ربما كان امرأة أيضاً. فبدون أدنى شكّ لن يخترع الرجل وحده مخططاً كهذا ليصنع شيئاً جدياً من شيء يراه مجرّد لهو.

"ينبغي أن يربّى الرجل للحرب، والمرأة لاستراحة المحارب: وكلّ ما عدا ذلك فحمق."

نعم! هذه "قرينة" حقيقية.

"إن المحارب لا يستسيغ الثمار الحلوة. لذلك هو يحبّ المرأة؛ فلأكثر النساء حلاوة *مذاقها* المرّ."

"للمرأة قدرة على فهم الأطفال أكثر من أيّ رجل، لكنّ الرجل أكثر صبيانية من المرأة."

يمكننا أن نستنتج أن على النساء أن يفهمن الرجال لأنه كما يقول نيتشه:

" داخل كلّ رجل حقيقي يختبئ طفل: طفل يريد أن يلعب."

لكن من الواضح أنه افترض أن ذلك لا يغري المرأة كثيراً؛ لذلك يقول:

" هلمّوا أيتها النساء، ولتكشفن لي عن الطفل في الرجل!"

لقد اكتشفت المرأة ذلك منذ فترة طويلة لسوء الحظ، كما اكتشف الرجل منذ فترة طويلة ما الذي يعنيه كلام المرأة؛ هي تستخدم طبعاً كل أنواع الأفكار لكن عليه أن يصلح حتى الفواصل في رسائلها، أو توقيعها؛ هو لا يرى بشكل جيد إلا حيث يرقد الطفل مختبئاً في المرأة – في عقلها. ولا ترى المرأة طبعاً بوضوح تام إلا أين يكون الرجل صبياً، وبشكل غير دقيق أحياناً؛ حتى النساء ذوات النوعية البسيطة يستطعن رؤية الصبي في الرجل الذي يحبونه. عندما يقتنع الرجل بأنه ذكوري بشكل كامل، ويشبه الديك المهيب، تستطيع أن ترى كم هو سخيف بطريقة ما. كان زارادشت مخطئاً تماماً عندما نصح المرأة بأن تنهض وتكتشف الطفل في الرجل – إنها ترى ذلك بشكل جيد؛ وعليه بالأحرى أن ينصحها بأن تكون أكثر تسامحاً مع ذلك الطفل، وأكثر تفهماً له.

"لتكن المرأة لعبة نقيّة رقيقة مثل الحجارة الكريمة، فوقها تشعّ أنوار فضائل عالم ليس له من وجود بعد."

من الرائع طبعاً أن تتمكن المرأة من تحويل نفسها إلى ذلك الحجر الكريم الرائع الذي يستطيع الرجل أن يلعب به. لكن الواقع ليس على هذا النحو. لاشيء يأتي من ذلك عندما تضع المرأة قطع صوف فوق عيني رجل وتجعله يصدق أنها حجر كريم تضيئه فضائل من عالم لم يأتِ بعد؛ يحتاج

ذلك إلى وقت طويل، وهو ليس صحيحاً. وما الذي سيفعله الرجل مع امرأة من عالم لم يأتِ بعد؟

لتلمع داخل حبكنّ أشعّة نجم! وليكن رجاؤكنّ: "ليكن لي أن أصير الأمّ التي ستلد الإنسان الأعلى!"

هكذا تكون عاطفة الرجل الذي لم يتعلّم أي شيء عن المرأة فعلاً – هذا واضح للغاية. لكن تلك "القرينة" حامل على الرغم من ذلك، ويمكن أن تراه هنا؛ إنه عاطفي جداً وغير مناسب، لكن إذا لم تصدمك هذه العاطفة، إذا تجاهلتها ومضيت إلى الأفكار والمجازات الواردة فيما يقوله نيتشه، فستكتشف الطفل الذي تحبل به القرينة.

السيدة آدلر: الجوهرة رمز للذات، والذات كانت متماهية مع زارادشت سابقاً، لكن يبدو الآن أن الذات قد تماهت مع القرينة في زارادشت.

الدكتور يونغ: زارادشت متماهٍ مع القرينة، لذلك يمكن القول إن زارادشت "حامل" لأنه بهيئة القرينة. لكن القرينة هي الحبلى، حبلى بجوهرة. وبما أن الجوهرة رمز للذات، فالقرينة حبلى فعلاً بالذات، لكن يتم التعبير عنها بطريقة عاطفية صادمة. كما أن والد ذلك الطفل هو العجوز الحكيم، والعجوز الحكيم هو الروح القدس دوماً، وهو الذي "يتزعّم طقوس البدء"، والمرشد الروحي لروح الإنسان الحي والمعلّم الكبير؛ إنه النموذج البدئي لذلك كله، هو تجسيد لما يمكن للمرء أن يسميه الإلهام. هو النموذج البدئي الملهم الذي يحمل سرّ الذات. في الأسطورة المسيحية مثلاً، كان الروح القدس هو من جعل مريم العذراء تحبل بـ "الكلمة"، باللوغوس المتجسّد: المسيح هو توقّع الذات. لكن في حالة "سيمون ماغوس وهيلينا" يتخذ الأمر شكلاً مختلفاً؛ ربما يمكن للمرء القول إنه كان شكلاً غير شرعي أو لا أخلاقياً، لأن "هيلينا" ليس لديها طفل. لكنه توقّع لفكرة مفادها أن الطفل ليس طفلاً حقيقياً، بل ولادة غير مرئية. والأمر نفسه تماماً سواء

أكان "سيمون ماغوس" أم زارادشت، أم أي عجوز حكيم آخر وُهِبَ ولادة جديدة من خلال "هيلينا"؛ هي والدة الأب، كما أن الرجل العجوز هو أب أمه. وبناءً عليه، الخالق في الغنوصية كان يُسمى "الأب – الأم"؛ هذا هو الخالق الخنثى، "أب – أم" البداية.[1] لذلك فمن المثير للاهتمام اكتشاف كيف يكمن الرمز مدفوناً في أسوأ أنواع العاطفة.

كما ترون، تصيب الحالة العاطفية أعصاب المرء وهذا صحيح؛ يجب أن يُصدم المرء بالحالة العاطفية لأنها خاطئة تماماً. ويصحّ أن تُصاب النساء "بعاطفية قرينة" الرجل، لأنها مجرد تعبير خاطئ. لكنه أمر مؤسف؛ لقد جاء من محتويات عقلية لاوعية ليس هناك أشكال واعية لها. ولا يمكن التعبير عنها بأية مصطلحات أخرى غير العواطف. يقع الرجل تحت سيطرة "القرينة" لأن عقله لا يقدم فرصة للاوعيه. ليس لديه وعاء، ولا شكل، لكي يضع فيه المحتويات التي يتلقاها. والقرينة حبلى، وهو يشعر بالعاطفة نحوها. إنه يشبه بهذه الحالة يوسف العجوز، تلك الشخصية التي تدعو للأسف إلى حد ما؛ نظر إلى مريم العذراء وقال: "آه، نعم، من الرائع جداً أن تحبلي من الروح القدس؛ نعم، سوف أكون كفيلاً لك وأساعدك، وسأذهب معك إلى مصر". لكنها حالة تدعو للأسف، وخرقاء وصعبة للغاية؛ وقد أصبح عاطفياً جداً نحوها بشكل بغيض. وهذا تماماً حال الرجل الذي لا يوفر عقله ذلك الشكل، وذلك الإناء المحكم، ليستقبل به محتويات لا وعيه. عندما تفهم ذلك ربما تصبح متسامحاً ومتساهلاً للغاية مع عاطفية الرجل. لكنه مع ذلك يستحق الصفع فعلاً. والنساء الغريزيات لن يترددن أبداً في إثبات ذلك؛ لا يمكنهن منع أنفسهن من معاقبة الرجل على هذا النوع من العاطفية غير الحقيقية. لا يمكن للمرء أن يأخذ هذا الأمر

---

[1] تحدث الغنوصيون الأوائل في كثير من الأحيان عن الثنائي المطلق "الأب – الأم" في اعتراض على الإله الأب الأحادي.

حرفياً، ولا يجب أن يؤخذ كذلك. لأن الرجل يميل إلى التعامل مع عقله بجدية، وتقديم الإناء اللازم لاستقبال محتويات لاوعيه.

ينطبق الأمر ذاته على المرأة؛ لا يتم التعبير عنه هناك بمصطلح الحمل طبعاً بل بمصطلحات ذكورية. إنه "مبدأ التوالد الكوني – *logos spermatikos*" الذي يلعب الدور ذاته لدى المرأة، "بذرة الكلمة". عقلها "المحب للهو" ليس عاطفياً، وأنت تعرف ما هو "القرين" فلا داعي لتكرار ذلك. هذا مزعج للرجل وهو محقّ في غضبه، ومحق تماماً في الضرب. يحتاج الكثير من النساء إلى إخفاء "القرين". وتظهر عدائية الرجل دائماً بسبب "القرين" لدى المرأة، لكنها تحتاجه وتريده؛ لا يمكن للاوعيها أن يأتي من تلقاء نفسه إذا لم تُعامل بخشونة إلى حد ما؛ هذا هو السبب الذي يجعل "القرين" يقود الرجل إلى الجنون. لكن نواة الحقيقة تكمن في هذا الشكل الخاطئ "للقرين"؛ ثمة شيء يجب على المرأة أن تجد الشكل المناسب له. هناك شكل، لكنه غير موجود إلا في "الإيروس" الخاص بها، وليس في عقلها؛ لا تستطيع أن تفعل ذلك من خلال العقل بل من خلال الشعور فقط. إن "إيروس" المرأة ملهم للرجل شريطة ألا يكون "قريناً"؛ إذا كان "قريناً" فسوف يجبره على التراجع، وهو على حق في تصرّفه. وتكون المرأة على حق أيضاً في رفض تلك الحالة العاطفية اللزجة الدبقة التي يُظهرها الرجل. لكن ذلك الخطأ كامن في "الحَبَل" لأن "القرين" مليء بالبذرة. يتابع زارادشت:

"ليكن حبكنّ شجاعة! ولتُقدمن في حبكنّ على كلّ ما هو مثير للخوف.

ليكن حبّكنّ هو الشرف الخاص بكنّ! فالمرأة قليلة الحس عادة بأمور الشرف. ليكن إذاً هذا هو شرفكنّ؛ أن تحببن دوماً أكثر مما تنلن من الحبّ، وألا تكنّ صاحبات المرتبة الثانية في الحبّ."

ترون هنا أنه يعلّم المرأة شيئاً يشبه "المرأة العليا".

"لكن ليحذر الرجل المرأة إذا أحبّت: إنها تضحّي بكلّ شيء، وكلّ ما عدا حبّها يغدو غير ذي قيمة لديها."

لا يحتاج ذلك إلى أي تعليق. ثمة تجارب بشرية كافية لإثبات ما يقوله هنا.

"ليحذر الرجل المرأة إذا حقدت: فالرجل في أعماق نفسه خبيث، أما المرأة "فسيّئة – mean" في العمق."

إن كلمة "سيئة – *mean*" ليست الترجمة الصحيحة لكلمة "*schlecht*" الألمانية – ربما كانت كلمة "*base*" التي تعني "دنيء، خسيس" أفضل.

البروفسور فيرز: ألا يعني هنا كلمة "*böse*"، أي إنها شريرة مثل النمر؟

الدكتور يونغ: كلمة "*schlecht*" لها أيضاً علاقة بمعنى "الفساد"، ليست "شريرة" فقط بل فوق هذا كله "فاسدة".[1]

الآنسة تايلور: "تافهة؟

الدكتور يونغ: نعم، هذه الصفة تعطي المعنى تقريباً.

من الرجل الذي تحقد عليه المرأة أكثر من غيره؟ - هكذا خاطب الحديد المغناطيس: "إنني أحقد عليك أكثر من أيّ شيء لأنك تجذب، لكن ليس لديك ما يكفي من الطاقة كي تجعلني لا أنفصل عنك".

سعادة الرجل تدعى: أريد. وسعادة المرأة تدعى: يريد.

هكذا ترى "القرينة" الحالة طبعاً، "القرينة" باعتبارها ذلك الضباب الذي يحجب عيني الرجل؛ هو لا يرى المرأة إلا بقدر ما تؤثر به. فهو لا يرى أعماقها بل يرى هنا أن سعادة المرأة هي "هو يريد"؛ لكن سعادة المرأة هي "أنا أريد" أيضاً – لكنها لا تقول ذلك وحسب. إن طريقة الإيروس الهادف أن يقول: "هو يريد" بدلاً من "أنا أريد"، لكن هذا يأخذ صيغة اقتراح: "ألا

---

[1] "كوفمان – Kaufmann" ترجم "schlecht" بمعنى "سيئة – bad".

تريد....؟" تقترح هدفية إيروس المرأة ذلك بطريقة يقع فيها الرجل في وهم أنه هو الذي يريد ذلك؛ هو ربما لا يريده، لكن تقترح ذلك تماماً مثل مندوبة مبيعات ذكية تستطيع أن تطوّق زبونها إلى الحد الذي يقتنع به أنه يريد ذلك الشيء ويريد أن يشتريه. هذا ما لا يراه الرجل. هو يؤمن فعلاً أن المرأة سعيدة بأنه يريد ذلك؛ في أنانيته و"أناه" العمياء لا يمكن أن يكون سعيداً إلا عندما يستطيع تحقيق رغبته الخاصة، وهو لا يرى أنها تحقق رغبتها هي أيضاً. وإذا صادف المرأة ذاتها في لحظة أخرى، أو ربما امرأة أخرى في الظروف ذاتها، ولم يتوافق اقتراحها مع اقتراحه، فسوف يتعلّم درساً ويُحبط. وسيقول مرة أخرى: "آه، لا يمكنك أن تفهم النساء أبداً!"

"انظر، لقد غدا العالم الآن مكتملاً!" – هكذا تفكّر كلّ امرأة عندما تطيع مدفوعة بكليّة حبّها.

على المرأة أن تطيع وأن تجد عمقاً لسطحها. سطح هي نفس المرأة، قشرة متحركة ومضطربة فوق ماء قريب القاع.

نعم، هذا هو سوء الفهم المؤسف بين الرجال والنساء؛ الرجل لا يفهم أن ما يهم المرأة هو الحب بينما ما يهمه هو العقل. وترتكب النساء الخطأ ذاته عندما يعتقدن أن عقل الرجل هو شيء بحد ذاته، لكن عقله بالنسبة إليه ليس غاية بحد ذاتها: هو يستخدمه لغايات معينة. وهكذا يفهم الرجل الحب شكلاً من أشكال الاحتفال الصاخب المخمر في الجنّة، لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للمرأة، وستكون غبية جداً إذا افترضت أن ذلك كان حبّها، أو يجب أن يكون حبّها. إن حبها هادف كعقل الرجل؛ فهي منطقية، وتريد أن تدير العمل "بالإيروس" الخاص بها، ويكره الرجل أن يرى ذلك بطبيعة الحال. وستكون المرأة غبية طبعاً إذا أفسحت المجال للرجل ليرى ذلك. إذا أردتَ إدارة عمل حقيقي فعليك ألا تجعله مرئياً، أو سيصبح الناس غير واثقين؛ البائع الذكي لا يُظهر يده.

"لكنّ نفس الرجل عميقة، وتيار سيله يهدر داخل كهوف ضاربة في أعماق الأرض:....."

هذا هو الخطأ الذي يرتكبه الرجل دوماً؛ يرى المرأة وكأنها "قرينته"، الزبد يهدر جيئة وذهاباً على المياه الضحلة؛ لكنه لا يشعر باليقين لأن هناك شيئاً فيه عمق خلف "قرينته". عندما يُسقط "قرينته" يلامس وجهاً خادعاً للمرأة ولا يرى أن لديها هدفاً عميقاً مثل هدفه على الأقل. وشكل "القرينة" هذا هو استعارة تبدو وكأن لها تاريخها؛ "فينوس" أو "أفروديت" هي "أفروجينيا – *aphrogeneia*"، تلك المولودة من الزبد. لو أقام علاقة حبّ واحدة جدية لكان اكتشف شيئاً عن النساء، وعن الكهوف الضاربة في أعماق الأرض، ولكان سيتعجّب.

"إنّ المرأة تحدس قوّته، لكنها لا تدرك كنهها."

هذا كلام القرينة وحسب. تحاول "القرينة" دوماً إقناع الرجل بأعماقه الاستثنائية، وأنه شخص استثنائي، كي تحجبه أو تشبكه في علاقات حب غبية عديدة قدر استطاعتها – كلما كان أكثر، كان أفضل. وبما أنه رجل لديه سلطة وأشياء أخرى لا يعلمها إلا الله، يفترض بطبيعة الحال أنه المخلّص لكل النساء، وكلما تشابك أكثر، لعبت "القرينة" بحرية أكثر. وهكذا لا يستطيع أن يرسخ.علاقة حقيقية مع امرأة إطلاقاً؛ لا يستطيع أبداً أن يغرس جذوراً في العالم. هو مجرد غبي أصبح حبيس قفصه الخاص، وتقوده "القرينة" التي أصبحت مثل نساء السيرك اللواتي يتجوّلن وبيدهن سوط؛ تبقيه في حالة تقدم لكن في حالة من اللاواقعية الكاملة. وعندما تكون "للقرينة" هذه الصفات، تشكّل طبقة ضبابية كثيفة على وعي الرجل بحيث لا يمكن أن يتفرّد. إنه متشابك مع أفكاره الخرافية حول نفسه ولا يمكنه اختراق حجاب الوهم الضبابي، وهكذا لا يلامس الواقع إطلاقاً. يبقى دون ولادة، ولا يخرج إلى العالم فعلاً ليرى ضوء النهار. يبقى

على الدوام وهو يلاحق الفراشات ولا يرى أنه يلاحقها في قفصه. من الأفضل للرجل ألا يعتقد أن المرأة قد ألّهت سلطته لأنه لا يوجد شيء يمكن تألهه؛ إنه إنسان عادي ومن الأفضل له أن يعتبر قوته محدودة جداً. بالتأكيد، النساء لا يفهمن الرجال في جوانب معينة – كما أن الرجال لا يفهمون النساء – لأنهنّ لا يبذلن الجهد الكافي لذلك، وهذه مأساة طبعاً.

لكن صعوبة الفهم لا تكمن حيث يفترض الناس المفتقدون للخبرة. بل هي صعوبة فهم المرء لنفسه. إذا تمكّن الرجل من فهم الفرق بين نفسه و"القرينة" فسوف يفهم نفسه؛ ثم سيعرف ما هو الرجل وسيعرف بالغريزة ما هي المرأة. وإذا فكّر بنفسه عن طريق "القرينة" فلن يكتشف نفسه أبداً، بل يبقى أسير الأوهام. وإذا لم تفهم المرأة نفسها، وفكّرت من خلال "القرين" فلن تعرف نفسها بالتأكيد، ولن تعرف الرجل أيضاً، وتبقى دوماً في حيرة وذهول. وستسقط بطبيعة الحال رأيها على الرجل: ينبغي أن يكون هذا وذاك. لذلك فإن الصعوبة الحقيقية ليست في الهدف، حيث يفترض الناس معصوبو العينين أن الظلام موجود. يعتقد الرجل أن الصعوبة هي في أنه لا يفهم المرأة؛ لا، أبداً، هو لا يفهم نفسه. وأينما حاول المرء معالجة حالة كهذه، فإن سياق التحليل كله، كما تمليه الأحلام، يؤدي دوماً بالمريض إلى نفسه؛ وإذا استطاع في لحظة ما أن يفهم شيئاً عن نفسه، فسوف يفهم الآخرين. لا يستطيع المرء أن يتعلم ذلك من خلال الهدف لأن المرء لا يرى بثبات إلا وجهه في الهدف؛ يحدّق المرء في الغيوم وتصبح مرآة عاكسة. ويظهر أخيراً وجهه الشخصي. إنها حقيقة عامة أن المرء لا يستطيع أن يفهم أي شيء إلا بقدر ما يفهم نفسه.

هنا أجابتني تلك العجوز: "كثيراً من الأشياء اللطيفة قال زارادشت،....."

تبقى عجوزاً واسعة المعرفة؛ فهي تلعب لعبة لأنها بطبيعة الحال شيطان "قرينته".

" خاصة بالنسبة لأولئك اللواتي مازلن في سنّ مناسب لمثل هذا الكلام".

إنها تلاطفه: أعرف طبعاً أنني عجوز بما فيه الكفاية لكن العجائز يفهمن الرجل بشكل أفضل بكثير، ولديهنّ خبرة واسعة، والفتيات الصغيرات لا يفهمن الرجل المسكين، لكن العجائز لديهن قلب من أجل الرجال ويفهمن حاجاته. إنها تلاطفه كما لو أنها فتاة شابة. وقد استجاب!

"إنه لأمر غريب، فزارادشت لا يعرف النساء كثيراً ومع ذلك فرأيه فيهنّ مصيب!"

فقط لأنه لا يعرف عن النساء سوى القليل!

"هل مردّ هذا أنه ليس هناك من شيء مستحيل لدى المرأة؟"

والآن إليك مني هذه الحقيقة الصغيرة كعربون شكر! فهل أنا مسنّة بما فيه الكفاية لمثل هذه الحقيقة؟

لُفّها جيداً واكمم فمها؛......

لا تكن طائشاً وأخبر الجميع بالأمر.

"وإلّا فإنها ستصرخ بأعلى صوتها هذه الحقيقة الصغيرة".

"ناوليني حقيقتك الصغيرة أيتها المرأة!" قلت لها. وهكذا تكلّمت العجوز المسنّة:

"إذا ذهبت إلى النساء، فلا تنس السوط!"

هكذا تلكّم زارادشت.

لو كان زارادشت حكيماً فعلاً لقال: "ألم تبلغ من العمر ما لا يجعلها تلاطفني وكأنها شابة؟ ألا تكذب عليّ عندما تقدم لي هذه النصيحة وتجعلني أصدق أنها تفهمني أكثر من نفسي؟ تذكّر السوط عندما تذهب إلى نساء *من هذا النوع*، أو تذكّر السوط عندما تذهب إلى "قرينتك". هذا ما لا يعرفه الرجل أبداً، وهو أول شيء عليه أن يعرفه في التحليل: تذكر السوط. لكن السوط من أجل "قرينته" وليس للنساء، وليس لهنّ حتى لو كنّ

يستحققن ذلك – مع أنه قد يكون جيداً للمرأة إذا عرف الرجل كيف يستخدمه، كما يكون مناسباً للرجل ليتم ركله أحياناً. عليه أولاً أن يتعلّم كيف يسوط "قرينته" على أية حال. لقد أحبّ الرجال هذه العبارة واقتبسوها كثيراً، ولعقوها كما يلعقون أي شيء آخر. لكنهم ارتكبوا خطأ محاولة الهروب من "قرينتهم"، كما حاولت النساء الهروب من "القرين" بسجنه في رجل معين وجعله "الشخص الكريه – *bête noire*"، بدلاً من تحمّل "قرينتهم" والقول: "أه، هنا يكمن الوحش الشرس، وليس هناك". وبشكل طبيعي يحاول الذكر، بصفته إنساناً، أن يجد تلك المرأة التي يستطيع اتهامها بإفساد الطبيعة، وبأنها سبب الشرور كلها، لأنه يعرف عندئذٍ مكان الشيطان. إن اعتبار المرأة تجسيداً للشيطان كان الحقيقة المنظّمة على مدى ألفي عام؛ ابتكر الرجل قصة رائعة تقول إن أفعى الفردوس هي المرأة، وإنها تأثرت بالشيطان، وأصبحت المرأة والأفعى هما الشيء ذاته. كانت هذه الحقيقة فعّالة في القرون الوسطى كلها، ولا نزال الآن تحت تأثير فتنتها؛ تمثل المرأة شيئاً مختلفاً عن الرجل لدرجة أن جميع مبادئها الأخلاقية – كل شيء باستثناء الحقائق الخشنة - مختلفة تماماً. لذلك سرعان ما يصبح عالم الرجل نسبياً عندما يعترف أن وجهة نظر المرأة صحيحة أيضاً، ويدخل في أكثر الاضطرابات خوفاً. كل شرور العالم كانت منسوبة إلى المرأة، أي إنها من عمل الشيطان. فهما متكافئان.

علينا بسبب هذا الانحياز التاريخي أن نحتجّ على فقرة نيتشه هذه؛ من الواضح أن هذه الفقرة مطبّقة أيضاً على النساء، ويبدو كما لو أنها من اقتراح المرأة العجوز – والتي هي نيتشه أيضاً. وهذا ليس غريباً أبداً لأنني أعرف نساء يعبثن لدرجة يخبرن بها الرجل أن هناك نساء معينات يستحققن السوط. وقد تم التعبير عن هذه الفقرة كلها بمصطلحات تجعلنا نفكّر فعلاً بأن المقصود منها هو أن زارادشت، أو نيتشه، لديه

قناعة بأنه لا يمكن التعامل مع النساء إلا باستخدام السوط. لكن الحقيقة أن الأمر كله رمزي، الأمر الذي لم يره حتى نيتشه نفسه. فالمرأة العجوز هي "قرينته" التي تلعب لعبتها كأية عجوز – حواء العجوز. تلعب حواء الأبدية دورها في نفسه، وعندما يأتي إليها، عليه أن يتذكر السوط؛ عليه أن يميز بين أفكاره وأفكار تلك المرأة الشيطان التي يخفيها.

الآنسة وولف: بدأ هذا الفصل بطريقة غير عادية، بسؤال موجّه لزارادشت، وأعتقد أنه ما من فصل آخر بدأ بهذه الطريقة. وبعد فترة، بدا وكأن زارادشت يطرح سؤالاً، لكن لا يمكن أن يكون الأمر كذلك لأنه كان وحيداً حيث يخفي شيئاً سرياً تحت عباءته. لذلك ربما علينا أن نجد من وجّه إليه السؤال.

الدكتور يونغ: من تعتقدين؟ من هو الأقرب؟

الآنسة وولف: هو يقول: "يا أخي".

الدكتور يونغ: نعم، لكن الفرضية من الفصل السابق أنه كان في عزلة، وأنه ما من شخص آخر هناك. ومع ذلك من الواضح أنه هو نفسه اثنان مرة أخرى.

الآنسة وولف: لا بدّ أن يكون صوت نيتشه الشخصي إذاً.

الدكتور يونغ: نعم، هو يسأل نفسه. وهذا وفقاً للقانون. فهو يقول: "أصبح الواحد اثنين، ومرّ زارادشت بي". لقد ظهر زارادشت عندما كان وحده، وبدا وكأنه شخصيته الثانية. ونلاحظ أن نيتشه كتوم للغاية بما يخص وجود عنصر زارادشت في داخله. إنه يتجوّل بطريقة مضحكة ويبدو وكأنه يخفي شيئاً. ويبدو الأمر كما لو أنه كان يسأل نفسه لماذا كان يسرق في الخفاء. لكنه لسوء الحظ، لم يأخذ الأمر بالجدية الكافية؛ نسي كل علمه ونقده عندما وصل إلى سيكولوجيته الخاصة. من المضحك أن الناس الذين لديهم موقف سيكولوجي تمييزي في التعامل مع سيكولوجيا البدائيين، أو

ربما سيكولوجيا الناس الآخرين، ينسون كل شيء عندما يتعلّق الأمر بأنفسهم. ينسون كل فضيلة ويصبحون أشراراً كبقية الناس. فأولئك الذين يحافظون على الاهتمام بأقربائهم وجيرانهم وفقاً للقاعدة المسيحية مثلاً، ينغمسون بنوع من الطيبة التي لا تنتهي مع أنهم يعرفون أن الشخص الذي يعتنون به ربما كان مجرد مخادع لا يستحق عنايتهم؛ ومع ذلك عندما يجب عليهم تطبيق تلك الطيبة على أنفسهم، يجلدون أنفسهم. ويصبحون قساة كالمعدن معتقدين أن في ذلك فضيلة، لكنها ليست فضيلة بل نقيصة. وهم يخلقون صحراء في أعماقهم. وهكذا فإن نيتشه، مع أنه سيكولوجي للغاية ومميز جداً بمؤلفاته، فهو لا يكون ناقداً عندما يصل الأمر إلى نفسه. لقد نسي كل شيء. كان ينبغي أن يقول: "من هو الموجود هناك وحده؟ هل أنا وحدي؟ هل زارادشت وحده؟" عندئذٍ سيرى مباشرة أنه ليس وحيداً: هناك دوماً شخص آخر، هناك ذلك الصديق، معه. يريد المبدع أن يكون وحده، ويجب أن يكون وحده، وعندما يكتشف أنه اثنان عليه أن يأخذ الأمر بجدّية ويقول: "ماذا تفعل أيها العجوز؟ أنت تخفي شيئاً ما!" سيكون موضوعياً حينها. لو استطاع مرة واحدة أن يحظى بنقاش لائق مع زارادشت، ولو سأله عن سرّه من الناحية السيكولوجية، لكان اكتشف أن زارادشت هو أيضاً اثنان، فهو مكوّن من رجل وامرأة. كان هو من سيقود اللعبة حينها. نحن لا نستطيع طبعاً أن نتوقع ذلك من رجل عاش في فترة لم تكن هذه الأشياء فيها واردة.

الآنسة وولف: بما أن نيتشه لا يستطيع أن يفعل ذلك، ألا يمكن أن يكون ذلك مثل صوت الحالم الذي أخبرتنا عنه في "أسكونا"، حيث كان يسمع صوتاً معيناً في أحلامه؟[1] ربما كان لديه وعي سيكولوجي عميق جذب

[1] في محاضرته "رموز الحلم في عملية التفرد – Dream Symbols of the Individuation Process"، التي تم تقديمها في مؤتمر إيرانوس عام 1935، تحدث

انتباهه إلى حقيقة أنه صديق أشرار. وهذا منطقي تماماً لأن قال سابقاً إنه في طريقه إلى لقاء شياطينه السبع. والآن، هو مع الشياطين السبع، وأول ظهور للأشرار هذا الطفل الذي يخفيه، ومن ثم المرأة العجوز.

الدكتور يونغ: أوافق بشكل كامل. كان نيتشه في أفضل حالاته سيكولوجياً مميزاً حقاً، وعندما يكون في أفضل حالاته فعلاً، يقدم نفسه ويقدم ذاته الشخصية؛ تظهر ذاته انطلاقاً من جوهره الفردي العميق. لذلك يمكن القول بالطريقة ذاتها إن ذلك الصوت هو الصوت اللاشخصي للذات، وإن وعيه الفكري أو الفلسفي أو السيكولوجي بدأ يظهر هنا. سوف نرى حالات كثيرة تظهر فيها هذه الأصوات لدرجة نستغرب كيف لم يستطع استيعابها؛ عندما ذكر الجوهرة والحجر الكريم والنجم، ولاحقاً في فصل بعنوان "عن لدغة الأفعى"، كان قريباً جداً لدرجة نتوقع أنه كان قادراً على إدراكها. لكنه لم يدركها؛ لم تكن من زمنه. لقد فشلنا في مكان آخر طبعاً؛ نقوم بهذا التمييز الآن لكننا نلغي شيئاً آخر. ولن نصبح مثاليين أبداً، لحسن الحظ!

السيدة باينز: لقد كتب هذا الفصل بصيغة الماضي، لذلك أعتقد أن الطفل الذي يحمله بين ذراعيه كان الحقيقة التي أعطته إياها المرأة العجوز.

الدكتور يونغ: حسناً، لن يكون من المجدي أن يُثير زارادشت كل هذا الصخب حول ذلك، سيكون سخيفاً للغاية. نحن نلاحظ أن المرأة تخدع، وأن ما يقوله زارادشت هنا بشكل خاص ليس حكيماً؛ وعلاوة على ذلك أنه غالباً ما قيل سابقاً، ويمكننا أن نقرأ ما يشبه ذلك لدى شوبنهاور.

يونغ عن الصوت في الأحلام بأنه "تعبير عن حقيقة أو حالة خارج مجال الشك" (الأعمال الكاملة، المجلد الثاني عشر، صفحة 115).

السيدة باينز: نعم، لكن بما آن معرفته بالمرأة ضعيفة للغاية ربما اعتقد أنها قالت أفضل ما قيل في الحكمة، ومن المنطقي أن نتعامل معها وكأنها صرّحت بحقيقة عظيمة.

الدكتور يونغ: أنت على حق تماماً؛ يبدو الأمر كذلك ظاهرياً. لكن على الرغم من أن الفصل كله يحتوي على بعض الأشياء العميقة فعلاً، فهي تتنكر تحت أفكار ومشاعر خاطئة. لذلك أقول، نعم، ما همست به العجوز له هو بطريقة ما ذلك الطفل الذي يخفيه، لكن ثمة المزيد في ذلك الطفل. ولو أدرك أن هذه المرأة التي تتحدث إليه هي صوت آخر فعلاً، وأنها ليست من اختراعه، لكان قادراً على أن يضع يده على كنزه المغطى بتلك الصور الوهمية.

السيدة يونغ: قلت إن القرينة كانت حبلى بالإنسان الأعلى، وإن والد هذا الطفل كان الروح القدس. أود أن أعرف ما هو دور الفرد؟ يبدو لي أنه ما من شيء يولد إذا تُرِكَ للنماذج البدئية فقط.

الدكتور يونغ: يكون على الفرد طبعاً أثقل عبء في هذه الحالة، لأنه الناقل الحيّ لهذه الشخصيات كلها. على الفرد الحي أن يحمل القرينة الحبلى. هو بالفعل "يوسف" في المشهد كله، الوسيلة التي يصبح الشيء حقيقياً من خلالها. الفرد هو الكائن الحيّ الذي يعيش في المكان الحالي واللحظة الحالية، ويجعل هذه الدراما حقيقية، وهذه هي المشكلة الكبرى. عانى المسيح الإنسان مثلاً بشكل بائس للغاية من أجل الدراما الإلهية التي نشأت فيه. هذا هو دور الفرد – سيئ للغاية!

البروفسور فيرز: أود الإشارة إلى أنه في الفصل الذي أشرت إليه للتوّ كان يتعامل مع الأخ، وتحدث في الفصل السابق إلى الأخوة؛ يبدو وكأن تركيزه ازداد على شخص واحد، ثم اختفى في الفصل الذي نناقشه الآن وظهرت

القرينة. يبدو وكأنها كانت تنبثق من هذه الفصول؛ لقد ابتعدت كثيراً عن الحالة الجمعية، ومن ثم ظهرت.

الدكتور يونغ: هذا ضروري؛ وإلا فلا يمكنها أن تظهر.

البروفسور فيرز: منطقي للغاية.

الدكتور يونغ: نعم، إنه تركيز على نفسه. يجب أن يصل إلى ذلك الرأس، وإلا فلا يمكن إدراك أي شيء.

السيدة كرولي: أعتقد أن السرّ في هذا الفصل كان حكمة الأفعى، أو موقف الأفعى من الفهم، وفي الفصل التالي تظهر الأفعى.

الدكتور يونغ: نعم، هذا ما بات واضحاً.

المحاضرة التاسعة

11 كانون الأول – ديسمبر 1935

الدكتور يونغ:

أحضرت لنا السيدة باومان صورة القديس يوحنا، وهي لافتة للغاية لأنه يظهر في الصورة مع ملاك أنثى صغيرة خلفه، وهي تهمس بأذنه ذلك السرّ الشهير. ونصل الآن إلى فصل بعنوان "عن لدغة الأفعى". ما هو الرابط بين هذا الفصل وما سبقه؟ تذكّروا أن لدينا هنا سلسلة من الصور المنطقية.

السيدة كرولي: هي تظهر مشكلة "القرينة".

السيدة فيرز: تبدو حواء مرتبطة بالأفعى.

الدكتور يونغ: نعم، تظهر "القرينة" كامرأة في الأعلى، وأفعى في الأسفل، كما تظهر الأفعى في الفردوس برأس امرأة؛ لطالما ارتبط عنصر الأفعى بمشكلة القرينة. لِمَ ذلك؟

السيدة كرولي: ثمة صفات ترتبط بالعالم تحت الأرضي، الارتباط مع الأرض، وللأفعى أيضاً صفات نبوئية وإلهية.

السيدة فيرز: إنها رمز النظام العاطفي، للجهاز العصبي السفلي.

الدكتور يونغ: بالنسبة للجهاز العصبي السفلي، ربما يصبح مرئياً من خلال العاطفة طبعاً لكنه ليس عاطفياً بالضرورة. لذلك يمكن القول إنه

تم اختيار الأفعى بسبب ظهورها الخارجي ولسماتها المميزة بشكل عام. إنها حيوان الدم البارد ذو السيكولوجيا غير البشرية؛ يمكن للمرء أن يُنشئ أية صلة مع أي حيوان من حيوانات الدم الحار تقريباً لكن ليس هناك مشاعر موازية مع الأفاعي. إنها غريبة جداً بالنسبة لسيكولوجية الإنسان. دماغها متطوّر بشكل بسيط للغاية، ويتكون أساساً من الأعضاء الحسية وملحقاتها العصبية؛ كتلة جهازها العصبي كله عبارة عن استطالة نخاعية، والمراكز الحركية المركزية السفلية، ومن ثم النخاع الشوكي كله. والحالة أكثر سوءاً مع الزواحف الكبيرة التي تُسمّى التنانين العائد أصلها إلى الديناصورات؛ لم يكن الإنسان شاهداً على هذه الزواحف الكبيرة الأولى القديمة، لكن من المرجح جداً أنه عاصر الديناصورات، وبالتالي لديه "ذكريات عرقية - *engrammata*" عن الديناصورات أو التنانين. حيث كانت تتميز بعدم وجود دماغ لأن تراكم المادة العصبية في الحبل الشوكي كان أكبر بكثير مما في الدماغ؛ هناك انتفاخ في المنطقة القطنية تتجاوز الدماغ كثيراً بحجمها. هذا يظهر بوضوح ما الذي يمثله التنين أو الأفعى.

أتت كلمة "تنين – *dragon*" من المصطلح اللاتيني "*drako*" والمصطلح الإغريقي "*drakon*"، والمعنى هو الأفعى؛ إنها الكلمة ذاتها. (كلمة "*Wurm*" في اللغة الألمانية وكلمة "أفعى" هما الشيء ذاته؛ والتنين هو "*Lindwurm*"، والمقطع الأول من هذه الكلمة "*Lind*"هو كلمة "سلتية" تعني "طري أو سلس، يتدفق كالماء". واسم نهرنا "*Limmat*" أتى من كلمة "*Lind*"، والجزء الأعلى من النهر يُسمّى "*Linth*". وهناك نقش روماني تم العثور عليه قرب بحيرة "ثون – *Thun*" في سويسرا يخبر سكان منطقة " *region Lindensis*"، ويعني "منطقة ليند – *Lind region*"، أن يكرّسوا هذا المذبح للآلهة؛ إن "*Lind*" هي المنطقة المائية، حيث كانوا سكان البحيرة. واسم المدينة الألمانية "ليندواو *Lindau*" على بحيرة "كونستانس – *Constance*"

أتى من الجذر ذاته "*lind*"). التنين هو دودة الماء، وكان الافتراض الدائم بأنه يعيش قرب الماء أو في الأنهار أو الجداول أو ما شابه ذلك. والرابط الآخر هو تعرّجات النهر التي تشبه حركات الأفعى تماماً. و"التاو" الصيني هو عن طبيعة الماء – متحرك مثل الأفعى – والفكرة الأولى عن التاو كانت الإلهة الأنثى التي كانت أفعى. وهكذا فالأفعى والنهر هما الشيء ذاته أساساً لأنهما متشابهين؛ لأنه بالنسبة للعقل البدائي، الأشياء المتشابهة، أو ذات الاستخدام المتشابه بالنسبة للإنسان، كان يُفترض بأنها الشيء ذاته من حيث الجوهر.

عندما تظهر رمزية الأفعى في الأحلام، فهي تمثل دوماً المراكز الحركية السفلية للدماغ والحبل الشوكي، ويشير خوفنا من الأفاعي إلى عدم تناغمنا الكامل مع المراكز الغريزية السفلية؛ لا تزال تتضمن تهديداً لنا. وهذا أتى من حقيقة أن وعينا، بوجود مقدار معين من حرية الإرادة فعلاً، يمكن أن نحيد عن قوانين الطبيعة الصارمة التي تقود الإنسان، وعن قوانيننا التي تشكّلت عضوياً في بنية سطح الدماغ السفلي. فإذا كانت لدينا حرية أخلاقية نستطيع أن نحيد عن القوانين، لكننا نفعل ذلك بخوف؛ لدينا فكرة معينة بأن هناك شيئاً معاكساً سيحدث لنا لأننا واعون غريزياً لقوة هذه المراكز السفلية. وبما أنها مرتبطة بالجهاز العاطفي الودي الذي يحكم كل المراكز الهامة في الجسد – الهضم والإفرازات الداخلية ووظائف الكبد والكلية وما إلى ذلك – فإن الانحراف الخطير يعني إزعاج وظائف الجهاز العصبي، والمخاطرة بخلق اضطراب خطير في عمل الغدد والدورة الدموية. يمكن لفكرة معينة أن تثير قلبك بحيث يخفق بقوة؛ وقد يحدث تسارع يؤدي إلى تضخّم في القلب. ويمكن لهذه الإشكالات أن تؤدي إلى داء السكري، أو أمراض جلدية؛ أو يمكن أن تسبب انخفاض مستوى الدفاعات في الدم مما يجعل المرء عرضة لكل أنواع الأمراض. أحد أهم

الأمراض النفسية هو "الخنّاق" ومرض القلب. وبالطبع، يمكنك أن تقول إنك معالج نفسي وبالتالي تعتقد أن كل شيء هو نفسي، لكنك تسمع هذه الحقائق أيضاً من المختصين بالأمراض الداخلية؛ شعوب كثيرة لديها الفكرة التي تقول إن هذه الأمراض ذات أصل نفسي. لذلك فإن الجهاز العصبي السفلي عبارة عن تهديد دائم، أشبه بسيف "داموكيس – *Damocles*"، ونحن حذرون فطرياً – ويجب أن نكون حذرين – ودائماً ما نخاف قليلاً كي لا ننحرف كثيراً.

غالباً ما يكون أولئك المتماهون مع الوعي غير مدركين للجسد لدرجة يصبحون فيها غير مسؤولين، ويفقدون التحكم بالجسد ويفسحون المجال لحدوث أي شيء: يصبح النظام كله متضايقاً. يجب أن يكون الدماغ متناغماً مع الجهاز العصبي السفلي؛ ويجب أن يكون وعينا عملياً على الإيقاع ذاته. وإلا فأنا واثق تماماً أنه في ظل ظروف خاصة غير مرغوبة يمكن للمرء أن يموت. عندما تكون في جدال مع نفسك، وعندما تقوم باتخاذ قرار، ولكي تكون بعيد المدى بما يكفي، عليك أن تأخذ بعين الاعتبار ردّ فعل الأفعى، ردّ فعل مراكز الدماغ السفلية؛ لا يمكن اتخاذ أي قرار بشكل مؤكد، ولا شيء يمكن نقاشه إذا تم التغاضي عن هذه الإجابة. على المرء أن ينتظر الإجابة دوماً. كان أولئك الناس حكماء عندما قالوا: "يبدو لي أنني قادر على اتخاذ قرار بهذا وذاك، لكنني أريد أن أفكر فيه طوال الليل". لأن الوعي يهمد أثناء النوم، وتكون هناك فرصة للتعرّف على رد فعل الأفعى. يقول بعض الزنوج مثلاً إنهم يجب أن يناقشوا مسألة معينة مع حيتهم أولاً؛ يحاولون أن يكتشفوا ما إذا كان ما قرروا المضي بفعله مبنيّاً فعلاً وفقاً لنمط قوانين الطبيعة وتخيّلاتها. لذلك من الرائع جداً أنه بعد الفصل الذي كان لدى القرينة الشيء الكثير لتقوله، سيكون لدينا فصل تظهر فيه الأفعى. لذلك يتم تمثيل القرينة بامرأة من الأعلى وأفعى من الأسفل؛ هناك

عبارة لاتينية عن ذلك، ليست أفعى تماماً في هذه الحالة بل حيواناً آخر من ذوات الدم البارد، سمكة، تقول العبارة: "إن المرأة الجميلة من الأعلى تنتهي بذيل سمكة". لقد جاءت هذه الرمزية من حقيقة أن القرينة هي وظيفة بشرية من أحد الجوانب؛ عبر رأسها تشير إلى أن لديها ارتباطاً مع الوعي البشري، لكنها تمتد من الأسفل إلى الحبل الشوكي وإلى الجسد.

يتوضع لاوعينا بالتأكيد في الجسد، ولا تظن بأن هذا يتناقض مع قولي إن اللاوعي الجمعي موجود في كل مكان؛ لأنك إذا استطعت أن تضع نفسك في نظامك (العاطفي الودي)، ستعرف ما هو "التعاطف" – ستفهم لماذا دُعي الجهاز العصبي بـ "الودي". وستشعر حينها بأنك كنت في كل شيء؛ لن تشعر بنفسك وكأنك كائن معزول، ولن تختبر العالم والحياة بطريقة اختباراتك الخاصة – كما نفعل بالتأكيد إذا كنا أشخاصاً واعين. في النظام العصبي الودي لن تقوم بالاختبار كشخص بل كإنسان، أو حتى ككائن ينتمي إلى مملكة الحيوان؛ لن تختبر أي شيء محدد، بل ظاهرة الحياة كلها كما لو أنها ظاهرة واحدة. ولا يمكنك طبعاً إلا أن تحظى بلمحات عن تجربة كهذه، كاختبارك مثلاً لمزاج حشد أو موقفه كما لو أنك موجود ضمن هذا الموقف؛ تشعر بمزاج كل شخص في الحشد وتتمايل معه. هذا من شأنه أن يوضح الأمر بدرجة صغيرة. وبسبب إمكانية امتداد من هذا النوع، عليك أن تفترض بالضرورة أن إدراكاً كهذا سيكون من دون زمن. أنت تحتاج الزمن لنقل وعيك إلى مسافة بعيدة، ثم إلى كل شخص، بينما لا يحتاج الإدراك في النظام الودّي إلى زمن؛ إنه في كل مكان في الوقت ذاته. لكن هذا الوعي الجمعي، على الرغم من وجوده في كل مكان، أو على الرغم من إدراكه الكوني، فهو متوضع في الجسد؛ الجهاز العصبي الودي للجسد هو العضو الذي يعطيك إمكانية هذا الإدراك؛ لذلك يمكنك أن تقول إن اللاوعي

الجمعي يقبع في المراكز السفلية من الدماغ والحبل الشوكي والنظام الودي. وبكلام أكثر دقة، هذا هو العضو الذي تختبر به اللاوعي الجمعي، وهذا يعني أنك تبدو كما لو أنه ليس هناك أي شيء سوى أنت والعالم – سواء أكنت أنت العالم، أو كنت امتداداً فوق العالم كله، أو العالم كله في داخلك، فهذه التعابير متطابقة كلها.

هذا هو سرّ القرينة، إنسان من جانب، وذلك الشيء المتناقض والمُبهم للغاية من جانب آخر. وهي امرأة دونية لديها الصفات السيئة لامرأة بيولوجية فقط، وصفات الشيطان المتآمر الدساس الذي يحاول القبض على الرجل وجعله أحمق جداً؛ لكنها تنتهي بذيل ثعبان، مع تلك البصيرة والإدراك الغريبين. إنها "المرشد الروحي للأحياء - *psychopompos*"، وقائد الأرواح إلى منطقة الموتى في الأسطورة الإغريقية. وهي تقودك إلى فهم اللاوعي الجمعي بطريقة الأحمق. فعندما تصادف عمل القرينة، سيكون لديك صورة متناقضة، ونيتشه كان حذراً للغاية في تقسيم هذين الجانبين إلى فصلين بدلاً من الشكّ في الفصل الأول فيما إذا كانت تلك إحدى الحيل الشهيرة التي تلعبها القرينة أو الرجل. لكن من الواضح أنه لم يخطر بذهنه أنها كانت خدعة من امرأة عجوز هزيلة؛ ربما حصل عليها في هذا الفصل على أية حال، لأن الأفعى تلدغ هنا. سيكون لدينا هنا ردّ فعل على اللاوعي، على ما قاله زارادشت:

"استلقى زارادشت ذات يوم قائظ تحت شجرة تين ونام محكماً ذراعيه على وجهه."

لماذا أشار إلى شجرة التين؟

البروفسور ريكستين: إنها رمز الأم، أو على الأقل رمز أنثى عجوز للغاية.

الدكتور يونغ: نعم، إنها شجرة تعطي الغذاء مثل شجرة التفاح التي تُعتبر غالباً ذات طبيعة أنثوية؛ التين طعام مغذٍّ. لكن ليس هذا ما برز في التاريخ عن شجرة التين.

السيدة باومان: تحدث المسيح عن شجرة لا تحمل أية ثمار؛ شجرة التين معدّة لحمل التين لكنها لم تحمل ثماراً.

الدكتور يونغ: كان غاضباً من تلك الشجرة تحديداً؛ أثارت غضبه في مكان ما ولعنها بأسلوب لا يشبهه إطلاقاً.

السيد أليمان: هناك رابط بين الأفعى في الفردوس وشجرة الحياة. كما ارتدى آدم وحواء أوراق التين.

الدكتور يونغ: شجرة التين وأوراقها لعبت دوراً غريباً منذ أقدم العصور.

الأميرة فون هونزولين سيغمارينغين: سمعت أن التين يعني الرحم لدى العرب.

الدكتور يونغ: نعم، كان له أهمية إيروتيكية. هل لديك أي دليل على ذلك؟

السيدة كرولي: استخدمت التماثيل الإغريقية أحياناً أوراق التين كنوع من الملابس.

الدكتور يونغ: حقيقة أنهم اختاروا أوراق التين لتغطية أعضاء معينة من أجسادهم لم يكن أمراً بعيداً إطلاقاً؛ بالنسبة لأي خيال فاحش إلى حد ما، تمثل ورقة التين العضو الذكري بوضوح. وعلاوة على ذلك، كان خشب شجرة التين يُستخدم دوماً لتصوير "بريابوس – *Priapus*"[1] الذي يضعه الفلاحون في الحقول "كفزّاعات"، لكنها كانت أيضاً لتخصيب الحقول. ولا أعرف إذا كان صحيحاً أن المصريين كانوا لا يزالون يستخدمون نماذج

---

[1] مجسّم مشابه للقضيب الذكري، وكان في العصور الإغريقية والرومانية إله القدرة التناسلية لدى الذكور، وإله الحقول وكروم العنب. المترجم.

"بريابوس" هذه. رأيت واحداً قرب "الأقصر" وأنتم رأيتموها بالتأكيد. إنها أشكال على شكل قضيب ذكري يُفترض بأنها تخصّب الحقول. وكان الرومان يضعون "البريابوس" المستخدم لغايات متعددة بدلاً من الحجارة التي تشكل حدود مناطقهم. فهي تشكّل الحدود، وتعمل كفزّاعات، وتخصّب الحقول. ولطالما تم تمثيلها بشكل القضيب الذكري. كان يُعتقد أن شجرة التين ذات طبيعة قضيبية بسبب أوراقها، ولأن ثمار التين تشبه الرحم بطريقة ما؛ كما تحوي البذور بداخلها، ويُفترض أنها بيوض. وثمرة الرمان أيضاً كانت رمزاً للرحم الخصب.

عندما تظهر شجرة التين هنا ويذهب زارادشت للنوم تحتها، ستعني أن نموذجاً بدئياً معبّأ بداخلها، ويؤثر عليه كمخدر. وهو شكل نمطي عندما تدخل في حالة يتم فيها تركيب نموذج بدئي، حيث تخضع لأثر التنويم المغناطيسي الغريب هذا: تغطّ في النوم فجأة. لديه سحر غريب يجعلك غير واعٍ. والناس الذين يركّبون نموذجاً بدئياً يواجهون أثر التنويم المغناطيسي هذا. فهناك أشخاص يجعلونك تشعر بالضجر فقط، ولا يمكننا القول إن نموذجاً بدئياً للضجر قد تم تركيبه هنا، ولا أعني أولئك الذين لديهم تأثيرات عادية تبدأ بالعمل بعد فترة معينة. إذا كنت في محاضرة مملة مثلاً، فسوف تغطّ بالنوم بعد فترة قصيرة. أعني ما تشعر به من خسائر مفاجئة في "الليبدو"؛ يقول البدائيون إنك خسرت الروح، أي إنك ذهبت إلى العالم السفلي. وقد ظهر نموذج شجرة التين البدئي هذا من حديث سابق لزارادشت. فكيف تفسّرون تركيب هذا النموذج البدئي الخاص هنا؟

السيدة فيرز: قال أشياء كثيرة عن النساء لكنه لم يقترب من سحرهنّ الحقيقي على الرجل بطريقة إيروتيكية؛ والقرينة أيضاً لديها صفات إيروتيكية لم يتم التحدث عنها.

الدكتور يونغ: نعم، وألغى بالكامل الإشارة إلى حقيقة أنه هو نفسه كان تحت سحره. يكون المرء دوماً تحت سحر القرينة، وسحر المرأة، لكنه لا يحب الاعتراف بذلك لأنه يريد الإبقاء على وهم الحرية والاستقلال. لذلك يدفع المرء بحقيقة المرأة إلى أبعد ما يمكن. لقد تحدث بطريقة متغطرسة في الفصل السابق – عندما تذهب إلى النساء، لا تنس السوط – دون أن يلفت انتباهه احتمال أن المرأة أيضاً قد لا تنسى السوط. لن يكون ذلك الوضع مناسباً. إنه يتصرّف كما لو أنه تجاوز المشكلة كلها، ويتحدث عنها من ارتفاع اثني عشر ألف قدم، متجاهلاً الحقائق الفعلية كلها تماماً، لذلك يقوم بتركيب نموذج بدئي. لأنه عندما يكون المرء في موقع مرتفع جداً، سيأتي بشكل طبيعي شيء من الأدنى ليخبره أن هناك حقائق أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار. لذلك شعر بالنعاس؛ يتم سحبه إلى الأسفل إلى اللاوعي، إلى الحقيقة الأخرى التي هي امرأة. ولكنها ليست كذلك. والآن، من أين أتت الحرارة؟

السيدة شيفل: من "الليبيدو" خاصته.

الدكتور يونغ: صحيح، لقد هبط إلى العالم الحار. وأين بدأ ذلك؟

السيدة باومان: في المنطقة العاطفية الوديّة.

الدكتور يونغ: نعم، أو تكون مركز "مانيبورا – *manipura*": المنطقة النارية التي تصبح فيها الأشياء حارة. وتعني الدم الحار، إنها ما يُدعى الفرن الكيميائي في البطن، المطبخ، المختبر الذي تتحول فيه الأشياء، المعدة. لقد غرق في عالمه تحت الأرضي الخاص، وفتنه النموذج البدئي للجنس. وغطى وجهه بيديه. ما الذي تشير إليه هذه الإيماءة؟

الدكتور ويتني: يحاول حماية وعيه، أليس كذلك؟

الدكتور يونغ: ربما تكون إيماءة حماية، لكن ما هو المرجّح أكثر؟

السيد أليمان: الانطوائية. أغلق عينيه عن العالم الخارجي.

الدكتور يونغ: نعم، غرق في نفسه وغطى وجهه كي لا يرى. كي ينام، أنت تبحث بشكل طبيعي عن مكان مظلم أو تغطي عينيك كي لا تُبقيك الإضاءة صاحياً.

"فجاءت أفعى ولدغته في رقبته مما جعله يصرخ من شدّة الألم."

أنت الأفعى في لاوعيه ولدغته. ما الذي تعنيه لدغة الأفعى؟

السيدة شيفل: في أمريكا، هذا يعني بشكل عام أن الأفعى تحمي نفسها؛ تلدغ أفعى الجلجلة مثلاً لحماية نفسها.

الدكتور يونغ: نعم، بالنظر إلى الأمر من وجهة نظر الحيوانات فهو ما يمكن أن يسميه المرء "لدغة بسبب القلق"؛ معظم الأفاعي لا تلدغ إلا بسبب الخوف أو الحماية الذاتية. "المامبا الأفريقية"، و"الكوبرا" في الهند، وأفعى "الفيردلانس" في جبال الأنديز الجنوبية هي استثناءات: تهاجم هذه الأنواع الثلاثة عندما ترى أي شيء. بل إنها تسعى إلى الضحية. لكن لدغة الأفعى هي رمز معروف. هل تعرفون ما يشبه ذلك؟

الآنسة وولف: أسطورة "رع" المصرية.

الدكتور يونغ: نعم، عندما كان إله الشمس وإله المصريين "رع" يشقّ طريقه في السماء، أعدّت الأم "إيزيس" دودة له، أفعى رمل تعيش مدفونة في الرمل، حيواناً بشعاً للغاية؛ لا يبرز منها سوى أنفها، وهي تلدغ كل ما يخطو فوقها. وهكذا تعرّض إله الشمس للدغة، فاجتمعت الآلهة معاً وتوسّلت للأم "إيزيس" كي تسحب السم من جسده، وفعلت، لكن "رع" أصبح ضعيفاً للغاية. وما لدينا الآن يشبه إلى حد كبير الأسطورة المصرية القديمة التي كان هناك إيمان بها على مدى عدة آلاف من السنوات لأنها حقيقة عظيمة، بل إحدى أعظم الحقائق السيكولوجية التي تم التعبير عنها في الميثولوجيا. كان إله الشمس بطلاً، رجلاً نموذجياً بمخططات طموحة للغاية، لكنه يختلف مع القرينة؛ هي لا تريد شخصاً منعزلاً مثله

بل تريده قريباً من الأرض، لا يعجبها بعده عن المراكز السفلية. لذلك أعدّت له فخاً يقع فيه ويفقد ألوهيته، وهي خسارة مؤلمة لرجل؛ هي تعني أحياناً خسارة أفضل ما لديه من صفات. إنها لكارثة خطيرة عندما يسقط رجل في فخّ أعدته "القرينة". قَدَر الرجل أن يُقبض عليه من كعبه. اضرب الأفعى على رأسها وسوف تلدغك في كعب قدمك. هذا حدث معتاد، ويمكن أن ينهي حياة الرجل المهنية وآماله أو حتى حياته. أو ربما تكون أيضاً الطريق إلى الحكمة إذا امتلك الذكاء الكافي للاستفادة من الحديث بشكل جيد. لكن الأمر هو ذاته تماماً سواء أقام المرء بتجنّب الفخ بحكمة، أو وقع فيه؛ في الحالتين كلتيهما سيصاب بالتسمّم، وهو شيء مرعب، لذلك تم التعبير عنه في الأسطورة. سيكون نيتشه الآن أو زارادشت في هذا المأزق الكبير؛ لقد تحدث بنبرة عالية، وسار فوق السموات، لكنه يتعرّض لحادث في الأسفل.

" ولما أزاح ذراعيه عن وجهه نظر إلى الأفعى؛ عندها تعرّفت على عيني زارادشت فاستدارت بحركة مضطربة تريد الانصراف. "لا تفعلي، قال لها زارادشت، فأنت لم تتقبلي بعد عبارات شكري! لقد أيقظتني في الوقت المناسب، لأنّه ما زال أمامي طريق طويلة" . – "إنّ طريقك قد غدت قصيرة، قالت الأفعى بشيء من الأسى، ذلك أنّ سمّي قاتل" . ابتسم زارادشت قائلاً: "متى رأيت تنيناً يموت بسمّ ثعبان؟ بل لتستردّي سمّك! فأنت مازلت غير غنيّة بما فيه الكفاية كي تمنحيني إيّاه" . وإذا الحيّة ترتمي مجدداً على عنقه وتلعق جرحه."

أليست معجزة رائعة!

السيدة فيرز: لكن أليس غريباً أن يتعرّض العنق للدغة؟ يجب أن تكون اللدغة في الكعب.

الدكتور يونغ: نعم، لكن لماذا أتت اللدغة في الحنجرة؟

السيدة فيرز: الحنجرة هي مركز الكلام.

السيدة كرولي: إنها "الكلمة – اللوغوس".

الدكتور يونغ: كان محلّقاً في حديثه، لذلك له علاقة بالكلمات؛ قدماه لم تكونا على الأرض. ترد الفكرة ذاتها مرة أخرى حيث تحاول الأفعى أن تزحف إلى حلق الراعي، وكانت النصيحة له أن يعضّ رأسها. لذلك علينا أن نفترض أن منطقة الحنجرة عنصرٌ فعال. إلى أي حد تبدو هذه الفكرة صحيحة؟

السيدة سيغ: عندما ألّف نيتشه هذا الجزء من كتاب *هكذا تكلّم زارادشت*، بقي خمسة أشهر في نقاشات يومية مع "لو سالومي".

الدكتور يونغ: وهناك التقى بالأفعى، هذا مُثبت. لكن ذلك حدث مع زارادشت هنا، فلماذا حدثت اللدغة في الحنجرة؟

الآنسة ويلز: لأنه كان دائم الوعظ.

الدكتور يونغ: نعم، *هكذا تكلّم زارادشت*؛ هو لم يفعل أي شيء بل تكلّم وحسب. من الواضح جداً أن زارادشت عبارة عن "لوغوس"، ولا يمكنك أن تصل إلى "اللوغوس" عبر قدمك لأن القدم لا تتضمن اللوغوس؛ يمكنك الوصول إليه بالحنجرة فقط حيث تخرج الكلمة. وبالتعبير عنه في النظام التانتري يكون المركز الذي تعرّض للدغة هو مركز "شاكرا الحنجرة وليس "شاكرا فيسودا - *visuddha*"، ولا "شاكرا مولادارا - *muladhara*" لأنه يتوضح في سوية عالية للغاية. لذلك ربما يعرج في كلامه، لأنه إذا تلقى العضّة في قدمه، فستُصاب ساقاه بالشلل. من الواضح أن الهدف من الأفعى في حالة زارادشت نفسه، وفي حالة الراعي، هي الوصول إلى مركز الكلام، لجعله يعرج في كلامه. فمن خلال كلامه أثّر بالأفعى، ولأنه من خلال كلامه سار في السموات كإله الشمس. وقد اضطربت الأفعى عندما نظر زارادشت إليها فهل يمكن تفسير هذه الظاهرة الغريبة؟

الآنسة وولف: يبدو كما لو أن الأفعى لم تكن لتلدغ لو عرفت أنه كان زارادشت.

الدكتور يونغ: ربما، لو عرفت الأفعى مُسبقاً. لكن لماذا لا تلدغ الأفعى زارادشت؟ ثمة تبرير معين لهذه الفقرة.

الآنسة وولف: ربما تكون أفعى زارادشت الأصلية؛ لديه أفعى ونسر، لذلك لو عرفته فلن تلدغه.

الدكتور يونغ: نعم، لكنه يقول: "*متى رأيت تنيناً يموت بسمّ ثعبان*؟" لقد تماهى مع الأفعى – هو نفسه الأفعى – ويفترض أنه عندما تلدغ الأفعى أفعى أخرى فلن تكون اللدغة سامّة. وهذا ليس صحيحاً تماماً في الواقع؛ الأفاعي تموت من سمّ حتى النوع ذاته، لكن هذا لا يهم. لأن زارادشت هو من طبيعة الأفعى ذاتها، فإن سمّها لن يؤذيه. لكن إلى أي حدّ كان زارادشت من الطبيعة ذاتها؟

السيدة كرولي: إنه البطل، ويُفترض بالبطل أن يكون أفعى.

الدكتور يونغ: نعم، يُفترض أن تكون روحه روح أفعى. ويمكن العثور على مبرر لهذه الفكرة بشكل أساسي في الميثولوجيا الإغريقية. يُفترض أن يكون كلّ من البطلين "كيكروبس – *Cecrops*" و"أيريختيوس – *Erechtheus*" نصف إنسان ونصف أفعى؛ كانا ملكي أثينا الأسطوريين، وكان "كيكروبس" مؤسس "أكروبوليس – *Acropolis*". وكان يُعتقد في اليونان القديمة أن أرواح الأبطال تتخذ في الواقع هيئة أفاعٍ تعيش في القبور، لذلك اعتادوا التضحية من أجل روح الأفعى من خلال فتحة في أعلى القبر. ويجد المرء غالباً قناعة لدى البدائيين بأن أول حيوان يُرى بالقرب من القبر يتضمن على روح رجل ميت – أول أفعى أو أول ضفدع أو خنفساء أو أياً كان ذلك الذي يظهر، يُفترض أن يكون حامل روحه. ويفترض سكان شرق أفريقيا عادة أن أرواحاً تظهر على شكل أفاعٍ، وعندما تدخل أفعى إلى كوخ ينصرف

الناس، ليس من الخوف لأن بإمكانهم قتلها، لكن من مبدأ الاحترام الهائل؛ يقولون إن روح الأجداد قد كرّمت كوخهم بزيارتها، لذلك يغادرون الكوخ لتستخدمه. كما أنهم يتركون طعاماً لها، وعندما ترحل، يستخدمون الكوخ مجدداً لأهداف عادية. لذلك غالباً ما تتم مماهاة الأرواح مع الأفاعي.

رأينا الآن أن القرينة هي أفعى، ونرى أن زارادشت يعتقد أنه تنين وبالتالي هو غير معرّض للدغة الأفعى. وتبدو الأفعى نفسها وكأنها مضطربة تماماً؛ إنها تتلوّى تحت عين زارادشت الذي يمتلك عيني أفعى باعتباره بطلاً. ووفقاً للأسطورة الشمالية، لدى البطل العين الخارقة للإنسان الذي تكون روحه أفعى؛[1] لا تخضع روح البطل للصعوبات الاعتيادية التي يخضع لها الإنسان. إذا كان شخص ما بطلاً، فهذا يعني أن لديه روحاً مختلفة لا يمكن اختراقها، ولا يمكن للاعتبارات البشرية بلوغها؛ الإنسان العادي خائف. لا يجرؤ على الذهاب إلى هناك، لكن البطل يقول: أنا لست خائفاً، أنا ذاهب إلى هناك"، لذلك تكون روحه باردة كروح الأفعى. هو ليس بشراً من الداخل بل حيوان إلهي. وهكذا يشرح زارادشت هنا أنه لم يتأثر بلدغة الأفعى لأنه ينتمي إلى النوع ذاته. لكن إلى أي حد هو ينتمي إلى النوع ذاته؟

الدكتور ويتني: بقدر ما هو نموذج بدئي.

الدكتور يونغ: نعم، هو من النوع ذاته مثل "القرينة". يمثل العجوز الحكيم حكمة الأفعى، كما تمثل القرينة حركتها ومكرها؛ هناك في الواقع فرق صغير جداً بين العجوز الحكيم والقرينة، لذلك غالباً ما يكون الاثنان معاً، كما في أسطورة ""سيمون ماغوس وهيلينا – *Simon Magus and Helena*"، وفي فكرة "سيبيل – *Sibylla*" أو "سومنامبول والعجوز الحكيم

---

[1] كتب "جاكوب غريم" أن الأبطال السماويين الهابطين من "ووتان" يرثون "عين الأفعى". كتاب "أسطورة تيوتونية – Teutonic"، ترجمة: جي. إس. ستاليبراس (غلاسستر ماس، 1976، الأصل 1888)، المجلد الرابع، صفحة 491.

Somnambule and the wise man –". هم أقرباء مقربون. وبناء عليه، لن يُصاب زارادشت بأذى. ولو أن نيتشه نفسه تعرّض للدغة لكان الأمر مختلفاً، لكنه تحوّل تماماً إلى زارادشت بحيث اعتقد أنه زارادشت، ولا تستطيع الأفعى الوصول إليه. فتلك كانت الحماية الوهمية التي يمنحك إياها التماهي مع النموذج البدئي؛ أنت تفترض أنه لا شيء يمكن أن يصلك لأنك من الطبيعة ذاتها، لكنك تتعرّض للتسمم في الواقع، ولا يمكن تفسير هذا التأثير الشرير. تلاحظ أنك تعاني من ألم لا يمكن تفسيره، لكنك لا تقتفي أثره إلى لدغة الأفعى لأنك مقتنع أنه لم يؤذك على الأقل؛ إنه نموذج بدئي آخر لا يمكن أن يؤذيك – إنها مجرد معركة زائفة. لكن لسوء الحظ، حدث تدمير مرعب في الجسد، ولا يستطيع المرء إثبات سببه. وهكذا عندما يكون الرجل متماهياً مع نموذج بدئي، يعتقد بطبيعة الحال أن أشياء معينة لن تلدغه؛ أو يجب أن يفترض أنها عضّة بعوضة. يعتقد أنه لن يتأذى، وإذا أصبحت الأشياء خاطئة تماماً بعد ذلك، فذلك بسبب أي شيء سوى أن يكون له علاقة بحدث سابق. وأنا مقتنع تماماً بأن فكرة التماهي مع النموذج البدئي هي عبارة غير شائعة إلى حد ما؛ فنحن لا نستطيع عادة أن نرى عندما نكون في تلك الحالة. إنها إحدى أهم التجارب التي يمكن أن نحظى بها ولا يمكن رؤيتها، وغالباً ما يحتاج المرء إلى فترة طويلة من التحليل كي يستطيع أن يجعل الناس يرون إلى أي حد هم نماذج بدئية حية. وقد أتى ذلك من حقيقة أنه لا يزال نوعاً من المثالية أن تكون متماهياً مع نموذج بدئي: لقد تعلّمنا أن نكون كذلك.

على سبيل المثال، تعاليم الكنيسة المسيحية كلها، ***ومحاكاة مثالية المسيح***، الصالحة أيضاً للكثير من البروتستانتيين، هي عبارة عن تعليمات تتعلّق بكيفية التماهي مع نموذج بدئي. وحركة أكسفورد هي تدريب على هذه الغاية: ضع كل آثامك ومسؤولياتك على المسيح، وهبه حياتك. وقد

أخبرني أحد الذين كان يُفترض أن يكونوا من قادتها أنهم اعترفوا وألقوا كل أعبائهم على المسيح ليهتمّ بها؛ ليس عليهم أن يتخذوا قراراً لكنهم متماهون تماماً مع المسيح. "تقول إنك متماهٍ مع المسيح؟" سألته. "نعم، أو يمكن أن تقول مع الله، أو مع المجموعة". "آه، المجموعة هي الله، وأنت المجموعة — يعني أنك أنت الله؟ حسناً، لقد عالجت أشخاصاً من هذا النوع". لكنه لم يفهم ذلك. الفرق الوحيد بين ذلك الرجل والآخر الذي يقول: "أنا يسوع المسيح منذ الليلة الماضية" هو أن ذلك الشخص يعترف به بالشكل الجماعي، والآخر لا يعترف. إذا قال أحدهم إنه يسوع المسيح، تقول إنه غبي يجب أن يدخل إلى مصحة. لكن إذا قال إنه ألقى كل أعبائه على المسيح ليهتم بها، يُعتبر شخصاً رائعاً؛ هو يعظ ويعترف بذلك ولا أحد يشكّ بصحّة ذلك. لكن ما من شيء يمكن أن يكون أكثر خطأ من هذا التصرّف، فعندما يتماهى مع نموذج بدئي، يتضخّم بشكل هائل، ومع ذلك يسمي تضخمه تواضعاً أو حياء. أولئك الناس وقحون ومتضخّمون على الرغم من كل تواضعهم. فمن المفيد للغاية أن يكون لديك هكذا طائر كبير تتماهى معه؛ يمكنه أن يحملك على مدى طويل، وفوق هاويات كثيرة، لكن عليك أن تدفع الثمن. ليس شيئاً بسيطاً أن تتماهى مع إله يعاني. سوف تُصاب بشيء ما. يمكنك أن تحظى بكل ميزات التضخم دون أية عيوب. أن يكون لله كل عيوب الإنسان، ويكون لديك كل ميزات الله، هذا أمر غير ممكن، وسيكلّفك كل ما هو عزيز عليك في نهاية المطاف. ونحن معتادون على رؤية ذلك لكننا غير معتادين على إسكات شرور العالم على حساب مثاليتنا. ولا يزال هذا التماهي مع النماذج البدئية مثالياً في زمننا الحالي؛ نحن نتعلّمه، ونتلقى المديح بسببه، فلماذا ننتقده؟ من أصعب الأشياء أن تجعل الإنسان يرى، حتى الناس الذين يعرفون تلك النماذج البدئية؛ من الصعب جداً أن

يحدث هذا مع الإنسان نفسه. على المرء أن يتمسك بنفسه يومياً كي لا يأخذه النموذج البدئي إلى مكان بعيد، لأن حياة الإنسان مبنية على هذا الأساس. النماذج البدئية مليئة بالطاقة. إنها أشكال بشرية للحياة، ولديها جاذبية هائلة، وهي تمسك بالمرء مرة تلو أخرى إذا لم يكن منتبهاً. لذلك عندما يتكلم المرء عن تماهٍ من هذا النوع كأمر واقع، لا يعرف عادة ما الذي يتحدث عنه تماماً. وطبعاً، يبدو الأمر كما لو أن الشخص مفهوم، لكن من الصعب جداً رؤية أين تماهى، وحتى في أكثر الحالات أماناً، على المرء أن يرتاب ويحذر.

لكن نيتشه لم يكن متماهياً مع النموذج البدئي "للوغوس" بلا مبالاة فقط، بل بحماس أيضاً: إنه يعيش كلماته. لذلك كانت كلماته غزيرة للغاية؛ كان دمه يجري فيه، وقوته الجنسية فيه، وهذا شعور رائع طبعاً. ثم تبدو بأنه تم افتداؤك: تطير مبتعداً برأسك، رأسك يسافر عبر الكون، لكن جسدك متروك في الخلف ويعاني عذاب الله، لأن على أحدهم أن يدفع مقابل ميزة كهذه. ولم يدرك نيتشه هنا أن شيئاً يحدث له؛ لم يرَ إلا أنه ما من شيء حدث لزارادشت – سيكون النموذج البدئي آمناً للغاية بشكل طبيعي. يستطيع الناس المتماهون مع نموذج بدئي أن يتحمّلوا أي شيء: يبدون وكأنهم منيعون عن الإصابة بالأذى، وبعيدون عن متناول الإنسان. يمكنهم فعل أشياء خارقة للغاية. ولا يرون أن أحدهم سيدفع مقابل ذلك. من المستحيل الهروب من القوانين التي وُلِدَت في ظلها؛ على أحدهم أن يدفع الثمن، إما الإنسان نفسه أو محيطه. ستكون حياته مبتورة في مكان ما.

الدكتور إيشر: هناك كتاب لـ "غيرهارد هاوبتمان" بعنوان "الجاهل بالمسيح – *The Fool in Christ*" يحتوي على وصف لتماهٍ مع نموذج بدئي

من هذا النوع. ويُظهر أيضاً كيف يتصرّف الإنسان في محيطه وتأثيره على هذا المحيط.[1]

الدكتور آدلر: عندما أغوى الشيطان المسيح ليجعله ينزل من الهيكل، هل كان يعني التماهي مع نموذج بدئي لو فعل ذلك؟

الدكتور يونغ: ليس بالضرورة. سيكون ذلك مطلب الأعماق بالنزول، وهو ما يعني طبعاً رفع التماهي عن النموذج البدئي. فعبارة "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ"2 هي التماهي مع الآب، وإذا أنزل نفسه للأسفل – شيء تعلمنا أن نفهمه كأعظم الشرور لأنه إغواء من الشيطان – يمكننا أن نفهم ذلك أيضاً وكأنه يُبعد نفسه عن النموذج البدئي. الإغواء شيطاني بالنسبة إلينا لأنه يتضمن الحقيقة العظيمة. لقد تعلمنا أن الشيطان أغوى "الرب – *Lord*" لينزل عن الهيكل، لكن يمكننا القول أيضاً إن الأفعى، أو الشيطان، هي من كانت تلك العتمة خلف الإنسان، وهي من دعته للقفز من ذرا الإنسان الخارق لينزل إلى مستوى الإنسان العادي الذي يعيش هذه اللحظة، وغير المتماهي مع الصور الأبدية. إن تسعين بالمئة من المثاليين في العالم يؤمنون بأن التماهي مع النموذج البدئي أمر صحيح؛ أنت تجد نفسك معارضاً للعالم كله عندما تُثبت العكس. والآن، هل لديكم أي استفسار يتعلّق بلدغة الأفعى؟

السيدة باومان: اعتقدت أن حقيقة أن الأفعى كانت تشفي الجرح بأخذ السمّ منه، يشكّل موازياً آخر لـ "إيزيس".

الدكتور يونغ: هكذا تماماً.

---

[1] في كتاب "الجاهل بالمسيح –The Fool in Christ" (1910)، يشرح "غيرهارد هاوبتمان" محاولات الإنسان إصلاح موقف غامض في العالم المادي.

[2] إنجيل يوحنا 1: 30.

السيدة كرولي: أعتقد أن شيئاً له علاقة بقوى الوحي والقوى النبوئية، لأنه يُفترض دوماً بالأفعى أن تكون إيحائية. وربما له علاقة أيضاً بمرض نيتشه.

الدكتور يونغ: أنت على حق تماماً. كل هذه الأحداث الغريبة التي نواجهها لها علاقة بمصيره الوشيك: راقص الحبل على سبيل المثال، وإلقاء الحجر الذي ارتدّ عليه، والراعي والأفعى – ترمز كلها لطقوس البدء التي جرت بشكل خاطئ – ولدينا هنا لدغة الأفعى التي لم تستطع تسميمه. لكن عندئذٍ طبعاً، سيكون الأثر في مكان آخر يفصل حالته المرضية أو الجسدية عن مشكلته العقلية. يبدو وكأن كتاب *هكذا تكلّم زارادشت* كان عالماً بذاته، وكانت حقيقة نيتشه الجسدية في عالم آخر تماماً؛ لم يلتقِ هذان العالمان أبداً، وكان لكل منهما أسبابه الخاصة. في حالة كهذه، يُبدع الناس طبعاً نظريات تقول إنهم تناولوا شيئاً سيئاً أو أخذوا استراحة نوم خاطئة، أو أن الجو كان سيئاً، بدلاً من الربط بين الحالة العقلية والحالة الجسدية. تعامل نيتشه دائماً مع عُصابه كما لو أنه لا علاقة لعقله بجسده.

البروفسور فيرز: قال في نهاية هذه الفقرة: "*وإذا الحيّة ترتمي مجدداً على عنقه وتلعق جرحه*". لا أستطيع أن أتخيّل أفعى تفعل ذلك؛ تلك كانت كائناً بشرياً أنثى.

الدكتور يونغ: يجب أن يكون لها ذراعان لتفعل ذلك! ربما كان لذلك علاقة مع الطبيعة الأنثوية للأفعى تحديداً لأن الأفعى تصل إلى الرجل دوماً من خلال الأنثى، كما كان الحال في الفردوس.

ولما روى زارادشت هذا الأمر لتلامذته ذات مرّة سأله هؤلاء: "وما مغزى حكايتك يا زارادشت؟" فأجابهم زارادشت هكذا:

يدعوني أهل الصلاح والعدل مدمّر الأخلاق: إنّ حكايتي لا تنطوي على حكم أخلاقي.

ماذا عن هذا التصريح المدهش؟ كيف حطّ عند مشكلة الأخلاق؟ طبعاً، هو يسأل ما هو المغزى الأخلاقي من القصة، لكن هذا من الصعب أن يكون ذلك مسؤولاً عن "الأخلاقيات" التي تأتي بعد ذلك؛ سيكون مجرد ارتباط منطقي. في الجزء الآخر من *هكذا تكلّم زارادشت*، عندما كان متعباً، بدأ بإنتاج رابط منطقي، لكن لا يمكن أن أفترض ذلك في هذا الموقع. ما هو الرابط هنا.

السيدة كرولي: مع الأفعى.

الدكتور يونغ: نعم، لكن هل هناك أي رابط آخر؟ من الواضح أن نيتشه هنا ليس واعياً للأفعى في الفردوس، وأنها أغوت الرجل ليفهم أكثر عن الخير والشرّ. تبدو الأفعى وكأنها تلعب دوراً مختلفاً تماماً؛ يجب أن يكون هناك رابط مختلف. أريد اكتشاف ما كان يدور في ذهن نيتشه نفسه.

السيدة يونغ: أعتقد أن زارادشت ليس واعياً لمغزى الجادث مع الأفعى.

الدكتور يونغ: هذا صحيح تماماً؛ هو بالتأكيد غير واعٍ لما تعنيه القصة.

السيدة فيرز: لكن ليس أخلاقياً من وجهة نظره البشرية أن يتماهى مع زارادشت ولا يستطيع مواجهة واقعه. لذلك عندما قال إن قصته غير أخلاقية، كان ببساطة يروي حقيقته الخاصة.

الدكتور يونغ: نعم، هذه هي الطريقة التي نرى بها الأمر، لكن أريد إعادة بناء الطريقة التي يرى فيها ذلك. سألوه ما هو المغزى من هذه القصة، فأجاب: "مدمّر الأخلاق يدعوني...." والآن إلى أي حد يمكنه أن يرى نفسه كمدمّر للأخلاق في هذا المجال؟

السيدة فيرز: بقدر ما هو تنين.

الدكتور يونغ: تماماً. التنين من طبيعة الأفعى، وأفعى الفردوس هي من حرّضت الوالدين الأوائل على التدمير والشرّ. وبما أنه من طبيعة الأفعى ذاتها، فهو يحرّض الناس على فعل أشياء خاطئة. وسنرى ذلك الآن. يقول:

"لكن إذا ما كان لديكم عدوّ فلا تجازوه على شرّه بالخير؛ سيجعله ذلك يشعر بالخجل. بل برهنوا له بأنه قد أحسن إليكم.

ولتنفجروا غضباً بالأحرى فذلك أفضل من أن تخجلوا. وإذا ما لُعنتم، فلن يعجبني أن أراكم تباركون لاعنكم. بل من الأحسن أن تلعنوا قليلاً بدوركم."

إذا ما تم ارتكاب خطأ بحقكم، عليكم أن تردّوا بمثله.

"وإذا ما أُصبتم بمظلمة كبيرة، فلتسارعوا لي بإتيان خمسة مظالم صغيرة مقابلها! لأنّه فظيع مظهر ذلك الذي يرزح لوحده تحت وطأة مَظلمة."

من خلال الاحترام المطلق لرفيقك، لا يجب أن تكون متسامحاً عندما تتعرض للإساءة، عليك أن تأتي بخمسة مظالم صغيرة مقابلها. إن الإتيان بمظلمة كبيرة من شأنه أن د يضعك في أكثر المواقف إحراجاً أمام عدوك، لذلك تكون المظالم الخمسة الصغيرة أفضل. هذا ما يفعله الجميع: ينتقم المرء بطريقة تختلف عن الطريقة ذاتها. هذه نصيحة لا أخلاقية، لأننا تعلّمنا أن نردّ الخير مقابل الشرّ. لكنه لا يذكر أي شيء عن الطريقة؛ هو يطلب الانتقام بالنوع نفسه، لكن بطريقة مخففة لتتجنّب عدوّك.

السيدة يونغ: يبدو لي أنه يعظ تماماً بعكس ما كان يفعله مع الأفعى؛ كان متفوقاً جداً على الأفعى هو لم ينتقم بخمسة مظالم صغيرة.

الدكتور يونغ: يمكننا تفسير ذلك من خلال حقيقة أنه لم يتأذَ بشكل خاص، وكان قادراً على إظهار نفسه كشخص متفوّق للغاية. هذا هو الهدف من قصة زارادشت، على الرغم من أنه جريح – "يصرخ من الألم" – فهو لم يتأذَ فعلاً لأنه كان أفعى أيضاً؛ هو لن يكون مخلوقاً شبه سماوي لو أن لدغة الأفعى أثّرت عليه.

السيدة سيغ: إنها خطبة معاكسة لخطبة المسيح على الجبل. هو يقول عكس ما قاله المسيح في كل كلمة، وفي عدة أماكن أخرى أيضاً.

الدكتور يونغ: هناك شيء من خطبة الجبل بالتأكيد؛ هذا لا يمكن تجنّبه، لأن تلك هي التعاليم المسيحية: أي شخص يبتكر نوعاً جديداً من الأخلاق يجب أن يناقش الحالة بالمقارنة مع خطبة الجبل. لذلك فهو يدخل بطبيعة الحال بأسلوب الإنجيل.

"أما عرفتم هذا بعد؟ إنّ ظلماً مقتسماً يساوي نصف عدالة. وليأخذ الظلمَ على عاتقه ذلك الذي يقدر على تحمّله!

إنّ قصاصاً صغيراً لأكثر إنسانيّة من عدم القصاص. وإذا لم تكن العقوبة أيضاً حقاً وشرفاً بالنسبة للمنتهك، فإنني لا أرغب في عقوبتكم أيضاً."

ثمة كثير من الصحّة فيما يقول. من الإنساني للغاية أن تشعر بالإهانة عندما تتعرض للإساءة: وإلا، فأين ذهب الغضب؟ أين اختفى؟ وإذا تكررت الإهانة عدة مرات، لا بد من التعبير عن ردّ الفعل الغاضب أو أن يُحفظ في مكان ما إذا لم يتم تحريره بشكل علني، وعندئذٍ سيكون هناك جرح متقيّح؛ حتى إذا كان الوعي مسيحياً للغاية، وتصرّف بشكل مثالي، سيتم الحفاظ على هذا الغضب في مكان ما. كل ما يحدث يبقى موجوداً؛ إنها حقيقة. يبدو الأمر كما لو أن المرء يمكن أن يتحمّل أية كمية من الإهانة دون أن يبقى أي شيء، لكن شخصاً كهذا لن يعود كائناً بشرياً إطلاقاً – هو يتلاشى وحسب. طالما أن الإنسان يعيش الحياة، فالإساءة هامة؛ هي مزعجة ويتم تخزينها في مكان ما. لقد رأيت أشخاصاً تعرّضوا لمعاملة سيئة فعلاً ولم تتحسّن شخصيتهم؛ هم أشخاص سيئون عادة. الأطفال الذين تعرّضوا لمعاملة سيئة لم يخرجوا منها إلا بتكرارها. أياً كان ما فعله الأب أو الأم معك فهو سيعيش مع الناس الذين تعيش معهم؛ إذا تزوجت، ستعيش مع ذلك

الخطأ الذي تعرّضت له. وترى الشيء نفسه عملياً في التحليل. عادة ما أفهم الأمر حينها: امرأة كان لديها أب سيئ أو أم سيئة، وتحاول إدخال ذلك في رأسي؛ حتى ضدّ إرادتها، حتى لو أرادت أن تكون جيدة، لا تستطيع أن تمنع نفسها عن ذلك، لأنه سيأتي من كل حد وصوب بشكل غير مباشر. أنا أفضّل المواجهة المباشرة. أستطيع التعامل معها بسهولة أكبر. إن ذلك الخطأ يبقى في جسدهم وهم يرغبون بإخراجه. ويسعى الناس حتى لضحايا يمكن من خلالهم أن ينتقموا مما وقع عليهم من أخطاء؛ ربما حتى لا يعرفون ذلك، لكن كلما كانوا غير واعين للأمر، كان أشد تأثيراً. وعلى سبيل المثال، الأطفال الذين تم التخلي عنهم أو خيانتهم من الأم سينتقمون بالتأكيد تقريباً.

أعرف حالة عن طفل، ابن عائلة متعصبة دينياً وتؤمن بأنك إذا لم تأكل، فسوف تصبح روحاً. وبالتالي عرّضا طفلهما الصغيرين للجوع. ماتت الطفلة الصغيرة وتم اتهام الأهل بالجريمة؛ وتم إنقاذ الصبي الذي يبلغ سنتين من العمر في الوقت المناسب. ثم عرفت ذلك الرجل لاحقاً وعرفت قصّته، إذ كان أفظع وغد يمكن أن تراه. كان مطارداً بجوع مستمر لم يظهر من خلال الأكل طبعاً بل في التطلّعات الجمالية. لقد فعل أشياء استثنائية للغاية، وكان غير موثوق بالمطلق. كان عليه في أحد الأيام أن يذهب إلى اجتماع هام – كان من ضمن مسؤوليته أن يكون هناك – لكنه كان يوماً جميلاً، كان القطار يعبر الغابة بألوان الخريف الحمراء والصفراء المتألقة، فقال في نفسه: "يا له من يوم جميل!" وفي المحطة القادمة ترك القطار ولم يذهب إلى الاجتماع. كانت حياته كلها بهذه الطريقة. وقد ألّف هذا الزميل كتاباً يحمل عنوان "المرشد إلى المتعة المثالية في الحياة"، أو شيء من هذا القبيل. كان هذا الرجل مطارداً بجوع أبدي، والخطأ الذي تعرّض له كان يتحول إلى انتقام من الناس الذين تواصلوا معه، وقد أفسد حياته كلها.

إنها لحقيقة فعلية أن أي خطأ يتعرّض له الإنسان لا يخرج من كينونته ما لم يتم دفع الثمن بخطأ مماثل.

هذه الفقرة هي هامة جداً أيضاً في تطبيقها على نظرية العقوبة في القانون. الجاني له الحق في أن يُعاقب، وإذا كنا إنسانيين للغاية أو منطقيين في ذلك، نحرمه من العقوبة التي يتوقعها بشكل طبيعي. عندما كنت صبياً، كنت أفضّل دوماً المعلمين الذين يغضبون مني ويعاقبونني على أولئك الذين يسامحونني. لدينا نظرية مفادها أنه يجب تطبيق العقوبة من أجل إصلاح الجاني أخلاقياً أو أنها مجرّد إجراء للوقاية. لكن نظريات كهذه ليست إنسانية بالمطلق؛ تكون إنسانية فقط عندما تعاقب الجاني لأنه ارتكب إساءة. أن تكون غاضباً من شخص وتضربه هو ما تفهمه الطبيعة البشرية؛ هذا هو الأساس الحقيقي لأية منظومة قانونية. هذه القوانين البشرية كلها هراء: العقوبة لا تكون صريحة وحقيقية عندما يكون مصدرها شعور الإنسان. إنها شعور بالانتقام تماماً، وهذا طبعاً تيار دفين قاتم للغاية. عندما يرتكب المرء شيئاً خاطئاً، عادة ما تشعر بالحسد لأنك ترغب أيضاً بارتكاب شيء خاطئ. أنت لست إنساناً إن لم تكن كذلك، سيكون ذلك ممتعاً. هذا هو الرجل الشيطاني الذي قتل أحدهم، وأنت تمسك به من عنقه – يجب أن يُقتل أيضاً – لذلك تشاركه جريمته، وتكون حتى معه، وتبتعدان كلاكما، أحدكما إلى الأبد، والآخر إلى مكتبه – والطريقان هما الشيء ذاته.

الفهرس

شتاء *1935* كانون ثاني – يناير / آذار – مارس	*5*
المحاضرة الأولى: *23* كانون الثاني – يناير *1935*	*7*
المحاضرة الثانية: *30* كانون الثاني – يناير *1935*	*29*
المحاضرة الثالثة: *6* شباط – فبراير *1935*	*55*
المحاضرة الرابعة: *13* شباط – فبراير *1935*	*79*
المحاضرة الخامسة: *20* شباط – فبراير *1935*	*103*
المحاضرة السادسة: *27* شباط – فبراير *1935*	*129*
المحاضرة السابعة: *6* آذار – مارس *1935*	*153*
المحاضرة الثامنة: *13* آذار – مارس *1935*	*177*
ربيع *1935* أيار- مايو/ حزيران - يونيو	*199*
المحاضرة الأولى: *8* أيار – مايو *1935*	*201*
المحاضرة الثانية: *15* أيار – مايو *1935*	*225*
المحاضرة الثالثة: *22* أيار – مايو *1935*	*247*
المحاضرة الرابعة: *29* أيار – مايو *1935*	*271*

المحاضرة الخامسة: *5* حزيران – يونيو *1935* *295*
المحاضرة السادسة: *12* حزيران – يونيو *1935* *321*
المحاضرة السابعة: *19* حزيران - يونيو *1935* *349*
المحاضرة الثامنة: *26* حزيران - يونيو *1935* *377*
خريف *1935*
تشرين الأول- أكتوبر/ كانون الأول - ديسمبر ***405***
المحاضرة الأولى: *16* تشرين الأول – أكتوبر *1935* *407*
المحاضرة الثانية: *23* تشرين الأول – أكتوبر *1935* *431*
المحاضرة الثالثة: *30* تشرين الأول – أكتوبر *1935* *457*
المحاضرة الرابعة: *6* تشرين الثاني – نوفمبر *1935* *487*
المحاضرة الخامسة: *13* تشرين الثاني – نوفمبر *1935* *515*
المحاضرة السادسة: *20* تشرين الثاني – نوفمبر *1935* *535*
محاضرة السابعة: *27* تشرين الثاني – نوفمبر *1935* *563*
المحاضرة الثامنة: *4* كانون الأول – ديسمبر *1935* *587*
المحاضرة التاسعة: *11* كانون الأول – ديسمبر *1935* *613*

لطالما أدهشني يونغ باختياره الطرق الوعرة دوماً، فهو لا يرغب بطرق وطِئها غيره، ولا يمكن للمبادئ المتفق عليها أن تُثنيه عن المضي قدماً في أبحاثه. ومع أنني ترجمت له سابقاً ثلاثة كتب رئيسة أصدرتها **دار الحوار**، هي: «مدخل إلى علم النفس التحليلي» و«النماذج البدئية واللاوعي الجمعي» و«الكتاب الأحمر»، إلا أنني لا أزال أقف عاجزاً عن إحاطته بتعريف واضح إذا سألني أحدهم عن نهجه. فهو طبيب نفسي، ومؤسس مدرسة علم النفس التحليلي، وباحث في الفلسفة والميثولوجيا والأدب والأديان الرسمية وغير الرسمية، وعارفٌ بتراث الشرق الأدنى والأوسط، ولا تكاد تصادف مجالاً من مجالات الحياة إلا وخاض دروبه مكوّناً منظوره الخاص البعيد عنِ الأفكار المُسبقة جميعها. فبأي صفة أستطيع وصفه؟ هل هو ملحد أم مؤمن؟ علميّ أم غيبي؟ هل يؤمن بالدين الذي نشأ عليه أم قام بتشكيل دينه الشخصي، واختار لنفسه إلهاً خاصاً به؟

يبدو أن يونغ، وبعد اطلاعه على فلسفات الشرق بشكل عام، وفلسفات الهند والصين بشكل خاص، استطاع أن يجمع هذه التناقضات كلها معاً، ويستوعبها كلها ويكرّسها لحفرياته في أعماق النفس البشرية التي استعصت على الفهم.

قد يكون هذا الكتاب (أسفار الخير والشر) من أهم الكتب التي تشرح بطريقة عملية كل المفاهيم التي استعصت على الفهم مثل «الوعي» و«اللاوعي» واللاوعي الجمعي» و«النماذج البدئية» و«الشخصية القناع» و«النفس» و«الذات» و«الروح» و«القرينة» وغيرها.

المترجم

دار الحوار للنشر والتوزيع
DAR ALHIWAR For Publishing & Distribution
9 789933 667108